











# المجلة الدولية للعالم الاجتماعى

أثر المحاكاة فى برامج التنمية فى العالم الثالث

باب جديد لخدمة الدارسين  
والمشتغلين بالعلوم الاجتماعىة

العدد التاسع - السنة الثالثة

أكتوبر - ديسمبر ١٩٧٢

تصدر عن مجلة رسالة اليونسكو



ومركز مطبوعات اليونسكو

## مشروع القراءة الصيفية يصبح مشروعا لتنظيم القراءة بين الشباب طوال العام

مع بداية موسم الصيف ، أعلن مركز مطبوعات اليونسكو في القاهرة ، عن تنظيم أول موسم للقراءة الصيفية ، حتى تتحول اجازة الصيف الى فرصة ممتعة ذهنيا ، الى جوار متعتها البدنية والرياضية .

وتيسرا على قراء دوريات اليونسكو ، حدد المركز عشرة قروش في الثلاثة شهور : « يوليو - أغسطس - سبتمبر » للاشتراك في احدى دوريات المركز وهى :

مجلة رسالة اليونسكو	وتصدر شهرية
المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية	وتصدر في شهور يناير - ابريل - يولية - اكتوبر
مجلة اليونسكو للمكتبات	وتصدر في شهور فبراير- مايو- اغسطس- نوفمبر
مجلة ديوجين	وتصدر في شهور فبراير- مايو - اغسطس- نوفمبر
مجلة العلم والمجتمع	وتصدر في شهور مارس- يونيه- سبتمبر- ديسمبر

وأضاف المركز تيسرا جديدا ، فقرر خفض نسبة ٢٠٪ لمن يشترك في اكثر من دوريتين .

وحتى تكون القراءة مفيدة ومثمرة ، وتنتقل من مرحلة المتعة الخالصة ، الى مرحلة الانتفاع بما فيها من افكار ، أعلن عن مسابقة للمشاركين ، للدلاء بأرائهم تطبيقا على بحث صدر ، او محاولة لتطبيق ما فيه من افكار على المجتمع العربى ، وذلك في حدود لا تتجاوز ٥٠٠ كلمة .



# المجلة الدولية

## للعالم الاجتماعي

### محتويات هذا العدد

- ♦ العقل الأسير في دراسات التنمية  
بعض مشكلات مهمة والعاجلة الى  
تقليد مستقل لعلم اجتماعي في آسيا  
بقلم : سيد حسين الأناسي  
ترجمة : د. راشد البراوي
- ♦ منطق التنمية  
بقلم : أجناسي ساكس  
ترجمة : د. صليب بطرس
- ♦ السلالة والطبقة المفلقة  
والشخصات الذاتية للجاعات الشعبية  
بقلم : أندريه بيثل  
ترجمة : د. أحمد الشهاب
- ♦ استعمال الحاسبات الالكترونية في علم النفس  
التجريبي  
بقلم : دومنيك لوبين  
ترجمة : د. أحمد زكي صالح
- ♦ الحاسب الالكتروني وتحليل الأساطير  
بقلم : بير ماراندا  
ترجمة : محمد عصام
- ♦ المؤتمرات الدولية في القاهرة ووثائق ومطبوعات  
الأمم المتحدة ووثائق الأمم المتحدة

تصدر عن : مجلة رسالة اليونسكو  
ومركز مطبوعات اليونسكو  
١ شارع طلعت حرب  
ميدان التحرير - القاهرة  
تليفون ٢٢٤٠٢

رئيس التحرير • عبد المنعم الصاوي

هيئة التحرير • د. مصطفى كمال طلبة

د. محمود الشنيطي

عثمان نوبيه

محمود فؤاد عمران

الإشراف الفني • عبد السلام الشريف

# النمية : بين المحاكاة

صارت كلمة التنمية اصطلاحا من الاصطلاحات العامة ، التي تنتشر في كل المجتمعات .

وارتبط الاصطلاح بخطط قصيرة او بعيدة الامد .  
وصار منطق العصر مرتبطا بالتنمية وخططها ارتباطا شديدا ، حتى لم تعد تخلو منها ميزانية من ميزانيات الدول ، صغيرة او كبيرة .  
وكلما اشتد الشعور بالتخلف ظهرت كلمات التنمية والخطة ، كأنما هي الطريق الوحيد الى القضاء على التخلف ، والخروج من الدائرة المظلمة التي فرضتها على المجتمعات عوامل تاريخية وسياسية واقتصادية .

وفي الدول المتقدمة التي لا تشكو من التخلف تتردد كلمات التنمية والخطة في مجال التنافس بين الدول ، والصراع بين المجتمعات ، لتحقيق التفوق في الانتاج ، وتحسينه ، وتهيته لسيادة سوق الاستهلاك .

ومعنى هذا ان كلا من الدول النامية والمتقدمة قد صارت تردد كلمات التنمية ، والخطة ، وخطط التنمية ، في سبيل تحقيق احتياجات مجتمعاتها ، سواء للتغلب على مشكلات التخلف الذي عانته المجموعة الاولى من الدول ، او لدعم تفوق المجموعة الثانية منها .

على ان الشيء الذي يجب ان يكون واضحا عند التعرض لهذه الاصطلاحات ، وعند تطبيقها كذلك ، هو ان مجموعة الدول النامية تسير في طريق تخطيط التنمية ، في ظروف تختلف تماما عن ظروف الدول المتقدمة .

ذلك انها تكون عادة دولا حديثة العهد بالاستقلال الوطني ، كما ان الانظمة التي تحتل مراكز السلطة فيها تكون ، في الغالب ، انظمة مكافحة مناضلة ، اكتسبت مراكزها من النضال الوطني ، او من ثورات التحرير ، او من التشكيلات السياسية ذات التاريخ المعروف في الكفاح .

ومثل هذه الانظمة تصل الى الحكم في طموح اكثر مما ينبغي ، متسارعة اكثر مما يجب ، حريصة على ارضاء اخيلة الجماهير التي ساندتها ، بتحقيق جزء واضح من احلامها ، يجعل للاستقلال الوطني معناه .

ومثل هذا الطموح والتسرع والحرص قد تدفع الى وضع خطط قائمة على المحاكاة ، ونقل صور مكررة من المجتمعات المتقدمة .

من ذلك مثلا ان الحاكم الوطني الجديد قد يجد نفسه امام

# واحـتـياـجـاتـ المـجـتـمـع

طلبات شعبية ورغبات قومية تنادى بزيادة الخدمات على أنواعها ، فكما كان المستعمر القديم يتمتع بنواد فيها ملاعب الكرة والتنس والكريكت ، وكما كان المستعمر القديم يحيط نفسه بالحدائق والبساتين ، وكما كان أبناء الجالية المستعمرة تتمتع بالمدارس وما يتبعها من سيارات مخصصة لنقل الأطفال من منازلهم الى مدارسهم . نعم كما كان المستعمر القديم يستمتع بكل هذا فان الكبرياء الوطنية تحتم أن ينتقل هذا الاستمتاع من المستعمر الذى رحل الى أبناء البلاد .

عندئذ قد يجرف التيار القومى ، بكل ما فيه من عناصر الكرامة والكبرياء ، الأنظمة الجديدة الحاكمة ، فتعطى عناية خاصة الى النوادى والملاعب ، والتوسع فى اقامة الحدائق والبساتين ، وانشاء المدارس ذات السيارات الخاصة ، فى حين يكون المجتمع أحوج الى المستشفيات مثلا منه الى النوادى ، أو يكون أحوج الى اصلاح الأرض الزراعية منه الى البساتين ، أو تكون لفته غير مكتوبة أصلا ، فتصبح المدارس التى يقيمها على نسق المدارس الاستعمارية ، وقد تغطى المناهج القديمة ، بل قد تستعمل اللغة التى درج المستعمر على استعمالها .

ومثل هذا يمكن أن يقال فى كثير من مجالات التنمية .

تروج فى المجتمع الجديد النامى دعوى التصنيع .

ويكتب الكتاب ، ويطالب الساسة بضرورة تصنيع البلاد ، لنتنقل عن طريق الصناعة من مرحلة التخلف المفروض عليها عبر العصور الى مرحلة الاستقلال الوطنى القادر على الاكتفاء والاكتفاء ، بل ربما تمتد الاطماع الى المنافسة فى الأسواق العالمية .

يحدث هذا فى حين يكون المجتمع النامى خاليا تماما من رأس المال ، وخاليا تماما من خبراء الصناعة ، وخاليا تماما من العمال المهرة .

صحيح أنه قد يكون متخما بالمادة الخام القابلة للتصنيع ، لكن التصنيع ليس المادة الخام وحدها . التصنيع خبرة وتجربة وتقاليد طويلة ، خضعت للصواب والخطأ .

عندئذ يصبح على المجتمع النامى أن يستقدم الخبراء ، والعمال المهرة ، ويوظف طاقات انتاج صناعى من خارج البلاد .

والأدهى من ذلك أن يستعين برأس مال أجنبى، عن طريق القروض الفادحة التكاليف ، متوهما أنه قادر بعد هذا على أن يسدد ما يقترض من فائض الانتاج .

والنتيجة الحتمية التي يواجهها مثل هذا المجتمع انه بنشئ  
صناعات أجنبية في حقيقتها ، وان كانت مصانعها وادوات إنتاجها تقع  
في أرضه .

وقد يضطرب اقتصاد مثل هذا المجتمع أمام دعوى قائمة على  
المحاكاة .

وسيجد مثل هذا المجتمع نفسه عاجزا تماما عن تحقيق مطامحه  
في إقامة صناعة وطنية مستقلة وقادرة مع هذا على أن تقف على قدميها  
دون عون خارجي .

كل هذه الأوضاع تنشأ عادة نتيجة لقيام خطط التنمية على  
المحاكاة والتقليد والنقل .

بينما نجد المجتمعات المتقدمة تضع خططها على غير أساس من  
التسرع والطموح وإرضاء أخيلة المواطنين .

لم تكن هذه المجتمعات في أقل القليل مستعمرة ، لتعمل على  
إشباع الكبرياء والقومية عن طريق خطط التنمية .

وهي لا تعاني نقصا في رأس المال ، ولا في الفنيين ، ولا في التقاليد  
الصناعية وتجارب الإنتاج .

وعندما تضع هذه المجتمعات خططها في التنمية تضعها على أساس  
من الدراسة المتأنية ، التي تحرص على أن ترصد الواقع أولا ،  
واحتمالات المجتمع بوضعه الراهن ، ثم تدرس احتمالات نموه على  
أسس إحصائية علمية ، وفي ضوء احتمالات النمو تضع خطة استهلاك  
أفرادها من المواد ، ثم تضع في الاعتبار بعد ذلك عوامل المنافسة الدولية  
في أسواق العالم ، لتصل إلى خطة تقابل احتمالات نمو المجتمع من  
ناحية ، وتكون في الوقت نفسه قادرة على المنافسة الدولية .

وإذا كان هناك في هذه الخطط قدر من المحاكاة فإن الأساس  
فيها هو المنافسة الدولية في الأسواق ، وإنتاج المواد التي تستطيع أن  
تواجه نظيراتها فيها .

صحيح أن العالم يتقارب . وصحيح أن عصر العلوم قد حطم  
الحواجز بين الدول والشعوب . وصحيح أن تقدم وسائل المواصلات  
لم يعد يسمح لمجتمع من المجتمعات أو بنزوى .

وهذا التقدم العلمي المذهل قد يفرض نوعا من الشمول في خطط  
التنمية ، وقد يوحى بضرورة أن تتضمن هذه الخطط حدا أدنى من  
المحاكاة ، بحيث لا يشعر مواطن في وسط أفريقيا بأنه محروم من  
الحاجات الأساسية التي تتوفر لزميل له في السويد .

ولكن رغم صحة هذه الحقيقة فإن الإصرار في المحاكاة قد  
يدفع بعض المجتمعات إلى التردى في عدد من الأخطاء ، تعوق خطط  
التنمية فيها ، بدلا من أن تدفعها إلى مزيد من النمو .

والذي يجب أن يتقرر ، بادئ ذي بدء ، هو أن التنمية وخططها  
تستهدف أولا تحقيق احتياجات المجتمع ، وترمي إلى تلبية رغبات  
الإنسان في حياة أفضل .

وليست الحياة الأفضل في مصر هي دائما الحياة الأفضل في فرنسا .

وليس المستوى المناسب لبناء الصين هو نفسه المستوى المناسب لبناء الاتحاد السوفيتي أو الدانمرك .

ولكن الحياة الأفضل للشعب في أي مجتمع تحكمه ظروف المجتمع وتقاليده واحتياجاته ، والنمو المتد الذي لا يصيبه فجأة بالصدمة ، عندما يسرع الخطى قبل أن يكون مهيا نفسيا وصحيا واقتصاديا لهذه السرعة .

إذا دفعنا طفلا إلى الجرى في سباق للشباب فسترتبك خطاه ، وقد تدمى السقطة قدميه ووجهه .

وانما علينا أن ندرّب الطفل منذ طفولته على حياة تؤهله لأن يدخل في سباق الشباب ، عندما يصل إلى سن الشباب ، بحيث يكتب له التفوق على أقرانه في السباق .

أن خطط التنمية يجب أن تنبثق من حاجات المجتمع ، ومن واقعهم ، ومن أحلامهم ، دون أهمال لتأثيره بالتقدم الخارجي .

أو في كلمات أخرى يجب أن تعكس خطة التنمية في المجتمع شخصية هذا المجتمع ، بكل ما له وما عليه .

وليست المحاكاة سبيلا إلى التقدم ، والمثل العربي السائد يروى عن الغراب أنه أراد أن يقلد الطائر وأن يقلد الحيوان في وقت واحد ، ففقد قدراته على أن يطير ، وفقد في الوقت نفسه قدراته على أن يسير . وعندئذ صار أعرج ، لا هو من هؤلاء ولا هو من أولئك .

وفي حياة الأفراد ، كما في حياة الجماعة ، يجب أن يستقر مفهوم أساسي ، هو أن لكل فرد شخصيته ، ولكل مجتمع كذلك شخصيته ، ولو قلد كل الأشخاص شخصا ما فإن الشخصية الفردية ستمحى وتزول .

كذلك لو قلد مجتمع ما مجتمعا آخر فإن الشخصية الاجتماعية قد تذبل ، وقد تجف ، وعندئذ تتداخل المجتمعات في عالم لا طعم له ولا لون .

ولعلنا بعد ، في مجتمعنا العربي أن ندرس خططنا في التنمية على هذا الأساس من استلهاهم واقع المجتمع وأحلامه ، بدلا من المحاكاة والتقليد .

ان التنمية ضرورة .

وصياغة التنمية في خطة ضرورة الزم .

وتطبيق خطط التنمية . على أساس من واقع المجتمع وظروفه وعاداته وتقاليده يحفظ للمجتمع شخصيته ، لينمو في طريق سليم ومستقيم وقادر على أن يتميز بطابع يثير الاحترام .

والله الموفق

عبد المنعم الصاوي

# العقل الأسير فـ دراسات التنمية

بعض مشكلات مهمة والحاجة إلى

تقليد مستقل لعلم اجتماعي في آسيا

في « حوليات الأكاديمية الأمريكية للعلم السياسي والاجتماعي » الصادر في نوفمبر ١٩٦٦ ، ظهر مقال بعنوان « الأستاذ في الخارج » ، بقلم ادوارد و . وايدنر ، أستاذ مادة العلم السياسي ، وهو شخص له تجاربه ، فيه من الصفات ما يؤهله للحديث عن تأثير وظيفة الاساتذة الأمريكيين في الخارج . ولبعض ملاحظاته أهمية بالنسبة لنا . فقد لاحظ وهو يناقش مشكلات الترتيبات المتعلقة بالتبادل ما يأتي : ( أ ) يؤثر الأستاذ الأمريكي أساليبه الأمريكية في التدريس ، ( ب ) يصحب الأستاذ الأمريكي معه محاضراته ومعمله ومذكراته التي يلقيها في الندوات ، ويعتمد عليها دون تعديل كبير فيها ، ( ج ) ليس لكثير من محتويات برامج الجامعات الأمريكية أهمية أو صلة بالنسبة إلى المناطق النامية ، ( د ) القضايا التي يمكن اعتبار أن لها قوة قوانين عامة ، لا يمكن تطبيقها في الغالب على النظام الاجتماعي بالبلد المضيف ، ( هـ ) من وجهة نظر البلاد الأقل نمواً ، لم تكن الأبحاث التي يقوم بها العلماء الأمريكيون وسواهم من الأجانب تدعو إلى كثير من الرضى .



# بقلم : سيد حسين الأتاسى

رئيس قسم دراسات المايو في جامعة سنغافورة • ومن  
منشوراته الحديثة مقال « الدين والتجديد في جنوب آسيا »  
و « الوثائق الأوربية في علم الاجتماع » ١٩٧٠ •

## ترجمة : د. راشد البراوى

**سابقاً :** أستاذ التاريخ الاقتصادى والعلاقات الدولية  
بكلية التجارة ( جامعة القاهرة ) ، عضو المجلس الدائم لتنمية  
الانتاج القومى ، رئيس مجلس ادارة البنك الصناعى وعضوه  
المنتدب ، عضو المجلس الاستشارى للصناعة ، سكرتير عام  
اتحاد الغرف التجارية المصرية •

**ومن مؤلفاته :**

- ١ - الطريق الى السلام •
- ٢ - العلاقات السياسية الدولية •
- ٣ - قادة الفكر الاسلامى في ضوء الفكر الحديث •
- ٤ - اقتصاديات العالم العربى من الخليج الى المحيط •
- ٥ - حرب البترول في العالم ، حرب البترول في الشرق  
الاطلس ، ثورة البترول في افريقية •

Economic Development in the Arab - ٦  
Republic of Egypt.

---

وبعد أن استعرض وايدنر التغيرات التى وقعت في السنوات العشر الأخيرة ،  
ابدى الملاحظة التالية :

هناك في البلاد الأقل نمواً أشياء جديدة كثيرة تغير ظروف الاساتذة الأمريكين  
الذين يتوجهون الى الخارج بالنسبة الى النخب الممتازة من رجال التعليم الجامعى ،  
لم يعد عدد من البلاد في عدد من النظم والمهن (أقل نمواً) اياً كانت حالة اقتصادياتها،  
والتكيف مع هذه الحقيقة ضرورة تفرض نفسها على الاساتذة وعلى من يقدمون  
الاموال من الولايات المتحدة (١) •

---

E.W. Weidner, The Professor Abroad, *The Annals of the American Academy of Political and Social Science* (Philadelphia), vol. 368, November 1966, p. 70.

وبرغم أن المناقشة التي أجراها وايدنر تدور حول العلماء الأمريكيين ، فملاحظاته تنطبق على العلماء الآسيويين أيضا . ليس في صفوف العلماء الاجتماعيين الآسيويين سوى أقلية صغيرة تشعر بالحاجة إلى وضع تقليد مستقل وخلاق للعلم الاجتماعي له أهميته بالنسبة إلى آسيا وكذلك إلى التطوير العام للعلوم الاجتماعية . أما الأغلبية الكبيرة فيقتصر أمرها على مد نطاق استخدام العلوم الاجتماعية السائدة في أوروبا والولايات المتحدة دون إجراء التكييف الواجب الذي تميل إلى أن تحدنه العملية العلمية ذاتها إن كان لها ثمة وجود . هنا لا يوجد تخلف ثقافي فحسب في ميدان الوعي الفكري ، ولكن هناك أيضا دلالة على أن العلماء الآسيويين لا يزالون في عالم العلم واقعين تحت سيطرة فكرية . من السهل تتبع نمط هذه السيطرة وآثارها ، وينطوي فهمها على أهمية كبيرة بالنسبة إلى تخطيط التنمية ، ذلك أن لها في بعض الحالات مضامين سياسية خطيرة . لقد فرض على شعوب بكاملها تخطيط خاطئ في مفهومه ، فأسفر عن عواقب خطيرة (١) .

عندما نناقش أهداف التنمية وتحقيقها ، يلزم أن نناقش أيضا من وقت لآخر ، مشكلة المخططين ، من الخبراء والقادة الحكوميين على حد سواء . وهنا أود أن أركز الاهتمام على الخبراء ، إذ ما من بند واحد في أية خطة للتنمية يخلو من تأثير الخير . إننا نريد علم اجتماع يضعه العلماء الاجتماعيون في آسيا ، وعلينا أن نخضع تفكيرهم ونشاطهم العلمي لتحليل من النوع الذي ابتدئته سوسيولوجيا المعرفة . قد بدأ هنا من الحقيقة القائلة أن اتجاه الفكر في صفوف العلماء الاجتماعيين الآسيويين يمكن تفسيره في الواقع على ضوء ما يدعوه الاقتصاديون تأثير المظهر . فديو سنبري ، وهو أول من استخدم المصطلح عند الإشارة إلى سلوك المستهلك ، فهم منه أنه عبارة عن زيادة في الإنفاق على السلع التي يسود الاعتقاد بأنها من نوعية عالية ، وذلك بفرض المحافظة على احترام الذات بصورة مستقلة عما للسلع التي تقطن من منفعة موضوعية . إن تواتر الدافع وقوته على اقتناء سلع أرقي ، يتوقفان على تكرار الاتصال بأمثال هذه السلع . فكل اتصال هو اظهار لتفوق أمثال هذه السلع وتهديد لاستمرار النمط الجاري من الاستهلاك (٢) .

وتأثير المظهر هو بالفعل جزء من اتجاه أعم يدعوه علماء النفس وعلماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية « الانتشار » ، أنه يشكل جزءا من هذه العملية . فبينما كان الاقتصاديون معنيين بالجزء المحسوس من هذه العملية ( اقتناء السلع ) كان علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية معنيين أيضا باكتساب السمات والاتجاهات . وفضلا عن هذا ، حلل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية العملية على مستوى أرفع من الثقافة . ونظرا لأن موضوع هذا البحث ينصب على تأثير المظهر في تفكير العلم الاجتماعي عند الأساتذة والمخططين الآسيويين ، لهذا سوف

(١) كمثال عن هذا ، أدى استخدام مفهوم النسبة بين رأس المال والإنتاج في تخطيط التنمية الاقتصادية في ماليزيا ، كما اقترح الكثيرون من الاقتصاديين الغربيين ، إلى استخلاص نتائج باطلة وإعمال أقاليم معينة ، وبذلك زاد من الاختلال الاقتصادي الإقليمي . انظر : « جانب من التنمية الريفية باليزيا : إعادة فحص أسلوب المخططين » بقلم آزهرى زاهري ، (ورقة بحث ، قسم دراسات الملايو ، جامعة سنغافورة ) ، وكذلك مؤلفه « انونيسيا : السيطرة العامة والتخطيط الاقتصادي ، سنغافورة . بيت ماليزيا للنشر ، ١٩٦٩ » .

James S. Duesenberry, *Income, Saving and the Theory of Consumer Behaviour*, p. 26-7, Cambridge, Mass., Harvard University Press, 1949.

نستبدل مصطلح « سلع » بمباراة « معرفة وتكنيك العلم الاجتماعى » . ان الدافع الرئيسى على استيعاب المعرفة بالعلم الاجتماعى من الغرب ، هو الاعتقاد فى منفعته وتعودها . وعملية تمثيل هذه المعرفة وهذا التخصيص يظهران سمات موازیه لسمات تأثير المظهر ، وهى ( ١ ) تواتر الاتصال ، ( ب ) اضعاف او تحطيم المعرفة او العادة السابقة ، ( ج ) الهیة التى تتعلق بالمعرفة الجديدة ، و ( د ) انها ليست بالضرورة معقولة ومبنیه على المنفعة .

وثمة كثير من سمات موازیه أخرى يمكن مناقشتها بطريقة مثمرة . يكفى ان نقول ان انتشار المعرفة بالعلم الاجتماعى فى البلاد الاسيويه وبسبب انها لا تتحدد صوره تأثير للمظهر ، خالية من روح النعد ، هذا الامر يأتى بالخير من العيوب وانعائص . هذا الموقف يجب تصحيحه بأسرع ما يمكن . ولاسباب نعتى بمهج البحث سوف أركز على الخبراء العربیین نظرا لانهم مصدر تأثير المظهر ، فما يبعه هؤلاء هو ما يجرى شراؤه .

ان المؤلفات عن تخطيط التنمية فى آسيا وغيرها من المناطق النامية ، والتى أخرجها عدد كبير من العلماء الغربیین ومن العلماء الذين احضعوا لتأثير المظهر عندهم ، هذه المؤلفات غالبا ما تكون مضلله بسبب عدم صدق الفروض الأساسية ، والتجريد فى غير موضعه السليم ، والجهل بالوقائع او سوء تفسيرها ، وتصور حاصىء للمشكلات ودلائها . وبصرف النظر عن قدر هائل من المعلومات والتعريفات الوضعية والاحصائية التى يمكن اعتبار الكثير منها تافها ومبتدلا ، فليس فى النتيجة ككل قدر كاف من العمق والمنفعة . ولقد أدرك بعض العلماء الاسيويين والغربیین الموقف وشددوا على الحاجة الى تقليد مستقل للعلم الاجتماعى فى آسيا والاقاليم النامية الأخرى (١) .

ان أكبر مشكلة فى الوقت الراهن هى تخریب وتوزيع العدد المتزايد من العلماء الاسيويين من النوع المتسم بتأثير المظهر . والملاحظة الآتیه ابدائها عالم أمريكى وهو يناقش فكرة ميردال :

ان إعادة البناء النظرى تفترض سلفا مزيجا يجمع بين الكفاية والتحرر من التقليدية ، وهما ما يصعب ان يفهمهما طلاب علم الاقتصاد من أبناء البلاد المتخلفة الذين يحصلون على درجة الدكتوراه فى الفلسفه فى إحدى العواصم فى بلد متقدم . وعندما يحين الوقت الذى يعود فيه الطالب الى بلده يكون فى العادة قد تقبل تماما الحكمة التعيدیه السائدة التى يروح ينقلها الى الاجيال التالية من الطلاب . وعلى غرار معظم العمليات الاجتماعیه يحصع نعل الافكار والنظريات لنسوع من القصور الفاتى او التحليل التراكمى الذى يميل الى ان يجعل عمليه التعليم والتعلم تتحرك فى نفس الاتجاه الذى يتحرك فيه الدافع الاصلى . وهكذا يمكن ان تتسع الفجوة المحتومة بين البنيان النظرى وعالم التجربة ، الى أن يعد المسرح لاكتشاف أن المفاهيم والنظريات التقليدية قد فقدت صحتها . ان الاحساس السائد بزوال الوهم من ناحية معدل التنمية الاقتصادية فى بلاد كثيرة ، هو الى حد ما نتيجة مترتبة على

(١) انظر من بين آخرين :

Gunnar Myrdal, *Economic Theory and Underdeveloped Regions*, p. 98-104, London, Duckworth, 1959 ; C. Furtado, *Development and Underdevelopment*, p. v., Berkeley, Calif., University of California Press, 1967 ; and Ralph Pieris, *The Implantation of Sociology in Asia*, *International Social Science Journal*, Vol. XXI, No. 3, 1969.

وهناك مقالات أخرى فى هذا المبد لها صلة بالموضوع .

## قصور التوالب النظرية عن تشخيص طبيعة المشكلة ووصف الاسلوب الملائم للعمل (١) .

يكاد في كل النشاط العقلي العلمى ان تسرى نزعة من المحاكاة الخالية من روح انتقد . وبهذه العملية تانثرت جميع العناصر الكبرى التي تشكله ، مثل : عرض المشكلات ، والتحليل ، والتجريد ، والتعميم ، والتصور ، والوصف ، والشرح ، والتفسير . لقد تكون نمط من العادة ، وحتى يتسنى تحطيمه يكون من الضرورة الملحة شيف بواحي الضعف في نمط الفكر الذي تجرى محاكاته . وينبى ان تكون الخطوة التالية كشف الظروف المؤدية الى المحاكاة العمياء والى دوام نمط العادة الناتج منها . ويمكن من اجل العرض الحالي الذي نتوخاه ، ان نضع مجموعة العلم الاجتماعى والمعرفة العلمية والنشاط الفكرى في البلاد النامية ، تحت العناوين الآتية : التجريد ، التعميم ، التصور ، عرض المشكلات ، وفهم الوقائع والتمكن منها . ويمكن ان نستبعد منهج البحث والتحليل الوصفى لان حل المشكلات في هذا المجال اسهل . ان كشف نقائص اسلوب عينات في عملية تعداد مثلا ، لايتطلب مجهودا عقليا من النوع الذى نقتصره هنا . وبمجرد ان يتقرر هذا يكون من السهل التسليم به . فاعتراف رجل الاقتصاد بأن البيانات التي تحت يده ناقصة ، اسهل من ادراكه ان تفكيره الاقتصادى قائم على المحاكاة التي لاتفرق بين الامور .

ومن رايى ان اوسع العيوب انتشارا هو عادة الحديث المرسل والقضايا المجردة التي تكون اما مضللة واما انه لاحاجة اليها لانها معروفة . فهذه القضايا تستخدم لاثبات او تفنيد نظرية او نموذج او خطة . وكمثال عن مثل هذه القضية العامة ، اليك اقتراح تنبرجن :

في هذه الاثناء اذا اريد فهم الاختلافات بين البلاد المتقدمة والمتخلفة فهما صحيحا فيحسن ان نذكر ان ظاهره التنمية تتطلب من الشرح أكثر مما تتطلبه ظاهرة التخلف . ففي كل من الطبيعة والتاريخ البشرى يكون وجود حد فاصل بين الحياة والموت امر عادى اكثر من وجود النوع الذى نلقاه اليوم في بلاد العالم المتقدمة . فبرغم ان رخاء هذه البلاد العظيم يرجع بشكل مباشر الى انها تملك كلا من المعرفة وكمية كبيرة من السلع الرأسمالية ، فهذه بدورها نتيجة عوامل أخرى يمكن تقسيمها بوجه عام الى عوامل تحدد البيئة التي يستخدم فيها الإنسان استخداما نشيطا ، وعوامل بشرية بحتة . واضح بالطبع ان نمة حاجة الى صفات بشرية معينة اذا اريد من مجتمع متقدم حديث ان يسطع بوظيفته على النحو الصحيح . والان تتميز المجتمعات التي من هذا النوع بعمليات انتاجية تستخدم السلع الرأسمالية العمرة وتوظف أعدادا كبيرة من الناس سويا . ولهذا السبب ، فان من الصفات التي تتطلبها نسبة عالية من سكان مجتمع متقدم : اهتمام بالرشاء المادى ، واهتمام بالتكنيكات والتجديد ، وقدرة على التطلع الى المستقبل ورغبة في ركوب المخاطر ، والمثابرة ، وقدرة على التعاون مع اناس آخرين ومراعاة قواعد معينة (٢) .

K. William Kapp, "Economic Development in a New Perspective: Existential Minima and Substantive Rationality" *Kyklos*, Vol. 18, 1965, p. 49.

Jan Tinbergen, *Development Planning*, p. 26, London, Weidenfeld & Nicolson, 1967.

أول سؤال يثور هنا هو عن طبيعة جمهور القراء . لمن وضع تنبرجن كتابه ؟ لو كان الكتاب موجها الى العلماء لكأنت فقرات كالتى اقتبسناها ، غير ذات موضوع . ولو كان موجها الى الطلاب لكان الافضل ان يقال هذا . والمشكلة الكبيرة هي ان معظم المؤلفات عن التخلف والتخطيط ، بصرف النظر عن الروايات الوصفية والإحصائية ، مؤلفات لا حاجة اليها . فالاهتمام بالرخاء المادى وبالتكنيكات والتجديد ، والقدرة على التطلع الى المستقبل ، والاستعداد لركوب المخاطر ، وازدهار التجارة ، والقدرة على التعاون مع الغير ومراعاة قواعد معينة ، كلها قضايا معروفة منذ امد طويل بانها شروط مسبقة للتنمية ، وعرض امثال هذه القضايا على العلماء مجهود لا لزوم له . الامر شبيه بمناقشة المبادئ المعروفة للصحة في وقت تشتد الحاجة فيه الى دراسات عن حالات تجريبية عينية ومحسوسة ، بكل ما تنطوى عليه هذه الدراسات من تعقيد .

وربما قد نختار مثالا افضل عن مثل هذا المدخل ، يتوفر فيه عديد من النواصير في كثير من المجالات التى نذكرها : عرض المشكلات ، التصور ، الشرح ، والتفسير . وفي الدراسة المقارنة التى اجراها كوزنتس عن انماط النمو بالبلاد المتقدمة والنامية ، يقترح النقاط الآتية :

— المستوى الحالى للمنتج بالنسبة الى الفرد اقل انخفاضاً بكثير في البلاد النامية منه في البلاد المتقدمة في مرحلة ما قبل الصناعة .

— العرض من الارض الزراعية بالنسبة للفرد اقل كثيرا في معظم البلاد النامية اليوم منه في معظم البلاد المتقدمة الآن ، واخل عنك في مرحلة ما قبل الصناعة . وتوفر مقارنة مورد الارض الزراعية بالنسبة الى كل عامل زراعى ، عن كشوف مماثلة .

— لعل انخفاض المدخل بالنسبة الى الفرد (والعامل) في البلاد النامية ، بالنسبة الى المدخل في مرحلة ما قبل الصناعة في البلاد المتقدمة في الوقت الحاضر ، راجع الى حد كبير الى انخفاض انتاجية القطاع الزراعى .

— التفاوت في توزيع الدخل الاجمالى في البلاد النامية اليوم ، في مثل اتساعه في البلاد المتقدمة الآن في مرحلة ما قبل الصناعة ، ان لم يكن اعظم اتساعا .

— يظهر ان مصاحبات انخفاض الدخل في النواحي الاجتماعية والسياسية في البلاد النامية اليوم ، تشكل عقبات في طريق النمو الاقتصادى بدرجة اكبر مما كانت تشكله في مرحلة ما قبل الصناعة بالبلاد المتقدمة الآن .

— لم تحصل معظم البلاد النامية على استقلالها السياسى الا من عهد قريب بعد عقود من الوضع الاستعمارى او الخضوع للبلاد المتقدمة . وهذا لم يكن يصدق على البلاد المتقدمة في الوقت الحاضر في مرحلة ما قبل الصناعة ، فقد جاء التصنيع في اعقاب فترة طويلة من الاستقلال السياسى .

— الشعوب في البلاد النامية اليوم هي وريثة حضارات متميزة تماما ومستقلة عن الحضارة الاوربية . لكن الحضارة الاوربية هي التى اتاحت على امتداد قرون من التوسع الجغرافى والسياسى والفكرى النمو الاقتصادى الحديث ، فجميع البلاد المتقدمة في الوقت الحاضر ، باستثناء اليابان ، اما اعضاء قدامى في الحضارة الاوربية وتفرعاتها فيما وراء البحار ، واما في امتداداتها الاقليمية ناحية الشرق (1) .

S. Kuznets, *Economic Growth and Structure*, p. 177-83, London, Heinemann, 1966.

نبدأ بالقول بأن القضايا الخمس الأولى نظرية الى حد كبير ، بمعنى انه لم تثبت صحتها تجريبيا بطريقة موقوفة بها ، وتنتمي الى مستوى من العمومية لقائده منه للتحليل . فعلى خلاف الدراسة المقارنة التي حاولها جرشنكرون والمبني على حالات تاريخيه محدده تستخدم العديد من الوقائع التاريخية ، وتقدم نتائج مستمدة مباشرة من هذه الوقائع . فان الدراسة المقارنة التي قام بها كوزنتس ليست مفيدة جدا . فهي لاكتشف عن تفاعل المتغيرات في عملية التنمية . ان النتائج الموجزة العامة لافغ فيها لغز اهل العلم ، وعلى المستوى الحالي من معرفة عملية التنمية ، تبدو منافعها كالتى يعرضها كوزنتس بدائية لو كانت موجهة الى العلماء (١) . لسنا نحكم هنا على اسهامات كوزنتس العلمية والنسافة ككل ، ولكننا نستخدم هذا الاسهام المعين كوسيلة ايضا فحسب ، والمشكلة هي ان هناك مناقشات من هذا النوع ، اكثر مما ينبغى ، تؤثر في القائمين بالتخطيط وفي الذين يدرسون موضوع التخلف . والعضايا العامة المتضمنة في امثال هذه المناقشات تنتشر بكثيرة متزايدة ، وهي لا تضيق شيئا الى المعرفة كما انها اوسع من ان تكون ذات نفع . وهي في حالات كثيرة مجرد تقارير ملخصة لوقائع وملاحظات معروفة (٢) بل وفي حالات اخرى تقدم لنا ابحاث عامة عما ينبغى عمله . ومع كل ، فالصورة في دراسة المجتمع الغربى مختلفة كلية . فالحوار بصدد العلم الاجتماعى . لاتزوه ، بصورة تبحث على الانزعاج ، تقارير عامة ليس لها مضمون محسوس وتحليلي ، مصدرها العلماء الاجانب ، على مستوى ضئيل او عال . فالتقارير العامة هي في ادنى حد ممكن . ان موضوعا واسما مثل اصل الرأسمالية ، لم يناقش بدون الاشارة الى وقائع ملموسة . قد جرى النقاش كله حول التجديد والثورة الصناعية والتنمية الاقتصادية بالغرب ، جرى على مستوى رفيع من الثقافة والعلم ، مع الاشارة المستمرة الى الوقائع التاريخية والسوسيولوجية المحسوسة (٣) .

وثمة مشكلة اخرى تتمثل في الكيفية التى تتأثر بها الكشوف والنتائج المستخلصة عن المناطق النامية ، بالعوامل الثقافية والمنهجية التى تقحم نفسها على الحكم الذى يصدره المؤلف . وخير مثال لهذا فكرة ايفرت . اى . هاجن عن ادخال التكنولوجيا الحديثة في المناطق النامية . فهو بوجه عام يشدد على المبدأ المعروف وهو ان عناصر ثقافية معينة لا يمكن استيعابها بمعزل عن غيرها . والذي يهمنا هو المثال الذى يضره :

**في بورما والهند ، وبغير شك في اماكن اخرى بجنوب شرق آسيا ، ومن المرجح في معظم افريقيا ، تكاد مجرفة الحفر أن تكون مجهولة . فالحفر يتم بفأس لها نصل**

(١) كانت المناقشة التى أجراها موجهة الى جمهور امريكى في مؤتمر بجامعة تكساس في عام ١٩٥٨ . وقبل ذلك كانت هناك محاولة لاجراء المقارنة ، قام بها كوزنتس في كتابه « اقتصاد التخلف » ( بومباي ، مطبعة جامعة اكسفورد ، ١٩٦١ ، وأعيد نشرها في طبعات « ان- اچاروالا ، س-ب- منج » .

(٢) مؤلف كوزنتس « Economic Growth and Structure » تحليل طريف . ورغم اتساع المجال الذى يغطيه فان مستوى التحليل ليس من النوع الذى لا يترك لنا سوى تقارير عامة - والموضوع الذى يتناوله هو مقارنة بين مراحل ما قبل الصناعة في البلاد المتقدمة والتنمية .

(٣) الحاجة الشاملة للتنمية الاسيوية التى تستخدم مفاهيم عامة عريضة مع قلة الرجوع الى الوقائع ، هذه الحاجة لاتشكل سوى طراز واحد من العمل . وهناك ايضا الطراز الوصفى والاشبارى ، والمفيد لاسباب كثيرة . لسنا نمتزم عرضا لثل هذه المؤلفات ، فالاشارة اليها ليست الا من حيث علاقتها بالموضوع الحال

عريض . وبرغم انه يؤدي العمل ببراعة ، ويقل كعملية سمجة في ظروف كثيرة . وبالتأكيد ، يبدو ان احلال المجرفة مكان الفأس ، يزيد من الإنتاجية الى حد كبير ولكن لا يمكن استخدام مجرفة الحفر العادية مع ارتداء الصنديل أو السير حافي القدمين ، وتكون النتيجة انه اذا صنعت المجرفة مع شريط عريض عند قممها يمكن ان تضغط عليه الاقدام العارية ، عندئذ تعلق القانوزات بهذا الشريط فلا تتخلص المجرفة مما علق بها . وفي تركيا وإيران ، وربما بلاد أخرى بالشرق الأوسط فيما عدا شبه الجزيرة العربية ، حلت المشكلة بعمل خلاق هو عصا قطرهما بوصة أو أكثر ويمكن للأقدام الحافية أن تضغط عليها في يسر . وهذه العصا يجري تمريرها من خلال مقبض المجرفة لمسافة عدة بوصات فوق النصل ، أو يربط شريط مستعرض يخدم نفس الغرض ، على كلا جانبي النصل . والوسيلة ليست جديدة ، إذ الابتكار قديم .. وحتى هذا الترتيب يجب أن يكون متما في بعض الظروف . وإذا لم يتم ابتكار شيء آخر ، فحتى مثل هذه الآلة البسيطة من قبيل المجرفة ، لا يمكن استبدالها في مجتمع يعاني من انخفاض الدخل ، واستخدامها بكفاءة تامة إلا إذا ارتفع مستوى المعيشة بدرجة كافية تتضمن لبس الأحذية (١) .

هذا يكشف عن خطأ اولي نوعا . فهاجن لم يفهم وظيفة الجراف في جنوب شرق آسيا في البيئة التي يستخدم فيها . وهنا يعتبر الشانجكول (الفأس في الملايو) أداة أكثر كفاءة بكثير من المجرفة . ففي زراعة الأرز على المصاطب المتدرجة على منحدرات الجبال ، حيث يجب أحيانا كشط جوانب المدرجات المتجهة إلى أسفل ، فإن الشانجكول وليس المجرفة ، هو الآلة التي تنسم بالكفاءة ، وإمكانية استخدامها أكثر بكثير من إمكانية استعمال المجرفة . فبواسطته يمكن حفر ثقب وكذلك كشط الجوانب بسهولة أكبر بكثير . وهو ذو كفاءة في الحفر وفي التقليم أيضا ، وناسب البناء الرقيق المطلوب في زراعة الأرز ، كما يمكن فضلا عن هذا أن يقوم بالحفر بأسع مما تفعل المجرفة . وهكذا تجاهل هاجن المبدأ الأنثروبولوجي وهو أن وظيفة الآلة يجب أن يحكم عليها على ضوء بيئتها . وثمة أمثلة أخرى لا حصر لها عن الحكم الخاطئ على الشؤون الآسيوية ، المتولد من الجهل أو قصور المعرفة بالوقائع المحسوسة . لسنا نشك في أخلاقيات المراقب العلمي ، ولكننا نشك في استعداده القاصر فحسب الذي قد لا يكون على بيئة منه . سوف أضرب مثالا آخر مستقى في هذه المرة من أنثروبولوجي ثقافي معروف هو ملفيل . ج . هرسكف فتر ، وهو مثل ناشئ من عيب في منهج البحث ، ربما يكون مصحوبا ببيانات غير كافية .

إن اهتمام هرسكف فتر بالعلاقة بين مفهوم الوقت في المجتمعات الصناعية وغير الصناعية ، يعبر عنه بالمبارات الآتية :

جرى التعبير عن الفرق بين المجتمعات الصناعية وغير الصناعية بأنه فرق بين جماعات تستخدم الوقت عن طريق الساعة وجماعات تعيش على الوقت (الطبيعي) أو الذي يعتمد على حركة الأجرام السماوية . وجرى التعبير عنه أيضا بأنه الفرق بين الوقت الذي يمكن تصور انقسامه إلى وحدات قيست بعناية تكون غالبا ذات أعداد صغيرة ( ثوان ودقائق وساعات ) فضلا عن أيام وأسابيع وسنين ، وبين الوقت الفصلي حيث حدود الوحدات ليست واضحة وغير دقيقة لانها تتبع الدورة المتباعدة التي تليها مثلا استجابات الشعوب الزراعية لوقت الفراس والزراعة والحصاد ثم

الفترة التي ينتظر فيها المرء حلول العام كي يبدأ الدورة من جديد . وهكذا يمكن اعتبار الليل الى الضبط في قياس الوقت جزءاً لا يتجزأ من الركب التكنولوجي . وهو يستمد أهميته من ان الانشطة التي تعد وفقاً له سواء كانت آلية أو سلوكية ، اوجبت وجود جداول زمنية معينة تجري الحاقظة عليها في جميع نواحي الحياة - ( لقاء مع صديق ، صلاة في كنيسة ، فضلاً عن خط انتاج ) - اذا اريد ان تتحرك الجولة اليومية في سهولة ويسر (١) .

اما ان المواظبة جزء لا يتجزأ من الركب التكنولوجي ف قضية تلقى القبول بوجه عام . ولقد اوضح هرسكوفت أيضاً ما يأتي .

..... يجب اعتبار التغير التكنولوجي عملية توفيق بين نظامين لحساب الوقت ، أحدهما دقيق وواجب ، والآخر غير دقيق ويتسم بالترخي ... . وهناك عدد قليل من العمال الزراعيين في الشعوب الأفريقية الوطنية ، ممن تشبهوا بالركب الأوربي لحساب الوقت ، لم يستشعروا الضرر وهم في انتظار شخص يوافيهم في وقت متفق عليه ليلفهم شيئاً أو يفسر لهم شيئاً . وسرعان ما يتعلم المرء ان يتوقع الا يبدأ حفل في الساعة المقررة . وغالباً ما يتعين الانتظار فترة طويلة الى ان يتم اعداد كل شيء ، أو يحدث في بعض المناسبات انه عندما يحين الوقت الذي يجب ان يبدأ فيه أحد الطقوس الدينية يكون ادائه قد قطع مرحلة طيبة . في النهاية يبدأ الطقس فعلاً ، ولكن تعلم التجربة أن من الضر أن يأتي المرء مستعداً للحديث المرح الى ان يبدأ الطقس ، مستفيداً من أية فرص هناك تسمح له مشاهدة المقدمات التمهيدية . ويتعلم الباحث في الحقل أيضاً ان حرصه على الدقة في التوقيت امر لا يمكن أن يفهمه الذين يشتغل معهم ، ولا يمكن أن يكون مثيراً للضيق بمثل ما يحس به ازاء اغفالهم اعرافه وتقاليده (٢) .

وأوضح كذلك ان الاتجاهات والسلوك المتأصلة في التقليد الوطني يجب أن تفهم على أنها جزء من البيئة بأسرها . وليس ثمة خلاف على ذلك حتى الآن . ومع كل ، فهناك نقائص لها شأنها في التقييم الذي يجريه . لقد ناقش التقاليد الوطنية بأسرها في افريقيا كما لو كانت تقليداً واحداً ، وتجاهل عناصر مهمة تفرق بينها ، هذا بالإضافة الى عدم درايته كافية بالوقائع . فليس صحيحاً على العموم أن التقاليد الوطنية خالية تماماً من المفهوم الحديث عن الوقت ، فنحن اذا نظر الى السودانيين الذي يذكره هرسكوفت كمثال عن عدم المواظبة ، في المحافظة على المواعيد ، يمكن أن نكتشف انه مواظب بدقة في نواحي أخرى من الحياة . انه مواظب عندما يقطر في ختام يوم صومه ، عندما يذهب صلاة الجمعة وصلاة الفجر وصلاة المغرب . فهو ليس مجرّداً بالكلية من معنى المواظبة .

ان دونه وهو الاسلام ، يقرر قيمة الوقت . فالقرآن يتضمن سورة عنوانها «العصر» (٣) . وكانت قيمة قياس الوقت معترفاً بها قبل استعمال الساعة بوقت

M.J. Herskovits, «Economic Change and Cultural Dynamics», in: R. Braut (١) banti and J.J. Spengler (eds.), *Tradition, Values and Socio-Economic Development*, p. 128, Durham, N.C., Duke University Press, 1961.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٨ - ٩ .

(٣) محمد علي ، «العصر» (الوقت) ، القرآن الكريم ، السورة ١٠٣ ص ١٢٠٦ ، لاهور ، ١٩٦٣ .

(الترجمة الانجليزية مع النص العربي) : «العصر» ان الانسان لقي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .



طويل . وعند المسلمين فرع من المعرفة يقال له علم الحساب أى علم العد والقياس . وليس تقرير قيمة قياس الوقت المرتبط بالدين ، صفة خاصة بالمسلمين ، ففى جميع أنحاء العالم كان الناس منذ الماضى السحيق يقدرون قياس الوقت والمواطبة (١) . أن ماتفر هو مكان المواظبة (٢) . ونظرا للزيادة الكبيرة فى حدة الأحداث فى العالم الحديث التى تتطلب المواظبة ، فإن حدوث تغيير فى العادة المألوفة أمر مطلوب بالنسبة إلى من يتعبدون عليها . ولا ينبغى أن نخلط هذا بالتغيير فى القيم أو فى مفهوم الوقت . ولا ينبغى أيضا أن تصدر حكما عاما ينطبق على جميع المجتمعات غير الصناعية .

أن المشكلات الناشئة عن التحليل الخاطيء المبني على قضايا عامة دون الربط الصحيح بالوقائع المحسوسة ، ومشكلات التعميم الخاطيء وقصور الإلمام بالوقائع ، واختيار المشكلات الخاطئة ، والتكرار الذى لا لزوم له للقضايا المسلم بها ، هذه المشكلات يمكن بحثها داخل إطار أوسع : المشكلة الأكبر المتعلقة بالتأثير الثقافى بين المنطقة النامية والعالم الغربى . لقد لاحظ الاقتصاديون وعلماء الاجتماع ظاهرة التصنيع المشتق والتنمية المشتقة . والمظهر المميز للتنمية المشتقة هو أن المستحدثات التى تساند العملية متولدة فى أماكن أخرى (٣) . أنها موجهة نحو استهلاك سلع تنتجها بلاد أخرى أو تجرى محاکاتها محليا . وعن طريق تأثير المظهر على المستوى الفكرى فى صفوف كل من العلماء والمخططين ، تترأى لنا أيضا صورة أخرى من التنمية المشتقة هى عملية توجيه الاستهلاك البنية على المستحدثات من الخارج . فالأفكار من التخطيط والتنمية مستمدة من الخارج . ويسفر تأثير المظهر عن كثرة تكرار التعرض للسلع الجديدة وهو ما يميل إلى التقليل من الكبت . أن أغراق الأقاليم النامية بكميات متزايدة باستمرار من المؤلفات المستوردة من الخارج عن التنمية ، بشكل مشكلة كبرى نظرا لغياب الاستيعاب والهضم القائم على النقد والانتقاء . لقد أوصى بعض العلماء بالحاجة إلى الاختيار والنقد ، ولكن لا يكاد يمكن ملاحظة هذا الأمر من الناحية العملية وقد كانت الأباطيل والنقائص معترف بها نظريا ولكنها لم تكند تنقل إلى نطاق الواقع العملى (٤) .

هذه الحالة راجعة إلى ناحية واحدة من نواحي تأثير المظهر أعترف بها علماء الاجتماع منذ وقت طويل . وكما كتب جون بيتس كلارك فى عام ١٨٨٦ :

(١) تقدم الصين أمثلة طريقة جدا . ان هسيانج - ين او قائم اللبان طريقة بارعة لقياس الوقت وتدل مختلف الأشياء التى تستعمل لقياس الوقت على القيمة التى يدلفها عليه المجتمع الصينى ، انظر :

Sivio A. Bendini, «The Scent of Time», Transactions of the American Philosophical Society, New Series, Vol. 53, Part 5, 1963; and J.T. Shotwell, «Time and Historical Perspective», Time and its Mysteries, Series III, New York, N.Y., New York University Press, 1949.

(٢) تعتبر المواظبة ذات قيمة دينية عند المسلمين وإن لم تكن دائما موضوع المراقبة . والتكليف المطلوب هو مد نطاق استخدامها بدلا من منه إلى المواظبة بصفحتها هذه . وهناك اشارات كثيرة إلى المواظبة ترجع إلى النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

(٣) انظر :

Henry C. Wallich, «Some Notes Towards a Theory of Derived Development», in: A.N. Agarwala and S.P. Singh (eds), op. cit.

(٤) نلقى معالجة طريقة لهذه المشكلة فى كتاب دوجلا ريمر .

«The Abstraction from Politics: Critique of Economic Theory, and Design with Reference to West Africa», The Journal of Development Studies (London), Vol. 5, No. 3, April 1969.

عندما تنشأ العادات تسمح ظروف ثلاثة متميزة بما لإمكانية إشباعها .  
 فالرغبة فيما يتجاوز بالتأكيد إمكانية التحقيق لا تكون دائمة أو فعالة في ظل طبيعة  
 صحية . فالفلاح يمر بجوار القصر بلا مبالاة ، ولا تساوره في الأغلب سوى رغبة عبثية  
 وزائلة بأن يكون هو المقيم فيه . مثل هذه الرغبة حلم من أحلام اليقظة ، فلا تبعث  
 على بذل أى مجهود ، وعدم تحقيقها بسبب القدر اليسير من الاستياء . وعندما يمر  
 العامل بجوار مسكن يفضل مسكنه قليلاً ، فقد تساوره رغبة فيما يمكن الوصول  
 إليه ، رغبة نشيطة تحفز على بذل الجهد سعياً وراء الشيء . والإخفاق في مثل هذا  
 المسعى يحدث خيبة أمل شديدة . وعندما يتم الوصول إلى الشيء تتوقف الحاجة  
 إليه ، وتمتد الرغبات الفعالة نطاقها إلى شيء أبعد منه (١) .

ولكى تكون المحاكاة مؤثرة ومنتجة يجب اعتبار الشيء المرغوب فيه على أنه في  
 متناول اليد ، وهذا يعنى ، على ضوء تأثير المظهر على المستوى التصوري ، أن الشيء  
 موضع التقليد هو ما يمكن محاكاته بسهولة . فهو لن يكون القصر التصوري المثير  
 للعاطفة ، هو الكوخ الواقع في نهاية الشارع . فالنتيجة تحددها طبيعة الشيء الذي  
 يجري تقليده ، كما يحددها القائم بعملية التقليد . ومن ثم ففى ضوء أفكار التنمية  
 والتخطيط لدينا الاتجاه المستمر نحو محاكاة ما يكون متاحاً في سر بكمية متزايدة .  
 مادام الشيء المحتذى غير كاف في نطاقه وصفته ، وكذلك الحال في شأن المحاكاة .

ويقترح بول ستيرتن مصادر معينة للتجديد الاجتماعي للفكر : (أ) لعلم الاقتصاد  
 الغربى قيمة عالية مستمدة من سمعته ، (ب) تتوقف احتمالات الاستخدام بالنسبة  
 إلى الاقتصاديين على تقدير مراتبهم وفق مستويات وضعها علم الاقتصاد الغربى ،  
 (ج) الفصل المشروع للمواقف والأنظمة الذى أجراه الاقتصاد الغربى والذي نقل إلى  
 المنطقة النامية بطريقة غير نقدية ، (د) من الأسير استخدام الحقائق التى يستطيع  
 البحث والتقدير الكمي الوصول إليها ، (هـ) المعتقد أن الكميات الاقتصادية أكثر  
 موضوعية من المعايير غير الاقتصادية ، (و) ويلقى جهاز الهروب أذهنى تأييداً قوياً من  
 الأجهزة الأخلاقية والسياسية (٢) . ويمكن أن نوسع القائمة بحيث تشمل افتقار  
 الحكومات في المناطق النامية إلى الدافع على تنمية روح الخلق في العلم الاجتماعى ،  
 وعدم وجود مجموعة قوية من النقاد من أهل الفكر .

لقد أدرك ستيرتن وميردال وعدد من علماء آخرين ، غربيين وآسيويين ،  
 خطورة المشكلة . وماؤد أن أناقشه هنا هو مالها من تأثير على التنمية . وثمة تشويه  
 يتمثل في توجيه التفكير بعيداً عن المشاكل المهمة ، وسوف أقدم هنا مثلاً محسوساً من  
 سنغافورة وماليزيا يمكن أن ينطبق أيضاً على بلاد أخرى كثيرة . فالبانيوهات الغربية  
 تستخدم بصورة متزايدة في الشقق والبيوت العصرية . في أوروبا لا يستحم معظم  
 الناس يوماً . فنظراً للجو البارد أو المعتدل تكون الحاجة إلى الاستحمام كل يوم غير  
 ملحة ، إذ تكفى عملية اغتسال . والبانيو وسيلة مناسبة لآخذ حمام أسبوعى لمدة

John Bates Clark, *The Philosophy of Wealth*, p. 49, Boston, Mass, Ginn, (١)  
 1887 (reprinted A.M. Kelley Publishers, New York, 1967).

P. Streeten, *The Use and Abuse of Models in Development Planning*, in: (٢)  
 K. Martin and J. Knapp (eds.), *The Teaching of Development Economics*, p. 65-8, London, Frank Cass, 1967.

الخطا الست التى اثرت غالباً ما ناقشنا فى دوائر خاصة بعض العلماء من أعرافهم . ومن المهم  
 أن نركز الانتباه عليها علانية .

نصف ساعة أو أكثر . ففي امستردام مثلا ، لا يزال كثير من الناس يستخدمون الحمامات العامة ، ولا تحتوي معظم الشقق الحديثة (مسكن الطبقتين الوسطى والدنيا) إلا على دش . ومن ثم ، فحتى في أوروبا نفسها لا يعتبر البانيو أكثر اقتصادا أو عمليا بالنسبة للاستحمام اليومي أو حتى للاغتسال الأسبوعي لأن كمية الماء والتدفئة اللازمين ليسا اقتصاديين بمثل ماهما بالنسبة للدش .

لهذه الظاهرة مغزى متميز بالنسبة لمجتمعنا ، أنها تغيير لنظامنا في الاستحمام بالبيت . فالذين لا يملكون حمامات في دورهم يستخدمون النهر أو البركة أو الحنفية العامة . لكن البانيو الحديث شيء نشأ في الغرب من تقليد كان قائما . ونحن في جنوب شرق آسيا نفتسل بأن نصب الماء على أجسامنا من جردل صغير أو آبيه . وفي بعض البيوت يستخدم البانيو بركة بدلا من حوض للغطس ، وهو يستخدم في بيوت أخرى كإرضية نغف فوقها عند استخدام الدش . وهكذا لم يدخل البانيو من الناحية الوظيفية إلى حياتنا ، بطريقة تتسم بالكفاءة . غير أن هناك بدلا طمسه انتشار البانيو ، وهو عبارة عن حوض مستدير أو مستطيل مصنوع من مادة البانيو ويثبت بنفس الطريقه ، ويرتفع فوق الأرض بضعه أقدام ، ويتراوح قطره بين قدم وعلفين، وعمقه شبيه بهذا .

والفرض هو توفير بركة صغيرة مصنوعة من مادة البانيو ، يسهل تفريغ مائها وتنظيفها ، وتسمح في الوقت نفسه بالنظام التقليدي للاستحمام عن طريق صب الماء على الجسم . هذا النوع من البانيو سوف يجد بالتأكيد سوقا تتعبه بسهولة . فلو أرادت سنغافورة أو ماليزيا تطوير صناعته لكانت احتمالات التصدير كبيرة . فلماذا لم تنتهز هذه الفرصة ؟ ذلك لأن الجمهور لم يدرك منفعة مثل هذا الحوض والحاجة إليه ليحل محل حوض الحمام . لو أننا أدخلنا استعمال هذا الحوض لأمكن أن ندعو هذا تجديدا وإن كانت الفكرة والتصميم تقليديين ، بينما المادة والتحسينات معقولة وعلمية . أنه أرقى من البركة التقليدية المصنوعة من الاسمنت والثبتة بالحائط لأنه يمنع تشعب الجدران بالماء ، وتنظيفه أسهل ، كما يمكن أن يستخدم أيضا لفصل الملابس ، فضلا عن أن صرف الماء منه أكثر كفاءة . وهو لا يتطلب منا أن نقتبس النظام الغربي في الاستحمام عن طريق الانغمار في حوض الاستحمام .

أما أننا لانسفل تصنيع هذه الصورة من مثل هذا الحوض التقليدي المثبت في الحائط والتمشية مع الطراز العصري ، ونستغل الطلب عليه ، هذه الحقيقة ندعوها التأثير الناجم من احتمال الالغاء . أنها نتيجة متولدة من تأثير المظهر . والتأثير المنبعث من احتمال الالغاء ، يعم مفعوله عددا كبيرا من السلع . فقد تكون في آسيا ألف صناعة وصناعة لم تظهر إلى الوجود بسببه ، وهذا التأثير يتأثر جزئيا بقدرة المنظمين الآسيويين على التجديد . وهو قابل للتحليل الكمي ، الصغير والكبير . أنه ظاهرة يحسن دراستها بطريقة تربط بين علوم الاقتصاد والاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي والتاريخ . يجب على الاقتصاديين الذين يبحثون موضوع التخلف وعلى خبراء التخطيط أن يصروا على أن تكون أمامهم أمثال هذه المعلومات والوقائع قبل أن يرسوا مشروع الخطة على الورق . ويجب أن يشجعوا على تحقيق ماأزاله تأثير المظهر . وهذه العملية يمكن أن ندعوها التأثير الناجم من احتمالات التحقيق الكامنة .

هذا ايضاح كاف للحاجة إلى إثارة مشكلات جديدة لها أهميتها في اقتصاد

التخلف وفي التخطيط من أجل التنمية ، وإيضاح لامكانية هذه الاثارة . ان السبب الذى من اجله لم يكشف عن الكثير من امثال هذه المشكلات هو سيطرة اثر المظهر على فريق له وزنه في المجتمع الاكاديمى الآسيوى ، وفي مجالات اختيار المشكلات وحلها وتحليلها ، يفرض اثر المظهر تأثيرا قويا . وخير مثال لهذا هو الاهتمام الموجه الى اثر المظهر الذى كان موضع الدرس بمعزل عن اثرين مصاحبين له ، في الوقت الذى تشكل فيه المشكلات جميعا كلا واحدا له معناه ووظيفته . عندما وجه ديوسنبرى الاهتمام الى اثر المظهر كان يفكر في مفعوله في مجتمع رأسمالى غربى حيث لا يؤدى نجاح سلع معينة وتوقعها الى نشوء موقف من الاعتماد على مجال سياسى واقتصادى خارجى ، ولا يؤدى الى اختلال بين عنصرى الميزان التجارى ، ولا يأتى معه بتصنيع « محصور » او من اجل المظهرية . كان سباق التحليل مختلفا كلية . لكن في سياق تحليلنا يجب ان نلاحظ اثر المظهر دون ان ننزله عن الاثرين الآخرين اللذين لهما اهمية بالنسبة الى المناطق النامية .

ان ما تحتاج اليه دراسة المناطق النامية لا يقتصر على بيان نواحي القصور في النماذج والتحليل الجارية المستمدة بروح غير نقدية ، من العلماء والعلم الاجتماعى بالغرب . ما نحتاج اليه هو نماذج بديلة ، ومناهج بحث ومفاهيم لتعديل النماذج المتوافرة الآن واكمالها أو ابدالها . وهذا يمكن ويجب ان يقوم به العلماء الآسيويون لاسباب علمية بحتة . يجب ان اعترف هنا عن كثرة استعمال مصطلحات « غربى » و « آسيوى » ، ذلك انى لا استعملها بأى معنى ينم عن تعصب عرقى ، ولكن استعملها بمعنى اسمى بحث لتعريف كل جماعة بسبب الحاجة الى اجراء التفرقة . كذلك لست اوحى بان احدهما اكثر موضوعية او عمقا من الآخر ، في دراسة المشكلات الآسيوية . وان السبب الذى من اجله اعهد الى العلماء الآسيويين بمهمة اعادة بناء تفكير العلم الاجتماعى فى آسيا ، هو انهم فى افضل موقف لتحقيق المتطلبات العلمية الاساسية ، ان توافر لهم التعريب الاكاديمى المناسب والخلفية الفكرية . ونظرا لان العلماء الآسيويين يعيشون فى الاقليم وقادرون على ان يتطوروا مع الموضوعات التى يعالجونها فى تكافل ، لهذا فهم فى موقف افضل لخلق تخصص يتطلب اتصالا مباشرا ومستمر مع الوقائع المحلية . ان الثقافة العلمية الأجنبية لا يمكن ان تحل محل الوطنية ، وبدون أن تكون للاولى قاعدة فى الأخيرة فلن تقدر على الاسهام بطريقة مثمرة . ان غياب ثقافة علمية وطنية ، متسلطة ومتحررة من اثر المظهر الفكرى ، هو الذى أسهم بصورة جزئية فى الكشف التى توصل اليها العلماء الأجانب .

ان علاقة هذه المشكلات بأهداف التخطيط وتنفيذه واضحة . فلكى نحول دون ان تكون أهداف التخطيط ونماذجه نتيجة فحسب لتأثير المظهر على مستوى رفيع الثقافة ، يجب ان نعيد توجيه تفكيرنا الى التخطيط المنى على « ثورة تخطيطية » . وحتى يتسنى للعلماء الآسيويين ان يحققوا الثورة التخطيطية بنجاح ، يجب ان يبدأوا بالبرامج الآتية :

ازالة تأثير المظهر الفكرى أو الحد منه بحيث لا يشكل عبة خطيرة .

تحويل تأثير المظهر الى عملية من الاستيعاب القائم على الانتقاء والمستقبل .

بلوغ مستوى عال من الوعى العلمى والفكرى عن طريق قياس الانجازات الآسيوية بالمداهب الماثلة فى البلاد المتقدمة .

مساندة الاهتمام بالدراسات المقارنة كجزء من اعداد العالم للفرد (١) .  
 إثارة اهتمام قادة الحكومة والجمهور بايجاد تقليد للعلم الاجتماعى فى آسيا ،  
 حقيقى ومستقل .  
 كسب تأييد العلماء الأجانب من المشبعين بروح العطف .  
 شن هجوم عام عفيف على التخطيط الزيف وأساليب البحث فى العلم الاجتماعى  
 وذلك عن طريق اختيار أهداف محلية ملموسة .  
 ايفاظ وعى العلماء الاجتماعيين فى آسيا .  
 مناقشة جميع هذه المسائل فى الندوات وفى المجلات المتخصصة .

ان ضيق المجال يحول بينى وبين مناقشة جوانب أخرى من المشكلة . فتأثير  
 المظهر على ذهن العالم يغريه بان يحاكى حتى فكرة التخصص الضيق وأن يستبعد  
 المذاهب المختلفة للكشوف التى توصلت اليها . فكثيرا مالا يوجه الاهتمام الى نظرات  
 ثابتة وانتقادات لها قيمتها لانها لم تصدر عن علماء فى ميدان التخصص . لتبرا  
 ما تجاهل الاقتصاديون مؤلفا مثل « الطفيلية والتخريب » الذى وضعه س .  
 اندرسكى ، وهو مؤلف مهم للغاية بالنسبة الى المجتمعات النامية . وكذلك الشان  
 بالنسبة الى كتاب « المجتمع الصناعى » لريمون آرون (٢) . ان الدراسة التى أجراها  
 عن نظريه التنمية تكمله معيدة لاقتصاد التخلف . فتشدده على الطبيعة النوعية  
 لفهوم التخلف ، والتحذير الذى يطلقه ضد استخدام مفاهيم متجانسة للتنمية  
 والتخلف ، واصراره على أن السبب النهائى فى التنمية هو تطبيق العقلية العلمية على  
 الإنتاج ، هذه كلها مؤشرات سنرحب بها . الى مزيد من مجالات البحث . ان

(١) يميل الاقتصاديون والمخططون بوجه عام فى بلاد معينة الى تجاهل تجارب الاقاليم الاخرى .  
 فعنلا ، من المفيد تماما بالنسبة لمن يعنيههم الامر فى ماليزيا ، أن يبنوا اهتماما مقارنا بايطاليا مع الاشارة  
 الى الاختلاف فى التنمية بين الشمال والجنوب . وفى ماليزيا نلاحظ الاختلاف بين الساحل الغربى والساحل  
 الغربى من الملايو . فالعوامل البنائية والموسميولوجية التى نلقاها فى المشهد الايطالى تمثل وقائع وبيانات  
 مقارنة مهمة .

انظر :

S.B Clough and Carlo Livi, «Economic Growth in Italy: An Analysis  
 of the Uneven Development of North and South», in: B.E. Supple  
 (ed.). *The Experience of Economic Growth*, New York, N.Y., Random  
 House, 1963.

وبالمثل جرى تجاهل مؤلفات اندونيسية طريفة وعديدة ، عن اندونيسيا برغم أن بعضها متوافر  
 باللغة الانجليزية . ولقد اثار ج.ه. بوك J.H. Boeke منذ عام ١٩١٠ المسائل المتعلقة بصحة  
 المفاهيم الاقتصادية الغربية ، قد استمر الجدل بصدد الموضوع وقتا طويلا : انظر « الاقتصاديات  
 الاندونيسية » ، لاهى ، فان هوف ، ١٩٦١ ، باشراف رئيس هيئة التحرير و.ف. ورتهايم . ولقد استبق  
 العلماء الهولنديون الكثير من المشكلات الجارية حول نقل التحليل الاقتصادى الى المناطق النامية . ويجمع  
 أسلوهم فى البحث بين الاتجامات الخارجية والباطنية . انظر المصدر الوارد فى الحاشية التالية حيث تجد  
 شرحا لهذين المهومين .

Raymond Aron, *The Industrial Society*, London, Weidenfeld & Nicolson, (٢)  
 1967.

الخصائص المشهورة والمميزة لكل من التنمية والتخلف يجب اعتبارها كنتائج مترتبة على أسباب أساسية في شرح الظواهر ومن الواجب تصنيف الأنواع المختلفة من التنمية والتخلف ، الى فئات وأجناس .

وفي نفس الوقت ينبغي أن نوجه بصفتها جيدة ، اهتماما متزايدا الى أدوار المتظمين والمجموعات السياسية في المجتمعات النامية . ان جميع التحاليل للسلوك البشرى والاجازات يمكن تقسيمها الى فئتين كبيرتين : الخارجية والباطنية . وأقصد بالأولى جميع المسائل التي هي نتائج مترتبة على الفعل البشرى ، والخارجية عن الانسان والقادرة على أن تعيش امدا أطول مما يعيشه فرد أو جماعة . وأقصد بالثانية جميع المسائل التي نجدها في داخل الفرد أو الجماعة . ورغم ان في الحياة تفاعلا قويا واعتمادا متبادلا بين الظاهرتين ، فمن المفيد عند مستوى مبدئى من الفهم اجراء تفرقة تصورية . فوهبة موزار في التأليف الموسيقى ، واهتمامه العميق بالموسيقى ، وتكريسه حياته لها ، وقدرته على تنظيم حياته مع الفرض الرئيسى من ختراع الموسيقى ، هذه كلها وقائع باطنية ، تزول بموته . ولكن موسيقاه ، وعزفها ، والطلب عليها ، والتأثير المتضاعف لانتاجه ، والهيئات الاجتماعية والاقتصادية في زمانه ، هذه جميعا يمكن مهما طال أمدها ، اعتبارها وقائع خارجية . انها خارجة عن موزار ولا تزول بموته .

ويجب أن لا نخلط المفاهيم الخارجية والباطنية بالمفاهيم البشرية وغير البشرية أو بالمفاهيم الفردية والاجتماعية . فنمو السكان وما يترتب عليه من آثار ، ظاهرة بشرية ، يدرسها الديموجرافيون كأنها عملية مستقلة . ومن جهة أخرى فدراسة الدوافع التي تحرك الجماعات المحسوسة التي تعمل وتؤثر في العملية ، دراسة باطنية . ان مصطلح باطنى يشير فقط الى ناحية محددة من الفعل البشرى ، حيث ينصب التركيز على طبيعة الجماعة ودوافعها واتجاهاتها وتوقعاتها . فهو غير مبنى على الغفلة . فالجماعات المحددة كالنجار الطليان مثلا خلال عصر النهضة ، والطبقة الحاكمة في أمريكا اللاتينية ، والمنظرون الانجليز ، هؤلاء نتعرف عليهم من الناحية السوسولوجية ، كما يجرى التعرف على طبيعة نشاطهم الاقتصادى . والمجموعات الباطنية عبارة عن مجموعات تاريخية معروفة ومحددة . ويبدو أن تنبرجن الذى يميل اهتمامه الى أن يكون خارجيا ، يشعر بالحاجة الى التحليل الباطنى . فهو يشير الى الثغرات الواسعة جدا في معرفتنا بالخصائص البشرية التي تتطلبها التنمية (١) . وثمة كتاب يفلب عليه الطابع الخارجى ، ذلك هو كتاب راجنار نورسكه « مشكلات تكوين رأس المال في البلاد المتخلفة » ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن كتاب ب.ت. باور ، وب.س. بامى « اقتصاديات البلاد المتخلفة » . ولن نحاول هنا استقصاء الأسباب التي دعت الى نشوء هذا الاتجاه . وبكفى أن نقول ان وضع تأكيد مبالغ فيه على الوقائع الخارجية ، لا يمكن أن يمدنا بشروح عميقة لانه يكون متحيزا ولا يساعد كثيرا على التخطيط . وتقدم لنا الفقرة التالية ( التي كتبها نورسكه في عام ١٩٥٢ ) مثالا عن القضية الخارجية :

ليس في استخدام المالية العامة لتكوين رأس المال في البلاد المتخلفة ، فكرة أكاديمية وغير واقعية ، فهناك أمثلة مهمة لذلك ، انظر الى اليابان . ففي الفترة الحديثة من التنمية ، وخاصة في العقدين الثامن والتاسع والثمانينات من القرن التاسع عشر .

(١) انظر جان تنبرجن ، مصدر سابق ، ص ٢١٣ .

## التاسع عشر ، سادت الدولة المشهد عن طريق توفير رأس المال للاستشفال العامة والتوسع الصناعي (١) .

وفي ذلك الحين جرت في آسيا محاولات من جانب الدولة لاستخدام بعض المالية العامة لتكوين رأس المال . لقد ولد هذا في بعض الحالات الفساد وخسارة رأس المال . اذ كيف يمكن اقتراح سياسة دون ربطها بنوع الناس الذين سوف ينفذونها ؟ .

كان اتجاه الذين يدرسون اقتصاد التخلف ومخططى التنمية ، خارجيا بوجه عام . فعندما يناقشون المشكلات فان الصورة التي تبرز ، هي صورة قوى مستقلة تحدث تغييرات معينة او تعرقها ، والعوائق المتولدة عن الأنظمة ، وانتاجية العمل . بالنسبة الى دخل الفرد ، وحشد المعلومات الأخرى ذات الأهمية بالنسبة الى الشروح الوصفية والتهميدية كل هذه العوامل تلقى اشارات من حين لآخر الى وقائع باطنية . غير ان الاتجاه السائد والمتسلط ، خارجي . وهو بالإضافة الى هذا معاصر وغير تاريخي أصلا . ان نوع الدراسات التي أخرجها وبر وصومبارت وشمولر ، التي تتضمن مناقشات تجريبية ملموسة عن المجموعات الاجتماعية والاقتصادية ، والتركزة حول الوقائع والبيانات الباطنية ، هذه الدراسات نادرة للغاية فيما يتعلق بالمناطق النامية .

والنقطة التي اعنيها يمكن فهمها على احسن وجه بالاطلاع على الدراسات المشار اليها . ففي الدراسة التي أجراها شمولر عن التطور التاريخي للمشروع بدرجة الاشخاص والجماعات التي تلعب دورا فيه . ومن الفئات الأربع الكبرى التي تتضمن الأسباب نورد الفئة التالية :

تحدد روح العصر والشعب كيف يستخدم المجتمع الظروف المادية ، ويمكن ان تكون اشكال التنظيم الصحية او غير الصحية نتيجة ظروف مادية مشابهة . ويتوقف كل شيء على الطاقات الأدبية والفكرية المتاحة . فالإنجازات العاسمة لا تخلقها سوى الفترات والاشخاص الذين يتصفون بالفعلة والنشاط . والاشكال الحديثة النشأة تعكس درجة واتجاه الأتانية وروح التعاون والمشاركة ، وهي متوقفة ايضا على مشاعر الجماعات والأفراد وعلى المفاهيم والأفكار الغالبة (٢) .

والاتجاه الباطني مهم لان مشكلتنا الكبرى يمكن في رأيي فهمها على احسن وجه على ضوء التحليل الداخلي . فاذا اردنا كسر سلسلة التفسير الدائري الذي ينطوي على التكرار المستمر للمعلومات والمشكلات المعروفة ، كان علينا أن ندخل مجالا من النقاش أوسع . وفي رأيي ان المشكلات الأساسية بالمناطق النامية تتعلق بالمنظمين ومن يسكنون بأعنة السلطة في أيديهم . هذه الجماعات تشكل أهم المجموعات الأساسية في التنظيم الهرمي للأسباب وتنوعها . انهم يكيفون بصورة حاسمة رد فعل بلد ما ازاء جميع مشكلاته الكبرى . فاذا كانوا غير صالحين تأثر الاقتصاد بأسره . والقرارات التي يتخذونها يمكن أن تؤثر في الاقتصاد بأسره . ان التحليل الاقتصادي

Ragnar Nurske, *Problems of Capital Formation in Underdeveloped Countries*, p. 148, Oxford, Blackwell, 1962.

Gustav Schmoller, "The Historical Development of Enterprise", in: F.C. Lane and J.C. Riemersma (eds.), *Enterprise and Secular Change*, p. 7, Homewood, Ill., R.D. Irwin, 1953.

الجارى الذى يتحدث عن عدم توافر رأس المال ولا يتجاوز هذه الناحية ، تحليل يقيد نفسه لانه يستبعد أسبابا أخرى على جانب كبير من الأهمية . فعندما ناقش شومبتر دور المنظمين كان في ذهنه أولئك الذين لديهم شيء ايجابي يسهمون به . في آسيا منظّمون ناوا بأنفسهم أو هم يناهزون الى جانب حكومات عاجزة وفاسدة . وكثيرون منهم لا يهتمون على الإطلاق بالتطوير الشامل للبلد ، وان أشد المهام الحاحا الآن هي دراسة طبيعة ووظيفة المنظمين والحكومات في آسيا ، الى جانب المجموعات الاقتصادية الأخرى . . . ولن يساعدنا في حل المشكلات الأساسية ابراد الوقائع الخارجية بصورة متكررة . ولا يكفي أن نفسر كيف ولماذا تخفق خطط التنمية ، ولكن ينبغي أن نفسر من ذا الذى يجعلها تفشل ، وكيف تعمل العوامل الباطنية في المجموعة التى تسبب فشل الخطة .

لقد ناقش أندريسكى المشكلات الباطنية ومن بينها طفيلية الطبقة الحاكمة ، ويذكر مظاهر مهمة عديدة بما في ذلك تأثير اللبس المناسب للجو البارد ، على الصحة والكفاءة . وازدراء أنواع معينة من العمل يرتبط أيضا بتحليل التخلف ، انه يفسر السبب في فقر المساهمات في العلم والفلسفة ، وكتاب أندريسكى يساعدنا على فهم مشكلات التنمية في آسيا بأفضل مما تساعدنا مئات المؤلفات عن العوامل الخارجية ، فكل فقرة تعكس الموقف الآسيوى . وهو يبدى التشكك في صحة الكثير من التفسيرات الجارية للتخلف بأن يبين النواحي المضادة التى يشتمل عليها الكثير من الحلول المقترحة . ان الاستخدام غير الانتاجي للاموال الموجودة بشكل عقبة لا تقل عما تشكله الموارد الفقيرة . وثمة عامل خارجي هام يؤثر في الميزان التجارى ، ذلك ان المال يؤول الى ايدى اناس يحتمل أن ينفقوه في الخارج . مثل هذا التحليل الملموس والمفصل ، الذى هو برغم ذلك متعلق بالسباق وشامل ، هو الذى يجعل للكتاب قيمة تعليمية عالية (١) .

وخلاصة يجب أن نشدد هنا على انه برغم ان أهمية الوقائع والتفسيرات الخارجية لا تحتمل الشك ، الا انه يجب تكملتها وربطها بالوقائع والتفسيرات الباطنية . وكتاب ميردال « الدراما الآسيوية » يقدم مزيجا من الأسلوبين . لسنا نعنى هنا بالأخطاء العسادية في عمل يتصل باجراء بحث ، ولكننا نعنى بالأخطاء في الأسلوب الذى يتبع . ان ادراجه الوقائع الباطنية يصحح ما يتسم به الأسلوب من تحيز . وفي مناقشة تأثير نظام المزارع الكبيرة على اقتصاد جنوب شرق آسيا ، يدرج اتجاهات أصحاب المزارع الأوروبيين :

وثمة ناحية أخرى من نظام المزارع الكبيرة دعمت بقوة البنيان الضيق المحصور ولكنها لم تلق اعترافا كافيا في المؤلفات التى وضعت ، هذه الناحية هي حقيقة العزل والتفرقة . فلو ان الأوروبيين من أصحاب الضياع الكبيرة ومديريها او من العمال المهرة ، ونقوا اتصالهم بالوطنيين لكان من المؤكد تقريبا ان تنتشر المهارات وكان يمكن اذن اشباع الطلاب المتزايدة بافراد على المهارات الأعلى من مصادر محلية . ولكن الملكية والسيطرة الأوروبية في الأقاليم البعيدة كانت تعنى فصلا واسعا بين الفئة العليا الأوروبية وجماهير العمال غير المهرة الذين أخذت المزارع الكبيرة في استخدامهم . كان هذا على الأقل في البداية ، اختلافا حقيقيا جدا في أساليب العيش ومستوياته ،

(١) انظر :

S. Andreski, *Parasitism and Subversion*; London, Weidenfeld & Nicolson, 1966.



وبصفة أعم في الخصائص المميزة الثقافية ، أكثر منه مسألة « جنس » أو « تعصب  
عنصري . فاذ علمنا انتقاء التوافق والاتصال المباشر المحدود ، حتى في العمل ، فإن  
رفع القدرات « الصناعية » الوطنية واجه عقبة اجتماعية كبرى (١) .

يجب ان نعيد النظر في صحة نوع التجريد والتعميم السائدین حالياً في صفوف  
من يدرسون اقتصاد التنمية ومن يخططونها . يجب أن يراجعوا أسلوبهم ويزيدوا  
التركيز على دراسات لحالات تجريبية مستخدمين طائفة من المتغيرات مختلفة عن  
المتغيرات السائدة في الوقت الحاضر . وعندئذ تصبح المناقشات عن أهدافه  
واحتمالات تخطيط التنمية أكثر ثمره وأدعى الى كسب الاحترام (٢) . وسوف  
يساعدنا هذا على جعل التخطيط أكثر معنى ومرغوباً فيه بدرجة أكبر . ان العلوم  
الاجتماعية وسائل صحيحة وحيوية للتخطيط ولكن يتعين تحريرها من التفرعات  
المجانية نسبياً التي نمت حولها . ويجب تخليصها من التأثير الفاسد للجماعات  
الثقافية المشتغلة بالعلم ، وذلك حتى يتسنى الوصول الى نتيجة أكثر عمقا  
وموضوعية .

---

Gunnar Myrdal, *Asian Drama*. Vol. I, p. 450, Pelican Books.

(١)

(٢) يتخذ مثال حديث ، كتبه م جون فلاندرز عن « الزراعة مقابل الصناعة في سياسة التنمية :  
اعادة بحث ورطة المخططين » ، والمنشور في « مجلة دراسات التنمية » ( المجلد الخامس ، العدد الثالث ،  
أبريل ١٩٦٩ ، موقفاً متطرفاً في اتجاهه الخارجي . فهو استقرائي ، وغير تاريخي ومجرد ولا صلة له  
بجماعات محسوسة من الفاعلين .

# منطق التنمية

قد يبدي مؤرخو العلوم الاجتماعية دهشتهم — ولهم في ذلك عندهم — للبساطة الواضحة والمعرفة التي تتسم بها نظريات التنمية التي سادت العالم بعد الحرب العالمية الثانية . ويتنبى ولا ريب أن نقول النظرية (١) لأن منطق التنمية قام على

(١) جاءت هذه الكلمة في الاصل الانجليزى **The reality** (المرجى)

(وهذا أمر يستلزم أن نؤكد في ضوء الارتباكات غير الملائمة والسائدة في الوقت الحاضر والناشئة عن قضية الظروف • أن السعى وراء نوع أفضل من الحياة في البلاد النامية يصبح لاهمى له على الاطلاق لما لم يكن مصحوبا بنمو سريع •

# بقلم: أجناسى ساكس

اقتصادي من أصل بولندي درس في البرازيل ، والهند ، وبولندا . كان مديرا لمركز أبحاث اقتصاديات الدول النامية في وارسو ومنذ ١٩٦٨ اشتغل بالتدريس في المدرسة العملية للدراسات العليا بباريس . عمل مستشارا لمنظمات دولية في مناسبات عديدة . واشترك في تأليف الفصل الخاص بالاقتصاد في :

**Main Trends of Research in the Social and Human Sciences, Vol. 1, Social Sciences, 1970.**

ومؤلفاته الأخرى تشمل :

**Patterns of the Public Sector in Under-developed Economies (1964), Foreign Trade and Economic Development (1965) and La Découverte du Tiers monde. (1971).**

## ترجمة: د. صليب بطرس

دكتوراه في العلوم الاقتصادية من جامعة بروكسل ، وماجستير في الاقتصاد من الجامعة الأمريكية بالقاهرة . يعمل مستشارا فنيا لبعض المؤسسات الصحفية في مصر ، وأستاذا زائرا بكلية الإعلام بجامعة القاهرة . عمل خبيرا اقتصاديا بوزارة المالية حتى أواخر الأربعينات ، ومعلقا اقتصاديا لجريدة المصري ، له عدة أبحاث في تخطيط التنمية في البلاد النامية ، وبخاصة التخطيط الجمعي . ترجم عدة كتب اقتصادية وكان آخرها وثيقة تاريخية لحقبة من تاريخ مصر الاقتصادي لم تنشر من قبل : هي تقرير وضعه فان زيلند في منتصف الأربعينات عن الأوضاع الامتريينية في مصر (١٩٧٢) .

أسس واحدة لدى الغربيين الذين سنتناول اتجاهاتهما فيما بعد . ان الانتحاء الاقتصادي الضيق يجعل القوم يعتقدون أن النمو السريع للقوى الإنتاجية ، اذا ما رسخ ، يحرك كل العملية الانمائية التي تتسع بطريقة تلقائية لتشمل جميع فروع النشاط الانساني . لقد كان هناك ، ولا شك ، شرط ضروري (٢) للتنمية يعتبر في الوقت نفسه طريقة او بأخرى شرطا كافيا لها . وهذا الشرط جاء نتيجة لتفسير مادي للتاريخ مبسطا تبسيطاً كبيراً شارك فيه الماركسيين المعتدلين أعداؤهم المعتاة ( أمثال روستو ) . ولكي يستطيعوا تحقيق هذا الشرط الضروري والكافي في نفس الوقت اقترح أن تسلك البلاد النامية سبيل محاكاة النموذج التاريخي . وقد

ظهرت أهمية الاختيار الأيديولوجي وأهمية اختلاف الفريقين عندما أصبح من الضروري اختبار النموذج الواقعي . واقترح البعض أن تقتفى البلاد النامية أثر البلاد الرأسمالية على الطريق الذي قطعت منذ الثورة الصناعية ، ونادى الآخرون بمناقب النموذج (٣) السوفيتي الجامعة . وهكذا قامت النماذج التي اقترحها أصلا كلا الفريقين ، على نفس الاعتقاد وهو : التكرار الآلي وفي اتجاه واحد لتطور التاريخ ، وهكذا يحيل كلا الفريقين التطور التاريخي إلى مجرد آلية اجتماعية ، ويستلزم كلا الفريقين الاختيار الإرادي لواحد من هذه الآليات التي أرفقت إلى مرتبة القانون العام .

واختيار طرفي النزاع للنماذج التي يمكن محاكاتها وتكرار أي مجهود جاد لتفهم أية محاولة خلاقة لإيجاد حلول جديدة ، لا يمكن أن تؤدي ، في لغة الواقع ، إلا إلى الأخطاء التي ظهرت إلى حد ما والتي يجب التسليم بها . وحول ١٩٥٥ ظهرت الأزمة التي اضطرت الفريقين إلى « إعادة التقييم المؤلمة » ( سواء انصرف الذهن إلى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ، أو الضجة التي أثارها في بلاد الغرب مؤتمر باندونج أو أثارها فيما بعد تحرير البلاد الأفريقية ) . إن عبارة « العالم الثالث » التي صيغت في ذلك الوقت ، تعكس إلى حد ما هذا الاضطراب . إنها عبارة صيغت بحيث تحتل عمدا أكثر من تأويل ، ولها معنى مزدوج في مجال السياسة الدولية ( العالم الثالث غير المنحاز ) ، وفي الاصطلاح الأيديولوجي ( العالم الثالث الذي يبحث عن طريق ثالث بين الرأسمالية والاشتراكية ) . وليس كل من هذين التفسيرين كامل الدقة ولكن ، فيما يتعلق بالتشديد ( البالغ فيه أحيانا ) على الطبيعة المميزة للعالم الثالث منذ ذلك الوقت ، اتخذ البحث في مسألة التنمية مسلكا أكثر واقعية . وخلال ما يقرب من عشرين عاما رأينا العلوم الاجتماعية وقد جاوزت محاولة ذات جوانب ثلاثة : الأولى الانحناء الأوروبي المقيّد (١) وتتكون من تناول ظاهرة تاريخية معينة قد عانتها أوروبا ومجموعة الأدوات التي استنبطت لدراساتها ثم تصعيد ذلك كله إلى المستوى العام وتحويله إلى حقائق مطلقة ، والثانية هي مفهوم ضيق للتنمية على نحو غير ملائم ، يهبط بها أولا بحيث تصبح نموا اقتصاديا وحسب ثم يمتد ليشمل العوامل الاجتماعية والثقافية ، وأخيرا ليصل إلى مفاهيم أسلوب الحياة ونوعها أو يصبح بمنتهى البساطة منهج عمل للمجتمع ، والثالثة هي الحواجز التقليدية التي تفصل مجالات النظم الأكاديمية التي يتحسس كل نظام للحرص عليها .

ما هو إذن الموقف في الوقت الحاضر ؟ إن بعض المشائمين والساخطين يرون غير الفشل ، وينكرون أي تقدم قد وقع في نظرية التنمية خلال العشرين سنة الأخيرة . أنني أرتب في مجابهة ذلك برأي أكثر اتزاناً . لقد حاولت في كتاب (٢) ظهر أخيرا أن أتبع التاريخ الشاق لتخليص هذه النظرية ومؤكدا المساهمة الفعالة وغير المعترف بها غالبا التي يقدمها باحثو العالم الثالث . ويقدر ما يعالج العالم الثالث التنمية كمنهج تاريخي ، يقدر ما يصبح قادرا في موقفه الحالي على تجلية القواعد التي يجب أن تسير العمل ، ولكن ليس عن طريق التزود بمعادلات جاهزة

(١) ويوجه هذا النقد إلى الماركسية المتعددة التي أصبحت مذهباً رسمياً لوقت ما وكانت ، في الواقع ،

تكريفا للتصور الماركسي للتفويض .

(٢) ترجمة لكلمة Eurocentric وهي كلمة صاغها كاتب المقال ويقصد بها وجهات نظر

الرجال الذين يتحورون في تصعيد المشاكل الأوروبية وحلولها إلى مرتبة النظريات المطلقة ( المترجم )

La Découverte du Tiers Monde, Paris, 1971.

(٣)

ما زال يتخذ الوجهة المضادة التي سبق أن اشرنا اليها ، وهي اقامة مظهر زائف للحقيقة الموضوعية مع التعمية على العامل السياسي . لا يمكن أن تكون هناك تنمية طويلة المدى دون أن توجد رغبة في هذه التنمية التي تستخدم في ايجاد برنامج عمل مترابط لمجتمع يفترض سلفا بدائل من الغايات والوسائل يعاد تقويمها بصفة دائمة في ضوء النتائج المحققة والمعلومات الجديدة . وعملية التنمية تتضمن وجود اجراء تنظيمي قابل للتكيف تبدو من خلاله مناقشة البدائل وشبكة الوقوع . وأدت بنا البلية الناجمة عن النموذج الميكانيكي الى أن يضلنا التأكيد على الاسهام المستطاع لطرائق الفن التخطيطي مع التركيز على مسألة التوزيع الأمثل للمواد المفترض معرفتها لانجاز غايات مقدرة سلفا . وبهذا نحاول ازالة الارتباب الذي يهدد المستقبل ( أو على الأقل نقله الى ادنى حدوده ) ولكن المقابل المؤدى غاية في الارتفاع وهو : ابعاد التفكير الاجتماعي الخلاق عن الانظار بمجرد أن يستخدم في اعداد خطة يصبح رابطها حجر عثرة في سبيل التجديد . وتقضي عجلة التاريخ التي نشاهدها ، وخطى التقدم العلمي والفني ، على عكس ذلك ، الى الارتفاع بالبدائل (١) المختارة الى مرتبة مبدأ التخطيط والمحافظة عليها . ويعلم جميع من لهم علاقة بالتخطيط ، أن الخطة ما وجدت الا لتبقى ، وانها تتوق النقاش في نطاق الممكنات . وفي الوقت الذي فيه تحوم حول مستقبل مشرق ، فانها تخفي نظرة محافظة . ويعمل هذا التناقض اخطاء عملية عديدة .

ان الكفاية ، في أحوال كثيرة جدا ، يتدعون بذلك الوضع لادانة التخطيط ، والدفاع بدلا منه عن مجرد العودة الى نموذج التنمية العفوية .

اننى اعتقد ان معظم الانتقادات التي وجهت للتنمية مبالغ (٢) فيها من ناحية الإنجازات العملية . فبدلا من التخلي عن التخطيط ثم العودة الى ميزات نظام السوق الموهومة ومنها الى أسطورة اليد الخفية ، يجب علينا أن نفحص التخطيط فحسا كاملا مع الحذر من الانزلاق الى مجرد مذهب الإرادة الذي يمارس بواسطة نموذج من نماذج علم المستقبل ويسقط العامل السياسي عليها من الحسبان ، وهذا في الواقع ضرورى ، ويعجز عن أن يدرك أن بعض أنواع ضرورية من التنمية يضيق كثيرا من مدى الامكانيات المحتملة فيما يتعلق بتبديل الامكانيات خارج نطاق التاريخ (٣) وفضلا عن ذلك فما دام في الامكان ممارسة التفكير المتنوع ( وقد كان هذا تعريف كاليكي **Kalecki** المنسم بالدقة للتخطيط ) في عدد محدود نسبيا من البدائل ، فالسبيل الصحيح هو أن يرسم للمستقبل عدد محدود من السيناريوهات ثم تبحث مع المختصين . واعنى بذلك تخطيط المشاركة . وينبنى استخدام سيناريو لاستقراء الاتجاهات الحالية في تحديد مواقع النقاط الحرجة

(١) يرجع في ذلك الى تقرير اكااديمية العلوم الامريكية

Technology Processes of Assessment and Choice, Washington, D.C., 1969 ; and the conceptualization of adaptive planning advanced by R.L. Ackoff, A Concept of Corporate Planning, New York, N.Y., 1970.

(٢) لتقييم التخطيط في العالم الثالث تقييما واقعيا يتسم بالاعتدال انظر المقالات :

C. Bobrowski, «Dix Ans de Planification dans les Pays Sous-Développés» and C. Furtado «Planification et Réforme des Structures en Amérique Latine», Archives Européennes de Sociologie, Vol. —I, No. 1, 1970.

(٣) ان Georg Picht على حق عندما قرر : « ان مأساة ازمنتنا هي انه بينما نفكر بطريقة

غير جدية في « الممكنات » ، فاننا نهمل دائما ما هو لازم

(Réflexions au Bord du Gouffre, p. 28, Paris, 1970)

حيث لا يوجد هذا النوع من المعادلات في هذا المجال ) ، بل بنشر وسيلة ما للتفكير ، ثم العمل على إثارة المسائل الخاصة غير الواضحة على الإطلاق التي لا يحتمل آثارها دون عون من هذه النظرية . وبمعنى آخر انني اعتقد في مناقب نظرية التنمية المستمدة من الطريقة الاستنباطية ، ولكنني لا اظن ان هذه الطريقة يمكن ان تفضي الى تقنية للتنمية تطبق بهذه المثابة . وهذه التقنية يجب ان توجد حيثما تكون هناك حاجة اليها على ان يؤخذ في الاعتبار الميزات التاريخية الخاصة بالعملية الاجتماعية ككل . وهذان شرطان من الصعب تحقيقهما .

اذ كيف يمكن لاحد ان يتقدم بطريقة تمكنه من رؤية كافة العناصر الخاصة بتجربة معينة دون ان يرتد الى الحالة التجريبية التي يجري بحثها ؟ وكيف يستطيع أحد ان يبدأ بتحليل الكل الى عناصره الأولية ، ذلك الكل الذي يزيد على مجموع الظواهر ( او العمليات ) التي تظهرها الصور التي تقدمها الأنظمة الفردية المختلفة ؟ .

ان القول بأن نظرية التنمية ليست لها تطبيقات مباشرة ، لا يعنى الإقلال من أهمية العمل النظري ، بل بالعكس يجب على الذين يساهمون جاهدين في التنمية ان يعيدوا التفكير بصفة مستمرة في هذه النظرية ، فيما يتعلق بعملهم وعلى اساسه ، وان يقيسوا دائما هذه النظرية بالحقيقة العملية ، وهم بهذه الطريقة يعملون على اثرائها . والمهم حقيقة هو الابتعاد عن النموذج الآلي للنظرية المأخوذة عن العلوم الطبيعية والذي ادى ، فيما ادى اليه ، الى تركيز الاهتمام على نحو كبير على حجم الادخار والاستثمار . انني لا اقصد الى ان اترك في هذا المجال الجهود المتزايدة التي بذلتها بلاد العالم الثالث ، ومما لا يقل أهمية عن ذلك الوقوف على المجالات التي تستثمر فيها هذه المدخرات ، ومن يقومون بالاستثمار ومن هم المستفيدون منه . وكيف يتم ذلك ، وبالاختصار ماذا سوف تكون عليه الفاعلية الاجتماعية للاستثمار . وهذه المسائل تأخذنا بعيدا عن مجال الاعتبارات العادية لنسب الادخار ونسب رأس المال للارتفاع ، وهي النسب التي تمكنا من تكوين معادلات النمو بصورة تقريبية . ان صانعي السياسة يفضلون هذه المعادلات نظرا لبساطتها في تصوير الأفكار ، وأهم من ذلك لانها تلبس ما هو في الواقع قرارات سياسية تختص بتوزيع اعباء النمو ( وقوائده ) ، وجها موضوعيا . وأحيانا ما نخدعنا الأمثلة المأخوذة من تاريخ العلم . ولكنها جذيرة بأن تذكرنا بالصعاب التي عاناها ، في القرن الثامن عشر ، علم الاحياء عندما تحرر من النموذج الميكانيكي كما وصفه جيدا فرانسوا جاكوب (١) .

وفي ضوء الاعتبارات السابقة يعتبر العمل الرائد الذي قام به ميكل كاليكي Michel Kalecki لدمج الثوابت السياسية في نظرية للنمو مثلاً جديراً بالتقدير . ولكن هذا الاقتصادي البولندي العظيم ، كان يمكن ان يكون أول من يسلم بأنه من المستحيل ، في الوقت الحاضر على الأقل ، اخضاع هذه الثوابت للقياس الكمي (٢) .

وهل سيكون في امكاننا تحقيق ذلك يوما ما ؟ انني شخصيا اميل الى ان اجيب بالنفي . والحل الفضل هو قياس حوار بين الحكام والمحكومين حول قرارات سياسية معلنة وصریحة ، في حين ان النموذج الميكانيكي ، وحتى بعد اتساع رقعته ،

F. Jacob, La Logique de Vivant, Paris, 1970

(١)

M. Kalecki, Théorie de la Croissance en Economie Socialiste, Paris, 1970. See (٢) also the chapter on economics in, Main Trends of Research in the Social and Human Sciences, Part I: Social Sciences, Paris and the Hague, UNESCO and Mouton, 1970.

والأزمات التي تهدد المجتمع إذا لم نستطيع استجماع القوى الضرورية لتعديل هذه الاتجاهات . ويمكن إيجاد سيناريوهات أخرى على أساس فروض اختيارية لافساد هذه الأزمات آثارها . ويبدو أن طريقة السيناريو تستحق الاهتمام من ناحيتين : أنها تنشد خيال الجمهور ، وهذه الطريقة تصبح قابلة للنقاش ، وفي الوقت نفسه تتجنب الصخرة التي أغرقت عددا من سفن علم الاجتماع ( والتي ستغرق عددا أكبر منها فيما بعد ) وهي صخرة افتراض بقاء الأشياء والعناصر الأخرى من غير تعديل (١) .

والطريقة السابقة التي أوجدت وسيلة لمعالجة موضوع التنمية معالجة عملية تنطوي على أولويات معينة للبحث في العلوم الاجتماعية نذكر منها ثلاثا :

١ - الأولى ، وقد سبق بحثها ضمنا ، تنطوي على وضع الأسس التنظيمية لعملية التخطيط باعتبارها نظاما (٢) لاتخاذ القرارات ، يقوم على المشاركة ووجبه المستقبل ( وكنت أفضل استعمال كلمة الديمقراطية بدلا من المشاركة إذا لم تكن قد أسرفنا في استخدام الكلمة الأولى ) .

٢ - والثانية تتعلق بالطرق الخاصة بتحويل العامل السياسي الى نموذج تفسيري . وفي الوقت الحاضر يسود اتجاهان متساويان في درجة انتمائهما الى العقائدية .

الأول منهما ينزل دور العامل السياسي منزلة ثانوية دون أن يلمحه في المحاولة التفسيرية ، ودون أن يتجرا على استكشاف العلاقات العديدة المتداخلة بين المتغيرات المختارة لأغراض التفسير وعمل النظام السياسي ، ودون أن يبذل كذلك اية محاولة جدية للاستفادة من متغيرات السلوك السياسي التي لا تلقى ، في غالبية الحالات ، الا اهتماما ظاهريا وتضاف الى النموذج التفسيري بطريقة ضعيفة .

والاتجاه الآخر ، على العكس من ذلك ، يبدأ بالهبوط بالموضوع كله الى اختيار أيديولوجي . وبعد أن يسلم هذا الاتجاه بمثل هذا الاختيار يقف عند ذلك الحد ، راضيا بالنزعة الى الاختزال الجذري الزائف المبالغ فيها ( الثورة أو لا شيء ) مع معتقدها الساذج بأن المقدمات السياسية تعتبر شرطا كافيا للتنمية ، ومن ثم فإن العامل السياسي يحدد وحده العملية كلها . اننا لسنا في حاجة الى القول بأن هذا الاتجاه لا يمت بصلة الى التحليل الدقيق للعلاقات المتبادلة بين القاعدة والقمّة كما قدمها ماركس . وميزة هذا الاتجاه الوحيدة هو أنه يذكرنا بأن مدى المكنات المحتملة ، في كل حالة على حدة ، تحتوي ثورة ( وهذا ما ينسأه غالبا كثير من باحثي العلوم الاجتماعية ) وأنه في بعض الحالات يثبت أنه شرط ضروري لبدء التنمية .

والى اى مدى أعمتنا وسائل التفكير التي اعتدنا عليها في مثل هذا المجال الدقيق ؟ وما مدى الظروف الاجتماعية للعلوم الاجتماعية ؟ ينبغي البحث عن اجابات

(١) وهي ترجمة للمباراة اللاتينية *ceteris paribus* التي تعنى افتراض بقاء العوامل والظروف

الأخرى على ما هي عليها دون تعديل حتى يمكن الوقوف على اثر المتغير موضوع البحث (الترجمة)

H. Ozbekhan : «Toward a General Theory of Planning» in : Erich Jantsch (٢) (ed.). Perspectives of Planning, Paris, OECD, 1969. See also E. Malinvaud, «A Planning Approach to the Public Good Problem», The Swedish Journal of Economics, Vol. 73, No. 1, 1971.

لهذه الأسئلة أكثر تطريقاً من الإجابات التي يرغب قبولها المشايخون لنزعة الاختزال الجذري الزائف ؟ وينبغي أن نتذكر ، في الوقت نفسه ، أن هذه الإجابات تحتل أعناق النقاش ومن ثم فإن محاولة تنحيها جانباً أو انزالها منزلة التدريب على نظرية المعرفة عديمة الأهمية ، يعتبر ضرباً من الأعمال الصبائية .

٣ - أن مسألة اقحام العامل السياسي في هذا المجال هي جزء من موضوع أوسع سبقت الإشارة إليه : هو موضوع الظروف التي ينبغي أن تتحقق إذا ما أريد لمعالجة الأنظمة المتبادلة أن تعنى أكثر من اهتمام ظاهري بالبداء ، وأن تجمع سوياً بطريقة تقريبية الآراء الفردية التي لا طائل من ورائها .

والخطوة التمهيدية هي أن يهيء الجو عن طريق تعويد الإخصائيين في مختلف الأنظمة أن يخاطب بعضهم البعض . أن العلوم الاجتماعية في الوقت الحاضر هي بمثابة برج بابل العظيم الذي يسر فيه جنباً لجنب تعدد اللغات الخاصة والرغبة في الخلق اللفظي مع عدم القدرة على احتمال رطانة الجار .

ومع هذا فينبغي الاتق في خطأ ارجاع كل شيء الى مسألة التخاطب . ولا يكمن الحل في إيجاد لغة مشتركة بين العلوم الاجتماعية أو في تدريب الإخصائيين في الأنظمة المشتركة دون دراية كاملة بنظام واحد من هذه الأنظمة . والوسيلة الوحيدة الفعالة لتحقيق التعاون بين الأنظمة المختلفة هي الرغبة في قيام حوار مع الأنظمة الأخرى والقدرة على القيام به مع بذل مجهود لتحليل النظام حتى يمكن الوقوف على صفاته المميزة له وقصوره . وتمتعي بالضرورة فكرة أحادية النظام صورة مشوهة للحقيقة الاجتماعية ككل . ولا يعتبر ذلك شيئاً رديئاً في حد ذاته شريطة أن ندرك طبيعة هذا التشويه . وعادة ما ينجح الضالعون في التاريخ والأنثروبولوجي مع الاحساس بالوقت والفضاء الاجتماعيين ، في إيجاد وسائل الاتصال بين نموذج النظام الأحد والواقع الاجتماعي الأكثر ثراء ، كما ينجحون في معالجة المتغيرات الاستراتيجية في الأنظمة الأخرى كمتغيرات للنظام الأخر . وينبغي أن يؤدي ذلك الى إثراء هذه النماذج والتداخل التدريجي بينها .

ويتساءل الاقتصادي هل لنا أن نأمل في أن نرى تلك الصيغة المربحة ولكن الضارة (وهي افتراض بقاء الأشياء والعناصر الأخرى دون تعديل) وقد اختفت يوماً ما؟ وما نحتاجه أولاً هو دراسة عميقة للصيغ الواقعية العقلانية الاقتصادية في مختلف المجالات الثقافية الاقتصادية (١) . ويعتبر ذلك القضية الأساسية لممارسة التنمية وإنني أعتقد أن المسلمات التي تحتوي كافة عناصر العقلانية تشكل أساس الأنثروبولوجي الفلسفي ، بمعنى أنه يجب أن نتوقع في كل حالة أن يختار الناس البديل الذي يلائمهم بصورة أفضل . ولكن هذا لا يستتبع على أية صورة أن تكون هناك بعض العقلانيات الاقتصادية الفوتاريخية (٢) التي تطبق تطبيقاً عاماً . والواقع أن معايير تقييم البدائل يختلف حسب المجالات الثقافية الاقتصادية . متى يستطيع فلاح اعتاد على زراعة الكفاف أن يغير من إنتاجه نحو اقتصاد السوق ؟ وفي أي موضع يعدل من سلوكه ؟ وأي مجموعة من الظروف والمتغيرات الجديدة يمكن

(١) انظر في هذا المجال الكتاب الهام

Maurice Godelier, Rationalité et Irrationalité en Economie, Paris 1967.

(٢) هذا الأسلوب من الترجمة البائدة supra ورد في بعض المعاجم الحديثة ، فمثلاً

supranational ترجمت هكذا فوقومي (المترجم)



تكوينها قبل أن يقع هذا التغير ؟ وما أثر الخبرة الحالية ، واتجاه الجريان ، والمعتقد السياسي ؟ وهذه كلها أسئلة لا يستطيع عالم الاقتصاد أن يجيب عليها ما لم يقرر أن يطرح جانباً النماذج التفسيرية المبسطة التي اعتاد عليها والتي يجد لذة في أخفاء قبحاتها خلف ستار من دخان وسائل الاقتصاد القياسي المعقد (١) . ومن أجل هذا تتضمن تبادل الأنظمة تدريباً مغايراً على العلوم الاجتماعية . ولا يمكن المغالاة في تأكيد الحاجة إلى إصلاح شامل لتدريس الموضوع . ونظراً لأن ذلك يقع خارج نطاق هذا المقال ، فأنى أوجز بضع جوانب من الموضوع التي يمكن أن تكون مجالاً للبحث .

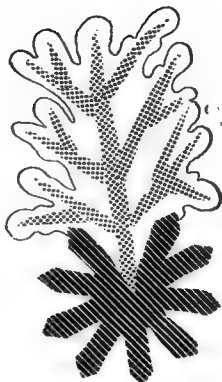
وبينما الاختصاصي ما يزال يتلقى تدريباً عالياً في مجال معين ، ينبغي مع هذا أن يتدرب على تشكيله من المواضيع الأخرى ، وينبغي أن يكتسب القدرة على التفكير الشامل وعلى نموذج النظام الواحد وعلى التجول بين ربوع الحقيقة التي وإن كانت مركبة فهي واحدة لا تتجزأ . ودعنا لا نخطئ في أن طريقة تبادل الأنظمة لا تعنى إضافة المعلومات التي حصل عليها الاختصاصيون المختلون بالتاريخ الكامل شيء أكثر اختلافاً من حاصل جمع أجزائه المختلفة . وينبغي على أي متخصص في التنمية أن يكتسب بعض صفات المؤرخ : ينبغي عليه أن يعد نفسه للدراسات المستقبلية عن طريق استخراج المنطق التجريبي للتنمية من المادة الأولية التاريخية أو حتى عن طريق اختبار مهارته في القصة التاريخية . ولا يطلب من المتخصص أن يفحص التجربة الحاضرة أو المستقبلية للبلاد الأخرى لكي يكتشف منها نماذج لتقليدها . وبالأحرى فإن التاريخ يقدم لواقعي السياسات وباحثي العلوم الاجتماعية ، النماذج المضادة التي يحسن غالباً أن يحدد المرء موقفه منها .

إن التاريخ يؤدي بنا إلى أن ننظر إلى العمليات نظرة مزدوجة ومن الناحية الأخرى فإن الأنثروبولوجي تعودنا على أن ننظر للبناء الاجتماعي الذي يجمع بين الشمول والاهتمام بالتفاصيل ، نظرة تزامنية . وعلى ذلك ينبغي أن يشكل هذان النظامان الأساس المشترك لمنهج البحث لأي علم من العلوم الاجتماعية . وفي الوقت نفسه يجب أن يلحق الشباب من الباحثين مبكراً فن إعادة التفكير في النظريات وتوسيع نطاقها على أساس من المواقف العملية . ومن هنا كان اقتراح تكوين مجموعات من الطلبة لدراسة مشاكل التنمية المحلية في مجال أو مكان معين كشكل من أشكال التدريب خلال العمل على العلوم السياسية . وينبغي على الجامعات أن تتقبل التجربة التي نحصل عليها من التدريب اليومي إذا كانت تأمل بصورة جدية أن تحقق دورها في تدريب القائمين على التنمية الذين يعملون وحدهم على إثراء نظرية التنمية في المدى الطويل . وهنا يظهر للعيان العمل على إصلاح نظم التعليم جذرياً كشرط لازم لزيادة قيمة الدور الذي تلعبه العلوم الاجتماعية في حل مشاكل بلاد العالم الثالث .

---

(١) أنني وإن كنت ممن يضمنون الناحية الاجتماعية في موضوعها الصحيح من عملية التنمية ، إلا أنني أختلف مذهب إليه كاتب المقال في نظريته القاسية إلى الاقتصاد القياسي Econometrics (الترجم)

# السلالة الطبقة المغلقة المشخصات الذاتية للجماعات الشعبية



ان محاولة التعرف على السلالة والطبقة المغلقة من خلال اطار واحد للفهم ، تقودنا الى اتجاهين مختلفين : ففي المحل الأول ينبغى علينا ان نهتم بالمدى الذى تستند وفقا له انساق التدرج الى الطبقة المغلقة ( كما هو الشأن فى الهند ) ، وإلى اللون ( كما فى بعض ولايات الجنوب من الولايات المتحدة ) . ومن ثم يمكن النظر الى هذه الانساق باعتبارها متماثلة فى بنائها ، وتلك قضية من قضايا علم الاجتماع المقارن . وينبغى علينا ان نسال فى المحل الثانى عن المدى الذى تتطابق وفقا له تمايزات الطبقة المغلقة فى الهند مع التباين فى النمط الفيزيقي أو السلالي ، وتلك قضية على قدر كبير من الاهمية لدى دارس المجتمع الهندى والتاريخ (٢) .

فصلما بدأ علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية الامريكانيون المتاثرون « بلويد وارنر » ، فى دراسة الجنوب الأقصى للولايات المتحدة ، فى حوالى ثلاثينات القرن الراهن ، وجد هؤلاء العلماء أنه من المفيد أن يتحدثوا عن نسق الطبقة المغلقة ، وذلك لعرض الانقسامات بين الزوج والبيض فى المجتمعات الريفية والحضرية الواقعة فى

(١) للشعبوية تعبير فى هذا المقال عن ذلك المركب الدال على وحدة السلالة واللغة والثقافة (المترجم) .

(٢) لمناقشة حول هذا النظر :

Anthony de Reuck and Julie Knight (eds.), *Carte and Race. Comparative Approaches*, London, 1967.

# بقلم: أندريه بيتل

محاضرة في علم الاجتماع بجامعة دلهي ومؤلف كتاب :  
الطبقة المفلقة ، الطبقة والقوة : الأنماط المتغيرة للتدرج  
الاجتماعي بقرية تنجور Tujore ١٩٦٥ ، وكتاب :  
الطبقات المفلقة : القديمة والحديثة - مقالات في البناء  
الاجتماعي والتدرج الاجتماعي ١٩٧٠ ، وله مقال حول :  
التدرج الاجتماعي في الريف الهندي ، نشر بالمجلة الراحنة  
مجلد ١١ ، رقم ٢ .

## ترجمة: د. أحمد الخشاب

أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة .

تلك المنطقة (١) . ولقد استخدم « جونار ميروال » مثل تلك المصطلحات والفئات في دراسته الكلاسيكية حول الزنجي الأمريكي ، وهي دراسة تم انجازها في نفس الوقت تقريبا (٢) . ومنذ هذا الوقت استمر مصطلح الطبقة المفلقة ، واستخدم استخداما واسما عند وصف المجتمعات التي تتألف من سلاسل متعددة في جهات أخرى من العالم وخاصة في جنوب افريقيا (٣) .

وهناك تساوق واضح بين نسق الطبقة الهندية المفلقة ، وبين نسق التدرج الاجتماعي المستند الى اللون ، سواء كان ذلك في جنوب الولايات المتحدة أو في جنوب افريقيا . ولقد واجه كل من « وارنر » و « ميردال » في دراستهما لجنوب الولايات

---

(١) من الدراسات التي أجريت في هذه الفترة دراسة :

John Dollard, *Carte and Class in Southern Town*, N. Haven, 1937, and Allison Davis, Burleigh B. Gardner and Mary R. Gardner, *Deep South. A Social Anthropological Study of Caste and Class*, Chicago, 1941.

Gunnar Myrdal, *An American Dilemma. The Negro Problem in Modern Democracy*, N.Y., 1944, p. 667, 688.

Pierre L. Vanden Berghe, *Race and Racism. A comparative Perspective*, (٢) N.Y., 1967.

وفيه تحدث عن الأبيض والافريقيين والاسيود والموالونين على أنهم يكونون أربع طبقات مفلقة أو طبقات لونية مفلقة في جنوب افريقيا .

المتحدة ، بالتمييزات الصارمة القائمة والمدمجة بين الزوج والبيض ، والتي بدت لهما وكأنها في تضاد بين ، مع أكثر أنماط العلاقات مرونة داخل نسق الطبقة ولم يكن الغرض من تسمية نسق التدرج المستند الى اللون بأنه « طبقة مغلقة » لم تكن هذه التسمية تهدف الى الكشف عن تماثله مع النسق الهندى بقدر ما يؤكد اختلافه مع نسق الطبقة في أمريكا وفي المجتمعات الغربية الأخرى .

وربما كان من المفيد أن نستجلي أكثر التماثلات وأوضحها ، بين نسق الطبقة الهندية المغلقة ، وبين ما سوف أسميه مؤقتا نسق طبقة اللون المغلقة Colour *zaste system* . ففي كلا النسقين تباين الوحدات المكونة لكل منهما عن الأخرى . ويأتى هذا عن طريق أبعاد محددة تحديدا واضحا . وسوف ندعم تلك الاختلافات التى بين الطبقات المغلقة عن طريق قياس التجانس داخل هذه الطبقة المغلقة .

هذا ويمكن وصف أنساق الطبقة المغلقة على أنها أنساق تتألف من مترامكات غير متعادلة ، وتميل امتيازات المكانة لأن ترتبط بالزبايا التى يحصل عليها الفرد عن طريق الثروة والقوة . وأما أولئك الأفراد الذين يحرمون من هذه الامتيازات الاجتماعية ، فانهم أميل ما يكونون في أدنى درجات السلم الاقتصادى والسياسى . وهناك عدة استثناءات في هذا الصدد بالنسبة للنسق الطبقي المطلق المستند الى اللون ، حيث نجد أن فقراء البيض يتعاضون جنبا الى جنب مع الميسورين من الزوج (١) غير أن تلك الاستثناءات وجدت أيضا في المجتمع الهندى منذ أمد بعيد (٢)

هذا وتعمل الوحدات المكونة في كلا النسقين على دعم هويتها الاجتماعية من خلال قواعد صارمة تقضى بالزواج من نفس طائفتهم . وأما في داخل نسق الطبقة Class فيميل الأفراد الى الزواج من داخل طبقتهم بالرغم من أن ليس ثمة قواعد محددة تقتضى منهم القيام بهذا الزواج . وأما في جنوب الولايات المتحدة فإن الزواج بين البيض والزوج كان ممنوعا منعاً باتاً ، وما زال الحال هكذا في جنوب أفريقيا . وأما في الهند فإن مبدأ الزواج من الداخل خفت صرامته في مناطق معينة عن طريق زواج التسرى أو المتعة hypergamy أو الأنولوما anuloma الذى بمقتضاه يستطيع الرجل الذى يكون من طبقة مغلقة أعلى أن يتزوج في ظل شروط وظروف خاصة ، من فتاة من طبقة مغلقة أدنى من طبقة . ويجب أن تؤكد في هذا الصدد أن التقاليد كانت تفرض أن زواج « التسرى » أو « الأنولوما » كانت تحكمه قواعد صارمة ، كما أن هذه التقاليد تعترف بالتمييزات بين الطبقات المغلقة باعتبارها طبقات متدرجة في وضعها الاجتماعى . وقد أوضح لنا إراواتى كار Irawati Karve أن هذا النظام يوجد في أماكن معينة من الهند بين الطبقات المغلقة فقط ، ولا يعتبر هذا ممارسة عادة في أى إقليم من الأقاليم (٣) ومن ثم فالذين يحددون أنساق التدرج من خلال القواعد الصارمة للزواج ، لابد وأنهم سيصنفون بما هنالك من تماثل بين النسق الهندى للطبقة المغلقة ، والأنساق القائمة على اختلاف اللون .

ويرتبط ارتباطا وثيقا بتلك القواعد المنظمة للزواج ، بعض الاتجاهات نحو

Myrdal, Op. cit.

(١)

Andre Beeille, Castes : Old and New Essays in Social structure and social stratification, Bombay, 1969, p. 3.

Irawati Karve, Hindu Society. An Interpretation, Porona, 1961, p. 16. (٣)

خصائص المرأة في كلا النموذجين من نماذج المجتمع . فهناك مجتمع يعطى قيمة عليها للنساء اللائي ينتمن الى درجة عليا ، فيصنف عليهن صفة الطهر ، ويحيطن بسياج من الحماية مما قد يتعرضن له من دنس اذا تزوجن برجال من طبقة أدنى . وفي سبيل تحقيق هذا يقرر المجتمع أكثر أنواع الجزاءات ، ردعا (١) ، ومن جانب آخر فانه قد يوجد هناك عنصر قوى من عناصر الاستغلال عن طريق الاتصال الجنسي بين الرجال الذين ينتمون الى درجة عليا ، والنساء اللائي ينتمن الى درجة دنيا . وقد لاحظ بيرمان Berreman أن الميزة الجنسية التي يتمتع بها رجال الطبقة العليا في القرية التي درسها تتشابه حتى في تفصيلاتها مع تلك الميزة التي يتمتع بها الرجال البيض في المدينة التي درسها دولارد Dollard في جنوب الولايات المتحدة (٢) .

ونستطيع في هذه المرحلة ان نلخص خصائص الطبقات المغلقة ، بالقول بانها جماعات مرتبة ترتيبا تدرجيا ، او فئات تستند الى العضوية الموروثة التي تحافظ على هويتها الاجتماعية وتدعمها ، عن طريق قواعد الزواج الداخلي الصارمة . وتعتبر العضوية الموروثة هذه على جانب كبير من الأهمية ، فهي التي تؤكد المكانات الاجتماعية للفرد وتثبتها عند مولده ، وتمنع حركته من جماعة او من فئة لأخرى وبرغم الاستثناءات العديدة فان هذه العوامل تترايط لتجعل التقسيمات الاجتماعية في المجتمع الطبقي ، في قالب واحد صارم بصورة غير مالوفة .

واذا كنت قد بدأت بتوضيح أوجه الشبه بين هذين النموذجين من نماذج التسلسل الاجتماعي فان ذلك لا يعنى أنني اعتبرت هذا التشابه ، بأي معنى من المعاني ، أكثر أهمية مما بينهما من فروق . هذا ولقد اتقسمت الآراء انقساماً بينا حول الدلالة المعلقة على هذه التشابهات وتلك الفروق (٣) . فقد اعتبر بعض الدارسين من أمثال ديومونت Dumont (٤) وليش Leach (٥) أن من دواعي الخلط وسوء الفهم أن نصف انساق التسلسل القائم على اللون ، على طبقات مغلقة . فبالنسبة لهذين الباحثين يعد نظام الطبقة المغلقة ، بالمعنى الحقيقي لهذا الاصطلاح ، سمة فريدة للحضارة الهندية القائمة على الرعي .

ومع أن الفروق بين هذين النموذجين من نماذج الطبقة المغلقة واضحة بشكل كاف — باستخدام اصطلاح الطبقة المغلقة بقصد تبسيط العرض — فانه لم يَقم هناك

(١) لمعرفة بعض الأمثلة الأمريكية ، انظر :

The case studies by Dollard and by Cavis, Gardner and Gardner cited above.

وبالنسبة للهند انظر :

E. Kathleen Gough, Caste in Tanjore Village, in E.R. Leach (ed.) Aspects of Caste in South India, Ceylon and North-West Pakistan, p. 9, Cambridge, 1960.

Gerald D. Berreman, Hindus of the Himalayas, Berkeley, 1963, p. 243-5 (٢)

See de Reuck and Knight (eds.), Op. cit. (٣)

Louis Dumont, Caste, Racism and «stratification» Reflections of A Social Anthropologist, Contributions to Indian Sociology, No. 5, 1961, p. 20-43 Op. cit.

E.R. Leach, Introduction: What Should We Mean by Caste? Op. cit. (٥)

دليل على امكان صياغة هذه الفروق صياغة مختصرة دقيقة . ويحدد بعض الباحثين التمايز بين النسقين بقولهم : ان احدهما بعد نموذجاً ثقافياً ، وبعد الآخر نموذجاً بيولوجياً (١) ومن المؤكد ان نسق الطبقة المغلقة في الهند ظاهرة ثقافية ، ولكن ليس من الممكن ان نعزى ببساطة نسق الطبقة المغلقة القائمة على اللون في جنوب الولايات المتحدة (او في جنوب أفريقيا) من خلال اصطلاحات بيولوجية ؟ ان كلا من « وارنر » (٢) وميردال (٣) اعتبراه هكذا في البداية ، غير انهما عادا ليرفضا وجهة النظر القائلة بان الجماعات التي درسها يمكن ان توصف على انها سلالات . ونظرة سريعة الى مناقشتهم يمكن ان تلقى بعض الضوء على العلاقات المعقدة بين السلالة والثقافة والمجتمع ، وتساعد في تحقيق قليل من التعمق في موضوع دراستنا .

ويصر « وارنر » على ان نسق التدرج القائم في اقصى الجنوب يقدم تصنيفاً لفئات الزوج والبيض على اساس اجتماعي لا بيولوجي . فالأشخاص الذين يصنفون اجتماعياً على انهم زواج يمكن تصنيفهم من الناحية البيولوجية على انهم من البيض . وأولئك الذين ينظر اليهم على انهم زواج في مجتمع معين ، يمكن النظر اليهم على انهم بيض في مجتمع آخر (٤) . ويتشابه موقف « ميردال » مع موقف « وارنر » حيث يشير الاول الى ان السلالة الزنجية تحدد في أمريكا عن طريق البيض انفسهم . كما ان تعريف السلالة الزنجية في الولايات المتحدة يختلف عن ذلك الذي يسود بقية القارة الأمريكية (٥) والشيء الذي له دلالة في هذا المقام ليس مجرد ابراز التمايزات الفيزيائية فقط ، بل ايضا ابراز الكيفية المتعارف عليها اجتماعياً ، والتي تكون بالضرورة تراثاً مجتمعا عليه . ومعنى ذلك انه لا يمكن النظر الى كل من الزوج والبيض في جنوب الولايات المتحدة على انهم سلالات عنصرية بالمفهوم البيولوجي البحت لهذا الاصطلاح .

ولقد حاول كينجزلي دافيز K. Davis ان يحدد الخصائص المميزة بين انساب الطبقة المغلقة ، السلالية وغير السلالية .

فنسق الطبقة المغلقة غير السلالية كالذي يوجد في الهند ، هو ذلك النسق الذي يكون معيار المكانة الطبقية فيه متوارثاً بالدرجة الاولى وتعبّر عنه رموز تصاغ من خلال اصطلاحات اجتماعية اقتصادية بحتة . وأما نسق السلالية فهو ذلك النسق الذي يكون المعيار فيه مبنياً اساساً على التكوين الطبيعي للمورثات ، المتصلة بالكرموزومات التي تتضمن فروقاً اجتماعية اقتصادية (٦) .

ولقد رأينا آنفاً لماذا لا يعد كافياً وصف الطبقة المغلقة في الولايات المتحدة على انه نسق سلالي ، كما انه لم يتضح لنا تماماً ان الفروق الفيزيائية الموروثة التي

(١) S.J. Tambiah presents this opposition as a gross simplification in a Discussion reported in de Reuck and Knight (eds.), Op. cit., p. 328-9.

(٢) W. Lloyd Warner, Introduction: Deep South-Social Anthropological study of caste and class, in Davis, Gardner and Gardner, Op. cit., p. 314.

(٣) Myrdal, Op. cit. (٤)

(٥) Warner, Op. cit. (٦)

(٧) Myrdal, Op. cit. (٨)

(٩) Kingsley, Davis, «Intermarriage in Caste Society» American Anthropologist, Vol. 43, 1941, p. 386-7.

هناك أكثر أهمية ودلالة من تلك الفروق الاجتماعية ، كما افترض « دافيز » هذا . كما أنه ليس من المنع تماما في هذا السياق أن ننظر الى السلالة كأصل ، على أنها في تعارض مع ما ينحدر منها من عائلات بشرية . وذلك لأننا في كلتا الحالتين نهتم بالتحديد الثقافي للعمليات البيولوجية .

ومع ذلك فمن الثابت أن الفروق الفيزيائية المرئية ، أكثر وضوحا في نسق الطبقة المفلقة في الهند . فمن السهل على الملاحظ الخارجي الذي يتفحص مجتمعا من جنوب الولايات المتحدة أن يحدد طبقاته ، في حين أنه يجد صعوبة أن لم تكن استحالة في القيام بذلك في الهند . ولكن ذلك في ذاته ، لا يشكل عدم وجود أكثر الفروق الوراثية أهمية بين الطبقات المفلقة في المجتمع الهندي . وبطبيعة الحال يمكن أن يكون انعدام ذلك كاملا موضع تعجب ، وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار الحقيقة التي تذهب الى أن أعضاء معظم الطبقات المفلقة يعتقدون أنهم يمارسون الزواج الداخلي المحدد من أجل أجيال لا حصر لها .

وسوف يحاول أولئك الذين يؤكدون الفروق بين النسقين الهندي والأمريكي ، أن يقيموا مناقشتهم على أساس تفرد القيم الثقافية الهندية . وفي واقع الأمر يمكن للمرء أن يميز في هذا بين وجهة النظر البنائية في الطبقة التي تركز اهتمامها في التماثلات العريضة ، وبين وجهة النظر الثقافية التي تنظر الى نسق الطبقة المفلقة في الهند على أنه نسق فريد في نوعه (١) .

والأمر الذي لا شك فيه أن الطبقة في الهند راسخة مجسدة في نسق القيم الدينية ، الذي ليس له مثيل ، سواء في جنوب الولايات المتحدة أو في جنوب أفريقيا .

ولقد ووجه الدارسون الغربيون بأهمية التدرج في اطار القيم الهندية (٢) . ومن الأفكار الأساسية في هذا الصدد فكرتا الدهارما dharma والكارما karmak (٣) وهما فكرتان معقدتان لدرجة أنه من الصعب إيجازهما في عبارات مختصرة . « فالدهارما » تعني باختصار شديد المسلك المرغوب فيه ، الذي ينسق مع وضع الشخص في الحياة ، ذلك الوضع الذي تحدده طبقته . وأما « الكارما » فتؤكد مولد الشخص في وضع خاص من خلال أفعاله . وبعبارة أخرى تختلف القواعد والمعايير الأخلاقية المحددة للصواب الاجتماعي، بين طبقة وأخرى . ولقد وجه معظم الملاحظين الغربيين بتصف النسق ، إلا أن بعضا آخر من الباحثين من أمثال « ليشي » أشار الى أن ذلك النسق يؤكد ويدعم الأمن المادي والفيزيولوجي لكل قطاعات المجتمع ، وخاصة تلك القطاعات التي تربط أسفل السلم الاجتماعي (٤) .

وبالمقابلة مع القيم التقليدية الهندية . فان المعتقد الأمريكي يضع قيمته الاجتماعية العليا في مساواة الناس . وعلى هذا فالبيئة الأخلاقية التي توجد فيها التمايزات الاجتماعية الصارمة في أمريكا ، تختلف تمام الاختلاف عن البيئة الأخلاقية

Louis Dumont, «Caste: A Phenomenon of structure or an aspect of Indian Culture? in: de Reuck and Knight (eds) Op. cit., p. 23-38.

Louis Dumont, «Homo Hierarchicus, Essai sur le Système des Castes, Paris, 1966.

Karve, Op. cit.

(٣)

Leach, Op. cit.

(٤)

في الهند . ويمكن للمرء أن يقول بأن النسق الأمريكى نسق غير متسق ، فعلم المساواة مطبق في الواقع ، بالرغم من مقاومة النسق المعيارى له . وأما النسق التقليدى الهندى بالمناظرة ، فبعد نسقا متسقا . فالتمايزات الاجتماعية الصارمة ليست قائمة فقط ، بل هى مقبولة قبولا عاما على أنها شرعية . وإذا كانت هذه المناقشة صحيحة ، فإن كلا النوعين من الاتساق سوف يظهران أنماطا مختلفة تماما من التوتر والصراع .

وليس من السهل وصف قيم المجتمع بطريقة موضوعية ، لأن هذه القيم غالبا ما تكون مبهمة غير واضحة . وتتألف من عناصر متصارعة ، ومن ثم فمن الصعب أن تعتقد أن القيم المتدرجة يتم قبولها بنفس الطريقة في كل درجات المجتمع الهندى ، فمعظم ما نعرفه حول القيم الهندية ، التقليدية يعتمد على مؤلفات كتبها أناس ينتمون الى قمة النسق المتدرج . ومن ثم فإننا لا نعرف تماما كيف ينظر الناس الذين في قاع التدرج الى نظام الطبقة المغلقة .

وعلى عكس كل دارسى المجتمع الهندى ، درس بيرمان Berrman مجتمعا قرويا ، عن طريق حياته ومعيشتته مع الطبقات الدنيا . وناقش وجود فروق حادة ودالة في المنظور بين الدرجة العليا والدنيا (١) . واهتم باحثون آخرون بوجود التوترات والصراعات داخل الطبقة المغلقة . وهى صراعات لا يمكن اغفالها لو أن شخصا قبل في هذه الطبقة المغلقة دون سؤاله عن الوضع المحدد له داخل التدرج (٢) ومع ذلك فمعظم هذه الاتجاهات قد سجلت على مدى العشرين عاما الماضية ، وأن ظهورها في الهند المعاصرة لا يتناقض مع القول أن نسق الطبقة الهندية التقليدية يقترب من النموذج التسقى .

وعارض « بيرمان » أيضا وجهة النظر التى ترى أن نسق القيم الأمريكى ، يمكن تحديده دون غموض من خلال تأكيد هذه القيم على المساواة (٣) . وقد اقتبس « بيرمان » في هذا الصدد نقد سبيرو Spiro « ليردال » حتى يدعم وجهه نظره :

« بعد الافتراض بأن المعايير الثقافية تؤمن بالمساواة افتراضا غير دقيق إلا إذا بنى الباحث مفهومها مثاليا للمعايير المثالية التى تتلائم مع السلوك الإنسانى والتطلعات . فالواقع أن تمييز البيض عن الزنوج لا بعد انتهاكا أو خروجا على المعايير المغالية في الجنوب ، بل بعد متسقا مع هذه المعايير (٤) .

Berrieman, Op. cit.

(٨)

Andre Beteille, «The Politics of Non-antagonistic, Strata Contributions to (٢)  
Indian Sociology, New series, No. III, 1969, p. 17-31.

ومن الطرق التى تم عن طريقها تأسيس الصراعات بين الطبقات المغلقة بتأني في الماضى . ذلك الطريق الذى من خلاله حدث تمازج طبقات اليمين واليسار في كثير من أجزاء جنوب الهند : انظر :

J.H. Hutton, Caste in India : Its Nature, Function, and Origins, Bombay, 1961.

Gerald D. Berrman, Caste Cross-cultural Perspective in G.De Vos and H. (٢)  
Wagatsuma (eds.), Japan's Invisible Race, Caste in Culture and Personality, p. 297, Berkeley, 1966.

(٤) نفس المصدر .



ويوجد ايضا سؤال حول الطبقة اللونية المغلقة في جنوب افريقيا : فهل يمكن القول بأنه قد يوجد هناك نظام معيارى يتقبل البناء القائم ، لعدم المساواة بين الجماعات على أنه أمر شرعى ؟

ولا تعد الاختلافات بين نسق الطبقة اللونية والنسق الهندى اختلافات قاصرة على مجال القيم ، فهناك اختلافات هامة في البناء ومكونات الجماعات التى تكون هذين النوعين من الانساق . ففى جنوب الولايات المتحدة توجد فقط طبقتين اساسيتين : الزوج والبيض . وفى جنوب افريقيا توجد اربع طبقات ، هى الافريقيون والبيض والملونون والاسيويون (١) . ويحتوى نسق الطبقة المغلقة فى الهند عددا كبيرا من الجماعات التى تتميز علاقاتها المتبادلة بطبيعة معقدة جدا .

ففى الهند يعد مالوفا تمام الالفة أن تحتوى القرية الواحدة عددا كبيرا من الطبقات يتراوح بين العشرين أو الثلاثين طبقة (٢) . وأن كل اقليم يتميز بلفة خاصة فى المجتمع قد يتألف من عدد كبير يتراوح بين ٢٠٠ ، ٣٠٠ طبقة مغلقة . وينقسم كثير من هذه الطبقات الى طبقات فرعية ، تنقسم بدورها الى تفرعات اضافية (٣) ولو تركنا القرية لناخذ وحدة أكبر كالأقليم أو المقاطعة ، فانه يكون من المستحيل علينا حتى تحديد الرقم الصحيح للطبقات فيها . وقد تقودنا التمايزات بين الطبقات العامة والطبقات الفرعية ، وتفرعات الطبقات الفرعية الى نوع من الخلط والاضطراب . فالطبقة الواحدة قد تسمى بعدة أسماء فى الوقت الذى تسمى فيه عدة طبقات مختلفة باسم واحد .

ومع أن ليس هناك نظام واحد للمراتب لكل الطبقات والطبقات الفرعية يمكن تطبيقه على كل اقليم ، فانه يمكن القول وتأكيد بالنسبة للبلد ككل ، أن مرتبة البراهمة فى قمة التدرج ، و « الهاريجانز » فى قاعه . وهناك قدر كبير من الإبهام فى المنطقة الوسطى . وتقوم الطبقات الزراعية المختلفة بدعاوى متنافسة حول المكانات العليا . فالبراهمة وكذا « الهاريجانز » يقسمون أنفسهم الى عدد من الطبقات والطبقات الفرعية التى لا يمكن بأنه وسيلة من الوسائل تحديد مراتبها المتناظرة بسهولة (٤) . وهذا لا يعنى انكاراً لوجود مقياس عام متفق عليه ، لذا ما نظرنا الى المراتب الطبقية القائمة داخل المجتمع المحلى (٥) . ومن المحتمل أن هذا الاتفاق على المقياس كان أكثر قوة فى الماضى عنه الآن .

ومن الممكن أن ينشأ حوار حول هذا الموضوع ، فمن وجهة النظر البنائية هناك فروق أساسية بين النسق الثنائى ، ونسق التدرج الذى توجد فيه أكثر من طبقتين . فكلما النوعين من النسق قد يحدث أنماطا شديدة التباين والاختلاف من الصراع الاجتماعى . فنظريات الطبقة الاجتماعية والصراع الاجتماعى تضع أهمية

Van den Berghe, Op. cit.

(١)

For typical village studies, see: Adrian C. Mayer, Caste and Kinship in Central India. A Village and its Region. London, 1960; and Andre Beteille, Caste, Class and Power. Changing Patterns of Stratification in a Tanjore Village, Berkeley, 1965.

Beteille, Caste, Class and Power... Op. cit

(٣)

(٤) نفس المصدر .

McKim Marriott, «Caste Ransing and Food Tarnsactions: A Matrix Analysis in : Milton Singer and Bernard S. Chon (eds.) Structure ad Chage in Indian Society, p. 133-71, Chicago, 1969.

كبرى على التقسيم الثنائي للمجتمع (١) . فعندما تكون الأطراف المتعارضة اثنين في العدد يميل الصراع في هذه الحالة لأن يكون شديدا وحادا . واما اذا كانت هذه الأطراف كثيرة متعددة ، فان تجمعها يقلل من شدة الصراع . وهذه النظرية نفسها يمكن تطبيقها على الطبقة . فحيث يكون المجتمع المحلى مقسما الى زنوج وبيض يكون الصراع حادا . وعندما ينقسم الى عشرين او ثلاثين جماعة طبقية ، فلا يكون هناك صراع يمتص طاقات المجتمع كلها ويبددها .

وسوف نحاول في القسم التالي ان نوضح ما اذا كانت هناك علاقة يمكن اقامتها بين تمايزات الطبقة والاختلافات الفيزيائية بين سكان الهند . ويجب ان نشير منذ البداية الى انه لو وجدت علاقة معينة ، فهي لن تكون بسيطة أو مباشرة . فالاختلافات الفيزيائية ليست قطعية في الهند ، بل هي منتشرة على متصل ، فالسكان ليسوا مقسمين تقسيما بينا الى سلالات او حتى نماذج فيزيقية معروفة فنسق الطبقة المثلقة بدوره نسق على درجة كبيرة من التعقيد . لانه مقسم الى اقسام عامة واقسام فرعية ، في جماعات لا تعد ولا تحصى ، وعلى هذا فوضع هذه التقسيمات في الاعتبار يمكن ان يقدم لنا نقطة بدء أكثر رحابة .

وتستخدم كلمة الطبقة المثلقة في الهند لتشير الى جماعات او فئات مختلفة الانواع . وهناك نوعان من التمايزات لها أهمية خاصة ، النوع الاول بين الفارنا Varna والجاتي Jati ، والثاني بين الطبقة المثلقة والطبقة الفرعية . ويمكن وصف الاختلاف بين « الفارنا » و « الجاتي » باختصار على انه اختلاف بين النموذج او الاطار التصوري من جانب ، وبين نوع من الجماعات الاجتماعية او الفئات الحقيقية من جانب آخر . فهناك فقط اربعة طبقات فرعية من « الفارنا » ، يمكن ترتيبها في نظام خاص . في حين ان هناك كثرة من « الجاتي » يعد نظام مراتبها غامضا وأكثر مرونة (٢) . ولا يمكن النظر الى « الجاتي » على انها نمت من التقسيمات والتقسيمات الفرعية داخل نوع من انواع « الفارنا » الاربعة . هذا بالإضافة الى ان ارواى كارف I. Karve كان قد اشار الى أن « الفارنا » و « الجاتي » لا توجدان لجماعتين مختلفتين ، بل هما متعاشبان لالفي عام على الأقل (٣) .

واما التمييز بين الطبقة الأصلية والطبقة الفرعية فيعتبر تمييزا مختلفا نوعا ما . فكلاهما يعد بمثابة قسم اجتماعي حقيقي ، لكن واحدة منهما أكثر شمولاً من الأخرى . فلو أخذنا صانعي الفخار أو التجارين كأمثلة على الطبقات ، فسوف نجد ان هناك نوعين مختلفين أو ثلاثة انواع من صانعي الفخار أو التجارين في أي إقليم من الأقاليم . ويأتى تباین هذه الأنواع تبعاً للوسائل الفنية أو المهارة أو الطائفة أو عامل آخر أقل وضوحاً . وهذه الأقسام المختلفة سوف نشير إليها كطبقات فرعية متشابهة في البناء بالنسبة للتجمعات الأكثر شمولاً . وهي تعتمد عامة على الزواج الداخلي ولقد أكد بعض الدارسين من أمثال غورى Ghurye ان الأنماط المختلفة من صانعي الفخار التي تكون طبقات فرعية ، هي التي تحدث الانقسام داخل طبقة

Ralf Dahrendorf, Class and Class Conflict in an Industrial Society, London, (١) 1969.

M.N. Srinivas, «Varna and Caste» in : M.N. Srinivas, Caste in Modern India (٢) and other Essays, p. 63-9, Bombay, 1962.

Karve, Op. cit.

صناع الفخار (١) . ومن ناحية أخرى فقد حاولت «أرواتي» أن تثبت أن هذه الأنماط المختلفة التي توجد بين صانعي الفخار ، غالبا ما تكون غير مرتبطة ببعضها البعض (٢) وأن كلا منها يمكن أن يطلق عليها بمفردها طبقة مغلقة . وأن صناعة الفخار يمكن أن تعتبر في هذه الحالة تجمعا طبقيًا . ولا شك أن قولها في هذا الصدد يعتبر هامًا لأنها حاولت أن تدعمه بيانات أنثروبومترية (٣) .

وتوجد أحيانا مستويات مختلفة من التباين ، وليس مستويين فقط . فالبراهمة التاميلين Tamil Brahmins يتألفون من ثلاثة مستويات أساسية هي : قساوسة الكنيسة ، والقساوسة الذين يخدمون غير البراهمة ، والتلاميذ وملوك الأرض . والآخرى تنقسم إلى السمات Smartha والشري فاشنافا Sahri Vaishnava . والسمات البراهمة ينقسمون بدورهم إلى تقسيمات فرعية إضافية كالغاداما Vadama والبريشارانام Brihacharanam والاستاساهارنام Astasahasram والفاتما Vattima . وأخيرا تنقسم الغاداما Vadama إلى الغاداديشا Vadadesha والشوزهاديشا Chozhadesha (٤) . ويفيد هذا التباين في النظر إلى الطبقة باعتبارها قسما أو نسقا بنائيا (٥) . وذلك لأن لكل قسم قواعد الزواج الداخلي الخاصة . كما أن المسافة الاجتماعية بين الأقسام تعد متغيرا من المتغيرات . فالمسافة الاجتماعية بين الغاداما Vadama والبرهاسارانام Brihacharanam أصغر من تلك التي بين الغاداما وقسم الشري فاشنافا Shri Vaishnava ، وهي مسافة أصغر بدورها من تلك التي بين أي قسم من أقسام البرهمنين وغير البرهمنين . وطريقة النظر هذه إلى النسق تقضي بنا إلى السؤال عما إذا كانت هناك علاقة بين المسافة الاجتماعية والمسافة السلالية .

ولقد اقتنع معظم الأنثروبولوجيين الذين حللوا الطبقة من وجهة نظر بيولوجية ، بأن هناك بعض الاختلافات الفيزيائية بين الطبقات ، غير أنهم انقسموا انقساما واضحا حول الدلالة المعطاة لهذه الاختلافات . وعلى العموم أكد الدارسون الأول الفروق في داخل النموذج الفيزيقي الذي لا حظوه بين الطبقات . أما الدارسون المعاصرون فقد مالوا إلى التأكيد على أن معظم الطبقات أكثر أو أقل تباينا في تكوينها الفيزيقي . وأن هذا التباين داخل الطبقة ، يكون أحيانا أكبر من التباين بين الطبقات .

ولا يكفي أن نعرف أن الطبقات تختلف كل منها عن الأخرى في الطابع البيولوجي ، ولكننا نفضل أن نعرف بالإضافة إلى ذلك إلى أي مدى يرتبط هذا الاختلاف البيولوجي بالمسافة الاجتماعية . فالطبقات المتقاربة قد تكون مختلفة تماما في تكوينها البيولوجي ، في حين أن الطبقات التي على طرفي تقيض السلم الاجتماعي يمكن أن تظهر اختلافات بيولوجية قليلة . ولكي نجيب على هذا التساؤل السابق أجابة مرضية ، فأننا في حاجة إلى قدر كبير من المادة الإيمبيريكية ( التجريبية ) ،

G.S. Ghurye, Caste and Race in India, London, 1932.

(١)

Karve, Op. cit.

(٢)

(\*) مثل مقاييس الجمجمة والفك والجيبة والشعر .. الخ .

I. Karve and K.C. Malhorta «A Biological Comparison of Eight Endogamous Groups of the same rank, Current Anthropology, Vol. 9, 1968, p. 109-16.

Beteille, Caste, Class and Power..., Op. cit.

(٤)

(٥) نفس المصدر .

فالشاهد الذى نعرفه لا يفى بالفرض المنشود ، كما ان كل وجهات النظر ليست فى اتجاه هذا الفرض .

ولعل اول جهد جاد بذل لدراسة الاختلافات الفيزيائية او السلافية بين الطبقات بطريقة منظمة ، هو ذلك الذى بذله السير هربرت ريزلى . S.H. Risley فى نهاية القرن الماضى (١) ولم يعتقد « ريزلى » بأن هناك اختلافات قائمة فقط ، بل اشار الى ان هذه الاختلافات ترتبط ارتباطا واضحا بالفروق فى المرتبة الاجتماعية بين الطبقات .

فاذا أخذنا نسق الطبقات فى النجال ، وبيهار Rihar واقليم اجرا المتحد Agra و اوده Oudh ومدراس ، ورتبنا هذه الانساق وفق الدليل الأفقى للرجل العادى ووضعنا الطبقة التى لها اكمل أنف فى القمة ، والتى لها أنف غليظ فى قاع القائمة ، فسوف يتضح لنا ان هذا النظام يتطابق جوهريا مع النظام المقبول للاولوية او الصدارة الاجتماعية (٢) .

وواجهت « ريزلى » ايضا حقيقة أن الطبقات العليا ذات بشرة اكثر بياضا ، بصفة عامة عن الطبقات الدنيا . ولذلك ركز اهتمامه على عدد من الحكم والأمثال التى يعرب من خلالها هذا التمايز .

وطور « ريزلى » النظرية لكى يوضح المراتب الاجتماعية للطبقات . كما ناقش نسق الطبقة باعتباره محصلة للنزاع بين جماعتين سلايتين متميزتين ، تمثل احدهما البشرة البيضاء الرقيقة والأنف الضيق الآرى فى نموذج ، وتمثل الثانية البشرة السمراء والأنف العريض غير الآرى . والآريون وفق هذه النظرية لم يكونوا فقط الجماعة السائدة فحسب ، بل هم الذين يتبنون ممارسات الزواج المتعددة ، تلك الممارسات التى تؤدي الى تكوين سلاسل من الجماعات المهجنة التى تتفاير مراتبها الاجتماعية مباشرة حسب مقدار الدم الآرى . وحرص « ريزلى » على تدعيم مناقشاته ببيانات انثروبومترية . غير ان الدارسين من بعده ناهضوا هذه النتائج ، ووجدوا خطأ فى بيانات « ريزلى » ومناهجه (٢) .

فغورى Ghure نقد عمل « ريزلى » الا انه لم يعترض على كل مناقشاته . حيث اكد اهمية التبايرات الاقليمية . ولاحظ ان الطبقة التى توضع فى مرتبة عالية جدا فى منطقة معينة ، قد تتشابه فى ملامحها الفيزيائية مع طبقة توضع فى مرتبة منخفضة جدا تعيش فى منطقة متاخمة لها . وأشار الى انه فى أماكن كثيرة من المجتمع لم تكن هناك علاقة واضحة من النوع الذى اهتم « ريزلى » ببرهنه واثباته .

ونجد فى كل منطقة لغوية خارج هندستان ، ان النمط السكانى نمط مختلط ، ويتسق فى تدرجه مع سلم الصدارة الاجتماعية للطبقات المختلفة (٣) .

غير ان « غورى » قد وافق على انه يوجد فى المنطقة الناطقة بالهندية نفسها تناظر كبير بين التدرج الفيزيقي والتدرج الاجتماعى .

فالبرهمنانيون فى هذه المنطقة ذوو رأس مستطيل وأنف ضيق ، والطبقات الدنيا كالشمار Chamar والباسى Pasi ذوو رأس عريض وأنف عريض . وعلى

H.H. Risley, The People of India, Calcutta, 1908.

(١)

Risley, Op. cit., P. 29.

P.C. Mahalanolis, «A Revision of Risely's Anthropometric Data» Samlshya. (٢)  
Vol. 1, 1933.

Ghurye, Op. cit., p. 111

(٢)

أساس بعض الشواهد ، خلاصه « غوري » الى أن في هذه المنطقة توجد على الأقل قيود ومحارم على الزواج الداخلي ، يمكن أن تفسر على أنها ذات طبيعة سلالية في الأصل (١) .

ولعل البحث الوحيد الأكثر شمولاً ، هو الدراسة الأنثروبومترية « البنجال » التي تعاون فيها الأنثروبولوجي ماجومدار D.N. Majumdar والإحصائي راؤو C.R. Rao (٢) والتي جمعت بياناتها من إقليم ثنائي محدد ، هو البنجال الشرقية والغربية . وبحث فيه (٦٨) جماعة : تضم المسلمين والمسيحيين وقليلاً من الجماعات القبلية ، وعدداً كبيراً من الطبقات الهندوسية المغلفة . وتمت دراسة هذه الجماعات بالتركيز على ستة عشر سمة أنثروبومترية أساسية وعدد من الأدلة التي اشتقت منها . بالإضافة الى بعض البيانات حول انحدار هذه الجماعات وتسلسلها . وتم تحليل البيانات الأنثروبومترية باختبارات احصائية دقيقة معمول بها . وبالرغم من الصلاحيات العديدة استنتج « ماجومدار » أن هناك تجمعات للجماعات وقفا لتقاربها الاجتماعي . فتتجه الجماعات القبلية وشبه القبلية الى التجمع سوياً عند إحدى النهايات ، وفي النهاية الأخرى نجد الطبقات العليا كالبراهمة والبديا Baidya والكياسا Kayastha

وأشار « ماجومدار » الى أن هذه البيانات تتفق والملاحظات التي قام هو بها في دراسة له في منطقتين أخريين من الهند هما الجوجارات Gujarat وأتاربرادش Uttar Pradesh .

ومن الدراسات المسحية الثلاث السابقة يتضح أن هناك ارتباطاً بين نظام الصدارة الاجتماعية في الدولة أو الإقليم ، وبين الصورة الشعبية العرقية المستندة الى البيانات الأنثروبومترية (٣) ومع ذلك يجب التأكيد على أن العلاقات التي ظهرت من دراسة « ماجومدار » و « راؤو » أكثر تعقداً في طبيعتهما من تلك التي اعتقد « ريزلي » أنه أقامها .

ولم تؤكد الدراسات التي أنجزت أخيراً كل استنتاجات « ماجومدار » فقد نشر « كارف » و ماهوترا Malhotra نتائج تفصيلية مقارنة بين ثماني طبقات فرعية برهمانية في ماهرأشتر Maharashtra واضعين في الاعتبار البيانات الأنثروبومترية والخاصة بالتسلسل والنسب والأقيسة الفيزيائية (٤) . وقد أوضحت بياناتهما وجود فروق جوهرية بين بعض الطبقات الفرعية البرهمانية . وبمقارنة نتائجهما بتلك التي توصل إليها باحثون آخرون ، استنتجوا أن ليس ثمة علاقة ضرورية بين المسافة الاجتماعية والمسافة الفيزيائية .

ومع هذا فليس هناك ما يبرر الزعم بأن المسافة بين الطبقات البرهمانية موضوع البحث أقل من المسافة بين الطبقة البرهمانية وغير البرهمانية ، وذلك لأن بعض البرهانيين يتقاربون مع أعضاء الطبقات الأخرى أكثر من تقاربهم مع طبقتهم

(١) نفس المصدر ص ١٠٧ -

D.N. Majumdar and C.R. Rao. Race Elements in Bengal. A Quantitative Study, Calcutta, 1960.

Majumdar and Rao, Op cit., p. 102.

Karve and Malhatra, Op. cit.

(٣)

(٤)

الأصلية (١) . ومن هذا يتضح انه كلما نظرنا عن كتب الى النسق ، كانت العلاقة او الصلة بين النسق والسلاسل اقل اتساقا .

ويمكن ان يؤكد الانتقال من المؤشرات المورفولوجية الى الجينية ان العلاقة بين المسافة الاجتماعية والفيزيائية غير يقينية وغير دقيقة . واثرا فسوف اورد مثالا من دراسة قام بها سنغافى Sunghavi وكانولكار Khanolkar ، حيث فحصا توزيع سبع سمات جينية بين ست جماعات تعتمد على الزواج الداخلى في بومباي (٢) . وكانت اربع جماعات من الست برهمانية ، وواحدة عليا غير برهمانية تسمى شنلرا سينيا كايات براهو Chandraseniya Kayashth Prabhu ويرمز لها بالرمز CKP وهى تانى فى المرتبة التالية للبرهمانية مباشرة . والطبقة الاخيرة كانت طبقة زراعية يطلق عليها الماراثا Maratha ويرمز لها بالرمز (MK) وتنتمى الى المستوى الاوسط من التدرج . ومع العلم فان الباحثين كانا قد اشارا بان هذه الجماعات كانت تعتبر فى نظر علماء الاثروبولوجيا السابقين على انها نموذج فيزيقوى واحد .

واوضحت نتائج التحليل نمطا معقدا من التفاريات . فبعض الجماعات البرهمانية تتقارب معا ، وواحدة منها تتشابه فى تكوينها الجينى مع « الماراثا » غير البرهمانية . كما ان راحة الكوكناث من جهة اخرى تتباين وتتميز فى تكوينها الجينى كما تتباين فى ذلك جماعة شنلرا سينيا كايات براهو ، هذا بالإضافة الى ان الجماعتين الاخرتين تختلف كل عن الاخرى اختلافا ملحوظا .

والفرق بين براهماة الكوكناث ، وجماعة شنلرا سينيا كايات براهو فى كل سمة من السمات الجينية السبع ، هو فرق اقل او اكثر تشابها مع ذلك الذى بين الزوج والبيض من الأمريكيين (٣) . وبالرغم من ان براهماة الكوكناثى غير برهمانيين فانهم يحتلون مرتبة عالية ، ويجب ان ينظر اليهم على انهم متقاربون اجتماعيا مع طبقة الكوكناث Kolsnasth البرهمانية . وهذا يفضى بنا الى الاهتمام بالدلالة الاجتماعية للنموذج الجينى ، اذا ما نواظر بالفروق الفينولوجية او الناتجة عن المناخ . فالاثروبولوجيون الاول من امثال «ريزلى» حاولوا ان يقيموا علاقة بين المرتبة الاجتماعية للطبقة ، والمظهر الفيزيقي لأعضائها . وقد شجعهم فى بحوثهم على هذا المعتقدات التى يتمسك بها المجتمع الهندى حول وجود هذه العلاقة (٤) . فالمعتقد عموما ان الطبقات العليا تكون ذات بشرة بيضاء وانف ضيق ، وان الطبقات الدنيا ذات بشرة سمراء وانف عريض . ولقد اتضح لنا الآن ان الطبقتين المتقاربتين اجتماعيا ، واللتين يتشابه أعضاءهما فى مظهرهم الفيزيقي ، تختلفان مع ذلك فى تكوينهما الجينى .

وتكتسب الفروق الجينية دلالة اجتماعية فقط ، عندما يكون وجودهما معروفا وشائعا ، او عندما تعكس على الاختلافات الواضحة للنموذج الفيزيقي . وكما اشرت فيما سبق ، توجد اختلافات كبيرة فى المظهر بين الطبقات التى

(١) نفس المصدر ص ١١٥

L.D. Sanghui and V.R. Khandolkar «Daa Relating to Seven Genetical Characters in Six Endoamorous Group in Bombay Animals of Eugenics, Vol. 15, 1950-51, p. 52-76.

Sanghui and Khandkar, Op. cit., p. 62. (٢)

Andre Beteille. Race and Descent as Social Categories in India, Doedalus, (٤) Vol. 96, 1967, p. 444-63.

تمثل الأطراف المتعارضة في التدرج في كثير من اجزاء المجتمع وتأتي أهمية هذا من المعتقدات والنماذج المتشابهة التي تنظر للاختلافات التي تظل باقية وقائمة برغم وجود شواهد عكس ذلك . وتفترض المعتقدات الخاطئة فنيا أو غير المتسقة ، وجود أهمية جوهرية في الحياة الاجتماعية كما أوضح ذلك باسن PASSIN في مناقشته .

فالعلاقة بين الطبقة والسلالة ليست ببساطة تساؤلا عن الجماعات المختلفة سلاليا في الواقع ، بل هو تساؤل يبدو أنه موجه الى الميل الذي يمزو الاختلاف السلالي الى أدلة هامشية في الطبقة ومواقفها (١) .

وبصدق هذا بصفة خاصة في السياق أو الإطار الهندي حيث توجد في بعض اللغات نفس الكلمات التي تستخدم للدلالة على كل من الطبقة والسلالة (٢) . فالهم في الحياة الاجتماعية التضامن الذي يحس به الناس عندما ينتمون الى مجتمع محلي واحد ، وكذلك الاحساس بالمسافة التي تفصل أعضائه عن الآخرين الذين ينتمون الى مجتمعات محلية مفارقة . وغالبا يستند الاحساس بالمجتمع المحلي الى الاحساس بأن لأعضائه أصلا مشتركا . وقد يكون هذا الاحساس غامضا أو يكون مصاغا شعوريا في ايديولوجية معينة . وقد يقوى هذا الاحساس اذا كان المجتمع متميزا بملامح فيزيقية محددة . غير ان ذلك الاحساس ليس الشرط الضروري لوجود هيا المجتمع . فاحيانا يوجد احساس قوى بالمجتمع المحلي حتى في حالة غياب المؤشرات الفيزيكية الواضحة . ويفضي بنا كل هذا الى أن نضع في اعتبارنا الجماعات الشعبية وهوياتها .

وبعد الاستخدام المنهجي لمفهوم الشعبية حديثا نسبيا في علمي الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية ، بالرغم من أننا نلاحظ معالجة الجماعات الشعبية على نطاق واسع في الولايات المتحدة منذ عدة سنوات خلت .

ويمكن اعتبار الجماعة الشعبية فئة متميزة عن السكان في المجتمع الكبير ، وهي عادة تختلف في ثقافتها عن ثقافة هذا المجتمع ككل . ويعتبر اعضاء جماعة معينة ، أو هم يحسون بأنفسهم ، أو بأنهم يرتبطون سويا بروابط مشتركة كالسلالة أو القومية أو الثقافة (٣) .

ولو نظرنا الى ما يقدمه هذا الوصف نجد أنه ليس هناك معيار واحد يمكن تحديد الجماعات الشعبية عن طريقه .

ويستخدم اصطلاح الجماعة الشعبية في الولايات المتحدة لوصف المهاجرين

من أجزاء مختلفة من العالم . ومن الأمثلة على ذلك الأيرلنديون والإيطاليون والبولنديون ، الذين استوطنوا المجتمع في موجات من الهجرة المتتالية . ولاتسبان كل هذه الجماعات عن طريق المؤشرات الفيزيكية المرئية فقط . فالأولا هناك اختلافات أساسية في اللغة والثقافة والدين بين هذه الجماعات . وبدأ بعض هذه الاختلافات في التقلص بين الجيل الثاني أو الثالث من المهاجرين ، مما ينبئنا بأنه سيحقق تجانسا ثقافيا بين السكان الذين لابد وأن يكونوا قد انصهروا في بوتقة المجتمع الأمريكي . ولكن بالرغم من حدوث حراك اجتماعي على درجة عالية ، سواء كان حراكا أفقيا

(١) في مناقشة منشورة انظر : De Reuck and Knight (eds.) Op.cit., 110-111.

(٢) Beteille, Race and Descent as Social Categories in India, Op. cit.

(٣) H.S. Morris, «Ethnic Groups in David L. Shills (ed.) International Ency-clopaedia of the Social Sciences, Vol. 5, 1968, p. 167.

أو راسيا ، وبالرغم من حدوث زواج بين هذه الجماعات بنسبة معينة ، فان الهويات الشعبية تثبت انها لا زالت قائمة وموجودة في المجتمع الأمريكي (١) .

ولابعد وجود الجماعات الشعبية ، بحال من الاحوال ، قسمة فريدة في المجتمع الأمريكي ، لانهاتوجد في كل المجتمعات ، حيث تكون الاختلافات الثقافية معنى خاصا، ويتم تنظيمها بطريقة خاصة أيضا . ويعتبر التباين الشعبي ملمحا واضحا في المجتمعات التي تسمى جماعية ، كما هو الشأن في جنوب وجنوب شرق آسيا (٢) وأحيانا يرتبط هذا التباين بوجود جماعات كبيرة كالجماعات الصينية والهندية في ماليزيا ، التي تختلف اختلافا واضحا كل عن الأخرى في اللغة والدين والسيادة . ولذلك فتعايش تلك الجماعات المتباينة خليق بأن يولد توترات

ومظاهر للصراعات التي يمكن أن تهدد في اقصى حالاتها المتطرفة تماسك وتكامل الإطار السياسي نفسه . ويستمر وجود الهوية الشعبية حتى لو كانت هناك جماعات شعبية غير مختلفة اختلافا واضحا أو منظمة سياسيا . ولقد حاول بارث Barth وزملاؤه أخيرا جمع مجموعة من المقالات ليثبتوا أن الهوية الشعبية لا تعتمد في استمرار وجودها على تجمع أو تنظيم خاص من السمات الثقافية .

ومن المهم أن نعرف أنه بالرغم من أن الفئات الشعبية تضع الاختلافات الثقافية في الحسبان ، فاننا لانعني أو نزعم بوجود علاقة بسيطة بين الوحدات الشعبية ، وبين التماثلات أو الاختلافات الثقافية (٣) كان تكون واحدة في مقابل أخرى .

ولقد أعطانا إيدهايم Eidheim تصويرا يوضح كيف تبرز بصورة واضحة الحدود الفاصلة بين اللاب Lapps والنرويجيين بالرغم من أنه لاتوجد حتى الآن اختلافات فيزيقية أو ثقافية بين هاتين المجموعتين (٤) .

وتعتمد الجماعات الشعبية بوجه عام على الزواج الداخلي ، وبهذا فهم يميلون الى الحفاظ البيولوجي الدائم واستمرارية شعورهم بالذات . (٥) وحتى في حالة عدم وجود التمايزات بصفة قطعية فان الزواج الداخلي يمكن أن يساعد على بقاء الحواجز الشعبية واضحة مجسدة . وعندما لاتحدث كل حالات الزواج داخل الجماعة ، فان الحواجز الشعبية ستظل مصانة ومدعمة لو أن تبادل الزواج كان محكوما بقاعدة الزواج التعددي . فممارسة هذا الزواج التعددي يعد حاجزا هاما يدمع ميكانيزم الحياة الاجتماعية بين فصائل معينة من

---

Nathan Clazer and Daniel Patrick Moynihan. Beyond the Melting Pot : (١)  
The Negroes, Puerto Ricans, Jews, Italians and Irish of New York  
City, Cambridge, Mas. 1963.

J.S. Furnivall. Colonial Policy and Practice. A Comparative Study of (٢)  
Burma and Netherlands India, New York, 1956.

Fredrick Barth, Introduction in Fredrick Barth (ed.) Ethnic Groups and (٣)  
Boundaries, The Social Organization of Culture Difference, London,  
1969, p. 14.

Harold Eidheim, When Ethnic Identity is a Social Stigma in : Barth (ed.), (٤)  
Op. cit., p. 39-57.

Barth, Op. cit., p. 10.



راجوبوتي التلال بالهند (١) ويعيدا عن تفسخ الأبعاد والحواجز الشعبية ، فان الزواج المتبادل يؤدي في ظل ظروف معينة ، الى بقاء هذه الأبعاد والموانع في ثنائي ومضاد حاد .

وعلى هذا فان مفهوم الجماعة الشعبية اكثر اتساعا بعض الشيء من حيث النطاق من مفهوم السلالة . وتستند الاختلافات الشعبية ولو في جزء منها على الأقل . على السلالة كما لدى سكان الملايو ، والصينيون والهنود في ماليزيا ، والهنود والبيض في جزر البحر الكاريبي . وهناك أيضا مجتمعات أخرى ، أكثر أو أقل تجانسا من الناحية السلالية ، كما في البانغابيين بباكستان الغربية وأفغانستان ، أو الجماعات التي تتركز على انساب قبلية متعددة في شرق أفريقيا .

وبالتالي يمكن النظر الى نسق الطبقة المغلفة على انه حالة خاصة من حالات التباين الشعبي . وسواء وجدت اختلافات سلافية بين الطبقات أو لم توجد ، فان هذه الطبقات تختلف كل منها عن الاخرى في الثقافة والملبس والطقوس والطعام . وحتى عندما تضعف هذه التمايزات أو تتلاشى فان الحواجز بين الطبقات يتم الحفاظ عليها عن طريق قواعد الزواج الداخلي والزواج التعددي . ومع ذلك فلو نظرنا الى الطبقة على انها نسق للجماعات الشعبية فليس من اللازم أن يتم ترتيب الجماعات الشعبية على اساس تدرجي ، كما انها ليست على الدوام جماعات متكاملة في اطار نسق واحد .

ويمكن ملاحظة وجود تشابه واضح بين الطبقة المغلفة في الهند والجماعات الشعبية في الولايات المتحدة ، خاصة عندما نتفحص الدور الذي تلعبه كل منها في العملية السياسية (٢) . فالتمسك بالشعبي في الولايات المتحدة يستخدم على نطاق واسع في التأثير في التأييد السياسي فالمنافسات والصراعات الشعبية توضع في الاعتبار عند وضع استراتيجية للانتخابات العامة (٣) . واما في الهند ، فان الطبقة المغلفة تتدخل في العملية السياسية بطرق وصور شتى (٤) ، فالترابطات الطبقية هناك لاتعمل كجماعات ضاغطة فقط ، بل تحول انفسها في احزاب سياسية ، ويحدث هذا على الأقل في مناطق معينة (٥) . كما أن الصراع بين الاحزاب يزداد اشتعالا عندما تعتمد هذه الاحزاب على وجود تناصر بين الطبقات بعضها البعض . (٦) ومع ذلك ففي كل من الهند والولايات المتحدة ، تعد العلاقة بين الطبقة او الهوية الشعبية ، وبين العملية السياسية علاقة معقدة وغير واضحة ، فالعملية السياسية لا تقتصر على اظهار التباعدات بين الجماعات وتوضيحها فقط ، بل تصنع أيضا امكانات قيام الاتحاد فيما بينها .

(١) انني لادين في هذه المعلومات للاستاذ باري P. Parry الذي قام بدراسة متفنية حول

راجوبوتي التلال بمقاطعة كاتجرا .

Lloyd I. Rudolph and Susanne Hoeber Rudolph, The Modernity of Tradition. Political Development in India, Chicago, 1967; Andre Beteille, Caste and Politics in Tamilnad in: Beteille, Castes: Old and New... Op. cit.

Glazer and Moynihan, Op. cit.

Rojni Kothari (ed.) Caste in Indian Politics, New Delhi, 1970.

(٤)

Lloyd I. Rudolph and Susanne Hoeber Rudolph, The Political Role of Indian's Caste Associations, Pacific Affairs, Vol. XXXIII, 1960, p. 5-22.

Selig S. Harrison, Caste and Andhra Communities, American Science Review, vol. 14, 1956.

وتقدم لنا طبقة الهاريجان مثالا خاصا على التضامن المستند الى الطبقة المغلقة او الهوية الشعبية . ففي الماضي كان يفصلهم حاجز التمييز عن كثير من مجالات الحياة الاجتماعية ، ولقد ألغيت هذه الحواجز الآن قانونيا وشرعيا ، الا أن «الهاريجان» مازالوا يحتفظون بخصائصهم التقليدية ، ومن ثم استمروا اجتماعيا واقتصاديا دون الامتياز والتفوق ، ولكنهم الآن يدعمون ببعض الفرص لتنظيم أنفسهم سياسيا . (١) الامر الذي ساعدهم على تحقيق بعض الامتيازات ، ولكن هذا سوف يجعلهم يواجهون الطبقات العليا التي لا يتقبل أعضاؤها دائما أعضاء «الهاريجان» على أنهم مساوون لهم . وموقف «الهاريجان» هذا في الهند المعاصرة يوضح بعض التعارض - كالزواج في الولايات المتحدة - وذلك لانه كان من المفروض أن يصاحب تقليل المسافة الثقافية في كلتا الحالتين تقصان في التوتر والصراع ولكن الذي حدث ، هو زيادة هذا التوتر وذلك الصراع .

ولتعد مشكلة «الهاريجان» الوحيدة في الهند ، لان هناك مشكلة قبلية أخرى ، هي مشكلة الأديفاسي Adivasi فكل من الهاريجان والأديفاسي تتجمعان رسميا معا في مؤخرة الترتيب الطبقي . كما أن هويتهم معروفة أصلا (٢) . وبصدد عدد السكان القبليين فقد بلغوا وفقا لتعداد سنة ١٩٦١ حوالي ٣٠ مليوناً ، أي مايعادل ٦٪ من سكان الهند . وينقسم هؤلاء السكان الى عدد كبير من القبائل المنفصلة التي تتباين في السلالة واللغة والثقافة . وهم يتركزون في أماكن خاصة من الهند تجعلهم أكثر عزلة من الناحية الجغرافية . غير أن ليس هناك أي سياسة مقصودة لابقائهم في عزلتهم هذه .

ولاينتمي السكان القبليون في الهند الى نموذج سلالي أو فيزيقي واحد . فالاختلافات بين نموذج الفيدود Viddoid الشائعة بين قبائل وسط وجنوب الهند ، وبين نموذج الباليومونجولود Paloo-Mongoloid الذي يوجد في مناطق التلال الشمالية الشرقية أكبر من الاختلافات بين السكان القبليين ومن يجاورهم من غير القبليين في أي منطقة محددة . ومع هذا فقد أبد فورير هاميندورف Furur-Haimendorf وجود الاختلافات من النوع الأخير (٣) . ويبدو أن بيانات ماجومدار Majumdar الانثروبومترية تفسر في نفس الاتجاه وتعلم نفس الرأي (٤) . فبعد توضيح «فورير» للاختلافات في النموذج الفيزيقي بين السكان القبليين وغير القبليين أشار الى ذلك قائلا :

«ومع كل ذلك فأكثر الأشياء جذبا للملاحظة ، انه برغم الاختلافات السلالية التي لاتقل في أهميتها عن تلك التي توجد في البلدان التي تعاني من المشكلات السلالية الحادة ، فانه فيما يتعلق بالهند لاتوجد أي حالات للتوتر بين السلالات (٥) .

والعامل الهام في هذا الصدد هو التمايز الكبير بين النماذج الفيزيكية ، الامر

Owen M. Lynch, The Politics of Untouchability, N.Y., 1969. (١)

Andre Beteille, The Future of the Backward Classes. The competing Demands of Status and Power» Perspectives, Supplement to the Indian of Public Administration. Vol. XI, 1965, p. 1-89.

Christoph Von Furur-Haimendorf, The Position of Tribal Population in Modern India, in: Philip Mason (ed.), India and Ceylon: Unity and Diversity, p. 182-222, London, 1967. (٣)

Furur-Haimendorf, Op. cit., p. 188.

(٥)

الذى حال دون وجود استقطاب وتركيز للسكان على أسس واعتبارات سلبية. ولا بد من هذا أن هذه الاختلافات غير موجودة أو أنها غير معروفة اجتماعيا ، لأن الواقع يوضح أن الحياة الديمقراطية قد أطالت في حياة القبيلة وهيأت لها عمرا أكثر طولا .

ولكن الصراع يتحول الى مستوى أو مجال آخر حيث تكون الانقسامات بين القبليين وغير القبليين واحدة من التمايزات الشعبية التى لها ركائز سياسية. ولقد وضعنا فى الاعتبار الى حد ما التباين الشعبى بين الجماعات المدرجة فى نظام من التسلسل الراسى ، وذلك بالرغم من أن «الاديفاس» بالمعنى المحدد يكونون خارج نسق الطبقة ، فهم يرتبون عادة فى مكان بعد طبقة الهندوس المغلقة . ونعود الآن الى التباين الشعبى بين الجماعات التى لا ترتب ترتيبا تدريجيا ، كتلك التى تستند الى الدين أو اللغة . فهذا يقدم وبمعنى من المعاني أكثر التقسيمات أهمية فى المجتمع الهندى المعاصر . وعندما يتكلم المرء عن الوحدة القومية فى الهند، فيجب أن يكون فى ذهنه ميدانيا المشكلات التى تتناول كلا من الجماعات الدينية والمجموعات اللغوية المختلفة . وبالرغم من أننا يمكن أن نميز من الناحية التحليلية بين الهويات الشعبية للأنواع المختلفة - سواء المدرج منها أو غير المدرج - بالرغم من هذا فإن هذه الهويات الشعبية تكون ممتزجة فى الواقع .

وتوصف الهند على أنها دولة متعددة الديانة ، فالهندوس يشكلون غالبية عظمى ، ويعودون بما يقارب ٨٠٪ من السكان . وأما المسلمون فيمثلون أقلية ذات دلالة تزيد عن ١٠٪ من مجموع السكان . وهناك جماعات دينية أخرى لها دلالات خاصة فى بعض الأقاليم مثل السيخ *Sekhs* فى البنجاب والمسيحيين فى الكيرالا *Kerala* ولكن فيما يتعلق بالهند ككل فإن التمايز الأكثر دلالة هو ذلك التمايز بين الهندوس والمسلمين . وإذا كانت هناك مشكلة مشتركة وعامة فى المجتمع الهندى ، فإن طابعها الاصلى ينمو ويتطور كنتيجة للعلاقة بين هاتين الجماعتين الدينتين (١) .

ولا ينتمى الهندوس والمسلمون فى الهند الى سلالات منفصلة . لأنهما فى الواقع مختلطتين من الناحية السلالية . وذلك شئ متوقع لأن معظم مسلمى الهند هندوس تحولوا الى الاسلام . وحاول سبير *Spear* البرهنة على أن هناك نموذجين أساسيين للذين غيروا ديانتهم الى الاسلام ، النموذج الاول كان تحوله الى الاسلام على مستوى العشيرة أو الجماعة مما ترتب عليه نشأة طبقات مغلقة كالراجيوت والجات والجيجار فى شمال الهند ممن تتوزع فصائلهم أو أقسامهم الصغيرة بين الهندوسية والاسلام . وأما النموذج الثانى فقد غير ديانته بطريقة جماهيرية عامة أنبثق عنها الطبقة الهندية المغلقة الدنيا ، وخاصة فى البنجال (٢) . وهذه النقطة الأخيرة التى تتعلق بالنموذج الثانى وجد ما يشبهها فى بيانات «ماجومدار» *Namasoudras* الإثروبومترية . فالطبقة الدنيا التى تسمى الناماسودراس تقرب وتشابه فى مظهرها الفيزيقي من المسلمين أكثر من اقترابها من الطبقة الهندوسية العليا (٣) .

(١) انظر على سبيل المثال : حلقة البحث نمرة ٢٤ ، أغسطس ١٩٦١ التى خصصت للزعة المحلية Communalism .

(٢) Percival Spear, The Position of the Muslims, Before and After Partition (٢) in : Mason (ed.), Op. cit., p. 33-4.

(٣) Beteille, Race and Descent as Social Categories in India, Op. cit. (٣)

ولقد تعايشت الجماعات الهندوسية والمسلمة في مختلف بقاع الهند كمجتمعات متجاورة جنبا إلى جنب في أماكن مختلفة من الهند لحوالى ألف عام تقريبا . وترتبط الاختلافات الدينية بمجموعة من الاختلافات الأخرى في طرائق الحياة . وهذه الاختلافات ليست دائما واحدة ، لأن واقع هذه الاختلافات يزيد في بعض الاوقات ويقل في أخرى . فالهندوس والمسلمون لا يختلفون في النموذج الفيزيقي ، بل في العقيدة الدينية التي تمد كل مجتمع محلي بأساس واضح لتنظيم هويته وطابعه بما يتعارض مع الجماعة الأخرى . ولقد استعارت كل جماعة من الأخرى عبر القرون ، كما أن كليهما تعرض لقرى تغير متشابهة ومتماثلة ، ومع ذلك لم تختف الفواصل بينهما . وفي واقع الأمر فإن نمط العلاقات الهندوسية الإسلامية في تاريخ الهند الحديث يظهر أنه لابد أن هذه الجماعات أكثر وعيا بما يفصل بين هوياتها من تناقضات خاصة في اللحظة التي تخف فيها وطأة الاختلافات بينها مع طرف آخر .

وينقسم سكان الهند أيضا على أساس اللغة ، وتتقاطع وتتقابل تقسيمات اللغة والدين دون أن تقوى كل منها الأخرى كما حدث ذلك لدك واضح في بعض البلدان مثل ماليزيا وسيلان . هذا بالإضافة الى حقيقة أن كلا من الجماعات القائمة على اللغة ، والقائمة على الدين ، جماعات متعددة وليست اثنتين فقط ، الأمر الذي جعل الصراع بين الجماعات موزعا وليس مركزا .

ويوجد في المجتمع الهندي أكثر من اثنتي عشرة لغة ، ولكن لا يوجد من بينها ما يمكن اعتبارها لغة أم لمعظم السكان . ولا يتوزع المتحدثون باللغات المختلفة توزيعا عشوائيا في أرجاء الهند ، لأن لكل لغة منطقة خاصة تعيش فيها ، لدرجة أن الاختلافات اللغوية تكاد تتطابق مع الاختلافات الإقليمية . فدوليات المجتمع التي تكون اتحاد الهند لها وحدات لغوية ، وهذا يعنى أن الهوية الشعبية التي تركز على اللغة يصبح لها في وقت واحد أساس ثقافي وتنظيم سياسي .

ويمكن للاختلافات اللغوية أن تهيء الظروف لظهور نوعين من التوتر . فعلى المستوى الأول يوجد نزاع بين الدوليات التي تقوم على وحدة اللغة ، حول قضايا خاصة ، كمسألة الحدود أو توزيع ماء النهر (١) . وعلى المستوى الثاني يمكن للمرء أن يواجه بمشكلة لغات الاقليات في كل دولة على حدة ، وهذه المشكلات تحدث بشكل خاص في بعض المدن الكبرى مثل «بومباي» أو «كلكتا» اللتان تميزان المواطنين من مختلف أرجاء المجتمع الهندي . وتعد هذه الحدود الشعبية القائمة على اللغة هامة لأنها تحدد الاتصال بين السكان بالمعنى المحدد لهذا الاصطلاح . وفي الحقيقة فإن الاختلافات اللغوية تلعب دورا محدودا بالنسبة للاختلافات التي تركز على السلالة، هذا بالرغم من وجود حالة تمارس فيها هذه الاختلافات دورا واضحا فيما يتعلق بالسلالة . وتنتمى اللغات الهندية المختلفة الى فصيلتين رئيسيتين هما : اللغة الهندية - الأرية التي يتحدث بها ثلاثة أرباع السكان في الشمال ، ولغات الدراويدين Dravidian التي تنطق بها الدول الجنوبية الأربع ، أى ما يقرب من ربع السكان .

وتعتبر ولايات الجنوب بصفة خاصة منذ الاستقلال عن بعض الخوف من سيطرة ولايات الشمال (٢) ، وقد نمت هناك الحركة الانفصالية السياسية بالرغم من أن تأثيرها كان محصورا في ولاية واحدة ، هي ولاية تاميلاند (٣) Tanjore وكان

Majumdar and Rao, Op. cit., p. 102.

(١)

Selig S. Harrison, India, The Most Dangerous Decade, Bombay, 1960.

(٢)

Robert L. Hardgrave Jr., The Dravidian Movement, Bombay, 1965.

(٣)

من بين مناقشات قادة هذه الحركة : ان الهنود الجنوبيين الذين ينتمون الى الاسلام من «الدايفدين» اصبح لهم هوية منفصلة من حيث السلالة واللغة والثقافة ويجب ان يحرروا انفسهم أولا من سيطرة الهنود الآريين (١) ولقد أصبح الانفصاليون من القامبلين الآن ، في حالة كون ، ولم يعد يسمع أحد عن أى جدل يقوم على أساس سلالى او شعوبى ، ولكن الحواجز اللغوية لم تكن أقل في دلالتها عما كانت عليه من ذى قبل .

لقد انتقلنا لفترة كبيرة من التركيز على الاختلافات السلافية ، الى الاختلافات من نوع آخر ، يعبر عنها في هذه الأوقات باللهجة السلافية . ويجب ألا يفكر في الهوية الشعبية على أنها شيء يمكن ان يحدد طابع وشخصية جماعة في مقابلتها بجماعة أخرى على الدوام . نفس الفرد في الهند له هويات مختلفة باختلاف الطبقة واللغة والدين . وان واحدة من هذه يمكن ان تكون أكثر أهمية من الأخرى . وهذا بطبيعة الحال يتوقف على السياق العام وعلى الموقف . فلا يكفى ان نعرف الحواجز القائمة بين الجماعات ، بل يجب على المرء ان يتفحص ايضا المواقف التى من خلالها يمكن تجاهل بعض الفواصل ، او يصبح البعض الآخر منها له دلالة . وعلى ذلك فانه في اطار سياق معين يتحد الهندوس والمسلمون المتكلمون بلغة التاميل Tamil في مواجهة المتحدثين باللغة الآرية المسيطرة . وفي اطار سياق آخر ينظر الهندوس من الشمال والجنوب الى المسلمين على أنهم غرباء عنهم .

وبالرغم من أن للاختلافات الشعبية ارتباطا بالصراع الاجتماعى ، فان معرفة هذه الاختلافات لا تكفى للتنبؤ بنمط الصراع . فلكى نفهم مدى وشدة الصراعات بين الجماعات الشعبية يجب أن نضع في الاعتبار عددا من العوامل كالاختلافات الموضوعية بينها والوعى الاجتماعى بهذه الاختلافات والتنظيم السياسى المرتبط بهذا الوعى .

وكما لاحظنا فان الاختلافات الموضوعية نفسها ، من انواع متعددة ، وفدتجمع بصفة عامة معا وتتراوح بين الاختلافات الفيزيائية والاختلافات الثقافية . وتستند الاختلافات الثقافية بدورها على الدين واللغة أو الإقليم ، وليس هناك علاقة مباشرة بين درجة هذه الاختلافات ، والمدى الذى يكون الناس من خلاله على وعى بها . فقد توجد اختلافات اللون بدرجة واحدة في مجتمعين ، ومن ثم يكون الناس على وعى وادراك بها في مجتمع في الوقت الذى لا يكونون فيه كذلك في الآخر . وبعد قياس الاختلافات الثقافية عملية شاقة وصعبة . ففي أى حالة من الحالات ، ليس هناك معيار مقنع يمكن للمرء وفقا له أن يقارن مثلا الوعى بالاختلافات الدينية مع الوعى بالاختلافات اللغوية .

وقد يكون الناس على درجة عالية من الوعى باختلافاتهم ، سواء كانت فيزيائية او ثقافية ، دون أن يتطلب هذا الوعى وجود تشكيل أو تنظيم سياسى . ففي المجتمع الهندى التقليدى لا توجد فقط مجرد اختلافات بين الطبقات المغلقة ، غير أن الناس كانت بوجه عام على وعى بهذه الاختلافات ، غير أنه لم تكن تلك الطبقات منظمة دائما في جماعات متعارضة ، لانهم كانوا يبدأون تنظيم انفسهم في ترابطات ، في الوقت الذى يحسون فيه بوهن الوعى أو ضعفه ويصبح من الصعب التنبؤ بمسار الصراع السياسى ، فليس هناك نظرية عامة تساعدنا على أن نتحدد بشكل واضح دقيق طبيعة العلاقة بين الاختلافات الثقافية واتخاذ شكل منظم من الجماعات المتعارضة فيما بينها .

# في علم النفس التجريبي استعمال الحاسبات الالكترونية

لأنود أن ندخل في مناقشة جدلية في مشكلات مثل هل يوجد لدى الحاسب الإلكتروني أي قسط من الذكاء ؟ وإلى أي مدى يشابه عمل الحاسب الإلكتروني وظائف المخ الإنساني ؟ ولكن يمكن أن نتساءل لماذا يجب أن يحتل تنسيق المعلومات والحاسب الإلكتروني منزلة خاصة في علم النفس عامة وعلم النفس التجريبي على وجه الخصوص ؟ فلاشك أنه يمكن الاستفادة من استعمال الحاسبات في هذا المجال كما حدث لغير هذا من مجالات البحث العلمي وخاصة إذا كان اتجاه البحوث يتطلب هذا الاستعمال ، ونلاحظ في هذه الحالة أن الأمر لا يتجاوز استغلال قدرة الآلات الحديثة على تنسيق البيانات وحساب النتائج المطلوبة . ولكن السؤال الأساسي الذي نود أن نعالجه هو : هل يوجد في مجال البحث في علم النفس التجريبي استعمال خاص للحاسب الإلكتروني لأنظير له في أي مجال آخر ومن ثم فإن هذه الاستعمالات الفريدة تجعل من الحاسب الإلكتروني قاعدة العملية العلمية في علم النفس التجريبي ؟ هل يمكن أن يستعمل الحاسب لتكوين نماذج لبعض الانماط السلوكية المعينة ؟ نحن عادة نكتب برنامج الحاسب في لغة رمزية معينة مما يجعل الآلة أي الحاسب الإلكتروني تحاكي بعض تسلسلات الأحداث السلوكية فهل يتضمن ذلك تكوين صورة جديدة للنظرية السيكلوجية ؟

## بقلم: دومنيك لوبين

باحث في معمل علم النفس التجريبي والمقارن في  
باريس . له كثير من المقالات في علم النفس منها : « تكوين  
مفردك المتقارنة » ، و « دور المعلومات السالبة والموجبة في تعلم  
المدرجات الأحادية البسيطة » .

## ترجمة: د. أحمد زكي صالح

استاذ ورئيس قسم علم النفس التطبيقي بكلية التربية  
بجامعة عين شمس ، ومشرف على معمل علم النفس التجريبي  
بالقسم ، والأمين العام لمؤتمر علم النفس الأول سنة ١٩٧١ .  
له مؤلفات عديدة منها : « علم النفس التربوي » ، و « الأسس  
النفسية للتعليم الثانوي » ، و « علم النفس في الإدارة  
والصناعة » ، و « نظريات التعلم » ، و « علم النفس  
التجريبي » ، ومن أبحاثه : « العلاقة بين القدرات العقلية  
والصفات الانفعالية » ، و « القدرات العملية الفنية : ظهورها  
وطرق كشفها » ، و « آطار التعلم : نحو نظرية عربية لتفسير  
التعلم الإنساني » . هذا بالإضافة الى موسوعة الاختبارات  
التي أعدها لمختلف نواحي القياس النفسي .

ولن نحاول ان نعطي اجابات موضوعية كاملة عن كل هذه الاسئلة ولكن سنحاول  
ان نخطط لبعض استعمالات الحاسب الالكتروني في الحاضر والمستقبل في علم النفس  
التجريبي . ويجب ان نحدد هنا أننا في محاولتنا هذه نبني وجهة نظر معينة تربط  
باتجاه نظري ومنهجي معين في علم النفس التجريبي ، ولأشك ان مجال هذا العلم أوسع  
وأضخم من ان يستطيع مؤلف واحد ان يغطي في مقال مختصر مسألة تتعلق بمهامة  
هذا العلم ككل ، ومن ثم فلانتوقع ان يكون هذا المقال معالجة كاملة للموضوع ، بل  
قد يشوبه النقص والتحيز . كما أننا سنتفاضى عن بعض استعمالات الحاسب الهامة  
والمفيدة ، اما لانه لا خبرة لنا بها ، أو لأنها لا تتفق مع وجهة النظر المتبناة في هذا  
المقال .

### استعمال تقليدي للحاسبات

من المسلم به انه يمكن استعمال الحاسب في علم النفس التجريبي كآلة حاسبة  
لأجراء العمليات الاحصائية والعمليات الحسابية اللازمة لتنسيق وتصنيف مآجمعه  
البحاث في صورة بيانات رقمية نتيجة لما أجرى من تجارب ، وقد لا يكون هذا  
الاستعمال أحيانا مسألة عمل آلي مألوف على الحاسب ، ولكنه رغما عن ذلك لا يشر

مشاكل ، ولذلك فهو لا يتطلب منا أى تعليق مطول ضاف . ومن الواضح ان أهمية نتيجة القيمة الاحصائية تكمن في الطريقة المستعملة لا في طريقة اجراء العمليات الحسابية الخاصة بهذه الطريقة أو تلك . ومن ثم يكون اجراء هذه العمليات على الحاسب أو على غير الحاسب من الآلات أمرا ذا أهمية ثانوية . ومع ذلك لا ينبغي اطلاقا انكار فائدة سرعة الحاسب وقدرته في اجراء العمليات الاحصائية الامر الذى يسر للباحث ان يطبقوا على بياناتهم طرقا ومناهج احصائية كانوا شاعرين بأهميتها ومع ذلك تجنبوا استعمالها نظرا لما تتطلبه من زمن وأعمال حسابية معقدة ، وخير مثال لذلك طريقة هونلنج في التحليل العاملى (التي تجنب علماء القياس النفسى استعمالها فترة ما نظرا لصعوبة استعمالها ، وأصبحت الآن بفضل الحاسب الالكترونى أمرا سهلا للاستعمال ميسور التطبيق على أى مصفوفة ارتباط بين أى مجموعة من المتغيرات) .

وتكن قيمة تشغيل البيانات على الحاسبات بوجه عام فيما يسره من استعمال طرق تحليل متعددة مختلفة ، مما يتيح اجراء جميع أنواع المقارنات بين فئات البيانات ونتائجها ، أو بين طرق التحليل . وهذه الإمكانية هى التى تفتح الطريق للدراسة الموضوعية لطرق تجهيز البيانات عن طريق دراسة تفاعل هذه الطرق مع البيانات والوقائع .

ومما هو جدير بالذكر في هذه المناسبة ان الاستعمال المنظم للحاسب الالكترونى قد يساعد في وضع نهاية لبعض التعارضات التقليدية للتفضيل بين طرق التحليل المختلفة ، فبالا يلاحظ نوع من التقارب بين النتائج المستخلصة من تطبيق طرق احصائية مختلفة على المجموعة الواحدة من الوقائع والبيانات ، ومثل هذا التقارب غالبا يلاحظ مثلا بين نتائج الطرق غير العلمية والطرق الخطية لتحليل التباين ، حتى حينما لاتتوافر شروط صحة استعمال هذه الطريقة الأخيرة . ومثل هذه النتائج ، مع ذلك ، لا يمكن اثباتها نظريا ، بل على العكس يمكننا بوجه عام ان نبين عن طريق استعمال امثلة مقابلة مناسبة ان الطرق المختلفة قد تؤدي في بعض الحالات لا الى نتائج متباعدة فحسب بل كذلك الى نتائج متصارعة . وحينما نلاحظ تقاربا بين نتائج الطرق الاحصائية المطبقة على المجموعة الواحدة من الوقائع والبيانات فاننا نستخلص نتيجتين هامتين في هذه اللحظة بالنسبة للبحث :

اولا : ان الطرق التى استعمالها الباحث دقيقة وجيدة بدرجة تبعتها عما يعترى الوقائع والبيانات من نقص وعدم كفاية ، وغير ذلك من الشروط والمعايير الاحصائية الواجب توافرها (مثل التوزيع الاعتدالى وتجانس التباين) وما الى ذلك مما يلزم من شروط لصلاحية تطبيق طريقة احصائية معينة .

ثانيا : ان الوقائع والبيانات المستخلصة اقل كفاية من حقيقتها في ظاهرها ، فهى اقل ثراء مما يمكن فيها ، حيث تظهر البيانات خصائص الانتظام والاطراد التى تفسر في الواقع ما يحدث من تقارب بين النتائج المستخلصة بطرق متباينة الاسس وغير متشابهة .

وهكذا يتضح مايمكن ان يشره التحليل الشامل للوقائع الذى لايتيسر الا بتعميم استعمال الحاسبات ، من ضرورة اعادة نظر ومراجعة الاسلوب التقليدى المستعمل في اعداد البيانات . ومع ذلك فاننا اذا لم نطل الحديث عن هذا النمط من الاستعمال فان سبب ذلك ليس البتة هو ضعف علاقتها بطرق البحث العلمى ووسائله ، ولكن لان الحاسب في هذه الحالة يقوم بدور ثانوى لما يقوم به الباحث من نشاط سواء من



الجانب النظرى أو الجانب المنهجي وانه أى الحاسب لا يؤدي أى دالة أو وظيفة تكامل في العملية العلمية بمعناها الدقيق ، حيث أن دور الحاسب هنا لا يختلف عن دوره في أى فرع آخر من فروع البحث العلمى .

وسيبدو الامر مختلفا الى حد ما ، على الأقل في التحليل الاولى ، تبعا لنوع الاستعمالات التى سنتضمنها معا تحت عنوان المحاكاة .

## الحاسب والمحاكاة

يلعب مفهوم المحاكاة دورا أساسيا في بعض مجالات العلم الحديث مثل السيبرنتيك وبعض الأبحاث الهندسية في التشغيل الآلى للأعمال المعقدة . وقد بذلت المحاولات في هذين المجالين لتصميم أجهزة قادرة على محاكاة بعض أساليب نشاط الكائن الحي أو نتائج بعض هذه الأنشطة . وخير مثال لذلك : الأبحاث على الذكاء الصناعى أو على الترجمة الآلية من لغة لأخرى ، ولاشك أن أنماط هذه الأبحاث تكون على درجة كبيرة من الأهمية لمجال علم النفس التجريبي وخاصة مايمكن أن يطلق عليه «المحاكاة الحاسوبية» في علم النفس .

ويتوقف معنى المحاكاة في هذا المجال ودلالاتها على علاقتها بمعنى النموذج ، وفي علم النفس التجريبي (وخاصة في قطاعه الصوري الذى يعرف باسم علم النفس الرياضى) فإن المصطلح «نموذج» يطلق على أى تكوين رياضى يتضمن مفاهيم وفروضا (علاقات) تكون قد حددت وصيغت وشكلت بطريقة تيسر إجراء التنبؤات الخاصة ببعض معالم سلوك الأفراد في موقف تجريبى معين . ويمكن أن يقال ، بتعبير أدق ، أن النموذج هو نظرية دقيقة أى ميكرو نظرية متقنة الإيجاز وقابلة للاستقاق . أما أن يكون النموذج دقيقا أى ميكرو فذلك يتوقف على مدى ما يكون محال تطبيق النموذج محدودا ( خلافا ما يحدث في حالة النظرية بمعناها العام ) مادام نمط السلوك ونوع المواقف التجريبية المدروسة في الحاسبات محدودين . أما أن يكون النموذج قابلا للاستقاق أو مشتقا فذلك لاننا نتطلب من النموذج ( وليس هذا هو الحال في كل النظريات حتى المصوغ منها ) أن يسر لنا ( حينما يعطى أو يزود بمواصفات معينة خاصة بالموقف التجريبى ، أو خاصة ببعض معالم النموذج ، الخ ) أن تنبأ بمعالم السلوك الملاحظة التى صمم النموذج لتوضيح كنهها . وتعنى هذه التنبؤات ، على سبيل المثال ، بالقيم الاحصائية النظرية التى قصد بالتجربة أن تزودها بالقيم الملاحظة . وهكذا تكون المقارنة بين النوعين من القيم هى أساس المقارنة بين النموذج من ناحية والسلوك الملاحظ من ناحية أخرى .

ويمكن أن يقال بوجه عام ان المحاكاة تطابق عملية الاستدلال التى تؤدي من النموذج الى التنبؤات عن الظواهر الملاحظة . ويمكن أن نقول ان الفرض هو أن نجعل النموذج يعمل خلال عملية المحاكاة ، كي نحصل على بيانات مقلدة يمكن مقارنتها بالبيانات الملاحظة في التجريب . وهنا يدخل دور الحاسب ، فهو في الواقع أداة ممتازة للمحاكاة بالمعنى الذى عرفت به المحاكاة . ومع ذلك يمكن أن نذكر أن استعمال الحاسب الالكترونى ليس من الضروري الالتجاء اليه دائما ، ففي بعض الحالات الجيدة التى يكون فيها تكوين النموذج كموضوع رياضى أمرا بسيطا يمكن أحيانا استخلاص بعض التنبؤات بالطرق الرياضية المباشرة . وقد درست بهذه الطريقة أول نماذج التعلم الصدفية التى سجلت في نشوء علم النفس الرياضى . ومع ذلك

فانه مما لاشك فيه ان الحاسبات تلعب دورا حيويا في نماذج المحاكاة ، ويمكن التنبؤ بان هذا الدور ستزداد اهميته في المستقبل كلما ابتكرت الابحاث نماذج أكثر تعقدا لاتخضع للتحليل .

ويبدو دور الحاسب في بعض الاحيان أساسيا الى حد ان بعض المؤلفين لا يترددون في التوصية بان تشغيل البيانات وتجهيزها أوجدا شكلا جديدا تماما وبتكرا لتكوين نظريات سيكلوجية . ويلوح ان هذا الرأي يقوم أساسا على انه في كثير من الحالات يمكن اجراء صياغة واضحة ودقيقة للنموذج في صورة نظام العد الخوارزمي ( العد العربي (1) ) وهذا النموذج يتمثل في لغة الفورتران في ب.ل.أ. وغيرها ، فاذا عمل النموذج والبرنامج بالطريقة نفسها بمعنى انه اذا تمكنت النظرية من صياغة الموضوع المجرد بطريقة تجعله مطابقا مع الترجمة التي تعطيها لغة تشغيل البيانات فمن الواضح ان العلاقة أو الرابطة بين النظرية والتنبؤ تصبح بسيطة ومباشرة ، وبذلك تكون المحاكاة هي نتيجة تطبيق البرنامج الذي يعبر عن النظرية . ويبدو ان هذا الأسلوب يتجنب الصعوبات المنهجية التي تنشأ عادة من طبيعة العلاقة غير المباشرة بين النظرية وتنبؤاتها ، وهذا مما يجعل الأمر صعبا من حيث صلاحية النظرية لتفسير نتيجة المقارنة بين التنبؤات والوقائع التجريبية . والواقع ان الحقيقة التي تتمثل في اننا نستطيع ان نكتب النظرية للحاسب ونتركها له كي يستخلص النتائج تبشر فيما يبدو بإمكانية عقد مجابهة ومقارنة مباشرة بين النظرية والتجريب مما يترتب عليه تكوين مثل أعلى للبساطة المنهجية يرئو اليه علماء علم النفس التجريبي . ويلوح ان مثل هذا التصور (الذي يمكن ان نتبع بعض آثاره في بعض الدراسات المعاصرة) هو دليل واضح لما يشعر به الباحث من تقدير واعجاب للحاسبات الالكترونية ومادته من خدمات لهم في علم النفس وغيره من الميادين . ويبدو من غير الواضح تماما سبب اختفاء المشكلة المنهجية النظرية غير التجريبية التي اشرنا اليها فيما يخص بالعلاقة التي تربط بين النظرية والتنبؤات والتجريب ، مادام يمكن التعبير عن النظرية في صورة تتناسب مع لغة الحاسب ثم يضطلع الحاسب بدور المحاكاة ، الا اذا كانت هذه المشكلات باطلة لاساس لها ، وهذا يحتاج في نظرنا الى اثبات . ان اساس المشكلة يوجد في المعنى الدقيق الذي يرتبط بالمصطلح «نموذج» فاذا كان صحيحا ، كما اشرنا ، ان النموذج هو تكوين منطقي رياضي ومن ثم فهو تكوين صوري (فرضي) وبالتالي يمكن صياغته في نظام خوارزمي (عشري) . ومن ثم في مصطلحات قابلة للبرمجة فان هذه الحقيقة تظل ثابتة مادام هذا التكوين ناتجا عن عملية صياغة (ايجاز) أساسها مدركات وفروض غير مصوغة . ويمكن التعبير عن ذلك مجازا بقولنا انه يجب ان ننظر الى جوهر النموذج على انه لا يتضمن حالة اختفاء التكوين الشكلي (الصوري أو الفرضي) فحسب بل كذلك جميع مراحل التكوين التي تؤدي لهذه الحالة الاخيرة خلال عمليات تجريد المفاهيم والعلاقات ومزجها وتعريفها وفصل وحداتها ، ومع ذلك فان عملية اتحاد النموذج والبرنامج كل منهما في الآخر هي عملية معادلة لاتحاد النموذج مع حالته النهائية الكاملة في صورة عشرية خوارزمية عن طريق عزل هذه المراحل عن عمليات الصياغة الاخرى ومن ثم يمكن أن ندعى بدء

---

(1) الخوارزمية نسبة الى العالم العربي محمد بن موسى الخوارزمي ، وهو نظام العد العربي من الواحد الى تسعة مضافا اليها الصفر ، ويسمى أحيانا النظام العشري ، وهو نظام العمل الكودي في الحاسبات (الترجم)

بزوغ نظرية كاملة من العدم في عقل عالم النفس الموجه توجيهها حاسبيا . وبطبيعة الحال في رأينا أنه يجب التعبير عن التكوين المجرد للنموذج في صيغة البرنامج كلما أمكن ذلك على شرط أن يؤخذ البرنامج كما هو أى ان تكون محاكاة البرنامج مرتبطة بالنموذج لا بجوهر النظرية وراء عملية المحاكاة (1) .

والواقع ان امكانية ربط برنامج المحاكاة بالنموذج لا تكفى ولا تضمن حل المشكلات المنهجية الناشئة عن العلاقة بين النظرية والتنبؤ وبالتالي بين النظرية والتجريب .

### الوقت المناسب

سنعالج الآن استعمال الحاسب بطريقة تختلف عما نوقش به حتى الآن وبطريقة يلوح انها نادرة الشروع ، ومع ذلك فانا نعتقد ان هذه الطريقة ستحظى بالقبول العام سريعا مادامت تقدم وتعتبر عن استغلال قدرات الحاسب المناسبة تماما لخصائص البحث في علم النفس التجريبي وما يقصده هنا هو استعمال الحاسبات في ما يسمى بالوقت المناسب (مرحلة التخزين) او بتعبير أدق تكامل الحاسب في الميكانيزم التجريبي .

ولتوضيح معنى هذا الاستعمال ومضمونه يجب ان نعطي فكرة عن مكونات التجريب في علم النفس فالفرض من التجريب في علم النفس هو ان نتيج الفرصة للملاحظة ظواهر سلوكية معينة مثل سلوك حل المشكلة أو تعلم استعمال كلمات معينة او نماذج من الاستجابات الادراكية) وملاحظة هذه الظواهر السلوكية في مواقف يسيطر عليها منظم التجريب . وهذا الضبط يتيح لنظم التجربة ان بنوع او بغير من بعض معالم الموقف لدراسة العلاقة بين هذه التغيرات وما يحدث من تغيرات مقابلة في خصائص سلوك الملاحظ والسجل . وسنستعمل مصطلح «قاعدة التجريب» للدلالة على الطريقة المتبعة من العالم المحرب لتحديد حالة الموقف في كل لحظة على ضوء خصائص التغيرات الخاضعة للضبط ، والواقع ان مفهوم «قاعدة التجريب» يتضح في تلك الحالات (وهي عديدة) التي يمكن تقسيم مدة التجريب فيها الى سلسلة من الفترات التي تتميز بظهور أحداث من نوع واحد . وخير مثال لذلك هو ما يحدث في التجارب الشرطية ففي المرحلة الاولى ينقسم «التجريب» الى سلسلة من المحاولات كل منها يتضمن هذه الاحداث المتتالية : تقديم المثير الشرطي ثم المثير غير الشرطي ثم الاستجابة ، وهنا تكون قاعدة التجريب هي المسئولة عن تحديد لحظة ظهور كل مثير ومدة ظهوره . وبوجه عام تحدد قاعدة التجريب التوزيع الزمني للأحداث المرتبطة بخصائص التغير الخاضع للضبط التجريبي .

ونعود فنعتبر بطريقة بسيطة عما يحدث في الحاسب الالكتروني فنطلق على

---

(١) يمكن للنموذج الواحد ان يؤدي الى مجموعة برامج محاكاة لا الى برنامج واحد . بيد ان الانتقال بين النظرية والبرنامج القابل للتشغيل لا يتم مباشرة بل يجب مراعاة مجموعة من الشروط مثل الموقف التجريبي ومعالم النموذج وغيرها . اما المطابقة التامة بين البرنامج والنموذج فانها لا تؤدي الا الى تقليد كبير في مجال تطبيق النموذج . وهنا لابد ان نفرق بين «النموذج» و «قوة النماذج» كما نفرق بين «البرنامج» و «قوة البرنامج» .

سلسلة الأحداث مصطلح «المثيرات» ، ومجموعة الخصائص السلوكية التي تلاحظ ومسجل مصطلح «الاستجابات» ومن ثم فان «المثير» و «الاستجابة» هما نموذجان للظواهر المتغيرة الحادثة أثناء التجريب ، وبينما يكون يكون التنوع في المثير خاضعا لسيطرة الجرب يكون تنوع الاستجابة بحكم تعريفها خارج نطاق هذا الضبط والسيطرة (مادامت هي موضوع الدراسة) كما أنها تحدث نتيجة تفاعل بين الفرد والموقف .

وميزة الحاسب الالكتروني في الطريقة التجريبية واضحة : ومع التسليم بتطبيق قاعدة التجريب مما يتناسب مع البرنامج الخاص فان الحاسب يظل باستمرار مسيطرا على حالة الميكانيزمات السطحية الخارجية التي تكون بدورها الاطار الشامل والمدمج للمثيرات ، كما انه يسجل فورا المعالم المميزة للاستجابات المسجلة بواسطة ميكانيزمات مناسبة أخرى . وهكذا يؤدي استعمال التجريبي للحاسب الى نوع من آلية التجريب ، وعلاوة على قيمته في تيسير التقنيين التجريبيين الكامل والقدرة على تكرار وانتاج التجارب فانه ييسر كذلك دراسة قواعد أكثر تعقيدا للتجريب كما انه يسجل الدلالات الدقيقة للاستجابة بطريقة لا تتوفر في استعمال الطرق التقليدية حتى الالكتروني منها . بيد ان الآلة في حد ذاتها قد تكون نوعا من التحصيل الثانوي ، ويصبح من الصعب العسير وصفها بأنها تقدم فنى بالمعنى الدقيق ، اذا لم يكن استعمال الحاسب في هذه الدراسات وسيلة لفتح آفاق جديدة تماما عن طريق إتاحة فرص جديدة لتطبيق قواعد تجريبية معينة لم يسبق استعمالها من قبل نتيجة عدم وجود وسائل تعد وتهيء لها . ومن بين قواعد التجريب يجب أن نخص بالذكر تلك القواعد التي تتميز بأن تجعل المثير يعتمد في لحظة ما لا على غيره من المثيرات الحاضرة فقط ، وهذا أمر شائع ، بل كذلك على الاستجابات السابقة .

ومن المؤكد أن الشروط المحكمة في التجريب التقليدي «غير الحاسبي» تحول دون استعمال مثل هذه القواعد ، اللهم الا في بعض الحالات ذات البساطة النادرة، مادام اختيار المثير المطلوب استعماله في لحظة ما يجب أن يتم في لحظة قصيرة جدا بعد تسجيل الاستجابة السابقة (وهذا الاختيار قد يقتضى بعض العمليات المعقدة على مجموعة ضخمة من البيانات والوقائع) وهذا الاختيار لا يمكن للتجربة أن تجيزه في برهة سوية تتفق مع إيقاع نشاط الفرد التلقائي .

وعلى خلاف ذلك تكون عملية الاختيار هي البساطة نفسها ، نظريا على الأقل، حينما تستعمل الحاسبات الالكترونية ذات السرعة العالية ، التي في مقدورها أن تحسب في كل لحظة الحالة المطلوب تبليغها (اعطاؤها) للجهاز ، وذلك بفضل مايتضمنه البرنامج من تعريف قاعدة تجريب البيانات الأساسية الخاصة بالمثيرات السابقة والاستجابات بما في ذلك أحدثها . وهكذا يتيسر لنا استعمال خاص تماما للحاسب الالكتروني ، نكون فيه قد استطعنا استغلال قدرته للعمل في الزمن المناسب أو الزمن الأقصى الى أقصى حد .

ويعتمد قولنا أن جهد الحاسبات وامكانياتها في هذا المجال تفتح آفاقا جديدة للتجريب على اعتبار أن علم النفس التجريبي يؤسس في نموه وتطوره على قدرته على تسجيل خصائص السلوك الملاحظ في المواقف التجريبية المبسطة ، بيد أن خصائص السلوك هي نتيجة التفاعل بين الميكانيزمات التي تتعلق بالفرد والتغيرات الطارئة في الموقف الخارجي ، ولاشك أن علم النفس التجريبي يضيق من مجال دراسة وقائمه ، كما وكيفا ، حينما يقتصر على قواعد التجريب التي تجعل المثيرات

الحادثة في الموقف الخارجى مستقلة تماما عن استجابات الفرد ونشاطه ، لان المجال الحقيقى هو دراسة التفاعل ، عن طريق ملاحظة السلوك ، بين ميكانيزمات الفرد وتغيرات الموقف الخارجى . ففى المواقف التجريبية التقليدية يكون من الصعب الى حد كبير الحديث عن التفاعل مادامت التغيرات الموقفية محكومة بعملية مستقلة تماما عن استجابات الفرد ، ومع ذلك فان التفاعل هو القاعدة فى التسلسلات السلوكية «الطبيعية» اى فى نشاط الفرد الناتج فى تعديلات مستمرة لشروط المجال الذى يحيط به .

ومما هو جدير بالذكر اننا لانعالج فى هذه الفقرات الصفة او الخاصية الاصطناعية كما توجد فى الموقف التجريبى التقليدى ولكن بالاحرى نعالج الجذب والعوز الناتج فى اغلب الحالات عن القصور الكامن فى قواعد التجريب المستعملة . ولاشك ان اصطناعية المواقف العملية هى نتيجة لايمكن تجنبها للحاجة الماسة للضبط التجريبى لهذه المواقف ، وهذه الحاجة لايمكن تجنبها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى نعتبر انه من الامور المرغوب فيها جدا انه يجب ان يبدل كل جهد للتحرر من هذه القيود المفروضة بواسطة الشروط التقليدية للتجريب . والواقع ان ذلك لايعتبر من المرغوب فيه فقط بل كذلك يعتبر جوهرى اذا كنا نريد تنمية طريقة ما حديثة معاصرة لمقابلة مشكلات علم النفس التجريبى . وهذا فقط هو مايجعل استعمال الحاسب فى العملية التجريبية ذا قيمة ، ولايقصد بذلك عودة الى الشروط الطبيعية التى تعتبر على اية حال حاضرة دائما ، بل بالاحرى اثناء البيئة المصطنعة فى العمل ، فى حين نحتفظ فى الوقت نفسه بشروط الملاحظة الدقيقة الضابطة فى أقصى قوة لها .

### خاتمة

وخير ختام لهذا المقال هو عمل تخطيط لبعض النتائج الممكنة التى يحتمل تحقيقها نتيجة استعمال الحاسبات الالكترونية فى مسيرة ربح العلم ، ويمكننا ان نصور الوقت ، وهو ليس ببعيد ، الذى ينتشر فيه استعمال الحاسبات بجميع مستوياتها الى درجة كبيرة تلزم طبيعة العمل الفنى لاختصاصى علم النفس التجريبى ان تنتج جانبا وتفسح الطريق لنمط آخر من العمل معادل لنمط الانتاج الصناعى على مستوى البحث العلمى . وبتمثل ذلك فيما يستلزمه ويتطلبه تكاثر التجارب وتحليل البيانات التجريبية وقواعد التجريب المختلفة والنماذج من مهارة فى معالجة مشاكل تناول البيانات . ولاشك ان آلية بعض هذه العمليات (مثل تجميع البيانات وتشغيلها ومحاكاة النماذج وتزويدها بالبيانات) التى يملك الباحث المعاصرون خبرة تامة بها ، واصبحوا بثقون فى اجرائها وتنفيذها على ماوهوا من بدهاء وبصيرة دون اعتماد الا على قليل من النظرية ، ان هذه الآلية تجعل تبنى مناهج بحث دقيقة صارمة لا تقلل غير مسر واحد اكثر ضرورة من اى وقت مضى ، اذا كنا نود ان لانحد انفسنا غرقى تحت كتلة ضخمة من البيانات المتناثرة غير القابلة للاستعمال والتى لا قبل لنا بها .

وفى رايانا ان تنمية استعمال الحاسبات الالكترونية سيضطر العاملين فى البحوث الى بذل جهد اكبر لبناء ممارساتهم العلمية - التى مازالت بدئية وتجريبية - على أسس نظرية سليمة متينة ، ولاشك ان ذلك لا يعتبر بحال من الأحوال اقل مايجب من فوائد نتيجة استعمال الحاسب الالكترونى فى علم النفس التجريبى .

# الحاسب الألكترونى

## وتحليل الأساطير

يستطيع العقل البشرى ان ينقب عن أعماله التى تتكشف فى اثنين من أروع منجزاته وهما الاسطورة والحاسب الالىكترونى حيث يمكن تبين أصداء كل منهما فى الآخر .

«من بين تلك الآراء التى تبنى على أساس قليل من المعرفة الاعتقاد بوجود قوة خلق لانهاية فى الخيال البشرى ، ومعالجة الاساطير فى مختلف المناطق عن طريق ترتيبها فى مجموعات مقارنة ، تجعل من الممكن تحديد تكوين العمليات التصويرية التى تتكرر مع الانتظام الواضح للقانون العقلى . ولذلك فبينما تكون بعض تفصيلات القصص ذات أهمية نسبية ضئيلة الا انها قد تأخذ هيكلًا مرموقًا فى العقل البشرى (تيلور ، ١٩٥٨ من ص ٢٧٣ - ٢٨٢) » .

وقد كتب تيلور هذه السطور منذ مائة عام فى سنة ١٨٧١ وفى أيامنا هذه تناولها بالبحث «ليفى شتراوس» ولكن لا توجد آلة أقلر - أساسا وبأى معدل - على مثل هذا العمل من الحاسب الالىكترونى .

## بقلم: بيير ماراندا

قبل أن يصير بيير ماراندا أستاذًا مساعدًا للأنثروبولوجيا  
في جامعة كولبيا كان يشتغل بالتدريس والأبحاث في جامعة  
هارفارد وفي المدرسة العملية للدراسات العليا في باريس .  
له حوالي ١٢ مقالا ، كما أسهم مع آخرين في إخراج عدد من  
المؤلفات عن النسب ، وعلم الأساطير ، والهياكل الاجتماعية .

## ترجمة: محمد عصام زناتي

ضابط اعلام علمي بالمركز القومي للاعلام والتوثيق .

---

فاذا استعملنا الكتابة واتخذنا الماء كمثال فيمكننا أن نميز بين الرموز الثقيلة  
وغير الثقيلة . أما الأولى فهي الكلمات الرئيسية في الثقافة التي تكون الهيكل المعنوي  
الذي تقوم عليه الجماعات الانسانية واليها يرجع السبب في تنوعها ومنه تستمد  
ديناميكيته . ومثل هذه الكلمات الرئيسية توجد في الاساطير وهي التي تجعل من  
الممكن استنتاج اجابات معنوية لها أهميتها وكمثال لذلك «رؤوس المجاميع» (ماراندا  
١٩٦٩) . ومن هذه الكلمات كلمة (سمكة القرش) التي يستعملها سكان السواحل في  
ميلانيزيا وكلمة «الحما» Parent-in law التي يستعملها عدد كبير من القبائل  
والعشائر وكلمة Incent (زواج محرم) . أما الرموز غير الثقيلة فهي تخطيطات أو  
ابتكارات ادبية وهي بهذه الصفة تكون سريعة الزوال .

وان التطور البطيء للرموز الثقيلة عبر اجيال من التفكير يؤدي الى تنقية  
النطق الذي يتدرج الى مستوى اللغة ، وفي بعض الاحيان يصبح هذا الاسلوب فعلا  
جزءا منها حيث تتضمن الادب غير المكتوب كما اوضحت ذلك دراسات فيلبس ،  
شمكين وسيبورك كونجاس وماراندا وآخرين . . وعلى أي حال فان الحاجة تلعب  
الى الكثير من العمل المنظم تنظيما عاليا (انظر ماراندا ١٩٦٩ ب) لمعرفة الخطوط

العريضة للدراسات المقترحة . وفي حالة استكمال هذه الدراسات سوف تتضح مدى مساهمة دراسة الاساطير في تطوير نظرية الاتصال كمثال تحتوي الاساطير على عامل كبير محدد ، وعلى ذلك فهي ذات حشو (قو) اقل من لغتنا المكتوبة التي تبدو لاول وهلة مثيرة للدهشة بالنسبة للحاجة الى نقل الرسائل دون تحريف . تلك الرسائل المفروض نقلها سليمة من أحد الاجيال الى الجيل الذي يليه (أنظر ماراندا وكونجى ماراندا ١٩٧٠ وماراندا ١٩٧٠) . كذلك يظهر أن تركيب الاساطير مرتبط بنظريات شانون عن سعة الاستماع وسعة القنوات كما هو مذكور في النظرية الرياضية للاتصال (ماراندا ١٩٧٠) . وحيث انه من الممكن قياس تماسك المجتمع وكذلك قنوات الاتصال لمجموعة حفظ الاساطير فان الفهم الاعمق لتركيب الاساطير في جميع الاحتمالات سوف يساعد على تطوير هذه النظريات .

في هذا المجال يمكن قول الكثير عن تماثل التركيب للدوائر الحساب الالكترونى ومحولاته - خاصة العاكس الثنائى المعروف باسم (فليب فلوب Plip-Flop) والدوائر البولونية في الفكر الاسطوري (ماراندا ١٩٦٩ ب) . في ١٩٥٥ أشار ليفي شتراوس الى الطريق بواسطة فرضه الخاص «معادلة انجما القياسية» . ومنذ ذلك الحين استمر العمل بواسطة ليفي شتراوس نفسه وجريماس ١٩٧٠ وآخرين (مورين ١٩٦٦ ، كونجى ماراندا ١٩٦٩ ، ليتش ١٩٧٠ : التحليل بواسطة الحاسب الالكترونى للامثال الفرنسية في متحف الفنون والتقاليد الشعبية (ماراندا ١٩٧٠ ب) وهؤلاء قد فعلوا الكثير لايضاح الاسس الميكانيكية للاساطير . وهذا الموضوع يمكن معالجته بكفاءة عن طريق البحث بين أخصائى الاساطير وأخصائى تحليل البيانات .

ليس الغرض من هذا المقال فحص هذه الآراء أو التساؤل عن كيفية اسهام دراسة الاساطير في نظرية الاتصال وتنسيق البيانات ، ولكن الهدف منه أن نعريف كيف يساعد تنسيق البيانات في دراسة الاساطير .

اولا دعنا نعيدماقاله آخرون مثلاً جرانجر ١٩٦٠ ومولز ١٩٦٧ - «أن الحاسب الالكترونى يجبر المحلل على أن يأخذ في الاعتبار أشياء لم يكن ليعمها اهتماما اذا كان يعمل بدونه» . ومن أهم مقتضيات العمل بالحاسب الالكترونى الاساسية لتقدم الأبحاث انه يمنع التضارب .

وفي هذا المجال دعنا نعطي مثالا في مجال الالفاظ العامة التي تحدد البحث حتى يمكننا منع التضارب ، فهناك لفظا Heuristics, Algorithm ، ويمكن كتابة موضوع كامل عن Algorithm (الجورثم) واستعمالها في الحساب والمنطق ، ويمكن تعريفها بصفة عامة مبدئيا حتى نقلل من اللبس «بانها نظام متكامل من الخطوات تجاه هدف محدد» أما اللفظ الآخر Heuristics فهو على العكس يعنى استراتيجية غير محددة . أما الحاسب الالكترونى فانه يفتدى بالمعلومات الكافية لان يقوم بعمليات منتقاة .

وعلاوة على ذلك فان الحاسب الالكترونى اذا زود بسلسلة شبيهة بالسلامل المحددة للنماذج الثقافية النوعية ( e. g. for Russian folklore )



اساطير صناعية ، وهنا نجد أن سلاسل ماركوف Markov ستساعد كثيرا على إعطاء تعليمات محددة ، ومن جهة أخرى فإنها تعمل على كشف نماذج مماثلة في أجسام أخرى ، ولكن هناك توقعا آخر ، فالذي تسعى إليه هو تفهم القواعد التي تتحكم في تكوين النماذج داخل الجماعة والمبادئ الثقافية أو القواعد التي تجعل Certain Syntagma ممكنة أو مستبعدة أو كامنة الخ ، ثم نعمل بعد ذلك على كشف عمليات النقل في مجموعة من القواعد تجعل من الممكن الانتقال من مجموعة من العلامات الى أخرى (قانون Code ) ، سواء في جماعة منها أو في جماعات أخرى .

والآن فلندخل في صلب أو لب الموضوع ويجب أن نعرف معنى كلمة قاموس Scriptor, Dictionary التي سبق تعريفها في نشرات أخرى ، فالقاموس هو باختصار مجموعة من Scriptor (الواصف . الشارح . الراسم) وال Scripts يتكون أساسا من البيانات التي توضحه ويجب أن تخضع ال Scripts الى التفسيرات البديهية أو الحدسية مادامت كلمات اللغة تستعمل لتسميتها ، ولكن يجوز الرجوع الى الأرقام كما هو الحال في العقل الالكتروني، وإن اعتماد تكوينها على Semic analysis أو مشابهته له يعتبر تقريبا . وفي الواقع فإنها تكون أساس لغة انتقالية Metalanguage بدونها لا يمكن التقدم بعد ذلك ، ولكن القواعد التي تتحكم في عضوية الطرازات النوعية المصممة بواسطة ال Scripts يجب تحديدها أما بأن يكون لها الأولوية إذا كنا نسترشد أو نتبع فرضا أو نظرية ، وأما على أساس معلومات تجريبية عن التصنيفات التي تحدد ما يجب تحليله . ويتفق الجميع على وضع الفاظ (مطرقة أو الفأس الصغيرة والمنشار) تحت عنوان (آلة) ولكن عندما نضع كلمة «سمكة القرش» في اللغة الميلانيزية مع «التصاح والثعبان والاختبوط في عداد تبجيل الأسلاف فلا يستطيع أن يتبينها إلا محلل ملم بالجماعات البدائية .

والآن فلنتبع موضوع الاساطير الميلانيزية . ومن المعلوم أن التشعب الجنسي في هذه المنطقة الثقافية له أهمية عظمى في النظام الاجتماعي . ومن المسلم به أيضا أن التشعب الزوجي يتخذ شكل اتجاهات متعددة في شبكة غير معلومة حدودها وتشكيلها وأنماط تجمعاتها. والبيانات التالية التي تسير من التعميم الى التخصيص توضح كيفية تناول الموضوع :

١ - أذكر جميع الحوادث في جمل من الكلام العادي أو بالإشارة الى التشعب الزوجي Sexual dichotomy مع الرجوع الى ال Descriptor حسب تعريفه في القاموس .

٢ - بين موضع هذه الحوادث في كل أسطورة .

٣ - ارسم الخط البياني للبند (٢)

٤ - أجمع الحوادث أو الحالات التي تكون فيها علاقة الرجل والمرأة ولترمز لها بحرف «R» بحيث تكون تساوي التفوق (حسب تعريفه في القاموس) وسنعتبر عنه هنا بعلامة ، وبقرا بعد ذلك من الشمال لليمين .

٥ - اعكس اتجاهه القراءة في بند (٤) وفي هذه الحالة تكون « $\pi$ » معناها الخضوع .

٦ - اجمع الاساطير الموجودة في ٤ و ٥ .

٧ - ضع رمز  $M.W$  للرقم ٤ والرمز  $W.M$  للرقم ٥ لكل اسطورة في المجموعة (٦) وهذا يؤدي بنا الى السؤال رقم (٨) .

٨ - هل  $M$  تساوى  $W$  واذا كان الامر كذلك . اكتب بيانا بذلك .

٩ - هل هناك علاقات مساواة اخرى بالمنزل بالمعنى الاجتماعى كما هو مبين بالقاموس ؟

١٠ - او خارج المنزل ؟

فاذا تبين وجود علاقات بين الاخوة من جانب والاخوات من جانب آخر فيمكننا أن نضيف الى ماسبق السؤالين ١١ و ١٢ .

١١ - الاخوة : الاخوات ومامفرى ذلك .

١٢ - اخوات : اخوة ومامفرى ذلك .

ويمكننا بعد ذلك أن نبحث عن علاقات اخرى بين الاقارب او بين الطاعم والمطعم وبين المضلل والمضلل وبين المعتدى والمعتدى عليه .. الخ .

وبذلك تكون لدينا قائمة بالعلاقات الكونية والمتعلقة بالارصاد الجوية واذا ماحددنا الهيكل او (الشبكة) لجسم واحد فيمكننا بعد ذلك أن نستمر في اختبار التشكيلات التي حصلنا عليها ، وان نكشف عن أسباب ممكنة لهذه الاختلافات . واذا انتقلنا من منطقة سكانية الى غيرها حيث تتشابه او تختلف الظروف الابدولوجية فاننا نصل الى بعض الحقائق الثابتة .

وهكذا اذا عملنا على تغيير العلاقات بين الاناث فسوف تظهر اساطير وصور سماوية محتملة سوف نراها ممثلة في بعض جماعات غينيا الجديدة ، كما أننا سوف نجد أيضا أن القواعد التي تتحكم في المركز الأسطوري للمعونات الزراعية (الخنزير - جوز الهند الخ .) مسؤولة عن ٩٠٪ من اللبذبات التوبوغرافية تبعا لعدادات الجماعات موضوع البحث ، ففي مالايه في جزر سولومون مثلا نجد أن أصل رجال الشواطئ هو الاق في الوقت الذي نشأ رجال الجبال من أعماق الأرض . وسوف يكون من السهل على العقل الالكتروني أن يسمح كل ميلانيزيا ومساحات اخرى زراعية لاثات هذه القاعدة وتكفى بضع دقائق لاتمام ذلك اذا ماوضعنا المادة على شريط من

الورق أو الورق المقوى أو شريط ممغنط مما يمكن استعماله في الجهاز وهنا نتساءل  
أين يقف العقل الإلكتروني ؟.

نشير مرة أخرى الى مؤلف تايلور الذي ورد ذكره في اول هذه المقالة . وبالرغم  
من ان الاساطير والمقول الإلكترونية والبشرية يمكن قياسها بهذه الطريقة الميكانيكية  
الا أننا نطرحها لسبب أو لآخر لأنها تقيّدنا في البحث .

والرد على ذلك هو أن قدرة العقل الإلكتروني يحددها العقل البشري ، والعقل  
الإلكتروني كالمطائر يسير حيثما يوجهه الانسان . فنحن نصنعه ونضع له البرامج  
ومن يدري فلعله يحىء اليوم الذى يظهر فيه عقل الكترونى قادر على وضع البرامج  
من تلقاء نفسه .

# المؤتمرات الدولية القادمة

---

١٩٧٢

(١) ٢٧ أكتوبر ١٩٧٢ ميونيخ : المجلس الدولي للإدارة العلمية : مؤتمر الإدارة  
الدولي السادس عشر .

Rationalisierungs-uuratorium  
der Deutschen Wirtschaft -RKW,  
Gutleutstrasse 163-167  
Postfach 9193, 6000 Frankfurt/Main 9  
(Federal Republic of Germany)

(٢) ١٩ نوفمبر ١٩٧٢ تورنتو : الاتحاد الدولي لعلم أصل الإنسان

Executive Director,  
American Anthropological Association,  
1703 New Hampshire Avenue, N.W.,  
Washington D.C. 20009  
(United States)

---

١٩٧٣

(١) النصف الأول من عام ١٩٧٣ كوبيك : اتحاد العلوم السياسية الدولي :  
المؤتمر العالي التاسع

43 Rue des Champs Elysées,  
Brussels 5 (Belgium)

## باب جديد لخدمة الدارسين والمشتغلين بالعلوم الاجتماعية

يسر المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية أن تبدأ من هذا العدد بنشر مجموعة من البيانات عن المؤتمرات الدولية التي تعقدها الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة في أنحاء العالم حول موضوعات تهم دارسي العلوم الاجتماعية . وكذلك تنشر المجلة ابتداء من هذا العدد مجموعة كبيرة من المطبوعات والتقارير التي حررت في هذا المجال الحيوي الخصب . وتحرص المجلة على أن تنشر كل المعلومات عن هذه المطبوعات ، بما يمكن المهتمين بها من الحصول عليها باللفات التي صدرت بها .

---

(٢) ٩ أبريل ١٩٧٣ : لافربول : جمعية علم النفس البريطانية : المؤتمر السنوي

General Secretary,  
British Psychological Society,  
Tavistock House, Tavistock Square,  
London, W.C. 1. (United Kingdom).

(٣) ٣٠ أغسطس ١٩٧٣ : نيويورك : الاتحاد الأمريكي لعلم النفس : الاجتماع السنوي

1001 Connecticut Avenue, N.W.,  
Washington, D.C. 20036  
(United States)

(٤) سبتمبر ١٩٧٣ : فيينا : الاتحاد الدولي لجمعيات الفلسفة : المؤتمر الدولي الخامس عشر .

Professor Leo Gabriel,  
Universitat Wien,  
Universitäts-strasse 7, 1010 Vienna.  
(Austria).

(٥) ٨ سبتمبر ١٩٧٣ : شيكاغو : الاتحاد الدولي لعلوم الأجناس والسلالات : المؤتمر الدولي التاسع .

Professor. Sol Tax, President,  
University of Chicago,

## الفهرس الدولي لمؤسسات علم الاجتماع :

### الابحاث والتدريب المتقدم والوثائق

### والهيئات المهنية

### نشرة خاصة من المجلة الدولية لعلم الاجتماع



تتضمن الطبعة الاساسية من هذا الفهرس ، التى صدرت عام ١٩٧٠ ، بيانات منتظمة عن أكثر من ٥٠٠ من الهيئات العاملة فى مجال أبحاث علم الاجتماع ، والتدريب المتقدم ومؤسسات الوثائق والهيئات المهنية . والفهرس فى لغتين ، على الصفحة اليمنى بالانجليزية وعلى الصفحة اليسرى بالفرنسية . وهو مرتب ترتيبا هجائيا حسب أسماء المؤسسات (باللغة المناسبة) والهيئات الدولية ثم بعد ذلك تحت أسماء البلاد وأسماء المؤسسات القومية .

وتقدم خدمة عصرية بالمجان للمستخدمين فى المجلة الدولية لعلم الاجتماع التى تصدر بطاقات جديدة بالمؤسسات الإضافية وبطاقات تتضمن معلومات حديثة عن المؤسسات التى سبق ورودها فى الفهرس ، وليست هناك خدمة عصرية أخرى متاحة . ومع العدد الحالى توجد المجموعة السادسة من مثل هذه البطاقات لكى تقطع وتضاف الى الفهرس الاصلى .

اما المعلومات التى تعطى تفصيلات عن أكبر قدر ممكن من فصائل الفهرس ، فيما يتعلق بالمؤسسات والهيئات التى لم ترد فى الفهرس ، وكذلك التوصيات للبند القائمة فيمكن إرسالها الى : مركز وثائق علم الاجتماع ، اليونسكو ، بلاس دى فونتنوى : ٧٥ باريس الحى السابع (فرنسا)

Social Science Documentation Centre, UNESCO, Place de Fontenoy, 75 Paris 7e (France).

والفهرس متاح بغلاف أو بدون غلاف فى صورة معاملة لهذه المجلة ، ويمكن طلبه مباشرة من :

Distribution Division, UNESCO, Place de Fontenoy 75 Paris 7e.

أو من الموزعين القوميين المذكورين فى القائمة الواردة فى آخر هذه المجلة ، والتمن بدون غلاف ٩ دولارات أو جنيهان استرلينيان و ٧٠ بنسا و ٣٦ فرنكا : والتمن بغلاف ١٥ دولارا أو ٤ جنيهات استرلينية و ٥٠ بنسا أو ٦٠ فرنكا .

# وثائق مطبوعة الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة

السكان ، الصحة ، الأغذية

السكان :

١ - الخصوبة البشرية والتنمية القومية ، تحد للعلم والتكنولوجيا . ١٩٧١ -  
١٤٠ صفحة ، دولاران و ٥٠ سنتا ، ١٠ فركات سويسرية و ٨٠ سنتا .  
(UN/ST/ECA/138)

طبيعة المشكلة . العوامل الاجتماعية والثقافية في معدل المواليد . برامج  
تخطيط الأسرة . برنامج الأمم المتحدة الخاص بالسكان .

٢ - كتيبات عن طرق تقدير السكان . الكتاب السادس : طرق قياس الهجرة  
الداخلية ، ١٩٧٠ - ٧٢ صفحة ، دولار و ٥٠ سنتا أو ٦٥ فرنك السويسري .  
(UN/ST/SEA/SER, A/47.)

(ق.ح.) طبيعة البيانات . معالجتها . تقدير مدى وقتها . امثلة من  
الاحصائيات .

٣ - جدوى انشاء معهد روسي للسكان - ١٩٧١ - ٦٩ صفحة  
(UN/ST/SEA/SER, R/12)

تقرير بعثة اليونسكو ومنظمة الصحة العالمية للتابعين للأمم المتحدة ، طبيعة  
وظائف مثل هذا المعهد . الشروط المطلوبة لانشاءه . احتمالات انشاءه .

(١) كقاعدة عامة ، ليس هناك ذكر للمطبوعات والوثائق التي تصدر بصورة أوتوماتيكية بصورة  
أو بأخرى مثل التقارير الإدارية المنتظمة ومحاضر جلسات الاجتماعات . . . الخ . وعندما يكون مضمون  
أي نص واضحاً بذاته فلا يطل عن وصف تفصيلي . وقد ترجمت عناوين المطبوعات والوثائق ترجمة  
حرة حيث لم يمكن الحصول عليها باللغة الانجليزية في الوقت المناسب . وفي هذه الحالة يكون العنوان  
موسوقاً بعلامة نجمة ج . وقد استخدمت الاختصارات التقليدية التالية :

(ق) : تتضمن قائمة مراجع هامة .

(ح) : احصائيات هامة أو نادرة .

٤ - برنامج التنمية الاجتماعية الاوربي، مجموعة العمل في الدراسة الاحصائية الاجتماعية للسكان ، الاجتماع (ستراسبورج ، ٣ - ٥ يونيو ١٩٧٠) - ١٩٧٠ - ٨٩ صفحة (UN/SOA/ESDP/1970/1)

نموذج للاستفادة من الخصوبة . المشروعات السكانية الاقليمية : دراسة للمناهج والتوصيات . وسائل الحصول على الاحصائيات عن الزواج . ضرورة دراسة النتائج الاجتماعية للتطور الهيكلي للسكان الاوربيين . الحاجة الى تحليل نسب الوفيات في مجموعات الاعمار المختلفة ، وبخاصة الشيوخ والرجال في سن العمل .

٥ - تقرير لجنة الخبراء عن برامج الجوانب السكانية في التنمية الاقتصادية ، في اجتماعها المنعقد بمقر الامم المتحدة من ٢٩ يونيو الى ٣ يوليو عام ١٩٧٠ . أكتوبر ١٩٧٠ - ٤٠ صفحة (UN/E/CN.9/239.)

الجوانب السكانية للتنمية الاقتصادية : النظريات والنماذج . السكان كمنتجين ومستهلكين . الجوانب السكانية لتكون رأس المال . ديناميكا التغيرات الاقتصادية والسكانية . بعض الجوانب الاقتصادية السكانية . الابحاث السكانية المطلوبة لوضع السياسة القومية والتخطيط . برامج الابحاث التي تتضمن الجوانب السكانية للتنمية الاقتصادية .

٦ - تقيم برامج تخطيط الأسرة ١٩٧٠ - ٩٨ صفحة ، دولاران ، ٨٦٥ من الفرنك السويسري (UN/E/CN.11/936)

(ق.ح.) تقرير ندوة عقدت في بانكوك ، تايلاند من ٢٤ نوفمبر حتى ١٢ ديسمبر ١٩٦٩ تحت اشراف اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الاقصى . طرق الحصول على معلومات . تحليل احصائي . مشكلة قياس مستويات الخصوبة واتجاهاتها .

٧ - الاتجاهات السكانية والسياسات البديلة في أمريكا اللاتينية . فبراير ١٩٧١ - ٧١ صفحة (UN/E/CN.12/874)

الموقف الراهن والتوقعات . التداخل بين التغيرات السكانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسات الممكنة .

٨ - دراسات رائدة عن الخصوبة ، نسبة الوفيات بين الاطفال وتقييم برامج السكان في افريقيا . ديسمبر ١٩٧٠ - ١١ صفحة (UN/E/CN.14/POP/29)

دراسات قامت بها مجموعة من الخبراء التقت في اديس ابابا في الفترة من ٩ الى ١١ ديسمبر ١٩٧٠ . العمليات التي تمت في غانا والمغرب ونيجيريا ومصر وتونس وكينيا واثيوبيا . الوسائل المستخلصة . وضع التوجهات المشتركة لهذا النوع من البحث .

٩ - خطوط توجيهية مؤقتة للدراسات الرائدة عن الخصوبة ، نسبة الوفيات بين الاطفال وتقييم برامج السكان . نوفمبر ١٩٧٠ - ١٩ صفحة .

(UN/E/CN.14/POP/33)

اهداف المشروعات المخططة الرائدة . اعداد وتنفيذ هذه الدراسات التمويل والتنسيق .



١٠ - منهج دراسات الأسرة للعوامل الوراثية - ١٩٧١ - ٣٧ صفحة ، دولار واحد ، ٣ فرنكات سويسرية (سلسلة التقارير الفنية ، رقم ٤٦٦) (منظمة الصحة العالمية) .

( ق ) التعريفات الأساسية . تحليل التمييز العنصري . تقدير الترابط في البيانات الانسانية . مشكلة اكتشاف حملة الميكروب . مخاطر العودة . تواتر الجينات .

## الصحة :

١١ - التقرير الرابع عن الموقف الصحي العالمي ١٩٦٥ - ١٩٦٨ - ١٩٧١ - ٤٢ صفحة ، ٨ دولارات ، ٢٤ فرنكا سويسريا ( منظمة الصحة العالمية ) .

( ق.ح. ) الموقف الصحي في البلاد والمناطق المختلفة . الحقائق والاتجاهات ذات الدلالة . المشكلات الصحية الرئيسية على المستويين القومي والدولي ، مثل التعليم والتدريب المهني والصحة البيئية .

١٢ - الصفة الوبائية لمرض السل والعجز عن السيطرة على مرض السل عند الأطفال . ١٩٧١ - ٢٢٩ صفحة ، ٤ دولارات ، ١٢ فرنكا سويسريا ( منظمة الصحة العالمية ) .

( ح . ) نتائج الدراسات التي أجريت من ١٩٦١ - ١٩٦٦ بواسطة خمسة عشر مركزا في أربع دول اوروبية (فرنسا وبولندا وسويسرا ويوغوسلافيا) بناء على طلب البروفيسور ر . دبيرييه . مصادر العدوى . درجة فاعلية الاجراءات القانونية .

١٣ - لجنة خبراء منظمة الصحة العالمية عن الملاريا - ١٩٧١ ٥٩ صفحة - دولار و ٢٥ سنتا ، ٤ فرنكات سويسرية (سلسلة التقارير الفنية ، رقم ٤٦٧) .

١٤ - التقرير الخامس عشر للجنة . المبادئ الجارية لاستئصال الملاريا . وضع التقارير والتقييم . المناطق التي تم فيها استئصال الملاريا . التوصيات .

١٥ - الصحة العامة والتخلص من النفايات المشعة ، بقلم س . ب . ستروب ١٩٧١ - ٦٦ صفحة دولاران و ٧٥ سنتا ، ٨ فرنكات سويسرية (منظمة الصحة العالمية) .

(ق.) جرعات الاشعاع المسموح بها . الآثار على البيئة . مصادر التقلبات . العينات . وسائل العمل .

١٦ - تقرير احصائيات الصحة العالمية المجلد ٢٤ رقم ٤ - ١٩٧١ - ٨٢ صفحة ٤ دولارات ، ١٢ فرنكا سويسريا ، المجلد ٢٤ رقم ٥ - ١٩٧١ - ٦١ صفحة ٤ دولارات ١٢ فرنكا سويسريا ، المجلد ٢٤ رقم ٦ - ١٩٧١ - ١٣ صفحة ، ٦٠ سنتا ، فرنكان سويسريان ( منظمة الصحة العالمية ) .

( ح . ) قسم من سلسلة متصلة من الإحصائيات عن انتشار مختلف الأمراض تغطي العالم بأسره . بالإضافة الى جداول اساسية تصدر بانتظام ، ويتضمن كل قسم دراسات خاصة . وتذكر من بين هذه الإحصائيات : الإحصائيات التفصيلية في رقم ٤ عن نسبة انتشار مرض التراكوما ( ١٩٥٥ - ١٩٦٩ ) وفي رقم ٥ البيانات التي توضح مدى انتشار التهاب الكبد نتيجة للعدوى ونسبة الوفيات الناجمة عن ذلك .

## البيئة ، الموارد الطبيعية .

١٧ - تقرير اللجنة التحضيرية لمؤتمر الامم المتحدة عن البيئة الانسانية . (الدورة الثانية ، جنيف ، ٨ - ١٩ فبراير ١٩٧١) ٨٦ صفحة .

(UN/A/CONF.48/PC.9)

موضوعات لادراجها في جدول الاعمال . الجوانب الاقتصادية والمالية والاجتماعية . بيان حول البيئة .

١٨ - سياسات الموارد الطبيعية وتنميتها ، بما في ذلك الاعتبارات البيئية يناير ١٩٧١ - ٢٢ صفحة مع اضافات عديدة

(UN/E/C.7.12 Plusaddenda)

( ق . ح . ) الموقف فيما يتعلق بمشكلات البيئة . استخدام الموارد الطبيعية والبيئة . التلوث ، بما في ذلك تلوث البحار . المحافظة على الموارد . طرق العمل .

١٩ - القرارات التي اتخذها المجلس الاقتصادي والاجتماعي والجمعية العامة في مجال الموارد الاجتماعية . ديسمبر ١٩٧٠ - ١٥٣ صفحة . (UN/E/C.7/11)

## الاقتصاديات

### الإحصائيات والمناهج الإحصائية .

٢٠ - الكتاب السنوي للإحصائيات الحسابية القومية ، ١٩٦٩ . المجلد الاول: البيانات في كل دولة على حدة . أكتوبر ١٩٧٠ - ٨٦٥ صفحة - ١٢ دولارا و ٢٠ سنتا ، ٥٤ فرنكا سويسريا . المجلد الثاني : جداول دولية . أكتوبر ١٩٧٠ - ٢٢٦ صفحة ، ٣ دولارات ، ٥٠ سنتا ، ١٥ فرنكا سويسريا

(UN/E.71/xv 112 and 3)

( ق . ح . ) بغطى ١٤٠ دولة ومنطقة . الناتج القومى . الدخل والمنصرف تكون رأس المال . معدلات النمو .

٢١ - الكتاب السنوي لإحصائيات التجارة الدولية ، ١٩٦٨ - ٩٤١ صفحة ، ١٢ دولار و ٥٠ سنتا ، ٥٧ فرنكا سويسريا . (UN/ST/STAT/SER.G/19)

( ق . ح . ) التجارة الدولية حسب المناطق والبلاد طبقا للجهة الصادرة منها والجهة الصادرة اليها . إحصائيات سنوية تفصيلية لعدد ١٤٢ دولة .

٢٢ - الكتاب التجارى السنوى . المجلد ٢٤ (١٩٧١) - ١٩٧١ - ٥٧٥ صفحة ،  
٧ دولارات ٣٠.٣ من الفرنك السويسرى (منظمة الاغذية والزراعة) .

( ق . ح . ) يعطى هذا الكتاب السنوى ١٢٩ جدولا توضح كميات وقيمة  
التجارة بالنسبة للسلع والمتطلبات الزراعية المختلفة وكذلك قيمتها من ١٩٦٤ حتى  
١٩٦٩ . احصائيات التجارة الخارجية لافريقيا . المجموعة ١ : اتجاه التجارة .  
رقم ١٤ - ١٩٧٠ ، ١٠٣ صفحة ، دولاران ، ٨٦٥ من الفرنك السويسرى  
(UN/E/CN.14/STAT/SER.A/14)

( ح . ) تقدم هذه السلسلة التى تصدر مرتين سنويا بيانات مجمعة عن  
التجارة الافريقية طبقا لتصنيف التجارة الدولية المعيارية ، طبقا للمنطقة والدولة  
الصادرة منها والجهة المرسله اليها .

٢٣ - احصائيات التجارة الخارجية لافريقيا . المجموعة ب : التجارة طبقا  
للسلع رقم ١٧ (يناير - ديسمبر ١٩٦٧ . يناير - ديسمبر ١٩٦٨) ١٩٧٠ - ٢١٧  
صفحة ، ٣ دولارات ، ١٣ فرنكا سويسريا (UN/E/CN.14/STAT/SER.B/17)  
( ح . ) وثيقة تصدر هى الاخرى مرتين سنويا وهى تكمل النشرة السابقة .

٢٤ - الكتاب السنوى الاحصائى لآسيا والشرق الاقصى ، ١٩٦٩ - ١٩٧٠ -  
٢٨١ صفحة ، ٨ دولارات ، ٣٤.٥٥ من الفرنك السويسرى (UN/E/CN.11/895)

( ق . ح . ) الاحصائيات المعتادة مضافا اليها جداول جديدة تغطى معدلات  
الوفيات بين الاطفال ، ومعدلات الزواج . وظروف المعيشة والحياة وكذلك احصائيات  
عن ساعات العمل والاسكان .

٢٥ - بيان الطاقة فى آسيا والشرق الاقصى . يوليو ١٩٧٠ - ٢٦ صفحة ،  
١٢ دولارا ، ٥٠ سنتا (UN/E/CN.11/900)

٢٦ - دليل مختصر عن انتقاء العينات . المجلد الثانى : برامج الكمبيوتر  
لتصحيح العينات ١٩٧٠ - ٧٧ صفحة ، دولار و ٥٠ سنتا ، ٦٤.٥ من الفرنك  
السويسرى (UN/ST/STAT/SER.F/9/Vol. II)

مجلد يتضمن برامج فورتران ٤ بالنسبة لاثنتين وعشرين عملية شرحت فى  
المجلد الاول من الدليل .

٢٧ - تقرير لجنة العمل عن احصائيات القطاع العام (اللجنة الاقتصادية  
لافريقيا) (اديس ابابا ، ١٦ - ٢٠ نوفمبر ١٩٧٠) ، نوفمبر ١٩٧٠ - ٢٥ صفحة .  
(UN/E/CN.14/499)

٢٨ - نطاق واستخدام احصائيات القطاع العام . نوع البيانات المطلوبة . هيكل  
وتركيب القطاع العام . الحسابات ، جداول وتصنيفات فى نظام الامم المتحدة .  
للمحسابات الوطنية فيما يتعلق بالقطاع العام . تعريف العمليات المتضمنة فى الحسابات  
والجداول .

تقرير عن الندوة الخاصة بالبيانات المطلوبة لوضع الخطط (اديس ابابا ، ٩ - ١٣ نوفمبر ١٩٧٠) ديسمبر ١٩٧٠ - ٤٣ صفحة (UN/E/CN.14/SOI1)  
طرق التخطيط الاقتصادي في الاستخدام . نظام الامم المتحدة المنقح للحسابات القومية كأساس للتحليل والتخطيط الاقتصادي . استخدام مجموعات الحساب القومية في دراسة معدلات النمو المتوقعة في افريقيا خلال حقبة التنمية الثانية في ضوء الاهداف المقترحة .

٢٩ - احصائيات المالية العامة في افريقيا . أكتوبر ١٩٧٠ - ٩١ صفحة .  
(UN/E/CN.14/NAC/40)

( ح . ) دراسة الموقف بالنظر الى احصائيات المالية العامة المتاحة في افريقيا . تعريف قطاع الادارة العامة . الحسابات العامة . التحليل الاقتصادي والوظيفي لمصرفات الادارة العامة . الحسابات العامة . التحليل الاقتصادي والوظيفي لمصرفات الادارة العامة . درجة الاتفاق مع التوصيات الدولية . جداول احصائية كثيرة .

٣٠ - عرض اولى لبعض البيانات الحسابية الافريقية الوطنية لعام ١٩٧٥ و ١٩٨٠ أغسطس ١٩٧٠ - ١٤ صفحة .  
(UN/E/CN.14 ERS 13)  
( ح . ) وضعته مجموعة عمل من اللجنة الاقتصادية لافريقيا .  
التخطيط

٣١ - التخطيط طويل المدى - ١٩٧١ - ٢٠٦ صفحة ، ٤ دولارات ، ١٧ر٣٠  
(UN/E/ECE/780)  
من الفرنك السويسري .  
( ق . ح . ) تقرير اللجنة الاقتصادية لاوربا . اهم النتائج المستخلصة من الدراسات عن التخطيط الطويل المدى في المملكة المتحدة والولايات المتحدة وهولندا وبولندا وفرنسا والسويد .

٣٢ - أوجه التخطيط طويل المدى في المستويين القومي والدولي وآثاره على التطور العالمى . بعض أوجه التخطيط طويل المدى في اوربا . فبراير ١٩٧١ - ١٠ صفحات .  
(UN/E/AC.54/L-39)  
مسألة التفجرات طويلة المدى في التوزيع الاجتماعى للدخل .

٣٣ - تخطيط الاصلاح الضريبى - ١٩٧٠ - ١٦ صفحة - ٥٠ سنتا ، ٢ر١٥  
(UN/ST/ECA/135)  
من الفرنك السويسري .  
الدراسات والنتائج التى توصلت اليها مجموعة من الخبراء اجتمعت في نيويورك من ٨ - ١٢ سبتمبر ١٩٧٠ . طبيعة تخطيط الاصلاح الضريبى . المناهج . تقييم النتائج .

مسار التخطيط الاجتماعى بين المناطق (امستردام ٢٣ مارس الى ٩ مايو ١٩٧١) ١٩٧١ - ١٠ صفحات .  
(UN/ST/TAO/SER.C/122)

التخطيط كأداة للتنمية . الاهداف الاجتماعية للتخطيط . النطاق الاقليمي للتخطيط الاجتماعى .

٣٤ - مؤتمر التخطيط الرابع عن برنامج التنمية الاجتماعية الاوربي (جنيف ١٩ - ٢١ أكتوبر ١٩٧٠) ١٩٧٠ - ٨٦ صفحة (UN/SOA/ESDP/1970/5)  
الاتجاهات الجارية في السياسة الاجتماعية . الآثار على برنامج التنمية الاجتماعية الاوربي . النشاطات بين ١٩٦٨ و ١٩٧٠ . مقترحات لعقد اجتماعات خلال الفترة بين ١٩٧١ و ١٩٧٣ .

٣٥ - تخطيط الضمان الاجتماعى ١٩٧١ - ١٨٩ صفحة (منظمة العمل الدولية) .

اجراءات ومبادئ التخطيط الاساسية في قطاع الضمان الاجتماعى في عدد من البلاد ذات الانماط الاقتصادية المختلفة . حالة الدول النامية . الرخاء الطبى في دولة اشتراكية استطلاعات الراى وتخطيط الضمان الاجتماعى .

٣٦ - منهج مقترح لتوفير البيانات اللازمة للتحليل والتخطيط الاقتصادى والاجتماعى . أكتوبر ١٩٧٠ - ٤٢ صفحة . (UN/E/CN.14/ERS/15)

وضعت مجموعة عمل عن المناهج الاقتصادية ، وقد اجتمعت هذه المجموعة في اديس ابابا عام ١٩٦٨ تحت اشراف اللجنة الاقتصادية لافريقيا .

٣٧ - مذكرات جديدة عن البيانات اللازمة للتخطيط والمشروعات . اكتوبر ١٩٧٠ - ٦٧ صفحة (UN/E/CN.14/ERS/16)

٣٨ - التنمية الاقتصادية (بما في ذلك التنمية بصفة عامة) ، والتصنيع تطبيق تكنولوجيا الكمبيوتر للتنمية - ١٩٧٠ - ١٢٢ صفحة ، دولاران ، ٨١٥ من الفرنك السويسرى . (UN/E/4800)

(ق . ) تقرير لجنة عمل . برامج للدول النامية فيما يتعلق بالتدريب النظرى والعمل على علوم الكمبيوتر . منشآت واجهزة تصنيف البيانات .

٣٩ - مسائل متعلقة بأقل الدول نموا بين الدول النامية . تحديد الدول الاقل نموا بين الدول النامية . فبراير ١٩٧١ - ١١ صفحة .

المتغيرات المستخدمة في تحديد مثل هذه الدول وتحديد مشكلاتها الاساسية . العلم والتكنولوجيا للتنمية . ١٩٧٠ - ٤٧ صفحة - ٧٥ سنا ، ٣٧٥ من الفرنك السويسرى . (UN/ST/ECA/133)

مقترحات لجنة التنمية الثانية للامم المتحدة قدمتها اللجنة الاستشارية لتطبيق العلم والتكنولوجيا على التنمية . برنامج عمل دولى للتطبيق السلمى للعلم والتكنولوجيا . أهمية هذين العاملين للتنمية .

٤ - استراتيجية التنمية الدولية - ١٩٧٠ - ٢٠ صفحة ، ٢٠ سنا ، ٢٠١٥  
(UN/ST/ECA/139) من الفرنك السويسرى .  
برنامج عمل الجمعية العامة لحقبة التنمية الثانية للامم المتحدة اقتره الجمعية  
العامة فى اجتماع خاص عقد فى ٢٤ اكتوبر ١٩٧٠ .

٤١ - تجارب مختارة فى التنمية الاقليمية ١٩٧٠ - ١٤٦ صفحة ، دولار ،  
(UN/ST/SOA/101) ٣٠٤ من الفرنك السويسرى .

( ق . ح ) دراسة بعض التجارب المختارة فى التنمية الاقليمية ( اختيرت  
بعض الامثلة من عدد من بلاد افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية واوروبا (الشرقية  
والغربية ) . طبيعة البرامج . علاقتها بالسياسة الاقتصادية والاجتماعية الشاملة .  
ملاحظات عن الابحاث الجارية ومشروع يتعلق بالسياسة الاقليمية .

٤٢ - التعاون للتنمية الاقتصادية لشرق افريقيا . تقرير لفريق شرق افريقيا  
الجزء الاول : مقدمة وتلخيص للتوصيات - ١٩٧١ - ٣٧ صفحة ، دولار و ٥٠  
سنا ، ١٩٥٠ من الفرنك السويسرى . (UN/ST/ECA/140 : Part I)

٤٣ - التجمع الاقليمى وتعاون المناطق والمناطق الفرعية . صيغ التعاون .  
هيكل المؤسسات . التوصيات . وقد اضيف لهذا المجلد مجلدات اخرى ، تتناول  
الاتفاق الاقتصادية لشرق افريقيا والبرامج الموضوعة لاقامة التعاون بين بلاد هذه  
المنطقة .

٤٤ - تقرير مجلس التنمية الصناعية الاسيوى . فبراير ١٩٧١ - ٦٤ صفحة  
(UN/E/CN/11/962)

اجراءات الاسراع بالتصنيع اثناء حقبة التنمية الثانية . استعراض التصنيع  
والتعاون الاقليمى فى آسيا . الحديد والصلب . البتروكيمياويات ، منتجات الغابات  
الهندسة الميكانيكية ، الزيوت والدهون ، التصنيع الزراعى . المؤسسات الدنيا .  
مركز الاستثمار الاسيوى .

«الصناعات الكيماوية فى امريكا اللاتينية وتطويرها بين عامى ١٩٥٩ و ١٩٦٧ .  
فبراير ١٩٧٠ . (UN/E/CN.12/848 and add ; 1 and 2)

ثلاثة مجلدات باللغة الاسبانية يقع كل منها فى حوالى ٢٥٠ صفحة .

٤٥ - آفاق صناعات الحديد والصلب فى البلاد النامية . مايو ١٩٧٠ - ٣١٩  
صفحة . (UN/E/CN.12/854)

مايو ١٩٧٠ - ١٧٤ صفحة (UN/E/CN.12/854/ADD.1) ابريل ١٩٧٠  
(UN/E/CN.12/855) باللغة الاسبانية فقط .

٤٦ - تهيئة الموارد الداخلية . المجلد الاول : المؤسسات العامة : مفزاها الحال  
وتطورها المحتمل . المجلد الثانى : التدخل المالى فى امريكا اللاتينية . فبراير ١٩٧١  
- ٥٩ صفحة . (UN/E/CN.12/876)

دور المؤسسات الخاصة أو العامة في تعبئة الموارد القومية . الجهاز المالي  
وتعبئة المدخرات .

٤٧ - تقرير الندوة الخاصة بالإطار الإداري للتنمية (اديس ابابا ، ٧ - ١٨  
ديسمبر ١٩٧٠) يناير ١٩٧١ - ٥٧ صفحة بما في ذلك الملحق

بحث الاجتماع كتيباً مخصصاً للمعاونة في استخدام نظم أحدث للإدارة العامة  
في الدول النامية . العلاقة بين نوع الجهاز الإداري والتنمية .

#### الاستثمار

٤٨ - مناخ الاستثمار في افريقيا . أكتوبر ١٩٧٠ - ٤٤ صفحة  
(UN/E/CN.14/INR/184)

معنى مناخ الاستثمار . الفصائل الرئيسية لمصادر رأس المال التي تتأثر  
بمناخ الاستثمار . طرق إزالة المتاعب التي يشكو منها المستثمرون الأجانب  
بخصوص مناخ الاستثمار في افريقيا .

٤٩ - الاستثمارات الأجنبية في جمهورية جنوب افريقيا - ١٩٧٠ - ٢٢  
صفحة ، ٧٥ سنتاً ، ٣٣٥ من الفرنك السويسري (UN/ST/PSCA/SER.A/11)

حجم وعائد الاستثمار الأجنبي في جنوب افريقيا . حركة رأس المال الأجنبي  
اثناء السنوات الأخيرة في هذه البلاد .  
التجارة .

٥٠ - الآفاق القصيرة والمتوسطة المدى للصادرات من الصناعات من عدد من  
الدول النامية : الجزائر ١٩٧٠ - ٧٣ صفحة ، ٩٠ سنتاً ، ٣٩٠ من الفرنك  
السويسري (UN/UNCTAD/ST/MD/1)

تحليل عام للموقف الراهن والتطورات المحتملة في إنتاج وتصدير السلع  
المصنوعة .

٥١ - ممارسات العمل المقيدة - يناير ١٩٧١ - ١٢٣ صفحة  
(UN/ID/B/C.3/104)

( ق . ح . ) على أساس الردود الواردة من أربعين دولة على استفتاء وضعته  
هيئة التجارة والتنمية . العمليات والطرق التي يمكن أن تضر بالصادرات من الدول  
النامية . الكارتلات وأعمالها .

#### المواد الخام

٥٢ - تنمية الموارد المعدنية مع إشارة خاصة للدول النامية - ١٩٧٠ - ٧٤  
صفحة - دولار واحد ، ٤٣٠ من الفرنك السويسري (UN/ST/ECA/123)

المراحل العملية المختلفة في تنمية الموارد المعدنية . الإطار القانوني الذي يتم  
في إطاره هذه العمليات بصفة عامة . التشريعات المتعلقة بتنمية الموارد المعدنية  
السياسات الراهنة في هذا القطاع .

٥٢ مؤتمر الأمم المتحدة للتصدير - ١٩٧٠ - أكتوبر ١٩٧٠ - ٣١ صفحة ٧٥  
سنتا ٣٢٥ من الفرنك السويسري (UN/TD/TIN.4/ 7 rev. 1.)

القرار الختامي للمؤتمر الذي يمثل الاتفاق الدولي الرابع بشأن التصدير .  
الزراعة ، السلع الرئيسية

٥٤ - سياسات الحبوب الوطنية (١٩٧٠) . ١٩٧٠ - ١٠٢ صفحة ،  
٣ دولارات ، ١٣ فرنكا سويسريا ( منظمة الاغذية والزراعة ) .  
عقب طبعة ١٩٦٩ . تطور سياسات الحبوب الوطنية . الدول المصدرة والدول  
المستوردة .

الاستهلاك . حوافز الانتاج .

٥٥ - النظرة السلعية : ١٩٧٠ - ١٩٧١ - ١٩٧١ ٢٢٧ صفحة ٥ دولارات  
و ٥٠ سنتا ، ٢٣٧٥ من الفرنك السويسري ( منظمة الاغذية والزراعة ) .

الزيادة في قيمة التجارة الزراعية العالمية في عام ١٩٧٠ . عوامل السوق  
الرئيسية . النظرة القصيرة المدى . تحليل النواتج : الحبوب ومنتجات الماشية  
والزيوت والكسب وحاصلات التصدير الاستوائية ، حاصلات الحقل والاشجار  
الاخرى ، المواد الخام الزراعية ، منتجات الاسماك ، منتجات الغابات . آخر الاعمال  
عن مشكلات السلع .

الموقف الاقتصادي

٥٦ - مسح اقتصادي لآسيا والشرق الاقصى ، ١٩٦٩ - ١٩٧٠ - ٢٨٥  
صفحة ، ٤ دولارات ، ١٧٣ من الفرنك السويسري

( ق . ح . ) . الاتجاهات الاقتصادية في عام ١٩٦٨ و ١٩٦٩ بالإضافة الى مسح  
استراتيجيات التنمية الزراعية ودور التجارة بين المناطق كأداة للتنمية .

٥٧ - مسح اقتصادي لآوروبا في عام ١٩٦٩ . الجزء الاول : الاتجاهات  
الهيكليّة والاتفاق في الاقتصاد الاوربي - ١٩٧١ - ١٥٢ صفحة ، ٢ دولار و ٥٠  
سنتا ، ١٠٨ من الفرنك السويسري .

( ق . ح . ) طبقا للبيانات الواردة حتى نهاية فبراير ١٩٧٠ والتطور الاخير  
للموقف الاقتصادي في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي وفي أوروبا الغربية .

البناء

٥٨ - اللجنة الاقتصادية لأفريقيا : تقرير لجنة عمل خبراء غرب أفريقيا عن  
تكاليف بناء المساكن

( كوماي ، غانا ، ٣١ أغسطس حتى ١١ سبتمبر ١٩٧٠ ) نوفمبر ١٩٧٠ -  
٢٩ صفحة . (UN/E/CN.14/496)



دراسة تمويل البناء . خلق الظروف المواتية للمقاولين المحليين . تحسين الإنتاج . تخفيض النفقات .

المجتمع ، ظروف المعيشة والعمل ،

العمالة ، السياسة الاجتماعية

التنمية الاجتماعية ، السياسة الاجتماعية

٥٩ - تقرير هيئة معهد أبحاث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية .  
(UN/E/CN.5/467) ديسمبر ١٩٧٠ - ٥٢ صفحة

تطوير برامج المعهد . الأبحاث الجارية .

التنمية الريفية .

٦٠ - تقرير اللجنة الإقليمية الفرعية عن التوسع الزراعي وتنمية المجتمع .  
أفريقيا ، الدول الناطقة بالفرنسية) توفي باليمى ، توجو ، ٢٦ أغسطس إلى  
٢٦ سبتمبر ١٩٦٩ - يناير ١٩٧١ - ٢٠ صفحة .  
(UN/E/CN.14/471)

٦١ - تقرير عن اجتماع خبراء تنمية الحياة الريفية والمؤسسات في وسط  
أفريقيا (ليبرفيل ، جابون ، ٢ - ١٢ ديسمبر ١٩٦٩) يناير ١٩٧١ - ٣٩ صفحة .  
(UN/E/CN.14/472)

مشكلات التنمية الريفية . سياسة دول وسط أفريقيا في هذا المجال . برنامج  
المنظمة الدولية .

٦٢ - تقرير اجتماع الخبراء عن تنمية الحياة الريفية والمؤسسات في غرب  
أفريقيا (أكرا ، ٢٢ - ٣١ يوليو ١٩٧٠) ديسمبر ١٩٧٠ - ٣٠ صفحة بما في ذلك  
الملاحق .  
(UN/E/CN.14/494)

تخطيط وتنفيذ برامج التنمية الريفية في هذه المنطقة .

٦٣ - اللجنة الاقتصادية لأفريقيا : تقرير لجنة العمل الإقليمية عن التحسينات  
في تسهيلات الإسكان الريفي والمجتمع (اديس أبابا ، ١٩ - ٢٤ أكتوبر ١٩٧٠) .  
أكتوبر ١٩٧٠ - ٣٧ صفحة .  
(UN/E/CN.14/495)

الإسكان الريفي وتخطيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية . الجوانب الإدارية  
والمالية . المواد والأساليب المحلية في تشييد المساكن الريفية . إعادة إسكان السكان.  
الخدمات الصحية ، منع انتشار الأمراض وغيرها من خدمات المجتمع .  
التحضر

٦٤ - الجوانب الإدارية للتحضر - ١٩٧٠ - ٢٢٨ صفحة ٣ دولارات و ٥٠  
(UN/ST/TAO/M/51) سنتا ، ١٥٥٥ من الفرنك السويسري .

دور الإدارات الحكومية المختلفة . تسوية المنازعات . مشكلات التمويل .  
مشاركة المواطنين ممثلهم . العلاقة بين خطط تطوير المدن والتخطيط القومى .

## الاطفال ، الشباب .

٦٥ - تقرير عن الاطفال ١٩٧١ - ٥٨ صفحة - دولار وخمسون سنتا ، ١٩٤٥  
(UN/ST/SOA/104) من الفرنك السويسرى .

مكان الاطفال المتغير في العالم . المشكلات التى يثيرها في هذا العدد الانفجار  
السكانى والتغيرات الاجتماعية . تقييم الاجراءات المتخذة . السياسة والتخطيط  
القوميين للاطفال والشباب .

٦٦ - السياسات والبرامج طويلة المدى للشباب في التنمية الوطنية - ١٩٧٠ -  
٥٦ صفحة ، دولار واحد ، ٣٠ ر. من الفرنك السويسرى (UN/ST/SOA/103)

دراسة شاملة لوضع الشباب من ١٢ الى ٢٥ سنة في العالم الحديث . اسهام  
الشباب في التنمية . دراسة الاجراءات التى تثبت فعاليتها في ضمان مشاركة  
الشباب في النشاطات الواسعة النطاق التى تسهم في التنمية .

## السياسة الاجتماعية ، الخدمات الاجتماعية ، ظروف العمل

٦٧ - الضمان الاجتماعى في سياق التنمية القومية . نوفمبر ١٩٧٠ - ٥٩  
صفحة . (UN/E/CN.5/460)

اهداف الضمان الاجتماعى . الضمان الاجتماعى والتنمية القومية . تخطيط  
الضمان الاجتماعى كجزء من التخطيط الاقتصادى والاجتماعى الشامل .  
دور الدولة .

٦٨ - الضمان الاجتماعى والاقتصاد القومى ١٩٧١ - ٣٣٠ صفحة (منظمة  
العمل الدولية) يقدم سلسلة من الدراسات قامت بها مجموعة عمل من الاتحاد  
الدولى للضمان الاجتماعى . العلاقة بين برامج الضمان الاجتماعى والنظام الاقتصادى  
في البلاد النامية . تأثير الضمان الاجتماعى على النمو الاقتصادى . تقدير اعادة  
التوزيع الاولى الذى قام به الضمان الاجتماعى . حسابات الضمان الاجتماعى في  
البلاد الاعضاء في المجتمعات الاوربية . ملاحظات فيما يتصل بالضمان الاجتماعى  
والاقتصادى القومى . المشكلات الرئيسية لاقتصاديات الرخاء . نموذج يمثل تكلفة  
نظام الضمان الاجتماعى . تطبيق مناهج ابحاث العمليات على طريقة اتخاذ  
القرارات .

٦٩ - نشاط منظمة العمل الدولية في مجال القوى العاملة والعمالة في اوربا في  
عام ١٩٧٠ فبراير ١٩٧١ - ١٣ صفحة . (UN/E/ECE/804)

الابحاث والمطبوعات . التعاون الفنى . الاجتماعات والندوات ورحلات  
الدراسة . التعاون مع المنظمات الاوربية الاقليمية . عمل الحكومات في المساعدات  
على تنفيذ برامج مبادئ منظمة العمل الدولية .

٧٠ - برنامج العمالة العالمى - ١٩٧١ - ٨٦ صفحة ، دولار و ٥٠ سنتا ، ٦٠  
فرنكات سويسرية (منظمة العمل الدولية) .

٧١ - ( ق . ) أحدث المعلومات الأساسية عن موقف العمالة في البلاد النامية .  
السياسات التي حاولت الدول تطبيقها في هذا المجال . التقدم الذي أحرزته والعقبات  
التي ظهرت ، التطورات الأخيرة فيما يتعلق بسياسة العمالة على المستوى العالمي .

٧٢ - النتائج الاجتماعية لمناهج الشحن (أحواض إصلاح السفن) - ١٩٧١ -  
٨٧ صفحة دولار و ٥٠ سنتا ، ٦ فرتكات سويسرية (منظمة العمل الدولية) .

تقرير أعدته الدورة السابعة والخمسون لمؤتمر العمل الدولي (جنيف ١٩٧٢) .  
المشكلات الناشئة عن التغيرات التي حدثت في طرق الشحن . الإجراءات التي  
اتخذتها منظمة العمل الدولية بخصوص ظروف العمالة بالنسبة لعمال أحواض إصلاح  
السفن . التشريع والممارسة الوطنيين بالنظر إلى إعطاء عمال إصلاح السفن عمالة  
وإجورا ثابتة والنتائج الاجتماعية المترتبة على اتخاذ إجراءات جديدة . مبنية على  
أساس استفتاء أرسل للدول الأعضاء في يونيو ١٩٦٨ .

المسائل القانونية والسياسية ، حقوق الإنسان .

### القانون الدولي

٧٣ - الكتاب السنوي للجنة القانون الدولي : ١٩٦٩ . المجلد الثاني ١٩٧٠ -  
٢٤١ صفحة ، ٣ دولارات و ٥٠ سنتا (UN/A/CN.4/SER.A/1969/ADD.1)

يعالج هذا المجلد الثاني العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية ، تلخيص  
للمناقشات التي جرت حول هذا الموضوع أثناء الدورة العشرين للجنة القانون الدولي  
مسودات مواد من الوضع القانوني لمثلئ الدول لدى المنظمات الدولية .

٧٤ - ملاحظات على المجموعة الثالثة من المواد (أعداد من ٥١ إلى ١١٦) عن  
ممثلئ الدول لدى المنظمات الدولية ، وهي الملاحظات التي أقرتها لجنة القانون  
الدولي في دورتها الثانية والعشرون - فبراير ١٩٧١ - ٥٨ صفحة  
(UN/A/CN.4/240)

ملاحظات من استراليا وكندا واسرائيل ونيوزيلندا وباكستان وبولندا وسويسرا  
والامم المتحدة ، ومنظمة العمل الدولية ، ومنظمة الصحة العالمية ، والبنك الدولي  
للإنشاء والتعمير والاتحاد المالي الدولي واتحاد التجارة العالمي ITU ومنظمة  
الأرصاد الجوية العالمية (WNO)

٧٥ - مسألة المعاهدات المبرمة بين الدول والمنظمات الدولية أو بين منظمتهن  
دوليتين أو أكثر - ديسمبر ١٩٧٠ - ١١٦ صفحة (UN/A/CN.4/L.161)

( ق . ) استعراض تاريخي - الجوانب المختلفة للمشكلة - قائمة بالمعاهدات  
المتعلقة بالموضوع .

٧٦ - المعاهدات المتعددة الاطراف المودعة لدى السكرتير العام . قائمة  
بالتوقيعات والتصديقات والانضمامات ، إلخ . حتى ٣١ ديسمبر ١٩٧٠ - ١٩٧١ -  
٤٣٩ صفحة ٧ دولارات ، ٣٠.٣ من الفرنك السويسري  
(UN/ST/LEG/SER/D/4)

ينطى هذا المجلد كل المعاهدات التى أبرمت تحت رعاية الأمم المتحدة .  
ويتضمن كذلك المعاهدات التى أبرمت تحت رعاية عصبة الأمم وبعض المعاهدات  
الأخرى التى أبرمت قبل إنشاء الأمم المتحدة .

وبالإضافة الى الاسم الكامل لكل معاهدة ، هناك أيضا تفصيلات خاصة بوضعها  
موضع التطبيق وتسجيلها ونشرها ، والتوقيع عليها والانضمام اليها والتصديق  
عليها .

#### تصفية الاستعمار

٧٧ - تقرير اللجنة الخاصة عن الموقف فيما يتعلق بتنفيذ الاعلان الخاص  
بمنح الاستقلال للبلاد والشعوب المستعمرة ، ١٩٧١ - ٣ مجلدات .

أعمال اللجنة الخاصة منذ نشأتها . استعراض لتطور كل بلد أو إقليم  
مستعمر من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ملاحق  
صفحة

٧٨ - تقرير اللجنة الخاصة عن الموقف فيما يتعلق بتنفيذ الاعلان الخاص  
بمنح الاستقلال للبلاد والشعوب المستعمرة . ديسمبر ١٩٧٠ - ٧٩ صفحة  
(UN/A/1023)

ويضاف الى هذا التقرير عن نشاط اللجنة في عام ١٩٧٠ ملاحق مختلفة خاصة  
بكل من البلاد والاقليم المستعمرة .

#### حقوق الانسان

٧٩ - احترام حقوق الانسان في النزاعات المسلحة . ديسمبر ١٩٧٠ - ٢٨  
صفحة (UN/A/8/78)

استعراض للبيانات الواردة من مناطق العالم التى تحترم فيها هذه المشكلة  
في الوقت الراهن . مشروعات قرارات لتقديمها للجمعية العامة حماية الصحفيين  
في المهام الخطرة ، المبادئ الرئيسية بخصوص حماية السكان المدنيين في النزاعات  
المسلحة ، اعادة توطين المسجونين والمصابين بأمراض شديدة والجرحى ، احترام  
القواعد الواردة في معاهدات الصليب الاحمر الدولي المختلفة .

٨٠ - حقوق الانسان والتطورات العلمية والتكنولوجية . ديسمبر ١٩٧٠ -  
٣٣ صفحة (UN/CN.4/1028/ADD. 6)

يعالج هذا التقرير احترام خصوصية الفرد ، وتكامل الأمم وسيادتها في مواجهة  
التقدم التكنولوجي . وتتضمن المسائل المثارة معدات التسجيل والوسائل البيولوجية  
والإلكترونية الجديدة التى أصبحت متاحة الآن .

٨١ - دراسة التمييز فيما يتعلق بحق كل شخص في أن يترك بلدا معينا ، بما  
في ذلك بلاده ، وحق العودة الى بلاده . نوفمبر ١٩٧٠ - ١٥ صفحة .  
(UN/E/CN.4/1042)

ملذكرة للسكترير العام عن الدراسات التى قامت بها الهيئات المختلفة التابعة للأمم المتحدة . ويتضمن الملحق الردود الواردة من الحكومات .

٨٢ - عقوبة الاعدام . فبراير ١٩٧١ - ١٠ صفحات . (UN/E/4947)

طبقا للردود الواردة من سبعين حكومة . الحقوق القانونية للاشخاص المتهمين فى مخالفات أو جرائم سياسية فى ظل القانون العام الذى ينطبق عليه عقوبة الاعدام .

الحقوق الاقتصادية والاجتماعية .

٨٣ - ندوة عن تحقيق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية مع اشارة خاصة للبلاد النامية (لوساكا ٢٣ يونية الى ٤ يوليو ١٩٧٠) . ١٩٧٠ - ٢٣ صفحة . (UN/ST/TAO/HR/40)

دراسة للظروف المادية وغيرها من الظروف المطلوبة لضمان تحقيق متقدم للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على المستوى القومى . دراسة للاجراءات التومية المتخذة : المواد الدستورية والقانونية ، النظم والاجراءات الادارية ، قرارات المحكمة . الدور الذى لعبه العمل الدولى .

وضع النساء

٨٤ - ندوة عن مشاركة المرأة فى الحياة الاقتصادية لبلادها (موسكو من ٨ الى ٢١ سبتمبر ١٩٧٠) . ١٩٧٠ - ٣٨ صفحة . (UN/ST/TAO/HR/41)

مناقشات الندوة . مدى مشاركة النساء فى الحياة الاقتصادية لبلادهن . الاجراءات التى تستهدف اعطاء النساء مزيدا من الاعداد فى هذا المجال . طرق ووسائل تمكين النساء من الولادة . وفى الوقت نفسه مسؤولياتهن المهنية والمنزلية والمدينة .

الجريمة

٨٥ - الاجرام والتغير الاجتماعى . ديسمبر ١٩٧٠ - ٢٢ صفحة (UN/E/CN.5/457)

تقرير لجنة من الخبراء . استكملت هذه الوثيقة بصدد آخر من الوثائق (وبخاصة : E/CN.5/467 ، يناير ١٩٧١ - ٤٠ صفحة ، و E/CN.5/469 يناير ١٩٧١ - ٢٢ صفحة ) التى تعالج الاتجاهات الراهنة فى الاجرام والاجراءات الوقائية المتخذة لمحاربة الجريمة .

التعليم ، العلم

تدريب الشباب والتنمية

٨٦ - تقرير اجتماع لجنة الخبراء عن التعليم والتدريب من أجل التنمية فى افريقيا (انديس أبابا ، ٧ - ١١ ديسمبر ١٩٧٠) فبراير ١٩٧١ - ٤٧ صفحة .

(UN/E/CN.14/515) التعليم في افريقيا . الاحتياجات - مفهوم التعليم والتدريب للتنمية الريفية والصنيع . استراتيجيات التعليم . والوثائق الواردة فيما بعد تتصل بهذا الاجتماع .

٨٧ - نظرة على بعض برامج الخدمة القومية للشباب والبرامج الأخرى ذات الاهداف المشابهة نوفمبر ١٩٧٠ - ٢٤ صفحة . (UN/E/CN.14/SW.27)  
خصائص هذه البرامج والاتجاهات الاساسية فيها . وصف التجارب المختلفة، لكل بلد ، مع اشارة خاصة للجزائر وتونس .

٨٨ - برامج خدمة الشباب القومية للنساء والفتيات في افريقيا . نوفمبر ١٩٧٠ - ١٠ صفحات (UN/E/ECN.14/SW/28)  
دراسة قدمت السيدة لتي ستوارت . المشكلات التي يشرها الشباب في افريقيا الاميون والنساء والفتيات المتعلقات . التجارب التي نفذت في عدد من بلاد افريقيا .

٨٩ - سياسات الشباب القومية والتعاون الدولي . نوفمبر ١٩٧٠ - ١٦ صفحة . (UN/E/CN.14/SW/29)  
التوفيق بين المفاهيم التقليدية والافكار الجديدة في سياسة الشباب . تنسيق العمل الرسمي والجهود الاختيارية . تكامل هذه البرامج ، في صياغتها وتطبيقها ، مع السياسة القومية الشاملة . التعاون الدولي . الجهود الحالية التي تبذلها الامم المتحدة بالنسبة للشباب .

٩٠ - دور برامج خدمة الشباب القومية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية . اكتوبر ١٩٧٠ - ٢٧ صفحة (UN/E/CN.14/SW/30)  
المشكلات التي تفرضها التنمية الاقتصادية على البلاد الافريقية . وضع الشباب . الاعداد للعمالة . التوجيه المهني . اعداد الشباب لان يصبحوا مواطنين . الاعداد لقضاء اوقات فراغهم . الاعداد لفهم دولي .

٩١ - برامج خدمة الشباب القومية . الى أين وصلنا ؟ ماهي مهمتنا العاجلة؟ نوفمبر ١٩٧٠ - ١٥ صفحة . (UN/E/CN.14/SW/31)  
النتائج والتوصيات الاساسية التي ظهرت من الاجتماعات التي نظمت على المستوى العالمي وعلى المستوى الافريقي . مناقشة انتقادية .

٩٢ - اجراءات لزيادة اسهام برامج خدمة الشباب القومية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية . نوفمبر ١٩٧٠ - ١١ صفحة . (UN/E/CN.14/SW/32)  
تقرير اللجنة الاقتصادية لافريقيا . زيادة عدد الشباب بين السكان . أهمية تكامل البرامج بالنسبة للشباب .

٩٣ - تقرير عن تقييم مسح العرض والطلب على الأيدي العاملة من المستوى الجامعي في عدد من بلدان افريقيا المختارة . نوفمبر ١٩٧٠ - ١٣٣ صفحة بما في ذلك الملاحق والجداول . (UN/E/CN.14/WP.6/32)

أ.ح. ) يغطي البلاد التالية : الكاميرون ، جمهورية الكونغو الديمقراطية ، غانا ، كينيا ، نيجيريا ، تانزانيا ، أوغندا وزامبيا . القطاعات الرئيسية لاقتصاد هذه البلاد . سوق العمالة بالنسبة للخريجين (١٩٦٠ - ١٩٧٠) . الإجراءات الواجب اتخاذها .

٩٤ - الحاجة الى الافراد المهرة للتصنيع ومايتضمنه ذلك من متطلبات بالنسبة للتعليم والتدريب في افريقيا . نوفمبر ١٩٧٠ - ٢١ صفحة .

(UN/E/CN.14/WP.6/33)

٩٥ - الاحتياجات الراهنة والمستقبلية . الحاجة الى استراتيجية للتعليم والتدريب . قائمة بمؤسسات التعليم والتدريب . تحديد الاهداف .

العلم والتكنولوجيا والتنمية .

٩٦ - دور العلم والتكنولوجيا في التنمية الاقتصادية - ١٩٧٠ - ٢١٦ صفحة ، ٤ دولارات ، ١٦ فرنكا ( دراسات ووثائق السياسة العلمية ، رقم ١٨ ) (UNESCO/NS/SPS/18)

( ق . ) . الاتجاهات الرئيسية للمناقشات في اجتماع الخبراء (ديسمبر ١٩٦٨)، مع وثائق العمل المعدة في تلك المناسبة . التخطيط العلمي والتخطيط الاقتصادي . تمويل الابحاث . اسهام العلم والتكنولوجيا في التنمية : حساب ختامي . تحليل على المستوى القومي والمستوى الصناعي . الدول الاشتراكية . اليابان . الهند .

سياسة العلم

٩٧ - السياسة العلمية وتنظيم البحث العلمى في الأرجنتين ١٩٧٠ - ١٣٦ صفحة

Politica Científica Y Organizacion de la Investigacion Científica en la Argentina.

دولاران و ٥٠ سنتا ، ١٠ فرنكات ( دراسات ووثائق للسياسة العلمية ، رقم ٢٠ ) ( اليونسكو ) (UNESCO/NS/SPS/20)

( ق . ح . ) . دراسة اعدتها سلطات الدولة المعنية . استعراض تاريخى لتطور العلم في الأرجنتين . تنظيم البحث العلمى والتكنولوجى . الاهداف . التمويل . تدريب الافراد العلميين والفنيين . قائمة بمؤسسات الابحاث .

٩٨ - السياسة القومية للعلم وتنظيم الابحاث في بولندا ١٩٧٠ - ١٢٦ صفحة ٣ دولارات ، ١٢ فرنكا (دراسات ووثائق السياسة العلمية ، رقم ٢١) (اليونسكو) ( ق . ح . ) . دراسة شبيهة بالوثيقة السابق ذكرها . بولندا .

٩٩ - السياسة القومية للعلم وتنظيم الابحاث في الفلبين - ١٩٧٠ - ١١٣ صفحة ، دولاران و ٥٠ سنتا ، ١٠ فرنكا ( دراسات ووثائق السياسة العلمية رقم ٢٢ ) ( اليونسكو ) ( ق . ح . ) . دراسة شبيهة بتلك السابق ذكرها . الفلبين .

١٠. - السياسة العلمية وتنظيم البحث العلمي في المجر - ١٩٧٠  
١٢. صفحة ٣ ، دولارات ، ١٢ فرنكا (دراسات ووثائق السياسة العلمية ، رقم ١٢)  
(UNESCO/NS/SPS/23)

( ق . ٢ . ) دراسة شبيهة بالوثيقة السابق ذكرها . المجر .

١٠١ - السياسة العلمية وتنظيم الابحاث في فرنسا - ١٩٧١ - ١٤٦ صفحة  
٤ - دولارات ، ١٦ فرنكا (دراسة ووثائق السياسة العلمية رقم ٢٤)  
(UNESCO/NS/SPS/24)

( ق . ح . ) دراسة شبيهة بتلك السابق ذكرها . فرنسا .

١٠٢ - السياسة العلمية والدول الاوربية - ١٩٧١ - ٢٠٨ صفحة .  
٣ دولارات ، ١٢ فرنكا ( دراسات ووثائق السياسة العلمية ، رقم ٢٥ )  
(UNESCO/NS/SPS/25)

مؤتمر وزراء الدول الاوربية الاعضاء المسؤولين عن السياسة العلمية ( باريس  
تدريب وتجنيد الباحثين اختيار الاهداف ذات الاولوية . التعاون الاوربي .

### استنزاف العقول

١٠٣ - نزوح الافراد المدربين من الدول النامية الى الدول المتقدمة . فبراير  
١٩٧١ - ١١ صفحة  
(UN/E/4948)

تقرير من المدير التنفيذي لمعهد الامم المتحدة للتدريب والابحاث . تقدم  
دراساتها فيما يتعلق بهذا النزوح . اهدافهم العلمية والعملية . موضوعات عولجت  
في استفتاءات . المنظمات المشتركة في البحث .

### الاعلام العلمى .

١٠٤ - تقرير دراسة عن جدوى انشاء نظام عالمى للاعلام العلمى ١٩٧١ -  
١٦١ صفحة - ٤ دولارات ، ١٦ فرنكا ( اليونسكو ) .

نتائج الدراسات التى قام بها اليونسكو والمجلس الدولى للاتحادات العلمية  
منذ عام ١٩٦٧ بهدف انشاء نظام دولى للاعلام العلمى (UNISIST) . وستكون  
وظيفة هذا النظام اختيار المعلومات والاسراع بنشرها ، وبخاصة فى البلاد النامية .  
مشكلة الاعلام العلمى . الموقف الراهن . وظائف النظام العالمى المقبل . اعد بالاتصال  
مع مؤتمر حكومى عقد فى اكتوبر . وهناك كتيب اكثر احكاما يتضمن تلخيصا لهذه  
الدراسة ( UNISIST . تلخيص - ١٩٧١ - ٩٢ صفحة ) ( اليونسكو ) .  
علم الاجتماع .

١٠٥ - ما هو علم الاجتماع ؟ بقلم بول لازار سفيد . ١٩٧٠ - ٢٥٢ صفحة  
( مجموعة افكار رقم ٢٢٨ ) ( اليونسكو - جاليمار ) .



١٠٦ - ( ق . ) اعادة نشر دراسة بقلم بول لازارسفيلد لليونسكو تحت عنوان الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والانسانية . تاريخ علم الاجتماع . الاتجاهات الراهنة . النظريات العامة و « نظرية الحلقة الوسيطة » . الماركسية . المذهب النفعي والهيكلية . المدارس القومية . علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى .

الدراسة الإحصائية للسكان .

١٠٧ - الدراسة الإحصائية للسكان . بقلم حامد بورجوايشا - ١٩٧١ -  
١٨٨ صفحة ( مجموعة « أفكار » ) ( اليونسكو - جاليمار ) .

( ق . ) اعادة نشر دراسة بقلم جان بورجوايشا لليونسكو تحت عنوان الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والانسانية . مدخل الى الاحصاء السكاني واستعراض لأحدث اتجاهاته . العلاقات بين هذا العلم وعلوم البيولوجي ( الاحياء ) والاقتصاد والبيئة والاجتماع .

# تَبَيَّنَ

المقال واسم الكاتب	المقال واسم الكاتب	رقم العدد وتاريخه
♦ العقل الأسير في دراسات التنمية بقلم : سيد حسين الأناس	The captive mind in development studies By Sayed Hussein Alatas	المجلد ٢٤ العدد الأول ١٩٧٢
♦ منطق التنمية بقلم : أجناسي ساكس	The logic of development By Ignacy Sachs	المجلد ٢٤ العدد الأول ١٩٧٢
♦ السلالة والطبقة المغلقة والشخصات الذاتية للجماعات الشعبية بقلم : أندريه بيتل	Race, caste and ethnic identity By André Beteille	المجلد : ٢٣ العدد الرابع ١٩٧١
♦ استعمال الحاسبات الالكترونية في علم النفس التجريبي بقلم : دومنيك لوين	The use of computers in experimental sociology By Dominique Lépine	المجلد : ٢٣ العدد الثاني ١٩٧١
♦ الحاسب الالكتروني وتحليل الأساطير بقلم : بيير ماراندا	The computer and the analysis of myths By Pierre Maranda	المجلد : ٢٣ العدد الثاني ١٩٧١

مطابع الهيئة العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٢/٤٧٢

**وقرر المركز المكافآت التالية لمن يشتركون في هذه المسابقة :**

**الأول : ٥ جنيهاً - الثاني : ٣ جنيهاً - الثالث : جنيهاً واحداً - عشرة اشتراكات من الرابع الى العاشر في الدورة التي يكون قد علق الفائز على مادة فيها .**

ولما كان هذا العدد من المجلة الدولية للمعلوم الاجتماعية يصدر في آخر الدورة الصيفية الأولى للقراءة .

ونظرا لما لسنه من أهمية هذا البرنامج من برامج تنظيم القراءة بين الشباب ، وفي دوائر المهتمين بالثقافة الانسانية منهم .

وعملا على الا يصبح برنامج القراءة الصيفية ظاهرة عابرة تنتهي بانتهاء موسم الصيف ، فقد قرر المركز مد العمل بهذا التنظيم ، بحيث يصبح من حق القراء استئناف صلتهم بدوريات المركز كل دورة مدتها ثلاثة أشهر .

ومعنى هذا ان باب الاشتراك مفتوح لمدة الثلاثة شهور التالية : « أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٢ » بنفس التخفيضات الممنوحة .

وستعقب هذه المدة مسابقة للذين يرغبون في المساهمة في قياس مدى افادتهم من قراءاتهم هذه الدوريات .

ان القراءة لم تعد مجرد استمتاع ذهني ، ولكنها صارت وسيلة لنمو الشخصية الفردية .

ونحن في مجتمعنا العربي في أشد الحاجة الى تنمية ملكات الانسان القادرة على احداث التغيير في المجتمع .

**اكتب برغبتك الى : مركز مطبوعات اليونسكو ١ شارع طلعت حرب بالقاهرة وارفق حوالة بريدية بقيمة اشتراكك في الدورة التي تختارها .**

# مجلة رسالة اليونسكو ومركز مطبوعات اليونسكو

تقدم مجموعة من المجلات الدولية باقلام كتاب  
متخصصين وأساتذة دارسين .  
ويقوم باختيارها ونقلها إلى العربية نخبة متخصصة من  
الأساتذة العرب .  
لتصبح إضافة إلى المكتبة العربية تساهم في إثراء  
الفكر العربي ، وتمكينه من ملاحقة البحث في قضايا  
الشرق .

مجلة رسالة اليونسكو

تصدر شهريا

المجلة الدولية للعالم الاجتماعية

يناير - أبريل - يوليو - أكتوبر

مجلة اليونسكو للمكتبات

فبراير - مايو - أغسطس - نوفمبر

مجلة «دوتوجين»

فبراير - مايو - أغسطس - نوفمبر

العلم والمجتمع

مارس - يونيو - سبتمبر - ديسمبر

مجموعة من المجلات تصدرها هيئة اليونسكو  
بلفاتها الدولية ، وتصدر طبعاتها العربية بالاتفاق مع  
الشعبة القومية لليونسكو ، وبمعاونة الشعب القومية  
العربية ، ووزارة الثقافة والاعلام بجمهورية مصر  
العربية .

الثلثون ١٠ قرش

# المجلة الدولية للعالم الاجتماعية

دراسات عن المراهقة ومشكلات الشباب

• ماذا يعني  
علم الأنثروبولوجيا؟

العدد العاشر - السنة الثالثة

يناير - مارس ١٩٧٢

تصدر عن مجلة رسالة اليونسكو

ومركز مطبوعات اليونسكو







الطبعة العربية من مجلة

International Social  
Science Journal

العدد العاشر - السنة الثالثة

٥ يناير ( كانون ثاني ) ١٩٧٣

٣٠ ذي القعدة ١٣٩٢



محتويات هذا العدد

♦ المراهق والاختيارات الأخلاقية

بقلم : فرد مامتر

ترجمة : الدكتور محمد فتحي الشنيطي

♦ الاطار الاجتماعي لجماعات الشباب

بقلم : جلين هـ. الدر (الابن)

ترجمة : الدكتور محمد الجوهري

♦ تظالم الأزمة والوصول الى قراد

بقلم : أول ر. هـ. لستى

ترجمة : محمد كامل النحاس

♦ الأنثروبولوجيا : علم الانسان

بقلم : سيريل بلشو

ترجمة : الدكتورة فضيلة محمد فتوح

تصدر عن : مجلة رسالة اليونسكو

ومركز مطبوعات اليونسكو

١ شارع طلعت حرب

تليفون : ٢٢٤٠٢

ميدان التحرير - القاهرة

رئيس التحرير : عبد المنعم الصاوي

هيئة التحرير : د. مصطفى كمال طلبة

د. محمود الشنيطي

عثمان نويّه

محمود فؤاد عمران

الإشراف الفني : عبد السلام الشريف

# أجيال بين الفجوة والجفوة...

---

منذ نشأنا وكلمة المراهقة وصف كره نتجنبه في أحاديثنا ،  
ونتحاشاه كأنه وباء !

وقد درجنا على أن نستعمل هذا الوصف مقترنا بكل أعمال الطيش  
والنزق والخروج على المألوف •

وجرت أقلام الأدباء والكتاب والباحثين ، في أعمالهم الأدبية وأشعارهم  
وقصصهم وبحوثهم ، لتؤكد خطر المراهقة واندفاعها ، حتى جرت العادة  
على اعتبارها ظاهرة مفرغة يتحدث الناس عنها في همس وحذر !!

إذا أخطأ صبي فذلك أثر من آثار المراهقة ، وإذا انحرفت فتاة فذلك  
سمة من سمات المرحلة الخطرة التي تمر بها •

وعندما تستقر في المفهوم العام مثل هذه الصور ، ويتوارثها جيل  
عن جيل ، فإن تصحيحها يصبح من أشق المهام على الذين يتصدون لها  
بالبحث والدرس والتحليل •



# .. وحديث عن أزمة المراهقين

---

ومع هذا فإن أشق المهام ليست دائما بالشئ المستحيل .

وقبل أن نمضى فى هذا الحديث علينا أن نفكر قليلا فى الأوصاف التى وصفت بها المراهقة ، وفى الأعمال التى نسبت إليها ، وسنجد حتما أنها ليست من صنع المراهقين .

ذلك لأن المراهق لا يعتبر ما يقوم به من أعمال طيشا ، أو نزقا ، أو انحرافا .

والذين يطلقون على تصرفاته هذه الأوصاف ينتمون الى جيل أسبق من جيله . الى جيل آباءه ، وفى أحيان جيل أجداده .

ويجد المراهق نفسه موضع اتهام ، يعتقد أنه منه برىء .

وبين حكم الآباء أو الأجداد عليه بالمخالفة ، وبين حكمه هو على نفسه بالبراءة مما هو منسوب إليه ، تنشأ الفجوة بين الأجيال .

فان ضاقت الفجوة فان ضيقها يسمح بحلها على وجه أو آخر . انما  
البلوى أن تتسع الفجوة لتصبح فجوة تهدد بالانعزال بين الأجيال .

واذا كانت طبيعة المجتمعات القديمة ، فى المناطق الريفية مثلا ، أو  
فى المدن ، قبل أن تصاب حياة المدينة بهذا التعقد ، قادرة على أن تحصر  
الفجوة بين الأجيال فى نطاق معقول فان تطور المجتمع الجديد ، وزحام  
الحياة ، وضجيج المصانع ، وطول المسافات ، وصعوبة الانتقال ، قد جعلت  
الانسان مشدود الذهن والأعصاب ، بحيث لم يعد يستطيع الالتفات الى  
ما بينه وبين جيل المراهقين من فجوة يمكن أن تزول بالحوار والتفاهم ، وتقدير  
آفاق التطور .

رب الأسرة فى المجتمع الجديد يواجه التزامات أكبر ، وحرصه على  
توفير حظ أكبر من الراحة لأسرته يجعله مضطرا الى بذل جهد أكبر فى  
عمله .

والى جوار الجهد فان وقتا أطول يضيع فى المواصلات ، وانفاقا أكثر  
تفرضه عليه طبيعة التطور .

من هنا يصبح رب البيت محتاجا الى الراحة من عناء الحياة الجديدة ،  
وقد لا يجد الوقت ، ولا المناخ ، للالتفات الى سلوك الأبناء ، ومحاولة

مناقشة قضاياهم ، وهم يواجهون التطور ، فى تلك المرحلة المرحجة التى  
اعتدنا أن نسميها المراهقة .

وكما فرضت مطالب الحياة على الأسرة مزيدا من العبء على رب  
الأسرة فقد دفعت كثيرات من ربات البيوت الى العمل ليشاركن أزواجهن  
مسئولياتهم . وبهذا خلا البيت من الوالد والوالدة معا ، وترك الأبناء  
يواجهون بدونهم مراحل التطور .

معنى هذا بوضوح أن فجوة الأمس ، بين الأجيال ، قد جعلتها  
ظروف الحياة الجديدة نوعا من الفجوة ، فلم يعد جيل الأمس يشعر بمشكلات  
جيل اليوم ، الا من خلال ما يقرأه عن حركات الشباب وانحرافاتهم ،  
وما يقال عن ميلهم الى الرفض والتمرد والثورة على القديم .

أما روح الأسرة ، أو روح القدوة ، فقد اختفت أو كادت ، فى  
مشكلات المجتمع وظروفه وأعبائه ، وانشغال الآباء والأمهات عنها بتوفير  
ضرورات الحياة .

ولم يعد الآباء والأمهات يأخذون معلوماتهم عن المراهقة والمراهقين  
من الصلة المباشرة بأولادهم وبناتهم ، بقدر ما يلتقطونها مما يسمعون  
عنها من زملاء وزميلات ، أو يقرأونه عنها فى الصحف والسيارة والمجلات .

وتلك ظاهرة تزيد من حدة الجفوة بين الأجيال ، بدلا من أن تحصرها  
فى دائرة الفجوة القابلة للالتقاء .

ولو أننا عنيينا بنظرة موضوعية للمشكلة ، والاقتراب من الأزمة ،  
لوجدناها فى حقيقتها مسألة طبيعية ، لا تحمل كل هذا الخطر ، بل لوجدنا  
إن الخطر الأكبر هو فى عدم قيامها !!

ولكى نكون موضوعيين فى علاج الموضوع علينا أولا أن نتعرف على  
المراهق ، هذا المتهم بالشفب والاندفاع والخروج على المالوف .

والتعريف السليم للمراهق هو أنه انسان ، يتلمس الطريق الى  
تحقيق كيانه الأخلاقى .

وعندما يشعر الشاب بأنه قد بدأ هذه المرحلة من حياته فإنه يسمى  
الى أن يكون له استقلاله فى التفكير والسلوك وحرية اتخاذ القرارات  
الخاصة به .

ومعنى هذا أنه يحاول أن ينتقل من تابع ، يتلقى رعاية أبويه ،  
ولا يتصرف الا من خلال قرارات يتخذونها لتنظيم أموره ، الى شخص حر

مستقل ، قادر على أن يسلك في حياته السلوك الذى يناسب مزاجه  
ومجتمعه الخاص به .

وتصبح هذه المرحلة هى مرحلة تشكيله تشكيلا اخلاقيا خاصا به .  
ولعل حاجة الفتى والفتاة في هذه المرحلة الى القدوة والمثل الذى  
يحتذيانه تكون شديدة التأثير عليهما .

فاذا افتقد الفتى القدوة في الجو المحيط به في أسرته فانه يتلمس  
الطريق اليها ، في مجتمع أقرانه ، وأصحابه ، وزملائه .

وقد تعتمد الأسرة الى مقاومة هذا الميل للاستقلال . قد ترى فيه  
تمردا لا يليق . قد ترى فيه انحرافا ، فتقاومه في حدود شعورها  
بالمسئولية عنه .

وهنا تتحول العلاقة بين المراهق وأسرته الى صراع ، والى شكوى  
دائمة ومستمرة من سلوكه . وقد يلجأ المراهق الى التماذى ، فيعتبر  
قرارات والديه أثرا متخلفا عقيما من آثار اعتياده استعمال السلطان  
عليه .

وفي هذا الجو من الأزمة لا يجد الفتى من وسيلة الا أن يعرض حاجته الى الحرية بمزيد من الاندماج في مجموعة من أقرانه وزملائه .

وتتحول الفجوة الى جفوة بين المراهق وبين ذويهِ ، في حين تشتد العلاقة بينه وبين مجتمعه الخارجي .

فاذا ألقينا نظرة على هذا المجتمع الخارجي الذي يتأثر به المراهق فاننا نجده قد وصل الى درجة من التعقد تحتاج الى التأمل في صبر وأناة .

وكما أن هذا المجتمع الخارجي لا يمكن أن يكون شرا كله فانه كذلك لا يستبعد احتمالات التأثير الضار على التكوين الأخلاقي للمراهق في هذه المرحلة من مراحل تطوره .

لهذا فان تأمل هذا المجتمع الخارجي ضرورة يقتضيها الحرص على مصلحة المراهقين .

بل أن الحرص على التطور السليم للمجتمع يحتاج الى توجيه قدر اكبر من العناية نحو هذا المجتمع ، لأنه يكون الاطار النفسي ، الذي تتشكل فيه أخلاقيات جيل سيتحمل في القريب ، أردنا أو لم نرد ، مسئولية توجيه مرافق الحياة كلها .

ولسنا هنا بصدد حصر جوانب هذا المجتمع كله ، لكنه في اختصار  
ينحصر في المدرسة ، أو الجامعة ، والنادي ، والملهى ، والساحة الرياضية ،  
أو التجمعات الشعبية ، بل في الشارع كذلك .

وتلعب أجهزة الاتصال الجماهيرى بأنواعها دورا خطيرا وفعالا في  
التأثير على كثير من هذه الأماكن والتجمعات .

وهنا يصبح على هذا المجتمع الخارجى أن يلائم نفسه مع مسئوليته  
عن التكوين الأخلاقى للشباب .

وليس هناك من حل ، يقتضيه التفكير العلمى الموضوعى ، الا أن  
توضع كل هذه المؤثرات تحت الاختبار الدقيق ، لقياس مدى تأثيرها على  
المراهقين ، ومدى قدرتها على أن تمد المراهق بالزاد الأخلاقى الذى يحتاج  
اليه ، فى هذه المرحلة من مراحل تكوينه .

لكن أحدا لا يعبأ فى محيطنا العربى بهذه الدراسة ، فيترك الشباب  
يواجه قدره بلا ضابط أو تنظيم .

ولعلنا لا نزال نؤمن برواسب الماضى ، أو سيطرة تراثنا الروحى  
والأخلاقى على كل الأجيال .

أو لعلنا نعتقد أن شبابنا لا يزال بعيدا عن المؤثرات التى وجهت  
سلوك شباب العالم .

وقد تمضى بنا هذه النظرة المطمئنة ، لنجد أنفسنا فجأة أمام واقع نحار في علاجه ، أو خطر لا نعرف الطريق الى تفاديه .

والخير أن تبدأ من الآن دارسات جادة ومخلصة ومستنيرة لجوانب التأثير في الجو النفسى الذى تتشكل فيه أخلاقيات المراهقين ، أو للمجتمع الخارجى الذى يتأثرون به .

وانى لأود أن أشير هنا الى أن هدف الدراسة لا يجوز أن ينصرف الى تحويل هذا المجتمع المحيط بالفتى والفتاة الى مواعظ عقيمة وسقيمة ومملة ، فان ذلك قد يصرف كل المراهقين عن هذا المجتمع ليبحثوا لأنفسهم عن باب آخر يسلكونه الى غاياتهم .

وما غايات المراهق الا أن يحقق لنفسه قدرا من الاستقلال يرضى طموحه وينقله من دور التابع الى دور الانسان ، فى بيئة نفسية قادرة على تكوين أخلاقياته ، وفقا لتطور المجتمع .

هذه الغايات هى الأصل على الطريق الجديد ، ولسنا هنا ندافع عن أخطاء التطبيق ، فقد تكون هذه الأخطاء من صنعنا . قد يكون المراهقون قد اضطروا اليها بدافع الدفاع عن النفس ، وتحرير ارادتهم من سيطرة الأجيال السابقة على سلوكهم ، والحرص على قدر من الحرية يستهدفونه فى مسارهم نحو كيانهم الأخلاقى .

على أنى لا أريد أن أستطرد ، فان كثيرا من الدراسات الجادة قد



اثّرت حول الموضوع ، وانتهت الى نتائج طيبة فى تحديد مسار الشباب .  
وسيكون علينا أن نحمل مجتمعنا من الانحرافات التى أصابت  
المجتمعات المتخمة ، التى تعاني من الرفاهية أكثر مما تعاني من الحاجة .  
وعن طريق دراسة المؤثرات القائمة ، والتعرف على مدى ثائدتها  
أو خطرها ، نستطيع أن نضع الحطة اللازمة التى تحقق للمراهق  
شخصيته ، فى ضوء شخصية قومية عامة ، تشكل أخلاقيات المجتمع  
المجديد .

وحبذا لو شارك الشباب فى هذه الدراسة ، وحبذا لو وضعنا  
الحدود بصورة تسمح لأن يتنفس المراهق فيها بقدر من الحرية ، يكفل  
عدم تمرده عليها .  
وبعد فإن علينا أن لا نعتبر المراهقة سبة ، لأنها بالفعل ليست  
سبة .

انها رحلة طبيعية يمر بها الانسان ، فاذا لم نحسن تطويعها فى  
ضوء القدوة والمثال الصالح ، واستثمارها لنمو يحقق الشخصية القومية  
المتطورة ، فعلينا أن نعتزف بعجزنا ، بدلا من اخفاء فشلنا فى مجموعة  
من الأوصاف عن المراهقة والمراهقين .

عبد المنعم الصاوى

# المراهق

## والاختيارات الأخلاقية

تنحو الدراسة العلمية للشباب ، بدرجة تتزايد شيئا فشيئا ، نحو أن تغدو علمامستقلا ، بيد أنها تصطدم في إيماننا هذه بمشكلات تبليغ من التعقد جدا لم يسبق له منيل . وفيما يبذله علم الشباب من جهود لصياغة هذه المشكلات وحلها لارساء أسس سياسة « مشاركة الشباب » (١) انتفع بإسهامات علم النفس والنظرية التربوية ، وانتفع كذلك ومنذ عهد قريب ، ولكن بدرجة أعظم في الأهمية ، بإسهامات علم الاجتماع (٢) . ومع ذلك ، ورغم شيء من نجاح لا ينكر ، فإن عدم ملائمة التحليلات والحلول التي طبقت على الشباب غدت أمرا بينا في السنوات الأخيرة ، وبخاصة بصدد موقف الشبان تجاه قيم الحياة وطرانقها التي تقدمها المدنية المعاصرة .

وينصب موضوع هذا المقال على تلخيص نتائج بحث أجرى في رومانيا على موقف الشبان تجاه القيم الأخلاقية ، وعلى بسط بعض النتائج التمهيدية .

(١) انظر : In Partnership with Youth, Paris, Unesco, 1969 (Unesco and its Programme).

L. Rosenmayer, «Jugend als Factor Sozialen Wandels», Jugend im Spektrum der Wissenschaften, Munich, Juventa Verlag, 1970.

(٢)

## بقلم : فرد ما هـ لـ ر

نائب مدير المركز الروماني للأبحاث المتعلقة  
بمشكلات الشباب منذ ١٩٦٨ • ويقوم بتفريس علم  
الأخلاق في المعهد الطبي والصيديل بيوخارست •  
وأسهم في عدة موسوعات وقواميس رومانية • وله  
مؤلفات في المشكلات الأخلاقية ومشكلات الشباب •

## ترجمة : الدكتور محمد فتحي الشنيطي

استاذ الفلسفة ورئيس قسم الدراسات الاجتماعية  
بكلية الآداب بالبنيا • منذ ١٩٥٥ وهو يحاضر في  
الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، وفي المنطق ومناهج  
البحث العلمي في كلية الآداب بجامعة القاهرة وفي فرع  
القاهرة بالخرطوم ، وفي كلية الدراسات الاقتصادية  
والاجتماعية بجامعة الخرطوم ، وأخيرا في كلية الآداب  
بجامعة بيروت العربية • له مؤلفات عديدة في المنطق  
والفلسفة ، و مترجمات فلسفية كثيرة •

وكانت نقطة الانطلاق في مقالنا هذا هي الفكرة القائلة بأن دراسة الانضباط في  
الشباب يجب أن تخص الجانب الأخلاقي بانتباه أعظم ، وأن تبحث دينامية نمو  
روح النظام بين الشباب واتجاهاتهم في المستقبل ، مادام المثل الأعلى الأخلاقي للمراقبين  
هو أحد العناصر الرئيسية في شخصيتهم • وفي هذا الطريق يبرز علم الاجتماع وتظهر  
المثل العليا الأخلاقية من حيث كونها ميادين ومناهج جديدة متميزة في دراسة  
الشباب •

والمشكلات المنطوية في العلاقات الأخلاقية بين الشباب والمجتمع ، وهي المشكلات  
التي تفقد حادة بدرجة متزايدة في كل مكان ، لها أهمية خاصة في مجتمع اشتراكي ،  
وتمثل سمات متميزة في ذلك المحيط • فالمجتمع الاشتراكي بطرائقه الجديدة في  
الانتاج ، وبشروطه الجديدة في الملكية ، وبالعلاقات الانسانية الجديدة ، لهو ، ويجب  
أن يكون الهيكل لتلك « النزعة الانسانية الواقعية » التي تتميز ، تبعا لما ركس ،  
بالعلاقات الأخلاقية المؤسسة على مبدأ العدالة الاجتماعية •

والبحث الذي نصفه في هذا المقال نظمه ونفذه بين ١٩٦٨ و ١٩٧٠ المركز

الروماني للبحوث الخاصة بمشكلات الشباب • وكان هدفه دراسة « نماذج الحياة ومثلها الأعلى بين المراهقين المتخطين في المدارس » (١) • وشملت الدراسة ٢٧٠٠ مراهق ينخرطون في مدارس المدينة والقرية وضمت مسح آرائهم ، وتحليل سلوكهم ودوافعهم والعملية التربوية •

وكان أحد الجوانب الأساسية في البحث الدراسة المتطلعة نحو المستقبل للشخصية النامية للمراهق ، ولهذا الغرض ابتدع كاتب هذا المقال منهجا مبتكرا في تحليل دور الاختيارات الأخلاقية في تشكيل الشخصية الأخلاقية (٢) •

فبالأخذ بالنظرة الذهابية الى أن الشخصية الأخلاقية هي بشكل بارز عنصر هام في الشخصية ككل<sup>٣</sup> ، ما دامت تمثل مركز الجاذبية لمشاعر الانسان ومعرفته وعلاقاته بالآخرين ، سعى الباحثون الى تحليل نشأة ونمو الوعي الذاتي الاخلاقي والتصور الاخلاقي للعالم معا في المراهق • والشخصية الأخلاقية التي يمكن أن يقاس بها النضج الفردي والاجتماعي تمثل مكان التقاء الماضي والحاضر والمستقبل ، فهي ذاكرة من حيث كونها مركبا من الأفعال الأخلاقية في الماضي ، وهي اختيار من حيث كونها ادراكا اخلاقيا بالفعل الحاضر ، وهي توقع من حيث كونها تأملا انتقائيا في افعال المستقبل • وباختصار فان الشخصية الأخلاقية لا يمكن الهبوط بها الى مجرد خلاصة آلية لحبرة سابقة ، ولا الى مركب غامض لامكانيات المستقبل ، وانما هي ذلك المجال الذي لا يكف عن الدينامية لحرية اختيار الفرد ، الذي تتغير استعداداته الفطرية – تغيرا جذريا أحيانا – عبر حياته نتيجة لما يتلقاه من تربية ولتربيته الذاتية ، ولمواجهاته لحقائق المجتمع ومعاييره وقيمه ومثله العليا •

هذا التعريف للشخصية الأخلاقية يوحى بالفرض التالي : ان لحظة نشوء الشخصية الأخلاقية تتزامن مع المرحلة التي تتكون عندها أول اختيارات واعية ، أعنى مرحلة المراهقة التي تمثل مولد الانسان ككائن أخلاقي • فالمرهق يكتشف امكانية الاختيار وضرورته بحيث يكون على بينة من تخطي النزوات والاعتمادات المبهمة التي كانت في الماضي تحدد أفعاله ، ويتحول الى نسق من القيم يتطور تطورا واعيا ويختاره اختيارا حرا • وهو يعرض من التبعية الى الاستقلال ، ومن الطاعة الى الحكم النابع من الذات ، ومن الوعي بالذات الى الوعي بالآخرين ، ومن الواجب الى الحرية متصورة كضرورة مفهومة ، ومن محاكاة النماذج الى ظهور المثل العليا ، ومن التربية الى التربية الذاتية (٣) •

(١) أشرف على تجميع فريق الباحثين وإرشادهم الأستاذة : د. بازاك D. Bazac • ١ ديميتريسكو I. Dimitrescu • ف. ماهر F. Mahler • وف. رادوليان V. Radulian

F. Mahler : *Rohul Ontimii in Ontogeneza Personalității* (٢)

Morale (The Role of Choice in the Ontogenesis of the Moral Personality)

J. Piaget, *Le Jugement Moral chez* ( رسالة دكتوراه قدمت الى جامعة بوخارست ) (٣)  
l'Enfant, Paris, Presses Universitaires de France, 1957.

ومما يميز دراسة المراهقة تمييزا نوعيا من وجهة علمى الاجتماع والأخلاق وضع المراهق ودوره فى الحاضر من ناحية ، ووضعه ودوره فى المستقبل من ناحية أخرى . وبقدر الاهتمام بالشخصية الأخلاقية يعبر عن هذه العلاقة الدينامية فى التمييز بين الشخصية « المفروضة » والشخصية « المقترحة » ، بين الإنسان وقد حددته شروط وجوده والإنسان كما يود أن يكون فى حدود المثل العليا ، والنماذج والمطامح التى ترتبط بدورها بالظروف الاجتماعية والتربية .

واختيار المثل الأعلى للحياة ينجم عن التفاعل بين الشخصية النامية وبين الحقائق الاجتماعية والثقافية للبيئة . ويتألف هذا الاختيار من التوحيد بين النماذج والمثل العليا الماثلة نصب عيني الشاب ومن انتقاء نقدى لتلك النماذج ، حتى ولو أدى الى « رفضها » . وبهذا يشكل هذا الاختيار عملية أساسية يتبنى الشاب عبرها معايير وقواعد لنفسه ، ويدرك معنى الواجب ، ويصبح على بيئة بتسلسل القيم ، ويحدد مطالحه (١) .

وتشكيل المثل الأعلى تشكيل حاسم فيما يتعلق بمعرفة الذات ، وتعريف الذات ، كذلك فيما يتعلق بتحديد الاعتقادات ، والمشاعر ، والاختيارات بصدد القيم المخصصة لأغراض الحياة ، ومن ثم يحدد هذا التشكيل علاقة الفرد بمطالب المجتمع . وفى الوقت نفسه يحفز تعريف المثل الأعلى للحياة الميل الى التعالى على الحاضر ، والرغبة فى اصلاح البيئة واصلاح الذات (٢) .

وينبغى ، من وجهة نظر منهجية ، تأكيد أن الاجابات على الأسئلة المختلفة التى أقيمت على المراهقين قد اعتبرت من حيث علاقتها بالخلفية الاجتماعية والاقتصادية ، ونمط المدرسة التى ينتظمون فيها ، والتعاطفات السياسية ، والسن ، والجنس ، الخ ، « مؤشرات الطبقات » . وقد ظن أيضا أن من الضروري دراسة العلاقات بين النتائج المتوصل اليها وبعض مؤشرات الشخصية ، أعني درجة النضج ، معرفة الذات ، الاستقلال ، توجيه القيمة . وبينما تزودنا المؤشرات الأولى بصورة أفقية بصفة رئيسية ، جاعلة من الممكن التعرف على الخصائص المميزة للمواقف المستجيبة فى استجاباتها المتزامنة ، تزودنا مؤشرات الشخصية بصورة رأسية مكملية ، مبينة لخصائص المميزة لهذه المواقف المستجيبة فى استجاباتها الدينامية المتحركة . وبينما يحدد وضع المراهق ودوره فى الحاضر من حيث علاقته بجميع المؤشرات التى حللناها آنفا فإن وضعه ودوره فى المستقبل يتحدد من حيث علاقته بمؤشرات خاصة .

---

P.H. Chombart de Lauwe, *Pour une Sociologie des Aspirations*, Paris, Denoël-Gonthier, (١) 1972.

N. Belbu, V. Popescu, L. Miros, V. Zamfirescu, *Timereții și Idealul Moral (Youth and the Moral Ideal)*, București, Editura Academici R.S. România, 1969. (٢)

وطبقا للفرض الأساسى اعتبرت الاختيارات المتخذة أفعالا ذات تعقد ضخم يشمل الشخصية بأسرها من حيث الوعي والتشاط معا ، وإن يكن ذلك بدرجات متفاوتة .  
وقد استتبعت التحليل دراسة أربع متغيرات :

- ( أ ) اختيارات الموقف ، أى المواقف التى يختارها الشخص فى حالة معينة .
- ( ب ) اختيارات العلاقة ، أى طرائق السلوك تجاه الآخرين .
- ( ج ) اختيارات الفعل مع تقدير احتمالات المستقبل ، أى التحديد التقديرى لاختيارات المستقبل من حيث علاقتها بالسلوك الأخلاقى الجوهري .
- ( د ) اختيارات المثل الأعلى مع تقدير احتمالات المستقبل ، أعنى بالمثل التعبير التقديرى عن اختيارات من حيث علاقتها بالقيم والأهداف الأخلاقية .

إن أى اختيار - لا الاختيارات التقديرية فقط - يتضمن علاقة متبادلة بين المصلحة والمعايير ، بين الرغبات والواجبات ، بين سلسلة كاملة من الشروط المعطاة وتقدير احتمالات المستقبل للمثل العليا ، وهو ما يتبلور من خلال انجاز فعل وانعكاسه على مستويات الوعي والمطامح . وبينما تكون هذه البارامترات (١) تعرف معرفة جيدة وتفهم ، وذلك فى حالة المجموعتين الأوليين للاختيارات ( الموقف والعلاقة ) ، فمن جانب آخر فى حالة الاختيارات التقديرية لا يستطيع الشخص أن يعرف الشروط الصحيحة للاختيار الذى عليه أن يتخذه ، أو للفعل الذى عليه أن ينجزه ، أو للمطامح التى عليه أن يسعى إليها ، ذلك لأن تلك العناصر كلها بعيدة معظمها عن بعض إلى حد ما من حيث الزمن ، وعليها أن نسلم بأن ثمة تغيرات هامة ستحدث ، فى غضون ذلك ، فيما يتعلق بالشخص نفسه ، وبالملازمات التى يعمل فيها على حد سواء .

وبالنظر إلى تعقد الاختيارات التقديرية فقد حللت لا من حيث علاقتها بمؤشرات الطبقات ومؤشرات تشكيل الشخصية ، وهى المؤشرات المعبرة عن وضع ودور المراهق فى الحاضر ، فحسب ، بل أيضا من خلال منشور المؤشرات المتصلة بتحديد احتمالات الوضع والدور فى المستقبل .

وفى الاختيارات التقديرية للنشاط يكون فعل المستقبل نتيجة اختيار اتخذ بفضل المثل الأعلى الذى اختير ، وفى الاختيارات التقديرية للمثل الأعلى يدعى الشخص للدلالة على جانب ما من جوانب ذلك المثل الأعلى عينه . ومن المفهوم أن الأسئلة المستندة إلى هذا العنصر الثانى تفترض قدرا أعظم من النضج ، وأن الحلول المشار إليها تنضم قدرا أكبر من النسبية ، بأن ندخل فى الاعتبار سن أولئك الذين تشملهم الدراسة

---

(١) البارامتر : المتغير الذى يتبين بقيمة من قيمه المختلفة أحد أفراد مجموعة من النقط أو التنبؤات أو الدالات التى تشترك فى خاصية واحدة .

وتشكيل شخصيتهم الأخلاقية - ومع ذلك ، ومن ناحية أخرى ، فإن هذه الأسئلة أكثر عونا في دراسة الشخصية الأخلاقية ونشأتها وتشكيلها جميعا .

ولضيق المكان يستحيل علينا أن نفعل أكثر من أن نلخص قليلا من الخصائص المميزة للاختيارات التقديرية التي اتخذها المراهقون الذين سئلوا .

ان رأى المراهقين بخصوص روح النظام في المستقبل يعبر عن وجهات نظرهم - وهي أحيانا ايجابية ، وأحيانا نقدية - فيما يختص بالمعايير السياسية والاقتصادية والتربوية الفعالة في المجتمع الذي يعيشون فيه ، أو الكامنة وراء سلوك الشباب الفعلي في الحاضر ، وفي الوقت نفسه ، وعلى أساس تقدير احتمالات المستقبل يعكس هذا الرأى العلاقة بين وجهة نظر المراهقين في التطور الممكن أو الضروري للمعايير في المستقبل وصورتها المثالية المترتبة على ذلك .

### الحاجة الى مثل أعلى :

وعلى عكس الرأى الذى يدور حوله الجدل ، والقائل بأن ثمة « جيلا أصغر من الشكاك » (٢) بمثابة ظاهرة عالمية ( وهذا الرأى يسقط من اعتباره الفوارق في الظروف السياسية والاقتصادية ) ، فإن الأغلبية العظمى من المراهقين الذين شملتهم الدراسة قد عبروا عن ايمانهم بمثل أعلى ( انظر الجدولين ١ و ٢ ) . فالاجابات على السؤال المنصب مباشرة على الاهتمام بمثل أعلى تؤيدها المعلومات التي جمعت من الاستجابة للأسئلة غير المباشرة في الاستبانة ، والمعطيات التي حصل عليها الباحثون خلال أشكال أخرى من البحث . ان المراهقين توافقون الى أن يكون لهم مثل أعلى يتبعونه ، ومعظمهم قد حدده من قبل أو هو بسبيل تحديده . وعلى نحو أدق هذه هي الصورة الأولى للمثل الأعلى كمنصر دينامى ، دائب السعى الى الكمال ، يمثل مرشدا للنمو المتصل للشخصية معتبرة من حيث علاقاتها الاجتماعية (١) .

### الجدول رقم (١) الاهتمام بنموذج للحياة ومثل أعلى لها

المجموع	اهتمام بمثل أعلى للحياة			الاهتمام بنموذج للحياة			
	لا يعرف	لا	نعم	لا يعرف	لا	نعم	
العدد	٢٧٢٣	١٠٢٢	٦٩٥	٣٠٨	٢٩٦	٢١٢٩	
النسبة المئوية	١٠٠ر٠	٣٧ر٣	٢٥ر٤	١١ر٣	١٠ر٨	٧٧ر٩	
[ س٢ = ١٢٣١ < س٣ = ٩٥٠ = ١١١ (هام) ]							

المجموع رقم ٢

دينامية الاعتماد بنموذج الحياة ومثل اعل لها

السن	الاعتماد بنموذج الحياة		الاعتماد بنمط اعل للحياة		النسبة المئوية	
	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
١٤	٨٢	٢٠	١٦	١٦	٢٨	٦٤
النسبة المئوية	٦٩٥	١٦٩	١٣٦	١٣٦	٣٢٢	٥٤٣
النسبة المئوية للمجموع	٣٩	٦٨	١٦	١٦	١٣٦	١٣٦
١٥	٣٣٢	٧٢	٣٧	١٨٩	١٢٥	١٢٨
النسبة المئوية	٧٥١	١٦٥	٨٤	٤٢٨	٢٨٣	٢٨٩
النسبة المئوية للمجموع	١٥٦	٢٤٧	١٢٥	١٨٥	١٨٠	١٢٥
١٦	٥٤٧	٨٤	٧٦	٢٨٤	٢٠٠	٢٢٣
النسبة المئوية	٧٧٤	١١٩	١٠٧	٤٠٣	٢٨٥	٢١٨
النسبة المئوية للمجموع	٢٥٧	٢٨٤	٢٨٣	٢٧٨	٢٨٩	٢١٩
١٧	٥٦٠	٥٨	٤٧	٣٠٧	١٨٠	١٧٨
النسبة المئوية	٨٤٣	٨٧	٧١	٦٤٣	٢٧١	٢٦٧
النسبة المئوية للمجموع	٢٦٣	١٩٦	١٥٩	٣٠٠	٢٦٠	١٧٤
١٨	٥١٧	٥٠	١٢٢	١٦٩	١٢٢	٣٩٨
النسبة المئوية	٧٥٠	٧٣	١٧٧	٢٤٥	١٧٧	٥٧٨
النسبة المئوية للمجموع	٢٤٣	١٦٩	١٦٥	١٦٥	١٧٦	٣٩٠
١٩	٦٦	٥	١٠	٣٧	١٧	٢٧
النسبة المئوية	٨١٥	٦٣	١٢٣	٤٥٧	٢١٠	٢٣٣
النسبة المئوية للمجموع	٢١	١٧	٢٣	٣٦	٢٥	٢٦
المجموع الكل	٢١٢٩	٢٩٦	٣٠٨	١٠٢٢	٦٩٣	٢٧٠٢
النسبة المئوية الكلية	٧٩٩	١٠٠٨	١١٢	٣٧٣	٢٥٤	٢٧٢

$$[ (A) = 100 - 90 = 10 ]$$



هذا التعلق بالمثل الأعلى ، الذى يتزايد عامة بارتفاع السن ، ينبثق من الاهتمام الذى يبديه المراهقون ، أولا فى اختيار التماذج ( كمرحلة أولى فى تشكيل المثل الأعلى ) وبالتالي فى المثل الأعلى نفسه .

وتصنيف الاجابات ، مثل كون دينامية الظاهرة ينظر اليها تبعا للسن ، يمكننا من القول بأن ثمة اهتماما عظيما بالمثل العليا ، بل ان ثمة حاجة الى المثل العليا بين المراهقين . فقد حدث أن جاهر المراهقون به بشكل واضح فى اجاباتهم على الأسئلة الصريحة وفى المقابلات . والتعلق الملحوظ الذى أبدوه بصدد نماذج للحياة يعكس مرحلة طبيعية فى نمو الشخصية . فهو لا يتعارض مع التعلق بالمثل العليا ، بل يؤكد نشأة وتعزيز الأشكال الواقعية ، وان تكن أولى ، لذلك التعلق . وبالطبع كان هنالك عدد معين من المجيبين غير قادرين على ابداء رأى ، ويلاحظ كذلك أن بعض الاستجابات كانت سلبية ، وبخاصة فيما يختص بالتعلق بمثل أعلى . فعند بعض المراهقين يمثل هذا مرحلة طبيعية قبل الوصول الى الرشد ، فى حين يعكس هذا عند بعضهم الآخر ( وان لم يكونوا كثيرين ) افتقارا حقيقيا للاهتمام ، بل يعكس نوعا من الازدراء بتحديد مثل أعلى .

وقد حصلنا كذلك على بعض المعلومات الشائقة للغاية بصدد الاصرار على المثل الأعلى المختار ( انظر جدول رقم ٣ ) .

### جدول رقم (٣) الاصرار على المثل الأعلى المختار

السرود	العدد	النسبة المئوية
يجب على الانسان أن يتأخر فى مثله الأعلى بصرف النظر عن الملابس	١٣٧٩	٥٠.٥
قد يتخل الانسان عن مثله الأعلى تخليا جزئيا	٤٤٥	١٦.٢
قد يتخل الانسان عن مثله الأعلى تخليا تاما	٧٦	٢.٨
لا يعرفون	٣٧٧	١٣.٧
لم يصدوا البتة للمشكلة	٤٥٦	١٦.٨
المجموع	٢٧٣٣	١٠٠.٠

[  $\chi^2 = ١٥.٣٧ < \chi^2_{٠.٠١} = ٩٩.٥٠$  ( غابة فى الأهمية ) ]

D. Bazac, I. Dumitresco, F. Mahler, V. Radulian, «Social et individuel dans la (٢) Structure et la Dynamique de l'Idéal de Vie chez les Adolescents Scolarisés», La Jeunesse d'aujourd'hui Bucharest, Centre for Research into Youth Problems, 1970.

ونمة أغلبية كبيرة من المراهقين - أكثر من النصف - ينبغي أن يثابروا في مثلهم الأعلى بصرف النظر عن الملبسات . في حين أن أقل من عشرين في المئة بدرجة بسيطة يسلّمون بأن الإنسان قد يتخلى عن المثل الأعلى تخلياً جزئياً ، وأقل من ثلاثة في المئة يظنون أن من الممكن التخلي تخلياً تاماً عنه . وينبغي الإشارة إلى أن السؤال مرتبط بالحالة النوعية حيث تستلزم ملاحظة المثل الأعلى المختار جهوداً أو تقود إلى المتاعب .

ومن جميع المعلومات التي حصلنا عليها لا بخصوص حاجة المراهقين إلى مثل أعلى وتصميمهم على العمل وفق مثلهم الأعلى فحسب ، وإنما أيضاً بصدد ميلهم نحو مثل أعلى خاص ، من الواضح أنهم يقرون صراحة بالمثل الأعلى الانساني للاشتراكية . أن المجتمع الذي يتطلع إليه معظم المراهقين ليس مجتمع الاستهلاك حيث تفضي نزعة الإنسان العادية واغترابه - وهي بعض الخصائص المميزة لهذا المجتمع - إلى الخط من شأن القيم والمثل العليا ، بل هو على العكس من ذلك عالم تضي فيه صبغ العلاقات الاجتماعية بصبغة التفاؤل في جو من المساواة والعدالة الاجتماعية جنباً إلى جنب مع التطور التكنولوجي والتصنيع والآلية . وهم يأملون في المجتمع الذي سيكون ، أن يحل القضاء على الفقر وإعادة صياغة العلاقات الانسانية محل « التلهف على المثل العليا » ، و « البحث عن القيم » محل اشتهااء الطعام والتدافع بالناكبات نحو السلع المادية .

### أخلاق اجتماعية :

وقد سئل المراهقون عن القيم الغالبة على المثل الأعلى . وقد طلب منهم أن يشيروا إلى القيم التي لها غنى نظرهم الصدارة ، مثل : السعادة الشخصية ، الشهرة ، المنفعة ، الجمع بين المصلحة الشخصية والمصلحة الجماعية ، الخ . هذا الطيف العريض من القيم قد انكشف ليلائمه التحليل ، إلى ثلاث قيم غالبة : المثل الأعلى العام ، المثل الأعلى الشخصي ، والمثل الأعلى البراجماتي ( انظر جدول رقم ٤ ) .

### جدول رقم (٤)

### القيم الغالبة في المثل الأعلى

النسبة المئوية	العدد	الردود
٢٥ر٧	٩٧٦	المثل الأعلى العام
٤٨ر٤	١٣٢١	المثل الأعلى الشخصي
٧ر٤	٢٠٤	المثل الأعلى البراجماتي
٨ر٥	٢٣٢	بدون جواب
١٠٠ر٠	٢٧٣٣	المجموع
[ س = ٢ = ١٧ر١٢ < ٢ س ٩٩٩ ( هام للعادة ) ]		

ويظهر بجلء من الاجابات أن أغلبية كبيرة من المراهقين يؤثرون القيم المتجمعة تحت مصطلح « المثل الأعلى الشخصي » ( السعادة الشخصية ، تحقيق الشخصية ، النجاح المهني ) ، ثم تأتي القيم الغالبة المتجمعة تحت « المثل الأعلى العام » ( التضحية من أجل قضية مشتركة ، والجمع بين المصلحة الشخصية والمصلحة الجماعية ) . هذه القيم الغالبة التي تفسر ثمانين في المئة من الردود - وهي تعبر بوضوح عن وجهات نظر مختلفة - تمكس اختيار المراهقين الأساسى لمجموعة قيم نموذج الاشتراكية : التأكيد الحر والمتنوع للشخصية ، لا فى تعارض مع مطالب المجتمع ، بل فى تناغم معها . وأخيرا أشار عشرة فى المئة من المراهقين الى تفضيلهم للمثل الأعلى البراجماتى ، الذى يمكن اعتباره اختيارا سلبيا يرجع الى غلبة القيم الدنيا من منفعة وشهرة .

وطبقا لوجهات نظر نابعة من أبحاث مسح أخرى ، وبوجه خاص طبقا لمواقف سلبية تجاه العمل من حيث كونه نشاطا منفرا حقا ، عارض المراهقون الذين سئلوا صورة عمل « سيسيفيوس » الفاشل بصورة عمل « بروميسيوس » الناجح الذى يمتاز بكونه جهدا ابداعيا (١) . وفى روح مجتمع المستقبل ، كما تخيله هؤلاء الشباب ورغبوا فيه فوق كل شيء ، لا ينبذ العمل من حيث هو كذلك ، بل ينبذ فى أشكاله المنفرة والمنحطة فقط . فالعمل مرغوب من حيث كونه روحا مبدعا يتيح للشخصية أن تتفتح ، وإذا كانت الزيادة فى انتاجية العمل وإذا كانت العلاقات الاجتماعية الجديدة تنتج عن مزيد من اوقات الفراغ فإن صفات العمل وشخصية الإنسان العامل *homo faber* يمكن تكملتها بصفات وقت الفراغ *homo ludens* **والإنسان اللاهى**

علاوة على ذلك ، ومع كون قائمة مجموع القيم الغالبة قائمة ايجابية ككل ، فإن لها أيضا قسمات سلبية . هذه النتيجة تؤيدها ، اتفاقا ، دراسات وملاحظات أخرى . وقليل من المراهقين يؤثرون موقف « يخول لى أن أفعل كل شيء » ، ويتخذون النظرة الفردية ، ولا ينازعون فى صراحة فى الواجبات الاجتماعية ، ولكنهم لا يفتأون يميلون الى اهمالها .

وأيا ما كان ، فيجمل بنا أن نكرر أن القيم التي تغلب بين المجيبين هي قيم مرتبطة بالانجاز الاجتماعى كهيكلى للشخصية ووسيلة لتوكيدها . ومن ثم فعند الشباب لا يتبدى روح المستقبل كمجرد تبرير أخلاقى لملاحقة المصالح المادية ، وهو ليس كذلك كبها لتلك المصالح واستبعادا زاهدا لها ، بل هو على العكس ينظر الى هذا الروح من حيث كونه مركبا من معايير ومبادئ مفضية الى تحقيق صادق لشخصية الفرد من حيث ارتباطه بالجماعة ومن حيث هو فى الوقت نفسه مستقل عنها . فبتحدى

(١) سيسيفيوس Sisyphus شخصية من شخصيات الأساطير اليونانية - ابن ملك « كورينث » اشتهر بقطع الطريق . حكم عليه أن يرفع يده موكه صخرة ضخمة من سفح الجبل الى قمته ، كانت تسقط دائما قبل أن تصل الى القمة . أما « بروميسيوس » Prométhée فهو اله النار الذى يمزى اليه بمت أول حضارة إنسانية ( المترجم ) .

النزعة الفردية تحدية لغريزة القطيع ، يجعل روح المستقبل من الممكن انجاز الأمر الكائناتى « الانسان كفاية » ، لا على صعيد التأمل الفلسفى ، بل على صعيد البراكسيس praxis ( العمل ) ، لا من أجل الصفاة بل من أجل الانسان العادى .

### العمل وتحقيق الشخصية :

ويشغل النشاط المهنى مكانا بارزا فى أذهان المراهقين الذين سنلوا ، سواء كان لديهم مثل أعلى اجتماعى أم لم يكن . وفى رومانيا يرتبط الجهد المبذول من أجل التنمية الاقتصادية ارتباطا وثيقا بالحياة اليومية ، بحيث يرى الشباب مستقبلهم مرهونا بممارستهم لمهنة من المهن ، تضمن لهم بوجه عام حرية اختيار التدريب اللائق . وعند معظمهم يعتمد النجاح فى الحياة على اختيار عمل ملائم لاستعداداتهم ومطامحهم . بيد أن التعميم ، بالطبع ، مستحيل . فبعض المراهقين يعززون الدور الأول الى الفرصة . وعلى سؤال ينصب على العامل الرئيسى الذى تعتمد عليه سعادة الانسان كان جواب ٦٧٨ فى المئة : « العمل والجهد الشخصى » ، وجواب ١٢٧ فى المئة فقط : « فرصة الحظ » .

ويذهب بعض المراهقين بعيدا الى حد التوحيد بين المثل الأعلى الاجتماعى ومثل أعلى العمل ، وأقلية قليلة تتخذ النظرة البراجماتية للعمل ( انظر جدول ٥ ) .

### جدول رقم (٥)

#### العوامل المحددة فى السعادة

الردود	العدد	النسبة المئوية
العمل ، المجهود الشخصى	١٨٥٢	٦٧٨
المجهود الجماعى	٤١١	١٥٠
فرصة الحظ	٣٤٧	١٢٧
لا يعرفون	١٢٣	٤٥
المجموع	٢٧٣٣	١٠٠٠
[ س = ٦٨٢٣ < ٧٠٠ = ٩٠٠ = ٦٢٥ ( هام ) ]		

وفى افصاحهم عن اقتناعهم بضرورة العمل يبدو أن المراهقين يعلنون ائثارهم لروح نظام مؤسس على قيم العمل ، ويرون أن الجهد والمقدرة ينبغى أن يكونا هما العاملين المحددين فى النجاح . فى حين أن أبحاث مسح أخرى أظهرت مواقف تنكر العمل من حيث كونه منفرا ، ويتطلع المراهقون الذين سنلوا الى تحويل العمل المهنى

الى نشاط ابداعى . وتتجلى الرغبة فى أن يكون روح المستقبل روح عمل ابداعى قادر على أن يكفل نموا كاملا للشخصية .

### النماذج والاستقلال :

وقد قادت دراسة دينامية معرفة الذات من حيث علاقتها بالسن الى اكتشافات فى غاية الاهمية ( انظر جدول رقم ٦ ) .

وأيد المسح دراسات سابقة كشفت عن مرحلة أولى تهيم عليها معرفة الذات ( التنشئة الفردية ) ، تتبعها مرحلة من الاهتمام بالآخرين ، وبخاصة أعضاء جماعة السن الواحدة ، وكذلك فى المعايير الأخلاقية والاجتماعية ( التنشئة الاجتماعية ) . واطهرت فى الضوء مرحلة ثالثة تتأرجع خلالها التنشئة الفردية والتنشئة الاجتماعية كلتاهما بدرجة خطيرة بين الرفض والقبول . تلك هى مرحلة تنشئة الشخصية ، وفيها يكون للشباب فى نهاية المراهقة شخصية مشيدة اغنتها من قبل معرفة الآخرين وعلاقاته بهم ، وهو من ثم ينشغل انشغالا رئيسيا بأن يرتبط بين معرفته بذاته ومعرفته بالآخرين . وبينما تميز نماذج الأسرة والنماذج الخيالية ( أدبية أو فنية ) مرحلة التنشئة الفردية ، فان النماذج من خارج الأسرة التى يزودنا بها شبان آخرون أو فتيان تميز مرحلة التنشئة الاجتماعية ، وتمتاز مرحلة تنشئة الشخصية برفض النماذج الخارجية ، وتكوين شخصية الفرد تكوينا مستقلا .

ولا يعتبر المراهقون القضاء على التنشئة الشخصية للانسان والهبوط بالطرفة الى قاعدة عامة للسلوك ، وضياح الفردية فى الجمهور ، أمرا يلزم أن يحدث . ومع ذلك فان صبح التربية والتعليم بصيغة المنظمة وتزايد تأثير الوسائط الجماهيرية يجعل هذا أمرا ممكن الحدوث ، مما يجعل من الجوهرى أن تتيح التربية للشبان تنوعا كبيرا من القيم والنماذج . ومن ثم يتحتم ابتكار شكل من التربية والتعليم يمكن المراهق من أن يختار لنفسه قيمه ونماذجه فى السلوك .

وكنتيجة طبيعية لما تقدم ينشئ الحق فى تكوين الشخصية انبثاقا واضحا كسمة مميزة من سمات روح المستقبل . وفى مجتمع العدالة والمساواة ، فى مجتمع التقدم المادى والروحى ، لا يكفى تشجيع ازدهار الشخصية فى المستقبل ، بل ينبغى كذلك تشجيع ازدهار شخصيات متعددة الأشكال .

والنتيجة الرئيسية التى تساق من البحث هى أن فى وسع المجتمع الاشتراكى أن يقدم مثلا عليا ونماذج تجدد صدى حقيقيا بين الجيل الأصغر ، ويمارس عليه نفوذا حقيقيا . ومع ذلك فيمكننا أن نلاحظ نزعة برجماتية وبعض الاتجاهات الفردية تشكل

جدول رقم (١)  
دينامية معرفة اللات

السن	الميل معرفة اللات	الميل معرفة الآخرين	الميل علاقة بين اللاتيين الآخرين	يكون إجابة	العدد النسبة النسبة النسبة	المجموع
١٤	٤٢	١٩	٢٤	٢٣	١١٨	٤٣
النسبة المئوية	٣٤٦	١٦١	٢٨٨	١٩٤٩		
النسبة المئوية للمجموع	٤٣٠	٣٧	٤٣٧	٥١٥		
العدد	١٩٥	٧٩	٩٦	٧٢	٤٤٢	١٦٢
النسبة المئوية	٤٤١	١٨٩	٢١٧	١٦٢٨		
النسبة المئوية للمجموع	١٨٨	١٥٣	١٣١	١٦١٤		
العدد	٢٧٣	١٣٨	١٦٣	١٣٣	٧٠٧	٢٥٩
النسبة المئوية	٣٨٦	١٩٥	٢٣١	١٨٨١		
النسبة المئوية للمجموع	٢٦٣	٢٦٧	٢٣٣	٢٩٨٢		
العدد	٢٦٨	١٢٨	١٨٦	٨٣	٦٥٥	٢٤٣
النسبة المئوية	٤٠٣	١٩٢	٢٨٠	١٢٤٨		
النسبة المئوية للمجموع	٢٥٨	٢٤٨	٢٥٤	١٨٦٠		
العدد	٢٢٢	١٣١	٢١٥	١١٦	٦٨٩	٢٥٢
النسبة المئوية	٣٣٢	١٩٧	٢١٣	١٦٨٣		
النسبة المئوية للمجموع	٢١٤	٢٦٣	٢٩٤	٢٦٠٠		
العدد	٢٤	١٧	٢٥	١٥	٨١	٣٠
النسبة المئوية	٢٩٦	٢١٠	٣٠٩	١٨٥١		
النسبة المئوية للمجموع	٢٣	٢٣	٢٣٤	٢٣٦		
العدد الكلي	١٠٣٤	٥١٧	٧٣١	٤٤٦	٢٧٣٣	١٠٠٠
النسبة المئوية الكلية	٣٨٠	١٨٩	٢٦٧	١٦٣١		

$$[ \text{معرفة اللات} = 0.90 \times \text{معرفة الآخرين} = 0.90 \times 1886 = 1697 ]$$

من قبل صورة تتعدد أنواعها فى نطاق واسع • ولعملية تشكيل المثل العليا للشباب وتعزيزها أهمية كبيرة فى المجتمع الاشتراكى ، من حيث أنه وقد بلغ درجة عالية من النضج السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، يعنى أكثر من أى وقت مضى بصياغة الانسان الجديد ، وتنمية ضمير الجماهير ، وشد أزر مبادئ الأخلاق والمساواة الاجتماعية فى العلاقات الانسانية • ومن الجلى أن مهمة التربية الشيوعية أن تحفز الشباب لاختار القيم الاجتماعية السياسية الأخلاقية الأعلى •

وإذا كان ينبغي للأجيال القادمة أن تصاغ فى كنف نزعة اشتراكية انسانية فينبغى اعتبار الشبان لا كموضوعات بل كذوات فعالة ، كمشاركين فى اتخاذ القرارات وتطبيقها على حد سواء • فيجب أن تتاح الفرصة للشباب ليعاون معاونة فعالة فى بناء مستقبل يطابق مخطامحه •

## مجلة رسالة اليونسكو

### تصدر بأربعة عشر لغة فى أنحاء العالم

وتتناول مختلف المشكلات الانسانية وتبسط العلم وتكشف  
عن اسرار الجمال فيما خلفه الانسان من قرائن •

عدد خاص يعنى بفرن إصدار الكتاب من اول صناعة الورق  
حتى عرضه فكرا انسانيا للقراء •

١٣ لوحة فنية مطبوعة فى باريس •

٤٤ صفحة بالسعر العادى أربعة قروش مع الباعة الآن •



تساول المفكرون النظريون الاجتماعيون ، على مدى ثلاثين عاما مضت ، نتائج التغير البنائي في المجتمع على تحول مكانة الفرد من دور الطفولة الى دور البلوغ . وقد ركز هذا التحليل ، الى حد كبير ، على ظروف نشأة جماعات الشباب ونتائجها ، والوظائف المشكلة التي تؤديها ، ووضعها وأهميتها النسبية في شبكة التنشئة الاجتماعية . ولكن ما هي ، مثلا ، الظروف التي تحدد درجة ونمط تأثير الرفاق ، وعلاقة هذا التأثير بتأثير البالغين المحيطين بالشباب عليه ؟ لقد بحث الدارسون عن اجابات لمثل هذه الأسئلة في كل من العوامل البنائية والتفاعل الاجتماعي ، وفي ظروف التيسير والتوتر البنائي من ناحية ، وفي العمليات الاجتماعية التي تقوى أو تضعف الروابط الاجتماعية من ناحية أخرى .

ونلاحظ أن المنظور البنائي هو الذي يوجه الاهتمام الى وضع الشباب في النظام الاجتماعي القائم ، وكذلك الى الظروف التي تؤدي الى تكون جماعات الشباب وتكون الثقافات الفرعية الخاصة بالشباب ، سواء كانت مهيئة لثقافة المجتمع الكبير أو مناوئة له . وتعتبر هذه الظواهر الاجتماعية على وجه العموم استجابة جماعية للحرمان المشترك أو الاهتمامات المشتركة التي يخلقها التباين البنائي ، والتخصص الوظيفي ،



## بقلم : جلين. هـ. الدر (الإبف)

أستاذ علم الاجتماع بجامعة نورث كارولينا ،  
تسابيل هيل . من مؤلفاته : « التنشئة الاجتماعية  
للمراهقين ونمو الشخصية » ( ١٩٧١ ) ، « أطفال  
الاكتئاب العظيم » ( ١٩٧٢ ) ، كما نشر عددا من  
المقالات في المجلات العلمية الأمريكية : التربوية  
والسيكولوجية والاجتماعية .

## ترجمة : الدكتور محمد الجوهرى

مدرس علم الاجتماع بجامعة القاهرة ، من  
مؤلفاته : « الدراسة العلمية للعادات والتقاليد  
الشمعية » القاهرة ، ١٩٧٠ ، « الدراسة الميدانية  
للتخافة » القاهرة ، ١٩٧٢ . وله عدة مقالات بالعربية  
والألمانية و مترجمات عديدة . وعمل باحثا بمعهد  
الفولكلور بجامعة يون ( بألمانيا الغربية ) بعد الحصول  
على الدكتوراه ( ١٩٦٦ - ١٩٦٨ ) . كما أنه عضو  
مجلس التدريس الاجتماعى بالمركز القومى للبحوث  
الاجتماعية والجنائية ، وعضو جمعية الفولكلور  
الألمانية والنسائية ، وشارك فى أعمال ثلاثة مؤتمرات  
علمية دولية بألمانيا وهولندا ( ١٩٦٣ - ١٩٦٨ )  
وتقدم لبطنها ببحوث منشورة .

وحواجز المكانة ، وعدم الاحساس بالاندماج فى المجتمعات القائمة على الانجاز . ومن  
الأمور التى تيسر حدوث التكيف الجماعى الموقف المشترك للشباب ، والتركيز الطويل  
فى البيئات المنعزلة نسبيا . وقد اتضحت بعض نماذج لهذه النظرة فى كتابة كلوارد  
وأوهلين Cloward and Ohlin ( عام ١٩٦٠ ) ، وكوهين Cohen ( ١٩٥٥ ) ،  
وكولمان Coleman ( ١٩٦١ ) ، وايزنستدت Eisenstadt ( ١٩٥٦ ) ،  
وبارسونز Parsons ( ١٩٦٢ ) .

وإذا سلمنا بوجود جماعات من الشباب ذات ثقافة خاصة فرعية (١) فمن الواضح

(١) كتب الدارسون الكثير عن المشكلات المتعلقة بتعريف وقياس أنماط الثقافات الفرعية بين  
الشباب . وللحصول على مقالات نظرية وكتابات نقدية حول هذا الموضوع انظر دافيز Davis  
( ١٩٧١ ) ، ودوجلاس ( ١٩٧٠ ) ، وجريندر Grinder ( ١٩٦٩ ) ، وشفارتز ومرتون Schwarts  
and Menton ( ١٩٦٧ ) ، وسيبالد Sebald ( ١٩٧٠ ) ، وشوجرمان Sujanman ( ١٩٦٧ ) . وقد  
قدم لنا أندرسون واكمهولم Andenasson and Ekholm ( ١٩٧١ ) عرضا مفيدا للبحوث الخاصة بالاختلافات  
بين الأجيال . وهناك عرض آخر مفيدا أيضا عند بنجستون Bengston ( ١٩٧٠ ) ، وهو يضم من بين ما  
تعرض له الدراسات الأوروبية حول هذا الموضوع .

أن كثيرا من الشباب لا يندمجون فيها برغم الفرصة المتاحة أمامهم ليفعلوا ذلك . ومن الواضح أيضا أن بعضهم يكون أكثر استجابة لاغرائها وأكثر عرضة لتأثيرها من الآخرين ( قارن برلينجام Burlingame في مؤلفه الصادر عام ١٩٦٧ ، وليمان Lerman ١٩٦٧ ) . ومن عوامل هذا التباين اختلاف التنشئة الاجتماعية على تكوين الروابط وتحمل الالتزامات داخل الأسر . وتدلتنا الدراسات السابقة ، فيما يتعلق بالمرجع الرئيسي في توجيه الشباب ، على أن الأقران يلعبون دورا أبرز بالنسبة للشباب الذين يتلقون أدنى حد من الدعم العاطفي ، والتفهم ، والتوجيه من جانب الآباء ( بورمان Bowerman وكنيش Kinch ١٩٥٩ ، وشريف وشريف ١٩٦٤ ) . وحتى لو وجدت ظروف مشجعة داخل الأسرة فإن تفضيل الوالدين كمصدر للقيم يتغير تبعا للمسائل وتبعا للمواقف . فنجد تأثير الآباء أعظم ما يكون في المجالات التي يتمتع فيها الآباء بالخبرة والمعرفة ، كخطط المستقبل مثلا ( قارن بريتان Brittain ١٩٦٣ ، كاندل ولسيسار Kandel and Lesser ١٩٦٩ ) ، في حين نجد تأثير الأقران أكبر ما يكون في المسائل الاجتماعية التي تدخل فيها علاقات الشباب مع رفاق عمره .

وقد أثمرت بؤرتا التحليل المشار إليهما - وهما البنائية والتفاعلية - عددا من الدراسات التي تفسر الجوانب المختلفة للسياق الاجتماعي والمؤثرات الاجتماعية التي تمس الشباب . وتلقى بحوث التنشئة الاجتماعية الأسرية الضوء على الفروق الفردية في استجابة المراهقين أو حساسيتهم لرفاقهم . هذا في حين نجد أن ظهور بيئات خاصة بالشباب ، وجماعات الرفاق (١) ، والثقافات الفرعية الخاصة بالشباب ، من المشكلات التي ترجع جذورها إلى بناء المجتمعات المحلية والنظم الاجتماعية . ولا تمتد الآفاق النظرية للتحليلات البنائية لتشمل العمليات التفاعلية بين الأسر وجماعات الشباب ، مع أن مثل هذه العمليات تتوسط في نقل بعض الآثار البنائية . وهكذا نرى أن كل منظور يفرض بعض القيود على دراسة جماعات الشباب .

وقد افترض كولمان (٢) ( ١٩٦١ ) وجود ثقافة قوية خاصة بالرفاق تختلف ، وكثيرا ما تتعارض ، مع الثقافة السائدة في المجتمع . ولكنه لم يجمع البيانات الضرورية

---

(١) أدى تراكم الدراسات الدائرة حول جماعات الشباب إلى إثارة الشك في بعض المفاهيم المتصلة بكون الجماعات . وقد ركزت إحدى المناقشات العلمية التي دارت في العقد الماضي على قضيتين متصلتين بالانحراف المتأثر بالجماعة : الجماعة التضامنة أو العصابة في مقابل مجموعات غير وثيقة الارتباط تضم ثنائيات أو ثلاثيات أو جماعات أكبر من ذلك . ( قارن كلاين وكراوفورد Klein and Crawford وليمان ١٩٦٧ ) . وقد قدم شريف وشريف (١٩٦٤) وأرنولد (١٩٦٦) الخطوط العامة لاتجاهات التفكير الحديث عن جماعات الشباب .

(٢) للرجوع إلى دراسة سويدية استخدمت كثيرا من عناصر استبانة كولمان ، انظر أندرسون (١٩٦٩) .

عن الآباء ليتسنى اختبار قضيتة هذه الاختبار الكافى • ونجد ، على خلاف هذا ، أن علاقة المراهق بالأسرة وبالأصدقاء كانت تمثل النقطة المحورية فى البحوث المتعلقة بالمحددات الأسرية لتأثير كل من الرفاق والآباء على الشباب • ولو أن هذا التركيز كان على حساب النقطة الخاصة بحساسية الشباب للتشكيلات البنائية الموجودة فى المجتمع المحلى وآثارها على ثقافات الشباب الفرعية • إلا أن البحوث التى من هذا النوع لا تجيب بشكل مرض عن سبب اتخاذ الشباب أنواعا معينة من الأصدقاء • فاختيارات الأصدقاء تتأثر بالاختيارات الاجتماعية المتاحة ، وهى الاختيارات التى تتحدد بدورها بظروف النظم وعوامل التركيب الاجتماعية •

والهدف الأساسى لهذا المقال هو أن يهتم بالقيمة التحليلية للبحوث المتصلة بجماعات الشباب وتأثير الرفاق التى تأخذ فى اعتبارها الآثار الممكنة لسيمات المجتمع المحلى وظروف النظم • وسنحاول تحقيق هذا الهدف من خلال التركيز على مشكلتين مترتبتين على العلاقات بين النسق الاجتماعى الكلى والظروف التفاعلية ، وهما : تأثير سيمات المجتمع المحلى على درجة ومضمون تأثير كل من الآباء والرفاق ، والعوامل الاجتماعية المحلية المسؤولة عن ظهور أساليب معينة من التفاعل فى بيئة الشباب • والمقصود ببيئة الشباب منطقة معينة أو اقليم معين يكتسب معنى ودلالة خاصة للتفاعل الاجتماعى • ويرجع وجود هذا الطراز من البيئات الى مبادرة الشباب أنفسهم ، على خلاف البيئات التى يحددها لهم البالغون ، مثل نوادى الشباب المنتشرة فى المملكة المتحدة • فهذه النوادى « تمد الشاب بعالم مستقل ، ولكنه ليس عالما منفصلا ، والطبقة الانجليزية المستقرة هى التى ترشد هذا العالم وتوجهه » (انظر ماسجروف *Musgrove* ١٩٦٩ ، صفحة ٤٨ ) • والسؤال الهام هو لماذا تظهر بيئات جديدة أو أماكن تجمع جديدة ؟ ويقودنا هذا الى مزيد من الأسئلة عن البيئة الاجتماعية المحيطة بهذه التجمعات ، ودور الشباب فى حياة المجتمع المحلى ، وإتاحة البيئات السلوكية لكل من الشباب والكبار ، الخ •

وسنبدا بدراسة دلالات سيمات المجتمع المحلى بالنسبة للسياق التفاعلى للمؤثرات الاجتماعية ، وذلك من خلال استعراض الدراسات التى تجاهلت مثل هذه العوامل • ثم نتبع ذلك بتحليل سريع لتطور إحدى بيئات الشباب الجديدة ودلالاتها الاجتماعية ، وهى محطات خدمة ركاب السيارات (١) ، المنتشرة بين المراهقين الأمريكيين • وقد وردت عرضا بعض أوصاف لهذه البيئات الشبابية فى البحوث التى أجريت على المراهقين ( مثلا باركر *Barker* ١٩٦٨ ) ، إلا أن التركيز فى مثل تلك الدراسات كان على الجماعة عادة لا على المعنى الاجتماعى أو الآثار الاجتماعية للمكان على حياة

(١) *drive - in* المقصود بها المطاعم أو دور السينما الخ التى يمكن الشراء منها أو رؤيتها والاستفادة بشخصاتها والرواد فى سياراتهم لا يبرحونها (الترجم) •

الجماعة ( قارن مايرهوف ومايرهوف Neyerhoff ١٩٦٩ ) • وما زالت معلوماتنا ضئيلة في الوقت الراهن عن السياق الذي تظهر فيه بعض البيئات الشبابية الخاصة ، وعن صور التكيف والتوتر التي تحدث عندما يستخدم المراهقون أماكن كانت مخصصة أصلا لأغراض معينة في مخالفة أو متعارضة ( انظر جانز Gans ١٩٦٧ ، صفحة ٢٠٨ ) ، وعن الأصول والمصالح الاجتماعية للرواد المخلصين أو المواطنين على التردد على تلك البيئات ، أو عن آثار الظروف السابقة على الحياة الاجتماعية في تلك البيئات • وسوف نستخدم بعض البيانات الميدانية وبيانات الدراسات المسحية لالقاء الضوء على تلك المشكلات •

### تأثير الآباء والرفاق في سياق الاجتماعي

قلما نثر في دراسات التنشئة الاجتماعية عن التأثير النسبي للآباء والأقران على نظرية واضحة تربط بين سمات المجتمع المحلي وتكون جماعات الرفاق وتربط بينها وبين العلاقات بين الأجيال • وقد يذكر حجم المجتمع المحلي كمصدر محتمل لتباين تلك الجماعات بعضها مع بعض ، إلا أن دلالته لم تتحدد تحديدا نظريا أو تستخدم في تفسير النتائج • وقد وجد الكين ووستلي Elkin and Westly ( ١٩٥٥ ) ، في دراسة شهيرة لهما عن المراهقين في إحدى الضواحي ذات التكوين الاجتماعي المتجانس التي يقطنها أبناء الطبقة الوسطى الكبيرة ، أن هناك درجة عالية من الاستمرار في تنشئة المراهقين اجتماعيا ، وأن هذه التنشئة تخضع لرقابة الأسرة والبالغين • وقد أكدت هذه النتيجة الملاحظة التي مؤداها أن ثقافة الشباب قد تكون ظاهرة ميتروبوليتانية ( نسبة للمدينة الكبيرة ) ، لم تخف من غلواء التعميمات المتعلقة «بالطابع الأسطوري» لثقافة المراهقين الفرعية في جماعات الطبقة الوسطى • وهو الزعم الذي كان الباحثون يسلمون به دون تحييص في منتصف العقد الماضي • وعلى حين لم تكن هناك تحليلات بناءة دقيقة لجماعات الشباب وثقافات الشباب الفرعية في الوقت الذي أجريت فيه تلك الدراسة فإن هذا البحث لم يكن له تأثير ظاهر قوى على البحوث التي أجريت بعد ذلك على تأثير الآباء والرفاق •

وتكشف لنا المقارنة بين دراستين أمريكيتين حديثتين لعملية نقل أهداف الانجاز ( كاندل و ليسار ١٩٦٩ ، فورستبرج Furstenberg ١٩٧١ ) عن بعض دلالات السياق الاجتماعي بالنسبة للآثار الاجتماعية على الشباب (١) • ففي هذا المجال يفوق الحكم الأبوي حكم الرفاق عادة ، ولكنه كذلك ميدان حساس للقيود والفرص

(١) اختيرت هاتان الدراستان لتلقي الضوء على العلاقة بين السياق الاجتماعي وتأثير كل من الآباء والأقران ، ولا بهدف تقويمها تقويما تقليديا عاما • فقد قدمت كلتا الدراستين إسهاما هاما لمعرفتنا بالبيئة في هذا المجال • إلا أن إسهامهما في التحليل المقارن للمؤثرات الاجتماعية في تنشئة المراهقين اجتماعيا كان يمكن أن يكون أعظم بكثير لو أنهما وجهتا بعض الاهتمام للسياق الاجتماعي •

البنائية المتاحة • وقد كان الاتفاق على أهداف الانجاز هو المتغير المستقل في كلتا الدراستين • وقد استخدم كاندل وليسار قائمة بسيطة من المشروعات التعليمية من إحدى الاستبانات ، وحصل على مقياس لاتفاق المراهقين مع كل من الأم وأقرب صديق للشباب • وقد طلب من الأمهات ، في الاستبانة التي أرسلت بالبريد ، أن يحددن آمالهن التي يرجوهن لأبنائهن في مجال التعليم • وقد كشفت الدراسة عن أن الآمال التي حددها أفضل صديق للشباب لنفسه قد أثرت على الشاب لأنها كانت بمثابة مثل يحاول أن يحتذيه •

وقد استخدم فورستنبرج قائمة متنوعة من الموضوعات حول اتجاه الحراك ، وما إلى ذلك من الأسئلة التي وجهت إلى المراهقين وآبائهم في خلال المقابلات • وهو على خلاف كاندل وليسار لم يجمع معلومات من أقرب أصدقاء الشباب ، كما أجريت مقابلات الآباء في هذا البحث مع الأم أو مع الأب فقط في كل عائلة • ورغم نواحي القصور هذه وغيرها في البيانات التي اعتمد عليها فورستنبرج فإن هناك قدرا كافيا من الاتفاق بين الدراستين ، مما يسمح لنا بمقارنة تأثير الأقران على درجة الاتفاق بين الشباب ووالديه • ولتفسير هذا الاتفاق كعامل مؤثر يجب أن نوضح أن الاتفاق يختلف تبعا لنمط التفاعل القائم ، وأنه لا يمكن تفسيره من خلال الظروف الخارجية التي يمر بها كل من الآباء والأبناء (١) •

وقد اختار كاندل وليسار في بحثهما ( الذي سنشير إليه فيما بعد باسم دراسة نيو إنجلند ) ١١٠٠ مراهق - إلى جانب أم كل منهم وأقرب صديق له - من ثلاث مدارس في الاقليم الشرقي من الولايات المتحدة ، كانت أوضاعها كالتالي : مدرسة ثانوية ريفية صغيرة ، ومدرسة ثانوية حضرية ينتمي معظم تلاميذها إلى الطبقة العاملة والطبقة الدنيا ، وأخيرا مدرسة ثانوية اقليمية ينتمي تلاميذها إلى المجتمعات المحلية الصغيرة المجاورة لها • وقد كان حوالي ثلث المراهقين الذين تناولتهم الدراسة ينتمون إلى أسر الطبقة الوسطى • ويمثل هذا الوصف السريع لكل مدرسة الإشارة الوحيدة إلى ظروف المجتمع على طول تقرير الدراسة • كذلك لم ترد أي معلومات عن التركيب السلائي أو العنصري للعينة المدروسة •

وتقوم دراسة فورستنبرج على مقابلات ل ٤٦٦ حالة ( قابل في كل منها أحد الوالدين والشباب ) من شرقي مدينة نيويورك ، وهي منطقة يزيد تعداد سكانها على

---

(١) من الأمور البالغة الصعوبة أن نمزج آثار مثل هذه الظروف الخارجية • حقيقة أن كلتا الدراستين قد تحكمت في عامل الطبقة الاجتماعية ، ولكن هذا التحكم - على سلامته - يمثل نوعا من التحكم بسيطا كل البساطة • هذا فضلا عن أن تصميم العينة في كلتا الدراستين لا يسمح بالتفسير الواضح للتابع العلمي •

١٠٠٠٠٠ نسمة . أما أعمار الأطفال فقد تراوحت بين ١٠ سنوات و ١٩ سنة ، وكانت أغليبيتهم العظمى تنتمى الى الطبقة الدنيا فى المجتمع . وكان حوالى نصفهم من الزوج أو المهاجرين من بورتوريكو ، وينتمى الباقون الى الجماعات اليهودية وإبناء دول شرق أوروبا . ومن الواضح أن أطفال نيويورك كانوا ذوى مكانة اقتصادية اجتماعية أدنى من أطفال نيو انجلند السابق الإشارة إليها . فكانت الفرص المتاحة لهم أقل ، وكانوا أكثر تعرضا لبيئة ثقافية أكثر تنافرا واختلاطا .

ولم يشر فورستنبرج الى وجود أنماط مضادة لثقافة المجتمع بين شباب المنطقة ، على الرغم من أن ليرمان ( ١٩٦٧ ) كان قد أشار الى وجود ثقافات فرعية ذات اتجاهات منحرفة . ومع أن الجزء الأدنى من شرق مدينة نيويورك - الذى أجريت فيه الدراسة - لا يمثل أعلى معدلات الانحراف فى نيويورك ، إلا أن معدل الانحراف فيه يزيد على معدل الانحراف فى المدينة بشكل عام . والواقع أنه قد بدىء فى أوائل العقد السابع تنفيذ برامج واسعة النطاق ( عرفت باسم التعبئة من أجل الشباب ) ، كان من أهدافها تخفيض انحراف الأحداث عن طريق توفير مزيد من الفرص التعليمية والاقتصادية . وما لم يكن قارىء الدراساتين مطلعاً على معلومات ليست واردة فيهما فإنه لن يدرك ادراكاً كاملاً الفروق الحساسة بين السياق الاجتماعى لكل من الدراستين . وتقودنا هذه الفروق الى توقع وجود تباين له دلالاته فى نتائج اشتراك الأقران فى تحقيق اتفاق الآباء والشباب على تحديد أهداف الانجاز ، وتكشف الدراسة عن مثل هذه النتائج فعلاً .

فقد أدلى معظم شبان دراسة نيو انجلند بأهداف تتفق مع مشروعات الأهميات ومع الهدف التعليمى لأفضل أصدقائهم ( وكانت نسبة هؤلاء ٥٧ ٪ ) ، واتضح أن الشبان الذين اتفقت أهدافهم مع أهداف الوالدين كانوا أميل الى أن يكون لهم صديق مقرب له مشروعات مماثلة ، من أولئك الشبان الذين اختلفت أهدافهم مع أهداف آبائهم . وفى ثلثى الحالات كان هناك اتفاق كامل بين آمال الأم وآمال أقرب أصدقاء ابنها ، سواء على المستوى الجامعى أو الثانوى . ولقد كان الأصدقاء المقربون لهؤلاء الشباب يؤدون - الى حد بعيد - دوراً مدعماً لتأثير الأسرة ، وخاصة بين أبناء الطبقة الوسطى ، على الرغم من أن تأثير الأم فى تلك الأسر كان أقوى بكثير من تأثير الأصدقاء .

أما بالنسبة لدراسة نيويورك فقد اتضح أن درجة الاتفاق بين الآباء والشباب على أهداف المستقبل كانت أقل بكثير من دراسة نيو انجلند ، وهى نتيجة يمكن أن تعكس حواجز الاتصال والتباعد بين أفراد أسر الطبقة الدنيا ، والتأثير المعاكس للقوى الخارجة عن الأسرة ( مثل الأقران ) ، وبعض نواحي القصور المنهجى فى الدراسة نفسها . وعلى الرغم من أن أهداف الأصدقاء لم تدخل ضمن الدراسة فإن عناصر

المعلومات الأخرى تصور جماعات الأقران في شرقي نيويورك بأنها قوة معارضة للوالدين .

وعندما تصبح بيئة التنشئة الاجتماعية أكثر تباينا ، وتصبح تنشئة الأبوين لأبنائهما أكثر تعرضا للمشكلات ، فالأرجح أن ترتبط المؤثرات الاجتماعية على الشباب بشكل أقوى بنمط التفاعل ونوعيته . فيرتبط التباين في بيئة التنشئة بعمر الطفل ( انظر كونجر Conger ١٩٧١ ، صفحة ١١٣٠ ) . ويبدو هذا الارتباط أوضح في بيئة نيويورك منه في البيئة السكنية لشباب نيو انجلند . فقد اتضح من دراسة فورستنبرج أن تأثير العلاقات بين الطفل والأبوين على حجم التأثير الأبوى يزداد تبعا لعمر الطفل ، وكان بوجه عام أقوى من التأثير الأبوى على شباب دراسة نيو انجلند . وثبت من دراسة نيويورك أن اتفاق الطفل والوالدين يزداد مع طول المدة التي يقضيها المراهق معها ، ومع الاعتماد على قبول الوالدين ، ودرجة الانسجام الموجودة في الأسرة . وعلى العكس من هذا اتضح أن العلاقات بين أمهات نيو انجلند وأبنائهن - بما في ذلك كثرة التفاعل ، والاتصال الواضح ، والعاطفة ، والاضبط - لم تؤثر على درجة اتفاق الطرفين على المخطط التعليمية . وإن كانت درجة الاتفاق تزداد عندما كانت الأم تشجع انجاز الطفل وتدخل معه في مناقشات حول خطته التعليمية .

أما نتائج تدخل الأقران فقد اختلفت تبعا لانسجام أهداف كل من الوالدين والأصدقاء . وقد اتضح أن أغلبية آباء وأصدقاء شباب نيو انجلند كانوا يشتركون في الهدف التعليمي ، ولذلك لم يؤد الارتباط بالأقران الى تقليل درجة الاتفاق مع الوالدين ، وذلك في ضوء الشواهد التي قدمتها الدراسة . وفي مقابل هذا نجد أن العلاقات بين أهداف الانجاز عند كل من الوالدين ورفاق العمر كانت مقعمة بالمشاكل عند أطفال نيويورك . فكلما ازدادت مشاركتهم في نشاطات أقرانهم ، كما يتضح ذلك في تكرار وكمية التفاعل معهم ، قلت معرفتهم بآمال الآباء أو مشاركتهم لهم في تلك الآمال اذا كانوا يعرفونها .

فارتباط الشباب مع أقرانهم كان يؤدي الى تقليل درجة الاتفاق بين الوالدين وأبنائهم ، حتى بين الشباب الذين كانوا يقضون « وقتنا طويلا » مع الوالدين . هذا على الرغم من أن تأثير هذا الارتباط مع الأقران كان أخطر وزنا عندما لم يكن الأطفال يعتبرون آباءهم شخصيات مرجعية هامة . ونجد في هذا المجتمع الذي ينتمى أبناؤه الى الطبقة الدنيا ، أن الشباب الذين كانوا يشاركون آباءهم آمالهم بالنسبة للمستقبل كانوا يعتبرون هؤلاء الآباء نماذج جذابة ، ويتفاعلون معهم بكثافة أكبر ، ويحتلون مكانة هامشية بالنسبة لجماعة الأقران في البيئة المحلية . وبالمثل وجد ليرمان (١٩٦٧) أن الأفراد المنزليين اجتماعيا كانوا أبعد ما يمكن عن معرفة اللغة الخاصة بفقمة المنحرفين

وعن تقديس القيم المنحرفة • من الواضح اذن أن طبيعة تأثير الأقران تختلف اختلافا بينا بين هاتين الدراستين ، وهي تتطلب منا تحليل الآثار البنائية فى البيئة المحيطة بالعلاقات الشخصية •

ومن النماذج الأخرى لآثار مماثلة للسياق الاجتماعى ما نجده فى برنامج كورنل Cornell للبحوث عن مؤثرات البالغين والأقران (ديفرو Devereux ١٩٧٠) • فى البداية لم يعتبر البحث بيئة الأقران العامة أحد متغيرات البحث • وكان التأكيد الرئيسى على آثار التباين فى عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية • الا أن بعض نتائج المجموعة الأولى من الدراسات قد ألقت الضوء على دلالة اختلاف السياق الاجتماعى ، مما أدى الى وضع تصميم للبحث يتيح التحليل المقارن لبيئات الأقران • ومع أن هذا البحث ما زال جاريا حتى الآن فإن نتائج أحد التحليلات التفسيرية تستأهل منا أن ننظر فيها ، ذلك لأنها توسع من نطاق الاستنتاجات التى توصلنا إليها من دراستى نيو انجلند ونيويورك •

لقد أمكن خلال العقد الماضى تطوير أحد الأساليب التجريبية الجديدة - الذى يعرف باسم « اختبار المازق » - وأمكن تنفيذه بالفعل فى الفصول الدراسية فى جمهورية ألمانيا الاتحادية ، والاتحاد السوفيتى ، والمملكة المتحدة ، والولايات المتحدة • وطبقا لأحدث الأشكال التى طبق بها هذا الأسلوب الجديد يواجه الأطفال بمجموعة من مرافق الصراع أو الضغط ، التى يمثل كل منها مأزقا فرضيا ، ولكنه من طبيعة واقعية مما يمكن أن يواجه الإنسان فى الواقع • ومن خلال المقابلة بين مصالح الأقران ومصالح الكبار يعرف الاختبار مصالح الأقران بأنها ذات تأثير مضاد أكثر مما هى فى المجتمع المحلى عادة • معنى هذا أن الاختبار لا يكشف عن درجة الانسجام بين الجماعتين المرجعتين ( الأقران والكبار ) • وبالرغم من ذلك فإن المواقف الصراعية تكشف عن اختلافات حادة كانت محيرة من قبل ، كما يبدو ذلك فى « تقنية كشف الاختلاف » الشهيرة التى توصل إليها ستروديك Strodtbeck •

وتقسم مجموعة المواقف الصراعية الى ثلاثة أشكال بديلة ، يمثل كل منها أحد ثلاثة مواقف مؤثرة ، هى على النحو التالى :

( أ ) يخبر الأطفال المتأثرون بالكبار أن اختيارات جميع أفراد الفصل سوف تعرض على لوحة وتعرض على المعلمين والآباء خلال اجتماع سيعقد فى الأسابيع القادم •  
( ب ) يخبر الأطفال المتأثرون برفاقهم أن القرارات التى ستسجل على اللوحة سوف تعرض على تلاميذ الفصل بعد أسبوع •

( ج ) أما الأطفال المحايدين فى المؤثرات التى يخضعون لها فيؤكد الباحثون لهم أن اجاباتهم لن يطلع عليها الا الأساتذة القائمون بالبحث فقط •



وقد أجريت دراسة استطلاعية على مجموعة من التلاميذ من ستة فصول دراسية في ايثاكا Ithaca بنيويورك ( ديفيرو ١٩٧٠ ) • وقد ووجه جميع الأطفال بشكل واحد من اختبار المازق في كل حالة من الحالات السابقة • واتضح من هذه الدراسة - كما أثبتت الدراسات السابقة القريبة من هذا النوع - أن الظروف المثلى لتكوين تأثر بالكبار في المنزل كانت موجودة في الاطار المعتدل للمتغيرات العائلية • فلا المستويات العليا جدا من التربية والضبط والنظام ، ولا المستويات الهابطة جدا تساعد على تكوين الاستجابة لمعايير البالغين وعلى تكوين الأحكام المستقلة • وفى هذا يقول تقرير الدراسة : « هناك شواهد واضحة على أن أكثر الأطفال تأثرا برفاقهم وأكثرهم ارتباطا بالعصابات ينتمون الى أسر اما مبالغة في التساهل أو مبالغة في التشديد والعقوبة • وإن الأطفال الممثلين للكبار ينتمون الى أسر تتميز بالحد الأمثل من الدعم الكافي ولكن غير الخائق ، والضبط المتين ولكن غير الصارم ، والعقاب المعتدل ولكن غير المفرط » ديفيرو ١٩٧٠ ، صفحة ١٣٢ ) • وهناك شواهد أخرى مستقلة تؤيد هذه النتائج من احدى الدراسات المسحية الكبرى التي أجريت على المراهقين الأمريكيين • فقد اتضح من هذه الدراسة أن الشباب الذين وصفوا رقابة الوالدين بأنها استبدادية أو متساهلة أشد التساهل كانوا أميل الى الشعور بأنهم موضع رفض الوالدين ، واعتبار سياسة الأبوين إزاهم غير معقولة ، والى ذكر مرات عديدة خرجوا فيها عن طاعة آبائهم ، والى وضع آبائهم فى أدنى مرتبة كمصدر أساسى للعواطف والقيم (١) •

وعلاوة على تأثير الأبوين تعتبر ثقافة الفصل الدراسى سببا هاما من أسباب تباين استجابة الأطفال للمواقف الصراعية فى دراسة ايثاكا • فهناك ثلاثة فصول دراسية كانت تخضع لتوجيه الكبار - تبعا لاستجابات التلاميذ ذوى الوضع المحايد - فى حين كان تلاميذ الفصول الثلاثة الأخرى خاضعين لتوجيه الأقران نسبيا ، تبعا للمقياس السابق • وقد كانت الاختلافات بين الظروف التجريبية الثلاث أعظم ما تكون بين تلاميذ الفصول الخاضعة لتوجيه الأقران حيث اختلفت توقعات الكبار والأقران أشد الاختلاف • وكان هؤلاء الأطفال حساسين كذلك لقدرة الكبار على المجازاة ، وكانوا يستجيبون تبعا لهذا عندما كانوا يخبرون أن اختياراتهم ستعرض على المدرسين والآباء • وعلى خلاف هذا تميزت الفصول الخاضعة لتوجيه الكبار بدرجة عالية من التوافق بين معايير كل من الآباء والأقران ، ولم يكن للظروف التجريبية تأثير كبير على اختيارات التلاميذ • وتشبه هذه البيئة أشد الشبه بيئة المراهقين فى دراسة كاندل

(١) أورد المؤلف تحليلاته لهذه التجارب فى الأجزاء التى كتبها عن الاستقلال والنمو العاطفى فى

مؤلفه : «النشئة الاجتماعية للمراهق ونمو الشخصية» ، Adlescent Socialization and Personality

Development ( انظر قائمة المراجع تحت الدر ، ١٩٧١ ) •

وليسار . هذا على حني يبدو أن الثقافة المعارضة للفصول المتأثرة بالأقران تتفق ومؤثرات الأقران في دراسة شرقي نيويورك . ومن الأمور ذات الدلالة أن ديفيرو وزملاءه قد وجدوا أن الاندماج الفضيل مع الأقران كان ينبىء بالامتثال لتوقعات الكبار بين تلاميذ الفصول المتأثرة بالأقران فقط ، وهي نتيجة تتفق بوجه عام ونتائج دراسة نيويورك .

### البيئة الجديدة لجماعات الشباب

ويقابل هذا الاهمال لتباين السياق الاجتماعى فى دراسات التنشئة الاجتماعية الأخرى ودراسات تأثير الأقران بحوث عن بيئات الشباب التى أخفقت فى الربط بين السياق التفاعلى للمراهقين وأساليب حياتهم والبيئة الخارجية . وعن طريق الملاحظين المشاركين يمكن تحديد علاقة البيئة بالمناطق والمؤسسات الأخرى التى تصف وضع هذه البيئة داخل اطار المجتمع المحلى لعملية التنشئة الاجتماعية للشباب ، من الناحيتين الرسمية وغير الرسمية على السواء . ويتضمن هذا الاطار المناطق التى يخصصها الكبار للشباب ويضعونها تحت رقابتهم ، وكذلك المناطق التى جعل منها الشباب أماكن تجمع لهم يترددون عليها بكثرة .

وتقدم النظريات البنائية تفسيرات لظهور المناطق المخصصة للشباب التى ترتبط ببعض الهياكل التى يتحكم فيها الكبار فى مرحلة التنشئة الاجتماعية قبل البلوغ . كما تقدم تلك النظريات وصفا لفلسفة العلية الاجتماعية التى تقوم عليها جماعات الشباب . الا أن فهمنا لعملية خروج هذه الجماعات على القواعد الاقليمية ، واتخاذهم أماكن معينة كنقط تجمع ومراكز التقاء ما زال أقل اكتمالا بكثير . ويمثل هذا السلوك تعبيرا عن مبادرة الشباب واختيارهم لوضع معين من بين عدد من البدائل المتاحة ، وذلك على خلاف الدور السلبي نسبيا للشباب فى البيئات التى يعدها لهم الكبار . وتحليل هذه البيئات الجديدة كأماكن للتفاعل الاجتماعى ( ومنها مثلا : حالات لعب البولة (١) ، وأماكن انتظار السيارات ، ومحطات خدمة ركاب السيارات ، والمقاهى ، الخ ) ، يمثل دراسة للتغير الاجتماعى فى البعد الأيكولوجى لجماعات الشباب .

ويمكن القول بصفة عامة بأن بحث الشباب عن بيئات اجتماعية خارج المناطق المخصصة يمثل نوعا من التكيف لبعض مشاعر الحرمان فى البناء التنظيمى لفترة

---

(١) البولة Pool : نوع من لعب البلياردو تتميز مائدته بجيوب يحاول اللاعبون اسقاط الكرات

فيها ( المترجم ) .

المراعاة المتأخرة ، ولبعض المواقف التي لا تكون فيها اهتمامات الشباب موضع اعتبار برامج الهيئات التي يشرف عليها الكبار . وتنشأ تلك المواقف - على وجه الخصوص - نتيجة التفاوت بين النزعات التي شكلها المجتمع وطبعها بطابعه ( كالاستقلال ، والعلاقة بالجنس الآخر ، وما الى ذلك ) ، والنضج الجسماني من ناحية ، وأساليب التنفيس المقبولة في البيئات التي تخضع لأشراف الوالدين أو المدرسة ، من ناحية أخرى (١) . ونجد مثلاً في بتال جرين **Bethnal Green** ( في لندن ) أن الشبان الذين تصحبهم صديقاتهم من الفتيات كثيراً ما يهجرون النوادي الاجتماعية مفضلين عليها البيئات التي تقدم لهم قدراً أكبر من الاستقلال والتنوع أو الاحساس بمكانة الكبار والمخصوصية ( قارن ويلموت **Wilmott** في دراسته المنشورة عام ١٩٦٩ ، من صفحة ١٣٤ الى صفحة ١٣٧ ) . وتزداد الحاجة الى مثل هذه الأماكن بين الشباب الذي لم يتزوج بعد ، ممن بعدوا عن المدرسة وما كانت تتيح لهم من فرص اجتماعية ، وتخلصوا من سطوة الكبار بوجه عام ، ولكن ما زال يستنكر ترددهم على الأماكن النيلية الجذابة في المجتمع المحلي . فاذا أتاحت لهم فرص الضغط لتكوين أماكن تجمع فإن الاختيارات المتاحة تكون عادة داخل المجال العام والتجاري ، وهي منطقة ليست بالمخصصة للشباب ولا بالحرمة عليهم .

ومن أمثلة هذا المجال محطات خدمة ركاب السيارات المنتشرة في مختلف أنحاء أمريكا ، وهي نوع من أماكن تناول الطعام التي حولها الشباب في كافة أنحاء الولايات المتحدة الى أماكن للالتقاء والتجمع خلال ساعات المساء . وتلفت هذه الظاهرة الانتباه الى ثلاث مشكلات عامة تنطبق بشكل عام على البيئات التجارية التي خصصها الشباب لأغراض اجتماعية . وهذه المشكلات هي : الظروف الاقتصادية الاجتماعية التي تسهل حدوث التغير ، وأنواع الضغوط ، وصور التكيف الناشئة عن التغير ، كما تنضج في العلاقات بين الإدارة والشباب ، وأخيراً العوامل التي تميز الشباب النشيط في هذه البيئة عن سواهم من الشباب . وسنحاول لقاء الضوء على هذه المشكلات في الصفحات الباقية من المقال ، مستعينين ببيانات مأخوذة من البحوث الميدانية ومن إحدى الدراسات المسحية التي قمنا بها .

---

(١) عندما يشرف الكبار على أحد أماكن التجمع أو مراكز اللهو الخاصة بالشباب في المجتمع ينشعب صراع بين المصالح « الأبوية » لأولئك الكبار ( الذين يرون أن المراهق طفل يحتاج الى إشراف الكبار وتوجيههم ) ورغبة الشباب في الاستقلال . وقد قسم هربرت جانز **Herbert Gans** أمثلة لبعض هذه الصراعات في دراسته عن لقيت تاون **Levittown** (١٩٦٧ ، صفحات ٢٠٨ و ٢٠٩) وهي ضاحية شرقية في الولايات المتحدة . وهناك أمثلة أخرى في دراسة روجر موران الأنثوجرافية لبلودمي **Plodmet** (١٩٧٠) وهي قرية ريفية صغيرة في محافظة بريتاني بفرنسا .

## محطات خدمة ركاب السيارات كهيئة جديدة للشباب

ظهرت محطات خدمة ركاب السيارات فى شتى أنحاء الولايات المتحدة فى العقدين الخامس والسادس من هذا القرن كاستجابة تجارية لاحتياجات سوق كبير متزايد بسرعة هو الأمريكيون المسافرون بالسيارات . ومنذ ذلك التاريخ تركز استهلاك السلع المادية والخدمات بشكل متزايد حول محطات خدمة ركاب السيارات . وأصبح بوسع الأمريكيين أن يشبعوا كثيرا من احتياجاتهم دون ما حاجة الى مضادة سياراتهم . فهم يستطيعون أن يشتروا ما يحتاجون اليه ، ويؤدوا الصلاة ، ويتناولوا العشاء ، ويستمتعوا بمشاهدة فيلم سينمائى أو مسرحية ، ويجروا ما يحتاجون اليه من العمليات المصرفية ، ويفسلا ملابسهم عن طريق مجرد التحرك بالسيارة من احدى محطات خدمة الركاب الى محطة أخرى ، وهكذا . ولعل ضرورة هذا المجتمع المتحرك وهذا الاقتصاد المتحرك واضحة كل الوضوح فى مضمون وفى أشكال التنشئة الاجتماعية للطفل والمراهق ، سواء من الناحية الرسمية وغير الرسمية .

وعن طريق التعليم - سواء من خلال المثل أو الضرورة الملحة - يدرك الشباب قيمة السيارة وفائدتها فى مواجهة احتياجات النقل وتحقيق حرية الحركة ، وكذلك قيمتها الرمزية فى اظهار الشخص بمظهر متميز . وعلاوة على هذا تتاح فرصة تعلم قيادة السيارات فى معظم المدارس الثانوية خلال برامج تدريبية خاصة . لذلك فإن أهمية السيارة بالنسبة لقطاع عريض من الشباب الأمريكيين لا تدهشنا بسبب مكانتها الأساسية فى الحياة الأمريكية ( قارن شريف وشريف ، ١٩٦٤ ، صفحة ٢٠٦ ) . وبسبب الرفاهية وتوفر السيارات المستعملة فى الأسواق بأسعار معتدلة تمكن عدد كبير من تلاميذ المدارس الثانوية من اقتناء سيارات خاصة بهم . بل اننا نصادف ذلك حتى بين أبناء الطبقة العاملة ، حيث وجدت احدى الدراسات أن ٤٠٪ من تلاميذ الصف الثانى عشر (١) يملكون سيارات خاصة بهم (٢) . الا أن نسبة أعلى من تلك بكثير تستطيع استخدام السيارة بفضل كرم الأصدقاء والوالدين .

---

(١) وهو ما يقابل الثانوية العامة عندنا تقريبا ( المترجم ) .

(٢) يمكن أن يتضح لنا مؤشر تقريبي لدرجة اقتناء الشباب الأمريكيين للسيارات اذا ما قارناهم بشباب البلاد المتقدمة الأخرى ، وذلك من واقع عدد السيارات لكل ١٠٠ نسمة من السكان . فبالنسبة لعام ١٩٦٤ كان هذا العدد فى الولايات المتحدة ٣٦ ، تليها كندا (٢٥ سيارة لكل ١٠٠ نسمة) ، ثم أستراليا (٢٢) ، والسويد (٢٠) ، وفرنسا (١٧) ، والمملكة المتحدة (١٤) (قارن جدول ١١ عند توبى Toby ١٩٦٧) . على أن الانتشار الكبير للسيارات ليس مؤشرا دقيقا لأهميتها فى الأنشطة الاجتماعية للشباب ، كما يتضح من دراسة موران (١٩٧٠ ، صفحات ١٣٢ - ١٣٧) لقرية بلودميح الريفية الصغيرة فى محافظة برينانى بفرنسا . فانتقالات الشباب فى أوروبا الغربية تعتمد على الدرجات البخارية بأنواعها المختلفة أكثر منها فى الولايات المتحدة .

والملاحظ أن ظهور محطات خدمة ركاب السيارات كبنات شبابية تقابل زيادة قدرة الشباب على الحركة والتنقل . وقد وجد مايرهوف ومايرهوف ( في دراستهما المنشورة عام ١٩٦٤ ، صفحة ٣٣١ ) في إحدى الضواحي التي يسكنها أبناء الطبقة الوسطى أن السيارة أثرت على اختيار الأماكن التي يكثر الشباب من التردد عليها ، معضنين مطاعم محطات خدمة ركاب السيارات ودور السينما . وعلى الرغم من أن ذلك النوع من المطاعم يختلف فيما بينه أشد الاختلاف من حيث التصميم فإنها تشترك - على اختلافها - في سمتين عامتين هما : سرعة تقديم الطعام في أماكن الجلوس داخل المطعم ، وتقديم الوجبات للسيارات المنتظرة وركابها بداخلها ، أو كليهما معا . والسمة الثانية هي وجود مكان انتظار ضخم يحيط بالمطعم من كافة نواحيه . ومن شأن ضخامة هذا المكان أن تغري الرواد عموما بالتجول بالسيارة رغبة في الاستعراض .

ومن شأن ابتعاد هذه المطاعم عن قيود التبعية للأسرة والمدرسة أن تشجع في نفوس الشباب الرغبة المتزايدة في الاستقلال التي تصاحب فترة المراهقة عموما ، كما تستجيب لرغبة الشاب والفتاة في عقد لقاءات مستقلة بينهما . وتعتبر هذه المطاعم بالنسبة لبعض الأمور الهامة مكانا لأداء بعض العروض الفنية أمام جمهور من الأقران . ولا شك في أن الطبيعة الاختيارية لهذه البيئة تسمح للشباب أن يظهروا بالمظهر الذي يحبون أن يكونوا عليه ، وأن يدخلوا بسياراتهم في نوع من الاستعراض الذي يؤكد لجمهور أنهم طراز خاص من الناس .

وتبدو شعبية مطاعم ركاب السيارات من واقع مجموعتين من البيانات التي جمعها المؤلف في منتصف العقد السابع عن الشباب في منطقة خليج سان فرانسيسكو ضمن دراسة ميدانية ومسح لأحد المجتمعات المحلية . وقد استكملت تلك البيانات بفضل تقارير أحدث من إخباريين في مجتمعات أخرى . وتتضمن المجموعة الأولى من البيانات الملاحظات الميدانية لاثنتين من الملاحظين المشاركين ، والمقابلات السريعة مع حوالي ١٥، اثنين وخمسين مراهقا في خمسة مطاعم لركاب السيارات على مدى أربعة أشهر . وقد تمت جميع الملاحظات بين الساعة الثامنة والثانية عشرة مساء . وقد اختيرت هذه الأماكن للدراسة بسبب شعبيتها الواضحة كمكان لتجمع شباب المنطقة ، ويقع معظم روادها في فئة العمر من ١٤ سنة إلى ٢٠ سنة . واتضح أن ثلاثة من هذه المطاعم - التي يقع كل منها في مدينة ذات مدرسة ثانوية واحدة - تمثل مراكز لتخطيط وتنفيذ النشاط الاجتماعي للشباب في مجتمعاتها .

وقد تكونت الصورة الشاملة لشعبية هذه المطاعم بين المراهقين من واقع دراسة مسحية بالاستبانة للشباب الأبيض في المدارس الثانوية في ريتشموند ، كاليفورنيا ، وهو مجتمع محلي تتكون أغلبية سكانه من الطبقة العاملة على الشاطئ الشرقي لخليج

سان فرانسيسكو . وتتضمن العينة الطبقة العشوائية ٣٠٪ من الشباب البيض و١٢٪ من البنات البيض الذين يدرسون في الصفوف الدراسية من السابع عشر حتى الثاني عشر (١) . وقد قرر أكثر من ٦٠٪ من هؤلاء الشباب أنهم قد زاروا أحد المطاعم المحلية لخدمة ركاب السيارات مرة واحدة على الأقل . ويتضح من الجدول رقم (١) أن نسبة التردد المنتظم على هذه المطاعم تبلغ ذروتها بين الأولاد والشباب الأكبر سناً . واتضح كذلك أن الشباب من أبناء الطبقة العاملة - في جميع فئات العمر - أكثر انتظاماً في التردد من أبناء الطبقة الوسطى ، ويبلغ متوسط الفرق بين المجموعتين ٩٪ ( وهذه النسب غير ظاهرة بالجدول ) .

### تعدد التعريفات : بين الادارة والشباب :

كلما ارتفع معدل تردد الشباب على المطاعم كانوا أكثر ميلاً الى اعتباره مكاناً للقاء الأصدقاء ، والتعرف على أشخاص جدد ، وخاصة من أبناء الجنس الآخر . وقد كان الرواد المنتظمون للمطاعم الخمسة يكونون جماعات واضحة المعالم محددة الأهداف الى حد كبير ، فمنهم من جاء الى المكان بحثاً عن الأصدقاء ، ومنهم من جاء ليرسم أو يتعلم أو يمارس نشاطاً اجتماعياً ، ومن جاء لقضاء وقت لطيف مع الناس بعد حضور عرض سينمائي أو حفل . وعلى الرغم من أن توفر السيارة قد جعل من المطعم مكاناً ميسور الزيارة فإن أهميته كمكان للقاء الأقران وقضاء وقت معهم كان من عوامل جذب الشباب إليه . أما الشباب الذين لم يترددوا على المكان الا نادراً كان تعريفهم له متفقاً مع تعريف الادارة له ، أي كمكان لتناول الطعام . ويفحص البيانات المأخوذة من المقابلات مع الشباب اتضح أن الرواد الذكور المنتظمين ( أي الذين يحضرون مرة كل أسبوع على الأقل ) كانوا يضعون في مقدمة الأسباب التي تدفعهم الى التردد على المكان : « التعرف على فتيات جديدات » ولقاء الجنس الآخر ( ونسبة كل منهما ٥١٪ و ١٦٪ على التوالي ) . على حين لم يذكر تناول الطعام كسبب غير ٢٥٪ فقط . ونجد على العكس من هذا أن أكثر من ٧٠٪ من الأولاد على الأقل تردداً على المكان يضعون تناول الطعام في مقدمة الأسباب التي تدفعهم لزيارته . أما بالنسبة للفتيات فانهن

(١) تتضمن العينة الاجالية شباباً من السود أيضاً . ويقدر مجتمع البحث - الذي اختيرت منه العينة - بحوالى سبعة عشر ألف تلميذ ، كانوا مقيدون في ربيع عام ١٩٦٥ في المدارس الثانوية المحلية . وقد قسم هذا العدد تبعاً للجنس ، والنوع ، والصف الدراسي . وحرصاً على أن تتضمن العينة عدداً كافياً من التلاميذ الزوج (حيث يمثل الزوج حوالى ٣٠٪ من سكان المدينة) اختيرت عينات عشوائية غير متماثلة من بين كل شريحة من شرائح التقسيم حسب الجنس والنوع ، وذلك على النحو التالي : ٨٥٪ من الأولاد الزوج ، و ٦٠٪ من البنات الزوجيات ، و ٣٠٪ من الأولاد غير الزوج ، و ١٢٪ من البنات غير الزوجيات ، وقد أفرزت لنا هذه العملية عينة احتمالية طبقية يبلغ عددها ٥٥٤٥ تلميذاً . وقد استوفيت استبانة كاملة من حوالى ثلاثة أرباع التلاميذ أفراد العينة . (للمزيد من التفاصيل عن المجتمع الذي أجريت فيه الدراسة وعن العينة انظر المر ١٩٧١) .

يحضرون الى المكان مع صديقات من بنات جنسهن عادة ، اذا لم يكن سبب حضورهن موعدا مع أحد من الجنس الآخر . وقد قررت المترددات المنتظمات منهن أن لقاء الأولاد هو أهم أسباب زيارتهن للمكان . واتضح أن نصف عدد الأولاد يحضرون عادة برفقة أشخاص من الجنس الآخر ، على حين يحضر الباقون في جماعات مختلطة أو على موعد مع إحدى الفتيات .

#### جدول رقم (١)

نسبة تردد الأولاد والبنات الأمريكيتين على

مطاعم خدمة ركاب السيارات تبعا

للصف الدراسي

النسبة المئوية للتردد على هذه المطاعم موزعة حسب النوع						معدل التردد على هذه المطاعم (١)
الصف الدراسي للبنات			الصف الدراسي الأولاد			
١٢ - ١١	١٠ - ٩	٨ - ٧	١٢ - ١١	١٠ - ٩	٨ - ٧	
٢٦	١١	١٠	٣٠	٢٢	١٣	كثيرا
٤٠	٤٤	٤٩	٤٥	٤٧	٤٨	عرضا
٣٤	٤٥	٤١	٢٥	٣١	٤٩	لم يتردد مطلقا
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	المجموع الكلي
(١٨٥)	(١٩٨)	(١٨٠)	(٤٢٥)	(٤٨٦)	(٤٣٥)	

وكما هو متوقع فقد أدى تضارب معنى المطاعم بالنسبة للإدارة وللشباب المترددين بانتظام الى خلق بعض التوتر ، بل أدى الى نشوب الصراع في بعض الأحيان . ففي إحدى المرات حاول المدير فرض حد أدنى لطلبات الطعام ( بحيث لا يجوز للعميل أن يطلب طعاما أقل من مبلغ معين ) ، ولكنه اضطر الى سحب هذا القرار بعد أن احتج رواده الشباب بأن عملوا طابورا لمنع الزبائن من دخول المطعم . كما أن الوظيفة الاجتماعية لهذه الأماكن قد أثارت مشكلات التحكم في الحشد . فليست لدى المدير وموظفيه الوسائل الكافية للتعامل مع حشد من الشباب المراهقين المتجمعين في أحد أماكن انتظار السيارات الذين يمارسون سلوكا فوضويا غير منظم ، وانتقال عدوى هذا السلوك الى الآخرين ، والشجار ، والسيارات المتجولة بغير هدف محدد . وأكثر الأساليب شيوعا لمواجهة هذه المشكلة العمل على عدم تشجيع تجول السيارات حول المطاعم أو قربها منه بغير هدف ، وفرض نظام معين يلزم جميع الأشخاص بعدم مفادرة سياراتهم في أماكن انتظار السيارات . ويكون بإمكان الشخص أن ينتقل بحرية بين

١ - يشير التردد الكثير الى أولئك العملاء الذين يترددون على مطعم خدمة ركاب السيارات مرة واحدة أسبوعيا على الأقل . أما الفئة العرضية فتضم جميع الشباب الذين يترددون بمعدل أقل من ذلك .

السيارات ، ولكن يحظر التجمهر في مكان الانتظار . ومن الوسائل التي تدعم هذا النظام : استخدام أجهزة مكبرات الصوت ، والحرس الخصوصي ، وامكان تدخل الشرطة ، وان قل استخدامها بشكل صارم . وقد تقبل معظم الشباب هذه القواعد عن طيب خاطر أو اضطرارا .

ويبدو أن هذه القيود لم تقلل من القيمة الاجتماعية لهذه المطاعم في نظر المراهقين الذين أجرينا مقابلات معهم . بل لقد كان من نتيجتها - على عكس ما نتوقع - أن زادت من أهمية السيارة كإطار تفاعلي ، مما زاد بدوره من صلاحية هذه المطاعم كمكان للقاء الاجتماعي . وكان ركاب السيارات من هؤلاء - في كل مكان انتظار - بمثابة جمهور متفرجين على بعض العروض ، مثل استعراض المهارة في قيادة السيارات أو التجمعات التي تضم أشخاصا من الجنسين ، على حين كان التفاعل يتم داخل السيارة بين ركابها ، أو بين ركاب السيارة المتجاورة . وعمل مديرو هذه المطاعم - من ناحيتهم - على زيادة اغراء هذه الأماكن للشباب بأن يتجاهلوا عن عمد قيود السن المفروضة على استهلاك المشروبات الروحية ، وإن كان هذا المسلك يرجع الى اعتبارات اقتصادية ، لا الى حب الغير أو التحرر . ولقد كان هذا المسلك باهظ التكاليف ، كما كان عامل تمزيق وفوضى . فقد لاحظنا أن المديرين أو الحراس لم يبذلوا من جانبهم أى جهد لتقليل تعاطي الكحول منذ البداية مادام يتم داخل السيارات . ولم يكن يبعد من المكان الا أولئك الذين يصلون الى حالة سكر بين .

استعرضنا حتى الآن - بإيجاز - الانتشار المتزايد للسيارات بين الشباب كعامل مؤد الى تحول هذه المطاعم الى مكان لالتقاء الشباب ، وتباين تعريف كل من الإدارة والرواد لوظيفة هذه المطاعم ، وبعض الأساليب التي تلجأ اليها الإدارة لمواجهة زيادة أعداد الشباب المترددين الذين يبدو أن اهتماماتهم الاجتماعية غير مفيدة للمحل اقتصاديا . وعلى الرغم من أن المترددين بانتظام قد تميزوا بحرصهم على العلاقة مع الجنس الآخر فأننا لم نتبين أنهم يختلفون في هذه الناحية - أو في أى ناحية أخرى - عن الشباب الذين لم يترددوا على هذه الأماكن إطلاقا . ولكي نحدد نوعية الاغراء الخاص لتلك المطاعم عند الشباب الأمريكيين يجب أن نشرح سبب اقبال بعض الشباب على التردد عليها بانتظام ، وعدم تردد الآخرين بانتظام .

### الرواد المنتظمون والشباب الآخر

توحى لنا السمات الأساسية لمطاعم خدمة ركاب السيارات بثلاث خصائص يتميز بها أكثر روادها من الشباب انتظاما في التردد عليها ، وهي : التعلق الشديد بالسيارات ، الاهتمام الواضح بالعلاقات مع الجنس الآخر ، والرغبة القوية في الاستقلال اجتماعيا وفي الاستمتاع بامتيازات الكبار في قضاء أوقات الفراغ . ويشير الاستقلال الاجتماعي هنا الى الاندماج في العلاقات مع الأصدقاء ، والرغبة في الاختلاف عن



الوالدين ، ورفض الخضوع الطفولي للكبار • ويمثل تناول المشروبات الروحية مثلا لأحد أنشطة الكبار في وقت الفراغ التي ترمز لنضج الشباب في الحياة الاجتماعية ، وقد عبر مضمون الحياة الاجتماعية في المطاعم الخمسة التي كانت موضع الدراسة عن الجوانب المختلفة لهذه الاهتمامات الأساسية • وكان من العناصر المشتركة لهذا النشاط :- الرغبة في الكلام داخل السيارة ، واستعراض السيارات ، والتفاعل بين الاولاد والبنات ، وتناول المشروبات الكحولية في جماعات • الا أن السؤال الهام مع ذلك يظل هو : الى أى حد تختلف هذه الاهتمامات والأنشطة عن اهتمامات وأنشطة الشباب الذين لم يسبق لهم التردد على مطاعم خدمة ركاب السيارات ؟ •

من أبرز السمات اللافتة للنظر لحياة المراهقين في هذه المطاعم أنها تتصف بدرجة من الاستمرار لأساليب حياة الشباب الآخرين ولاهتمامات شغل أوقات الفراغ عند الكبار • وتتميز أساليب حياة الرواد المنتظمين بالتركيز على الأنشطة الاجتماعية والاهتمامات الأساسية التي نجدها عند عدد كبير من الشباب الذين لم يسبق لهم التردد على هذه المطاعم • وتعتبر ثقافة هذه الأماكن - الى حد كبير - تعبيرا عن الجوانب الخفية لحياة الكبار ، أعنى تلك الاهتمامات التي يمارسها الكبار خارج روتين حياة العمل التقليدية ( قارن ماتزا و سايكس Matza and Sykes ، ١٩٦١ ) • وقد اتضح من البيانات المأخوذة من الدراسة المسحية للمجتمع المحلي أن رواد المطاعم المنتظمين - سواء من الاولاد أو البنات - يشتركون مع غيرهم من الشباب في الاهتمام بالسيارات وفي اقامة علاقات مع الجنس الآخر ، على الرغم من أن هذه الاهتمامات اكمل نوا وأكثر انتشارا بين فئة المترددين بانتظام ( قارن الجدول رقم ٢ ) بالنسبة للبيانات الخاصة بالاولاد • اما بالنسبة للاستقلال الاجتماعي فالسمة المميزة لرواد المطاعم ليست هي وجود مسافة اجتماعية بينهم وبين الوالدين (١) أو الاعتماد على الأقران ، وانما هي الرغبة في الابتعاد عن القيود التي تفرضها حياة المدرسة والأمور التي تحرمها عليهم ، وكذلك الرغبة في المشاركة في تنوق الامتيازات المخصصة للكبار ، كتناول المشروبات الكحولية • فمن هذه النواحي يتميز الرواد المراهقون بدرجة أكبر في ممارسة هذه الأنواع من السلوك التي يأتياها الكبار في أوقات فراغهم • لذلك تمثل تلك المطاعم بالنسبة لهذه المجموعة المتقدمة من الشباب بديلا لنوادي وبارات الكبار التي يحظر دخولها على غير الكبار • وكما لاحظت إحدى الفتيات : « اننا اصغر من أن نتردد على البارات ، ولذلك نذهب الى هذه المطاعم » •

وفيما عدا بعض الاستثناءات القليلة - مثل لقاء أفراد من الجنس الآخر - نجد أن الفروق بين الشباب الذين يترددون بانتظام وغير المترددين تبلغ ذروتها في فئة

(١) لم نجد أى فروق جوهرية - عدا تلك الواردة في الجدول رقم ٢ - بين الرواد المنتظمين وغير المترددين من ناحية العلاقات العاطفية مع الوالدين • الا أنه اتضح أن هناك فروقا قوية بين الرواد المنتظمين الذين سبق لهم التغيب بكثرة عن المدرسة وبين الشباب الذين لم يسبق لهم التردد على المطاعم •

جدول رقم (٢) المروف الاجتماعية بين المراهقين الذين يداومون التردد على  
مطاعم ركاب السيارات وغيرهم من الشباب ، فيما للصف الدراسي .

النسبة المئوية للمراهقين فيما للصف الدراسي وانتظام التردد على المطاعم				
الصفان	٧ - ٨	٩ - ١٢	المتغيرات الاجتماعية	
مترددون بانتظام (١) العدد الإجمالي: ٥٠	آخرون العدد الإجمالي: ١٥٤	مترددون بانتظام (١) العدد الإجمالي: ٢١٠	الاهتمام بالسيارة :	
٦٨	٤٩	٨٤	السيارة بالغة الأهمية	
٢٩	١٩	٥٠	التعول بالسيارة : أربع ساعات أو أكثر	
—	—	٢٤	أسبوعيا	
—	—	٢٤	يملك سيارة خاصة	
٥٤	١٤	٨٨	الاهتمام بالجنس الآخر :	
٢٢	٥	٤٧	الانزمام بومعاهد اجتماعية	
٢١	٢٠	٢٩	مواعيد مرة واحدة على الأقل أسبوعيا	
٢٠	٢٥	٢١	الاتصال بالوالدين والأقران :	
٢٧	٢٨	٢١	اطيبت مع الوالدين : أربع ساعات أو أكثر	
٢٧	٢٨	٢١	أسبوعيا	
٢٠	٢٥	٢١	يناقش أمور المستقبل كثيرا مع الأب	
٢٠	٢٥	٢١	أحدثت مع الأصدقاء : أربع ساعات أو أكثر	
٢٧	٢٨	٢١	أسبوعيا	
٢٧	٢٨	٢١	حالة مواجهة بين المدرسة والسلطة :	
٢٧	٢٨	٢١	ذود المدرجات الأذني : الذين وضعوا أنفسهم	
٢٧	٢٨	٢١	في المرتبة ج (٢) أو أدنى من ذلك .	
٢٧	٢٨	٢١	التفكير عن المدرسة العام الماضي .	
٢٧	٢٨	٢١	يشربون البسكية أو النبيذ أو غيره مما	
٢٧	٢٨	٢١	المشروبات الكحولية خارج البيت .	

(١) المترددون بانتظام هم الأولاد الذين يترددون على المطاعم مرة واحدة على الأقل كل أسبوع ، أما و الآخرون «

فهم أولئك الذين لم يترددوا قطعا من هذا النوع من قبل على الإطلاق .

(٢) تقابل مستوى « مقبول » في التقديرات الجامعية تقريرا ( المترجم )

العمر الكبيرى . وتصدق هذه الملاحظة على الأولاد والبنات على السواء ، على الرغم من أن الجدول رقم (٢) يورد البيانات الخاصة بالأولاد فقط . ويرجع الفرق جزئيا الى ارتفاع درجة التماسك والى التماثل السلوكى بين افراد جماعات الفئة الأكبر عمرا . ومؤدى ملاحظتنا فى هذا الشأن أن مطاعم ركاب السيارات تمثل بيئة اجتماعية لها تميزها ودلائنها بالنسبة للشباب الكبار فى السن .

وبسبب العلاقات العديدة والاندماج مع رواد أقدم نجد أن نسبة كبيرة من الشباب ترتبط غالبا بمطعم معين يصبح مكان لقائهم المنتظم مع أصدقائهم . وكان هؤلاء الرواد القدامى هم الذين يقومون عموما بفرض المعايير التى تسود بين المترددين على المكان بانتظام ، خاصة القواعد التى تستهدف محاربة القيادة باهمال .

كما أن المطعم يتميز بعوامل أكبر فى اغراء كبار الشباب ، فنسبة كبيرة منهم تمتلك رخصة قيادة ، وتمتلك سيارة ، ولا تبنى ميلا قويا الى المشاركة فى أوجه النشاط التى تتم تحت اشراف المدرسة . فكل هذه السمات - التى تضيف على صاحبها مكانة معينة - ترتبط بالسن ، وتفسر لنا زيادة الاقبال على التردد بانتظام بين الشباب الذين لهم مواعيد مع افراد من الجنس الآخر . وقد لاحظنا على العموم أن المواعيد مع الجنس الآخر كانت عند البنات أكثر منها عند الأولاد هى مبرر التردد على المطاعم الأكثر انتشارا . كذلك أثبتت الدراسة الميدانية أن الأغلبية العظمى من الفتيات تحضر الى المطعم لموعد من شباب ، على حين تبلغ نسبة الذين يحضرون الى المطعم لهذا السبب حوالى ثلث عدد الأولاد أو أقل ، أما الفتيات غير المصحوبات بشباب فيحضرن الى المطاعم مع صديقات لهن ، وكثيرا ما يقصدن سيارات آبائهن . وقد يحدث عرضا أن إحدى الفتيات اللاتى حضرن على هذا النحو تفادر المكان فى سيارة أحد الأولاد ، وإن كان ذلك أمرا نادر الحدوث نسبيا . أما مضمون العلاقات مع الجنس الآخر فهو بالنسبة للأغلبية العظمى عبارة عن تبادل الحديث والمشاهدة وتبادل النظرات .

وتقتصر ملكية السيارة على أقلية من الرواد الذكور فقط وعلى نسبة أقل بكثير من البنات اللاتى يترددن على المطعم ، أما السيارات التى يملكها الأصدقاء فكانت هى المحور الأساسى للاهتمام وللأحاديث . وكانت أحدث التحسينات ، أو آخر التلقيات ، التى تقرأ على سيارات الأصدقاء ، هى موضوع الأحاديث بين الرواد الذكور المنتظمين على المطاعم الخمسة المدروسة ، خاصة لدى وصول سيارة تثير إعجاب الحاضرين . وكان كثير من الأولاد يعرفون بسياراتهم أكثر مما يعرفون بأسمائهم . ولقد كان أصحاب السيارات المدومين على التردد أكثر انشغالا بأمور السيارات والأنشطة المرتبطة بانسيارات من أصحاب السيارات الذين يندر ترددهم على هذه المطاعم . وتميل الجماعة الأولى - كما دلت على ذلك مقابلاتنا - الى التجول بالسيارة بغير هدف داخل منطقة المطعم وحولها ، والى اعتبار السيارات موضوعا طريفا للكلام ، والى الانتماء الى أحد نوادى السيارات . كما أنهم يتفقون مزيدا من الوقت فى عمل بعض الأشياء فى

السيارة ، وأميل الى تعديل محرك السيارة أو جسمها الخارجى . وحتى بالنسبة للاولاد الذين لا يملكون سيارة فان الأنشطة المتعلقة بالسيارات تقتصر الى حد كبير على أولئك الذين يترددون بانتظام على المطاعم .

وبدل انتشار ظاهرة التغيب عن المدرسة بين رواد المطاعم المنتظمين على وجود حرمان فى المدرسة وعلى قصور مستقبلهم التعليمى ، كما يعكس أسلوبا بديلا فى الحياة يتطلب تبنيهم بعض امتيازات الكبار أو ادعاءهم اياها فى وقت مبكر من حياتهم . والتغيب ظاهرة عرضية بالنسبة لهؤلاء الاولاد ، ولكنه جزء من استجابة أشمل لعدم الرضاء عن المدرسة وقلة الفرص المتاحة للخروج على القيود التقليدية المفروضة على الشباب ( قانون ستينشكومب Stinchcombe فى كتابه المنشور عام ١٩٦٤ ) ، وهو يجد تشجيعا على هذا الغياب فى بيئة المطعم الذى يتردد عليه . ويرتبط التغيب عن المدرسة بالتردد على المطاعم عند كل من الجنسين على السواء ، كما يرتبط بالفشل الدراسى وأعراضه : وجود التلميذ فى صف دراسى أقل من سنه ، وطرده المتكرر من الحصص ، والفصل المؤقت من المدرسة (١) . وتميز هذه الخبرات وكذلك انخفاض مستوى الطموح التعليمى نسبيا الشباب الذين يقضون كثيرا من سهراتهم فى المطاعم . كذلك اتضح أن الاولاد والبنات الذين يملكون سيارات خاصة ويشربون الخمر ويدخنون ويقابلون صديقاتهم بكثرة قد تخلفوا عن المدرسة فى الغالب فى العام الماضى ، وكانوا يلتقون فى المطاعم المحلية المنتشرة فى المنطقة . ويلاحظ أن كثرة الخروج مع أفراد من الجنس الآخر فى سن مبكرة من الظواهر التى تشير الى اتجاه الشاب بسرعة نحو الاضطلاع بأدوار الكبار وتقليدهم . وقد أثبتت عدة دراسات ( انظر : الدر ، تحت الطبع ) أنه كلما بكر الشاب فى الخروج مع أفراد من الجنس الآخر وفى الانغماس المبكر بأمور الجنس الآخر كانوا أكثر تيكيرا بالزواج .

ونلاحظ أن الاغتراب أو العزلة عن المؤسسات التعليمية والأنشطة الاجتماعية المرتبطة بها يساعدنا فى تفسير انتشار التردد على هذه المطاعم بين شباب أسر الطبقة العاملة حتى سنوات الرشد . وفى السنتين الأخيرتين من المدرسة الثانوية يزداد احتمال تردد التلاميذ من أبناء الطبقة العاملة على هذه المطاعم مرة واحدة على الأقل كل أسبوع ( وتبلغ نسبة هؤلاء ٣٤٪ فى مقابل ٢٤٪ من أبناء أسر الطبقة الوسطى ) . ويرجع هذا الفرق الى الخبرات المدرسية السيئة التى يلحقها شباب الأمر ذات المكانة المنخفضة . فنسبة كبيرة منهم تحصل على درجات منخفضة ، وتكثر من التغيب عن المدرسة . ونجد هذا الانتماء الطبقي نفسه أكثر ما يكون شيوعا بين الشباب غير المترج الذين تركوا المدرسة الثانوية والتحقوا بوظائف . فمطعم خدمة ركاب السيارات من البيئات الاجتماعية القليلة التى يمكنهم الاختلاط بها ، ماداموا مستبعدين من

(١) هذه النتائج وغيرها من النتائج الواردة فى هذه الفقرة ملخصة من تقرير مستقل يتضمن تحليلا لبيانات الدراسة المسحية .

الأنشطة الاجتماعية التي تنظمها المدرسة ومن نوادي وبارات الكبار . وقد أوضحت دراستنا الميدانية أن أربعة أخماس الشباب الذين هجروا المدرسة ينتمون إلى أسر ذات مكانة اجتماعية منخفضة ، وأربعة أخماس هذا العدد يعملون في وظائف طول الوقت . ويشعر هؤلاء الشباب - بمقارنتهم بغيرهم من الرواد المنتظمين - بالحرج من أماكن التفاعل الاجتماعي مع أفراد من عمرهم . وتنتهي علاقتهم الوطيدة بالمطعم بالزواج عادة . ولو أن الفشل في الزواج قد يؤدي بهم في بعض الأحيان إلى إعادة إقامة علاقات جديدة مع أفراد من الجنس الآخر في جو الاختلاط الذي يسود هذه البيئة .

على أن اغراء المطعم للشباب بعمل علاقات مع الجنس الآخر لا يقتصر على أولئك الذين يشعرون منهم بالاغتراب عن المدرسة والتعليم العالي . فلقاءات الجنس الآخر ترتبط بمشاركة المراهقين الأسوياء في التردد على هذا المكان . وسواء كان المترددون بانتظام يتغيبون عن المدرسة أو لا فإن المواطنين يختلفون عن غير المواطنين اختلافا حادا في لقاءات الجنس الآخر أكثر مما هو عليه الحال في شرب الخمر (١) . فالتردد المنتظم للشباب الأسوياء أكثر ارتباطا بلقاءات الجنس الآخر منه بالاهتمام بالسيارات . فالعلاقات مع الجنس الآخر تمثل اهتماما عاما مشتركا بين معظم المراهقين المترددين على المكان ، بغض النظر عن وضعهم القانوني . في حين تتركز أساليب الحياة المنحرفة بين الشباب الذين سبق لهم التغيب كثيرا عن المدرسة . وتشير بعض البيانات الوصفية - التي لم تحلل حتى الآن - إلى انتشار تعاطي المخدرات بين المراهقين من الفئة الأخيرة ، خاصة أولئك الذين ينتمون منهم إلى الطبقة الوسطى .

وفي كل مطعم ثلاثة ظروف تؤثر على شكل ومضمون السلوك الاجتماعي بين المراهقين في داخل هذا المجال ، وهي : تقارب الشباب ذوي الاحتياجات والمصالح المتشابهة ، وظهور معايير مشتركة والإحساس بهوية واحدة ، ووجود بعض الظروف التي تيسر أو تعوق عمليات العدوى السلوكية ( قارن تيرنر Turner ١٩٦٤ ) . وكما لاحظنا من قبل فإن هذه المطاعم تمثل اغراء للشباب الذين تتاح لهم إمكانيات التنقل بسهولة والذين يهتمون بالسيارات اهتماما قويا ، ويهتمون كذلك بالاختلاط بالناس ، وإقامة علاقات مع الجنس الآخر . وتمثل هذه الاهتمامات أساس الأنشطة التي تمارس داخل المطعم . ومن الأمور الهامة كذلك اجتذاب المطاعم للمراهقين الذين لا تربطهم بالمدرسة سوى أوهي الروابط ، ولكنهم ما زالوا - سنا - أصغر من التردد على المراكز الاجتماعية التي يقضي فيها الكبار أوقات فراغهم . لذلك يمكن القول بأن

(١) زادت مرات الخروج لمواعيد مع الجنس الآخر بمتوسط قدره ٣٦٪ بين تلاميذ المدارس الثانوية الذين لم يترددوا على هذه المطاعم إطلاقا ، وأولئك الذين يترددون بكثرة . ولم يختلف هذا الفرق بين التلاميذ الذين يتغيبون عن المدرسة . وقد أفاد بممارسة هذا السلوك ٦٧٪ من الرواد المتغيبين عن المدرسة و ٣٦٪ من غير الرواد . وجاءت نتائج المقارنة المائلة بين الأولاد الذين لم يتغيبوا عن المدرسة ٣٤٪ و ١٢٪ على التوالي . ويتفق النمط العام لنتائج الفتيات مع النمط العام لنتائج الأولاد .

الحياة في هذه البيئة هي - الى حد كبير - نتيجة لتقارب ظروفهم الاجتماعية الخاصة ، على الرغم من أنها تقوم كذلك على بعض المعايير الجديدة وعلى بعض الضوابط الوقائية لمنع انتشار العدوى السلوكية . فقد شهدنا بعض المناسبات التي أجبر فيها الرواد المنتظمون بعض زملائهم على الالتزام بالقيود المفروضة على القيادة المتهورة ، وعلى الشجار ، وعلى الانتظار بالسيارة في المناطق المخصصة لجماعات معينة . كما لاحظنا في جميع المطاعم أن المديرين قد اتخذوا بعض الخطوات لتقليل احتمال عدوى السلوك الى أدنى حد ممكن بين مجموعة من الشباب المرحين الذين أسرفوا في تعاطي الكحول .

وتشير الفروق الموجودة بين المراهقين المترددين بانتظام والمراهقين غير المترددين الى الأهمية الاجتماعية لطعام خدمة ركاب السيارات ، وتكشف عن بعض العوامل الاجتماعية - الموجودة في المجتمع المحلي - التي تشجع على تحولها الى بيئات يتردد عليها الشباب . وتدعونا مثل هذه البيئة الى الاهتمام بالآثار الأوسع الذي تعيش فيه ، وبالتنظيمات الرسمية ، والانفصال بين الفئات العمرية ، والتكوين الطبقي ، وإلى ادراك أن أفضل سبيل لمعالجتها هو تحليلها في إطار مقارن . ولما كان هذا التحليل مقتصرًا على منطقة متروبوليتانية واحدة فقد لا يصدق على بعض المجتمعات الأخرى ذات الخصائص المختلفة .

وتصور لنا كل من الدراسة المسحية والدراسة الميدانية مطعم خدمة ركاب السيارات بأنه سوق للعلاقات بين الجنسين ، حيث يكون الشباب فكرة عامة شاملة عن الجمال ، وحيث يمكن أن يراه الآخرون ، وحيث يتم التفاعل الاجتماعي وتنمو العلاقات مع الجنس الآخر ، دون تدخل الآباء أو غيرهم من الرقباء على الأخلاق . وتمثل السيارة بؤرة الاهتمام في هذه البيئة ، وإن كانت تعتبر تدعيمًا لنظام العلاقات بين الجنسين . وعلى خلاف كثير من المناسبات الاجتماعية والمجالات السلوكية لا تفرض هذه البيئة على تردد المراهقين على هذه الأماكن بانتظام أى قيود اجتماعية أو أى قيود فى السن . والدخول إليها أمر اختياري ليس فيه انتخاب أو تفضيل لأحد على الآخر ، ومن ثم يعتبر مشاركة في ميدان الأنشطة غير الرسمية . وبوسع الشباب أن يظل داخل سيارته مع أصدقائه ، يرى الآخرين ويراه الآخرون ، أو أن ينمى علاقات مع أفراد من كلا الجنسين . ولذلك أصبحت هذه البيئة - في أحيان كثيرة - سهلة المنال وجذابة للشباب الذين يرفضون الاختيارات الاجتماعية الأخرى أو يكونون مستبعدين منها ، وخاصة لأولئك الشباب الذين يرفضون الطريق التعليمي المؤدى بهم الى أدوار الكبار ولكنهم مع ذلك أصغر من أن يشاركون في مجالات الكبار .

### الآثار الاجتماعية ومجالات العلاقات الشخصية :

يتحدث شكل ومضمون العلاقات مع الأقران تبعًا لخصائص النسق الاجتماعي الأكبر الذي توجد فيه ، والذي ينقل بعض المؤثرات البنائية على السلوك . وهناك عدد قليل من الدراسات التي حاولت استكشاف جميع العلاقات الداخلة في هذه السلسلة العلية ، ابتداء من العوامل البنائية الى مجالات العلاقات الشخصية ، الى السلوك الفردي ( انظر كامبل والكسندر ، ١٩٦٥ ) . فقد ركزت التحليلات البنائية على العلاقة بين خصائص النسق الاجتماعي ومجالات العلاقات الشخصية ، كجماعات الشباب ، في حين ركزت دراسات التفاعل على علاقة المراهق بالأقران وبالوالدين .

وتميل دراسات التفاعل هذه عموما الى اعتبار المجال المحدود للعلاقات مع الأقران بمثابة معطيات تنطلق منها الدراسة ، ويندر أن يربط الباحث بين المسائل البنائية ونتائج البحث واستخلاصاته .

وقد أبرزنا في هذا المثل القيمة التحليلية لدراسات التفاعل التي أجريت على جماعات الشباب التي تتميز بحساسية خاصة لاختلاف الاطار الاجتماعي ، ولظروف الحياة الجماعية داخل النسق الاجتماعي الكبير . وإذا كنا نفترض أن التكوينات الجماعية تتأثر بخصائص البيئة الكبيرة فلا بد أن تخضع تفسيرات تأثير الأقران لظروف الاطار الاجتماعي . فاختيارات الصداقة تعتمد على الاختيارات الاجتماعية المتاحة في النسق الكلي للعلاقات مع الأقران . وبالمثل تتطلب تفسيرات التفاعل الاجتماعي بين المراهقين في البيئة السلوكية قدرا من الفهم للعلاقة بين هذه البيئة وغيرها من المجالات والنظم الموجودة داخل المجتمع المحلي .

وقد ثارت مشكلات التعميم والتفسير في الدراسات التي أجريت على تأثير الأقران ، ولم تأخذ اختلاف الاطار الاجتماعي في الاعتبار . ولتوضيح هذه المشكلات قارنا بين بعض الدراسات التي أجريت على الشباب في بيئات ثقافية اجتماعية متباينة تبأينا واضحا . فقد أجريت إحدى هذه الدراسات على شباب ينتمون الى مجتمعات تسيطر عليها الطبقة العاملة في مدينة نيويورك . وكان من الواضح أن هؤلاء الشباب في وضع أسوأ من الشباب الذين أجريت عليهم دراسة نيو انجلند ، وكانوا عرضة لثقافة الانحراف في البيئات المجاورة . وقد انعكست الفروق بين الشبكتين في العلاقات مع الأقران . ففي عينة دراسة نيويورك قلل الاندماج مع الأقران من اتفاق الشباب وآبائهم على أهداف الانجاز ، في حين أوضحت بيانات نيو انجلند بنتيجة معاكسة . ولما لم تنظر كلتا الدراستين الى سمات المجتمع المحلي داخل اطار مقارن فإن النتائج لم تكن ثمرة الجوانب المتميزة لكل بيئة . وقد أشارت كلتا الدراستين الى تنائج الدراسة الأخرى ، ولكن مع تأكيد النتائج المتناظرة في كليهما .

وتتحدد الأنماط التفاعلية والآفاق الثقافية لجماعات الشباب - الى حد كبير - في ضوء تقارب الشباب ذوي الاهتمامات والاحتياجات الميعة . وقد بدا ذلك بمنتهى الوضوح في المواقف التي خصصت فيها بعض الأماكن ذات الطبيعة التجارية أو العامة لاستخدام الشباب في أغراض اجتماعية . ويؤدي ظهور مناطق جديدة أو أماكن تجمع الى مزيد من التساؤلات عن الوسط الاجتماعي ، وإلى مشكلات تتركز حول العلاقة بين المجتمع المحلي والأطر العامة الشاملة . ما هي الأصول الاجتماعية للمتوردين بانتظام ، وما هي انتماءاتهم الرسمية ، وما هي اهتماماتهم وميولهم ، وإلى أي مدى يختلفون عن الشباب الذين لا يترددون ، وكيف تؤثر على الحياة الاجتماعية في هذه البيئة ؟ وتعتبر بحوث انحراف الأحداث مصدرا قيما يمكن أن يمدنا بمعلوما عن أماكن تجمع الشباب ، والاستبصار بالدور الذي تلعبه في الحفاظ على تقاليد الثقافات الفرعية . ولكنها تقتصر - بطبيعتها - على الأشياء التي تلاحظها داخل البيئة فقط . وما زالت معلوماتنا ضئيلة عن الأصل التاريخي لهذه الأماكن وما تثيره من اغراء ، والأوجه التي يستخدمها فيها جمهور الشباب المحلي . وما زال الغموض يحيط بعلاقة هذه الأماكن بالمناطق الأخرى والنظم الاجتماعية الأخرى .

# نفاذ الأزمّة

## والوصول إلى قرار .....



من رأى المستشار الأول للرئيس نيكسون في السياسة الخارجية أن ما يتصل بالسياسة في وقت الأزمة « لا يتوقف على الحقائق النظرية فحسب ، ولكن على ما يمكن تنفيذه في الظروف العصيبة كذلك » (١) . ان ملاحظات الآخرين الذين خبروا أو درسوا الأزمات الدولية يختلف بعضها عن بعض اختلافا شاسعا . تأمل فيما يأتي :

(١) هنري ا. كيسينجر «Domestic Structure and Foreign Policy» في International Politics and Foreign Policy ويحررها جيمس ن. روزينو صفحة ٣٦٥ في الطبعة المنقحة The Free Press سنة ١٩٦٩ .



## بقلم : أول. ر. هولستي

أستاذ مساعد في جامعة كولومبيا البريطانية .  
وقد عمل من سنة ١٩٦٢ حتى سنة ١٩٦٧ معلوما  
وأستاذًا مساعدًا في كلية العلوم السياسية بجامعة  
ستانفورد ، وكان في الوقت نفسه منسقًا للبحوث  
ومديرًا مساعدًا لمشروع دراسات في الصراع الدول  
والتكامل الدولي . والأستاذ هولستي فضلا عن ذلك  
رئيس تحرير مساعد لمجلة

The Journal of Conflict Resolution  
The Western Political

وقد كتب عديدا من المقالات وأصدر عديدا من المطبوعات  
في تحليل المحتوى والصراع والأزمة . وأسهم بمقالة  
سابقة لهذه المجلة ، المجلد السابع عشر العدد الثالث  
عام ١٩٦٥ بعنوان : العلاقات الدولية لعلم اجتماعي

## ترجمة : محمد كامل النحاس

حاصل على ليسانس المعلمين العليا في العلوم  
والتربية ، والماجستير في علم النفس من جامعة  
برمنجهام في إنجلترا . عمل أستاذًا لعلم النفس  
بمعهد التربية العالي للمعلمين ( كلية التربية بجامعة  
عين شمس ) ، وفي كلية التربية بجامعة بغداد ، ثم  
عميدا لكلية المعلمين بالقاهرة ، ثم وكيلًا لوزارة  
التربية والتعليم ، ثم رئيسًا لخبراء اليونسكو  
بالمراق . مثل مصر في عدة مؤتمرات وحلقات بحث  
دولية ، وله عدة أبحاث ومؤلفات علمية اهتمت بها  
المحافل الدولية . وقد نشر له معهد اليونسكو للعلوم  
الاجتماعية في كولونبا بألمانيا عام ١٩٥٦ بحثا عن  
العلاقات الاسرية بين المعلمين في العراق .

« ومن ثم فالشخص الذي يتخذ القرار في أثناء الأزمة قد يتمكن من أن يبتكر  
أو يحل في يسر وسرعة ما يبدو في الظروف العادية لكل من الباحث الأكاديمي ورجل  
الشارع أمرا افتراضيا ، أو غير واقعي ، أو معقدا أو صعبا » (٢) .  
« في جميع الحالات نجد أن القرار ( باعلان الحرب ) يقوم على وزن دقيق للفرص

(٢) هرمان خان On Escalation : Metaphors and Scenarios صفحة ٢٨ نيويورك الناشر

Pracquer سنة ١٩٦٥ .

أو المشاعر العاطفية ، أو سلوك الجماهير ، أو أى دوافع أخرى غير معقولة » (١) .

« اننا نؤمن بأن الانسان الذى وهب الفطنة التى تمكنه من أن يخطط للوسائل التى تقوده لأن يدمر نفسه لديه أيضا من الفطنة ما يكفى لأن تجعله قادرا على أن يتحكم فى هذه الوسائل ، ويسيطر عليها سيطرة فعالة » (٢) .

« نحن نخلق الأزمات ونستمتع بها . لماذا ؟ لست أدرى . وليتنى أدرى . ولكننا جميعا نصبو اليها . أنا أعرف أننى أستمتع بها . ان الأزمات تثير شعورا بالسمو » (٣) .

« انك ترى شخصا مسكينا تبدو عليه الغباوة قابعا وراء أحد المكاتب ، ثم تتساءل لماذا عجز عن أن يكون أحسن حالا مما هو عليه ( فى مواقف الأزمات ) . ولسوء الحظ تظهر هذه الصورة فى أحيان كثيرة » (٤) .

« لقد رايت بنفسى فى الأيام والليالى الطويلة التى مرت بها الأزمة الكويتية كيف أن التعب الجسمى والعقل يشل قوة الإدراك ، ويعطل حواس الرجال الذين هم فى العادة محدثون لبقون » (٥) .

« ان ذلك النوع من الضغط ( الذى تسببه الأزمة ) يفعل العجب العجائب بالانسان ، حتى بأولئك الرجال اللامعين ، الشديدي الثقة بأنفسهم ، وذوى الخبرة الواسعة . انه ليظهر صفات وقدرات ربما لم يدركوا من قبل أنهم يحوزونها ، فى حين يطفى على البعض الآخر طغيانا شديدا » (٦) .

كيف تستجيب الأفراد والجماعات لضغوط الأزمة وتوتراتها ؟ هل فصيل لأن نواجه مثل هذه الظروف بدوافع قوية ، وإدراك فياض الهدف ، وطاقة فائقة ، وقدرة

- 
- (١) ثيودور آبل The Element of Decection in the Pattern of War  
American Sociologica Review, Vol VI 1941, page 855
- (٢) The Problem of Disarmament John Foster Dulles  
State Department Bulletin, March 12, 1966 Page 416.
- (٣) عن سياسى لم يذكر اسمه نقلا عن Chris Argyris  
Some Causes Organizational Ineffectiveness within the Department of State, page 42, Washington, D.C., Center for International Systems Research, Department of State, 1967, (Publication No. 8180
- (٤) D wright D. Eisenhower فى خطاب القاء فى حفلة غداء Washington Post Book
- Authors and نقلا عن Palo Alto Times فى أول أكتوبر سنة ١٩٦٥ .
- (٥) Decision Making in the white House Theodore C. Sorensen  
الناشر Columbia University, Press سنة ١٩٦٤ .
- (٦) Thirteen Days : The Story About the World Almost Ended, Robert of. Kenndy  
نوفمبر سنة ١٩٦٨ صفحة ١٤٨ MC Calls

عالية على الابتكار ؟ أم أن قدرتنا على مواجهة المشكلة تتضاءل ربما لدرجة التعطل ؟  
هل نميل تحت الضغط الشديد لأن نسلك السبيل الأكثر حيطة ، أو هل نكون أكثر  
استعدادا لأن نتخذ طريق المجازفة الشديدة ؟

هل يتغير ادراكنا لمكونات المجازفة بأى شكل من الأشكال ؟

ان الأجوبة على هذه الأسئلة تهم دائما أولئك الذين يجدون أنفسهم أمام أزمة  
من الأزمات . وانها لتصطبغ بأهمية كبيرة وخارقة عندما يكون هؤلاء الأفراد زعماء  
وطنيين ، وعندما يكون موضوع الأزمة أمرا دوليا معاصرا : ان مقدرة الزعماء على مواجهة  
المواقف العصيبة قد تؤثر في حياة الملايين من البشر ، ان لم تؤثر في مستقبل البشرية  
جمعاء . وعلى الرغم من أهمية هذه الأسئلة فان الكثير من النظريات الوصفية أو  
العلاجية للسياسة الدولية لم تعرها أى اهتمام ، أو تفترض أن الأجوبة عليها بديهية  
واضحة . ولناخذ مثلا لذلك بعض الأسس القاعدية لنظريات الردع : ان القرارات  
التي يتخذها كل من الرادع والمردوع تقوم على أساس من حسابات جامدة للتكاليف  
المتوقعة ، والمكاسب المحتملة ، والتقويم الدقيق للموقف ، والتقدير الفاحصة  
للقدرات النسبية والقيم السلمية لكلا الرادع والمردوع تتشابه على الأقل لدرجة تجعل  
كلا من الجانبين يضع تجنب الحرب فى أعلى السلم أو قريبا من ذلك ؛ وكلاهما يفرض  
ضبطا مركزيا محكما على جميع القرارات التي يمكن أن تتضمن استخدام القوة ، أو  
تكون عاملا لاثارتها .

ومن ثم فان الردع يفترض اجراءات منطقية وتنبؤية فى صياغة القرارات . ومع  
ذلك ، ومهما كانت قوة السلاح ، فانه لا يحتمل أن يكون لآى نظام ردعى أثر ضد  
شعب يقوده زعيم مفرم غراما جنونيا بالحرب ، أو زعيم يسعى لتدمير نفسه وشعبه أو  
الى الاستشهاد ، أو اذا كان اتخاذ القرارات فى أيدي جماعة مستعدين لأن يقوموا بدور  
من أدوار المقاومة الدولية الروسية ، أو اذا كانت الزعامة فى أيدي أشخاص كانت  
اتصالاتهم بالعدو منقوصة ، ومعلوماتهم عنه قاصرة ، حتى أن الاجراءات التي يتبعونها  
فى اصدار القرارات لتقوم فى الغالب على التخمين ، أو فى أيدي أشخاص يرون أن  
التضحية بأغلبية شعبهم ، وبمعظم موارده ثمن معقول فى سبيل تحقيق أهداف متصلة  
بالسياسة الخارجية .

ومن الواضح أن افتراضات الردع صالحة فى معظم الأحيان وفى أغلب الظروف ،  
حتى فى العلاقات التي تصطبغ بعداوة شديدة مثل « الحروب الباردة » ولولا ذلك  
لانخس العالم فى حروب مستمرة . وإلى جانب هذا فان معظم نظريات الردع تفترض  
أن التهديدات والأذذارات ليست فعالة فقط فى التأثير على سلوك العدو ، ولكنها تتطلب  
أيضا المزيد من الحساب والضبط والحذر ، فى حين تمنع التهور والمخاطرة . وقد يقال

ان المنطق الذى يقوم الردع على أساسه هش وضعيف . ولكن هناك اتجاه أيضا لأن نفترض أن هذه الأسس المنطقية لا تتطلب تعديلا يذكر فى مواقف الأزمة . ان واضعى نظريات الردع يميلون لأن يكونوا متفائلين حول بروز سياسيين أثناء الشدة . وهم غالبا يدركون بعض السمات الخاصة للأزمة ، مثل الصعوبات فى الاتصال المعادى بين انطرفين المتعادين . ولكن الدرس الذى يستفاد من هذه الأمثلة هو بوجه عام أن ضعف التحكم فى المواقف وضبطه يمكن أن يستغل أساسا للممارسة فى الدفع بالعدو الى موقف فى غير صالحه ، لا مرة واحدة فقط ، بل فى مرات متعددة .

ومن الواضح أن هذا الملخص هو وجهة نظر مبسطة الى حد كبير عن الكثير مما كتب عن الردع . ومع ذلك فهناك عنصر أساسى من الصحة فيما آكده أحد النقاد من أن « نظرية الردع تفترض أولا أننا يجب أن نملا أعداءنا بالأحباط ، وذلك بارهابهم ارهابا شديدا ، ثم يجب بعد ذلك أن نعتد على تفكيرهم المنطقى الهادئ ، فى أن نفوز بالنجاة والبقاء » .

ان السؤال الأكثر عمومية بشأن الأزمة – التى تعرف هنا بأنها موقف تهديد غير متوقع لقيم هامة ، يكون وقت اصدار قرار بشأنه ضيقا – هو كيف يمكن أن تؤثر فى اجراءات الحطة السياسية ونتائجها ؟ وما هى التأثيرات المحتملة للأزمة فى القدرات التى تعد بوجه عام أساسية فى اصدار قرارات فعالة ؟ وتشمل هذه القدرات على :

( أ ) تمييز اجراءات عمل رئيسية بديلة .

( ب ) تقدير التكاليف والأرباح المحتملة لما يقع عليه الاختيار من الخطط السياسية البديلة .

( ج ) التمييز بين الممكن والمحتمل .

( د ) التمييز بين المعلومات ذات العلاقة والمعلومات التى ليس لها علاقة .

( هـ ) تحمل الغموض .

( و ) مقاومة اجراءات العمل غير الناضج .

( ز ) التهيؤ لمواجهة التغيرات الحقيقية فى الموقف ( ونتيجة لذلك : التمييز بين التغيرات الحقيقية والتغيرات الظاهرية ) .

ولا تغطي هذه القائمة القدرات جميعها . كما أنها الصورة غير الواقعية للشخص الرسمى المتشائم . ومع ذلك فانها تمدنا بقائمة ضابطة يمكن على ضوئها أن نقوم النتائج المحتملة للشدة وأثرها على مظاهر الأداء البشرى الذى يتصل بالقرارات الخاصة بالسياسة الخارجية .

وأهم مظهر يعنينا من مظاهر الأزمات هو أن هذه المواقف تتميز بشدة زائدة بالنسبة للأفراد والمنظمات المعنية . ان كون التهديد الموجه للقيم الهامة يولد الشدة هو أمر بحاجة الى ايضاح . ان عنصر المفاجأة هو أيضا عامل هام ، ان هناك ما يزعم أن المواقف الجديدة وغير المتوقعة ينظر إليها بوجه عام على أنها تكون أشد تهديدا . وأخيرا فان الأزمات تتميز غالبا بجدول زمني كامل لعمل متواصل ليل نهار ، وذلك بسبب شدة الموقف ، وعدم وجود فسحة من الوقت لاصدار القرارات . فمثلا في أثناء المواجهة الكوبية بالصواريخ كان الكثيرون من الموظفين الأمريكيين ينامون في مكاتبهم طوال مدة الأزمة . « كنا مضطرين لأن نواصل العمل على أساس أربع وعشرين ساعة في وزارة الداخلية » . ويبدو أن الرئيس خروشوف لم يجد وقتا يذكر للنوم في أثناء أسبوع الأزمة : « يجب أن أعترف أنني نمت إحدى الليالي على الأريكة في مكتبي بكامل ملابسى . لم أكن أود أن أضع نفسى فى موقف ذلك السياسى الغربى الذى اندفع الى التلغون أثناء أزمة السويس من غير بنطلونه . وحتى فى أثناء الموقف الخاص بالشرق الأوسط الاقل شدة بكثير ، الذى نشأ عن حرب الأيام الستة فى سنة ١٩٦٧ ، فان مجلس السوفييت عقد اجتماعا أو أكثر استغرق الليل طوله . ان عدم التمتع بقسط من الراحة ، والعمل المستمر لساعات طويلة ، يزيدان عادة من الشدة المشحون بها الموقف .

### الشدة والأداء : اللبيل من علم النفس :

ان أهم ما نعتى به فى هذه المقالة هو الكشف عن النتائج الممكنة للشدة الناجمة عن الأزمة ، وأثر تلك النتائج فى تلك المظاهر للأداء الفردى والتنظيمى التى يرجح كثيرا أن تؤثر فى اجراءات وضع السياسة الخارجية وتبعاتها . ونكتة بداية فاننا سنلجأ الى تلك المادة الفنية الهائلة من النظريات والبراهين النابعة من علم النفس التجريبي . ان ميزات القياس الدقيق ، والاستجابة السهلة ، والضبط المحكم للمتغيرات التجريبية، قد يسرت على علماء النفس أن يفحصوا بامعان مظاهر متعددة للأداء البشرى فى أنواع مختلفة من المواقف . وسنؤكد بعض الشيء آثار الشدة فى تمييز الاحتمالات ، واجراءات الاختيار من بينها ، وتقدير عوامل الوقت ، وأنماط الاتصال . وسنأخذ بعين الاعتبار أيضا كيف أن ضغط الوقت ، والاحتمالات والاتصالات ، يمكن أن تؤثر فى مستوى الشدة فى الموقف ، وكذلك العلاقات الأخرى بين هذه المتغيرات ، كما هو الشأن مثلا بين أنماط الاتصالات وتمييز الاحتمالات .

ان قدرا من الشدة (١) شرط متكامل وضرورى لحل أية مشكلة فردية كانت أو

(١). يجب أن نذكر أن هناك اختلافا بين علماء النفس فى تعريف الشدة أو الضغط . فمثلا يعرفها البعض بأنها التمر ( مثل التهديد العنيف ) ويرى آخرون أنها الاستجابات الحسية والسلوكية للتهديد .

جماعية • فإذا لم توجد الشدة فأننا نفقد الحافز للعمل • والقدر القليل من الضغط ينبهنا الى وجود موقف يتطلب اهتمامنا ، ويزيد من نشاطنا واستعدادنا وقدرتنا على مواجهته • وتزايد الشدة الى مستوى معتدل معقول يرفع من استعدادنا ويشجع قدرتنا على الوصول الى حل مرض للمشكلة • وقد كشفت دراسة بعض علماء البحث عن أن البيئة التي تحدث ضغطا معتدلا يتصف بعدم التأكد من غير قلق هي أكبر حافز للعمل الحلاق • حقا ان قدرا عاليا بعض الشيء من الضغط ، في بعض الواجبات الأولية ، قد يزيد في الأداء ، على الأقل لفترات محدودة • فإذا كانت المشكلة بسيطة من حيث الكيف ، وكان الأداء يقاس بمقاييس كمية ، فإن الشدة يمكن أن تزيد الانتاج • ان وقتنا عصيبا محدود المدى قد يحسن أداء الهيئة الكتابية في وزارة الخارجية •

ومع ذلك ، فإن اهتمامنا الحالي يتصل بتأثير الأزمة على كبار العاملين في السياسة الخارجية • اننا نجد في أحسن الظروف وأكثرها ملاءمة أن ما يصدر عن السياسة الخارجية يتسم بالتعقد والغموض وعدم الاتزان • انها تتطلب عادة استجابات تقوم بمعايير نوعية أكثر منها بمعايير كمية • وهذه المظاهر النوعية من الأداء هي التي يرجع كثيرا أنها تحت الضغط الشديد •

ان معظم نتائج البحوث تشير الى وجود علاقة على شكل خط منحن بين الضغط وإداء الأفراد والجماعات • وإذا كان مستوى الضغط معتدلا فإن القلق قد يكون عاملا مساعدا ، ولكن اذا كان مستوى الضغط عاليا فإن القلق الناجم يفسد عمليات القرارات • وقد أكد بيرش على ضوء سلسلة من التجارب أن الدافع المتوسط ، لا الدافع القوى أو الضعيف ، هو أكبر عامل في الوصول الى حل سليم للمشكلات سواء ما يحتاج منها الى بصيرة أو ما لا يتطلب ذلك • وقد أيدت دراسات أخرى هذه النتائج • فقد وجد لانزتا أثناء تحليله للسلوك الجمعي أنه تحت الضغط الزائد يحدث نقص في المبادرة بأنواع السلوك ، خصوصا تلك الأنواع من السلوك التي تتصل بالتفسيرات الناجمة عن موقف التشخيص ، وفي ذلك النوع من السلوك المتصل بزيادة في توسيع النقاش العام للعمل • وقد انتهى بوستمان ، وبردner الى أن السلوك الحسي يتعطل ، ويصبح أقل قابلية للضبط منه تحت الظروف العادية ، ومن ثم يكون أقل تكيفا • ان الأبعاد الرئيسية للوظيفة الحسية تتأثر ، فيصبح اختيار المdrكات الحسية من مجال مركب أقل ملاءمة ، ويصبح التمييز بين المعقول وغير المعقول أقل جودة • ويزداد سوء التكيف في اتجاه العدوان والهروب ، ويثبت على الافتراضات غير المفحوصة في عدم مبالاة وطيش •

وثمة آثار أخرى للضغط كشفت عنها البحوث التجريبية ، منها زيادة السلوك العشوائي ، ونقص الأداء اللفظي ، وارتفاع معدل الأخطاء ، والتكوص الى أنواع من

الاستجابات أكثر بساطة وأكثر بدائية ، وتزمت في حل المشكلات ، وتناقص في مواجهة الفوضى وتحمله ، وضعف في تركيز الانتباه سواء في اتجاه الوقت أو المكان ، ونقص في القدرة على التمييز بين ما هو خطير وما هو تافه ، وضيق في مجال النشاط الحسي المركب ، وعجز عن التفكير المجرد ، واختلال في التوافق البصري الحركي . وقد كشف عن أمر يتصل اتصالا خاصا بالآزمات الدولية ، وهو أن تحمل الفوضى يضعف تحت الضغط الشديد . ففي تلك الظروف اتخذ الأفراد قرارات قبل أن تتوافر لديهم المعلومات المناسبة ، ونتيجة لذلك فانهم كانوا أقل مقدرة في الأداء من أولئك الذين كانوا يعملون في ظروف موية . ان اقتران الضغط بعلم التأكد يدفع ببعض الناس لأن يشعروا « بأن أسوأ الأمور قد تكون أحسن حالا من هذا » .

والخلاصة أنه في المواقف التي يكون الضغط فيها شديدا « يحدث ضيق في التنظيم الادراكي أثناء الضغط ، ويفقد الفرد القدرة على الرؤية الواسعة ، انه لا يستطيع أن يدرك المظاهر الأساسية للموقف ، وتبعاً لذلك يصبح سلوكه أقل استعدادا للتكيف » .

ولقد وجه النقد لبعض الدراسات التجريبية من ناحية الفكرة والطريقة ، ولكن النتيجة العامة التي تمخضت عنها هذه الدراسات هي أن الضغط الشديد يعطل أكثر مما يسهل ، وأغلب مظاهر الأداء البشري تبدو نتيجة صادقة . وفضلا عن ذلك فإن القدرات التي يمكن أن تزداد بالضغط بين المعتدل والشديد ليس لها سوى اثر محدود في تشكيل السياسة الخارجية ، في حين أن القدرات التي تتعطل تحت تلك الظروف هي في العادة القدرات ذات الأثر القاطع في مثل تلك المسئوليات المعقدة .

ومن المظاهر التي تتصل بالآزمات الدولية وجود ضغط من ناحية الوقت يمكن أن تزداد دقة اذا كان أحد الجانبين يعتقد أن هناك فوائد تجني من المبادرة بالعمل . ويجب أن نشير هنا الى أن ضغوط الوقت ليست أمرا يتصل بالزمن الذي تقيسه الساعة فقط ، ولكنه يتصل أيضا بالعمل الذي يجب أن يؤدي . فاذا سمح الانسان بخمس دقائق يختار فيها بين لعب الجولف وتسوية الخضيرة في الحديقة في يوم عطلة الأسبوعية فانه قد لا يستشعر ضغطا يذكر في ذلك ، ولكن اذا أعطى مدة خمسة أسابيع ليقرر فيها هل يغير وظيفته ، فإن ذلك قد يثير فيه مشاعر عميقة بضيق الوقت لكي يصل الى قراره . وفضلا عن ذلك فإن ادراك الوقت هو ما يبدو أمرا دقيقا . « ان آثار المهلة المحدودة ترجع الى الضغط المدرك كما يبدو ، أكثر منها الى الضغط الواقعي الذي تفرضه مهلة محدودة مستحيلة » .

ان مدركات الوقت تتأثر بالضغط الشديد . فالقدرة على تقدير الوقت مثلا تضعف في المواقف التي تزيد في حالة القلق . ولذلك يبدو أن هناك صلة مزدوجة

بين الوقت والضغط . فمن جهة نجد أن الاستغلال العادي لتلك الوسائل أثناء الأزمة ، مثل توجيه الانذارات والتهديدات الموقوتة بمواعيد محددة ، يمكن أن تزيد من التوتر الذى يعمل بالضرورة تحت ضغوطه الجانب الموجه اليه الانذار أو التهديد . ومن جهة أخرى فان تزايد التوتر يجعل التركيز على مرور الوقت أكثر حدة ، ويشوه الأحكام عليه . ان المثل الذى يقول « ان الوعاء الذى يراقب لا يفلأ أبدا » هو أسلوب شائع لوصف العلاقة بين الضغط والادراك المحرف للوقت . ولقد وجد فى مواقف الأزمات لاصدار قرار يميز الأزمات عن أنواع المواقف الأخرى ، بل أيضا الى أن الضغط الشديد يزيد من ادراك قفزات الوقت .

ان مسائل السياسة الخارجية قلما تكون ماثلة ، ان كان هناك تماثل على الإطلاق للسؤال الشائع المتشعب الاحتمالات ، الذى تحدد فيه بدقة ، الوفاء من الاجابات المحتملة . ان عدد الاحتمالات الممكنة من الناحية النظرية يفوق كثيرا العدد الذى يمكن أن يؤخذ أو سوف يؤخذ بعين الاعتبار . وفى المواقف غير المتوقعة بنوع خاص ، مثل الأزمات ، يكون من الضروري البحث عن احتمالات ربما خلقها . ان ادراك ضغط الوقت يؤثر فى البحث عن الاحتمالات من عدة نواح . ويدل عدد من الدراسات على أن شيئا من ضغط الوقت قد يزيد من القدرة على الحلق ، وكذلك من سرعة الأداء ، ولكن أكثر الأدلة تشير الى أنه اذا فاق الضغط مستوى معقولا فانه يأتى بنتائج مضادة . ونظرا لأن الأعمال المعقدة التى تحتاج الى قوة فى الذاكرة وبراعة فى الاستنتاج هي أكثر ما تعاني من ضغط الوقت فان تأثيرها على تقرير السياسة الخارجية - التى تتميز عادة بالتعقد - يمكن أن يكون ضارا بشكل خاص . ففي مثل هذه المواقف نجد أن هناك اتجاهها للتركيز على طريق واحد لحل المشكلة وللاستمرار عليه سواء ثبتت صحته أم لم تثبت .

لقد بين البحث التجريبي أن الضغط الشديد للوقت يؤثر فى الأشخاص الأسوياء فيجعلهم يقومون فى أخطاء من النوع الانفصامي . وكشفت دراسة أخرى عن أنه بالرغم من أن الزيادة المعقولة فى ضغط الوقت قد تزيد من الانتاج الجماعى ، فان الزيادة من الضغط القليل الى الضغط العالى تحدث تأثيرا مضادا . ان مأكورت وماكورت يقرران أن مضاعفة عدد القرارات المطلوبة فى وقت معين خمس مرات أدى الى زيادة الأخطاء فى القرارات خمس عشرة مرة . وبالإضافة الى ذلك فان هناك ما يدل على أن ضغط الوقت يزيد من النزعة الى الاعتماد على القرارات الشكلية الآلية ، ويمزق القدرة الفردية والجماعية على حل المشكلات ، ويضيق بؤرة الانتباه ، ويعوق الاستفادة من المعلومات الميسرة . وأخيرا فان المهلة القصيرة لاصدار القرار تؤدي الى اتفاق جماعى مبكر ، وبذلك تقلل من حوافز البحث عن احتمالات أخرى وتقويها .



وإذا كانت الفترة الزمنية لاصذار القرار قصيرة فمن المحتمل أن تضعف القدرة على تقدير مدى النتائج الممكنة الناجمة عن اختيار سياسة معينة . ان البحوث التجريبية والميدانية تبين أن الضغط يحد من مجال التوقعات المستقبلية . وهناك أسباب كثيرة وراء ما يمكن أن يتسبب عن الضغط الشديد من اهتمام كلي في الغالب ، بالحاضر والمستقبل القريب ، على حساب الاهتمام بالاعتبارات البعيدة المدى . ان الشكوك وأنواع التردد التي تلازم الأزمات العصبية تجعل من الصعوبة بمكان تتبع النتائج الناجمة عن سلسلة من الأفعال والاستجابات الى مسافة بعيدة في المستقبل . ان نزعة الضغط الزائد نحو تضيق بؤرة الانتباه تحدد أيضا من الرؤى الخاصة بالوقت في اطار المستقبل المباشر القريب . ولنضرب مثلا لذلك ما لوحظ في أثناء الحرب الكورية من أن الجنود المحاربين « لا يستطيعون أن يمارسوا وظائف معقدة تتضمن تمحيص عدد كبير من العوامل ، أو تنبؤات بعيدة المدى ، لأن الضغط شديد الجسامة ، والوقت متناه في القصر ، فلا يسمحان بالتفكير في أى شيء سوى ما يتصل اتصالا فوريا بالوقت » . وزيادة على ذلك فإن الموقف الحالى اذا أدرك على أنه يشكل خطورة بالغة فإن المستقبل البعيد يبدو قليل الأهمية - ان لم يكن عديم الأهمية - ما لم تجد المشكلات الحالية حولا مرضية . وقد يكون هذا حقا . ان من الحمق بعد أن ننتشل شخصا من المياه الشديدة البرودة التي كاد يغرق فيها أن نبدأ باتخاذ الخطوات الطبية لوقايته من أخطار التهاب الرئة البعيدة المدى ، قبل أن نمارس معه التنفس الصناعي لكي تدب الحياة فيه من جديد .

ومع ذلك فهناك مخاطر كامنة في الاحساس الزائد بالاهتمام بالموقف الحالى . ان الاجراءات الحالية تغير من عمليات الاختيار في المستقبل ، والقرارات التي تأتى بمكاسب مباشرة قد تحمل معها ثمنا باهظا لهذه المكاسب فيما بعد . ولكن قلما نستطيع تقويم الحساب النهائي بشكل فعال اذا نحن ركزنا انتباهنا على المكاسب الحالية فقط .

وهناك ما يثير الاغراء في اعتقاد أنه « اذا ما استطعت حل مشكلة الساعة فإن المستقبل سوف يدبر أمر نفسه » . ان هذا النوع من التفكير هو الذى ساد تصرفات نيفيل تشمبرلين أثناء الأزمة التشيكية سنة ١٩٣٨ ، وكذلك سياسة ليندون جونسون أثناء حرب فيتنام .

وقد يحدث ضغط الوقت المستمر تغييرات هامة في الأهداف أيضا . وقد استنتج الذين قاموا بأحدى تجارب المساومة أن « مدلول الوقت كان يتغير في أثناء مروره دون أن يصل المساومون الى اتفاق » فقد بدا في أول الأمر أن مرور الوقت وضح المساومين تحت ضغط الوصول الى اتفاق قبل أن ترتفع نفقاتهم الى الحد الذى يقضى على مكاسبهم ، ولكن باستمرار مضى الوقت فإن خسائرهم المتزايدة شدت من عزمهم على

ألا يخضع أحد الجانبين في المساومة للآخر . إن تعليقاتهم على ذلك هو : لقد خسرت الكثير ، وتحل على اللعنة إن أنا سلمت لتفريسي الآن . اننى على الأقل أستشعر الرضا فى اننى أعمل أفضل مما هو يعمل » . إن هذا التعليق وما يقع وراءه من تبرير يشبه إلى درجة كبيرة ما جاء فى إحدى المذكرات الهامشية للإمبراطور غليوم ، عندما أدرك أخيراً أن آماله فى أن تقف بريطانيا موقف الحياد فى الحرب التى كانت تقترب بسرعة ، كانت سرايا وإوهاما : « إذا كان مقدرا لنا أن ندمى حتى الموت فإن انكلترا سوف تفقد الهند على الأقل » .

إن معدل سرعة البحث عن الحلول المرضية لمشكلة من المشكلات يتوقف جزئياً على الاعتقاد أن الظروف ملائمة ، وأن احتمالات الحلول موجودة فعلاً . ولكن إمكان إدراك أن أكثر الاحتمالات السياسية – إن لم يكن كلها – شئ غير مرغوب فيه هو أمر كائن فى طبيعة الأزمة . إن القلّة والنار هما – أكثر من جحش بورى ( الذى مات جوعاً عندما عجز عن أن يتخير من بين بالات التين المتساوية فى اللذة ) – المجاز الملائم الذى ينطبق على اختيار الاحتمالات فى أية أزمة من الأزمات الدولية . وكما ذكرنا من قبل كلما زاد الضغط كان حل المشكلة أكثر جموداً ، وضعفت القدرة على المبادأة والتصرف ، وبدأ التمسك فى شدة بالقواعد التى التزم بها من قبل فى وضع القرارات ، وقلت القدرة على الوصول إلى السداد . إن هذه الكشف لتوحى بالتناقض فى أن الأزمة العنصرية المتزايدة تجعل وضع سياسة انشائية خلاقة أكثر أهمية ، وفى الوقت نفسه أقل احتمالاً .

إن للتمييز بين الاحتمالات صلة أيضاً بمنصر المفاجأة فى الأزمة . ومن رأى سيندر أن بالإمكان النظر فى عدد أكبر من الاحتمالات ، إذا كان القرار متوقفاً ، وليس نتيجة طارئة للظروف . وعلى ضوء التعريف المصطلح عليه هنا فإن الأزمات لا تكون متوقعة بالنسبة لأحد الأطراف على الأقل .

ومن ثم فإن هذه الخاصية للموقف تقيد البحث وتحدّه ، وكلما اشتدت الأزمة وزاد الضغط كان من المنتظر أن يكون البحث عن الاحتمالات أكثر تقييداً وتحديداً . وفى موقف مثل ذلك الذى عقب الهجوم على بيرل هاربور فى سنة ١٩٤١ ما كان لانسان أن يتوقع من صانعى القرارات أن يقوموا ببحث مستفيض فى الاستجابات المحتملة . وحتى فى الأزمة الكورية فى سنة ١٩٥٠ التى كان الموقف فيها أكثر غموضاً إلى حد ما لم يؤخذ بعين الاعتبار سوى احتمال واحد فقط من الاجراء : « ٠٠٠ إن عملية إصدار القرار فى المسألة الكورية لم تصطبغ بالنظر فى احتمالات متعددة فى كل مرحلة . لقد برز عند تحديد الموقف اقتراح إجرائي واحد

إن الموقف الدقيق يتشكل عندما تكون الرؤية مقصورة على احتمال واحد فقط ،

وتتحدد عملية وضع السياسة في استسلام المرء للمقدر المحتوم . ولو أن صانعي القرارات أدركوا أن احتمالاتهم تتناقض حتى تتركز فقط في تلك التي تشجع بالمقوبات الصارمة - مثلا « ليس هناك من احتمال سوى أن ندخل غمار الحرب » - فإن تنازعا كبيرا يتولد عن ذلك . ان التناقض بين ما يقوم به فعلا واضع القرار ( اتباع سياسات من المعروف أنها تحمل مخاطرة كبيرة في نشوب الحرب ) وبين ما يعرفه ( من أن الحرب يمكن أن تؤدي الى كارثة ) يمكن أن يقل اذا ما حرر نفسه من مسئولية اتخاذ القرار . وقد وصف فيستنجر هذا الحل بقوله : « ومع ذلك فمن الممكن تخفيف التناقض او حتى التخلص منه بالتخلي نفسيا عن القرار . ويكون هذا الاعتراف بأن القرار اختار الاحتمال الخطيء ، أو بالاصرار على أنه في واقع الأمر لم يحدث أى اختيار يتحمل هو مسئوليته . ومن ثم فإن الشخص الذى قبل وظيفة جديدة قد يشعر على الفور بأنه ارتكب خطأ ، وأنه اذا قدر له أن يبت في الأمر من جديد فانه قد يتخذ اجراء مخالفا ، أو انه قد يفتن نفسه بأن الوظيفة لم تكن اختياره الشخصى : ان الظروف ورئيسه قد تأمرا ضده وفرضا عليه الوظيفة » . وهذا الاجراء يمكن أيضا ان يتصل بالعجز الشائع عن ادراك وتقدير مآزق الآخرين ومصاعبهم . « ان العشب أكثر خضرة دائما على الجانب الآخر من السياج » . وقد لوحظ هذا فيما يتصل بالدوافع ، والقدرات العامة ، والقوة العسكرية التي يتصف بها العدو .

ومن بين وسائل الاقلال من التناقض الاعتقاد بأن الاحتمالات الوحيدة التي تساعد على الخروج من المآزق تتوقف على العدو . ان الجانب الآخر فقط هو الذى يستطيع ان يحول دون وقوع الكارثة . فمثلا أثناء المراسلات العاصفة الأخيرة بين امبراطور ألمانيا وقصر روسيا في يولية سنة ١٩١٤ كتب غليوم : « ان مسئولية الكارثة التي تهدد الآن العالم المتمددين كله لن تقع على أكتافى . وفي هذه اللحظة لا يزال فى مقدورك ( يقصد القيصر نيقولا ) أن تمنع وقوعها » . وبالرغم من أنه قد يصعب فى بعض الأحيان تقدير مآزق الأصدقاء وصعوباتهم تقديرا كاملا ، فمن المحتمل أن يكون هناك تعاطف أكبر مع الحلفاء منه بين الأعداء . والخلاصة اذن ان احدى الوسائل الممكنة لمواجهة التناقض هي أن يقنع المرء نفسه بأن العدو متحرر من قيود الموقف التي تحد من الاحتمالات الميسرة للمرء والحلفاء .

وأخيرا ما هي العلاقة بين الضغط الناتج عن الأزمة ، والاتصال ، ووضع السياسة ؟ ان ملازمة الاتصال ، بالمعنى المادى من حيث مسالك الاتصال المفتوحة ، وبالمعنى « العمل » من حيث المطابقة بين قصد المرسل ، وتفسير المرسل اليه لهذا القصد ، كانت ولا تزال مركز الاهتمام الكبير في الدراسات حول اتخاذ القرارات . وبهذا الشأن وجد هابيس وميللر أن « أداء مجموعة صغيرة يتوقف على مسالك الاتصال المفتوحة أمام أعضائها ، وعلى العمل الذى يجب أن تتناوله المجموعة ، وعلى الضغط الذى تعمل تحت وطأته » .

، ولقد استحوذت الاتصالات غير الملائمة على أكبر قسط من الانتباه في دراسات الأزمة ، منح اهتمام أقل بآثار المعلومات الزائدة . ويبدو أن دراسة الموضوع الأخير كانت دراسة معملية أكثر منها دراسة للمواقف التاريخية . ومع ذلك فإن المعلومات الزائدة تبدو ذات أهمية خاصة . ان بداية الأزمة تثير في العادةفاعليات فردية وبيروقراطية سريعة الخطى لدرجة كبيرة ومن المحتمل أن تزيد كلها فعلا من حجم الاتصال الدبلوماسي .

لقد ذكرنا من قبل أن المواقف ذات الضغط الشديد تنزع الى أن تزيد الرؤية الاختيارية ، وأن تعطل القدرة على التمييز بين المعقول وغير المعقول ، وبين ما هو ذو علاقة وما هو غير ذي علاقة . وبصرف النظر عن تأثيرات الضغط فهناك حدود لقدرتنا على تصنيف المعلومات . وكلما زاد حجم المعلومات التي تتجه الى صانعي القرارات فإن البحث عن المعلومات داخل جهاز الاتصال يصبح أقل جودة ودقة ، كما يصبح الانتقاء مما يقرأ ، وما يعتقد فيه ، وما يحتفظ به ذات أهمية متزايدة . ومن المرجح أن تتساقط وتهمل تلك المعلومات غير السارة وتلك التي لا تسند المعتقدات التي سبق تكوينها من قبل « ان الكشف التجريبي عن أن التصفية الاختيارية تستعمل غالبا في مستويات تتدرج من الخلايا الى المجموعات البشرية لمواجهة القدر الهائل من المعلومات التي يصعب الالام بها جميعا هو كشف صحيح أيضا بالنسبة للمنظمات الحكومية : «أن جميع رؤساء الدول ، على الأقل في العصور الحديثة ، يشكون من أكدااس الأوراق التي من المفروض أن يطلعوا عليها . وقليل منهم من يستطيعون النهوض بذلك . ونتيجة لذلك فإنهم ينزعون الى استبعاد ما هو غير سار منها . ومن ثم فإن مزيدا من الاتصالات يمكن أن يؤدي الى أن ما يتيسر من المعلومات لدى واضعي السياسة معلومات أقل فائدة وأدنى قيمة » .

ومع أن حجم الاتصال يمكن أن يزداد أثناء الأزمات فمن المحتمل أن تكون هذه الزيادة غير منتظمة . وقد يحدث تقطع كبير في الاتصال اذا كانت هناك عداوات كامنة . وفي دراسة للدعاء وجد برودي أنه كلما زاد التهديد زادت كمية حجم الاتصال الحلفي بالمقارنة مع الرسائل التحالفية . وفي الوقت نفسه يمكن أن تعكس الرسائل الواردة والصادرة تقديرات بسيطة وثابتة للموقف بشكل متزايد . واذا كانت التوقعات الخاصة بتفجرات وأنماط ومحتوى الرسائل في أثناء الأزمة صحيحة فإن عدد الاحتمالات التي يأخذها واضعو القرارات بعين الاعتبار تكون محدودة .

وقد تحدد مظاهر أخرى معينة للمراسلات في أثناء الأزمة التنقيب عن الاحتمالات . وهناك اتجاه عام للنقص من حجم لجان وضع القرارات في مثل هذه المواقف . وقد حددت عوامل تكنولوجية وغير تكنولوجية من الوقت الذي يستغرق لاصدار القرار الى درجة تجعل التشاور مع المشرعين القانونيين وغيرهم من الجماعات

الهامة أمرا مستحيلا تماما . والمثل على ذلك تحديد عدد أعضاء اللجنة التي اتخذت القرارات الخاصة بالقذائف في كوبا . وبالمثل فإن الهيئات التي أصدرت القرارات في الازمات المتصلة بكوريا في سنة ١٩٥٠ والهند الصينية في سنة ١٩٥٤ وغيرها كانت محدودة الحجم أيضا .

وفضلا عن ذلك قد يكون هناك اتجاه للاقلال من استشارة الآخرين كلما زاد ضغط الوقت ، وكذلك للاعتماد اعتمادا أكبر على أولئك الذين يناصرون الأوضاع الجاملة القائمة من قبل . وقد وجد بريت في دراسة لادارة حكومية أن عدد الناس الذين يستشيروهم أولئك المسؤولون عن حل المشكلات ينخفض لدرجة كبيرة عندما يزداد ضغط الوقت . ففي أثناء الأزمة التي أدت الى الحرب العالمية الأولى كان أحد القرارات القاطعة هو ذلك القرار الألماني بمنح النمسا تأييدا مطلقا في خطتها لمعاقبة الصرب ( يوغسلافيا الآن ) ، وقد اتخذ هذا القرار دون اجراء مشاورات واسعة .

في ٥ يوليو خرج القيصر للنزهة في حديقة بوستدام مع رئيس وزرائه ، ذلك العملاق الملحي ، ذو العيون الحزينة ثيوبولد فون بشمان هولفج ، الذي كان يسميه بعض الشباب من الضباط المارقين لانكي ثيوبولد . وكان بصحبتهما زيرمان وكيل وزارة الخارجية . وما أن أموا جولتهم في الحديقة حتى كان القيصر قد اتخذ قراره .

ولم يستشر القيصر أحدا غير هذين في قراره . لقد كان وزير خارجيته يقضى شهر العسل خارج برلين ، ولم يستدعه القيصر ، كما أنه لم يستدع رئيس وزرائه السابق ، الداهية المراوغ ذا الخبرة الواسعة ، برنارد فون بولوف . ففي الحديقة ، رصصته بشمان هولفج الذي كان القيصر يزدري آراءه ، وزيرمان أحد الموظفين ، اتخذ القيصر قراره ، ثم أخطر سفير النمسا في برلين بأن ألمانيا على استعداد لأن تحمي بلاده اذا همت روسيا بالتدخل

وبالمثل اتخذ جون فوستر دالاس شخصا قراره القاطع في أزمة قناة السويس سنة ١٩٥٦ بالغاء القرض الذي كان قد اعتمد لبناء سد أسوان . لقد رفض أن يتشاور مع هنري بايرود سفير الولايات المتحدة الأمريكية في مصر ؛ بل انه لم يقبل نصيحته . وقد كان تقدير السفير للموقف - الذي تبين بعد أنه كان تقديرا سليما - مخالفا لتقدير دالاس . ومثل آخر أحدث من هذا هو قرار الرئيس نيكسون بارسال جيوش الى كمبوديا ، وهو قرار قام بتنفيذه دون أن يستعين بأراء الكثيرين من المستشارين المتمازين في السياسة الخارجية .

ان الضغط المتزايد قد يحدث تغييرا مضادا في الاتصال . ولقد وجد ميلر في بحوثه عن المعلومات الزائدة أن أحد أساليب المواجهة الكثيرة الاستعمال استخدام

منهجين متوازيين من الاتصال ، خصوصا في الأجهزة ذات المستوى العالي مثل الجماعات أو المنظمات ، على عكس الخلايا أو أعضاء الجسم أو الأفراد . أن واضعي القرارات قد يعملون على أن يتجنبوا تأثير المعلومات الزائدة ، وتأثير تحريف المستوى في الاذاعة ، وذلك باستخدام مناهج ارتجالية في الاتصال . وقد تتخذ هذه أشكالا كثيرة ، من بينها الاتصال المباشر بين رؤساء الحكومات ، واستخدام مبعوثين خصوصيين أو وسطاء .

ولقد أشير في مناسبات مختلفة الى أن سرعة النشاط الدبلوماسي وغيره تزداد بشكل واضح أثناء الأزمة . ويبقى الآن أن نتأمل هل الضغط الزائد يرفع من اللجوء للمخاطرة والعدوان والمظاهر الأخرى ذات الصلة للسياسة الخارجية . هل نقاد الى موقف قريب جدا الى افتراضات الاحباط والعدوان ؟ ان الدليل على ذلك غير واضح . ففي بعض الحالات يؤدي الضغط الى درجة عالية من المخاطرة ، وفي حالات أخرى ينتهج الأشخاص في مثل هذه المواقف الحيلة الزائدة لأنهم يتطلبون درجة كبيرة من التاكيد واليقين قبل أن يلتزموا بأى شيء . ومع ذلك فإن تقدير ما يشكل المخاطرة بدرجة عالية أو منخفضة قد يغير في الظروف المشحونة بالشدّة والخطر . لننأمل مثلا سياسة بريطانيا الخارجية أثناء ١٩٣٨ - ١٩٣٩ . ان ما بدا كمنهج من المخاطرة القليلة ( على الأقل بوجه عام ) لم يكن عاملا مساعدا يذكر على الاستقرار والسلام . ولناخذ مثلا آخر أحدث من ذلك ، فلقد كان من رأى العميد اشيسون ووليم فولبرايت وريشارد رسل في أكتوبر سنة ١٩٦٢ أن قرار الرئيس كينيدي بحاصرة كوبا كان يشكل مخاطرة اضخم بكثير من المنهج الذى ارتآه ، وهو اللجوء الى قصف كوبا بالقنابل ، أو غزوها حتى تزيل القواعد الصاروخية السوفيتية من أراضيها .

وعلى ذلك فإن مواقف الشدة العالية قد تؤدي الى احتمالات أكثر لسياسة عدوانية ، ولكن الدليل الذى تقدمه هنا يوحى بعملية أكثر تعقيدا . ان الشدة الناجمة عن الأزمة تسبب تغييرات معنية في ادراك الوقت وتحديد الاحتمالات وأنماط الاتصال . وهذه قد تضعف كلا من فاعلية الاجراءات الخاصة باتخاذ القرارات واحتمالات الحطة السياسية التى تتبع ذلك ، ولكن ليس بالضرورة في اتجاه الغلو في انتهاج سياسة المخاطرة .

#### خاتمة :

والخلاصة أن الدليل يوحى بأن وضع سياسة تحت ظروف الشدة الناجمة عن الأزمة يمكن أن يختلف من نواح عديدة عن اجراءات وضع القرارات في مواقف أخرى .

(٦) ورأى بديل هو أن واضعي القرارات لا يدركون أو يتصرفون بشكل مختلف في الأزمات ، أى أنهم لا يدركون عدواة ان لم هناك عدواة قائمة ، وأنهم يسيرون عن الداواة مباشرة وفق ادراكهم للعدواة .

فلنلحظ الذي تتواجد فيه هذه الاختلافات فأنها قد تمنع أكثر من أن تيسر عمل أولئك الذين يضطرون بالمسئوليات المعقدة في وضع احتمالات للسياسة الخارجية (١) . ومن المؤكد أن هذه النتيجة متمشية مع ما كشفت عنه البحوث التجريبية .

وإذا كانت هذه الدراسة لا يعوزها الكشف العملية والكمية فأنها لا تخلو تماما من المشكلات الفكرية والإدارية . فمثلا لا يمكن أن نفترض أن النتائج التي أمكن الوصول إليها بالنسبة للطلبة تصدق بالنسبة لأشخاص مختلفين في العمر والثقافة والخبرة وغيرها (١) . وكذلك فإن الطريقة التجريبية العادية التي بمقتضاها نسال الأشخاص أن يكشفوا عن أحسن جواب لمشكلة أو لفز لا يمكن أن تماثل الواجب الملحق على واضع السياسة من الموظفين ، الذي قد يواجه موقفا لا يتضمن إجابة صحيحة واحدة .

وقد ينار سؤال أهم من ذلك كله حول مقدرة القائم بالتجربة على خلق موقف سدة عالية يوثق به حقا . فإذا استخدم أشخاصا في التجربة فإن موقف السدة في العمل يجب بالضرورة أن يكون هينا نسبيا وقصير المدى . وفي العادة يثار هذا الموقف بحمل الشخص على اعتقاد أنه قد فشل في الواجب الذي عهد له به . وعلى النقيض من هذا نجد أن الموظف الذي يعمل في السياسة الخارجية قد يدرك موقف الأزمة على أنه تهديد حقيقي لوجوده هو وأسرته وشعبه بل الجنس البشري جميعا . ومن الواضح أن العالم التجريبي الأخلاقي لا يستطيع أن يخلق موقفا مطابقا لذلك في العمل .

ومجمل القول أن الكشف التجريبية تثير بعض الأسئلة عن الحكمة التقليدية وراء المظاهر المتعددة للاستراتيجية والدبلوماسية في أثناء الأزمات . ولكن الأجوبة على هذه الأسئلة يمكن أن نجدها فقط في العالم الحقيقي للأزمات الدولية ، ولا في العمل . ولقد بدأ البحث على هذا النسق ، وظهرت دلالات قوية على وجود تقارب قيم بين الكشف المستمدة من التجارب المعملية ، والادعاءات ، والتحليل التاريخية .

---

(١) ولا يمكن بطبيعة الحال أن نفترض أنها ليست صادقة . أو أن ما يخالف الكشف التجريبية يكون حقيقيا .

# الأنثروبولوجيا

## علم الإنسان

كتبت هذه المقالة من وجهة نظر الباحث في طبائع البشر من الناحيتين : الاجتماعية والثقافية . لكن ذلك لا يعنى أن علم الآثار أو دراسة تطور الانسان الحلقى لا يتصلان بموضوع هذا البحث ، فان الحالات التى يكون فيها التنقيب الأثرى أساسا لدراسة التراث الثقافى تساهم فى ايجاد الثقة بالأمة والاعتداد بها ، كما أنها تحت على تطور التعبير الفنى . وبذلك تحقق هدفا من أهداف التنمية اذ أنها تزيد من رصيد الأمة الفكرى وتقوى الايمان بها .

### ميلان الأنثروبولوجيا الثقافى والاجتماعى

يقوم علم الأنثروبولوجيا أو علم أصل الانسان وطبائعه على النظم الخاصة بالدراسة الشاملة النافذة والمقارنة للمستويات الثقافية ، متضمنا تطور الثقافة مع الزمن وتأثير الثقافات بعضها على بعض . ولقد أعد الكثير من المؤلفات المستفيضة فى شرح لفظ « ثقافة » ، ولكن هناك تعبيرا مختصرا يعرف الثقافة بأنها جميع الأشياء المادية والمعنوية والآراء التى أنتجها أو قدمها الانسان وما زال يقدرها ليومنا هذا . ومن الأشياء الجوهرية لدراسة وتحليل الثقافة تعريف الرمزية ، اذ أنه بدون الرمزية لا يمكن أن



## بقلم : سيريل بلشو

أستاذ ورئيس قسم الأنثروبولوجيا بجامعة كولومبيا في فانكوفو • له أبحاث متعددة في دراسات المحيطات ، ومن بين مؤلفاته : النمو الاجتماعي والثقافي في فيجاي الريفية « (١٩٦٤) » ، « ومستوى الأداء الاجتماعي » (١٩٧٠) • ولقد سبق أن ساهم مقال عن البنيان الاجتماعي والقيم الحضارية وصلتها بالنمو الاقتصادي في العدد الثاني من الجزء السادس والمشرين من هذه المجلد عام ١٩٦٤ •

## ترجمة : الدكتورة فضيلة محمد فتوح

مدرسة الأدب الانجليزي بجامعة عين شمس ،  
وجامعة القاهرة ، وجامعة الأزهر • حصلت على  
البكالوريوس والماجستير بتقدير ممتاز من جامعة القاهرة  
ثم حصلت على الماجستير من جامعة ليندز بانجلترا ،  
وفي عام ١٩٧١ حصلت على الدكتوراه من جامعة عين  
شمس بمرتبة الشرف الأولى •

تتواجد عمليات الادراك والتمييز والاتصال والتقويم • فالتقويم من أهم العوامل في دراسة التطور الثقافي اذ أنه أساسى في عمليات الاختيار واتخاذ القرارات التي هي بدورها عوامل أساسية في النشاط الاجتماعي ، وبناء على ذلك تكون الرموز والقيم ووسائل الاتصال وطرق الاختيار أشياء جوهرية للمشاكل التي تواجهنا •

ويدرس كذلك علماء الأنثروبولوجيا العلاقات الاجتماعية المتصلة بأبحاث علماء الاجتماع الآخرين ، وربما تكون نقط البداية في علم أصل الانسان وطبائعه إن العلاقات الاجتماعية :

- أولا : توضع في بيئة ثقافية تتصل بالقيم ووسائل الاتصال والاختيار •
- ثانيا : تعالج عدة مجموعات أو طبقات •
- ثالثا : تهدف الى مقارنة عدة مجموعات أو طبقات •
- رابعا : تدرس بطريقة منظمة •

وأعنى بالنقطة الأخيرة أن الباحثين في طبائع البشر يستنبطون عادة أهدافا

نظرية من العلوم الاجتماعية المتصلة بعملهم ، فهم مثلا يطبقون نظريات علم النفس والاقتصاد والعلوم السياسية وعلم الاجتماع وعلم الأحياء الخاص بالعلاقة بين الكائنات الحية وبيئتها لدراساتهم . ولا يعطى جميع الباحثين اهتماما كبيرا للنظريات ، ولكن من المسلم به أن هذه الاتجاهات المختلفة معترف بها . كما أن التنافس بينها يؤدي عادة الى فوائد متبادلة . فعلى موقف علم طبائع الانسان من المجتمع يتجه الى توحيد المعرفة . وأنا لا أفترض ولا يفترض أى باحث أنه بهذه الطريقة تتبع الأنثروبولوجيا النظم الأخرى . ففي دراسة العلاقات الاجتماعية يبرز بوضوح وباستمرار هدفان واسمان ، الأول وظيفي يبنى اهتمام بالتنظيمات الطبيعية التي تنتم بها المجموعات الثقافية المحدودة ، وهذا الاتجاه يقوم على تصنيفات رمزية وتعريفات لأنظمة العمل الدائم التي يمكن أن يستنتج منها وفقا للخط التقليدي أنماط السلوك وبعض التنبؤات الأخرى . أما الهدف الثانى فيبدأ باتخاذ القرارات الفردية وسط البيئة والتوصل الى النماذج والتنظيمات الاجتماعية عن طريق هذه القرارات وتفاعل بعضها مع البعض الآخر ، ويعتقد بعض الباحثين أن هذا الاتجاه الذى لم يزل موضع البحث يقدم امكانيات أكثر لدراسة التغير وتحليل النظم والاحصائيات ، كما أنه يقرب الباحث من الواقع .

ويجب أن نشرح بالتفصيل النقاط التي سبق ذكرها ، حيث ان هناك رأيا غريبا عند عامة الناس وعند بعض الزملاء ينادى بأن علم الانسان ليس أكثر من أنه دراسة انثوية تتعلق بالصور البدائية القديمة وحسب ، فإذا سلمنا بأن هذه هي الحقيقة أصبحت مهمة علم الانسان مشابهة لعلم الآثار ، باستثناء واحد ، هو استبدال الأشياء موضوع البحث بكائنات حية ، كما أن مهمة الباحث ستقتصر على احياء القبائل القديمة البائدة وادخالها الى الحياة العصرية .

ان النقاط التي أثرتها فيما قبل لا تتعدى أن تكون ملاحظات عامة ولا تختص بطبقات خاصة من المجتمع ، ولقد اهتم فى الماضى بعض الباحثين ( الأغلبية فى بعض البلدان ) بأصل الحضارة ونشأتها ، ولكن هذا لم يكن شغل الباحثين الشاغل لمدة نصف قرن ، فلقد سعوا وراء ثقافات أخرى ، وحيث أن معظمها بدائي فلم تكن هدفا فى نفسها بل جزءا من خطة بحث منظمة تجبر الباحث على اختراق حدود الثقافات القائفة والبدء من الأساس بدون التأثير بالكتابات والأبحاث السابقة ، كما أن هذه الطريقة ساعدت الباحثين على معالجة مابدا لهم من أول وهلة كنماذج سهلة وبسيطة .

ويحاول العلماء عدم استعمال لفظ « بدائي » ويستبدلونه بلفظ « أمي » أو « جاهل » ، أى اللفظ الذى يؤدي فى نظرهم عملا وظيفيا فى التعريف . وحيث ان معظم حضارات العالم كانت أمية الى وقت قريب فان هذه الحقيقة تشكل موضوعا آخر يستحق اهتمام وتركيز الباحثين .

ولكن يجب أن نلاحظ أن العلماء يهتمون اهتماما كبيرا بدراسة المجتمعات الريفية والمتحضرة ( وخاصة في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ) ونظريات التسويق بها ، ويحاولون تطبيق النظريات التي ذكرتها فيما سبق على دراسة الأنساب في المجتمع الغربي والعلاقات العنصرية أينما كانت سواء في أفريقيا أو بلجيكا أو الولايات المتحدة ، وكذلك دراسة الثقافات الفقيرة . ويجانب ذلك يحاول العلماء تطبيق بعض ما تعلموه عند دراسة اقتصاديات الريف المتأخر في أبحاث عن السلوك التجارى والتسويق فى المؤسسات الرأسمالية وعن اختيار الأفراد والمجموعات المهاجرة . هذه بعض اهتمامات عالم الأنثروبولوجيا العصرى فى العصر الحديث .

### الأنثروبولوجيا والاتجاه نحو التطور :

وعند معالجة اتجاه الأنثروبولوجيا للتطور. يجب تعريف ثلاثة مصطلحات وتحديد مجالين للبحث العلمى . أما المصطلحات فهى : « النمو » ، و « الأداء » ، و « التطور » .  
وإما مجالا البحث فهما : ما تقدمه الأنثروبولوجيا للأبحاث الطويلة فى الدراسات الاجتماعية ، وما تقدمه الدراسات الميدانية لتكوين نظريات التطور وشرحها .

وعادة تسبق كلمة « اقتصادى » ألفاظ « النمو » و « الأداء » و « التطور » . وهذا يعنى أن الوسائل أو العوامل التي تقرر التطور أو التي تستعمل المقارنة تشتمل من معلومات وحقائق النظم القائمة لتبادل البضائع والخدمات كما يصفه رجال الاحصاء الاقتصادى . فعندما تكون هناك ضرورة لاستخدام عوامل أخرى فى النمو والأداء والتطور يستعمل لفظ « اقتصادى اجتماعى » . ولكن الالتباسات والمعتقدات الخاطئة التي تنتج عن هذا التمييز مهمة جدا لما يقدمه فى المستقبل التحليل الأنثروبولوجى ، ويمكن تلخيص بعضها فيما يلى :

ليس من المربى أن نستعمل لفظ « اجتماعى » لخدمة اجتماعية أو « قطاع الخدمة الاجتماعية » ، فمن المحتمل أن تعالج هذه القطاعات من الوجهة الاقتصادية أو وجهة تحليل طبائع الانسان الثقافى ، كما أن ما يسمى بالقطاع الاقتصادى يمكن معالجته من الوجهة الثقافية ومن ناحية العلاقات الاجتماعية ، ولعل هذه الأسباب يتبين أن التغيرات فى اقتصاديات المنازل والجمعيات الدينية والجمعيات الخيرية وكذلك العوامل غير الملموسة فى الحياة الاقتصادية الاجتماعية كالتأثير الأيديولوجى للرؤساء بعضهم على بعض كثيرا ما يتجاهلها الباحثون أو يجدون أنها تفشل فى ضمها الى أبحاثهم . وفى بعض الحالات تكون هذه العوامل غير ذات أهمية . ولكن فى البعض الآخر تكون هى الفارق الكلى بين نجاح أو فشل التنبؤات المتعلقة بأهمية التطور أو نتائجه .

يجب أن يقبل باحث الأنثروبولوجيا على تحليلاته ومعلوماته بذهن متفتح ومفهوم واسع عريض لموضوعات بحثه ، فمن المحتمل مثلا أن يؤخذ الدين كملاذ بين الأطراف المتنافسة ، أو يتأثر أحد قرارات الانتاج التي يتخذها مجلس الادارة بالأراء الثقافية والعلاقات الخارجية . فالنمو يعنى التغيير فى كمية المنتجات والخدمات التى تقدم ، أو التغير فى القوى الشرائية أو فى علامات متشابهة أو محايدة . ولكن بينما تكون العلامات نفسها محايدة فانها لا تكون كذلك عندما تواجه المجتمع وجها لوجه . أما الأداء فيعنى مدى قدرة الأحداث والعمليات على تحقيق أقصى رغبات المجتمع وأهدافه . والنمو ليس مرادفا لزيادة نسبة الأداء . فمن الجائز أن تشير جميع العلامات الى نمو مهول فى حين ينخفض مستوى الأداء فيهدم القيم المتعارف عليها . وتوجيه الجهود بطرق فاشية من بين الحالات التى تستحق الدراسة . كما أن بعض المجتمعات البسيطة لا تحبذ النمو أو التطور ، وعندئذ لا يتعدى النمو أو التطور كونه انخفاضا فى مستوى الأداء .

ان التطور يعنى نمو فدرات المجتمع على التنظيم لتحقيق أهدافه وتنفيذ هذه التنظيمات بكفاية . والعامل الأساسى فى هذه الحالة ليس سوى « التنظيم » ، فعندما نقارن - بلغة الأنثروبولوجيا - مجتمعا متقدما ومجتمعا متخلفا نجد أن الأول قادر على اتخاذ القرارات وانجاز الكثير من العمليات المعقدة ، وهذا لا يتصل فى كثير أو قليل بتواجد أو بنقص الموارد الطبيعية . فعلى سبيل المثال نجد أن غينيا الجديدة لديها موارد غنية ولكن ليس لديها أى نوع من التنظيم المنسق ، فى حين تستعمل اليابان وهونج كونج وسويسرا تنظيماتها المعقدة المحنكة فى استعمال مواردها والتحكم فيها ، تلك الموارد التى لم تكن أصلا داخل حدودها الطبيعية ، وبذلك تصبح الأولى بلدا متخلفا ، فى حين أن تلك متقدمة .

كما أن التطور - من حيث هو - لا يتصل باشباع رغبات واحتياجات المواطنين . وتفترض كثير من المؤلفات أن أى تحسين فى وسائل التطور أو التنمية يتضمن تطورا فى الخدمات العامة وارتياح الجماهير ، ولكن الحقيقة أن بعض صور التطور تنهض بمستوى الأداء فى بعض الحالات ، ولا يؤدى البعض الآخر الى مثل هذه النتيجة . وربما يكون علماء الأنثروبولوجيا أقدر من غيرهم على تفهم وشرح هذا الوضع ، ولكن تفسيراتهم لم تظهر الى الآن فى مقررات شاملة واضحة تبين مفارقات نسب الاكتفاء التى تتشى مع مستويات التنمية المختلفة - وهذا يمثل اشكالا أساسيا للأنثروبولوجيا ، وحتى يعالج هذا الموضوع فإن تحفظات عالم الأنثروبولوجيا نحو بعض صور التنمية سوف تفسر على أنها خالية أو منحازة سياسيا بدلا من كونها علمية وموضوعية .

ومن ناحية أخرى نجد أن بعض علماء الاجتماع الآخرين وكذلك السياسيين على

درجة كبيرة من السذاجة بحيث يعتقدون ان التطور أو التنمية تتضمن بالتبعية ارتفاع مستوى الأداء . ( ومن الجائز أن نشير هنا - كموضوع ثانوى - الى أن أحد التحركات المضادة الجديدة يعارض أساسا التطور وينادى بالبساطة ) .

ويشعر علماء الأنثروبولوجيا بعدم الارتياح نحو التحركات المتأرجحة بين الدراسات الميدانية الدقيقة والتفسيرات العينية الضخمة التي تتزايد بشدة ، فهم يلمون - أكثر من كل علماء الاجتماع باستثناء المؤرخين - المأما تأما بالهوة بين النظريات والتفسيرات العامة من ناحية والدراسات الواقعية التجريبية من ناحية أخرى . فغالبا يتضح أن هذه البيانات والمعلومات العامة ساذجة عندما تستعمل فى دراسة المجتمعات الانسانية . ومن بين المهام التي تؤذيها الدراسات الميدانية البرهنة على أن التوصيات النظرية أو البديهية لا يمكن أن تكون مجدية أو مفيدة . كما أن من واجبه أن تثبت كذلك أن ما يبدو طبيعيا ومعقولا فى مكتب اقليمى أو وطنى يجده الافراد المختصون - فى كثير من الأحيان - شاذا وغير معقول . ولكن ترك الموضوعات كما هى ليس كافيا لحل الاشكال . فكل نظرية عامة أو خطة عملية يجب أن تكون تقديرية ، ومهمة علم الأنثروبولوجيا أن يتوصل الى الحقائق باستعمال هذه التقديرات . وأفضل طريقة لذلك هى تكوين قواعد عامة وسياسات محددة ، وهذه هى احدى المهام التي تجاهلها تماما علم الأنثروبولوجيا . فمن لوازم البحث العلمى أن يؤخذ النقد الميدانى للعلماء على أنه نقد بناء ، ويقارن مع أوجه النقد الأخرى ، ويستعمل فى تنقيح وتعديل النظريات والمناهج المختلفة . وربما يكون الوقت المناسب قد جاء الآن للقيام بعملية شاملة من هذا النوع ، وهى دراسة نظريات العلوم الاجتماعية الأخرى والسياسات العامة للتنمية على ضوء التقارير الميدانية لعلم الأنثروبولوجى .

وانه لجدير بنا - وهذه الموضوعات تحت الاختبار - أن نبحت بعض مشروعات التنمية التي تزدهر وتنتشر هذه الآونة :

١ - انه لمن المؤكد أن لفظ « التنمية » يتضمن تغيرا فى الأهداف والآراء ووسائل العمل والعلاقات العامة ، ولكن كثيرا ما يأخذ هذا التغيير صورا أخرى كاعادة توزيع القوى الاجتماعية ، الشئ الذى قد يؤدي الى خفض الايراد العام للدولة لفترة قصيرة أو طويلة ، كوسيلة لبناء أساس متين لحطة تنمية طويلة الأمد . وهذا يقدم مشاكل رئيسية فى تقويم آثار التنمية وخاصة فيما بين الحطط الطويلة المدى والحطط السريعة . كما أنها تقدم مشاكل لدى تقبل الجماهير لهذه السياسات وخاصة بالنسبة للفلسفة السياسية .

٢ - وبينما يكون الاهتمام موجها الى قدرة بعض البلدان على تحقيق مصائرهما

وضع خطط تنميتها وتطورها نجد أن واقعية هذه الدراسات تقل ، وهنا يجب ملاحظة عاملين ، فمن المحتمل أن يكون التمسك بالقومية قوة محركة للتغلب على آثار العزلة والتفرقة الثقافية ووسيلة لتأكيد تمشى أهداف التنمية مع المدلول العالمى للفظ « الأمة » ، ولكن التمسك بالقومية ربما يؤدي الى نتيجتين : **أولاهما** : هي عداء اقليمي والقضاء على روح المبادأة بالدولة . **ثانيهما** : هي عدم تبادل الآراء خارج الحدود القومية . وعلاوة على ذلك فإن العلاقات الدولية ( سواء كانت اقتصادية ثقافية أو سياسية ) تؤثر تأثيرا ملموسا على قدرات الحكومات الوطنية في اتخاذ قراراتها . ولذلك تجب دراسة العلاقات الحكومية داخل الدولة وخارجها لتأثيرها على نمو الدولة وازدهارها .

٣ - يجب الاهتمام بمدى تأثير الدول المتقدمة على الدول النامية ، ويجب الاهتمام بالعوامل التالية :

**أولا** : اتجاهات الجماهير في الأمم المتقدمة ومدى تأثيرها على الدول النامية خلال الزيارات الفردية أو نقلها اليهم ضمن وسائل التنمية .

**ثانيا** : فرض نمط التنظيم الحكومي المتجزئ في الدول المتقدمة على التنظيم العالمى وعلى تنظيم المعونات للدول النامية .

**ثالثا** : من المحتمل ألا تتناسب قيم العمل وطبيعة التنظيم مع احتياجات التنمية في بعض الدول .

٤ - لقد نجم خطر كبير من إيمان الدول الغربية بأصلها وعراقتها ، اذ يعرض العلماء والمستشارون الغربيون الكثير من الافتراضات عن طبيعة المجتمع في الدول النامية ، فمن بين الأفكار القديمة الخاطئة التي مازالت سائدة الى الآن رغم البراهين التي أثبتت العكس : أن القضاء على العلاقات الآسرية الواسعة والمراسم المعقدة في بعض الاحتفالات خطوة أساسية للبدء في النهضة والتنمية ، ربما يكون هذا ضروريا اذا كان الهدف من التنمية هو تطبيق نموذج غربي محض ، ولكن في النهوض بالحضارات الأخرى ( كاليابان وفورموزا ) هناك نماذج أخرى عديدة للتنمية أكثر مما كان يتصوره خيالنا ، وليس هذا بموضوع يطرح للمناقشات النظرية ، فالإجراءات الحكومية التي توجه مثل هذه العمليات الهدامة ستعرقل النهضة اذا استعملت بهذه الطريقة السيئة .

٥ - اننا الى الآن لم نتوصل الى نوع المحيط الذي يمكن فيه تحقيق أسرع طرق للتنمية بأقل التأثيرات المضادة وإقامة أمتن وأقوى قاعدة للتنمية بأفضل الوسائل ، وانه لمن الخطأ أن نعرف التغيير السريع « بالتنمية » والإجراءات البطيئة « بالتخلف » ،

فكلتا العمليتين ليست سوى نسب مختلفة للتغير . وعلاوة على ذلك فانه بينما نكون بعض التحركات الثورية العاجلة ضرورية ومرغوبة فانها فى بعض الأحوال تتسبب فى تأخير الجدول الزمنى ( ارجع الى الفقرة ١ ) .

٦ - ان عالم الأنثروبولوجيا لعلى وعى تام بأن التيقظ المستمر وتنسيق العمل والدراسة المخططة هو من أفضل الوسائل التى تساعد على تطور التنمية على أسس سليمة ، ذلك اذا كان القائمون بالأمور على علم تام بما يفعلون . ان مثل هذا الاتجاه الشامل فى البحوث الميدانية يؤدى الى هذه النتائج الحتمية . ولقد أدت مثل هذه الفلسفة الى النظريات البدائية لتنمية المجتمعات فى شكلها الواقعى الموضوعى لا فى مجموعها الديناميكي ، ولكن هناك بعض الصفات الأساسية لهذا الافتراض :

**أولا :** يفوق عالم الأنثروبولوجيا - لأنه يعمل من وجهة نظر الأفراد الذين يدرسه - العلماء الآخرين بعلمه التام بأن معظم المشروعات والمخططات تفرض عليهم من الخارج لو كانت المهمة استثنائية . وهذا يثير كثيرا من الأسئلة عن العدالة والفاعلية الفنية أو العلمية للبحث .

**ثانيا :** ان لمن المحال باستعمال الوسائل العلمية السائدة وضع خطة شاملة وتصميم مصغر لمشروع يكون ناجحا نجاحا كاملا ومطابقا مطابقة تامة لشروط المخططين ، والسبب الأساسى لذلك هو أن التحليل الاجتماعى ( غير الاقتصادى ) لا تشتمل عليه وسائل التخطيط أو لا يكيف على نحو ملائم لها ، ولكن حتى لو تضمنت تلك الوسائل التحليل الاجتماعى لوجد تعارض كبير ، ولذلك فان نتيجة أى مشروع أو خطة خاصة فيما يتعلق بالنتائج السريعة فى المناطق المترابطة لا يمكن التنبؤ بها أو توقعها أو تحليلها أو ملاحظتها . ويعتقد بعض الملاحظين أن هذه النتائج المفاجئة هى عادة أساس نجاح المشروع ، فان أغلبية النهضات السابقة والحالية تكون من هذا القبيل حتى لو كان التخطيط محكما .

فاذا صحت هذه التكهانات فان مهمة التخطيط تنكمش وتصبح أكثر غموضا وتقتصر على ايجاد مواقف دقيقة فى التنظيم الاقتصادى الاجتماعى يمكن استغلالها أقصى استفلال للتنمية والتطور ، والكثير من مادة الأنثروبولوجيا يتعلق بمثل هذه الارتباطات ، ولكن هذا لم يؤد الآن الا الى القليل من النتائج النظرية التى تفيد المخطط .

### السياسة التربوية

ان كمية العمل التى يخصصها عالم الأنثروبولوجيا لدراسة التعليم صغيرة نسبيا بالرغم من أن له تاريخا طويلا ، فكثير من هذه الدراسات تمت فى بيئات متباينة

طبقت نظريات ونظم تربوية أجنبية أو قومية على مجتمعات لا تؤمن بهذه النظريات أو تتفهمها ، ولقد كانت المشاكل المباشرة خلقية أو ذات طابع تربوي يؤثر على قدرة الطفل على تعلم تلك الأشياء التى تساعد على تبوأ مكانة فى مجتمع متغير مع احترام القيم التى يستمدّها من تراثه الثقافى .

ومن هذه الناحية لا يمكن حل المشاكل الحلقية والمتناقضات المتعلقة بحركة التربية بالاتجاه الى نظرية عامة بديهية ، ولكن من خلال تحليل دقيق للبيئة الكاملة التى نواجه فيها النظم المدرسية ، ويمكن القول بأن أسرع وأفضل التغيرات فى المهارات ووجهات النظر الفردية تظهر لدى الأطفال الذين أبعدوا عن عائلاتهم فى سن صغيرة وبالتالى عن ثقافتهم المباشرة الأساسية وخضعوا لنظم تربوية فى محيط مخنّف ، وهذا يتضمن بلغة أخرى هدم التراث الثقافى السابق ، اذ أنه يعنى إبعاد من سببوا هذه الثقافة فى المستقبل أو أكثرهم تيقظا واستجابة للتعليم . كما أن هذا الاجراء سيخلق صراعات رهيبية وانفعالات مضادة اذا أعيد الأطفال الى بيئاتهم السابقة بعد هذا العلاج المفاجئ ، ولهذا ثبت عدم صلاحية هذه الاجراءات وبطل استعماله تماما ، وبقيت بعض الموضوعات البسيطة نسبيا تهدف الى التوثيق والتنسيق بين الثقافات بالاعتماد على مدى ادراك الآباء للمشاكل وروحهم الطيبة بالاضافة الى تدريب المدرسين على مراعاة وتفهم وسائل التربية فى الثقافات المتعارضة .

ان هذه النقطة الأخيرة الدقيقة تؤدى الى كثير من القلق عند علماء الانسان . فالمواد التى يعمل عليها العلماء تستعمل فى تدريب المدرسين لهذه الأغراض ولكنها فى الأغلبية العظمى يساء استعمالها بفرض التسهيل أو تدعيم بعض الآراء ، كما أن الكثير من خطط تدريب المدرسين تفشل فى تلقين المشتركين فى حلقات التدريب المعلومات الأساسية عن مهمة المدرسة ودورها فى المجتمع ، فى حين يركز التدريب على دور المدرسة فى التغيير ، الشئ الذى يصبغ دور المدرس بروح البشر أو الناصر ، وهو دور لم تكله اليهم السلطات السياسية المحلية أو عائلات الطلبة كما أنهم لم يدربوا على فهمه ، وعادة يتغلب المدرسون على هذا النقص باخلاصهم وحساسيتهم وتواضعهم واعتبار عملهم قدوة للآخرين ، ولكن الآخرين يسرون فى طريق مضاد للتقدم الحضارى ويفشلون .

ومن الممكن استعمال علم الأنثروبولوجى فى تغيير المقررات الى مناهج أكثر عمقا وتمشيا مع مراحل الانتقال فى مشروعات التنمية . ولقد كان مثل هذا العمل من الناحية العملية ضئيلا يطبق جزئيا . وبذلك تكون نتيجته غير مضمونة أو مجزبة ، ولذلك وجب اجراء تقويم موضوعى على وجه السرعة .

والمساهمة الثانية التى قدمتها الأنثروبولوجيا جاءت كاحدى النتائج الميدانية



التي ساعدت في القاء الضوء على الوسائل العامة للتكيف الاجتماعي كقواعد وضع القيم وتأثير بعض القوانين كسن بدء الدراسة على تحديد اتجاهات الطلبة ، فان لهذه الدراسات بعض الآثار على تدريب المدرس ، ولكن النتيجة العامة لم تات الآن بالنتائج المتوقعة ، فبينما لا تتعلق أغلبية الدراسات المستفيضة بالتنمية فان المشكلات الرئيسية الكامنة مارالت قائمة ، وهي أن التعليم الشكلي ليس هو العامل الأساسي في تشكيل وجبات النظر والحوافز والدوافع والتوجيهات للعمل . وحيث ان نظام التعليم - الى حد ما - من مسئوليات الحكومة فانه من بين الوسائل التي نتفالى في تقويمها ، وبينما النظريات الاجتماعية تهتم ببعض العوامل الأخرى نجد أن خطط التنمية تتجاهلها وتعددها عوائق يجب القضاء عليها بالعمل داخل اطار التنظيم الشكلي . واذا ألقى عبء كبير على نظام التعليم الشكلي ضمن الجائز اعتباره معوقا لا معاوننا ، وعند التنفيذ يفقد فاعليته .

فالتربية هدف ووسيلة . وسوف يقاس مستوى التربية ونوعها وهدفها في أي مجتمع على نمط مثالي ، ويكون ضمن عناصر التقويم الحكم على مستوى أداء المجتمع نفسه . فمن الممكن لأى تغيير الارتفاع بمستوى الأداء أو خفضه ، ولكن بجانب هذا فالتربية تخلق وتوجه حوافز وأهداف الفرد والمهارات المهنية التي قد يتضمنها النظام الاقتصادي الاجتماعي بطريقة عملية أو تلقائية ، ويمكن تحديد نسبة تأثير التربية على التنمية بمواجهة مثل هذه الاحتمالات المقابلة . وهنا يكون دور علم الأنثروبولوجيا الربط بين التربية والأهداف الثقافية للمجتمع ومحاولة استرعاء الانتباه الى بعض المهارات والابتكارات التي يمكن للنظاميين اغفالها حيث انهم لا يهتمون بالثقافات المتباينة .

وبجانب هذا هناك نقطتا التقاء بين علم الأنثروبولوجيا والنظم المماثلة ، فقدرة المجتمع على المضى في التنمية مع الاحتفاظ باحتياجاته والرفع من مستواها يعتمد الى حد بعيد على قدرته لحل المشاكل الجديدة التي تعترض طريقه . ولذلك يصبح اعداد مهارات قادرة على حل مثل هذه المشاكل الجديدة بطريقة بناءة من أدق المهام التي تواجه المجتمع ، وفي بعض الحالات تكشف الأنثروبولوجيا عن مواطن الضعف في توجيه التعليم كالاكتفاء على معلومات تتعلق بحلول بعض المشاكل القديمة أو الحفظ بدون فهم أو التعصب برأى معين لا يتفق وظروف المجتمع ( وخاصة من وجهة نظر الخبراء الأجانب ) .

وعلاوة على هذا فان علماء الأنثروبولوجيا كغيرهم من العلماء على وعى تام بأن أنبلاد النامية تعوزها المخرات في العلوم الاجتماعية ، وكذلك تفتقر الى توحيد البحث العلمى المحلى ، كما أن الحكومات لا تهتم ولا تشجع تدريس العلوم الاجتماعية . ودرجة

صلاحية هذه النظريات متباينة ، فما يمد ملائما للأنثروبولوجيا يكون مضادا فى علوم أخرى كثيرة . وعندما نبحت مدى استعداد النظم التربوية لامتدادنا بالمهارات المطلوبة يجب أن تكون الخبرات الاجتماعية ضمن هذه المهارات بدرجة مناسبة ، فى حين يكفى مجرد تواجد مهارات أخرى كمشط من موضوع البحث . أما الشطر الثانى فهو مدى تقبل المجتمع لهذه الخبرات ومدى صلاحيتها للعمل .

### المخطوط العلمية والفنية :

وعادة توجه المؤسسات الحكومية والعلمية مثل هذا السؤال : كيف يتمكن علماء الاجتماع من وضع سياسة علمية وفنية تتقبلها الجماهير اذا قامت الحاجة للتقدم العلمى والفنى أو توفرت الامكانيات ؟

ان صياغة السؤال بهذه الطريقة تستبعد علماء الاجتماع الذين يرون أن مايمكنهم تفسيره فى مثل هذه الظروف تفسيراً اجتماعياً أصبح يفسر علمياً أو فنياً بل أحيانا اقتصادياً . ولقد نتج عن هذا الاتجاه بعض الصراعات فى الأمم المتقدمة ، فى حين تجاهلت الأمم النامية هذه النتائج لحاجتها الماسة للتقدم العلمى والفنى . وبالرغم من ذلك فإنه يمكن تفسير سكونها بالنسبة لهذا الوضع بأن علماء الاجتماع بهذه الدول قلما يتمكنون من التعليق على الأوضاع بحكم مراكزهم .

ان أساس المشكلة الذى يزداد اليوم ادراكه وتفهمه من نوع آخر . انه يتضمن مثل هذه الأسئلة : ما هى المخطوط الفنية والعلمية التى تتناسب مع الأهداف الثقافية والاجتماعية للمجتمع ؟ كيف تتمكن أبحاث علماء الاجتماع من اظهار هذه الأهداف وتطوير العلوم والفنون حتى تتمشى معها ؟ كيف تتمكن العلوم الاجتماعية من تحليل ومقارنة النتائج المتعاقبة واظهار تلك التى تتفوق وتمتاز بعناصرها ؟ أو بمعنى آخر كيف يمكن للعلوم والفنون أن تساعد الانسان ، لا كيف يمكن خلق انسان يتناسب مع العلوم والفنون ؟

ان علم الأنثروبولوجيا لقادر الآن على الاسهام فى مثل هذه الاستفسارات والحلول من خلال النظريات الفلسفية والتفاصيل الميدانية . كثير من الأبحاث الميدانية المتراكمة تصف نتائج التغير الفنى وتقدم المساعدات فى كيفية الاختيار عندما تظهر الاكتشافات الجديدة فى حين تهتم القليل من الدراسات بمدى تأثير النظرة العالمية والنظم الفلسفية والدراسات الثقافية على إنتاج الفنيين والعلماء واختيار المخطوط المناسبة . فالاهتمام الشديد بالمضارة وعلم الأحياء يساعد الأنثروبولوجيا على البحث بعمق فى المضمون الاجتماعى للتغيير فى البيئة ، تلك التغييرات التى تنتج عن تطبيق النظريات العلمية والفنية ( من تلوث المياه وتطوير حوض النهر الى نمو المدن ) . ان استعمال النماذج

الحسابية في اقتصاديات الأنثروبولوجي والأبحاث حول وضع النتائج تقرب بسهولة تحليل القواعد والأسس الاجتماعية من العلوم الاجتماعية الأخرى كتحليل تكاليف الربح مثلا . ويمكن أن تدرس الأنثروبولوجيا الإطار الثقافي والاجتماعي الذي تعمل بداخله السياسة العلنية الفنية : مدى تطابقها للقيم الاجتماعية ، علاقتها بالوضع الراهن والحبراء ، مدى تغلغلها بين الطبقات ، كيفية تغيرها أو لفظها للتجارب والابتكارات ، ثم معنى كل هذه الأشياء وأهميتها بالنسبة لاحتياجات الدولة وسياسة التنمية بها .

### وسائل الاتصال :

إذا نظرنا الى « الاتصال » كوسائل الاتصال بالجمهور فلن يكون لدى الأنثروبولوجيا ما تقوله سوى الملاحظات العادية . ولقد اعتمدت بشدة مدرسة ماكلوهن الفكرية على النسبية في الأنثروبولوجيا حتى يتسنى لها البرهنة على وجود وتشابه الحضارات اللاخطية . ويقول معظم علماء الأنثروبولوجيا بأن الكثير من الأحكام تقوم على علاقات واهية بين التكوين اللغوي والرمزي للحضارة من ناحية وأنماط السلوك من ناحية أخرى .

وعلى أفضل الوجوه فإن التطورات المحتملة في المجتمع المعاصر والآراء حول القبانئية العالمية تمثل تشبيهات بدائية بسيطة وتبالغ في انصاف الحقائق .

أما الدراسات الأخرى المنظمة عن وسائل الاتصال بالجمهور فهي لا تنتمي الى ميدان الأنثروبولوجيا ، بالرغم من أنه من المحتمل أن تقوم بينهما بعض العلاقات في المستقبل .

ومن ناحية أخرى فإن بعض علماء البشر ينتابهم الشك في زيادة الاهتمام بوسائل الاتصال الجماهيرية في أي دراسات عن « الاتصال » ، ولقد منعهم هذا الشك من استغلال بعض طاقاتهم العلمية ، فكان يمكنهم ، على الأقل ، وبأية وسيلة ، دراسة استعمال الرموز في البرامج التلفزيونية وتأثير الجماهير في المجتمعات الطبقة ذات الحضارات المتعددة .

إن « الاتصال » بمعنى آخر ركيزة الدراسات الأنثروبولوجية ، و « الاتصال » — بفض النظر عن القول بأن « الوسيطة هي الرسالة » — لا يمكن أن يقوم بدون استعمال رموز تتضمن اشارات وخواض من الممكن تفسيرها . فالرموز والمعاني والآراء هي قلب الحضارة النابض ، وتحليل الحضارات هو هدف الأنثروبولوجيا الأكبر . وهناك مجموعة كبيرة من الدراسات التي تحتوي على افتراضات كثيرة عن نشاط هذه

الرموز وكيفية تفاعلها • ومن الغريب أن الأنثروبولوجيا البنائية والمضاربة بعد - وفقا لهذا المضمون - دراسات علمية فلسفية تحتوى على القليل من الواقعية • ومن الواقع أن غابنية العلماء المختصين لم يحاولوا الانتقال من المرحلة النظرية للتطبيق العملي فى الأنثروبولوجيا ، وأقرب ما توصلنا اليه هو تلك الدراسات الميدانية للموضوعات والقيم الثقافية التى تشكل أساس البداية فى العمل ، ومن ثم تتحكم فى اتجاهات التطور ، وهى مجموعة من الافتراضات العامة القابلة للجدل والنقاش • وفى هذا الميدان يتفوق علم النفس على الأنثروبولوجيا ، وإن كنت أعتقد أن مادة الأنثروبولوجيا - فى عالم متعدد الحضارات - تتمتع بإمكانيات أقوى وفرص عديدة لاستعمالها فى أغراض الخير والشر على السواء •

وتسهم الأنثروبولوجيا كذلك - من الناحية النظرية - فى دراسة التبادل الاجتماعى • فالعلاقات الاجتماعية كما هو مسلم به تتكون من اتصالات بين الأفراد يتبادلون فيها الكلمات والأفكار والمؤثرات والقوى والماديات والرموز • وهذه العمليات هى المادة الخام التى نستنتج منها النظريات والتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية ، فعمليات الانتقال من الاتصال ، وهى أساسية لنظرة الأنثروبولوجيا للاتصال • إن صلة هذه الآراء بالتنمية مباشرة ، ولكن نظرا لحدائث التحليل النظرى فمازال هناك الكثير أمام اجادة التطبيق ، ويمكن الإشارة الى أهمية هذا الاتجاه بمثلين :

**أولا :** إن انتقال أية فكرة أو وسيلة وانتشارها يعتمد على قاعدة واسعة • ومن بين مكونات هذه القاعدة شبكة الاتصالات وكمية الالتزامات والقوى والاحتياجات التى تؤثر فى هذه الانصالات ، وأى منهج للتطور يقوم على دراسة خاطئة لهذه الشبكة تقل فاعليته •

**ثانيا :** يمكن القول بأن طاقة الحضارات على تقديم الابتكارات تتوقف على تبادل الأفكار وكميتها ، كما أن عدد الأفكار ليس وحده كافيا لتهيئة البيئة اللازمة ، ولكن سرعة حركة الأفكار وتداولها عليها معول كبير ( وهذا - الى حد ما - يماثل نظرية الكم فى النقود ) وإذا كان الأمر كذلك فإن الاتصال يصبح عاملا متغيرا فى قدرة المجتمع على الابتكار •

### السياسة الثقافية :

يمكن اعتبار السياسة الثقافية كبقية الموضوعات التى درست هنا وسيلة تؤدي الى التطور ، وهدفا للتطور ورفع مستوى الأداء ، وعاملا أساسيا يجب أن تأخذ منه مشروعات التطور فى الاعتبار • وفيما مضى كانت أغلبية الدراسات الخاصة بطبائع

البشر تهتم بالقيم القبائلية أو الحضارات المتفرعة فى بيئة منعزلة عن اتجاهات التطور فى السياسة السامة للدولة . وهنا كان من الجائز أن توصف معلومات عالم الأنثروبولوجيا بأنها ثقافة جزئية ريفية وليست ثقافة حضارية على الاطلاق .

ان هذه الملاحظات لم تكن فى يوم من الأيام صحيحة تماما ، فدراسات الثقافات المتغيرة والأنثروبولوجيا العملية تتم فى بيئة أوسع ، وبجانب ذلك فان وسائل واهتمات العالم المعاصر تربط بين الوسائل التقليدية والعينات والاحصائيات لكى تعالج مناطق حضارية أكبر تربط هذه الأبحاث بالاتجاهات الوطنية للحضارات المختلفة . فالوسائل والاهداف تندمج تدريجيا والى حد كبير بوسائل علم الاجتماع .

وانها لحقيقة قائمة أن الأنثروبولوجيا يجب أن تكون جزءا لا يتجزأ من الحضارة التى تقوم بدراستها ، وهذه صفة لا تتطلبها النظم الأخرى ، فعالم الأنثروبولوجيا يجب أن يتماثل مع الأفراد الذين يعمل معهم ، وهذا التماثل يتضمن الكثير من المخاطر ، فالعالم يفقد عندئذ وجهة النظر الواسعة وينسى أنه بالرغم من كل شئ أجنبى ، كما أنه يمثل الحضارة بنفسه . ومن ناحية أخرى نجد أن بعض الأبحاث والموضوعات لا يمكن أن تعد الا بمعرفة العالم نفسه ، وانه لمن طبيعية عمل الأنثروبولوجيا أن تجمع مادة البحث من الجذور ، كما أن دراسة التطور يجب أن تبدأ من هذا المستوى . وحيث ان التطور يجب أن يكون فى خدمة الانسان فائنا نأمل أن يدرك الجميع هذا الهدف ويقوموه حتى لو استلزم الأمر تعديل بعض الاهداف الوطنية المتلفة .

فنجاح أو فشل الأنثروبولوجيا عندئذ سيكون دلالة على كفاءة العالم فحسب ، ولكن على البيئة التى تمت بها الأبحاث ، فهمة الأنثروبولوجيا ونجاحها سيزداد اذا اعتمدت سياسة الدولة على ملاحظة التغير الثقافى ، وعلى التوفيق بين التنمية واحتياجات الحضارات الصغيرة التى تتكون منها الأمة ، وعلى اقامة نظام اجتماعى يهتم بالعلاقات بين افراد المجموعات الثقافية الصغيرة داخل الدولة .

ولم تهتم أبحاث الأنثروبولوجيا بفاعلية النتائج التى تتوصل اليها المقارنات والتسويات بين المجتمعات الصغيرة والاهداف العامة ، وان هذه لمن أهم مشاكل التنمية فى كثير من البلدان ، وهذا لا يرجع الى الافتقار الى العلم وأساليبه ولكن لبعض الأسباب الأخرى كالاقتدار الى العلماء وفشل علماء الأنثروبولوجيا والحكومات فى تفهم مضمون العلم نفسه .

وفيما يلى بعض الأمثلة التى تبين ذلك . لقد بدأ علماء الأنثروبولوجيا فى بحث المشكلات التالية ويمكنهم بل يجب عليهم أن يستمروا فيها لايجاد نتائج أفضل :

( ا ) تكيف المؤسسات الأهلية والاقتصادية لمواجهة الاختلافات الثقافية الاقليمية .

( ب ) دراسة المضاعفات الثقافية واللغوية التى تؤثر على درجة الكفاية فى مراكز الخدمة الأهلية .

( ج ) توضيح الرؤية لأهمية الانجازات الثقافية فى التطور الاقليمى وفى الاعتبار بقومية الفرد وجنسيته .

( د ) تحديد الاختلافات بين المجتمعات الصغيرة فى الأمة حتى تلمسها مشروعات التنمية وتكيف نفسها وفقا لهذه المقارقات بهدف انجاز التطور .

( هـ ) تحليل الصراعات بين المجتمعات الصغيرة كعامل معوق للنظم الاجتماعية .

ان دراسة الحضارات تتضمن عدة وجهات أساسية لنظريات التطور وممارسته ، وخاصة اذا ارتبط التطور بمستوى الأداء . فالمصنوعات مثلا من العوامل الجوهرية التى اعترف بها منذ زمن فديم كراس مال أو مورد يقدم المواد الخام للحركة الاقتصادية ، ومن ثم الى التطور ، ولعالم الأنثروبولوجيا تتساوى الأفكار والرموز ، فهما من تراث الانسان مورده الثقافى الذى يلجأ اليه اذا بدأ العمل ، ولا تنخفض قيمته باستعماله لأنه يحتوى على قوة ديناميكية منظمة تفسح فيها الآراء القديمة الطريق للآراء الجديدة . فالملاقات المتبادلة فى الحضارات ميدان مهم لبحوث الأنثروبولوجيا ، بالرغم من أنه للآن لم يتم الربط بين الآراء النظرية وفاعليتها بطريقة منظمة اذا كان الاهتمام بالتطور سيستمر على الدوام .

ولقد درست كيفية سير النظم الحضارية من وجهات نظر متعددة ، فالحضارة مركبة ، ونظرا لطبيعتها المعقدة تصبح صعبة القياس ، كما أن أغلبية الدراسات تتسم بطابع شخصى أو فلسفى الا فى حالات نادرة تصحح بواسطة بعض المحاولات العلمية المحايدة ، وعلى سبيل المثال نجد أن الحضارة لا يمكن أن تلخص ، ولكنها توصف فقط ، وبذلك يمكننا أن نقدم وصفا سلوكيا لقطاع جانبى لاحدى الحضارات يحتوى على قائمة بتلك الأشياء التى يعبر عنها الأفراد بسلوكهم الشخصى . ومثل هذا القطاع الجانبى سيكون شبيها بفهرس حى ، ويضم كذلك قيما كثيرة . ويمكننا أيضا أن نصف قطاعا جانبيا للإمكانيات الحضارية يحتوى على قائمة بأهداف وانجازات الأفراد اذا توفرت لديهم بعض أساليب الدراسة .

والتفاعل بين هذه العوامل فى القطاعين يظهر علامة مميزة للعلاقات داخل النظم الحضارية . فالصلة بين سلوك الأفراد وامكانياتهم وانجازاتهم تشير الى مستوى الأداء .

فى الحضارة ، كما أن تلاحم هذه العوامل فى القطاعين يشير الى فاعليتها ومستوى التطور .

### النهوض بعمليات التطور :

وخلاصة الموضوع أن الأنثروبولوجيا من أهم أساليب ووسائل التطور اذا توافرت الشروط التالية :

- ( أ ) عندما يكون هناك حاجة لتحديد القيم التى يجب توافرها .
- ( ب ) عندما يعين المشروع على الأفراد اختيار الوسائل واتخاذ القرارات على ضوء القيم الحضارية والموارد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .
- ( ج ) عندما تنشأ أسئلة حول العلاقات بين الأفراد فى بنية أو منظمة اجتماعية أو تتشعب الشبكة الاجتماعية اللازمة للحركة ولتبادل الآراء والمواد .
- ( د ) عندما تتواجد ضرورة للبحث هل للمشروع آثار ديناميكية ومتشعبة على النظام الاجتماعى .
- ( هـ ) عندما يكون من الضروري دراسة المهارات المتوفرة فى خطة التنمية .

ولعل من الممكن اضافة بعض النقاط الأخرى ، الا أن هذه الشروط الخمسة كافية لتوضيح أبة خطة أو مشروع للتنمية يتضمن دراسات يعدها عالم الأنثروبولوجيا من صميم اختصاصه . وبمعنى آخر يمكننا القول بأن التطور يتضمن التغيير ، والتغيير يتطلب تكييف القيم والآراء والنظم الاجتماعية ، تلك الأشياء التى تعتبر مادة العمل فى الأنثروبولوجيا . وبينما تستعمل وسائل الأنثروبولوجيا فى جمع الحقائق والمعلومات فإن الأنثروبولوجيا هى أساسا نظام بحث ، فائدته العظمى تكمن فى تحليل أفضل خطط التنمية وفى دراسة نتائج المشروعات المتعاقبة وفى أحسن الوسائل لوضع الخطط وفى تقويم نتائج وعواقب المشروعات، وعند تحديد مثل هذه الأحكام تهتم الأنثروبولوجيا بقيم وأهداف الأفراد المعنيين مباشرة .

ومع كل هذا فإن كل العوامل التى سبق ذكرها لا تحتكرها الأنثروبولوجيا ، ولذلك يجب أن نعود الى الحقيقة الثابتة وهى أنه لا يمكن أن نقوم أى عمل انساني

دون الرجوع الى العلوم الاجتماعية الأخرى ، كما أنه من المتعذر عزل أى من العلوم الاجتماعية عن الآخر داخل اطرارات التنمية .



### التوصيات :

لقد قمت بتلخيص دور الأنثروبولوجيا فى مشروعات التطور ، وفى معظم الحالات أشرت الى أن معلومات الأنثروبولوجيا مبعثرة وتحتاج الى زيادة التركيز فى الناحية العملية ، كما أننى أشرت الى أن علم الأنثروبولوجيا فى صورة تتطلب إعادة البناء كى يكون أكثر فاعلية ، بالإضافة الى أنه يجب انجاز الكثير من العمل قبل أن نكون على يقين من نتائج الأبحاث الأنثروبولوجية . فمن السهل اقتراح عشرين أو ثلاثين موضوعا لحلقات الدراسية والأبحاث ، ولكن مثل هذا الاجراء لن يواجه المشاكل الرئيسية ، وهى فى تصورى كما يلى :

هناك عجز كبير فى علماء الأنثروبولوجيا فى الدول النامية ، كما أن مراكزهم الاجتماعية والعلمية لا تتساوى مع غيرهم أو مع سياسة الدولة ونشاطها ، وهذا يستدعى الاعتماد المطلق على العلماء الأجانب ( المهتمين بالدراسات الأكاديمية أكثر منهم بالمشاكل الواقعية ) ، والمحد من التطور الذى تحتاج اليه الدولة ، كما أن العلماء المقيمين يفشلون فى الاندماج مع زملائهم فى وضع وتنفيذ خطة التنمية . ومن هنا أوصى بأن يعمل على تزويد الدول النامية بالعلماء ورفع مستوياتهم والبيئة التى يعملون بها ، كما يجب تقدير دورهم ومساهماتهم فى الجامعات وفى تقديم الخدمات الحكومية .

ولأسباب مماثلة أوصى بأن ينتدب علماء الدول المتقدمة عن طريق المؤسسات انعمية كالاتحاد الدولى للأنثروبولوجيا والأنثولوجيا ( علم الأعراق البشرية ) وجمعية الباسيفيك للعلوم والمجلس الأمريكى حتى يعملوا بأقصى جهدهم على النهوض بمستوى العلوم فى هذه الدول ، الا أن هناك بعض الأسباب التى تجعلنا نؤمن بأن اهتمام علماء الاجتماع بهذا الهدف أقل من اهتمامهم بإنهاء أبحاثهم دون اعطاء النظم المحلية ادى عناية .

والراى الذى يقول بأن التنمية مسألة تنسيق داخل مهم للغاية ، وهذا يقود مباشرة الى فكرة خلق وظائف مستشارى التنمية ، وتكون مهمتهم توجيه الحكومات والوزارات والمؤسسات بطريقة منظمة ومنسقة على الوجه الأكمل ، وهنا يصبح التدريب لمثل هذه الوظيفة على جانب كبير من الأهمية ، ويعوق هذا الاقتراح حالياً العقبات الموجودة داخل اطرارات التنمية وعدم تجاوب الجامعات فى تنسيق التدريب ،



فالجميع يعلم بالرأى الذى يمنع رجل الاقتصاد من ممارسة أعماله الا اذا ألم بكل المواد الاقتصادية ، أى يكون حائزا على درجة الدكتوراه فى مادته ، ومثل هذه النظرية تطبق فى الأنثروبولوجيا ، وان كان من الجلى أنه ليس ضروريا على الاطلاق الا لام بالاقتصاد كله أو الأنثروبولوجيا كلها لأهداف مشروع التنمية •

واخيرا أوصى بحشد جميع علماء الاجتماع فى تنسيق مناهج تدريب مستشارى التنمية ، ذلك المشروع الذى يهدف الى خلق هيئة من المستشارين فى المواد الاجتماعية والاقتصادية أفضل بكثير من المديرين الفنيين للمشروع •

وإذا خطط هذا المنهاج بنجاح يصبح من الميسور البدء فى اعداد برامج تدريبية مائدة •

## فى شهر فبراير ١٩٧٣ يصدر مركز مطبوعات اليونسكو :

### ● مجلة اليونسكو للمكتبات

وهى فى خدمة الكتاب وأثارة قضية تطويره •

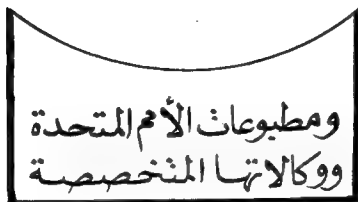
### ● ومجلة ديوجين

وهى مجلة المجتمع ، فى وجهة نظر فلسفية عميقة •  
أكثر من ١٠٠ صفحة لكل مجلة - عشرة قروش لكل منهما •  
كذلك تصدر فى شهر فبراير ١٩٧٣ المجلة الشهرية

### ● رسالة اليونسكو

لتقدم المعرفة الانسانية فى أبسط أشكالها  
بالسعر العادى - أربعة قروش •

# المؤتمرات الدوليّة القادمة



شيكاغو ، اللينوى مجلس دراسة الانسان : المؤتمر الدولى  
للشباب

١٩٧٣

Council for the Study of Mankind Inc., P.O. Box 895 Santa  
Monica, Calif, 90406 (United States).

ليفربول جمعية علم النفس البريطانية : الاجتماع  
السنوى

٥ - ٩ أبريل

General Secretary, British Psychological Society,  
Tavistock House, Tavistock Square, London, W.C.I (United Kingdom).

نيو أورليانز الجمعية الأمريكية للسكان : الاجتماع  
السنوى

٢٦ - ٢٨ أبريل

PAA, P.O. Box 14182, Benjamin Franklin Station, N.W.  
Washington, D.C. 20044 (United States).

---

مايو  
فيينا المجلس الدولي للمرأة : الاجتماع العشرون  
الذي يعقد كل ثلاث سنوات  
Conseil International des Femmes, 13 Rue de Caumartin  
75 Paris-9 (France).

أواخر أغسطس  
كوبينك الاتحاد الدولي للعلوم السياسية : المؤتمر  
الدولي التاسع  
43 Rue des Champs Elysées, Brussels 5 (Belgium).

٢٧ - ٣٠ أغسطس  
نيويورك الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع : الاجتماع  
السنوي  
1001 Connecticut Avenue, N.W. Washington, D.C. 20036  
(United States).

٢٧ أغسطس - أول سبتمبر  
فارنا الاتحاد الدولي لجمعيات الفلسفة : المؤتمر  
الدولي الخامس عشر  
Professor Leo Gabriel Universität Wien, Universitätsstrasse 7, 1010  
Vienna (Austria).

٨ - ١ سبتمبر ، شيكاغو ، إلينوى الاتحاد الدولى للعلوم البشرية والسكانية :  
المؤتمر الدولى التاسع

Professor Sol Tax, President, University of Chicago,  
1126 East 59th Street, Chicago, 111. 60637 (United States).

ديسمبر الولايات المتحدة جمعية القياس الاقتصادى : مؤتمر  
P.O. Box 1264 Yale Station, New Haven, Conn. 06520  
(United States).

٢٧ - ٣٠ ديسمبر مدينة نيويورك الجمعية الأمريكية للإحصاء ، الجمعية  
الاقتصادية الأمريكية وغيرها من الجمعيات  
المرتبطة : الاجتماع السنوى رقم ١٣٣  
John Lehman, Executive Director, 806 15th Street, N.W.  
Washington, D.C. 20005 (United States).

١٩٧٤  
يوليو نيروبي المجلس الدولى للرفاهية الاجتماعية : المؤتمر  
الدولى السابع عشر  
Mrs Kate Katzki, International Council on Social Welfare,  
345 East 46th Street, New York, N.Y 10017 (United States).

أغسطس كوبنهاجن الاتحاد الدولى للتاريخ الاقتصادى : المؤتمر  
السادس  
Professor J.F. Bergier, AIHE, Ecole Polytechnique Fédérale,  
Leonhardstrasse 33, 8006 Zurich (Switzerland).

١٨ - ٢٤ أغسطس تورنتو الاتحاد الدولى لعلم الاجتماع : المؤتمر  
الدولى الثامن لعلم الاجتماع  
أو  
١ - ٧ سبتمبر  
ISA, Via Daverio 7, 20122 Milan (Italy).

١٩ - ٣٠ أغسطس نيويورك الأمم المتحدة ، قسم الشؤون الاقتصادية  
والاجتماعية : المؤتمر الدولى الثالث  
للسكان  
Department of Economic and Social Affairs, United Nations,  
New York, N.Y. 10017 (United States).

٢٦ - ٢٩ أغسطس مونتريال الاتحاد الأمريكى لعلم الاجتماع : الاجتماع  
السنوى  
1001 Connecticut Avenue, N.W.  
Washington, D.C. 20036 (United States).

١٩٧٥

٢٥ - ٢٨ أغسطس سان فرانسيسكو الاتحاد الأمريكي لعلم الاجتماع : الاجتماع السنوي

1001 Connecticut Avenue, N.W.  
Washington, D.C. 20036 (United States).

١٩٧٦

فرنسا الاتحاد الدولي لعلم النفس : المؤتمر الدولي  
الحادي والعشرون

Professor E. Jacobson, Secretary - General, Department of Psychology,  
Michigan State University, East Lansing, Mich. (United States).

### وثائق ومطبوعات الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة (١)

#### السكان والصحة والأغذية

##### السكان :

برنامج السكان الآسيوي - تقرير متابعة • مارس ١٩٧١ - ٢٣ صفحة  
(UN / E / CN. 11/ L. 294)

الموقف السكاني في هذه المنطقة • نشاط اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق  
الأقصى خلال عام ١٩٧٠/١٩٧١ •

دليل توجيهي للموظفين الرئيسيين والدوريات في مجال السكان في منطقة  
اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصى ١٩٧٠ - ١٢٤ صفحة دولاران ، ٨٦٥ فرنك  
سويسري

(UN / E / CN. 11/898)

تقرير عن الاجتماع الفني حول الدراسات الرائدة عن الحصوبة ، الوفيات بين  
الأطفال وتقويم برامج السكان • مارس ١٩٧١ - ٢٢ صفحة بما في ذلك الملاحق  
(UN / E / CN. 14/518)

---

(١) ليس هناك ذكر - كقاعدة عامة - للمطبوعات والوثائق التي تصدر بصورة أوتوماتيكية بشكل  
أو بأخر ، مثل التقارير الإدارية الدورية ، ومحاضر جلسات الاجتماع ، الخ • وعندما يكون مضمون النص  
واضحاً فلا يقدم عنه أي وصف • وقد قدمنا ترجمات حرة لمتاوين بعض المطبوعات والوثائق التي لم نستطع  
الحصول عليها باللغة الانجليزية في الوقت المناسب ، وقد استخدمت الاختصارات التقليدية التالية .

ق - تتضمن قائمة عامة بالمراجع •  
ح - احصائيات عامة أو نادرة •

يتضمن تقارير عن البلاد التالية : الكاميرون ، أنيوليا ، غانا ، موريشيوس ، المغرب ، نيجيريا ، السنغال ، الجمهورية العربية المتحدة (ج.م.ع) . ويختتم بتوجيهات مختصرة حول مناهج الاستقصاء الواجب استخدامها .

### الصحة :

المؤشرات الإحصائية لتخطيط وتقويم برامج الصحة العامة - ١٩٧١ - ٤٠ صفحة - دولار واحد ، ٣ فرنكات سويسرية ( سلسلة التقارير الفنية ، رقم ٤٧٢ ) ( منظمة الصحة العالمية ) .

تبادل المعلومات بين العاملين في مجال تخطيط الصحة ورجال الإحصاء . أنواع الإحصائيات المطلوبة في المواقف المختلفة . يشمل كل أوجه النشاط التي تقوم بها الأجهزة الصحية بوصفها جهازاً منظماً .

تخطيط الأسرة في الخدمات الصحية . ١٩٧١ - ٦٥ صفحة ١٢٥ دولار ، ٤ فرنكات سويسرية ( سلسلة التقارير الفنية ، رقم ٤٧٦ ) ( منظمة الصحة العالمية ) .

المناهج المتضمنة في إدارة وتنظيم وتطبيق وتقويم برامج تخطيط الأسرة . الصلة بالعناية الطبية والصحية . النتائج التي يمكن أن تكون لمختلف أهداف تخطيط الأسرة على الخدمات الصحية .

مبادئ التخطيط الصحي في الاتحاد السوفيتي ، ١٩٧١ ، ٣ دولارات ، ٩ فرنكات سويسرية ( أوراق الصحة العامة ، رقم ٤٣ ) ( منظمة الصحة العالمية ) .

تقرير إحصائيات الصحة العالمية المجلد ٢٤ رقم ٧ - ١٩٧١ - ٨١ صفحة - ٤ دولارات ، ١٢ فرنكا سويسريا . المجلد ٢٤ رقم ٨ - ١٩٧١ - ٥٦ صفحة - ٢٧٥ دولار ، ٨ فرنكات سويسرية . المجلد ٢٤ رقم ٩ - ١٩٧١ - ٢٦ صفحة - ١٢٥ دولار ، ٤ فرنكات سويسرية ( منظمة الصحة العالمية ) .

( ح ) كراسات من مجموعة الإحصائيات الدائمة عن مدى انتشار الأمراض المختلفة . يشمل العالم بأسره . وتتضمن كل كراسة دراسات خاصة ، بالإضافة إلى الجداول الأساسية التي تتكرر بصفة منتظمة . ويتضمن رقم ٧ إحصائيات تفصيلية عن المرض وحالات الوفاة المرتبطة بالربو ، ويقدم رقم ٨ بيانات عن مرض البول السكري أما رقم ٩ فيتضمن دراسة عن تطور حالات الوفاة الناجمة عن الصرع من ١٩٥٦ حتى ١٩٦٨ .

### تلوث البيئة :

البحر . منع التلوث البحري والسيطرة عليه . مايو ١٩٧١ - ٩٥ صفحة ( UN / E / 5003.)

التلوث البحري • الأنواع المختلفة للمواد المسببة للتلوث • قياس وإرشاد  
آراء الدول الأعضاء عن مدى ملائمة وعملية وضع معاهدة أو معاهدات دولية حول  
طرق منع ومعالجة التلوث البحري • الوسائل القانونية لمكافحة التلوث البحري  
ملخص لأوجه النشاط في هذا المجال من جانب الأمم المتحدة ووكالاتها ، بما في ذلك  
اليونسكو ، منظمة الأغذية والزراعة ، منظمة الصحة العالمية ، منظمة الأرصاد العالمية •

البيئة الانسانية في أمريكا اللاتينية • مارس ١٩٧١ - ٢٠ صفحة  
(UN / E / CN. 12/999)

بحث نشرته سكرتارية اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية • حقائق مشككة  
البيئة •

البيئة • قائمة مراجع مع التعليق عليها • فهرس للمؤلف والموضوع - ١٩٧١ -  
٧٠٤ صفحات ( منظمة الأغذية والزراعة ) يشمل المطبوعات والوثائق التي أصدرتها  
منظمة الأغذية والزراعة في الفترة من ١٩٦٧ - ١٩٧٠ عن الموضوعات المختلفة المتعلقة  
بالموارد في البيئات الطبيعية والانسانية •

محاضر الندوة عن حماية المياه الجوفية ومياه السطح من التلوث عن طريق البترول  
الحام ومنتجات البترول - ١٩٧٠ - مجلدان ، ١٨٩ صفحة - ٤ دولارات ، ١٧٣٠ فرنك  
سويسري

(UN / ST / ECE / WATER / 2.)

الاجراءات الوقائية ونظام الانذار المستخدم في المناطق المهددة

## الاقتصاد

### الإحصاء ، المناهج الإحصائية

دليل التجارة الدولية وإحصاءات التنمية - ١٩٧١ - ٧٣ صفحة ١٥٠ دولار ،  
٦٤٥ فرنك سويسري •

(UN / TD / STAT. 3)

( ق • ح ) التجارة العالمية حسب المناطق والبلاد من ١٩٥٠ حتى ١٩٦٩ •  
القيمة الكمية وقيمة الوحدة وشروط المؤشرات التجارية حسب الدرجات الاقتصادية  
والمناطق ، شبكة الصادرات العالمية حسب درجات السلع المنتقاة ومناطق المنبع وجهة  
الوصول • جداول تحليلية منتقاة للتجارة العالمية • التدفقات المالية والمهونة وميزان  
المخفوعات للدول النامية • بعض المؤشرات الأساسية للتنمية • إحصائيات أساسية  
للدول النامية مرتبة حسب التركيب السلعي للصادرات • إحصائيات التجارة العالمية

فى الصلب ، ١٩٦٩ ، ١٩٧١ ، ٥٩ صفحة ، دولار واحد ، ٤٣٠ فرنك سويسرى •  
(UN / ST / ECE / TSEEL / 38)

النشرة الاحصائية عن التجارة العالمية فى المنتجات الهندسية ، ١٩٦٩ - ١٩٧١ ،  
٢٥٥ صفحة ٣ دولارات ، ١٣ فرنكا سويسريا •  
(UN / ST / ECE / ENG / 10)

( ح ) احصائيات عن صادرات ٣١ دولة من الدول الرئيسية المصدرة • يطفى  
نحو ٩٩ فى المئة من التجارة الدولية فى منتجات الصناعات الميكانيكية والكهربائية •  
جدول حسب المنتجات والجهة المصدر اليها •

معهد الاحصاء الآسيوى • مارس ١٩٧١ - ١٨ صفحة  
(UN / E / CN. 11/974)

البرامج واندوات التى نظمها هذا المعهد فى الأشهر الأخيرة • أوجه نشاطه  
الأخرى •

احصائيات التجارة الخارجية لآسيا والشرق الأقصى • المجلد السادس • فبراير

١٩٧١ - ١٥٧ صفحة - ٤ دولارات ، ١٧٣٠ فرنك سويسرى ( المجموعة ب رقم ١ )  
(UN / E / CN. 11/917)

احصائيات التجارة الخارجية لأفريقيا ( ١٩٧٠ ) - ٨٧ صفحة ، دولاران ،  
٨٦٥ فرنك سويسرى •  
(UN / E / CN. 14/ / STAT / SER. A / 15)

### التخطيط :

تخطيط التنمية ومشروعاتها • الخدمات الاستشارية لتخطيط التنمية • مايو  
١٩٧١ - ٢٠ صفحة بما فى ذلك الملاحق  
(UN / E / 5034)

فرق المستشارين المتعددة الجنسيات بين الدول • تمويلها • توجيهات لتكوين  
مثل هذه الفرق وعملياتها •

معهد الأمم المتحدة للتنمية والتخطيط الاقتصاديين ، بانجكوك ، تايلاند ، ١٩٧١ -  
٣٤ صفحة ، مع ايضاحات • غير مودع  
(UN / VAF.)



اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصى : مقترحات للتخطيط طويل المدى ،  
يتضمن آفاق الحقبة الثانية للتنمية • مارس ١٩٧١ - ١٤ صفحة  
(UN / E / CN. 11/968)

#### إهداف الحقبة الثانية :

اللجنة الاقتصادية لبرنامج التدريب الافريقي لمخططي القوى البشرية وبرامج  
التدريب ، طنجة ، المغرب ، ١ يوليو - ١٩ أغسطس ١٩٦٩ • يناير ١٩٧١ ،  
٣٤ صفحة بما في ذلك الملاحق •  
(UN / E / CN. 14/484)

فكرة تخطيط القوى البشرية ، دور التدريب • برمجة التدريب • بحث قامت به  
منظمات نقابية •

مشروع بحث عن علم الاجتماع الاقليمي في التخطيط المتعدد المستويات واتخاذ  
القرارات بقلم ف • جروسمان • فبراير ١٩٧١ - ١٩ صفحة  
(UN / UNRISD / 70 / C.7 / Rev. 1)

وثيقة عمل تمثل جزءا من سلسلة مجلدات أعدها معهد أبحاث الأمم المتحدة  
للتنمية الاجتماعية وسوف تخصص هذه المجلدات لعلم الاجتماع الاقليمي والتخطيط  
على نطاق اقليمي •

التخطيط الاقليمي الواسع النطاق في البلاد المتطورة • ( المشكلات والقضايا )  
مارس ١٩٧١ - ٢٢ صفحة  
(UN / UNRISD / 71 / C.32)

#### التنمية الاقتصادية ( بما في ذلك التنمية بصفة عامة ) ، التصنيع :

العوامل المؤثرة في فاعلية منظمات الأبحاث الصناعية القائمة في الدول النامية  
- مارس ١٩٧١ - ١٨ صفحة  
(UN / E / 4900)

خطة عمل دولية لاستخدام العلم والتكنولوجيا في التنمية ، المجلد الأول ، مارس  
١٩٧١ - ٥٧ صفحة بما في ذلك الملاحق  
(UN / E / 4962)

تقرير اللجنة الاستشارية عن استخدام العلم والتكنولوجيا في التنمية ، المناطق  
ذات الأولوية في البحث • الأنواع العالية المحصول من الأغذية الرئيسية • البروتين

اللقابل للاكل • مراقبة الحشرات الضارة والناقلة للأمراض • الألياف • الماء • انشاء  
معامل خاصة فى الدول النامية • مقترحات بخطة عالمية لصندوق العمل • نص الحطة  
الدولية للعمل •

دراسات عن بعض مشكلات التنمية المتتقة فى عدد من بلاد الشرق الأوسط  
١٩٧١ - أبريل ١٩٧١ - ١٧ صفحة  
(UN / E / 5010)

تلخيص لأربع دراسات : تخطيط التنمية والأهداف الاجتماعية فى الجمهورية  
العربية السورية ، أفاق تطور ونمو القطاع الزراعى فى الجمهورية العربية السورية ،  
توزيع السكان والمدن فى عدد من بلاد الشرق الأوسط المتتقة ، التنسيق الدولى لحطط  
التنمية الصناعية والزراعية ، على مستوى منطقة الشرق الأوسط •

حقة التنمية الثانية للأمم المتحدة : نظام للمراجعة الشاملة وتقويم أهداف  
وسياسات استراتيجية التنمية الدولية • مايو ١٩٧١ - ٣٦ صفحة  
(UN / E / 5040)

الوظائف المنفصلة للتقويمات الشاملة والجزئية • المناهج الواجب تطبيقها •  
نمو الصناعة العالمية ، طبعة ١٩٦٩ المجلد الثانى : بيانات عن انتاج السلع من  
١٩٦٠ الى ١٩٦٩ - ١٩٧١ - ٤٨٥ صفحة - ١٠ دولارات ، ٤٣٥٠ فرنك سويسرى  
(UN / ST / STAT / SER. P / 7.)

(ق • ح ) جداول لأكثر من ٣٢٧ نوع من السلع ، تشمل أكثر من ١٦٠ بلدا  
واقليما •

التغيرات منذ عام ١٩٦٠ •

اللجنة الاقتصادية لأوربا : اسهام اللجنة فى برامج الأمم المتحدة التى تهدف  
الى مساعدة الدول الأقل نموا • مارس ١٩٧١ - ١٥ صفحة  
(UN / E / ECE / 785)

نشاطات اللجنة فيما يتعلق بالدول النامية فى أوربا • نشاطاتها فى اطار برامج  
الأمم المتحدة لمساعدة البلاد النامية فى جميع أنحاء العالم •

مجلة التجارة والتنمية ، ١٩٧٠ - ١٠٧ صفحات - ٢٥٠ دولار ، ١٠٠٨٠ فرنك  
سويسرى  
(UN / TD / B / 300 / Rev. 1)

( ق ، ح ) النمو الاقتصادى للبلاد النامية • العلاقات بالتبادل • الاستثمارات •  
التكامل الاقتصادى • المنتجات الرئيسية ، البضائع المصنوعة • النتائج المتحققة ،  
التغيرات فى تطور السياسات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد العديدة التى تواجه هذه  
المشكلات •

قياس جهد التنمية • ابريل ١٩٧١ - ٦٤ صفحة ، دولار واحد ، ٤٣٠ فرنك  
سويسرى  
(UN / TD / B / C.3 / 75 Add.1 / Rev. 1.)

تنمية الصادرات الصناعية - ١٩٧٠ - ١٥٤ صفحة - دولاران ، ٨٦٥ فرنك  
سويسرى  
(UN / ID / 17)

أبحاث قدمت فى برنامج للتدريب عقد فى غرب ( يوغوسلافيا ) من ٢٨ أكتوبر  
الى ٦ نوفمبر ١٩٦٨ • دور الصناعة فى تطور الدول النامية • تطور الصادرات البحث  
عن أسواق • تمويل الصادرات • التبادل مع الدول الابريالية والدول الاشتراكية •  
دور المنظمات الدولية •

الصناعات الصغيرة فى بلاد الشرق الأوسط العربية - ١٩٧١ - ١٠٢ صفحة -  
دولار واحد ، ٤٣٠ فرنك سويسرى  
(UN / ID / 21.)

المادة التى جمعت بمناسبة الندوة التى عقدت فى بيروت ( لبنان ) ، من ١١ الى  
١٥ نوفمبر ١٩٦٨ برامج تنمية الصناعات الصغيرة والمتوسطة فى هذه البلاد •  
الانتقال من المرحلة الحرفية الى الصناعة الحديثة • روح المؤسسة • الحدمات  
الفنية • التعاون الاقليمى الدولى • الموقف الراهن فى عدد من البلاد التى اختيرت  
كمينات •

معاهد الأبحاث الصناعية - ١٩٧٠ - ٨٥ صفحة - دولار واحد ، ٤٣٠ فرنك  
سويسرى  
(UN / ID / 30)

طبيعة المعاهد من هذا النوع - برامجها • اختيار مشروعات البحث • تنظيم  
البحث • ادارة وتمويل المعاهد •

الجوانب الرئيسية لاستراتيجية التنمية فى أمريكا اللاتينية • ( سنتياجو ،  
شيلي ، ٢٧ أبريل - ٨ مايو ١٩٧١ ) • مارس ١٩٧١ - ٧٩ صفحة  
(UN / E / CN. 12 / 836 / Rev. 1.)

تقويم التنمية في الحقبة الماضية • أوجه القصور فيها • الأسباب ، الامكانيات الجديدة • الاستراتيجية الراهنة • أهدافها • الرسائل المطلوبة لتحقيقها •

أمريكا اللاتينية والحقبة الثانية للتنمية • مارس ١٩٧١ - ٤٩ صفحة  
(UN / E / CN. 12/869)

التغير والتنمية • المهمة العظمى التي تواجه أمريكا اللاتينية ، بقلم راول بريبيسن ، المدير العام لمعهد أمريكا اللاتينية للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي • مارس ١٩٧١ - ٣٦ صفحة

(UN / E / CN. 14 / INR 189.)

المشروعات الصناعية الرئيسية في افريقيا النامية ، ١٩٦٧ - ١٩٦٩ •  
( أديس أبابا ، ٣ - ٨ مايو ١٩٧١ ) مارس ١٩٧١ - ١٧ صفحة

قائمة بحوالى ٤٠٠ وحدة صناعية كبيرة قائمة أو تحت الانشاء • وهذه المشروعات تقع فى ستة من بلاد افريقيا الشمالية ، و١٢ من بلاد غرب افريقيا ، و١١ من بلاد شرق افريقيا ، و٦ من بلاد وسط افريقيا •

#### الاستثمارات الرأسمالية :

الضرائب ، وتعبئة الموارد ، وتوزيع الدخل فى البلاد النامية • أبريل ١٩٧١ - ٦٤ صفحة

(UN / E / 4988)

تعبئة الموارد المحلية • الضرائب على الدخل • المبيعات وفرض الضرائب •  
الضرائب على الزراعة • الحوافز الضريبية فى البلاد النامية •

دليل المصادر الخارجية المتاحة لتمويل المشروعات الصناعية فى البلاد النامية - ١٩٧١ - ١٥٧ صفحة - ٢٥٠ دولار ، ١٠٨٠ فرنك سويسرى  
(UN / ID / 54)

المؤسسات الوطنية والدولية ، العامة والخاصة • معلومات أساسية •  
تعبئة الموارد المحلية ( أديس أبابا ، ٣ - ٨ مايو ١٩٧١ ) • مارس ١٩٧١ -  
١١٦ صفحة

(UN / E / CN. 14 / INR / 187)

#### المشروعات المتعددة الجنسيات :

المشروع المتعدد الجنسيات فى افريقيا • فبراير ١٩٧١ - ٣٦ صفحة -  
(UN / E / CN. 14 / INR 186)

الإشارة إلى المشروعات المتعددة الجنسية المتضمنة في الانتاج والمبادلات الاقتصادية • طبيعة المشروعات المتعددة الجنسية • تأثيرها في أفريقيا • سياسة الحكومات الافريقية فيما يتعلق بمثل هذه المشروعات •

### المبادلات :

العلاقات التجارية بين الدول ذات النظم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة • العلاقات التجارية والاقتصادية بين ايران والبلاد الاشتراكية في شرق أوروبا • أبريل ١٩٧١ - ٦٧ صفحة

(UN / TD / B / 334.)

العلاقات التجارية بين الدول ذات النظم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة • عملية اتخاذ القرارات بالنسبة للواردات في البلاد الاشتراكية لدول أوروبا الشرقية ( العلاقة بين الادارة المركزية والمتفعين ) أبريل ١٩٧١ - ٢٥ صفحة

(UN / TD / B / 341.)

مشكلات السوق العالمي بالنسبة للحديد الخام • أبريل ١٩٧١ - ٦١ صفحة • جداول تتضمن ملحقا

(UN / TD / B / C.I / 104)

المشكلات الرئيسية للتجارة الدولية في الدخان والخطوط التوجيهية للعمل الممكن • مايو ١٩٧١ - ١٩ صفحة

(UN / TD / B / C.I / 106)

ملحق للتقرير التحليلي عن حالة التجارة بين الدول الأوروبية • مارس ١٩٧١ - ٢١ صفحة •

(UN / E / ECE / 806)

( ح ) تطور التجارة بين الدول الأوروبية منذ آخر اجتماع للجنة الاقتصادية لأوروبا •

التجارة الزراعية في أوروبا ، الاتجاهات الرئيسية من ١٩٦٠ الى ١٩٦٩ - ١٩٧١ - ٦٦ صفحة - ٨٠ سنتا ، ٣٤٥ فرنك سويسرى

(UN / ST / ECE / AGRI / 38.)

السوق المشتركة لدول وسط أمريكا ، مشكلاتها الأخيرة • مارس ١٩٧١ - ١٠٤ صفحات •

(UN / E / CN. 12 / 885.)

## المواد الخام :

البحر • موارد البحر المعدنية • إبريل ١٩٧١ - ٨٣ صفحة  
(UN / E / 4973)

يختص هذا التقرير أساساً بطرق تشغيل آبار البترول تحت البحر واستخراج  
عقد المنجنيز الحديدي من قاع المحيط في المنطقة العميقة • وهو يغطي الفترة من ١٩٦٨  
حتى ١٩٧١ •

الاتجاهات في استخدام وتطور الموارد المائية في منطقة اللجنة الاقتصادية لأوروبا  
١٩٧٠ - ١٥٥ صفحة ، بما في ذلك الملاحق - ١٧٠ دولار ، ٧٤٠ فرنك سويسري  
(UN / ST / ECE / WATER / 1.)

( ح ) المشكلات التي يطرحها تقدير توافر المياه واحتياجاتها • تكهنات • مشكلة نوعية  
المياه • إدارة المياه • ملحق : مذكرة عن مشروعات تطوير موارد المياه ومراقبة التلوث  
في دول اللجنة الاقتصادية لأوروبا • الاستثمارات المتضمنة •

## الزراعة ، المنتجات الرئيسية :

أسعار الانتاج الزراعي والأسمدة في أوروبا ، ١٩٦٩/١٩٧٠ - ١٩٧١ - ١٥٦  
صفحة ، بما في ذلك الملاحق ، والجداول - ١٧٥ دولار ، ٧٥٥ فرنك سويسري  
(UN / ST / ECE / AGRI / 37)

( ح ) يغطي دول أوروبا الغربية والشرقية التغيرات العامة في سياسات الأسعار  
الزراعية وحركة الأسعار المدفوعة للفلاحين في ١٩٦٩/١٩٧٠ مع الأسعار النسبية  
المختارة في ١٩٥٨/١٩٥٩ - أسعار التصدير والاستيراد للمنتجات الزراعية • عوامل  
التكلفة •

استعراض الموقف الزراعي في أوروبا في نهاية عام ١٩٧٠ • المجلد الأول - ١٩٧١ -  
١٦٦ صفحة - ٣٤٠ دولار ، ١٤٧٥ فرنك سويسري  
(UN / ST / ECE / AGRI / 39)

( ح ) الموقف فيما يختص بالأذرة ، والماشية واللحوم • الأنواع الأخرى من  
الانتاج • اتجاه السياسات الزراعية في أوروبا •

مشروعات السلع الزراعية ، ١٩٧٠ - ١٩٨٠ • المجلد الأول ٣٢٩ صفحة •  
الجزء الأول ، نظرة عامة ، الجزء الثاني ، المشروعات حسب السلع • المجلد الثاني

- ٤٠٧ صفحات • الجزء الأول ، المنهج العام ، الجزء الثاني ، ملحق احصائي • ١٩٧١ •  
كل مجلد ٥ دولارات ، ٢٣٧٥ فرنك سويسرى ( منظمة الأغذية والزراعة ) •

( ق • ح ) يشمل أكثر من ١٣٠ بلد أو اقليما • تحليل الانتاج والطلب  
انحتملين •

استعراض وجهة نظر منظمة الأغذية والزراعة بالنسبة للسلع : ١٩٧٠ -  
١٩٧١ - ٢٢٧ صفحة ، ٥٠٠ دولار ، ٢٣٧٥ فرنك سويسرى ( منظمة الأغذية  
والزراعة ) •

الموقف العام والنظرة العامة للسلع • الزيادة فى قيمة التجارة الزراعية العالمية  
فى عام ١٩٧٠ • عوامل السوق الرئيسية • الموقف فى المدى القصير • الموقف حسب  
السلع : الحبوب ومنتجات الماشية والدهون ، محاصيل التصدير الاستوائية ،  
المحصولات الأخرى للحقول والأشجار ، المواد الزراعية الخام ، منتجات الأسماك ،  
منتجات الغابات • الأعمال الأخيرة فى مجال مشكلات السلع ، مؤتمر الأمم المتحدة  
للتجارة والتنمية ، الاتفاق العام للتعريف والتجارة ( جات ) ، معونة الغذاء ، اللجنة  
الاستشارية الفرعية عن التصرف فى الفائض ، التكامل الاقتصادى الاقليمى •

#### الموقف الاقتصادى ، التكهات الاقتصادية :

الظروف الاقتصادية فى افريقيا ، ١٩٧٠ - ابريل ١٩٧١ - ٢٢ صفحة  
( UN / E / 5000.)

اتجاهات التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى افريقيا فى الستينات • الزراعة ،  
والغابات وصيد الأسماك ، التعدين ، الصناعة ، البناء ، الطاقة ، النقل ، السياحة ،  
التجارة الخارجية ، ميزان المدفوعات ، تعليم وتدريب القوى العاملة ، السمات الرئيسية  
لبعض مشروعات التنمية الأخيرة •

( UN / E / ECE / 795.)

دراسة الاتجاهات الاقتصادية طويلة المدى فى منطقة اللجنة الاقتصادية لأوروبا  
مارس ١٩٧١ - ٩ صفحات بما فى ذلك الملاحق

قائمة بالتعديلات الجارية والمقترحة للجنة الاقتصادية لأوروبا فى هذا المجال  
الدراسات المنهجية • دراسة المشكلات الخاصة ولا سيما مشروعات التقدم الاجتماعى •  
الانتاج حسب القطاعات ومشروعات العمالة لحقبة التنمية الثانية - ١٩٧٠ -  
٣٥٢ صفحة - ٥٠٠ دولار ، ١٩٤٥ فرنك سويسرى

( UN / ECN. 11/920.)

العلوم الاجتماعية - ٩٧

( ق ٠ ح ) بواسطة أجزاء من اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصى ، المفاهيم  
والمناهج مشروعات لسيلان وجمهورية الصين ، والهند ، وإيران ، وجمهورية كوريا ،  
وماليزيا ، وباكستان ، والفلبين ، وتايلاند ، نحو التنبؤ بالاتجاهات للحقبة من  
١٩٧٠ - ١٩٨٠ .

استعراض اقتصادى لآسيا والشرق الأقصى ، ١٩٧٠ ، الجزء الأول : دور  
الاستثمار الخارجى الخاص فى التنمية الاقتصادية والتعاون فى منطقة اللجنة الاقتصادية  
لآسيا والشرق الأقصى ، مارس ١٩٧١ - ١٩١ صفحة  
( UN / E CN 11 / L 283 / R.)

( ق ٠ ح ) بيانات عن دور رأس المال الخاص الوارد من الخارج طوال الأربعين  
سنة الأخيرة الموقف الراهن . الصعوبات والآفاق .

استعراض اقتصادى لآسيا والشرق الأقصى ، ١٩٧٠ . الجزء الثانى : التطورات  
الاقتصادية . الراحة . مارس ١٩٧١ - ٤٧٨ صفحة  
( UN / E / CN. 11 / L 283 / B.)

( ق ٠ ح ) المشكلات الرئيسية الجارية للمنطقة ككل وحسب البلاد كل على  
حدة . السياسات المطبقة . النتائج .

الموقف الاقتصادى فى آسيا . مارس ١٩٧١ - ١١ صفحة  
( UN / E / CN. 11 / L 283.)

يشكل مقدمة للاستعراض الاقتصادى لآسيا والشرق الأقصى ، ١٩٧٠ . الحقائق  
الهامة .

مشروعات أمريكا اللاتينية الاقتصادية الكبيرة فى العقد السابع ، مارس -  
١٠٢ صفحة  
( UN / E / CN. 12/865.)

مسح اقتصادى لأمريكا اللاتينية ، ١٩٧٠  
( UN / E / CN. 12 / 868.)

( ق ٠ ح ) وثيقة رئيسية ( ٦٢ صفحة ) تغطى صورة شاملة . تحليل  
( ملحق ١ - ٢٧٦ صفحة ) للاتجاهات الاقتصادية حسب البلاد ومجموعة ( ملحق ٢ -  
٢٠١ صفحة ) من الدراسات عن موضوعات خاصة تكمل النشرة .

اتجاهات وهيكل اقتصاد أمريكا اللاتينية . مارس ١٩٧١ - ١١٤ صفحة  
( UN / E / CN. 12 / 884.)



اتجاهات وهياكل اقتصاد أمريكا اللاتينية • القطاع الخارجي • مارس ١٩٧١ -  
٥٠ صفحة

(UN / E / CN / 12 / 884 / Add.1.)

اقتصاد أمريكا اللاتينية في عام ١٩٧٠ أبريل ١٩٧٠ - ١٢٦ صفحة  
(UN / E / CN. 12 / 890.)

( ق . ح ) نظرة عامة على أساس تحريرات اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية ،  
منشور في مكان آخر بصورة أكثر تفصيلا • اتجاهات عامة في الأوضاع الأقلية وتحليل  
التيارات الاقتصادية التي تميز ٢٤ دولة كل منها على افراد •

التعاون الاقتصادي ، التكامل

الأحداث الأخيرة في اتحاد التجارة الحرة لأمريكا اللاتينية • مارس ١٩٧١ -  
٣٤ صفحة

(UN / E / CN. 12 / 887)

المجتمع ، ظروف المعيشة والعمل ، العمالة ، السياسة الاجتماعية  
السياسة الاجتماعية

تقرير عن الندوة الخاصة بالسياسة الاجتماعية والتخطيط - ١٩٧١ صفحة  
(UN / ST / TAO / SERC / 128.)

العوامل الاجتماعية والاقتصادية في التنمية • السياسة الاجتماعية وسياسة  
التنمية الاجتماعية • التخطيط والأبحاث ، عقدت الندوة في كوبنهاجن في الفترة من  
٢٢ يونيو حتى ٢ يولية ١٩٧٠ •

الخدمات الاجتماعية ، ظروف العمل

تحسين الأحياء الفقيرة والحيرة ومناطق السكن غير الخاضعة للإشراف - ١٩٧١  
- ٢٠٣ صفحات ٤٥٠ دولار ، ١٩٤٥ فرنك سويسري  
(UN / ST / TAO / SER. C / 124.)

تقرير عن الندوة الإقليمية التي عقدت في مديلين ( كولومبيا ) في الفترة من ١٥  
فبراير الى أول مارس ١٩٧٠ • الموقف والحيرة في أفريقيا ، والشرق الأوسط وأمريكا  
وآسيا ، دور المنظمات الدولية • الأولويات • تمويل البرامج •

تخطيط التنمية الاجتماعية • دراسات وأبحاث قامت بها الجمعية الدولية  
للضمان الاجتماعي رقم ٢ - ١٩٧١ - ١٨٩ صفحة ( منظمة العمل الدولية ) •

( ق . ح ) تقارير مقدمة الى المؤتمر الدولي السابع لعلم الاجتماع ( مارنا ، ١٩٧٠ ) الضمان الاجتماعي والتخطيط في المجتمع المعاصر . مشكلات في تخطيط الضمان الاجتماعي . آفاق الخدمات الصحية . استطلاعات الرأي العام وتخطيط الضمان الاجتماعي . آراء « المستهلكين » في سياسات التخطيط الاجتماعي .

العمل الجماعي - ١٩٧١ - ١٥٨ دولاران ، ٨ فرنكات سويسرية ( منظمة العمل الدولية )

مدى استخدام هذه الطريقة لتنظيم العمل في الدول المختلفة . تحليل الأسباب الرئيسية الكامنة وراء تبني وتوسيع عمل الفريق . أشكاله المختلفة . نتائج الدراسات الأساسية المعروفة عن آثار عمل الفريق ، فيما يتعلق بالسلوك ، والصحة والحياة الأسرية والاجتماعية . موقف العمال تجاه عمل الفريق ، مسألة التشريع .

التفتيش العمالي ، غرضه وأساليبه - ١٩٧١ - ٢٥٢ صفحة - ٤ دولارات ، ١٦ فرنكا سويسريا ( منظمة العمل الدولية ) .

( ق . ح ) دراسة المعايير والممارسة . اتجاهات التطور .

الجوانب الاقتصادية للضمان الاجتماعي . بحث عن الضمان الاجتماعي . قائمة مراجع - ١٩٧١ - ١٤٠ صفحة ( منظمة العمل الدولية ) يتكون من جزئين ( أ ) قائمة بالمؤلفات عن الجوانب الاقتصادية للضمان الاجتماعي ، ( ب ) قائمة بالأعمال عن الأبحاث في مجال الضمان الاجتماعي ، الوثيقة من وضع الاتحاد الدولي للضمان الاجتماعي .

ندوة عن أئمة عمليات التعدين . هومبورج ( فرنسا ) ، ٢١ - ٢٣ أبريل ١٩٧٠ - ١٩٧٠ - ٢٨٣ صفحة - ٢٥٠ صفحة ، ١٠٨٠ فرنك سويسري ( منظمة العمل الدولية ) .

### الطفولة والشباب :

الأطفال والمراهقون في أحياء البلاد النامية الفقيرة وآواخها مارس ١٩٧١ - ٦١ صفحة

( UN / E / ICF / L. 1277 )

( ح ) أبعاد المشكلة . خصائص الأنواع المختلفة من مناطق الخراب . سكانها . ظروف معيشة الأطفال والمراهقين ، وضع الأسرة ، الصحة ، التعليم ، التدريب المهني . الاستراتيجيات المباشرة وغير المباشرة المتبعة ، دور منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة وغيرها من منظمات الأمم المتحدة .

تقرير الندوة الافريقية الاقليمية عن البرامج الوطنية لحمة الشباب ، اديس  
أبابا ، ٢٣ نوفمبر - ٤ ديسمبر ١٩٧٠ - فبراير ١٩٧١ - ٦٩ صفحة  
(UN / E / CN. 14 / 517)

التطورات الأخيرة في هذه البرامج • دورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية  
لأفريقيا • اجراءات لتوسيع مجال نشاطها • السياسة القومية للشباب والتعاون  
الدولى •

### تطوير المجتمع

المشاركة الشعبية في التنمية : الاتجاهات الحديثة في تنمية المجتمع - ١٩٧١ -  
٢٧٣ صفحة - ٤ دولارات ، ١٧ر٣٠ فرنك سويسرى  
(UN / ST / SOA / 106.)

( ق • ح ) تطوير المجتمع • الأشكال الجديدة من مشاركة القيادة والمشاركة  
الشعبية التي تستخدم في هذا العدد في مختلف دول جميع القارات •  
السكان العاملون ، القوى العاملة ، العمالة •

مشروعات القوى العاملة - ١٩٧١ - ( خمس وثائق تتراوح بين ١٠٠ صفحة  
و ٥٠ صفحة لكل منها ) ( منظمة العمل الدولية ) •

( ق • ح ) أشمل وأنظم مجموعة من البيانات المتاحة • الاتجاهات منذ ١٩٥٠ ،  
المشروعات للفترة من ١٩٧٥ الى ١٩٨٥ • حب الجنس ومجال النشاط • معدلات الزيادة  
أو النقصان السنوية • تغطي أربعة مجلدات مناطق خاصة من العالم : آسيا وأفريقيا  
 وأمريكا اللاتينية وأوروبا وأمريكا الشمالية والاتحاد السوفيتي • والأوقيانوس • أما  
المجلد الخامس فيلخص كل المجلدات •

القوى العاملة في أفريقيا من ١٩٦٠ - ١٩٨٠ - ٢٤ صفحة ( احدى مطبوعات  
مجلة العمل الدولية ، المجلد ١٠٤ - رقم ٢٣ سبتمبر ١٩٧١ ) ( منظمة العمل الدولية ) •

( ح ) خصائص مجموع السكان والشبه العامل في أفريقيا في عام ١٩٦٠ •  
تطورها الذي يمكن التكهّن به حتى عام ١٩٨٠ •

مقالات عن العمالة - ١٩٧١ - ٢١٦ صفحة - ٣ دولارات ، ١٢ فرنكا سويسريا  
( منظمة العمل الدولية ) •

( ق • ح ) يضم علدا من الدراسات عن مشكلات العمالة في البلاد النامية • تطور  
سكان العالم العاملين حسب أنواع النشاط والمناطق من ١٨٨٠ حتى ١٩٦٠ • النمو  
في قطاعات العمالة ، الأفاق المتاحة لعام ١٩٨٠ الميكنة والعمالة •

الإصلاح الزراعي والصالة • ١٩٧١ - ١٨٦ صفحة - ٢٥٠ دولار ، ١٠ فرنكات  
سويسرية ( منظمة العمل الدولية ) •

( ق • ح ) بيانات عامة • دراسات اقليمية ودراسات حسب البلاد •

### المنظمات المهنية :

حق تكوين الاتحادات للعمال ومنظمات أصحاب الأعمال ودورها في التنمية  
الاجتماعية والاقتصادية ١٩٧١ - ٦٥ صفحة ( منظمة العمل الدولية ) •

للمؤتمر الآسيوي الاقليمي السابع ( طهران ، ديسمبر ١٩٧١ ) • الوضع  
الراهن لمنظمات العمال وأصحاب الأعمال في البلاد الآسيوية • مشاركتها في وضع  
وتنفيذ خطط التنمية الوطنية • دور وزراء العمل • التدريب والتعاون الدوليين •

### المسائل القانونية والسياسية ، حقوق الانسان

#### القانون الدولي

الكتاب السنوي للجنة القانون الدولي ، ١٩٧٠ المجلد الأول - ٢٦٠ صفحة ،  
٤٥٠ دولار ، ١٩٤٥ فرنك سويسري  
( UN / A / CN.4 / SER.A / 1970 )

دراسة لجنة القانون الدولي لمسألة الآثار المحتملة للمواقف الاستثنائية مثل عدم  
الاعتراف ، عدم وجود علاقات دبلوماسية وقنصلية أو قطعها ، أو آثار النزاع المسلح  
على تمثيل الدول في المنظمات الدولية • مايو ١٩٧١ - ١٣ صفحة •  
( UN / A / CN.4 / L. 166 )

مسودات مواد عن ممثلي الدول في المنظمات الدولية مايو ١٩٧١ - ٣٠ صفحة  
( UN / A / CN.4 / L. 168 )

تعاقب الدول فيما يتعلق باحترام المعاهدات الثنائية • أبريل ١٩٧١ - ٨٦ صفحة  
( UN / A / CN.4 / 343 )

تناول هذه الوثيقة الاتفاقيات المتعلقة بالنقل الجوي • الممارسة : الدبلوماسية  
في هذا المجال ، أمثلة لحالات أدت فيها الخدمات الجوية بين الدول الى نشوء مشكلات  
خطيرة بسبب تعاقب الدول •

التقرير السادس عن العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية • مايو ١٩٧١ -

٢٥ صفحة

( UN / A / CN.4 / 241 / Add.5 )

مواد الوقود-المميزات العامة لوضعها ووظائفها . ملاحظات الحكومات ومكترييات المنظمات الدولية ، ملاحظات المقرر الخاص .

التقرير السادس عن العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية . مايو ١٩٧١ - ٥٤ صفحة

(UN / A / CN.4 / 241 / Add. 6)

التسهيلات ، مزايا وحصانة الوقود . معايير السلوك للوفد وأعضائه .

استعراض للقانون العام . إبريل ١٩٧١ - ٢٣١ صفحة

(UN / A / CN.4 / 245)

(ق) الوضع الحالي للقانون الدولي . سيادة واستقلال ومساواة الدول . القانون الخاص بالسلام العالمي والأمن . القانون الخاص بالتنمية الاقتصادية . مسئولية الدولة . تعاقب الدول والحكومات . القانون الدبلوماسي والقنصلي . قانون المعاهدات . الأعمال من جانب واحد . المياه الدولية . قانون الجو . القانون الخاص بالمنظمات الدولية . القانون الخاص بالنزاعات المسلحة . القانون الجنائي الدولي .

التقرير الرابع حول تعاقب الدول فيما يتعلق بالمسائل الأخرى غير المعاهدات . مشروع المواد مع تعليقات وملاحظات عن التعاقب في الملكية العامة . إبريل ١٩٧١ - ٤٨ صفحة

(UN / A / CN.4 / 247)

التقرير الرابع عن تعاقب الدول فيما يتعلق بالمسائل الأخرى غير المعاهدات . مشروع المواد مع تعليقات وملاحظات عن التعاقب في الملكية العامة . إبريل ١٩٧١ - ٤٣ صفحة

(UN / A / CN.4 / 247 / Add. 1.)

لجنة الأمم المتحدة عن القانون التجاري الدولي . الكتاب السنوي . المجلد الأول . ١٩٦٨ - ١٩٧٠ - ٣٠٠ صفحة - ٥ دولارات ، ٢١٦٠ فرنك سويسري (UN / A / CN.9 / SER.A / 1970.)

أصل هذه اللجنة جلساتها للثلاث الأولى . العمل الذي أنجز في مجالات اختصاصها الرئيسية : المنتجات الرئيسية ، التشريع الخاص بالنقل البحري ، المدفوعات الدولية ، التحكيم الدولي في مجال التجارة .

## حقوق الإنسان :

الكتاب السنوى عن حقوق الانسان لعام ١٩٦٧ - ١٩٦٩ - ٤٠٥ صفحة ،  
٥ دولارات ، ٢١٦٠ فرنك سويسرى

(UN / E / 70. XIV. 1.)

- ( ق ) التفريعات الدستورية والتشريعية والقانونية التى حدثت فى ٨٨ دولة ،
- وفى الأقاليم الخاضعة للوصاية والتى لاتحكم نفسها بنفسها ، بالنسبة لحقوق الانسان .
- نصوص الاتفاقات الدولية التى لها علاقة بحقوق الانسان .
- تقارير دورية عن حقوق الانسان - التقارير التى قدمتها الوكالات المتخصصة .

أبريل ١٩٧١ - ٢٢ صفحة

(UN / E / CN.4 / 1067 / Add. 2.)

وتتضمن هذه الاضافة تقرير اليونسكو . وهو مقسم الى سبعة عناوين فرعية  
هى : تطوير وسائل الاعلام ، الاستخدام الأوسع للاتصالات اللاسلكية والبريد ،  
التدريب المهنى فى وسائل الاعلام ، استخدام وسائل الاعلام للتعليم ، نوعية الاعلام ،  
حركة المواد التعليمية والعلمية والثقافية ، حركة الأشخاص .

## الوصاية :

تقرير بعثة الأمم المتحدة التى زارت الأراضى الخاضعة للوصاية فى جزر  
الباسيفيكي ، ١٩٧٠ - ١٩٧٠ - ٢١٩ صفحة - ٤ دولارات ، ١٣٧٠ فرنك سويسرى  
(UN / T / 1713.)

- ( ق . ح ) زارت بعثة الأمم المتحدة الأقاليم التالية : جزر مارشال ، بونابى ،
- تروك ، ياب ، بالاوس . التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى . التطور السياسى
- والدستورى . مستقبل ميكرونيزيا . .

## السلطات المحلية :

تقرير ندوة الكاريبي الاقليمية عن الخدمات المركزية للسلطات المحلية . مارس  
١٩٧١ - ٨٢ صفحة

(UN / E / CN.12 / 881.)

## التعليم ، العلوم

### التعليم

تخطيط التعليم والشباب المتعطّل ، بقلم آرشيبالد كالاوى-١٩٧١-٤٧ صفحة-  
٥٠١ دولار ، ٦ فرنكات سويسرية ( أساسيات تخطيط التعليم ، رقم ١٤ ) (اليونسكو/  
اللجنة الدولية لتخطيط التعليم) .

( ق ) التركيز على الدول النامية • البطالة بين الشباب المتعلم • مبادئ  
وخصائصها • الإجراءات الاقتصادية الواجب اتخاذها • دور المدارس • برامج خدمة  
الشباب الوطنى •

المؤتمر الاقليمى الثالث لوزراء التعليم والمسئولين عن التخطيط الاقتصادى فى  
آسيا • التقرير الختامى • أكتوبر ١٩٧١ - ٩١ صفحة  
(Unesco / ED / MD / 20.)

( ق ) نظم اليونسكو هذا المؤتمر بالتعاون مع لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية  
لآسيا والشرق الأقصى ( سنغافورة ، ٣١ مايو - ٧ يونيو ١٩٧١ ) التقدم الذى تحقق  
خلال السنوات العشر الأخيرة ، فيما يتعلق بأهداف المخطط الخاصة بالتعليم • المشكلات  
الراهنة • الاحتياجات الكمية والكيفية • اجراءات المؤتمر • القرارات • قائمة بوثائق  
العمل وقائمة بالمشاركين •

تطوير الكتاب فى خدمة التعليم • مارس ١٩٧١ - ٢٦ صفحة  
(UN / E / 4958.)

تقرير لسكربتيرة اليونسكو • دور الكتب كأدوات للاتصال الجماهيرى فى المدنية  
الحديثة • الكتب والتعليم اليوم •

العوامل التى تؤثر على فرص تعليم وتدريب وتشغيل الفتيات والنساء ضمن  
سياق التنمية • أبريل ١٩٧١ - ٢٧ صفحة  
(UN / E / CN.4 / SW / 38.)

### وسائل الاتصال الجماهيرى :

مقترحات ببرنامج دول لأبحاث الاتصال - ١٠ سبتمبر ١٩٧١ - ٢٩ صفحة  
(Unesco / COM / MD / 20)

المخطوط العريضة لبرنامج أبحاث عن دور وآثار وسائل الاعلام - من الراديو  
الترانزيستور الى الوسائل الحديثة السريعة التركيب - فى المجتمع الحديث • أعدت  
هذا البرنامج لجنة دولية من المستشارين كونتها اليونسكو • الحاجة الى مثل هذه  
التحريرات • الاتصال والتغير الاجتماعى المخطط • المؤشرات الاحصائية • الأبحاث التى  
يمكن التفكير فيها على المستوى القومى ، وعلى مستوى هياكل الاتصال الدولى • قائمة  
بالمستشارين •

## التحليل العلمى للتنمية :

مقدمات لعلم التنمية الاقتصادية والاجتماعية • تحرير بيتر لنجيل - ١٩٧١ -  
٣٨٣ صفحة - ٧٨٥٠ دولار ، ٣٠ فرنكا سويسريا ( اليونسكو )

( ق ) مجموعة من المقالات بقلم حوالى عشرين من مشاهير علماء الاجتماع والاقتصاديين • معظم المادة التى أعيد طبعها كانت قد نشرت أصلا بواسطة اليونسكو كما تضمن كذلك بعض النصوص الأخرى • وتوضح كل الموضوعات الجوانب المختلفة للمناقشة الدولية التى تارت بين عدد من الاحصائيين وحركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الأنواع المختلفة من المجتمعات • مفهوم التنمية • تعريفات وتصنيفات • العوامل الاقتصادية والاجتماعية للتنمية • الأوضاع السابقة على الصناعة • نماذج سكانية • عملية التحديث • العلاقات بالأنظمة الثقافية • الأبعاد السياسية والإدارية • مذكرات عن كتاب المقالات •

دور أقطاب ومراكز النمو فى التنمية الإقليمية ( دراسة سبع حالات ) فبراير ١٩٧١ - ١٦٤ صفحة

( UNRISD / 71 / C.9 )

هذه الوثيقة ، والوثائق الثلاث التالية ، جزء من المادة المصدة لمؤتمر أقطاب التنمية : الفروض والسياسات ، مدريد ، ٢٤ - ٣٠ سبتمبر ١٩٧٠ ، وهو المؤتمر الذى نظمه معهد الأمم المتحدة لأبحاث التنمية الاجتماعية • أقطاب ومراكز النمو كعوامل فى تكامل التوسع الصناعى والجوانب المختلفة للتنمية الاجتماعية •

دور أقطاب ومراكز النمو فى التنمية الإقليمية • أقطاب التنمية : الفروض والسياسات فى أمريكا اللاتينية • أبريل ١٩٧١ - ٦ صفحات  
( UN / UNRISD / 71 / C. 35 )

دور أقطاب ومراكز النمو فى التنمية الإقليمية • مناطق النمو ، مراكز النمو والسياسة الإقليمية للمملكة المتحدة • أبريل ١٩٧١ - ٣٧ صفحة  
( UN / UNRISD / 71 / C. 36 )

دور أقطاب ومراكز النمو فى التنمية الإقليمية : قضايا فى سياسة التنمية الإقليمية الكندية • أبريل ١٩٧١ - ٤١ صفحة  
( UN / UNRISD / 71 / C. 39 )



استخدام أنواع حالية للمحاصيل من الحبوب الغذائية • استعراض للكتابات •  
مارس ١٩٧١ - ٥٥ صفحة  
(UN / UNRISD / 71 / C. 10)

(ق) الحالات الاقتصادية والاجتماعية لتبنى أشكال جديدة في انماء الحبوب في  
سياق تخطيط التنمية • آثار ذلك على العلاقات الاجتماعية والسلوك • قائمة المراجع  
الحالية هي الخطوة الأولى في الدراسة التي ستتكون من مسح لسلسلة من البلاد •

استخدام أنواع عالية المحاصيل من الحبوب الغذائية • هيكل بحث • مارس  
١٩٧١ - ١١ صفحة  
(UN / UNRISD / 71 / C. 15 / Rev. 1)

المخطوط الرئيسية للأبحاث التي يجرى التفكير فيها في ظل المشروع المشار اليه  
فيما يتعلق بالوثيقة السابقة •

## العدد القادم من مستقبل التربية

يصدر في شهر ابريل ١٩٧٣ •

ومن موضوعاته الاساسية الكتب والقراءة والقارى. واهمية  
الكتب للتطور الالفري بالاضافة الى التعليم في عصر التكنولوجيا ،  
ومعالجة كثير من مشكلات التعليم اليوم الى جوار الملفات الخاصة عن  
موضوعات الساعة حرره اخصائون في التربية من أنحاء العالم •  
ونقله الى العربية اخصائون عرب على نفس الدرجة من  
التخصص •

أكثر من مائة صفحة - خمسة عشر قرشا •

# تَبَيَّنَ

رقم العدد وتاريخه	العنوان الأجنبي واسم الكاتب	المقال واسم الكاتب
المجلد : ٢٤ العدد الثاني ١٩٧٢	The adolescent and moral choices by Fred Mahler	• المراهق والاختيارات الأخلاقية بقلم : فرد ماهلر
المجلد : ٢٤ العدد الثاني ١٩٧٢	The social contet of youth groups by Glen H. Elder Jr.	• الاطار الاجتماعي لجماعات الشباب بقلم : جلين . ه . الدر ( الابن )
المجلد : ٢٣ العدد الأول ١٩٧١	Crisis, stress and decision- making by Ole R. Holsti	• تفاقم الأزمة والوصول الى قرار بقلم : أول . ر . هولستي
المجلد : ٢٤ العدد الأول ١٩٧٢	Anthropology by Cyril S. Belshaw	• الأنثروبولوجيا : علم الانسان بقلم : سيريل بلشو

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٣/٤٧٢



تقدم مجموعة من المجلات الدولية بأقلام كتاب  
متخصصين وأساتذة دارسين \*  
ويقوم باختيارها ونقلها إلى العربية نخبة متخصصة من  
الأساتذة العرب \*  
لتصبح إضافة إلى المكتبة العربية تساهم في إثراء  
الفكر العربي ، ونمكيته من ملاحقة البحث في قضايا  
العصر .

تصدر شهريا

يناير - ابريل - يولي - اكتوبر

فبراير - مايو - أغسطس - نوفمبر

فبراير - مايو - أغسطس - نوفمبر

مارس - يونيو - سبتمبر - ديسمبر

مجموعة من المجلات تصدرها هيئة اليونسكو  
بلغاتها الدولية ، وتصدر طبعاتها العربية بالاتفاق مع  
الشعبة القومية لليونسكو ، وبمعاونة الشعب القومية  
العربية ، ووزارة الثقافة والإعلام بجمهورية مصر  
العربية .

الشمس ١٠ قروش

المجلة الدولية

للعالم الاجتماعى

عدد خاص عن «الخصوصية»

• وكيف تحمي  
المجتمعات في العالم

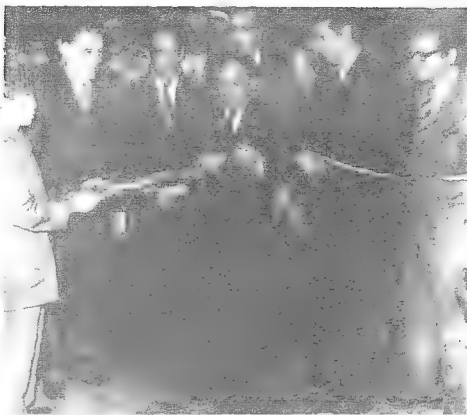
المجلد ١٠ - العدد ١ - ١٩٨٨

الطبعة الأولى - ١٩٨٨

توزيع على مجلات ورسائل أخرى

توزيع على مطبوعات أخرى

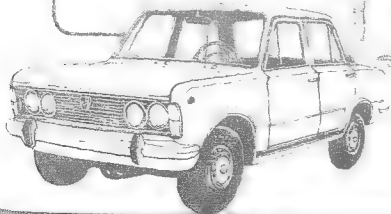
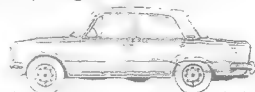




- وزير الصناعة أثناء افتتاح خط إنتاج السيارة "نصم ١٢٥"
- بدأ تسليم الحاضرين بالعملة المحلية يوم ٢٢ مارس الماضي
- الصانع تنتج "٢٠٠٠" سيارة "نصم ١٢٥" هذه العام
- المعدل في التوزيع "١٠" سيارات في اليوم الواحد



**نصم ١٢٥**



الطبعة العربية من مجلة  
International Social  
Science Journal

العدد الخامس عشر - السنة الثالثة  
٥ إبريل ٠٠ (نيسان) ١٩٧٣  
٢ ربيع الأول ١٣٩٣

# المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية

## محتويات هذا العدد

- ① العناية القانونية للحرمان الشخصية  
دراسة مقارنة لقوانين عشرة بلدان  
عشر دول  
ترجمة : الدكتور أحمد محمد راشد
- ✱ حق العرمة الشخصية  
دراسة مقارنة لقوانين عشرة بلدان  
ترجمة : المستشار أحمد محمد غنيم
- ① الاعتداء على الحرية الشخصية للفرد  
وحقه في خصوصياته وأسراره  
ترجمة : المستشار ياقوت المشاوي  
والمستشار عبد الخالق شبيب
- ① الانشاء العنفي للمعلومات الشخصية  
ترجمة : الأستاذ حسن أنور حبيب
- ① توحيد النظم في بروتوكول المعلومات  
واساليب اللغات الاجتماعية والبرية  
بقلم : بول - ج - ميول  
و : ه - د - كولان  
ترجمة : الدكتورة فضيلة محمد فتوح
- ✱ المؤتمرات الدولية القادمة  
ومطبوعات الأمم المتحدة  
ووكالاتها المتخصصة

تصدر عن : مجلة رسالة اليونسكو  
ومركز مطبوعات اليونسكو  
١ شارع طلعت حرب  
ميدان التحرير - القاهرة  
تليفون : ٢٢٤٠٢

رئيس التحرير : عبد المنعم الصاوي

هيئة التحرير : د. مصطفى كمال طلبه

د. محمود الشنيط

عثمان نوبيه

محمود فؤاد عمران

الإشراف على : عبد السلام الشريف

# ”الخصوصية“:

## هى الإنسان

الحديث عن « الخصوصية » شائق وطريف . وسواء عرفها علماء الاجتماع أو علماء القانون تعريفات قد تتفق ، وقد تتعارض ، وقد تتفق فى بعض جوانبها وتتعارض فى جوانبها الأخرى ، فإن ذلك لا يغير من المجتمع ، إلا أن يكون المجتمع كذلك على قدر من فهم هذه الخصوصية ، أهميتها ، وضرورة حمايتها لنمو الشخصية الإنسانية .

وإذا كانت جمهرة العلماء تتلاقى حول تعريف شائع ، هو أن « الخصوصية » فى حقيقتها هى كفالة حق الفرد فى أن ينسحب اختياريًا وبمحض إرادته من المجتمع ، ليخلو لنفسه ، يستمتع بخصوصياته كما يشاء ، فإن هذا التعريف فى حقيقته ينطوى على بعض النقص والقصور .

ذلك لأن الفرد لا يستطيع أن يحصل على حق الانسحاب الاختياري من المجتمع ، إلا أن يكون المجتمع كذلك على قدر من فهم هذه الخصوصية ، ووضعها فى مكانها السليم من تقديره ، ومن تقديره ، ليكفلها لأفراده .

والأفما معنى أن يكون لفرد من الأفراد هذا الحق ، فى حين أن المجتمع يتعقبه بالأوان التدخل ، ليفسد عليه خلوته بنفسه ، ويحول هذا الانسحاب الى نوع من الهزيمة ، يشعر الفرد ازاءها بأنها قد صارت عبئًا عليه ، أكثر من أن تكون سكينه هادئة ، تعطى لهذا الانسحاب الاختياري معناه ؟

معنى هذا بوضوح أن « الخصوصية » نوع من الرابطة الاجتماعية ، يصبح الفرد والمجتمع فيها طرفين فى عقد خاص ، له قداسته ، غير قابل لأن يمس .



# وحمايتها ضرورة لنموه

واذا نحن تناولنا الخصوصية وتأثيرها على الناس فاننا سنصل  
الى أنها ضرورة انسانية لتنمية الأفراد من ناحية ، ثم هي بعد ذلك طابع  
اجتماعى يحقق السعادة للبشر .

صحيح أن الانسان يمكن أن يوصف بأنه حيوان اجتماعى ، بمعنى  
أنه مرتبط بالمجتمع .

بل صحيح كذلك أن ندرك أن الاتصال بالجماعة قد هيا للإنسان ،  
منذ بدأ رحلته على سطح الكون ، أمنا واستقرارا وتطورا .

ولولا هذه الصفة فى الانسان ما نمت فيه كل المواهب الخارقة التى  
وصلت به الى درجة السيادة على الطبيعة الهائلة من حوله .

اللغة مثلا قد كانت أثرا من آثار المجتمع على الناس ، فقد كان  
ضروريا لقوم يعيشون فى مكان واحد وفى بيئة واحدة أن يتفاهموا ،  
وما كان يمكن لذلك أن يتم الا باللغة .

بل ان ارتباط الفرد بالجماعة قد طور عاطفته ، وحولها الى علاقة  
منظمة ، يحكمها وجدان متطور ، وتحكمها علاقات أسرية ، هدفها المحافظة  
على النوع .

ومن خلال الروابط الاجتماعية نشأت العادات والتقاليد ، ونشأت  
كذلك التجربة ونمت ، وتبادل كل صاحب طاقة هذه الطاقة مع ما لدى  
الآخرين منها ، فصارت التجربة علما ، ثم تطور العلم ، حتى هيا للإنسان  
هذا الغزو المذهل للأرض وما حول الأرض من فضاء .

كل هذا صحيح • نعم صحيح أن الانسان قد عرف بالمجتمع طريقه الى التطور ، وأنه لو انعزل أفراده كل منهم عن الآخر لما تحققت كل هذه الانجازات التي نلمسها اليوم •

لكن صحيح كذلك أن الخصوصية قد لعبت في حياة الفرد نوعا آخر من التطور •

ان الانسان - برغم صفته الاجتماعية هذه - لا يستطيع أن يعيش حياته كلها في المجتمع •

حتى غرائزه الأساسية تأبى عليه أن يقضى عمره كله رهن مشيئة مجتمعه •

انه محتاج مثلا الى أن ينام ، وحين ينام فهو بالضرورة ينعزل عن الجو المحيط به ، المؤثر فيه •

وهو محتاج كذلك الى أن يهجع من متاعبه ، وأن تكون له خصوصيات تحمي حرمانه ، وتعطيه قدرا من الانفراد بنفسه ، ليحس انه حقيقة حر ، بعيد عن أى تأثير قد يقع عليه •

وفي « خصوصيات » الأفراد مزايا هامة ، تجعل هذه الخصوصيات دافعا لمشاركة أكثر فاعلية في تطور المجتمع •

ان في كل فرد منا قدرا من الفن ، وظهور هذا القدر لدى بعض الفنانين في شكل أعمال فنية ، وانجاز فنى ، لا ينفى أن هذا القدر حظ شائع بين الناس جميعا ، ولعل الفرق أنه يستيقظ لدى الفنان فينتج ، ويستكين لدى سائر البشر فيكتفون بتذوق الفنون في صمت •

هذا الجانب في الانسان يحتاج الى نوع من الخصوصية ، لينمو لدى الفنان انتاجا ، وينمو لدى الفرد العادى استمتعا •

والخصوصية في هذا المجال تعتبر وسيلة هامة وفعالة ، في أن يخلو الانسان بنفسه ، يمتد قدراته ، ويصقل وجدانه ، ويسمو بروح الفن فيه عن الصراع الصغير ، في سبيل مصالح زائلة •

وتحول الأفراد في المجتمع الى طاقة روحانية تتعبد وتشعر بضغامة الوجود من حولها ، يحتاج الى هذه الخصوصية ، لمراجعة النفس ، ومحاسبتها .

• ولحظات النوم عن خطأ وقع لا تتم الا في نطاق الخصوصية .

ولحظات تصحيح ما في النفس من اعوجاج لا تتم الا في جو الخصوصية .

معنى هذا بوضوح أن الخصوصية ضرورة لا بد منها للنمو الانساني .

• لانتاج الفنان ، ولصقل وجدان الانسان ، ولمراجعة النفس .

• ثم هي بعد ذلك وسيلة من وسائل البهجة والسعادة .

ان الانسان الذي يشعر بأن له قدرا من الخصوصية ، يخلو فيه لنفسه ، ليبر خلاله حتى عن نزقه .

هذا الانسان يشعر ، بعد ممارسته لخصوصيته ، بأنه قد أزاح عن نفسه ما يثقلها ، وغسل ما في قلبه من هم ، فيستأنف علاقاته مع المجتمع ، كأنما قد ولد من جديد ، بلا أثقال أو هموم .

وليست البهجة عملا سلبيا في المجتمع ، كما أن اشاعة السعادة بين الأفراد تحسب من قبيل الاضافة الى ما في المجتمع من قدرات .

من أجل هذا حرصت المجتمعات ، بوسائلها المختلفة ، على حماية الخصوصية عند الأفراد . وأخذت هذه الحماية شكلا قانونيا يتفاوت من مجتمع الى آخر ، لكنها في النهاية تقر مبدأ حماية الخصوصية ، وتعمل جاهدة على أن تحيطها بالضمانات اللازمة .

ذلك لأن الخصوصية مظهر حقيقي للحرية ، ولأنها كذلك وسيلة فعالة في نمو الشخصية الانسانية وتطورها ، وتمكينها من المشاركة الايجابية في البناء .

لكن الخصوصية لا تتوفر بالتشريعات وحدها ، ولا بالقوانين ،  
ولا باستعمال السلطة في كفالتها •

ان الخصوصية محتاجة قبل كل هذا الى أخلاقيات تسود المجتمع ،  
بحيث تحقق وجودها بالأخلاق ، قبل القانون •

ولا شك أن المجتمع النامي يتمتع بأخلاقيات تمكنه من توفير  
الخصوصية لأفراده •

وبشيء من التبصير والايضاح يمكن أن تعالج كثير من ألوان التدخل  
الاجتماعي في حق الفرد في الاستمتاع بخصوصياته وحرماته وحقوقه  
الاساسية في خصوصية لا يحدشها أحد •

ولو أننا نظرنا الى بعض جوانب السلوك الاجتماعي فاننا سنجد  
أن هذه الخصوصية تتعرض للانتهاك في بعض الأحيان •

ان أصوات الميكروفونات التي تقتحم حياة الناس ، وأصوات الباعة  
التي تحطم السكينة في الأحياء السكنية ، والعباب الصبيان بصيحاتهم  
التقليدية وهم يتقاذفون الكرة بين هذه الأحياء ، شيء يتنافى مع الحرية  
الخاصة ، وينتهك خصوصية الأسرة والفرد •

كذلك فان الألفاظ التي تجرح الحياء في ملاحظات تبدي أنشاء  
الفرجة في المسرح ، أو دار العرض السينمائي ، أو ربما في الطريق ،  
هي عامل من العوامل التي تفقد الخصوصية معناها •

وكثير جدا من التصرفات النابية عن طبيعة مجتمعنا يمكن أن تحصى ،  
لنصل في النهاية الى ضرورة الالتقاء حول ميثاق أخلاقي ، يضمن الحرمانات ،  
ويوفر للفرد وللأسرة حقها في الخصوصية التي يجب أن تستمتع بها •

وذلك لن يتم بالقانون وحده ، ولا بسن التشريعات ، ولا بالتهديد  
بالعقوبة والغرامة والزجر • ان أساس ذلك هو سيادة عرف أخلاقي  
يستقر في الضمائر ، ويحرص كل منا على تنفيذه •

ولن يكون هذا عرفاً جديداً ، ولا استعارة لمبادئ وقيم مستوردة ، ولكنه سيكون استعادة للمادرجنا عليه من تقاليد ، أساسها احترام ما لدى الآخر من أسرار ، وما يجب أن يتوفر له من خصوصية يمارس فيها التعبير عن نفسه ، وغسل همومه ، واستعادة طاقاته في العمل البناء •

ان قدراً كبيراً من توفير الخصوصية للفرد يتوقف على موقف المجتمع من أفرادهِ ، والمجتمع العاقل يجب أن يدرك أن توفير القدر اللازم من الخصوصية لأفراده هو في الواقع إضافة جديدة الى عناصر التنمية البشرية لهم •

ان الخصوصية حرية ، وديموقراطية ، وعدالة ، وأخلاق •

**عهد النعم الصاوى**

دراسة مقارنة  
من الهيئة الدولية  
لرجال القانون  
في عشرة دول



بناء على تكليف من اليونسكو في سبتمبر عام ١٩٧٠ للهيئة الدولية لرجال القانون بالاضطلاع بأعباء دراسة حق « الحرية الشخصية للفرد » قامت سكرتيرية الهيئة بجنييف بالأعمال التحضيرية . ولولا المساعدات الكريمة من الممتازين من أهل العلم من أعضاء الهيئة في كل من البلاد المعنية لما تمت هذه الدراسة ، كما أن الهيئة قد استعانت كثيرا في انجلترا بتقرير « الحرمة الشخصية » و « القانون » الذي أعدته ادارة المدالة وهي الجزء الانجليزي للهيئة .

وترغب الهيئة في الاعتراف بالفضل : للأستاذ هنري ديسود ، والأستاذ جورج ليفاسير ( من فرنسا ) ، والسيد جينز ١٠ ر . برونز ، والسيد روديجرولفرام ، والأستاذ ك . ج . بارتش ( من جمهورية المانيا الاتحادية ) ، والأستاذ ستيج سترومهولم ، والقاضي جوران ليونبرج ، والسيدة ستينا لاجيرجرف ( من السويد ) ، والأستاذ جاك ميتش جروسن ( من سويسرا ) ، والسيد توم سرجانت ، والسيد ابول سيجهارت ( من انجلترا ) ، والأستاذ ستيفن ١٠ ر . بارتش ، وانسيد ستيفن ر . فين ، والراحل انقاضي صمويل ه . هوفستادتر ، والأستاذ ورج هورويتز ، والأستاذ وليامل . بروسر ( من الولايات المتحدة الأمريكية ) ، والدكتورة انيسياحتسو ، وبقيّة أعضاء الهيئة في الأرجنتين ، والأستاذ بلولو جوزيه كوستا الصغرى ( من البرازيل ) ، والدكاترة سيرجيو دومينجويز فارجاز وفيرناندو فلوريز جارسيسا

## ترجمة : الدكتور أحمد محمد راشد

عميد معهد التبحر للدراسات العليا المدنية • تخرج  
فى هندسة القاهرة ، ثم علوم درهام بانجلترا ، وحصل على  
الدكتوراه من انجلترا • واشتغل بدراسات المشروعات الصناعية  
وانشائها وتنفيذها والمشروعات المتعلقة بالصناعات المدنية ،  
كما اشتغل بالتطوير التكنولوجى فى الصناعة واعداد  
العلميين والفنيين ورجال البحوث للصناعة •

---

ولويس كابين وفريد رباكو انايا سانشيز وجوزيه لويس زامبرانو واتناسيو جوتوليز  
وجيمس • ريتش الصغير وجبرارد وجوزمان ارانجو وفرانسييسكو اجويلرا مينديز  
وصمويل دى انفا الييفا ( من المكسيك ) ، والدكتور البريك بيريز اوليفارين والاستاذ  
توليو تشيوسوم والاستاذ جيرت كوميو ( من فنزويلا ) •

وقد وقع العبء الأكبر من التحضير لهذه الدراسة على السيد أ • ج يويات  
والسيد أ • اندرهيل من سكرتيرية الهيئة •

ومن حاصل القول أن الهيئة تتحمل المسؤولية الكاملة لآى من النقص أو الاخطاء  
التي قد تظهرها الدراسة • ولما كانت الدراسة قد استكملت فى نهاية صيف عام  
١٩٧١ ، وقوانين المرمات الشخصية تتطور بسرعة فى كثير من الدول ، فانه من  
المحتم أنه عند نشر هذه الدراسة ستظهر فى بعض نواحيها بعيدة عن الواقع •

نيال ماكديرموت  
السكرتير العام  
الهيئة الدولية لرجال القانون  
١٠٩ بودانت دى تشين  
١٢٢٤ تشين بوجيريز  
جنيف سويسرا

إن حماية الحرمات الشخصية ليست بالخاصية الجديدة لأهل القانون ، فقد ظهرت معالجات ضد المتصنتين والمتلصصين وضد الشائعات والاستهزاءات في النظم القانونية منذ العصور الوسطى .

إنما الجديد هو طبيعة ومدى التهديد للحرمات الشخصية في المجتمع الحديث، وذلك لما حققته التكنولوجيا الحديثة . وقد ظهر الاهتمام البالغ بهذه المشكلة في السنوات الأخيرة ، وكما سيظهر فيما بعد فإن العديد من الدول قد أدخلت أو هي في سبيل ادخال التشريعات لمقابلتها .

والهدف من هذه ادراسة هو مقارنة القوانين الحالية المتعلقة بالحرمات الشخصية في عشر من الدول المختلفة في درجات نموها وفي نظم قوانينها . وقد يمكن نتيجة لهذه المقارنة الوصول الى نتائج عن شكل الحماية القانونية التي تكون أثر فاعلية وعن نواحي الحرمات الشخصية التي غطيت بكفاية وتلك التي ما زالت في حاجة لمزيد من الدراسة .

ومن الدول المختارة اثنتان ، هما الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، لهما نظام « القانون العام » ، في حين أن بقية الدول لها نظام « القانون المدني » .

### ما هي الحرمة الشخصية ؟

يصعب تعريف شخصية حيث انها تعالج بعضا من العوامل الأساسية ، فإن كل فرد تقريبا يرغب في الاحتفاظ بجزء من حياته وأفكاره وانفعالاته وأنشطته خاصة لنفسه أو لمن يختارهم من أعضاء عائلته وأصدقائه . وتختلف الحياة الشخصية في مجال الحرمات الشخصية من فرد لآخر ومن مجموعة لأخرى ومن مجتمع لآخر ، كما تختلف حسب اختلاف الأعمار والعادات والثقافات ، ولكن برغم هذه الاختلافات فإن الرغبة عالمية في الاحتفاظ بالحرمات الشخصية .

وحتى زمن قريب كانت الحياة الخاصة للفرد محصورة فيما يفعله بين جدران بيته ، كما تحدد هذه الجدران الحدود بين حياته الخاصة والعامة . ولكن في وقتنا هذا وفي مجتمعنا المتكثف قد أصبح الفرد أكثر شفافية للآخرين حتى في مجال حياته الخاصة ، بل إن بعضا من أشد الأنشطة الخصوصية أصبحت تقريبا من العموميات ، وحتى الأنشطة الجنسية وهي أشد خصوصيات الفرد قد أصبحت من الاهتمامات العامة ، بل صارت أمرا وطنيا بالنسبة لبرامج زيادة النسل أو تحديدته .

إن الجو الذي يعيش فيه الناس وطريقة معيشتهم ووسائل حصولهم على المعلومات وأذواقهم وازدياد المشاركة في الحياة العامة كلها من العوامل التي تساعد على تعويم



الحد بين الحياة العامة والخاصة . وقد تعود الناس هذه الأمور وأصبح عاديا أن يرضخوا للأبحاث ويجيبوا على الأسئلة ويملأوا الاستمارات عن حياتهم الخاصة ، بل انهم قد يرضون بأن تصبح حياتهم الخاصة جزءا من انترفيه العام ، فبعض برامج التلفزيون هي كمثل لدى تطور التصوير العام للحرمان الشخصية .

كيف اذن نتقبل هذا التطوير للمجتمع الذى أصبحت فيه أحوال كل فرد هي من اهتمامات المجموع بحيث نحافظ على مجالات ضرورية لحرمان الشخصية ؟ هذه هي المشكلة للدفاع عن الفرد ضد العديد من طرق تخطى حرمانه الشخصية . وفى كتاب « حرمة الشخصية والحرية » يذكر . أ . ويستين : « ان الحرمة الشخصية للفرد هي قلب الحرية فى الدولة الحديثة .

وتبرز بعض الأسئلة الأساسية لرجال القانون المشتغلين بحماية الحريات وحقوق الانسان : هل وسائل الحماية متوافرة على المستوى القانوني لمقاومة الأخطار الموجودة أو المنظورة فى هذا المجال ؟ ما مدى الحرمان الشخصية التى تتطلب الحماية بالقانون ؟ هل هناك حقوق أو بعض من هذه الحقوق متوافرة للحرمان الشخصية ؟ وإذا توفر أحد هذه الحقوق فهل ينبع ذلك عن ازدياد كمية التهديدات لهذه الحرمان ؟ وإذا لم تتوافر بعد كامن قانوني مستقل فهل تقديمها فى الدول المختلفة يشمل اهتماما متزايدا أو قلقلًا وخاصة بالنظر الى التطوير التكنولوجي الذى يساعد عدم تجميع وتجهيز المعلومات عن الحياة الخاصة للفرد ؟ وإذا توافر هذا الحق فما هي قواعد الخروج عن هذا الحق المتوافرة والتي يجب توافرها فى سبيل الكشف عن الجريمة أو الأمن القومي ، وما هي الضمانات المتوافرة ؟

هذه هي بعض الأسئلة التى حاول الرد عليها رجال القانون من مختلف أنحاء العالم فى مؤتمرهم المنعقد فى ستوكهولم فى مايو عام ١٩٦٧ بدعوة من الجانب السويدي لهيئة رجال القانون الدولية .

وتنادى المادة ١٢ من الاعلان العالمى لحقوق الانسان :

« يجب أن لا يتعرض المرء لتدخل مفروض فى حرمانه الشخصية وعائلته ويجب ألا يتعرض لهجوم على شرفه وسمعته .

ودستور الأمم المتحدة عن الحقوق السياسية والمدنية اتبع ذلك فى نصه :  
« من حق كل فرد أن يحميه القانون ضد مثل هذا التدخل أو الهجوم » .  
وقد اقترحت أو أدخلت عدة تشريعات عامة فى كثير من الدول ، ولكن المحاولات قليلة من جانب المحامين للنظر الى الحرمان الشخصية عامة ومحاوله الرد على هذه الاستفسارات الأساسية حولها .

وقد تبنى مؤتمر ستوكهولم عددا من النتائج التى تحاول تحديد الأحقية لحرية الشخصية وحدودها وطرق الوقاية التى يجب تقديمها فى التشريع حتى يمكن تقرير

الحق المحدد لحماية الحرمات الشخصية ، وقد عرف المؤتمر حق الحرمات الشخصية هكذا :

هو حق المرء في أن يترك نفسه ليعيش حياته باقل درجات التدخل . ويعنى هذا حق الفرد في أن يعيش حياته في حماية ضد : ( أ ) التدخل في حياته الخاصة والعائلية والمنزلية ، ( ب ) التدخل في تكامل الفرد الجسماني والعقلي أو حديثه في مبادئه أو ثقافته ، ( ج ) لهجوم على شرفه وسمعته ، ( د ) أن يوضع تحت أضواء خادعة ، ( هـ ) بيان بعض المواقف المحرجة غير الهامة عن حياته الخاصة ، ( و ) استخدام اسمه أو شخصية مشابهة لشخصيته ، ( ح ) التجسس والتلصص والمراقبة ، ( ط ) مراقبة مراسلاته ، ( ي ) الاستخدام السيئ لاتصالاته الشخصية الكتابية والشفهية ، ( ك ) استخدام المعلومات المأخوذة أو المعطاة بواسطته في حالات الثقة المهنية .

ويستخدم هذا التعريف ، كما سيتبين في الجزء الخاص « بالتدخل في الحرمات الشخصية » ، كأساس في تصنيف النواحي المختلفة لقانون الحرمات الشخصية . ولم تؤخذ في الاعتبار في مؤتمر أستوكهولم فاحية هامة في هذا المجال تشكل - كما بعدها كثير من الناس - في احتمالاتها أشد الأخطار ، وذلك في استخدام تجميع وتخزين وتجهيز المعلومات الشخصية بواسطة الكمبيوتر وبنوك المعلومات . وقد بدأ التعرف على هذا الخطر في الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل العقد الماضي ، كما كان صلدور كتاب ويستين السابق ذكره في عام ١٩٦٧ مما أثار الاهتمام خارج أمريكا . وحتى الآن لا يوجد الا القليل من التشريعات عن الموضوع ، ولكن عددا من الدول أخذ يولييه اهتمامه .

وتبدأ هذه الدراسة بالرجوع باختصار الى الأعمال التي قدمت في هذا الحقل ، وخاصة في داخل الأمم المتحدة ، ثم مراجعة أهم ما يهدد الحرمة الشخصية في المجتمع الحديث بسبب التطوير العلمي والتكنولوجي ، ثم بتجديد بعض الأخطار المرتقبة من ازدياد استخدام بنوك المعلومات ووسائل المقترحة للحد من هذه الأخطار .

وفي الأجزاء التالية ملخص للاتجاه العريض في مشكلة الحرمات الشخصية في النظم القانونية لكل من الدول العشر المعنية ، وتنتهى بتقرير اختناج المستهدفة باقتراحات للمساعدة في تطوير القانون في هذا الميدان .

وسيتبين أن القوانين المتوافرة في هذا الشأن تحت الدراسة لا ترقى الى مستوى الاقتراحات التي قدمها القانونيون في مؤتمر أستوكهولم عام ١٩٦٧ . ومع أن معظم النظم التشريعية تحتوى على قواعد قانونية تهدف الى حماية النواحي المختلفة للحرمات الشخصية فإن هذه القواعد بعيدة عن التكامل . كما أن المعالجات لتطبيقها غير كافية ، وتوجد اختلافات بينة بين دولة وأخرى في الحماية المعروضة وبين النواحي المختلفة لتهديد الحرمات الشخصية .

## اثر التطوير التكنولوجي على حق الحرمة الشخصية

ان الركيزة الأساسية في الحرمة الشخصية هي أن الأفراد والجماعات يقررون بأنفسهم أي الجوانب يرغبون في الاحتفاظ بها شخصية وأي الجوانب يرغبون أو يقررون الكشف عنها للغير ( ويستين ص ٣٧٣ ) .

وكما يجب أن يكون من حق الأفراد والجماعات اختيار من يسرون إليهم بأموالهم التي لا يرغبون في نشرها على العالم يجب احترام هذه الثقة .

ولقد كان من نتائج الثورة العلمية توافر الأجهزة والمعدات الفنية التي يمكن استخدامها في التجسس على الآخرين وتسجيل المعلومات التي يرغبون في الاحتفاظ بها ، كما يمكن استخدام هذه الأجهزة في تخزين واعتماد وتجهيز مثل هذه المعلومات ونشرها على أوسع نطاق بسرعة وكفاءة لم يحلم أحد بمثلها من قبل .  
وواضح ما تحمله مثل هذه التطورات من تهديد جدي على الحرمة الشخصية للفرد . وهذا التهديد يزداد سوءا عندما لا يعلم الفرد نفسه بما يجري من جمع معلومات عنه أو استخدامها كما هو الحال في أغلب الأحيان .

وقد بدأ الاهتمام بهذه المشكلة في العقد الماضي في كثير من الدول ، حيث عبر الأفراد والمهنيون والهيئات الحكومية وغير الحكومية عن قلقهم في أوقات مختلفة ولقد كن المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان المنعقد في طهران عام ١٩٦٨ تحت إشراف الأمم المتحدة إحدى نقط التحول في هذا الموضوع ، حيث كان من قرارات المؤتمر التوصية بأنه :

« يجب على هيئة الأمم المتحدة الاضطلاع بدراسة المشكلات المتعلقة بحرية الإنسان والناجمة عن التطور العلمي والتكنولوجي ، وخاصة بالنسبة إلى :

أ - احترام الحرمة الشخصية بالنظر إلى أجهزة التسجيل .

ب - حماية الشخصية الإنسانية الجسدية والعقلية وتكاملها بالنظر إلى التقدم في الطب والكيمياء العضوية وعلوم الأحياء .

ج - استخدام الالكترونيات التي قد تؤثر على حقوق الشخص والحدود التي يجب وضعها عند استخدامها في مجتمع ديمقراطي .

د - وعموما التوازن الواجب اعتباره بين التقدم العلمي والتكنولوجي والتقدم الثقافي وأروحي العقل للإنسان » .

وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩ ديسمبر عام ١٩٦٨ القرار رقم ٢٤٥٠ ( ٢٣ ) عن حقوق الإنسان والتطور العلمي والتكنولوجي ، وهو يدعو سكرتير الأمم المتحدة أن يضطلع « بدراسة المشاكل المتعلقة بحقوق الإنسان والناجمة

عن التطور العلمى والتكنولوجى، استنادا الى الموضوعات الأربعة الواردة فى قرار مؤتمر طهران ، وأن يقدم تقريراً عن الدراسات التى تمت فى هذا الميدان الى لجنة حقوق الإنسان » .

وقد قدم سكرتير الأمم المتحدة تقريره المبدئى للاجتماع السادس والعشرين للجنة حقوق الإنسان . ويحتوى التقرير على مراجعة لطبيعة التهديدات للحرمان الشخصية للفرد وعلى الدراسات التى كانت قد بدأت عن الموضوع من الناحيتين الحكومية وغير الحكومية ، وعلى التشريعات التى اعتمدت أو قدمت عن هذه الموضوعات . وقد طلبت لجنة حقوق الإنسان بقرار رقم ١٠ (٢٧) من السكرتير العام للأمم المتحدة الاستمرار فى دراسته، كما طلبت من الهيئات الحكومية وغير الحكومية معاونته بإرسال جميع المعلومات المتعلقة بها ، كما قررت اعتبار الموضوع دائما فى جدول أعمالها .

### طبيعة التهديدات بالوسائل الفنية للحرمان الشخصية :

يقول ويستين :

تنقسم المراقبة الى ثلاثة أقسام عامة : الأولى للمراقبة الفعلية ، حيث تتم الملاحظة بواسطة أجهزة بصرية أو صوتية لأماكن وجود الشخص وأفعاله وأقواله أو كتاباته الخاصة، دون علم منه أو يعلمه قصداً . وهنا يقوم أكبر الخطر بالتكنولوجيا الحديثة على الحرمان الشخصية للفرد أو الجماعات . أما القسم الثانى فهو المراقبة النفسية، حيث تستخدم الاختبارات التحريرية أو الشفوية أو المعدات أو المواد للحصول على المعلومات الشخصية ، وهى عادة لا يعطىها المرء بمضى إرادته ، أو لا يعلم بأنه يكشف عنها عن تقديره الواعى بأهميتها لخصوصيات شخصيته . والقسم الأخير هو مراقبة البيانات وتجميع وتبادل والتعامل بوثائق المعلومات حول الأفراد والمجموعات عن طريق آلات تجهيز البيانات ( أساسا الكمبيوتر ) حيث انه لو تجمعت بيانات كافية ثم نسقت فإنه يمكن الحصول على معرفة معاملات الشخص معرفة تهدد حرمانه الشخصية .

وتبين أهمية القسم الأخير أن الحرمان الشخصية لا يمتد على شخص فقط بتجميع المعلومات من أحد الأفراد فقط ، ولكن كذلك بسوء استخدامها ، سواء تم الحصول عليها بصفة علنية أو خلسة . وفى الحالة الأخيرة - وهو ما لم يتوقعه أو يرغبه صاحب الشأن - بتحقيق الاعتداء على الحرمان الشخصية .

ويقول ويستين أيضاً :

« الحرمة الشخصية » هى حق الأفراد أو المجموعات فى أن يقرروا لأنفسهم متى وكيف وإلى أى مدى يمكن توصيل المعلومات عنهم لغيرهم . وإذا نظرنا الى الفرد

بالنسبة لعضويته للمجتمع فانه يمكن تعريف الحرمة الشخصية بانها الانسحاب الاختياري والمؤقت للفرد من المجتمع عامة ، جسمانياً أو نفسانياً ، سواء في حالة وحدة فردية أو مجموعة صغيرة متألّفة . وكذلك فانه بين المجموعات الكبيرة تتكون حالة من التحفظ أو التجاهل .

وواضح أن حق الفرد في أن يترك وحيداً كما يقول ويستين لا يمكن تحقيقه عندما يكون هناك خطر على حرمة الشخصية أو اعتداء عليها ، أى عندما يمكن الحصول على معلومات عنه بطرق غير سليمة بدون علم منه أو بعلمه ، ثم تستخدم في غير ما توقعه أو ارتآه وقت إعطائها .

### المراقبة البدنية

وأول أنواع الاعتداء على الحرمات الشخصية هو المراقبة البدنية للفسرد بالأجهزة البصرية والسمعية ، وهى طريقة العصر الحديث فى التصنت واختلاس النظر .

ومن الواضح أنه يجب تحديد مكان الفرد قبل مراقبته . وهنا تأتى التكنولوجيا الحديثة للمعاونة فى متابعة الشخص حيث يمكن وضع المواد الكيماوية والصبغات الفلورسنتا على جلد الشخص أو شعره أو ملابسه فلا يلاحظها أحد فى الضوء العادى، ولكن الرقيب يلاحظها بواسطة الأشعة فوق البنفسجية . كما أن استخدام جهاز دقيق من أجهزة الإرسال اللاسلكى بوضعه سرا بين ملابس الشخص أو سيارته أو نظارته أو جهاز معاونته على السمع أو ساعته أو بين حاجاته الأخرى يمكن الرقيب من تتبع الشخص وهو بعيد كل البعد عن نظره . وتوضع أيضاً المواد المشعة فى ملابسه أو حاجاته ويتبعه الرقيب بجهاز جيجر أو جهاز أشعار حساس .

### المراقبة بالأجهزة البصرية

يمكن رقابة الشخص أو أوراقه أو متعلقاته دون علمه بطرق مختلفة مثل :  
« المراقبة ذات الإزدواج المرئى » ، حيث يمكن مراقبة الشخص أو تصويره داخل إحدى الغرف خلال زجاج يظهر من الداخل أنه مرآة أو أنه زجاج غير شفاف .  
« الحواطط وفواصل الغرف » انتهى قد تظهر من الجهتين سليمة ومتماسكة فى حين يمكن المراقبة أو التصوير خلالها باستخدام الأشعة تحت الحمراء .  
أو ساعة الحائط ويمكن التصوير بها بإشارات إلكترونية من الخارج أو أوتوماتيكياً « آلات التصوير الدقيقة » التى يسهل إخفاؤها داخل المدفأة أو جهاز التلفزيون عند استخدام زر إضاءة الغرفة أو فتح أحد الأدراج .

« النواثر التلفزيونية العلقية » حيث يمكن تثبيت كاميرا تلفزيونية صغيرة تعطى مشاهدات مستمرة على جهاز استقبال فى مبنى آخر قريب ، وفى هذا المجال

قد تم تطوير بعض أجهزة الالتقاط بالياف ضوئية يمكنها من تطويع الضوء. في المنحنيات حول الأركان . وفي هذه الحالة يكفي بوضع هذه الألياف في انحراف المراقبة .

« أجهزة التصوير بأشعة تحت الحمراء » انتهى يمكنها التصوير في الظلام .  
« كاميرات تصوير دقيقة » على هيئة ولاعة سجانر أو علبة كبريت وبذلك يمكن التصوير بها في الأماكن العامة دون ملاحظة .

« إحدى عدسات التصوير البعيدة المدى » التي يمكن الحصول بها على صور واضحة على بعد مئة متر وصور يمكن التعرف عليها على بعد كيلو متر . وبعض الوثائق العادية يمكن تصويرها من هذا البعد ، كما يمكن استخدام هذه العدسات في الظلام مع الأشعة تحت الحمراء . وقد استخدمت القناصة في فيتنام بعضها على أهداف تبعد سبعة مئة متر في الظلام .

### المراقبة بالأجهزة الصوتية

يمكن الحصول على الأحاديث التليفزيونية بتوصيل أسلاك التليفونات داخل أو خارج المبنى الموجود به التليفون أو من السنترال العمومي للتليفونات . كما أصبح من الأمور العادية عدم المساس بالأسلاك التليفونية إطلاقاً وذلك بوضع ملفات كهربائية خاصة بعيداً عنها أو عن التليفون نفسه بيضعة أمتار . كما أنه يمكن الحصول على الأحاديث التليفونية بوضع جهاز صغير في جيب الرقيب وتسجيلها في غرف مجاورة للمكاتب أو الفنادق أو حتى من الشارع .

كما يمكن تسجيل الأحاديث العادية بأجهزة دقيقة كالميكروفونات التي توضع أسفل قطع الأثاث أو تلتصق مغناطيسياً بالقطع المعدنية أو تخبأ في التليفون أو جرس الباب وأجهزة التليفزيون والراديو والساعات وأقلام المكاتب وبروايز الصور وأجهزة الإضاءة والمرايا ومنافض السجائر أو أى شيء آخر في الغرفة . وهذه الميكروفونات قد يتم توصيلها بالأسلاك إلى أجهزة الاستماع أو التسجيل ، أو يمكن استخدام أجهزة إرسال لاسلكية ببطاريات دقيقة . وبعض هذه الأجهزة لا يصل حجمها إلى بوصتين مكعبتين . ويتوافر في الولايات المتحدة أجهزة أصغر من هذا في المتاجر وأجهزة الحكومة .

ويمكن وضع الميكروفون داخل ملابس الفرد وبذلك يمكن التصنت عليه حيثما ذهب ، ولو تمكن أحدهم من الوصول إلى معطف الشخص المراقب قبله بوضع دقائق لاستطاع استبدال أحد الأزرار بأخر يحتوي على الميكروفون وأجهزة الإرسال والبطارية . وقد أمكن استخدام أحد هذه الأجهزة بوضعها في كوبرى أسننان الشخص المراقب .

وفي هذا المجال أيضا يمكن استخدام الميكروفونات ذات القطاع الناقص وأشعة ليزر ، كما أنه يمكن تسليط الأشعة تحت الحمراء على زجاج إحدى الغرف فتدخل الأحاديث من داخل الغرفة الى ابعاد قد تبلغ أربعمئة متر عن طريق الذبذبات الضعيفة التي تحدثها الكلمات في زجاج الغرفة .

واحدى طرق التصنت خلسة تتلخص فى وضع جهاز صغير فى تليفون الشخص المطلوب مراقبته وعند طلب رقم هذا التليفون وبدون رنين الجرس يصبح التليفون ميكروفونا دون الحاجة الى رفع الساعة ، ويستمع بذلك ائرقب الى ما يدور من احاديث فى الغرفة من أى جهة من جهات العالم التى يمكن الاتصال منها أوتوماتيكيا بهذا التليفون .

وتستخدم أيضا الميكروفونات الموجهة فى التقاط الأحاديث الجارية فى غرفة مفتوحة النافذة ومن بعد ١٥٠ أو ٢٠٠ متر ومن أشخاص يتحدثون معا فى حديقة أو فى شرفة مطعم .

وتقدم هذه الأقلية القليلة الدليل على التقدم فى ميدان الملاحظة المباشرة للفرد وتهديد الحرمان الشخصية التى تقدمها هذه الأجهزة الحديثة .

ومن الصعب تقديم الدليل المادى على مدى استخدام هذه الأجهزة . ولكن ويستين قسم كثيرا من الأدلة التى تبين الملى الواسع لاستخدامها فى الولايات المتحدة الأمريكية لا بواسطة البوليس والمخابرات وسلطات الدفاع فحسب بل كذلك بواسطة المخبرين الخصوصيين ( وكثير منهم تم تدريبهم فى المصالح العامة ) لأغراض التجسس الصناعى والتجارى ، وأكثر من هذا فى مباحث الخصومات الزوجية .

ولا يشك أحد فى استخدام هذه الوسائل بواسطة السلطات الحكومية فى جميع بلدان العالم المتمددين . وكما سوف ترى فإن قليلا فقط من البلدان تحت الدراسة تضع الموضوع تحت حكم أو رقابة القانون .

ويزداد استخدام هذه الوسائل من المخبرين الخصوصيين . ويقول س . داش فى خطابه لجمعية القانون الأمريكية فى لندن ١٩٧١ ان استخدامها بواسطة هؤلاء يزيد عددا عن أعمال ائرقابة الرسمية فى الولايات المتحدة .

وهناك أيضا زيادة فى التشريعات الخاصة بالاستخدام الخاص للرقابة الشخصية المتلصصة ولكن كما سيتبين فإن وسائل العلاج غير كافية .

### المراقبة النفسانية :

كان أ . ويستين الوحيد الذى استكشف ووجه النظر الى خطر استخدام وسوء استخدام أجهزة كشف الكذب فى اختبارات الشخصية على الحرمة الشخصية . وقد طورت هذه الأجهزة أساسا لمساعدة البوليس على اكتشاف الجرائم .

وتقوم نظرية هذه الأجهزة على ان الكذب يحدث تغيرات واضحة يمكن قياسها من تأثير ردود الفعل الفسيولوجية وبواسطتها يمكن لمختبر الجهاز اكتشاف الأجوبة الكافية للأسئلة . وقد تطورت طرق استخدام هذه الأجهزة بدون علم الشخص موضع الاختبار بجلاسه في كرسى ذى مظهر عادى ثبتت داخله أجهزة لتسجيل أى تغيرات فى درجات حرارة الجسم أو تضخم فى الاعضاء أو التحركات العصبية ويقول ويستين :

« اختبار الشخصية هو استخدام الاختبارات التحريرية والشغوية لاكتشاف السلوك الشخصى للحكم على قوة الفرد النفسانية وخاصة للتنبؤ بطرق تعامله المستقبلية فى بعض المواقف مثل المركز الوظيفى ، ويختلف ( اختبار الشخصية ) عن اختبارات الذكاء، أو قوة التجهل لأنها ( تحاول ) قياس الانفعالات والتصرف ومستويات الانضباط الشخصى . وتشمل أيضا اختبارات الشخصية ، كما جرى العرف على اشتماله كذلك على أسئلة عن الأمور الجنسية والسياسية والدينية والعائلية .

وتشير أجهزة كشف الكذب واختبار الشخصية المشكلة المتعلقة بالحرمان الشخصية ، وهل يسمح لأصحاب الأعمال والحكومة بأن يطلبوا من الأفراد أن تتحسس داخلياتهم بواسطة الآلات أو مقاييس الاختبار ،

ويعطى ويستين تقريراً واقعياً عن استخدامات مثل هذه الوسائل فى المراقبة النفسانية بواسطة حكومة الولايات المتحدة ورجال الأعمال والمدارس . وفى ختام كتابه يصل الى النتيجة بأنه :

« وتزداد الحاجة الى مراجع تعدد وتحمى حق موظفى الحكومة فى التحرر من التهم غير المفعول على الحرمان الشخصية بواسطة رؤسائهم . وللحقيقة فإنه نتيجة لضغط الكونجرس والرأى العام قد تم الكثير فى سبيل احتواء استخدام سلطات الحكومة المركزية أو الولايات أجهزة كشف الكذب والاختبارات الشخصية ، هذه الأجهزة التى ما زالت تستخدم وبدون أى داع فى بعض حالات التوظيف الحكومى . كما لم توضع بعد الاجراءات الكفيلة لمراقبة الاستغلالات التى قد تكون لها ما يبررها » .

ويقترح ويستين منع استخدام هذه الأجهزة واختبارات الشخصية بالقانون الا فى الحالات القليلة المتعلقة بالأمن القومى والتعيينات التى تحتاج الى جهد خاص .

وقد بين دونالد ماديلك فى رسالته « التهم على الحرمان » انقلق الواضح فى بريطانيا عن استخدام اختبارات الشخصية فى الأغراض غير الطبية، وأوصى بوضع نظم لتحديد استخدام أصحاب الأعمال الاختبارات لانتهاك الحرمان الشخصية لموظفيهم .



ولا نعرف حتى الآن أى تشريع فى أى من الدول التى تشملها هذه الدراسة يختص بالمراقبة الذاتية سوى أن وزارة الدفاع الأمريكية قد وضعت تعليمات داخلية لاستخدام أجهزة كشف الكذب .

واحدى طرق التجم على الحرمات الشخصية بالوسائل النفسية هو الاعلانات المتخفية حيث تملن فى التلفزيون لوقت متناه فى القصر وباشارات ضعيفة فتؤثر على المشاهد دون وعيه ودون علمه بما تم ارسائه له . وقد منعت المملكة المتحدة الاعلان التلفزيونى بهذه الوسيلة بحكم القانون .

### مراقبة البيانات

يمكن الحصول على المعلومات المخزونة فى الكمبيوتر ذى نظام الخط الواحد المتعدد الطرق فى ثوان وبالطريقة المطلوبة للاستعمال فى أى مكان فى العالم اذا كان متصلا بالكمبيوتر تليفونيا . كما يمكن تبادل المعلومات بين كمبيوتر وآخر . والاتجاه الواضح تحت العوامل الاقتصادية هو توحيد النظم المختلفة لتخزين المعلومات .

ومن المتوقع أن معظم المعلومات المسجلة فى العشرين سنة القادمة ستكون مخزونة فى أجهزة الكمبيوتر ، ومن ثم فإن أكثر من نصف المكالمات التليفونية ستكون للاتصالات الى أو من او بين أجهزة الكمبيوتر .

وأجهزة الكمبيوتر ليست أرخص واكفا الوسائل العادية كالكتب والملفات فى تخزين المعلومات وتوفيرها ، بل انها تعمل بمعايير مختلفة تماما حيث يمكنها جمع وتجهيز وتوزيع المعلومات بمقياس لم يكن معقولا للآن .

وليس من الضرورى أن تكون الاجهزة انثى تسجل عليها هذه البيانات كبيرة فى الحجم ، فمثلا فى بعض أنواع الكمبيوتر التى تعتمد على اشعة ليزر يمكن تسجيل ما يوازي عشرين صفحة من المعلومات عن رجل وامرأة وطفل فى العالم على عشرة اشترطة طول كل منها ١٥٠٠ متر وعرضها ٢٥ سنتيمتر . كما أن علبه الكبريت يمكنها أن تحتوى تسجيلات لمعلومات الكمبيوتر تملأ مبنى كاتدرائية لو كانت مكتوبة على الورق العادى .

والقوائد التى تعود على الانسانية من تدفق المعلومات نتيجة لاستخدام الكمبيوتر فوائد كبيرة . وواضح ان هذه الاستخدامات ستستمر فى الزيادة بل انها ستسود الموقف فى بضع سنين حيث تصبح تقريبا كل المعلومات مسجلة للتخزين فى الكمبيوتر .

وهناك كثير من الأشكال التى تهدد بها أجهزة الكمبيوتر الحرمات الشخصية للفرد ، ولكن الأساس فيها ان من له مفتاح البيانات للكمبيوتر يستطيع تجميع كل

المعلومات المسجلة التي تكون غالبا شخصية وخاصة عن شخص معين بشكل لم يكن متاحا على الإطلاق من قبل .

وقد تعود الناس الإدلاء بكثير من المعلومات عن أنفسهم لأغراض معينة ، وكل بند منها قد لا يكشف الكثير ويقدمه الناس وهم على ثقة بأن من يحصلون عليها سيستخدمونها في الأغراض المطلوبة فقط . وإذا أمعنا الفكر فانه يمكن القول بأنه ليس من الممكن عمليا لأى شخص جمع مختلف المعلومات لتكوين صورة مهما كانت مهوزة عن الحياة والأنشطة الخاصة عن أى فرد . ولكن الكمبيوتر قد غير ذلك كله .

والأمثلة عن نوع المعلومات الشخصية التي تقدم للسلطات العامة تشمل شهادات الميلاد والزواج والوفاة والحالة الصحية والشهادات العملية والخدمة العسكرية وطلبات استخراج جوازات السفر وطلبات التوظيف وبيانات التأمينات الاجتماعية وطلبات انضرائب وطلبات جميع أنواع الرخص وشهادات تسجيل السيارات ودفاتر توفير البريد وحسابات البنوك وفواتير التليفونات . وتعتمد جميع هذه السجلات على معلومات اختيارية مقدمة من الفرد أو أقاربه، وهذا بخلاف ما يكون هناك من سجلات سرية جمعتها سلطات البوليس أو المخابرات . وهناك نوع ثان من السجلات المسونة للأغراض التجارية وتشمل حسابات البنوك وطلبات السلفيات وحسابات الكارت المفتوح وسجلات السفر التي تشمل شراء التذاكر وحجر الفنادق والتسجيل فى الفنادق عند الوصول . وهناك سجلات قد تتقدم بها أو تقوم بها بعض الهيئات الخاصة عن معلومات عن أشخاص تتعلق بقدراتهم المالية دون علمهم ، ثم تستخدم هذه البيانات تجاريا لمن يطلبها . وقد قام عدد من الهيئات فى الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام الكمبيوتر فى تسجيل الموقف المالى لأكثر من مئة مليون نسمة .

ويمكن لأى ممن يعملون على الكمبيوتر استخدام مثل هذه السجلات فى أغراض مختلفة تماما عما سجلت له وأولها لأغراض المراقبة .

ومن المشاكل الأساسية فى المراقبة أن تجد الشخص المطلوب ملاحظته ولكن استخدام الكارت المفتوح يوضح فى ثوان المكان الذى قدمه فيه صاحبه وأيضا يمكن الحصول على هذه النتيجة لو كانت سجلات الفنادق وأماكن الإقامة العامة متصلة بأجهزة الكمبيوتر . ويمكن اعداد « ملف معكوس » فى دقائق من مثل هذه السجلات وعن أماكن سفريات الشخص فى فترة معينة وأين أقام ومع من وأنواع المشتريات وأماكن شرائها وهكذا .

وكما بين ج . ب . ف . نبيل فان الكمبيوتر له « القدرة » لإعادة تجهيز كميات كبيرة من المعلومات ( كل فرع منها منفصل غير ضار ) الى أنواع جديدة من المعلومات قد تكشف أكثر مما أريد لها أن تكشف .

وعلاوة على ذلك فإن العلاقة التي قد تبنى على معلومات مختلفة عن شخص ما قد تستخدم في الحكم عليه حكما خفيا لا يمكن استثنائه ، وباعتقاد أنه صحيح وغير قابل للخطأ اعتمادا على أنه مبنى على استخدام الكمبيوتر . والحقيقة ان المعلومات المستخدمة قد تكون غير دقيقة أو قديمة أو بدون معنى ، وبذلك فإن النتيجة النهائية هي أن نصل الى واحدة من « الصوفية العلمية » .

ويرى بعض الكتاب خطر التدخل الجدى في تطوير شخصية الفرد ، ذلك الخطر الناتج عن طريقة « تمثيل الفرد » فى الكمبيوتر ، حيث قد يضطر الفرد الى تغيير شخصيته الحقيقية حتى يمكن ملامتها مع الموقف الجديد ، فيتصرف لا كما يرغب فعلا بل كما يعتقد أنه مطلوب منه بطريقة « علمية » أو موضوعية . كما أن هناك خطورة أخرى هي احساس الفرد بماضيه أكثر من احساسه بمستقبله . وبمثل هذا التسلسل على الحياة الخاصة للفرد قد يصل بنا الأمر الى تلوث حقيقى لشخصية الانسان .

ويلخص ارثر ميلر جيدا هذه المتاعب فيما يلى :

« ان الكمبيوتر بشرايته التي لا تشجع للمعلومات وصورته فى علم قدرته على الخطأ وعدم امكانه نسيان أى شئ ، وضع فيه قد يصبح القلب لنظام رقابى يحول مجتمعنا الى عالم شفاف نرقد غارية فيه بيوتنا ومعاملاتنا المالية واجتماعاتنا وحالتنا العقلية والجسمانية لأى مشاهد عابر » .

وتتلخص الأخطار الأخرى على حرماننا الشخصية من بنوك البيانات الالكترونية ( الكمبيوتر ) فى حدوث أخطاء سواء عند تغذية الكمبيوتر بالمعلومات أو عند إعادة تنظيمها أو « تقويمها » ، أو ببساطة أخطاء ناتجة عن اعطال ميكانيكية أو كهربائية . ومن صفات الكمبيوتر انه من البساطة تغيير البيانات عند التغذية دون اكتشاف ، وهو ما لا يحدث عند حدوث أى تغيير فى السجلات العادية .

ومن حيث المبدأ فإن هناك طرقا عديدة بخلاف القوانين الرادعة لحماية الفرد من تلك الأخطار أو التقليل من آثارها . وتشمل هذه الطرق وضع مستويات مهنية طبية وتركيب أجهزة أمان واختيار وسائل أمن ادارية . ولكن من المؤسف فإن ما يجرى الآن يحتاج الى كثير من هذه الرغبات .

وقد ظهرت عدة محاولات فى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لوضع لائحة أو لفة مهنية للعاملين فى برامج الكمبيوتر ، ولكنها لم تتعد كثيرا مرحلة الاستدلال . وما زالت الأبرمجة احترافا غير منظم أو وثيق . وهذا أمر خطير لا لأنهم يتناولون معلومات سرية فى عملهم بل لعدم وجود الاستقرار فى عملهم المطلوب كضمان

احترام السرية • وكمثل صارخ فى عدم الاهتمام بالحرمان الشخصية فى عالم الكمبيوتر ما حدث فى الولايات المتحدة لاحدى هيئات نظام انبيانات عندما أنهت أعمالها فعرضت للبيع بأعلى سعر محتويات معلوماتها عن ثلاثة ملايين مواطن •

وتوجد وسائل تكنولوجية لمراجعة « سلامة » النظام ومراقبة دخول المعلومات ( كاستخدام مقاتيخ للكلمات ) • ومراقبة تجهيز المعلومات • وكثير من هذه الوسائل كثيرة التكاليف، وتحتاج الى معدات معقدة ، من غير المحتمل استخدامها الا بالاضطرار •

وقد أعد ف • ج • م • لافر قائمة بالضمانات الادارية التى يمكن استخدامها كمقياس فى استخدام الكمبيوتر للمعلومات الشخصية •

ويقترح أن يقوم استخدام استشارى مستقل بتقرير مدى الاحتياج الى المعلومات وصلاحيه الضمانات قبل الموافقة على استخدام البيانات الشخصية بالكمبيوتر • كما يقترح أيضا استخدام علامات بدلا من الأسماء والعناوين الحقيقية ، وكذلك يقترح ازالة المعلومات الشخصية كل فترة معينة لا تزيد على عشر سنوات • وعلى مدى علمنا لا يوجد تطبيق لمثل هذه النظم الادارية فى أى من الدول تحت الدراسة أو أى دولة أخرى •

### الضمانات القانونية

تقع كثير من الأخطاء المحيطة بالحرمان الشخصية للفرد الناتجة عن استخدام بنوك المعلومات تحت طائلة القوانين الخائية ولكن التشريعات المنفذة قليلة فيما يختص بالكمبيوتر فى الدول تحت الدراسة •

وتوجد قوانين فى كثير من الدول تحرم على الموظفين العموميين افشاء المعلومات والأسرار دون ترخيص ، مثل قانونى الأسرار الرسمية فى ١٩١١ والضرائب والادارة فى ١٩٧٠ فى المملكة المتحدة • كما أن التشريع الجديد الذى يتيح الخدمات المتعلقة بتجهيز البيانات يفرض على العاملين بمصلحة البريد التى تقدم هذه الخدمات واجب الكتمان ويعرضهم لعقوبة انسجن الى مدة أقصاها سنتان فى حالة افشاء هذه الأسرار دون ترخيص • وكذلك فإن المادة ٢٦٨ من قانون العقوبات لألمانيا الفيدرالية المطبق من أزل سبتمبر عام ١٩٦٩ توفر الحماية للحرمان الشخصية فى أجهزة المعلومات الآتوماتيكية •

وفى الولايات المتحدة يغطى قانون تقرير التسليفات العادنة ١٩٧١ نشاطات من يقدمون تقارير عن المقدرة فى حالة التسليف ، ويمنح الحق للفرد الذى تم تقديم تقرير فى غير صالحه أن يعلم بمثل هذا التقرير وله الحق فى دراسة البيانات المتعلقة به وتصحيح ما بها من أخطاء •

وجمهورية ألمانيا الفيدرالية هى الدولة الوحيدة التى أوجدت تشريعاتها عن بنوك المعلومات •

ويفرض قانون ٧ أكتوبر ١٩٧٠ - المعروف بقانون هيسين لحماية انبيانات

حماية مزجوجة على بنوك البيانات • أولا يقضى بجمع ونقل وتخزين السجلات والبيانات بطريقة لا تسمح لغير المرخص لهم بالحصول على استشارات منها أو تغييرها أو استخلاصها أو اعدامها • وثانيا يفرض السرية على الأشخاص المسؤولين عن تحضير ونقل وتخزين أو اعداد التجهيز الآلى للبيانات. ويعد مخالفة أى افشاء المعلومات سواء كان هذا مقصودا أو نتيجة للاهمال • ويحق للجهة التى وقع عليها الضرر ان تطلب تصحيح البيانات الخاطئة • كما يحق للفرد الذى اعتدى على حقوقه نتيجة للحصول على البيانات أو تغييرها أو اعدامها أو استخلاصها بدون وجه قانونى وقف الاستمرار فى مثل هذه الأعمال •

وتطبيقا لهذا القانون تم تعيين قاض لحماية البيانات ، وهو مسئول عن تنفيذ مواد القانون • وهو يقوم حقيقة بدور المصد فى المشكلات المتعلقة بأعمال بنوك المعلومات • ويستطيع أن يبادر باتخاذ اجراء ما أو يتقبل السلطات المسئولة عن أى فرد يرى انه قد اعتدى على حقوقه • ويقع عليه واجب تبليغ السلطات المسئولة عن أى خروج على القانون وتقرير ما يراه من وسائل بشأن تحسين حماية ابيانات • ويقدم تقريرا سنويا للبرلمان ورئيس الوزراء •

ومن المعروف ان عددا من الدول تدرس احتمالات مثل هذا التشريع ومنها كندا والدانرك والنرويج والسويد والمملكة المتحدة • وقدم أحد أعضاء برلمان المملكة المتحدة مشروع قانون خاص •

وقانون هيسين قانون شامل بدرجة ملحوظة ويحتوى على البنود الآتية :  
أ - فرض واجب حماية الثقة أو السرية فى طريقة تشغيل جميع بنوك البيانات •

- ب - فرض واجب السرية على العاملين مع العقوبة للمخالفات •
- ج - تطبيق فعال واجراء للشكاوى عن طريق قاضى حماية البيانات •
- د - اعطاء الفرد حق تصحيح الاخطاء •

وهناك ملاحظة هى أنه لا يظهر حق للفرد لمعرفة ما يسجل عنه حيث أن « حق التصحيح » قد لا يكون فعالا بدون توازى وجود « حق المعرفة » •

وأخيرا فانه من الجدير بالذكر ان اتحاد المحامين الدوليين قد وضع للمجلس الأوروبى مشروع قانون مثالى عن حق الحرة الشخصية يتناول مشكلة البيانات المتعلقة بالحرمة الشخصية والتى تشمل تخزين وسرقة وسوء استخدام البيانات ونشرها •

والأمل فى ان التقارير المعدة على مستوى الحكومات نتيجة لقرار الجمعية العمومية للامم المتحدة ٢٤٥٠ ( ٢٣ ) ورد الحكومات قد تستخدم كأساس لاعداد دستور عالمى لحماية حقوق الانسان ضد الأخطار المترتبة على التطور العلمى والتكنولوجى تطبيقا للقرار ٢٤٥٠ ( ٢٣ ) الذى يقرر « أن هذه الدراسات قد تستخدم كأساس لتقرير أنماط ملائمة لحماية حقوق الانسان وإشعريات الاسامية » • ولن يمكن توفير الحماية القانونية الكافية الا عن طريق دستور دولى بتأكيد عدم استخدام الوسائل التكنولوجية فى عزم الحقوق ائقانونية للانسان •

# حق الحرية الشخصية

## دراسة مقارنة لقوانين عشرة بلدان

### المكسيك

#### التشريع الوطني والنصوص الخاصة بحماية حق الحرية الشخصية

يقر التشريع المكسيكي منذ أمد بعيد حق الحرية الشخصية أو حق الفرد في أن تكون له حياته الخاصة . وأشارت الى ذلك على وجه الخصوص المادتان ١٤ و ١٦ من دستور الولايات المتحدة المكسيكية الصادر في ٥ فبراير سنة ١٩١٧ . وهاتان المادتان اللتان استوحاهما الى حد كبير دستور الولايات المتحدة الأمريكية ، تاننا موجودتين بنفس عبارتهما تقريبا في الدستور المكسيكي السابق الصادر عام ١٨٥٧ ( المادتان ١٣ و ١٤ ) .

وتنص المادة ١٤ من دستور ٥ فبراير سنة ١٩١٧ على أنه :

« لا يجوز حرمان أى شخص من حياته أو حريته أو ممتلكاته أو امتعته أو حقوقه الا بناء على اجراء قضائي يصدر من محكمة قائمة ، على أن يتم ذلك وفقا للاجراءات القانونية المشروعة وبمقتضى القوانين المعمول بها قبل ارتكاب الفعل الموجب لاتخاذ هذا الاجراء القضائي » .

## ترجمة : المستشار أحمد محمد غنيم

مخرج في كلية الحقوق عام ١٩٤٧ ، والتحق عقب تخرجه بسلك القضاء ، فعمل وكيلا للنياية ثم قاضيا ، فرئيسا للنياية ، وعين منذ ١٩٦٩ محاميا عاما ، ويتولى الآن سكرتيرية تحرير مجلة القضاة • له مؤلفات عدة قانونية واقتصادية وتاريخية منها : «تطور الملكية الفردية» • «تطور الفكر القانوني» • «اليهود والحركة الصهيونية في مصر» • وقد أسهم في وضع موسوعة الهلال الاشتراكية ، وترجمة كتاب «الدولة في النظرية والتطبيق» لهارولد لاسكي •

---

وتنص المادة ١٦ من دستور ٥ فبراير سنة ١٩١٧ على أنه :

« لا يجوز ازعاج أى شخص فيما يتعلق بشخصه أو عائلته أو مسكنه أو مستنداته أو أمتعته الا بناء على أمر كتابي صادر من السلطة المختصة التي يتعين عليها أن تضمن هذا الأمر السند القانوني الموجب لاصداره » •

ومع أن هاتين المادتين تشيران في المقام الأول الى الأصل الدستوري للإجراءات المتبعة لحماية الفرد ، التي تعتبر سمة مميزة لتشريعات أمريكا اللاتينية عامة ، الا أن النص هنا صراحة على الحماية الممنوحة للفرد ليست له أهمية في ذاته • بل قد يبدو من قبيل المغالاة مجازاة بعض رجال القانون في وصفهم هاتين المادتين بأنهما مادتان فريدتان نظرا لما تمنحانه للفرد من حقوق ، ذلك أن أعمال هاتين المادتين يتوقف أساسا على التشريعات التفصيلية التي تجعلها نافذة المفعول • ولا مرأ في انه من الواضح أن كلمة « ازعاج » يمكن تفسيرها تفسيراً واسعاً بحيث تكون ملائمة تماما لحماية الحرمة الشخصية • وفي الوقت نفسه لا تضيق من مجال تطبيق هذه الحماية ، على خلاف الحال لو أنها كانت كلمة أخرى أكثر تحديدا • ولما كانت كلمة « ازعاج » قد أصبحت تعنى وفقا لما جرى عليه القضاء المكسيكي « تعرض الفرد للتدخل

فى شؤونه الخاصة فقد أصبح من الممكن الآن أن يتسع مجال تطبيق فكرة التدخل بحيث يعنى أى فعل يمكن فرضه فرضا على أمور المرء الشخصية ، سواء عليه فى ذاته ، أو فى علاقته بالآخرين ، أو بوضع قيد غير مشروع أو لا سند له من القانون على ممارسته لحقوقه الشخصية » .

هذا بالإضافة الى أن المادة ١٦ توجب تقديم الأمر الصادر من السلطة المختصة لمن يتخذ الاجراء حياله ، على أن يكون الأمر متضمنا السند القانونى الموجب لهذا الاجراء وموقعا عليه ممن أصدره .

ويجوز للفرد فى حالة خرق أى من هذين الشرطين المنصوص عليهما فى المادة ١٦ أن يتظلم الى المحكمة الفيدرالية طالبا حمايته ، فضلا عن حقه ، وفقا لقانون العقوبات فى أن يقيم دعوى مدنية للمطالبة بالتعويض .

وقد ذهبت المحكمة العليا فى حكم حديث لها الى أن المقصود بإيضاح السند القانونى الذى يجب أن يتضمنه الأمر المخول لهذه الاجراءات قبل شخص ما هو إبراز العناصر التى يمكن بمقتضاها الربط بين الوقائع المينة المحددة ، وبين النص القانونى المنطبق عليها . ويعتبر مخالفا لأحكام المادة ١٦ سאלفة الذكر خلو الورقة الرسمية المتظلم منها من أحد بياناتها الجوهرية كخلوها من اىضاح الأسباب الحقيقية لاتخاذ الاجراء ، أو خلوها من تحديد صفة الشخص المسئول عن اصدارها .

### تعريف عام لحق الحرمة الشخصية

لم يضع القانون المكسيكى تعريفا محددا لحق الحرمة الشخصية ، الا أن دستور الولايات المتحدة المكسيكية قد تناول فى المواد من ١ الى ٢٨ عددا من القواعد المتعلقة بحقوق الفرد . وتعرض هذه المواد أساسا للحقوق المتعلقة بحماية الحرمة الشخصية ولا بد أن نؤكد هنا مرة أخرى أن حق الحرمة الشخصية واحترام حياة الفرد الخاصة . يستند فى المكسيك كما فى أغلب بلدان أمريكا الشمالية والجنوبية الى قاعدة دستورية أساسية .

### النصوص الخاصة

يستمد حق الحرمة الشخصية حمايته أساسا من الدستور . وقد تبنى قانون العقوبات بعض نصوص الدستور ووسعها على حين خلا القانون المدنى المكسيكى من أية نصوص فى هذا الصدد .

وللمواد ٧ و ١٦ و ٢٥ و ٢٦ من الدستور أهمية خاصة ، فهى تناول احترام الحرمة الشخصية بالنسبة لحرية الصحافة ( المادة ٧ ) ، ولافعال ازعاج الشخص ( المادة ١٦ ) ، وسرية المراسلات ( م ٢٥ ) ، وحرمة المسكن ( المادتان ١٦ و ٢٦ ) .



وتتناول الفقرة الأولى من المادة السابعة حرية الكتابة والنشر بغير رقابة ، وتنص على أن :

« حرية الكتابة والنشر في أى موضوع مصونة فلا يجوز سواء بواسطة القانون أو بقرار من السلطات فرض الرقابة عليها ، أو وضع قيود على المؤلفين ، أو خرق حرية الصحافة ، ما دام ذلك لا يخل بحق الحرة الشخصية وبالأخلاق العامة والنظام » .

وتنص المادة ٢٥ على أن :

« المراسلات البريدية لا يجوز فحصها ، ويعاقب القانون على خرق سريتها » .

أما المادة ١٦ السابق الإشارة إليها فهي ترمى المبدأ العام لحرة المسكن ، اذ تنص صراحة على انه لا يجوز ازعاج الفرد في مسكنه . على حين تناولت المادة ٢٦ على وجه الخصوص حرمة مساكن أفراد القوات المسلحة فنصت على أنه لا يجوز قانونا في غير أوقات الحرب انتهاك هذه الحرمة الا بموافقة مالك المسكن » .

وعلى ذلك فمن الممكن القول بأنه لا يوجد تقنين مستقل في التشريع المكسيكي يعالج الحرمة الشخصية وإنما تناولت ذلك نصوص خاصة تنطبق على حالات معينة . وهي تستند أحيانا على مواد الدستور ، وأحيانا أخرى على مواد قانون العقوبات التي هي في جوهرها أعمال لمواد الدستور ، وهذا أمر واضح الفهم بالنسبة للمكسيكي باعتبارها دولة فيدرالية توجد فيها تقنينات محلية ، ولهذا فمن الضروري أن يخوض الدستور في مجالات معينة لكي يكفل ويؤكد بعض المبادئ القانونية الأساسية على مستوى الأمة بأكملها . ولا يفوتنا أن نذكر أن المادة ١٦ من الدستور باعتبارها مبدأ أساسيا للنظام القانوني المكسيكي قد نصت عليها أغلب الدساتير الفيدرالية ، كما نصت هذه الدساتير كذلك على عدد من مواد الدستور التي عالجت حق الحرمة الشخصية . وينطبق هذا بدوره على قانون العقوبات .

وقد وسعت المادتان ١٠٣ و ١٠٧ من الدستور من مجال تطبيق المادة ١٦ سالفة الذكر ، فقد تناولتا الحق الممنوح للأفراد ، الذي يخول لهم الاتجاه الى القضاء في حالة الاعتداء على حرياتهم الشخصية وهو الاجراء المعروف باسم أمبارو Amparo

وتنص الفقرة الأولى من المادة ١٠٣ على أن :

« المقصود بهذا الاجراء هو فض أى نزاع يمكن أن ينشأ نتيجة لأى قانون أو قرار تصدره السلطات يشكل اعتداء على حقوق الفرد » .

ونظرا لأن مواد قانون العقوبات هي التي تمنح فاعلية لأغلب الحقوق التي نص عليها الدستور ، في حين أنه لا يوجد نص عام ( كما هو الحال في أغلب بلدان القانون المدني ) يعالج من الناحية المدنية مخالفة أحكام قانون العقوبات ، فان مثل

هذه الاجراءات القانونية المستخدمة في حماية حق الحرية الشخصية تبدو اما ذات طبيعة دستورية أو جنائية .

## فنزويلا

### التعريف العام لحق الحرية الشخصية :

لا يوجد في قانون فنزويلا تعريف عام لحق الحرية الشخصية . كما لا يوجد تعريف للطبيعة القانونية للقواعد التي تحمي هذا الحق . وقد نص عليه الدستور في عبارات عامة ، ولم يحظ بعد ذلك بأي تطوير .

وتعتمد حماية الحرية الشخصية في جانب منها على بعض النصوص التي يتضمنها الدستور ، وهي نصوص تتسم بالعمومية ، وذات أثر محدود من الناحية العملية . كما تستند من ناحية أخرى على نصوص القانون المدني وقانون العقوبات . وتعتبر هذه النصوص ملحقه بالقواعد القانونية الأخرى ، ومن ثم فانها تبدو فيما تسبغه من حماية قاصرة الى حد ما .

### القانون الدستوري

ينص القانون صراحة في عبارات عامة على حماية الحقوق الفردية ومن بينها الحرية الشخصية .

وتضم الحقوق الفردية التي يكفلها صراحة الدستور : حق الفرد في الحفاظ على شرفه وسمعته وحرمة شخصيته ( مادة ٥٩ ) ، وحق الحرية والأمن ( مادة ٦٠ ) ، وحق الحرية الدينية وتحريم كل صور التمييز العنصري ( مادة ٦١ ) ، وحرمة المسكن ( مادة ٦٢ ) ، وحرمة المراسلات ( مادة ٦٣ ) ، وحرية التحرك اولانتقال ( مادة ٦٤ ) ، وحرية العبادة ( مادة ٦٥ ) ، وحرية القول والكتابة ( مادة ٦٦ ) . وحق الوقاية الصحية ( مادة ٧٦ ) .

وتنص المادة ٥٩ من الدستور على أن :

« لكل شخص الحق في الحماية من كل اعتداء على شرفه وسمعته وحياته الخاصة » .

وكفالة هذه الحقوق من المفروض أن تتحقق وفقا للمادة ٤٩ من الدستور بالاجراء المنصوص عليه فيها الذي يتيح للفرد اللجوء للقضاء عند الاعتداء على حرياته الشخصية .

وتنص المادة ٤٩ على أنه :

« تحمي المحاكم وفقا للقانون كافة المقيمين في الجمهورية في تمتعهم وممارستهم.

الحقوق والضمانات التي يمنحها الدستور • وتنظر الدعوى التي تقام لتنفيذ ذلك على وجه الاستعجال ، ويكون للقاضي المختص السلطة بأن يعيد مباشرة الحال الى ما كان عليه قبل وقوع الاعتداء على الحقوق » .

وتنص المادة ٥٠ على أن لا تقتصر اقامة هذه الدعوى على الحالات المتعلقة بالحقوق والحريات التي كفلها الدستور ، بل تشمل عموما كل ما يتعلق بالحقوق الانسانية الطبيعية • وتقول هذه المادة :

« ان تعدد الدستور للحقوق والضمانات لا يعنى انكار الحقوق الانسانية والطبيعية والضمانات الأخرى التي لم ينص عليها صراحة • ولا يحذر من ممارسة هذه الحقوق علم وجود قانون ينظمها » .

ومع الأسف لم يصدر تشريع اجرائي ينظم أعمال هذا النص الدستوري العام • وقد ذهبت المحكمة العليا في حكم حديث لها بتاريخ ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٠ الى أن :

« المادة ٤٩ من الدستور هي نص عام بطبيعته ، يعتبر اعماله من اختصاص الكونجرس ، وهو الهيئة المسئولة عن كفالة احترام الضمانات الدستورية » •

ويكشف هذا الحكم عن انه لا يوجد في فنزويلا تشريع يحدد كيفية اقامة تلك الدعوى أو الجهات القضائية المختصة بنظرها • وعلى هذا الأساس يكون نص المادة ٤٩ هو مجرد نص عام على مبدأ لم تتحدد وسيلة تنفيذه بقانون معين •

وقد أمكن سد هذه الثغرة في القانون الى حد ما باجراء مؤقت نصت عليه المادة ٥ فقرة « أ » من دستور عام ١٩٦١ • وتمنح هذه المادة الأفراد الحق في ممارسة الاجراء المعروف بالهابياس كورباس ( أى المعارضة أمام القضاء في الاجراءات المقيدة للحرية الشخصية ) ، وذلك الى أن يتم اصدار قانون خاص يحكم الدعوى المنصوص عليها في المادة ٤٩ •

وتنص المادة ٥ فقرة « أ » على ما يلي :

« لكل من سلبت أو قيدت حريته الشخصية المخالفة للضمانات التي يكفلها الدستور الحق في أن يقيم دعوى الهابياس كورباس أمام قاضي المحكمة الجزئية المختص بالقضايا الجنائية التي يقع في دائرتها المكان الذي ارتكب فيه الفعل موضوع الدعوى ، أو محل اقامة المدعى » •

وسنرى فيما بعد أن دعوى الهابياس كورباس لا تنطبق الا على الحرية الشخصية ومن ثم فهي لا تمس باقى الضمانات الدستورية التي تزعم أن تغطيها الدعوى المنصوص عليها في المادة ٤٩ •

ويستفاد من هذه النصوص أنه لا يوجد علاج فعال لاعمال حق الحرمة الشخصية العام الذي أعلنه الدستور •

## القانون المدني

تعتبر المادتان ١١٨٥ و ١١٩٦ اللتان تعالجان بصورة عامة المسؤولية الشخصية ، هما الجزء الوحيد في القانون المدني الذي يمكن الركون اليه في الدفاع عن حق الحرمة الشخصية .

وتنص المادة ١١٨٥ على أن :

« كل من يتسبب بغير قصد ، أو نتيجة إهمال أو عدم احتياط ، في أحداث ضرر أو خسارة للغير ، يلزم قانونا بإصلاح هذا الضرر . وكل شخص يتجاوز فيه ممارسته لحقوقه الحدود التي يتطلبها حسن النية ، ويستلزمها تحقيق الغرض الذي من أجله كفلت هذه الحقوق ، على نحو يسبب ضررا أو خسارة للغير ، يلزم بإصلاح الضرر أو الخسارة » .

وتشير المادة ١١٩٦ من القانون المدني الى ان تفسير الالتزام بدفع التعويض اصلاحا للضرر الذي يرتكبه المدعي عليه يجب أن يكون تفسيراً واسعاً بحيث يشمل التعويض عن كافة أشكال الضرر المعنوي أو المادي الناجم عن الفعل غير المشروع . وتعطى هذه المادة للقاضي الحق في أن يقضى بالتعويض اذا ما ثبتت ادانة المدعي عليه لارتكاب أحد الأفعال التالية : الاعتداء على كرامة أحد الأفراد ، إيذاء أحد الأشخاص بدنيا ، الاعتداء على سمعة الفرد أو عائلته ، الاعتداء على الحرية الفردية ، انتهاك حرمة المسكن ، انتهاك السرية . وفي حالة وفاة المدعي اذا كانت الوفاة قد حدثت نتيجة الفعل غير المشروع يكون للقاضي أن يحكم لأقارب المتوفى بالتعويض عما عانوه من آلام .

ولا شك أن النص صراحة على التعويض عن الضرر المعنوي الذي ينشأ عن فعل غير مشروع له أهميته في حالات الحرمة الشخصية التي لا تنجم عنها في أغلب الأحيان أية خسارة مالية . غير أنه يجدر القول بأن هذه النصوص لا توفر الحماية الملائمة لحقوق الفرد ، كما أن القانون المدني لم يوفر علاجاً معيناً ضد الاعتداء على الحرمة الشخصية . وقد رأينا من قبل أن أعمال النصوص التي تضمنها الدستور يتطلب إصدار القوانين المناسبة التي تحدد الاجراءات الكفيلة بتطبيق نصوص الدستور المتعلقة بحقوق الانسان الأساسية .

## قانون العقوبات

ان ما يضمنه قانون العقوبات من اجراءات تنطبق بشكل غير مباشر على حق الحرمة الشخصية ( على نحو ما سنتناوله في القسم التالي ) هو اجراءات عسيرة . كما ان النص على منح التعويض للمجني عليه عن الاضرار التي لحقت به ليس نصاً كافياً وعلى الأخص بالنسبة للاعتداءات على الحرية الشخصية بواسطة استخدام الاختراعات التكنولوجية الحديثة في جمع المعلومات واذاغتها .

## الارجنتين

لا يتضمن القانون الارجنتيني أى تعريف لحق الحرمة الشخصية بالذات ، او تعريف للطبيعة القانونية للقواعد التى تحمى الحرمة الشخصية . والقاعدة الوحيدة التى يمكن أن يكون قد تأسس عليها هذا الحق هى المادة ١٩ من دستور عام ١٩٥٣ لجمهورية الأرجنتين التى تعترف للفرد بحق « المجال الخاص » . وتنص هذه المادة على ما يلى :

« ما دامت تصرفات الفرد الخاصة لا تهدد النظام العام أو الاخلاق ، أو تسبب ضرراً للغير ، فهى أمور متروكة لله وحده ، ولا تدخل فى اختصاص القضاء » .  
ومع أهمية هذا المبدأ ، الا انه من الصعب القول بأنه يضع تعريفاً « للمجال الخاص » الذى يعنينا هنا . وفى الأرجنتين كما هو الحال فى معظم الأنظمة القانونية الوطنية ، لا يوجد قانون خاص لحماية حق الحرمة الشخصية ، ولا توجد غير نصوص خاصة تضمها مختلف القوانين ، من الممكن أعمالها فى حماية هذا الحق .

### النصوص المميزة

برغم أن العديد من نصوص قانون العقوبات يغطى صوراً معينة من الحرمة الشخصية ، الا ان هذه النصوص لم تتناول أحدث الوسائل المهددة للحرمة مثل الحاسبات الالكترونية ، ووسائل الاتصال الجاهزية .  
ويأخذ القانون المدنى فى المادتين ١٠٧٧ و ١٠٧٨ بمبدأ المسؤولية المدنية عن أى ضرر يسببه فرد للغير ، وتسمح هاتان المادتان بإقامة الدعوى لاصلاح الضرر .  
وتنص المادة ١٠٧٧ على أن :

« كل اعتداء يقع ، يوجب اصلاح الضرر الذى يصيب الغير من جرائه » .  
وفى هذه الحالة يتعين اثبات ان الفعل يشكل اعتداء جنائياً . وتقضى المادة ١٠٧٨ بأن لا يقتصر الالتزام باصلاح الضرر الناجم من فعل غير مشروع على الخسائر المالية ، بل يشمل التعويض عن أى ضرر أدبى يلحق بالمجنى عليه .  
وسنرى كيف تستخدم هاتان المادتان فى كثير من الأحيان فى مجال حماية حق الحرمة الشخصية نظراً لعدم وجود نصوص خاصة بهذا الحق .  
وأخيراً ، فقد أخذت المادتان ١ و ٢ من القانون ١٦٩٦٨/١٩٦٦ بأسلوب العلاج المعروف فى أغلب بلدان أمريكا اللاتينية لحماية الحقوق ، وهو الدعوى الخاصة بذلك .

وتنص المادة الأولى على أنه :

« يجوز إقامة هذه الدعوى فى حالة وقوع فعل ، أو امتناع عن فعل ، من جانب إحدى السلطات العامة يتسبب عنه الاضرار بالحقوق أو الضمانات التى يعترف بها

الدستور الوطني صراحة أو ضمنا ، أو تقييد هذه الحقوق ، أو تعديلها ، أو تهديدها بأسلوب ظاهر التحكم ، أو بطريقة غير مشروعة ، ويستثنى من ذلك حق الفرد في الحرية الذي تحميه دعوى الهايباس كورباس » .

وتنص المادة الثانية على عدم قبول تلك الدعوى في الأحوال التالية :

( أ ) في حالة وجود طرق قضائية أو إدارية لحماية الحق موضوع النزاع الذي كفله الدستور .

(ب) عندما يكون الإجراء محل الشكوى قد وقع تنفيذا لحكم صادر من سلطة قضائية ، أو عندما يكون نتيجة لتطبيق صريح للقانون ١٦٩٧٠ ( قانون الدفاع المدني ) .

(ج) إذا ما ترتب على هذه الدعوى بطريق مباشر أو غير مباشر تعطيل انتظام واستمرار وكفاءة سير العمل في إحدى الخدمات العامة ، أو الخدمات الجوهرية للدولة .

( د ) عندما يكون من المستلزم للحكم على سلامة الفعل موضوع الدعوى إعادة مناقشة الوقائع توصلنا إلى دليل جديد ، أو التصدي لعدم دستورية أحد القوانين أو القرارات .

(هـ) إذا لم ترفع هذه الدعوى خلال ثلاثة عشر يوما كاملة من يوم وقوع الفعل ، أو اليوم الذي كان من الواجب اتخاذه فيه .

### **المبادئ العامة ، والعرف ، والقوانين السابقة**

تمائل المبادئ القانونية العامة المطبقة في هذا المجال المبادئ المطبقة في البلاد ذات النظام القانوني المشابه . ويعني هذا أن المبادئ المطبقة في الأرجنتين متأثرة بالأنظمة القانونية في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض البلدان الأوروبية كفرنسا وإسبانيا .

وبالنسبة لقواعد العرف تنص المادة ١٧ من القانون المدني على أن العرف والعادة لا يمكن اعتبارهما مصدرا للحقوق إلا إذا نص القانون على ذلك صراحة . أو في حالة خلو التشريع من نص ينطبق على واقعة الدعوى .

### **البرازيل**

#### **القانون العام والحرمة الشخصية**

يبدو القانون البرازيلي متأثرا بعدد من الأنظمة القانونية المختلفة ، الإيطالي والألماني والفرنسي والبرتغالي والأمريكي والسويسري ، على حين كانت القوانين البرازيلية السابقة متأثرة أساسا بالقانون الأوروبي . وقد أدخلت التعديلات على

قواعد الاجراءات حتى يمكن تطبيق القانون على نحو موحد في هذا البلد الشاسع بما فيه من صعوبات في الاتصال ، وندرة قيام صلة شخصية بين قضاة المحاكم المتناثرة في أرجاء البلاد .

والقواعد القانونية المتعلقة بالحرمة الشخصية يضم القانون المدني جزءا منها ، ويضم الجزء الآخر قانون العقوبات . ونظرا لأن البرلمان كان قد صدر قرار بحله في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٦٨ ، وأصبحت الحكومة تصدر تشريعاتها بمقتضى قرارات . فمن السبيل أن نستند في حماية حرية الفرد الشخصية الى قواعد دستورية .

والقانون المدني لا يعترف بقواعد عامة للحرمة الشخصية كما انه لا بد لاستخلاص قواعد قانونية عامة لحق الحرمة الشخصية من استقرار القضاء في أحكامه .

وتنص المادة الرابعة من القانون المدني على أنه « في حالة خلو القانون من نص ، على القاضي أن يبني حكمه على القياس ، وعلى العرف ، ومبادئ القانون العامة » .

وتنص المادة الخامسة على أنه « يجب على القاضي في تطبيقه القانون أن يستهدي بالهدف الاجتماعي المبغى منه ، وأن يضع في اعتباره متطلبات الصالح العام » .

وتنص المادة ١١٤ على أنه « عندما يسمح القانون للقاضي بأن يصدر حكمه وفقا لمقتضيات العدالة فإن عليه أن يطبق القاعدة التي كان عليه أن يضعها لو أنه كان المشرع » .

ولعل السبب في أن المحاكم لم تستغل هذه السلطات الواسعة لتقرير قواعد قانونية عامة للحرمة الشخصية ، يرجع الى أن الضرر الأدبي أو المعنوي ، على عكس الضرر المادي ، لا يتيح الحق في التعويض . ولما كان الضرر الناجم من انتهاك الحرمة الشخصية ضررا أدبيا أكثر منه ضررا ماديا فقد قامت من ثم العقوبات في وجه تطوير قواعد القانون المدني بالنسبة لحق الحرمة الشخصية .

وفي ظل قانون العقوبات القديم ، لم تكن هناك قاعدة عامة للحماية من الاعتداء على الحرمة الشخصية ، بل كانت هناك نصوص خاصة تعالج بعض الصور التقليدية للحرمة الشخصية ، مثل انتهاك حرمة السكن ، وجرائم القذف والذم والسب ، كما سنرى فيما بعد .

ومن المتوقع أن يتغير الوضع ، بعد استحداث نص المادة ٦٦٢ من قانون العقوبات الجديد الذي صدر عام ١٩٦٩ على أن يعمل به اعتبارا من عام ١٩٧٣ ، وقد جاء هذا النص الهام الذي تضمنه قانون العقوبات بناء على اقتراح الأستاذ باولو جوزيه داكوستا الصغير الذي وضع كتابا أساسيا في هذا الموضوع .

وتنص المادة ١٦٢ من القانون الجديد على أن :

« كل من ينتهك حرمة غيره الشخصية مستخدما الوسائل التقنية ، أو يهدد

سرية احاديثه أو كتاباته التي ليس لها طابع العمومية ، يحكم عليه بالحبس مدة لا تزيد على سنة أو بفرامة تصل إلى ما يعادل ما يجنيه من ربح في خمسين يوما .  
ويحكم بهذه العقوبة أيضا على كل من يفشى أو يذيع أى معلومات مسجلة عن طريق تلك الوسائل التقنية .

ولا شك في أهمية هذه المادة للأسباب التالية : أولا لأنها نصت صراحة على حق الحرمة الشخصية ، وثانيا : لابرازها استخدام الوسائل التقنية الحديثة في انتهاك الحرية الشخصية ، وثالثا : لعمومية عباراتها مما سيمكن المحاكم من تطبيق هذا النص على ما قد يستجد مستقبلا من وسائل تقنية حديثة للرقابة المستهجنة .  
وسوف تكون كيفية تطبيق المحاكم لهذا النص الجديد محل اهتمام .

## جمهورية ألمانيا الاتحادية

### القانون العام بشأن الحرمة الشخصية

منذ بداية القرن التاسع عشر ، ورجال القانون المدني الألماني يناقشون الحقوق الشخصية أو حقوق الفرد . ومع ذلك فإن من تولوا من رجال القانون اعداد القانون المدني الألماني لم يتأثروا إلى حد بعيد بتلك الآراء . وهناك عامل هام في تطور القانون الألماني هو تأثير كتابات فقهاء القانون على المحاكم ، فكثيرا ما تلقى نظرية جديدة يضعها أحد الفقهاء الثقات تجاربا من جانب الأحكام القضائية . ولهذا فمن المهم لى نتتبع تطور حقوق الفرد الشخصية أن نتناول بالدراسة بعض التعريفات والنظريات التي وضعها الأساتذة الألمان .

فقد اعتبر جاريز Gareis منذ عام ١٨٧٧ أن حق الفرد في أن يدبر شؤون حياته كما يروق له هو حق يمتد إلى اسمه واعتباره .

وقسم أوتوفون جيرك Dotto Von Gierke الحقوق الشخصية إلى حقوق تحمي جسد الإنسان وحياته وحرية واعتباره ومركزه الاجتماعي ، وحقوق تحمي في مجال التعامل التجاري اسمه وعلامته التجارية وحقوقه على مؤلفاته .

ويعتبر جوزيف كولر واحدا من أهم المؤيدين للحقوق الشخصية . ويرجع أول عمل ساهم به في دراسة الحقوق الشخصية إلى عام ١٨٨٠ عندما نادى بحق الفرد فيما سماه مجال « اللفة الشخصى » . وفى سنة ١٩٠٧ « عرف الحق في السرية » بأنه الحق الذى يحمى الفرد من انشاء مكاتباته الخاصة أو انشاء وقائع شخصية عن أشخاص احياء بتصويرهم في روايات خيالية على نحو يسهل التعرف عليهم من خلالها . وكذلك حماية اسم الشخص وصورته . واعتبر القضية الانجليزية التي أقامها الأمير البرت ضد سترينج قضية رائدة في مجال الحماية من نشر الوثائق الشخصية بغير تصريح .



وعند اعداد القانون المدني لأول مرة ، كانت المادة ١٢ هي وحدها التي تعترف بأحد الحقوق المتعلقة بشخصية الانسان ، وهي حق الشخص في تملك اسمه .  
وصحيح أن هذا القانون استحدث بعض أحكام المسئولية عن الفعل الخاطيء شملت التسبب عمدا أو نتيجة إهمال في أحداث ضرر جسماني للغير أو ضرر يصيب صحته أو حريته أو أمواله أو غيرها من الحقوق ، إلا أن هذه الأحكام كان لها أثر ضئيل في مجال الحرمة الشخصية .

وفي النصف الأول من القرن العشرين رفضت المحاكم الألمانية صراحة الأخذ بفهوم الحق المتعلق بشخصية الانسان وذلك برغم المحاولات العديدة التي قام بها كبار فقهاء القانون لارساء هذا الحق .

ومع صدور الدستور الجديد لجمهورية ألمانيا الاتحادية عام ١٩٤٩ حدث تغيير حاسم للوضع . فقد نصت المادة الأولى من الدستور على أن :

« كرامة الانسان مصونة ، وعلى سلطات الدولة واجب احترامها وحمايتها ، ... »

واستطردت المادة تقول :

« ويعترف الشعب الألماني بأن حقوق الانسان المصونة الراسخة هي أساس كل مجتمع انساني ، وهي أساس السلام والعدل في العالم » .

وتشير المادة الثانية الى حق كل فرد في أن يعبر بحرية عن شخصيته ما دام ذلك لا يمس حقوق الغير ، أو يمتد على النظام الدستوري ، أو قواعد الاخلاق . كما تشير الى حق كل شخص في أن لا يقع على حياته أو بدنه أى اعتداء . وتشير كذلك الى أن حرية الفرد مصونة .

ولما كانت المادة الأولى من الدستور لا يمكن تفسيرها أو تعديلها أو إلغاؤها فقد أصبح الاعتراف بالكرامة الانسانية ضابطا محددا لكافة القوانين واللوائح الأخرى .

ومع أن الدستور يعالج العلاقة بين الفرد والدولة ، إلا أنه يساند ويدعم قطعاً تلك الاتجاهات التي تسمى في نطاق القانونين العام والخاص الى الاعتراف بالحق الشخصي .

وفي سنة ١٩٥٠ انتهى هـ . هوبمان الى وجود حق متعلق بشخصية الانسان ورأى أنه لا يتطابق مع مجموعة الحقوق التي حددتها التشريعات والقوانين القديمة . وقسم الحق العام المتعلق بشخصية الانسان الى ثلاث فئات : حق الانسان في التعبير عن شخصيته ، وحقه في الدفاع عنها ، وحقه في النود عن فرديته . وقد تبنت المحاكم والأحكام القضائية الكثير من التعبيرات والتعريفات التي استخدمها هوبمان .

وذهب كذلك الأستاذ الجليل وقاضي المحكمة العليا هـ . س . نيبردى الى أن

حماية شخصية الفرد التي توسع المستوى الألماني فيها لا تنطبق فحسب على علاقة الفرد بالدولة بل كذلك على علاقة المواطنين العاديين بعضهم ببعض .

وأكد هـ . س . نيبردى أنه لا يمكن حصر عناصر « الحق العام المتعلق بشخصية الإنسان » حصرا شاملا إذ أنها بطبيعتها غير محدودة ، وإن كان من الممكن استخلاص بعض الحقوق منها . ومن هذه الحقوق حق الشخص في اسمه ، وهو ما يكفله بالفعل القانون المدني . وحق الإنسان في صورته وهو حق وإن كان أكثر اتساعا من الحق الذي كفله القانون الخاص بحماية حقوق المؤلف الفنية الصادر عام ١٩٠٧ إلا أنه ترد عليه الاستثناءات التي تضمنها هذا القانون الأخير . وكذلك يدخل الحق في سرية الأحاديث ضمن الحقوق المتعلقة بشخصية الإنسان فلا يجوز قانونا تسجيل أو إذاعة صوت أى شخص إلا في أحوال معينة . ويعتبر كذلك من بين الحقوق المتعلقة بالشخصية حق الإنسان في الحفاظ على كرامته وسمعته ، وحق الدم أى حقه في إثبات بنوته .

ويأخذ هـ . س . نيبردى بالتفرقة بين حق التمتع بمجال « الالة الشخصى » وهو حق تتم بمقتضاه حماية أى شخص من انتهاك مكاتباته ويومياته ومذكراته الشخصية ، وعموما كل الأمور التي له مصلحة معقولة في الحفاظ على سريتها . وبين حق التمتع « بمجال الخصوصية » الذى يمنع فحص ومراقبة أو افشاء الأمور الشخصية أيا كان نوعها . ويشمل حق التمتع « بمجال الخصوصية » منع نشر أية تفاصيل عن حياة المرء أو شخصيته وذلك فيما عدا الأحوال التي تستلزمها مصالح المجتمع .

ويدخل هـ . س . نيبردى كذلك فى نطاق الحقوق المتعلقة بالشخصية حماية مشاعر الإنسان وحياته العاطفية ، وحرية المتهم فى الدفاع عن نفسه فى القضايا الجنائية كما يعتبر أخيرا حقوق التأليف الأدبية من بين الحقوق المتعلقة بالشخصية .

وقد صادفت معظم هذه الآراء قبولا فى دوائر القضاء وعلى الأخص بعد أن تبنت المحكمة الفيدرالية صراحة وجهة النظر القائلة بأن صور الحق الشخصى لا يمكن تحديدها على سبيل الحصر .

وسوف نرى بعد ذلك فى تناولنا لصور الحرمة الشخصية أن نصوص القانون المدني وقانون العقوبات فى جمهورية ألمانيا الاتحادية تكاد تغطي كل صور حق الحرمة الشخصية وإن كانت المحاكم ما زالت متباطئة فى التعويض عن الأضرار الناجمة عن الاعتداء على الحرمة الشخصية ، إلا إذا ثبت بالدليل القاطع وقوع خسارة مالية أو ضرر جسمانى .

## المنشآت الجارية حول حق الحرمة الشخصية

يعتبر الأساتذة نيردى وهوبان وكولر ويشبيك على رأس الكتاب القانونيين المؤيدين لتقنين الحرمة الشخصية . وقد أوضحنا من قبل تأثير الكتاب الأكاديميين على المحاكم . بيد أننا يجب أن لا نغالي في تقدير أثرهم على تطور فكرة تقنين الحرمة الشخصية .

وقد ظهرت في جمهورية المانيا الاتحادية محاولة تقنين « الحقوق المتعلقة بالشخصية » غير أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح . فقد تم وضع مشروع لائحة مفصلة نشرتها الحكومة عام ١٩٥٩ . وقوبلت هذه اللائحة بمعارضة شديدة في الصحف . ورغم أنها لم تصدر كقانون بعد ، فقد ثبتت المحاكم في أحكامها بعض نصوصها . ولهذا يجدر بنا أن نتناول أهم هذه النصوص اذ أنها تعكس في عبارات واضحة الفكر السائد بين رجال القانون الألمان حول هذا الموضوع .

وتبدأ اللائحة بارساء مبدأ عام اذ تنص على أن « كل من يرتكب فعلا يترتب عليه انتهاك لشخصية الغير يلزم باصلاح كافة ما ينجم عن هذا الفعل » وقد كان الهدف من وضع هذه اللائحة هو تعديل المادة ١٢ من القانون المدني وادخال اضافات عليها ، الا أن اللائحة لم تقتصر على هذه المادة وامتدت الى مواد أخرى .

وتنص المادة ١٢ أ على أن « كل من يحدث بدون وجه حق ضررا شخصيا لغيره يلزم باصلاح هذا الضرر » . وينطبق هذا النص على وجه الخصوص على الأحوال الواردة في المواد من ١٣ الى ١٩ . أما بالنسبة للاضرار المحتملة الوتوع في المستقبل فيكون لمن أصابه الضرر الحق في المطالبة قضائيا باصلاحها . ولا ينضوى تحت هذا النص ما قد يقع من احتكاكات عادية ومقبولة في الحياة اليومية . وتمنح الفقرتان الثانية والثالثة لزواج وإبناء من أصابه الضرر ، وكذلك لبعض أقاربه ، الحق في المطالبة القضائية باصلاح الضرر وذلك خلال الثلاثين عاما التالية لوفاته .

وتتناول المادة ١٣ ما يقع من اعتداء على حياة الإنسان وصحته البدنية وحريته، وتتناول المادة ١٤ أفعال السب والقذف . وهي أمور كلها تدخل في عداد انتهاك الحقوق الشخصية .

أما المادة ١٥ فهي تعالج بصفة خاصة موضوع الحرمة الشخصية ، وتنص على أنه: « يعتبر في حكم الاعتداء المنصوص عليه في المادة ١٢ ، قيام شخص بالأداء علنا ببيانات حقيقية تتعلق بحياة الغير الخاصة أو عائلته أو نشرها قبل الحصول على تصريح من صاحب الشأن بذلك ، ويسمح بهذا النشر اذا كان قد حدث كدفاع صائب عن مصلحة عامة أو خاصة مشروعة . كما يعتبر كذلك في حكم الاعتداء المنصوص عليه في المادة ١٢ قيام شخص بنشر المحتويات السرية لخطابات أو مذكرات ذات طبيعة شخصية ، ويسمح بالنشر في حالة موافقة كاتبها على ذلك .

أو في حالة موافقة مرسل الخطاب أو المرسل إليه ، أو إذا كان المقصد من النشر  
الدفاع الصائب عن مصلحة عامة أو خاصة مشروعة . . وللصحافة والإذاعة والسينما  
مصلحة مشروعة في إطار مهمتها العامة هي اعلام الجمهور أو ممارسة حق النقد .

وتؤكد المادة ١٦ من هذه اللائحة القاعدة التي اوردتها المادة ١٢ الحالية من  
القانون المدني . فهي تعتبر في حكم الاعتداء المنصوص عليه في المادة ١٢ من اللائحة  
منازعة الغير في اسمه ، أو اسامة استخدام هذا الاسم .

وتتناول المادة ١٧ التقاط ونشر صورة أحد الأشخاص بغير اذن منه ، وتنص  
على أنه :

« يعتبر من قبيل الاعتداء المنصوص عليه في المادة ١٢ ، القيام بنشر صور  
للغير بغير تصريح منه . ويصرح بالنشر في الأحوال الآتية » :

١ - الصور المتعلقة بالأحداث الجارية .

٢ - صور الأحداث والأماكن التي تبدو فيها صورة الشخص ثانوية .

٣ - صور الاجتماعات أو المواكب أو غيرها من الحلات الرسمية .

٤ - الصور التي تلتقط بغير اذن صاحبها ويكون هناك مبرر لنشرها على أساس  
أنها تعتبر عملا فنيا جادا ، أو لمصلحة علمية . . ومع ذلك فلا يسمح بالنشر  
مع توافر الشروط التي تتطلبها الفقرة (٢) إذا ما نجم عن النشر اعتداء على  
مصلحة مشروعة لمن التقطت صورته .

وبغض النظر عن الشروط المبينة في الفقرات من ١ الى ٣ فإنه يعتبر من قبيل  
الاعتداء المنصوص عليه في المادة ١٢ التقاط صورة للغير كرها عنه ، أو التقاط صورة  
تضر بمصلحته المشروعة .

وتتناول المادة ١٨ تسجيل ونشر الاحاديث بغير تصريح ، فتنص على أنه :

« يعتبر من قبيل الاعتداء المنصوص عليه في المادة ١٢ القيام بتسجيل الاحاديث  
الصوتية للغير بغير اذن منه بواسطة الوسائل التقنية ، أو نشر هذه الاحاديث علنا  
سواء بطريق مباشر أو باستخدام الوسائل التقنية . ويسمح بتسجيل الاحاديث  
ونشرها إذا ما كانت متعلقة باجتماعات أو مواكب أو أحداث عامة ومع ذلك فلا يجوز  
مثل هذا التسجيل أو النشر إذا نجمت عنه اضرار بمصلحة مشروعة للغير » .

وتعالج المادة ١٩ الحصول على المعلومات خلسة فتنص على أنه :

« يعتبر من قبيل الاعتداء المنصوص عليه في المادة ١٢ استخدام شخص لأدوات  
للتصنعت أو أي وسيلة أخرى ماثلة ، يتوصل بها الى معرفة أحاديث الغير التي ماكان  
له أن يعرفها ، أو الى معرفة حقائق واحداث تتعلق بحياة الغير الخاصة أو حياة عائلته» .

وتتناول المادة ٢٠ الحق في الرد على القذف ، أى الحق في نشر بيان لتصحيح عبارات القذف أو سحبها إذا استلزم الأمر ذلك .

وتشتمل اللائحة على عدد آخر من التعديلات التي تتعلق بنصوص أخرى في القانون المدني : ومن بين هذه النصوص نصان يتعلقان بالتعويضات ، وتصدر الإشارة إليهما .

وأول هذين النصين المادة ١/٨٢٣ التي تنص على أن :

« من يتسبب بغير عمد ، أو نتيجة أفعال ، في أن يحدث بنون وجه حق ضررا بأموال وحقوق الغير يلزم بتعويض الضرر الناجم عن ذلك » .

أما النص الثاني ، وهو نص المادة ٨٤٧ فيقضى بأن :

« لمن أصابه ضرر شخصي آن يطلب تعويضا نقديا معقولا عن الاضرار غير المالية التي لحقت به لقاء ما عاناه من امتهان . ولا ينطبق ذلك في حالة ما اذا كان رد الشيء الى أصله يعتبر علاجاً كافياً ، أو اذا كان من أصابه الضرر قد حصل على ترضية بوسيلة أخرى غير النقود . أما الضرر النافه فلا يرثب هذا الحق » وتتحدد قيمة التعويض تبعا لظروف كل حالة وعلى الأخص بالنظر لجسامة الضرر والخطأ . والحق في طلب التعويض لا ينتقل للغير ، ولا يحق للورثة استخدامه لصالحهم الا اذا كان معترفا به في عقد ، أو في دعوى متداولة أمام المحكمة » .

ويجب في النهاية أن نشير الى مشروع لائحة بشأن التعويضات نشرتها وزارة العدل الاتحادية عام ١٩٦٧ ، وهي تتضمن اقتراح بتعديلات للقانون المدني ( وعلى الأخص المواد ٢٥٤ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٤٧ ) ، وهي تعديلات تتضمن الاستجابة لما ذهبت اليه المحكمة العليا في عدد من أحكامها اذ قضت بالتعويض في حالات لم تترتب عليها أية خسارة مالية .

وقد لخص الأستاذ كلاوز *Klaus* بإيجاز الوضع الحالي للقواعد القانونية لحق الحرمة الشخصية في جمهورية ألمانيا الاتحادية بقوله :

« يوجد اليوم في ألمانيا حق في الحرمة الشخصية أرسنه المحاكم ، وأوضحته بسخاء فيما تمنحه من تعويض . وهذا الحق يتيح إقامة الدعاوى في حالة الإهمال والاعتداء غير العمدى على السواء ، ويسمح بالمطالبة بالتعويض عن كافة أنواع الأذى، بما في ذلك الألم العقلي . ومن المحتمل أن يقنن هذا الحق وأن تكون له مكانته الشرعية في القانون الألماني » .

### صور من الحق الشخصي لا يحميها القانون

يضم دستور ١٩٤٩ عددا من الحقوق التي يتضمنها الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي اصدرته الأمم المتحدة . ولما كان الدستور قد صدر كما رأينا من قبل

بالمبدأ القائل بأن كرامة الانسان مصنوعة ، فمن مقتضى هذا أن تكون الحقوق الشخصية حقوقا راسخة في القانون والقضاء الألمانيين . وقد أظهرت المحاكم قدرتها على أن تمنح حمايتها لمن تصيبه خسارة في أغلب صور الاعتداء على الحرمة الشخصية ، ومن المستطاع بأعمال وتطوير المبادئ التي اتبعت في بعض القضايا مجابهة ما تنتظره الحرمة الشخصية من تهديدات في المستقبل كالتهديدات التي تحدث بسبب البيانات التي تجمعها الحاسبات الالكترونية . وقد أوضحت المحكمة الدستورية بجلاء انه لا يمكن التفاضي عن أي اعتداء على حرمة الشخص .

وعلى أية حال فانه لا يوجد ، فيما عدا القليل من الاحوال الاستثنائية ، علاج مدني ضد الاعتداء على الحياة الشخصية الخاصة ، الا اذا اثبت من وقع عليه الاعتداء اصابته بخسارة مالية . وهذا يعني فشل أغلب الدعاوى اذ من المسير اثبات الضرر الفعلي فيما بالنسبة بالضرر المالي . ولما كان من النادر أن تنجم عن الضرر في حالات الاعتداء على الحرمة الشخصية خسارة مادية أو مالية ، فقد أشير الى ان هذه الصورة من صور القانون في اشد الحاجة الى اصلاح . . والى الآن لم تحظ هذه الصورة باهتمام حتى بالنسبة للتشريعات المقترحة التي قدمت عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦٧ .

## السويد

### مقدمة

ان الحماية التشريعية لحق الفرد في الحرمة الشخصية ، ضئيلة تماما في السويد على نحو ما سنرى ، والمطالبة بتوفيرها هي مطالبة قاصرة كذلك . وقد يبدو ذلك للوهلة الأولى أمرا مثيرا للدهشة في بلد يتمتع بمثل هذا المستوى المرتفع للحعيشة ، وذلك التراث العتيق للحرية الشخصية .

ويرجع أحد أوجه تفسير هذه الظاهرة الى ان السويد قد عرفت منذ امد طويل نظام المفوض البرلماني وهو نظام يكفل حماية كافية للفرد ، وقد لا يجعل هناك محلا لتوسيع سبل العلاج التي جرى عليها العرف القضائي في هذا المجال .

وقد نبع نظام المفوض البرلماني نفسه من سمة مميزة للنظام الديموقراطي السويدي . ففي السويد لا تقع مسئولية اعمال القانون على عاتق وزراء الحكومة ، وانما تتولاها لجان مستقلة . ونظرا لانتفاء مسئولية هذه اللجان امام الوزراء ، فلم تعد هناك وسيلة فعالة لاضعاع هذه العملية لرقابة البرلمان ، أو لكي يجرى البرلمان تحقيقا في الشكاوى من سوء الادارة .

وسدا لهذه الثغرة أنشئت لأول مرة وظيفة المفوض البرلماني عام ١٨٠٩ . وفي سنة ١٩٠٥ أصبح هناك مفوضان أحدهما للشؤون العسكرية . ومنذ عام ١٩٦٨

أصبح يوجد ثلاثة مفوضين برلمانيين يتولون المسائل المدنية والعسكرية معا . وهؤلاء المفوضون يعينهم البرلمان .

ومنذ نوفمبر سنة ١٩٦٩ انشئت وظيفة مفوض للرأى العام يتولى مسئولية الأمور المتعلقة بالصحافة ويقوم بتعيينه احد المفوضين البرلمانيين بالاشتراك مع نقيب المحامين السويديين ورئيس المجلس التعاونى للصحافة .

وفى عام ١٩٧٠ عين مفوضان آخران ، يختص أحدهما بعمليات التلاعب فى التسويق ، ويختص الآخر بالعمليات المحظورة فى التجارة . ويشترط فى كل منهما أن يكون على خبرة عملية قانونية ، ويمينهما مجلس الوزراء الذى يرأسه الملك .

وثمة عامل آخر ربما يضاف من المطالبة بوضع تشريع خاص للحرمة الشخصية فى السويد ، هو التقنين المهنى لمهنة الصحافة وهو تقنين على درجة عالية من التطور ويطبق تطبيقا حازما . وهذا الأمر لا يقلل من قدر حرية الصحافة التى كفلتها إحدى القواعد الأربع الأساسية فى الدستور ، ولكنه يساعد على منع إساءة استخدام الحرية على حساب الحرمة الفردية مثلما اثبتت التجربة فى بعض البلاد الأخرى .

وثمة صورة من صور الحرمة الشخصية اثار الاهتمام أخيرا فى السويد ، هي بيانات بنوك الائتمان ، وكذلك ما يثيره الاستخدام المتزايد للحسابات الالكترونية من مشكلة كبرى تهدد الحرمة الشخصية . وقد قضت المحكمة الادارية العليا السويدية فى حكم لها عام ١٩٦٥ بأن المبدأ الوارد فى قانون حرية الصحافة الذى يتيح لكل مواطن الاطلاع على الوثائق الرسمية ، ينطبق كذلك على المعلومات المختزنة فى الحاسبات الالكترونية . وما تزال أسباب هذا الحكم - حتى كتابة هذا المقال - موضع دراسة للجنة الحكومية الخاصة بالنشر والسرية .

### القواعد القانونية العامة المتعلقة بالحرمة الشخصية

لا يعترف القانون بحق الحرمة الشخصية بوصفه حقا ، وإن كانت هناك بعض نصوص خاصة ، وعلى الأخص فى قانون العقوبات ، تمنح الفرد بعض الحماية ضد الاعتداء على حرمة سواء من جانب الموظفين الرسميين أو الأفراد .

ومن الواجب أن نضيف ان رجال القانون فى السويد وحتى وقت قريب لم يتناولوا بالمناقشة مشكلة حق الحرمة الشخصية . غير انه - مثلما حدث فى البلاد التى بلغت درجة عالية من التطور - أدت الاكتشافات التكنية الحديثة وعلى الأخص الحاسبات الالكترونية الى إثارة اهتمام السلطات بهذه المشكلة . وقد ظلت حتى الآن مناقشة حق الفرد فى الحرمة الشخصية مرتبطة بالمشاكل المترتبة على ما يتمتع به رجال الشرطة والموظفون من حقوق مثل حق احتجاز المراسلات الخاصة . كما ظلت الحوادث الصحفية التى تتعلق بنشر صور الأشخاص فى أوضاع داخلية أو خاصة ، ونشر التفاصيل عن الحياة الخاصة لأحد الأشخاص ، مشار التساؤل حول فاعلية

القانون الخاص بالقذف . ولعل السبب في علم اثاره مناقشة عامة حول حق الحرة الشخصية هو ان القانون السويدي لا ييسر للشخص الالتجاء الى القضاء بغيز الاستناد الى نصوص قانونية أو قواعد مستقرة ، على أساس انه لابد أن يكون هناك علاج قانوني بالنسبة له . والواقع انه لا توجد لدينا حالات معروفة ثابتة فيما يتعلق بالمبادئ العامة لحق الحرة الشخصية .

### المنافشة الجارية حول حق الحرة الشخصية

بناء على المناقشات التي دارت آخرا في البرلمان حول مشكلة الحرة الشخصية تشكلت ثلاث لجان . وطلب الى واحدة منها أن تقترح وسائل العلاج الفعالة ضد أجهزة استراق السمع وغيرها من اختراعات التصنت الأخرى ، وكذلك آلات التصوير الخفية والعدسات التلسكوبية ، ونحو ذلك من الأدوات البصرية . ونشرت اللجنة بحثها وأوصت بتوقيع عقوبة جنائية استنادا الى النصوص الواردة في الفصل الرابع القسم السادس من قانون العقوبات السويدي . وبمعنى آخر توسيع نطاق جرائم « تكدير السلم المنزلى » ، والاعتداء غير المشروع .

وشكلت اللجنتان الأخريان لتعنى مشكلة الحاسبات الالكترونية . وتولت احدهما دراسة الأثر العنيف الذى أحدثته استخدام السلطات العامة والحكومة للحاسبات الالكترونية وإلى أى مدى يجب ان يمتد اشراف القانون على المعلومات المخترنة فيها من أجل حماية الفرد العادى .

وتولت اللجنة الأخرى التحقيق فى استخدام الحاسبات الالكترونية فى المؤسسات الخاصة . وقد أثارَت هذه المشكلة اهتماما واسعا فى السويد بسبب وجود عدد من المؤسسات التى تقوم بجمع وبيع المعلومات عن قدرة الأفراد الائتمانية . ومن هنا بدت الحاجة لوضع تشريع ملائم لمعالجة هذه المشكلة .

وثمة صورة أخرى من صور الاعتداء على الحرة الشخصية ترجع الى النقص الواضح فى عدد ضباط الشرطة المنوط بهم المحافظة على النظام فى الأماكن العامة مثل محطات الانفاق ، مما أدى الى استخدام كاميرات تلفزيونية لمساعدة الشرطة على وضع عدد من الأماكن العامة تحت الرقابة . وهو ما أثار جوا من القلق بين الرأى العام . وقد قدم طلب لوضع تشريع ينظم استخدام هذه الكاميرات التلفزيونية ويحظر الاقتراب من الصور لغير المسموح لهم قانونا بذلك ، ويحظر استخدام هذه الصور فى غير أغراض المراقبة العامة .

وقد دارت المناقشات حول الحرة الشخصية أساسا فى الصحافة والإذاعة والتلفزيون . وباستثناء الدراسة المقارنة التى قام بها ستريج سترومولم وكانت أساسا للمناقشة فى المؤتمر الشمالى حول الحرة الشخصية الذى نظمتة اللجنة الدولية للقانونيين عام ١٩٦٧ ، لم يشارك فى دراسة الحرة الشخصية غير عدد



ضئيل من رجال القانون • ونشرت مقالتان في المجلات القانونية عن الحاسنات  
الإلكترونية ، والاختراعات الإلكترونية •

### صور من الحرمة الشخصية لم تزل بغير حماية

ما يزال العديد من صور الحرمة الشخصية بغير حماية في السويد ، وعلى  
الأخص ما يهدد هذه الحرمة من استخدام المخترعات التكنية الحديثة والحاسبات  
الإلكترونية • وبرغم أن قانون العقوبات يعاقب على انتهاك سرية المراسلات  
والمحادثات التليفونية ويعاقب على انتهاك حرمة المسكن ، فلا تقبل الدعاوى المدنية  
التي تقام للمطالبة بالتعويض في هذه الحالات •

### فرنسا

### الحرمة الشخصية والنظرية القانونية

يميل رجل القانون الفرنسي ، مستندا الى المادة ١٣٨٢ ، الى الكلام عن الحقوق  
الشخصية • بيد أن هذا المفهوم هو في الواقع أوسع من مفهوم حق حماية الحرمة  
الشخصية • فالحرمة الشخصية هي مجرد صورة من صور الحقوق الشخصية •  
ومنذ عام ١٨١٩ والقانون الفرنسي يعترف بالحق في إقامة دعوى القذف ، وفي سنة  
١٨٨١ استحدث قانون الصحافة حق المواطن العادي في أن تنشر الجريدة رده عند  
الخلاف بينه وبينها •

ووفقا لما يذهب اليه الأستاذ مازو في دروسه عن القانون المدني تشمل  
الحقوق الشخصية التي يحميها القانون ضد أي اعتداء يقع عليها من أعضاء المجتمع  
الآخرين ، الحق في السلامة الجسدية ، والحق في السلامة المعنوية ، والحق في  
العمل •

ويندرج تحت الحق في السلامة الجسدية ، حق الفرد في أن يطالب بالا يقع  
أي اعتداء على حياته أو صحته أو شخصه • ويندرج تحت الحق في السلامة المعنوية  
حق الفرد في حرية الفكر والوجدان ، والدين ، وحقه في أن يعبر عن رأيه ، وحرية  
في اختيار زوجه ، وضمان احترام شرفه وعواطفه ، وحقه في كتم امراره ، أي حقه  
في احترام سرية حياته الشخصية العاطفية ، ومحادثاته التليفونية ، ومراسلاته ،  
وحالته الصحية • كما أن له الحق في منع نشر صورته أو ما يشابهها • وله كذلك  
الحق قانونا في الاحتفاظ باسم عائلته واسمه الأول وغير ذلك من الأسماء •

ويندرج تحت حق العمل ، الحق في أن يحصل على أجر مقابل عمله ، وحرية  
في اختيار عمله ، وضمان الايتأثر عمله بما يثور في حياته الخاصة •

ووفقا لما يذهب اليه مازو ، فإن هذه الحقوق الشخصية يغطي جزء منها

الحقوق الانسانية . ويشطى الجزء الآخر الحقوق المدنية والاقتصادية ، بيد انها لا تغطى الحقوق السياسية والاجتماعية .

وقد أدرج الاستاذ نيرسون فى رسالته التى قدمها فى ليون عام ١٩٣٩ عن حقوق الأثر غير العادية ، تحت باب الحقوق الشخصية ، الاسم ، والمسكن والحالة القانونية ، والحق فى رفع الدعاوى المدنية ، وأسرار المهنة ، والشرف ، والسمة . والحقوق العائلية .

وواضح من اتجاه نيرسون أن حق الحرمة الشخصية يقع فى دائرة الحقوق الشخصية ولكنه لا يحتوئها كلها .

ويحاول اليوم الكتاب القانونيون أن يولوا مزيدا من العناية لدراسة المشاكل المتعلقة بحماية حق الحرمة الشخصية . وفى سنة ١٩٦٧ نشر قاضى محكمة ليون جون مالرب كتابا سعى فيه الى تعريف المشكلة على نحو أكثر دقة . ووفقا لما يذهب اليه مالرب فإن حق الحرمة الشخصية والحقوق الشخصية يشملان من ناحية حماية حرمة حياة الفرد الشخصية بالنسبة لما تنشره عنه الصحافة ، وفيما يتعلق باتصالاته الخاصة ومكاتباته ، ومراسلاته اللاسلكية ، وتسجيلاته ، وشؤونه الصحية ، وكذلك بالنسبة لحماية شرفه ، وحقه فى اسم عائلته ، واسمه الاول الذى له حق تغييره ، وحرمة مسكنه ، ويشملان من ناحية أخرى حماية حياته العائلية التى تشمل المسؤولية عن نفقة الأبناء من وقت بلوغهم حتى انتهاء دراستهم وحقوق الفرد فى الوصال ، وحرثته فى التعليم الدينى ، فضلا عن الأمور التى لها تأثيرها على حياته الشخصية العاطفية ، مثل الارتباطات الزوجية لأكثر من مرة ، والوعد بالزواج ، والطلاق ، والمشاكل المتعلقة بالحياة الخاصة ، وفقدان الوظيفة .

### الحرمة الشخصية والقانون

منذ عام ١٨٠٤ والمادة ١٣٨٢ من القانون المدنى تمنح لمن يصيبه ضرر الحق فى أن يطالب أمام القضاء بالتعويض عن الضرر المادى والادبى الذى سببه له الغير .

وتنص المادة ١٣٨٢ على ما يلى :

« كل فعل يترتب عليه ضرر للغير ، يلزم من تسبب فى وقوعه باصلاح هذا الضرر » .

ويبدو من عبارات هذه المادة انها غير جازمة بحيث يمكن انطباقها على نطاق واسع من الأفعال . ونتيجة لذلك ظلت هذه المادة لمدة طويلة تعتبر كافية لاضفاء الحماية المدنية الملزمة على حياة الفرد الخاصة .

وفى سنة ١٨٨١ استحدثت القانون الخاص بالصحافة إمكانية اقامة المواطن

العادى دعوى القذف على الصحف والحق فى نشر الرد عند قيام نزاع بينه وبين  
الجريدة .

وفى ظل الجمهورية الرابعة بدأ الاحساس بالحاجة الى تعديل بعض أبواب  
القانون المدنى . وعينت فى عام ١٩٤٥ لجنة لهذا الغرض ، وضعت مشروعا اقترحت  
فيه اجراء بعض التعديلات . وضمنته بابا خاصا عن الحقوق الشخصية وذلك فى  
المواد من ١٤٨ الى ١٦٥ . وقد رفع هذا التقرير الى وزير العدل فى سنة ١٩٥٣ ونشر  
عام ١٩٦٥ ولكنه لم يصدر قط . غير انه ساهم فى تطوير النظرة العامة لهذه المسألة  
وقدم تعريفا واضحا لمفهوم الحقوق الشخصية . ومن بين نصوص هذا المشروع  
المواد التالية :

المادة ١٤٨ : « لكل فرد الحق فى ان يكون معترفا به قانونا من وقت ولادته  
حتى وفاته » .

الماد ١٥١ : « تعتبر باطلة كل وثيقة يتصرف بمقتضاها الفرد فى جسده  
كله أو فى جزء منه ، اذا كان هذا التصرف سيتم قبل وفاته ، وكان سيترتب عليه  
أى ضرر جدى ودائم للجسد كله . ولا يعتبر هذا التصرف باطلا ان كانت له مبررات  
طبية » .

الماد ١٥٣ : « لكل شخص الحق دائما فى ان يرفض قبول الفحص الطبى  
أو الجراحى أو العلاج ، الا اذا كان مثل هذا الفحص أو العلاج تحتمه القوانين  
أو اللوائح . واذا كان الفحص أو العلاج الذى طلب منه الموافقة على اجرائه لا تترتب  
عليه أى مخاطر غير عادية ، فانه يفقد برفضه ذلك الحق فى الحصول على أية فوائد  
مترتبة على المرض أو العجز الذى كان من الممكن تلافيه بالعلاج أو شفاؤه أو التخفيف  
منه » .

المادة ١٦٢ : « يحق لكل شخص نشرت أو عرضت أو استخدمت صورته بغير  
موافقة مسبقة منه ، أن يطلب وقف النشر أو العرض أو الاستخدام ، وذلك مع عدم  
الاخلال بحقه فى طلب التعويض على أساس ما لحقه من ضرر مادى أو أدبى » .

المادة ١٦٣ : « لا يجوز لمن تلقى خطابا سرى أن يذيع محتوياته بغير موافقة  
مرسله » .

المادة ١٦٥ : « كل من أصيب فى شخصه بضرر نتيجة فعل غير مشروع يحق  
له أن يطلب وقف هذا الفعل وذلك مع عدم الأخلال بمسئولية مرتكبه » .

وفى فرنسا مهد كثير من الكتابات القانونية القديمة الطريق الى اصدار  
التشريعات . وليس ادل على ذلك من القانون الذى صدر فى ١٧ يولية سنة ١٩٧٠  
مدعما حماية الحقوق الفردية .

وتشير عبارات هذا القانون الى أن الهدف منه هو « توفير إجراءات صريحة وجازمة لمواجهة أى تهديدات للحرمة الشخصية » .

وتنص المادة التاسعة ( جديدة ) فى القانون المدني على أنه :

« من حق كل شخص أن تكون حياته الخاصة مصونة وللقاضى أن يأمر بما يراه ضروريا لمنع الاعتداء على الحرية الشخصية مثل المصادرة والضغط ، كما أنه فى أحوال الخطر والاستعجال يمكن استصدار مثل هذه الأوامر على عريضة » .

وبرغم أن حق الحرية الشخصية ، فى نطاق القانون المدني ، كان معترفا به منذ أمد بعيد فى القوانين القديمة . إلا أنه لم يحظ بالتأييد التشريعى الا منذ صدور قانون ١٧ يولييه سنة ١٩٧٠ .

وفى قانون العقوبات أضيفت مواد جديدة فى الباب الخاص بالحرمة الشخصية وجرائم التشهير وإفشاء الاسرار . وجرت هذه المواد الأفعال التالية باعتبارها انتهاكا للحرمة الشخصية .

( أ ) التجسس بواسطة الوسائل السمية والبصرية .

( ب ) نشر مطبوعات تتضمن أقوال أو صور أحد الأفراد .

( ج ) استخراج نسخ من أحد أشرطة التسجيل أو الأفلام التى تستخدم أقوال أو صور أحد الأفراد بغير موافقته .

وقد نص هذا القانون على أن تصدر لوائح تحدد الأجهزة التى يمكن استخدامها خلصة فى التصوير أو التسجيل ( مثل الأجهزة المتناهية الصغر المستترة فى شكل ساعة أو قذاحة سجائر ) . والتى يمكن تحريم بيعها الا بعد الحصول على ترخيص يصدره أحد الوزراء .

## سويسرا

برغم خلو الكتابات القانونية السويسرية من تعريف عام جازم لنظرية حق الحرية الشخصية فإن القانون السويسرى يعترف بمبدأ الحق فى الحرية الشخصية، وينص على تطبيقها فى القوانين العامة والخاصة وقانون العقوبات . وقد ذهبت المحكمة الفيدرالية فى حكم أصدرته فى احدى القضايا عام ١٩١٨ الى أن القول المأثور « يجب أن تكون الحياة الخاصة حبسية الجدران » لا يشكل قاعدة للسلوك فحسب بل مبدأ قانونيا . وتبدو أهمية هذا الحكم واضحة اذا ما تذكرنا أن القاضى فى سويسرا مطالب فى بعض الاحيان بأن يؤدى استثناء دور المشرع عند خلو التشريع من نص يستند اليه فى قضائه .

وتنص المادة الأولى من القانون المدني فى فقرتها الثانية والثالثة على ما يلى :

١ - عن عدم وجود نص قانوني منطبق على الواقعة ، على القاضي أن يعمل قواعد العرف ، وفي حالة عدم وجود مثل هذه القواعد ، عليه أن يصدر حكمه وفقا للقواعد التي كان عليه ان يضعها لو أنه قام بدور المشرع .

٢ - على القاضي أن يبحث عن الحلول التي يؤيدها الفقه القانوني ، والقوانين القديمة .

ويضم كتاب « القانون الخاص السويسري » ، بما يحويه من تبويب كامل . فصلا مخصصا بأكمله لمسألة الحماية الشخصية . ومنذ صدور هذا الكتاب في عام ١٩٦٧ ظهرت عدة مؤلفات من بينها كتاب فرايز وريكلي ، وكتاب راوس الفى عاليج على وجه الخصوص الصور الفوتوغرافية الصحفية ، وكتاب هيجناور الذى تناول اختبارات الدم فى حالات اثبات البنية .

وتنقسم النصوص التشريعية التى تعالج حق حرمة الشخصية الى ثلاثة أنواع:

- نصوص دستورية وإدارية لحماية حرمة الفرد ضد سلطة الدولة وممثلها .
- ونصوص فى قانون العقوبات للحماية من الاعتداء على حق الحرمة الشخصية .
- ونصوص فى القانون المدنى تخول لمن حدث اعتداء على حرمة الشخصية الحق فى إقامة دعوى لتعويض أو اصلاح الضرر .

وتقوم الحكومة الفيدرالية السويسرية فى السنوات الأخيرة بإعادة النظر فى تشريعها فيما يتعلق بالحرمة الشخصية . ويمكن أن نشير فى هذا الصدد الى خطاب أرسله المستر لوفيج فون موسى رئيس الإدارة الفيدرالية للعدل والشرطة الى اللجنة الدولية للقانونيين بتاريخ ٢٠ مايو سنة ١٩٧٠ ، جاء فيه :

« برغم أنه توجد كما تعرفون فى القانون السويسرى نصوص تحمى الحقوق الشخصية ( وعلى الأخص المادتين ٢٧ و ٢٨ من القانون المدنى ) ، الا ان هناك احساسا فى الوقت الراهن بضرورة تقوية النصوص القانونية الحالية التى تحمى حق الحرمة الشخصية . ولهذا فقد أضاف القانون الفيدرالى الصادر فى سنة ١٩٦٨ الى قانون العقوبات سبع مواد تحت رقم ١٧٩ مكررا تكفل المزيد من الحماية . كما قامت الادارة التى أتولاها ( الادارة الفيدرالية للعدل والشرطة ) بتعيين لجنة من الخبراء لتلبية لرغبة البرلمان للبحث عن السبل والوسائل التى تكفل حماية الحقوق الشخصية فى القانون المدنى كذلك » .

## الولايات المتحدة الأمريكية

### ملف

تتأثر مشكلة الحرمة الشخصية باتجاهين عريقين فى الحياة الأمريكية ، أحدهما ظاهرة المنافسة الشديدة العاتية ، والآخر اتجاه معارض له يطالب باضفاء الحماية ضد

التدخل في حقوق الفرد المقدسة . وهذا الاتجاه الأخير يرجع في جانب منه إلى المؤثرات الدينية . ولم يكن من السهل دائماً التوفيق بين هذين الاتجاهين ، بل تزداد الصعوبة بالنسبة لمجال حرمة الشخصية حيث تتفاقم احتمالات تهديد هذه الحرمة نتيجة للتطورات التكنولوجية الحديثة . فضلاً عن ذلك فإن الأهمية العظمى التي تحظى بها حرية الصحافة في الولايات المتحدة ، تعني بلوغ الصحافة حداً من القوة ينذر معه أن يجد من تمتدى الصحف على حرمة الشخصية وسيلة فعالة للدفاع عن نفسه .

والمشكلة الأساسية ، في الولايات المتحدة ، كما في غيرها من البلدان ، هي إيجاد تفرقة بين ما هو عام ، وما يجب اعتباره خصوصياً . وهذه التفرقة يصعب تماماً التوصل إليها في بلد بلغ فيه التقدم التقني في مجالات الاعلام والنشر والتحرر درجة عالية من التطور بحيث أصبح كل فرد يبدو « شفافاً » للآخرين .

وثمة سمة أخرى لهذه الصورة ، هي خوف الناس من العنف والتدمير الامر الذي يزيد من دفعهم الى أن يقبلوا دون اعتراض رقابة الشرطة وأجهزة المخابرات . وهذه الرقابة قد تزيد من تهديد حرمة الفرد الشخصية سواء بسبب اعتياد رجال الشرطة وقوات الأمن على ذلك ، أو بسبب رضوخ المواطنين لمثل هذا الوضع نتيجة لتزايد خوفهم من الجريمة والدمار .

### اعتراف القانون بالحرمة الشخصية

حق الحرمة الشخصية حق معترف به في الولايات المتحدة ، بيسد أن تعريفه وتطبيقه يختلف من ولاية إلى أخرى . وتوسيع نطاق هذا الحق يستند أساساً إلى نصوص الدستور الأمريكي ووثيقة الحقوق ، وأخيراً التعديلات التي أدخلت على دستور الولايات المتحدة . كما تأثر هذا الحق من ناحية الاعتراف به وتوسيع نطاقه تأثراً شديداً بمقالات الكتاب الأكاديميين في المجالات القانونية .

### التطور التاريخي

حدث أن قامت الصحف المحلية في عام ١٨٩٠ بنشر تفاصيل شخصية وعاطفية عن المستر صمويل ولرين وارين وهو محام كبير سابق اعتزل المحاماة وأصبح من رجال الأعمال ، وعن زوجته وهي ابنة أحد أعضاء مجلس الشيوخ ، وأشارت هذه الصحف على وجه الخصوص إلى مسألة زواج ابنتهما . فاستغل المستر وارين هذا الاعتداء واتجه إلى شريكه السابق لويس برانديز الذي أصبح فيما بعد واحداً من أشهر قضاة الولايات المتحدة وكتباً مقالاً في مجلة هارفارد للقانون بعنوان « حق الحرمة الشخصية » وهكذا ظهر للوجود تعبير « حق الحرمة الشخصية » .

وتعتبر المحاكم الجزئية في نيويورك هي أول المحاكم التي اعترفت بحق الحرمة

الشخصية . وفى الدعاوى الاولى التى أقيمت أمامها طالب المدعون المدعى عليهم بوقف اعتدائهم المتعمد . وكان موضوع القضية الأولى المقامة من مانولا ضد ستيفنس هو ان احدى الممثلات ظهرت على المسرح فى ملابس ضيقة بشكل فاضح فالتقط لها المدعى عليه صورة . وقد منعت المحكمة من نشرها . وفى قضية ماكنزى ضد شركة سouden مينرال سبرنج ، أمرت المحكمة المدعى عليها التى كانت تستخدم اسما مشابها لاسم احد الأطباء بغير اذن منه فى الاعلان عن دواء لها بأن توقف استخدام الاسم . وفى القضية المرفوعة من ماركس ضد جيف ، وفيها كان المدعى عليه قد نشر فى مجلته صورة للمدعى عليه وصورة لآخر ودعا للتصويت على شعبية المدعى بالمقارنة لهذا الأخير ، أمرت المحكمة بإيقاف النشر .

ومع ذلك فقد ظلت محكمة الاستئناف فى نيويورك لعدة سنوات تأخذ بالرأى المعارض ، واستقرت على انه لا يوجد للمدعى حق يحميه من استخدام المدعى عليه لصورته فى الاعلان عن منتجاته التجارية .

وبعد أن أبدى الرأى العام استيائه من حكم المحكمة الاستئنافية أصدر المشرع فى نيويورك لائحة تعتبر استقلال اسم أو وجه أو صورة احد الأشخاص للاغراض الاعلانية بغير الحصول على موافقة كتابية منه ، من قبيل أفعال الاعتداء والخطأ .

وبعد فترة دارت فيها التساؤلات من جانب المحققين عما اذا كان هناك وجود لحق الحرمة الشخصية ، صدر فى عام ١٩٣٠ مشروع قانون جديد عن أفعال الخطأ ، وقد جاء مؤيدا للاعتراف بحق الحرمة الشخصية . وهذا المشروع يهدف الى تقنين القانون العام عموما فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولا يضم فحسب ما استقرت عليه المحاكم من تفسيرات واسعة لقواعد القانون بل كذلك القواعد التى أطورها تطبيق المحاكم لمختلف القوانين . وقد قام بوضع هذا المشروع المعهد الأمريكى للقانون الذى يضم مجموعة شهيرة من ثقات القانونيين من رجال القضاء والمحامين . وبرغم أن هذا المشروع لم يصدر كقانون ، الا انه كان له تأثيره الواضح على تطور القانون فى الولايات المتحدة .

والمادة ٨٧٦ من هذا المشروع التى تجيز اقامة الدعوى ضد الاعتداء على الحرمة الشخصية تنص على أن :

« كل من يتعرض بغير مبرر وبشكل جدى لمصلحة غيره فى حجب شؤونه الخاصة أو صورته عن الكافة ، يكون مسئولاً أمامه عن ذلك ، » .

ونتيجة لما قوبل به هذا المشروع من ارتياح ، بدأت أغلب محاكم الولايات تعترف بشكل ما بالحق فى اقامة الدعاوى المدنية عن وقائع انتهاك الحرمة الشخصية . كما صدرت عدة لوائح فى الولايات لحماية صور الحرمة الشخصية .

وقد تضمن التعديل الرابع لدستور الولايات المتحدة حماية حق الفرد فى

الحرمة الشخصية ضد كل تدخل لا مبرر له من جانب الحكومة . ويقضى هذا التعديل بحماية الأفراد من التفتيش والقبض الباطلين ، وقد ذهبت المحكمة العليا للولايات المتحدة بأن كفاءة حرمة الفرد الشخصية ضد تدخل الشرطة التحكيمي هو لب التعديل الرابع . وقالت في سياق الكلام على التفتيش والقبض الباطلين :

« ليس كسر أبواب أحد الأشخاص وتفتيش ادراجه هو الذى يشكل جوهر الاعتداء ، بل هو التهجم على حق الشخص المصون فى أمنه وحرية الشخصية وأمواله واقتحام المسكن وفتح الصناديق والادراج هي ظروف مشددة . ويعتبر من الأفعال المعاقب عليها طبقا للتعديلات كل انتزاع بالقوة والاجبار لاعتراف أحد الأشخاص أو أوراقه الخاصة لاستخدامها كدليل لادانته فى جريمة ، أو لمصادرة أمواله » .

وقد ذهبت المحكمة العليا فى هذه القضية وفى القضايا التالية الى أن هذه الحماية لا تطبق فحسب ضد الموظفين الفيدراليين بل كذلك ضد موظفى الولايات على أساس أن التعديل الرابع عشر الخاص برسوم الدعاوى يجعل التعديل الرابع مطبقا على الولايات .

### تعريف حق الحرمة الشخصية وتقسيمه القانوني

ان أقدم تعريف لحق الحرمة الشخصية هو « حق المرء فى أن يترك لحاله » ، وقد صاغ هذا التعريف قاض أمريكي . وفى سنة ١٩٦٧ رسم الان ف . وستين صورة حية ومفزة للتطورات العلمية فى الولايات المتحدة وأثرها على الحرمة الشخصية . ووضع تقسيما للحرمة الشخصية فى البنود الرئيسية التالية : الخلوة أو العزلة ، الحياة العاطفية الخاصة ، التحفظ .. وعرف الحرمة الشخصية بأنها :

« هي مطلب الأفراد والجماعات والمؤسسات فى أن يحددوا لأنفسهم متى ، وكيف ، وإلى أى مدى ، يمكن أن تصل المعلومات الخاصة بهم الى الغير . وإذا ما نظرنا الى الحرمة الشخصية فى إطار علاقة الفرد بالمشاركة الاجتماعية ، فانها تبدو حق الفرد فى أن ينسحب بعض ارادته واختياره من المجتمع العام بالوسائل الطبيعية أو النفسية ، سواء أراد أن يعيش فى عزلة ، أو فى مجموعة صغيرة خاصة ، أو أن يعيش فى حالة تحفظ أو انفلاق عندما يكون بين مجموعات أكبر » .

وتعد الدراسة التى وضعها وليم بروسر عن هذا الحق من أبرز الدراسات . وقد قسم القواعد القانونية التى تحكم الحرمة الشخصية فى أمريكا فى أربعة موضوعات رئيسية :

- ١ - التطفل أو التهجم على عزلة أو خلوة المدعى ، أو على شؤونه الشخصية .
- ٢ - افشاء الوقائع الخاصة المثيرة المتعلقة بالمدعى .
- ٣ - النشر الذى يترتب عليه تكوين الرأى العام لفكرة غير سليمة عن المدعى .



٤ - قيام المدعى عليه تحقيقا لمصلحته الخاصة بالاستحواذ على اسم المدعى أو صورته .

### الناقشة الجارية حول حق حرمة الشخصية

يؤيد الكتاب القانونيون تأييدا عاما التوسع في حق حرمة الشخصية في الولايات المتحدة . وتطور في الآونة الحاضرة مناقشة واسعة في الصحف حول حق حرمة الشخصية حيث ظهر فيض من المقالات القانونية . والمجال الذي يحظى أكثر من غيره بمزيد من التعقيب هو مجال المراقبة الالكترونية واشترطة التسجيل . وبالإضافة الى كتابات بروسر وآلان . ف . وستين ، التي سبق الإشارة إليها ، يعتبر كتاب حق حرمة الشخصية لمؤلفيه صامويل . ه . هوفستاتر وجورج هورفنز من أهم المساهمات في هذا الميدان في الآونة الأخيرة .

### صور للحرمة الشخصية بغير حماية حتى الآن

صور القاضي بيجز الوضع الحالي للقانون بأنه «ما يزال ككومة قش في اعصار » . ويبدو أن أقل المجالات حماية حتى الآن هو مجال الشخصية العامة أو مجال الشهرة . فقد دخل حق حرمة الشخصية في صراع مع الحق في حرية التعبير خرج منه الأول مهزوما .

كذلك فإن الحماية ضد الاعتداءات العادية على حرمة الشخصية تبدو قليلة نسبيا ، فالحماية لا تمنح الا اذا كان الفعل يشكل اعتداء على أمور شخصية خطيرة ، أو يمس إحدى سمات الفرد المميزة .

وثمة مجال آخر أصبح في الآونة الأخيرة مثار تعقيب ، وإن لم يحظ حتى الآن بكثير من الحماية ، هو تخزين المعلومات في الحاسبات الالكترونية ونشرها . ونظرا لتكاثر بطاقات الائتمان وتزايدها دارت مناقشات حول تنظيم هذا المجال .

وقد أبرز أ . ف . وستين المجالات التي لم يحظ فيها حق حرمة الشخصية في أمريكا بالحماية الكافية ، وذلك سواء في القانون أو في التطبيق العملي (مع استبعاد مشكلة الاشراف على تطفل الموظفين العموميين على حرمة الشخصية) . وتضم هذه المجالات :

أجهزة كشف الكذب ، واختبارات الشخصية ، التي يستخدمها غالبا أرباب العمل قبل تعيين متسخدميهم .

الهيمنة على البيانات عن طريق الزيارة المستمرة في استخدام الحاسبات الالكترونية من جانب الحكومة والهيئات الخاصة ( البنوك ، شركات الائتمان ، أرباب الأعمال ، شركات التأمين ، الخ ) .

المراقبة الالكترونية وتسجيل المآداثات التلفونية التى تتم بغير اعتداء  
جسمانى بواسطة الموظفين العموميين وعلى الأخص رجال الشرطة ، وبواسطة الهيئات  
الخاصة والأفراد كذلك .

## المملكة المتحدة

### القواعد العامة للحرمة الشخصية

ليس للمملكة المتحدة كما هو معروف تماما دستور مكتوب . وقد قيل أن  
الدستور البريطانى يمكن وصفه فى جملة واحدة « يوجد برلمان يستطيع أن يفعل  
ما يروق له » . ولهذا فربما نستطيع القول بأن الحماية الدستورية الوحيدة ضد  
الاعتداء على الحرمة الشخصية فى المملكة المتحدة تركز على يقظة أعضاء البرلمان .

ولا يعترف القانون العام الانجليزى بقواعد عامة للحرمة الشخصية ، كما أن  
البرلمان لم يصدر قوانين مخصوصة لارساء مثل هذا الحق . ومثل هذه الحماية التى  
يكفلها القانون تظهر بالصدفة كنتيجة عارضة لعديد من القوانين التى وضعت لأغراض  
أخرى مثل حماية سمعة الأشخاص الطبيعيين ، وحماية الملكية بوجه خاص . ونتيجة  
لهذا الطابع العرضى لمثل هذا العلاج ، فإنه يبدو غير ملائم لحماية كافة صور الحرمة  
الشخصية . ولما كانت تلك القوانين قد وضعت من أجل أهداف أخرى ، فليس  
بمستغرب أن يثبت عجزها عن توفير الحماية فى بعض الأحيان .

### التطور التاريخى

ونتيجة لما تقدم ، ليس من الممكن حقا التحدث عن التطور التاريخى لحق الحرمة  
الشخصية فى القانون الانجليزى .

والقضية التى يمكن أن تكون قد أدت الى التوسع فى حق الحرمة الشخصية هى  
« القضية التى أقامها الأمير البرت ضد سترينج فى عام ١٨٤٩ » . فقد نشر المدعى عليه  
بعض الرسوم المحفورة على المعدن التى كانت الملكة فيكتوريا وزوجها الأمير البرت قد  
أعداها لتسليتهما الخاصة . وقد أمرت المحكمة بإيقاف النشر ومنع نشر أى وصف  
لهذه الرسوم فى كتالوج . وقد استخدم نائب رئيس القضاة نايت بروس تعبير  
« الحرمة الشخصية فى حكمه وقال :

« لو أن حق الشخص فى أن يحتفظ لنفسه فى حالة من الخصوصية بممتلكاته  
ذات الطبيعة الشخصية ودون أن يكون فى ذلك اعتداء على حق الغير قد أصبح  
محلا للشك لكأن النتيجة الحتمية لذلك هى أن من يستطيع بغير الرضا الصريح  
أو الضمنى لما لك هذه الأشياء الحصول على معلومات عنها يكون الحق فى أن يستغل  
معلوماته لينشر بغير موافقة المالك وصفا لها .

ولم تسائر المحاكم في المملكة المتحدة هذا المبدأ الذي أرساه الحكم في هذه القضية • وهو مبدأ يبدو انه كان له تأثير على تطور القانون العام في الولايات المتحدة أكبر منه في المملكة المتحدة •

### تعريف بتقسيم

ونتيجة لما تقدم كذلك ، فانه لا يوجد تعريف انجليزي ، أو تقسيم قانوني لحق الحرمة الشخصية ، وكلما دعت الحاجة الى تعريف من التعريفات اتجه النظر للبحث عنه عبر الاطلنطي •

والمملكة المتحدة هي احدى الدول الموقعة على الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، ومع أن هذه الاعلان ينص على أن لا يخضع أى شخص لأى تدخل تحكمى فى شؤونه فانه لا يجد له صدى قانونيا فى التشريع الانجليزى •

بيد أن الأهم من ذلك هو أن المملكة المتحدة واحدة من الدول الأعضاء فى الميثاق الأوروبى لحقوق الانسان كما انها من بين الدول الموقعة على البند الاختيارى فى هذا الميثاق الذى يتيح للأفراد حق الشكوى للجنة الاوربية لحقوق الانسان • ومعروف انه يجوز تقديم الشكوى للجنة الاوربية بفية تأكيد حق الحرمة الشخصية ، أعمالا لنص المادة ٨ من الاتفاقية التى تنص على أن :

- ١ - لكل شخص الحق فى احترام حياته الخاصة والعائلية ، ومسكنه ، ومكاتباته •
- ٢ - لا تتدخل السلطة العامة فى ممارسة هذا الحق الا اذا كان ذلك بقتضى القانون، وكانت تتطلب فى مجتمع ديمقراطى مصلحة الأمن القومى ، والأمن العام ، والرفاهية الاقتصادية للبلاد ، أو لمنع الاخلال بالنظام أو الجريمة ، أو لحماية الصحة العامة والأخلاق ، أو لكفالة حقوق وحريات الآخرين •

### المناقشات الجارية عن حق الحرمة الشخصية

لم يلق موضوع الحرمة الشخصية فى المملكة المتحدة من فقهاء القانون وممارسيه على السواء الا اهتماما يقل كثيرا عما يلقاه فى الولايات المتحدة • فقد تناولته باختصار الكتب المدرسية التى تعالج قانون الخطأ • ولم تعرف انجلترا مثل ذلك القدر من المقالات والكتب التى درست الموضوع فى الولايات المتحدة •

ومع ذلك فقد أصبح هذا الموضوع أحد الموضوعات التى تحظى باهتمام الرأى العام • وازداد الاهتمام بالنشاطات التى تهدد الحرمة الشخصية ، سواء نشاطات الصحافة أو المخبزين السريين المحصويين ، أو من يقومون بعمليات التجسس الصناعى، أو وكالات المعلومات الائتمانية ، أو الشرطة ، أو منظمات المخابرات ، بل حتى ازدياد شهية البيروقراطية فى الحصول على مزيد من المعلومات ذات الطبيعة الشخصية • وكما حدثت فى البلاد الأخرى ازداد الاهتمام نتيجة الامكانيات التى تحققت

المخترعات التقنية الحديثة للتسلل ، كذلك نتيجة لقدره الحاسبات الالكترونية التي تفوق الخيال في اختزان المعلومات على النطاق الفلكي وافرأها في لحظة .

وقد قدم أعضاء البرلمان عدة مشروعات بقوانين في هذا الشأن في المجلسين على السواء ، ولكن لم يتم لأن اقرار أى منها . وكان أول هذه المشروعات مشروع اللورد مانكروفت عن حق حرمة الشخصية الذى قدمه الى مجلس اللوردات عام ١٩٦١ .

وحدث بعد ذلك تقدم في دراسة هذا الموضوع ، اذ قدمت لجنة العدالة - وهى الفرع الانجليزى للجنة الدولية للقانونيين - التى شكلت عام ١٩٦٧ لدراسة موضوع حق حرمة الشخصية ، تقريراً جاء فيه :

١ - ان حق حرمة الشخصية يعكس حاجة انسانية أساسية واجبة الاحترام فى مجتمع متحضر ، ويتطلب حماية القانون .

٢ - نظراً لازدياد الميل فى المجتمع المصطنع التكنولوجى نحو الاعتداء على حرمة الشخصية فان الحاجة للحماية القانونية تزداد بالتالى .

٣ - فى هذه الأوضاع الحديثة يبدو القانون الانجليزى بوضعه الحال فى حاجة الى درجة ملائمة من الحماية .

وأوصت اللجنة بوجود تعديل القانون بحيث :

١ - يعالج من الناحية المدنية أى اعتداء حقيقى لا مبرر له على حرمة الشخصية لأى فرد ، ويراعى فى الوقت نفسه حماية مصالح المجتمع تماماً ، وعلى الأخص احتياجات الصحافة باعتبارها حارسة للمصلحة العامة .

٢ - تحريم استخدام المخترعات الالكترونية والبصرية وغيرها كوسيلة لاستراق المراقبة ، وذلك فيما عدا أحوالاً معينة يجب تحديدها بجلاء .

٣ - توسيع النصوص الخاصة بالحصول على ترخيص بالنسبة لاستخدام وسائل الارسلات اللاسلكية ، وكذلك بالنسبة لبيعها وحيازتها .

٤ - لا يقبل فى الدعاوى المدنية الدليل الذى يتم الحصول عليه بوسيلة تتضمن اعتداء على حرمة الشخصية .

كما ارفقت اللجنة بهذا التقرير بغبة تأييد توصياتها مشروعا بقانون .

وأوصت كذلك بإجراء مزيد من البحث فى موضوع العقوبات الجنائية على أفعال التجسس الصناعى ، وفى موضوع تنظيم وسائل الحصول على المعلومات الشخصية واختزانها وتبليغها بواسطة أجهزة حفظ البيانات بحيث يكون فى مقدور أى شخص ان يتأكد من دقة المعلومات المتعلقة به ، وان يتعرف على من تعطى اليهم .

وفى سنة ١٩٦٩ قدم المستر بريان والدين أحد أعضاء مجلس العموم الى المجلس للمشروع الذى أعدته لجنة العدالة كمشروع خاص مقدم منه بعد أن أجرى عليه

تعديلات طفيفة • وقد قوبل المشروع بتأييد واسع الى حد أن الحكومة قررت تكوين لجنة ادارية برئاسة المستر كينيث يونجر لتقوم بالبحث فى مدى الحاجة الى تشريع يحقق مزيدا من الحماية للمواطن الفرد وللمصالح التجارية والصناعية وضد الاعتداء الذى يقع من الأشخاص العاديين ومن المنظمات والشركات على الحرية الشخصية ، على أن تقدم هذه اللجنة توصياتها • ولكن مع الأسف استبعدت الاعتداءات التى تقع من الادارات الحكومية على الحرية الشخصية من مجال البحث الموكول للجنة •

وحتى كتابة هذا المقال لم يظهر بعد تقرير اللجنة ، الذى يتوقع أن يكون من أكثر الدراسات جدية فى هذا الموضوع ، ويرتقب ظهوره بشقف •

كما قدم بعض الأعضاء مشروعات بقوانين أخرى ، هى القانون الخاص بالاخبارات التليفونية سنة ١٩٦٧ • وقانون بشأن الاعلام الصناعى سنة ١٩٦٨ ، وقانون بشأن تسجيل المخبرين الخصوصيين ، وقانون بشأن الرقابة على البيانات ، وقانون بشأن التسجيلات الشخصية ( الحاسبات الالكترونية ) عام ١٩٦٩ •

ومن المساهمات الجليلة فى هذا الموضوع ورقة العمل التى قدمتها اللجنة القانونية فى سنة ١٩٦٧ ، والدراسة التى أجراها المجلس القومى للحريات المدنية عن « الهجوم على الحرية الشخصية » فى سنة ١٩٦٨ • وكذلك الدراسة التى أجراها عن أجهزة حفظ المعلومات سنة ١٩٧٠ • والكتاب الذى وضعه مالكولم وارنر وميخائيل ستون بعنوان « مجتمع أجهزة ضغط المعلومات » •

وكان آخر مشروعات القوانين التى قدمها الأعضاء الى البرلمان القانون الذى قدمه عام ١٩٧١ المستر ليسلى هاكفيلد عن الاشراف على الاعلام الشخصى ، ويقترح هذا المشروع ايجاد نظام شامل على أجهزة حفظ المعلومات الشخصية ، وانشاء محكمة لأجهزة حفظ المعلومات وهيئة مستقلة للتفتيش عليها • وتمنح المحكمة تراخيص للعاملين على هذه الأجهزة تصدر بشروط تتناسب مع مهمتهم • ويكون من حق الفرد أن يطلع على أى بيان يتعلق به محفوظ فى أجهزة حفظ المعلومات • ويكون لمحكمة أجهزة حفظ المعلومات ان تأمر بتصحيح أى بيان محفوظ فى هذه الأجهزة اذا ما اتضح عدم دقته أو نقصه أو عدم تعلقه بذات الشخص وذلك على ضوء الغرض الذى يحتفظ من أجله بهذا البيان • والمحكمة ان تأمر كذلك باخطار من أعطى البيان الخاطى بما أدخل عليه من تصحيح • ويراعى تحديد نوع البيان المحفوظ وطريقة الوصول اليه • وحتى البيانات التى لا يجوز للأفراد الاطلاع عليها مثل السجلات الطبية وسجلات الشرطة يجب مراجعتها بواسطة هيئة التفتيش للتحقق من دقة بياناتها • كما يكون من بين سلطات المحكمة الأمر باعدام أجهزة حفظ المعلومات •

وقد ظهر اهتمام الجمهور بما تجلبه المعلومات المختزنة فى الحاسبات الالكترونية من تهديد للحرمة الشخصية ، عند اجراء تعداد ابريل عام ١٩٧١ • فقد

أعلن البعض قلقهم من أن بعض المعلومات التي تستخرج من التعداد يمكن إذا ما وقعت في غير أيدي مكتب التسجيل العام أن تستخدم في أغراض قد تصل إلى حد الاعتداء على الحرية الشخصية . ورغم ما اتخذ من احتياطات شديدة لمنع ذلك فقد قدم أحد موظفي التعداد للمحاكمة لادلائه بمعلومات تعدادية غير سليمة .

### صور للحرمة الشخصية ما تزال بغير حماية

وضع تقرير لجنة العدالة السابق الإشارة إليه بيانا بحالات أوردتها على سبيل الافتراض لا يتمتع فيها الشخص بأية حماية في ظل القانون الحالي . ونرى من الأفضل أن نعيد عرضها هنا .

١ - أنت تملك حديقة مسورة معزولة لا يطل عليها الا تل يقع على مسافة ميلين . وفي أحد الأيام وأنت تقبل زوجتك في الحديقة يلتقط لك شخص اجنبي كان يقف على طريق فوق التل صورة فوتوغرافية مستخدما عدسات التصوير القوية .

٢ - أنت وشريكك تناقشان في مكتبكما خطة التسويق القادمة لشركتكما ، ونافذة المكتب مفتوحة . ومن احد المباني الكائنة في عرض الشارع يستطيع منافس لكما في التجارة ، بعد أن ياذن له القاطن في هذا المبنى ، أن يسجل حديثكما بميكروفون صغير ناقل .

٣ - يبذل مكتب الاستعلامات في احدى مؤسسات الائتمان القومية كل جهد معقول للحصول على معلومات من أوثق المصادر ، غير ان الوكيل الذي يستخدمونه في المنطقة التي تقيم فيها يكن لك الحقد ، ويعرف بعض أسرارك الخفية المشينة ، فيضمن تقريره الذي يبعث به اليهم هذه الاسرار بصورة دقيقة ، فيوضع التقرير في سجلاتهم ، وتتهار من ثم الثقة فيك .

٤ - رب عملك ، يبعث على غير علم منك بمن يتتبع زوجتك ، ويتقابل مع أصدقائها وجيرانها ويتبادل معهم الحديث . والنتيجة هي تعليقات صحيحة صادقة ولكنها في غير صالحك ، توضع في ملفك الشخصي .

٥ - وأنت في منزلك تناقش تليفونيا في شؤون عملك مع مدير البنك الذي تتعامل معه ، يتصنت أحد مندوبي الاستعلامات الى المحادثة مستخدما سماعة يوصلها بالاسلاك التليفونية التي تعبر الطريق ، ثم يبيع بعدئذ ما حصل عليه من معلومات لمنافسك في التجارة .

٦ - أنت عضو لك احترامك في مجتمعك المحلي . ولست شخصية عامة على أية حال . وفي أحد الأيام تنشر احدى المجلات المحلية مقالا عنك تلمع فيه الى الحقائق التالية :

( أ ) منذ خمسة عشر عاما حكم عليك بالسجن لسرقة .

- (ب) منذ عشر سنوات كانت لك علاقة بسيدة متزوجة .  
 (ج) توفيت والدتك فى احدى مصحات الامراض العقلية .  
 وكل هذه البيانات صحيحة .

٧ - من سوء حظك انك سقطت تحت عجلات سيارة تقودها شخصية سياسية مرموقة واصبت اصابة جسيمة . وبإذن من احدى العاملين بالمستشفى ( ودون اذن منك او من عائلتك ) يلتقط احدى مصوري وكالات الأنباء صورة لك وأنت ترقد مشوها فى غيبوبة فى سرير مرضك بالمستشفى ، ويبيع هذه الصورة لاحدى المجلات التى تنشرها .

٨ - ابنتك الوحيدة وهى ممثلة ناجحة توفيت فى حادثة سيارة . يتصل بك مندوبو الأخبار تليفونيا ليلا ونهارا ، ويحاصر مصورو الصحافة وشركات التليفزيون بيتك ليلتقطوا لك ولزوجتك صورة كلما خرجتما من الباب . وتنتشر هذه الصور فى الصحافة الوطنية وفى نشرات الأخبار التليفزيونية .

٩ - أنت صاحب مصانع لانتاج سلعة مشهورة ، ورقم تليفونك المنزلى غير مدرج فى دليل التليفونات . يداعبك احدى مقدمى البرامج المشهورين فى التليفزيون ، دون أن يكون متعمدا التشهير بك أو القذف فى حقك ، فيعرض فى أحد برامج على الشاشة رقم تليفونك ، ويقترح على المشاهدين طلبك تليفونيا . ولا يتوقف جرس تليفونك عن الرنين عدة أيام . ولا يكون أمامك غير أن تقطع الاتصال التليفوني وتفقد نتيجة لذلك صفقة هامة .

١٠ - أخوك الذى مات منذ مدة طويلة كان مصابا بشلوذ جنسى ، وقد سبب له ذلك متاعب شديدة ، وحاول التغلب على هذا الشلوذ قدر استطاعته . ولم يكن يعرف ذلك الا قلة قليلة من الناس من بينهم شخص معروف بشدة تحامله ، وهو صديق لرب عملك . فيفضى اليه بهذه الحقيقة مؤكدا اياها . فتطرد أنت من عملك دون أن تدري سببا لذلك ، وينشر رب العمل هذه القصة على أوسع نطاق .

وفى هذه الحالات كلها لا يكون لك وفقا للقانون القائم أى حق فى التعويض ، ولا يعتبر ما وقع من أولئك الأشخاص فعلا مجرما .

## ١-الرئدة الشمالية

يوجد فى هذا الركن من المملكة المتحدة انقسام شديد بين أغلبية السكان البروتستانت الذين يدينون بالولاء الشديد لبريطانيا ، وبين الاقلية الكاثوليكية التى يحس الكثيرون منها بارتباطهم الوثيق بباقى الجزيرة التى يعيشون عليها .

والنظام القانوني العام في أيرلندة الشمالية هو نفسه النظام القائم في المملكة المتحدة وفي جمهورية أيرلندة المستقلة . ذلك أن أيرلندة كلها تأخذ بالقانون العام الانجليزي كأساس لنظامها القانوني .

ولأيرلندة الشمالية برلمانها الذي يختص بإصدار التشريعات المتعلقة بالشؤون الداخلية بما في ذلك الحفاظ على القانون والنظام . ولها كذلك محاكمها وهيئتها القضائية التي تتولى تطبيق القوانين المعمول بها في مقاطعة أيرلندة الشمالية وهي :  
( أ ) القوانين التي يصدرها برلمان المملكة المتحدة في وستمنستر وهي قوانين تنطبق على أيرلندة الشمالية .

(ب) كل ما يصدر من برلمان أيرلندة الشمالية وحكومتها من تشريعات .

(ج) القانون العام الانجليزي الا في الأحوال التي تكون قد صدرت فيها تشريعات مطبقة على أيرلندة الشمالية من شأنها تعديل هذا القانون .

والمبادئ العامة التي يركز عليها قانون « العقد والخطأ » هي نفسها القواعد المعمول بها في إنجلترا ، كما أن المبادئ الأساسية للقانون الجنائي هي نفسها المبادئ المأخوذ بها في إنجلترا باستثناء بعض أوجه الخلاف في الإجراءات وبخاصة بالنسبة لنظام المحلفين .

ونتيجة لذلك تنطبق في أيرلندة الشمالية بالنسبة لحق الحرية الشخصية المبادئ القانونية المعمول بها في إنجلترا . فلا يوجد كما هو الحال هناك قانون خاص للحرمة الشخصية ، ويعالج الوضع بالأسلوب المتبع في إنجلترا . وليس هناك فروق لها اعتبارها بالنسبة لقواعد القانون والتطبيقات العملية بين أيرلندة الشمالية وباقي المملكة المتحدة إلا في بعض الأحوال كتفتيش الأشخاص وتفتيش المساكن . والتشريع الرئيسي الذي يحكم هذه الحالات يكمن في القانونين المعروفين بقانون السلطات الخاصة ، وقانون النظام العام .

والقسم الأول من قانون السلطات المدنية ( السلطات الخاصة ) المطبق في أيرلندة الشمالية منذ عام ١٩٢٢ يعطي للسلطات المدنية ( أي وزير داخلية أيرلندة الشمالية ومن يخوله الوزير سلطاته بما في ذلك أي ضابط من ضباط الشرطة ) الحق في اتخاذ كل الإجراءات اللازمة وإصدار كافة الأوامر التي تتطلبها المحافظة على السلم وتدعيم النظام .

وقد تضمن القانون المذكور ستاً وثلاثين لائحة أساسية ، ألغى البعض منها واستبقى أغلبها في عام ١٩٥٠ وعام ١٩٥٤ ، نظراً لأن هذا القانون كان قد نص فيه على أنه يعمل به لمدة سنة واحدة ، وظل يتجدد سنوياً إلى أن تقرر في سنة ١٩٣٣ جعله ساري المفعول بصفة مستمرة . ويجوز وفقاً لهذا القانون إصدار لوائح جديدة لتجريم أفعال جديدة حتى بغیر موافقة برلمان أيرلندة الشمالية بمجلسيه . كما وسع



القسم الثاني ( فقرة ٦ ) من هذا القانون من دائرة التجريم ، اذ نص على انه اذا ما ارتكب أى شخص فعلا يمكن أن يعتبر فيه اخلال بالمحافظة على السلام وتدعيم النظام فى ايرلندة الشمالية ، ولم تنص عليه احدى اللوائح ، يعاقب بالعقوبة المقررة لمخالفة هذه اللوائح .

وينص هذا القسم كذلك على أن :

« من يرتكب اعتداء ، يكون عليه عبء اثبات أنه قد ارتكب هذا الفعل استعمالا لسلطة مشروعة أو لعذر قانونى » .

وهذا النص ، سواء من ناحية عموميته أو من ناحية القنائه عبء الاثبات على عاتق المتهم ، مستمد من المبادئ الأساسية للقانون الانجليزى .

وقد منحت اللوائح الأساسية التى أضيفت بعدئذ ، لوزير داخلية ايرلندة الشمالية سلطات واسعة أخرى . فله أن يدخل بغير اذن أى عقار أو مسكن ، وأن يقبض بغير اذن على أى شخص يشتبه فى انه يقوم ، أو قد قام ، أو انه على وشك القيام بفعل يخل بالحفاظ على السلم أو تدعيم النظام .

كما يمنح « قانون النظام العام » ( ايرلندة الشمالية ) ١٩٥١ ، فى القسم الرابع منه ، لكونستابل الشرطة الحق فى القبض بدون اذن على أى شخص يرفض أن يذكر له اسمه أو عنوانه عندما يطلب منه ذلك .

# الاعتداء على الحرية الشخصية للفرد

وحقه  
في خصوصياته  
وأساره

## تفتيش الأشخاص

في جميع البلاد توجد في القوانين نصوص خاصة تنظم حقوق رجال الشرطة في تفتيش الأشخاص . ولكن ثمة فوارق كبيرة في الطريقة التي تحمي بها القوانين الجنائية والمدنية الفرد من التفتيش غير القانوني . ففي بعض البلاد توجد نصوص صريحة تعالج هذا التهديد للحرية الفردية والحرمان الشخصية الإنسانية . بينما في بلاد أخرى يعالج الأمر في القانون العام المنظم للعدوان المادي .

## المكسيك

نفي المكسيك يحظر تفتيش الأشخاص بنص صريح هو المادة ١٦ من الدستور المكسيكي ، وهي تنص على أنه «لا يجوز التعرض لأحد في شخصه أو أسرته أو مسكنه أو أوراقه أو ممتلكاته إلا بموجب أمر مكتوب صادر من السلطة المختصة ، على أن تبين به الأسباب القانونية والمبررات المسوغة للإجراء المتخذ . . . » . وبهذه الطريقة يحمي الدستور المكسيكي - على عكس الدساتير الأخرى - الشخص من التفتيش غير القانوني .

ولا يصدر أمر التفتيش إلا من هيئة قضائية ، ويجب أن يكون الأمر مكتوباً وأن تبين به الأماكن التي تفتش والشخص أو الأشخاص الذين يقبض عليهم

## ترجمة : المستشار بياقوت العثماني

رئيس ادارة الفتوى والتشريع لرياسة الجمهورية ورياسة  
النوزراء وامانة الحكم المحل . حصل على ليسانس الحقوق عام  
١٩٤٣ بدرجة جيد جدا ، كما حصل على دبلومين في القانون .  
وفي عام ١٩٦٦ شغل منصب مستشار بمجلس الدولة .

## و المستشار عبد الخالق شهيب

رئيس ادارة الفتوى والتشريع لوزارة الحرية ووزارة  
الانتاج العربي . حصل عام ١٩٤٣ على ليسانس الحقوق  
بدرجة جيد جدا ، كما حصل على دبلومين في القانون عام ١٩٤٤  
وعام ١٩٤٥ . شغل منصب معيد بجامعة الاسكندرية  
عام ١٩٤٤ ، ومنصب محامي بقضايا الحكومة عام ١٩٤٦ ، ثم  
عين بمجلس الدولة عام ١٩٥٢ وأصبح مستشارا بالمجلس  
من عام ١٩٦٢ .

---

والاشياء التي يجرى البحث عنها . والنص المانع من التفتيش على هذا النحو غير  
مقرر في التوانين الجنائية ولكنه لا يعدو أن يكون إحدى الضمانات الدستورية .

### فنزويلا

وفي فنزويلا يوجد حظر صريح في القانون الجنائي بنظم تفتيش الأشخاص ،  
وهو محدود في تطبيقه اذ تنص المادة ١٧٩ من قانون العقوبات على أن :

« أي موظف عمومي يستغل سلطة وظيفته فيأمر بتفتيش أى شخص تفتيشا  
ماديا أو ينفذ أمرا من هذا القبيل يحكم عليه بالحبس مدة لا تقل عن شهر ولا تزيد  
على خمسة أشهر » .

ولا يتضمن القانون جزاءات مدنية لحماية الشخص من التفتيش غير القانوني  
باستثناء الحالة التي يكون فيها المساس بشرف الشخص وعرضه فينطبق عليه  
نص المادة ١١٦ من القانون المدني .

### الأرجنتين

وفي الأرجنتين لا يوجد نص خاص بحظر التفتيش ، ولكن الاعتداء على الأشخاص  
تنظمه المادة ٨٩ من قانون العقوبات التي تنص على أن :

« أى شخص يمس سلامة جسم شخص آخر أو صحته فى غير الأحوال المرخص بها فى قانون العقوبات يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن شهر ولا تزيد على سنة » .

وتنص المادة ٩٠ على عقوبات اضافية فى حالات المساس الخطيرة .  
كذلك المادة ١٤١ من قانون العقوبات فى حالة التفتيش المادى تنص على أن :

« أى شخص يحرم شخصا آخر بغير حق من حريته الشخصية يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن شهر ولا تزيد على سنة » .

وفى القانون المدنى تنص المادة ١٠٧٧ على أنه ينشأ من أى جريمة جنائية التزام يجبر الضرر الذى يصيب أى شخص من الجريمة ، كما تنص المادة ١٠٧٨ على أن الالتزام يجبر الضرر يشمل فضلا عن الضرر المادى الضرر الادبى الذى لحق بالمصاب . ولكن يشترط لرفع الدعوى بناء على هذه المواد أن يكون ثمة ارتكاب لجريمة جنائية .

### البرازيل

ولا يوجد فى البرازيل تشريع خاص يحمى الشخص من التفتيش غير المشروع سواء فى قانون العقوبات الحالى أو فى قانون العقوبات الجديد الذى أصبح نافذا اعتبارا من اول يناير سنة ١٩٧٢ .

### جمهورية ألمانيا الاتحادية

وفقا للمادة ١٠٢ من قانون ١٧ سبتمبر سنة ١٩٦٥ يجوز تفتيش أى شخص يشتبه فى أنه ارتكب جريمة ، ولكن يشترط لذلك قيام قرائن على أن التفتيش سوف يساعد على تعقب الجريمة والمجرم .

ووفقا للمادة ٨١ من قانون العقوبات يجوز تفتيش الشخص غير المتهم بارتكاب أى جريمة وذلك بغير موافقته اذا كان ذلك ضروريا للحصول على دليل مادى على واقعة معينة .

واذا كان المتهم امرأة فإن المادة ٨١ ( د ) تنص على أنه يجب أن يكون من يقوم بتفتيشها امرأة أو طبيبا . كما يجوز لها أن تطلب أن يتم تفتيشها بحضور امرأة أخرى أو أحد أفراد أسرتها ، ويسرى هذا الحكم حتى لو تم التفتيش برضاها .

ويخول قانون آخر أفراد القوات والدفاع المدنى أثناء تأدية واجبات وظائفهم أن يفتشوا ويقبضوا على الأشخاص وأن يصادروا ما معهم من اشياء . ولهم أن يلجأوا الى استعمال القوة المعقولة . وينص القانون على أنه يجوز أن يوقف أى

شخص يتواجد في المنشآت العسكرية وأن يجرى تفتيشه ويجوز كذلك لوزير الحربية ولوظفيه أن يصدرُوا أوامر بوقف وتفتيش أى شخص يدخل أو يصادر المناطق العسكرية والحصينة . ويجوز استعمال القيود الحديدية اذا ظهر - مع ظروف أخرى - أن الشخص المشتبه فيه يحاول الانتحار أو الهرب .

### السويد

ينص قانون الاجراءات الجنائية على انه يجوز تفتيش الشخص الذى يشتبه - بناء على اسباب معقولة - فى انه قد ارتكب جريمة جنائية وذلك للحصول على دليل . ولكن رجل الشرطة العادى ليس له سلطة التفتيش بغير اذن من رئيسه الا اذا ارتكبت الجريمة فى حضوره . وكل تفتيش لا تتوافر فيه جميع الشروط المنصوص عليها فى قانون الاجراءات الجنائية يعتبر غير مشروع ، وقد يعتبر اعتداء او ضربا اذا استخدمت فيه القوة بطريقة غير قانونية .

ورضاء الشخص يحيل التفتيش غير القانونى الى تفتيش مشروع ولكن بشرط ان يكون الرضا خاصا لا عاما بمعنى انه لا يجوز ان يضمن فى العقد كشرط من شروطه بين رب العمل والعامل .

واذا فتش رجل الشرطة او أى موظف آخر شخصا بغير اذن شرعى فان ذلك قد يعتبر خروجا على مقتضى الواجب فى أداء الوظيفة قد يصل الى حد الجريمة الجنائية .

وقد صدر حديثا قانون يرخّص بتفتيش الشخص بغير اذن كتابى بقصد مكافحة خطف الطائرات ، ولكن هذا مقصور على تحقيق هذا الغرض المحدد .

### فرنسا

وحرمة جسم الانسان مبنية على مبدأ « أباك ان تمسنى » .

واستنادا الى هذا المبدأ العام من مبادئ القانون الفرنسى يجوز للشخص ان يرفض التفتيش .

وفضلا عن ذلك يجوز لكل من جرى تفتيشه رغم ارادته ان يقيم دعوى مدنية على من فتشوه للمطالبة بتعويض الضرر الذى اصابه من جراء المساس بكرامته . على هذا نصت المادة ١٣٨٢ من المجموعة المدنية الفرنسية الصادرة سنة ١٨٠٤ بقولها : « كل من تسبب بفعله الخاطىء فى الحاق ضرر بالغير يلزم بالتعويض » .

ولكن التعليمات الجمركية قد خرجت على هذا المبدأ العام فى مجال القانون الادارى اذ اجازت لموظفى الجمارك تفتيش الأشخاص القادمين الى فرنسا .

وتختلف سلطة البوليس - فى القانون الجنائى - فى تفتيش الأشخاص حسب الظروف والملابسات . ففى مرحلة التحقيق المبدئى بواسطة البوليس

يجوز تفتيش الشخص المشتبه فيه تفتيشاً جسمىاً برضائه . أما فى حالة التلبس ( أى القبض على الشخص أثناء ارتكاب الجريمة ) فيجوز التفتيش الجسمى . وإذا اشتبه فى أن الشخص يحمل أسلحة بغير ترخيص جاز التفتيش إذا قامت أسباب معقولة تؤيد الاشتباه ، غير أنه يجوز تفتيش الشخص إذا قبض عليه بوجه قانونى أو أثناء التحقيق معه بواسطة قاضى التحقيق . وفى جميع الحالات يخضع حق التفتيش أسوة بتفتيش المسكن لتقدير معين هو أنه يشترط قيام اعتقاد يستند إلى أسباب معقولة بأن من المحتمل أن يؤدى التفتيش إلى كشف وقائع أو أشياء ذات أهمية فى محاكمة المجرم . ويجب أن يتم التفتيش بمراعاة الضمانات المنصوص عليها فى المواد ٥٦ و ٥٧ و ٥٩ من قانون الإجراءات الجنائية .

### سويسرا

لا يجوز تفتيش الشخص إلا فى حالات استثنائية وعند وجود نص صريح على ذلك فى القانون .

وتنص المادة ٣٦ من قانون الجمارك الاتحادى الصادر فى أول أكتوبر سنة ١٩٢٥ بأنه يجوز أن يفحص تفتيشاً جسمىاً الأشخاص الذين يعبرون فقط المراقبة الجمركية إذا اشتبه فى أنهم يحملون بضائع ممنوعة أو بضائع خاضعة للضرائب الجمركية . وتنص التعليمات الصادرة فى ١٠ يولية سنة ١٩٢٦ بأنه يجب أن يتم التفتيش فى أماكن مناسبة ومغلقة ومزودة بالتدفئة شتاءً وأن تفتيش الأثاث يجب أن يتم بواسطة أشخاص من جنس الأشخاص الذين يجرى عليهم التفتيش .

وتفتيش الأماكن والأشخاص ينظمه - فى القانون الجنائى - قانون الإجراءات الاتحادى الصادر فى ١٥ يولية سنة ١٩٣٤ ونصوص خاصة فى قوانين الإجراءات الجنائية المعمول بها فى الأقاليم .

وتنص المادة ٦٧ من القانون الاتحادى على أنه يجوز لقاضى التحقيق دخول الأماكن التى يعتقد لأسباب معقولة أن المتهم قد يكون مختبئاً فيها أو أنه يوجد بها بعض الأدلة الهامة . ويجوز عند الاقتضاء تفتيش المتهم .

ويجوز لقاضى التحقيق أن يفوض أحد رجال الشرطة المسؤولين فى تفتيش الأماكن أو الأشخاص وفقاً للقانون الأقليمى .

وتنص المجموعة السويسرية الصادرة سنة ١٩٠٧ على أنه يجوز للشخص الذى يقع تدخل غير مشروع فى مصالحه أن يقدم طلباً للحصول على أمر قضائى كما يجوز له أن يطالب بالتعويض أو أداء مبلغ عن الضرر الأدبى الذى لحق به ، وذلك وفقاً لأحكام القانون .

## الولايات المتحدة الأمريكية

ويحمى قانون الحقوق كرامة الانسان .

ويحمى التعديل الرابع من تعديلات الدستور الأمريكى الأفراد من الاستناد الى أدلة حصل عليها موظفو حكومة الاتحاد أو حكومة الولاية بتفتيش أو ضبط غير معقول لأشخاصهم أو مساكنهم أو أوراقهم أو منقولاتهم .

ولكى يتسنى اجراء التفتيش يتعين على الموظفين الاتحاديين الحصول على اذن كتابى من القاضى بالمنطقة . ويستثنى من ذلك حالة الخشية من ضياع الدليل نتيجة للتأخير فى الحصول على الاذن وحالة المحاكمة المستعجلة وحالة القبض الشرعى .

ولا يوجد فى القانون العام تعويض مدنى عن خرق حرمة الشخصية الانسانية للفرد بتفتيش شخص أو أملاكه . ولكن التعويض المدنى عن مثل هذا التدخل فى حرمة الفرد يكون عن طريق اقامة دعاوى تعويض اساسها الاعتداء والتعدي .

كما توجد حماية عامة واسعة المدى لحرمة الشخص من التدخل فيها فى أحد اقسام قانون الحقوق ( ١٣ ) مما يسمح برفع دعوى عن حرمان الشخص من أى من حقوقه أو امتيازاته أو حصاناته التى كفلها الدستور وقوانين الولايات المتحدة الأمريكية .

وفضلا عن ذلك فان من الأسباب التى تجيز رفع دعوى مدنية للمطالبة بالتعويض أو الحصول على أمر قضائى اختلاس النظر ( التلصص ) أو التدخل الذى يعتبر ماسا بالرجل العادى العاقل ، على أن يكون من حصل التدخل فى شؤونه متمتعا بالحق فى حماية حرمان شخصيته الانسانية . وهذه القواعد تطفى بعض حالات التفتيش غير الشرعى .

وفى احدى الدعاوى التى حدث فيها أن فتش المدعى عليه حقيبة مشتريات المدعى فصلت المحكمة فى المنازعة استنادا الى مبدأ حماية حرمان الشخصية الانسانية للفرد نظرا الى أنه لم يكن بالدعوى وقائع يمكن رفع الدعوى بها استنادا الى قاعدة قانونية أخرى ، كما أن الدعوى لم تكن تستند الى أى مبرر من مبررات مبدأ الدفاع عن النفس .

وفى قضية أخرى مماثلة حيث فتش المدعى عليه جاكته المدعى وجوبه وحقيقته على رأى من عدد من المشاهدين خارج الحانوت ولم يعثر على أى شيء مسروق حكم بتحقيق السبب الموجب لرفع الدعوى للاعتداء على حرمان الشخصية الانسانية للفرد .

## المملكة المتحدة

ويجوز لرجل الشرطة الذى يقبض على شخص بطريقة شرعية أن يفتشه وبأخذ ويحتجز ما بحيازته من مال اذا بدا أنه يشكل دليلا ماديا ضده أثناء محاكمته الجنائية .

ويجوز لرجل الشرطة اذا اشتبه فى ارتكاب شخص ما جريمة ان يقبض عليه بغير اذن كتابى ، وفى هذه الحالة يتعين اصطحابه الى قسم الشرطة وتوجيه الاتهام اليه فى وقت معقول . ولا يجوز اتهامه بارتكاب جريمة معينة ثم محاكمته امام المحكمة عن جريمة أخرى

والوسيلة التى ينص عليها القانون العام لحماية الشخص هى دعوى التعدى على الشخص ، وهى متاحة كلما وقع تدخل مادي أو تهديد غير مرخص به للشخص ، ولكن لا يكون ثم سبب لقبول الدعوى فى حالة رضا الشخص بالتفتيش ولو كان ذلك الرضا غير حر أو ضميا ، ولا يتوافر للعامل الذى تنص شروط عقده على تفتيشه عند باب محل العمل أى سبب لرفع الدعوى ما لم يجز تفتيشه فى ظروف تحمل معنى التشهير به ويسمعه .

وفى ايرلندا الشمالية تخول القاعدة رقم ٦ من قانون السلطات المدنية ( السلطات الخاصة ) لسنة ١٩٢٢ أى ضابط شرطة أو كونستابل أو أى عضو من قوات صاحبة الجلالة أن يوقف أى شخص ويفتشه اذا اشتبه فى أنه يحمل اسلحة نارية « بفرض المدوان » .

وتخول القاعدة رقم ١١ ( المتحدة فى ديسمبر سنة ١٩٥٦ ) وزير الشؤون الداخلية أو من يفوضه سلطة القبض بغير اذن كتابى على أن شخص يشتبه فى أنه يسلك أو على وشك أن يسلك سلوكا ضارا باستتباب الأمن أو ضارا بالحفاظة على النظام ، أو يشتبه فى أنه ارتكب جريمة بالخالفة للقواعد المرعية . ويجوز للسلطات المدنية أن تأمر بحجز الشخص المقبوض عليه فى هذه الحالة فى أحد سجون صاحبة الجلالة أو فى أى مكان آخر ، وأن تحصل على صورة فوتوغرافية له وعلى بصمات أصابعه . ويعتبر رفض الشخص لذلك جريمة .

وتخول القاعدة رقم ١٢ ( المتحدة فى ديسمبر سنة ١٩٥٦ ) وزير الشؤون الداخلية أن يأمر باعتقال الشخص لمدة غير محدودة اذا اشتبه فى أنه يسلك أو سلك أو على وشك أن يسلك سلوكا ضارا باستتباب الأمن أو ضارا بالحفاظة على النظام .

## خاتمة

وسوف نرى أنه فى جميع الأنظمة القانونية محل البحث توجد نصوص تنظم الجزاءات المترتبة على التفتيش غير المشروع .



ومع ذلك فالتأثير أن حق الشخص في أن لا يفتش تفتيشا غير مشروع هو من الأهمية بحيث أن ذلك بحق استأهل اعلانه بنص صريح في الدستور المكسيكي .  
ومعظم الضرر الذي يحدث في هذا المجال ينشأ عن رضا الشخص بالتفتيش  
رضا غير حر وناتجا عن الخوف أو الجهل بحقوقه . ولكي يكفل القانون حماية  
كافية للأفراد يتعين أن تبين الحالات التي يجوز فيها التفتيش بطريقة بسيطة  
وواضحة وأن يداع ذلك على الكافة .

### الفحوص الطبية

الأرجنتين وفنزويلا والولايات المتحدة الأمريكية لديها دون غيرها من الدول  
ضمانات دستورية ضد الفحوص الطبية واختبارات الدم غير الشرعية .

وتنص المادة ١٩ من دستور الأرجنتين على أنه :

« لايجوز اجبار أى مواطن على فعل أمر لا ينص القانون على أنه الزامى ،  
ولا أن يحرم من حقه في أن يأتي أمرا لا يحرمه القانون » .

وتنص المادة ٦٧ من دستور فنزويلا على أنه :

« لكل شخص الحق في حماية صحته . وعلى الحكومة أن تعمل على حماية  
الصحة العامة وأن توفر الوسائل والمساعدة اللازمة لمساعدة المحتاجين إليها ، وعلى  
كل انسان أن يخضع للتدابير الصحية التي يفرضها القانون مع مراعاة الاحترام  
اللازم لشخصه .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يكفل شرط الحماية القانونية المنصوص عليه  
في التعديل الرابع عشر لدستور الولايات المتحدة الأمريكية حماية الأشخاص من  
الفحوص الطبية التي لا تتم بطريقة معقولة والتي تهز ضمير الرجل العاقل .

ولدى جميع البلاد باستثناء فنزويلا نصوص خاصة تلزم باجراء فحوص  
طبية معينة .

ولدى المكسيك والأرجنتين والبرازيل وفرنسا قوانين خاصة تلزم العروسين  
باجراء فحوص طبية معينة قبل الزواج . وفي المكسيك والأرجنتين يمنع القانون  
اتمام الزواج اذا كان أحد الطرفين مصابا بأمراض معينة .

وتنص المادة ٩٨ من القانون المدني المكسيكي على الزام كل من يرغب في  
الزواج أن يقدم الى السلطات المختصة شهادة طبية تفيد أن الطرفين خاليان من  
أمراض الزهري أو السل أو الأمراض الأخرى المستعصية والوراثية والوبائية .  
وكان هذا في بداية الأمر مقصورا على أقاليم معينة ولكنه عم على جميع أقاليم  
الجمهورية الاتحادية منذ سنة ١٩٤٠ ، وتعتبر هذه الشهادة شرطا مسبقا لازما  
لاتمام الزواج .

وفي الأرجنتين تعتبر الفحوص الطبية الزامية في حالات الإصابة بالجدام .  
ويمنع القانون الخاص بالجدام الزواج بين مرضى الجذام فيما بينهم أو فيما  
بينهم وبين الأصحاء ، ويلزم القانون الخاص بمرض الزهري بإجراء الفحص  
الطبي قبل الزواج ، ولا يمكن أن يتم زواج حيث ينتشر مرض الجذام .

وفي البرازيل يلزم المرسوم رقم ٢٢٠٠ ( مادة ٢ ف ٦ ) بتاريخ ١ ابريل  
سنة ١٩٤١ عروس المستقبل بإجراء الفحص الطبي قبل الزواج والحصول على  
شهادة طبية ويعطى كل طرف الشهادة الخاصة به ولا يلزم بإفشاء مضمونها الى  
الطرف الآخر . ويمكن الاحتفال بالزواج حتى ولو كان احد العروسين أو كلاهما  
مصابا بأحد الأمراض .

ووفقا للقانون الفرنسى يعتبر الفحص الطبي إجباريا قبل الزواج . ولا يمكن  
أن يتم الزواج بين العروسين الا اذا قدم كل منهما الى المسجل شهادة لا يرجع  
تاريخها الى أبعد من شهرين قبل تاريخ اتمام الزواج وتدل على أنه قد أجرى عليه  
الفحص الطبي . وهنا كذلك يتم الزواج ولو كان الزوجان يمانيان من الأمراض  
ولا يوجد الزام على أحد الطرفين بإفشاء مضمون الشهادة الخاصة به الى الطرف  
الأخر .

ويبدو أن فرنسا لديها - أكثر من غيرها - نصوص خاصة بالفحوص الطبية  
الالزامية . وتلزم نصوص مجموعة الصحة العامة الأطفال فى سن الدراسة  
والطلبة والموظفين بإجراء الفحص الطبي السنوى ، ولا يسمح للأطفال الذين لا يحملون  
شهادة طبية بدخول المدارس ، كما لا يسمح للطلبة بدخول الامتحانات بغير شهادات  
طبية .

والمعلومات المتاحة فى الموضوع لأغراض هذه الدراسة - على ما سنرى . . ليست  
متمثلة بين مختلف البلاد . ولما كان القانون الفرنسى يبدو فى هذه الناحية أكثر  
تقييدا لحق الفرد فى أن « يترك وشأنه » لذلك سنبدأ به أولا .

## فرنسا

لا يجوز إجبار أحد وفقا لمبدأ « أبالك أن تمسنى » على أن يخضع للفحص  
الطبي باستثناء حالة انتشار الأوبئة وحالة مرض الزهري والحالات المنصوص عليها  
فى القانون ، وهذه كما رأينا كثيرة .

ويترتب على إجراء فحص طبي أو جراحة غير شرعية نشوء الحق فى  
التعويض وفقا للمادة ١٣٨٢ من القانون المدنى .

وتلزم قوانين الصحة فى مجال العمل أرباب الأعمال بإجراء الفحوص الطبية  
على عمالهم كل سنة ، وغالبا فى مدة أقل بالنسبة للأشخاص الصغار السن والنساء

والحوامل ، وإذا رفض العامل إجراء الفحص الطبى كان لرب العمل الحق فى فصله من العمل .

وفى بعض الحالات يجوز للمحكمة أن تأمر بتحليل الدم كما فى قضايا البثوة فى حالة الأبوة الزعومة . وللازم أن ترفض الفحص الطبى ، ولكن رفضها يمكن أن تفسره المحكمة فى غير صالحها .

ولا تستطيع المحكمة أن تأمر بإجراء علاج طبى أو عملية معينة حتى ولو شهد الخبير الطبيب فى دعاوى التعويضات المدنية عن الإصابات بأن الإصابة يمكن أن تنضال أو تشفى تماما فى حالة إجراء علاج أو عملية جراحية معينة . كذلك لا يجوز للطبيب أن يجرى أى عملية بغير رضاء المريض . ومع ذلك يمكن أن يقتصر الحكم بالتعويض فى مثل هذه الحالة على القدر الذى كان يحصل عليه المصاب لو أنه أجرى له العلاج أو الجراحة .

ومع ذلك فإن الفحوص والاختبارات الطبية للأشخاص المشتبه فى أنهم يتقودون السيارات تحت تأثير الكحول تعتبر أمرا مشروعا . إذ تنص المادتان ٨٨ و ٨٩ من مجموعة القوانين الخاصة ببيع المشروبات والتدابير الخاصة بمكافحة الكحول على أنه عقب وقوع حادث على الطريق يجوز لرجال الضبط القضائى أو الإدارى الذين يعتقدون أن الحادث وقع تحت تأثير الكحول أن يطلبوا الى الشخص الخضوع للفحص الطبى أو تحليل الدم للتأكد من وجود نسبة عالية من الكحول فى الدم . ويعتبر رفض إجراء هذا الفحص جريمة .

وفى المباريات الرياضية يعتبر جريمة استعمال مواد - عن بينة - من شأنها زيادة القوة الجسمانية صناعيا ووقتيا إذا كان من شأنها الإضرار بالصحة . ويجوز للشرطة - بناء على طلب طبيب - أن يطلبوا إجراء الفحص الطبى إذا اشتبهوا فى أن الفحص المذكور يحتمل أن يثبت أن مادة مخدرة قد استعملت ، ويجوز الحكم بالحبس أو الغرامة على الشخص المشتبه فيه إذا رفض إجراء الفحص الطبى .

### المكسيك

على كل عامل أن يخضع للفحوص الطبية الجسمانية والنفسانية . ويعتبر هذا الأمر فى صالح العامل ، وهو مبني على المادة ١٢٣ من دستور المكسيك التى تجعل رب العمل مسئولاً عن أمراض المهنة ، وإصابات العمل .

وينص القانون المدنى - كما سبق أن ذكرنا - على إجراء الفحص الطبى قبل الزواج .

### الأرجنتين

يلزم القانون رقم ٤٢٠٢ الأشخاص غير البالغين بالتحصين ( التطعيم ) ضد مرض الجئرى . ويسرى ذلك أيضا أثناء انتشار الأوبئة على البالغين .

والمادة الوحيدة المنطبقة فى القانون الجنائى هى المادة ٧٨ من قانون العقوبات التى تنص على أن لفظ « العنف » يشمل استعمال التويم والمخدرات . وفى القانون المدنى يجوز تطبيق المادتين ١٠٧٧ و ١٠٧٨ دون غيرهما .

## البرازيل

لا يوجد فى البرازيل قانون يمنع استخدام الفحوص الطبية للأشخاص . ولكن القائمين بتلك الفحوص مقيدون بالمحافظة على سر المهنة .

## السويد

تستطيع المحكمة - فى دعاوى البتوة - أن تأمر بتحليل الدم واجراء فحوص طبية ضد ارادة الطرفين ، بل تستطيع المحكمة أن تأمر بتحليل دم رجل آخر غير الأب المزعوم . وقد حدث أخيرا توسع كبير فى هذا ، ويجوز الآن للمحاكم أن تستدعى جميع الرجال الذين مارسوا الجنس مع المرأة وتأمر بتحليل دماهم .

والرجال الذين يؤدون الخدمة العسكرية يوقع عليهم بانتظام الفحص الطبى الجسمانى والنفسانى .

ووفقا للقسم ٢ من القانون الخاص بالتحصين ضد الجدرى يجب تحصين الطفل قبل نهاية السنة الرابعة من عمره . كما يجب وفقا للقسم ٣ من القانون نفسه تحصين أى شخص يؤدى الخدمة العسكرية لأول مرة .

ووفقا للقسم ٧ من القانون يجوز منح اعفاء من هذا الالتزام الأخير للشخص الذى يحتمل أنه يقاسى جسمانيا أو عقليا من التحصين بسبب المرض أو استعداداته للمرض أو بسبب ضعف صحته على وجه عام .

ووفقا للقسم ٨ يجوز للشخص الذى يرفض التحصين لأسباب متعلقة بالصحة وبناء على طلب خاص أن يحصل على اعفائه من الالتزام محل البحث بالنسبة الى الطفل الذى فى رعايته . وينطبق هذا أيضا على الشخص الذى يؤدى الخدمة العسكرية الانزامية .

والمجنّد الذى لم يحصل على الاعفاء من هذا الالتزام ومع ذلك لا يجرى التحصين يجوز الحكم عليه بغرامة . ولكن ذلك لايسرى على الأب أو الوصى الذى لا يقوم بتحصين الطفل .

كما يجوز اجراء الفحوص الجسمانية بناء على امر طبيب رسمى فى حالة الاشتباه فى وجود امراض خطيرة .

وينص قانون الإجراءات الجنائية على انه يجوز أن يفحص فحصا جسمانيا الشخص المشتبه - بناء على اسباب معقولة - فى انه ارتكب جريمة جنائية ، وذلك للحصول على دليل . ويجوز الأمر بتحليل الدم بالاضافة الى الفحوص الطبية ولكن

يتعين أن تتم بواسطة طبيب . وتفتيش شخص المرأة وفحصها فحصا جسدانيا  
يجب أن يتم بواسطة امرأة أو طبيب .  
ووفقا للقانون نفسه يجوز إجراء الفحص الطبى وتحليل الدم للشخص المشتبه  
في أنه قاذ السيارة وهو سكران .

### جمهورية ألمانيا الاتحادية

وفقا للمادة ٨١ ( ١ ) من قانون العقوبات يجوز إجراء الفحص الجسدانى  
وتحليل الدم للمتهم اذا كان ذلك لازما لاثبات وقائع متصلة بالجريمة . ويتعين أن  
يقوم بالفحص الطبى طبيب . ولا يجوز للمتهم أن يرفض الا اذا كان ذلك ضارا  
بصحته . ويصدر الأمر من المحكمة أو النائب العام أو وكلائه في الحالات التى يلزم  
فيها اتخاذ الاجراء فورا .

وتنص المادة ٨١ ( ج ) من قانون العقوبات على أن الشخص غير المتهم فى  
الجريمة يجوز فحصه فحصا جسدانيا حتى بغير رضائه اذا كان ذلك لازما لاثبات  
واقعة معينة متصلة باثبات الجريمة . ويستطيع الشخص أن يرفض الفحص للأسباب  
نفسها ، وهى الأسباب التى يستطيع استنادا اليها أن يكون شاهدا . ولكن اذا لم  
تؤيد المحكمة هذا الرفض يتعين عليه الرضوخ للفحص الجسدانى .

والشخص غير المتهم فى جريمة يجوز اجباره على تحليل الدم اذا كان ذلك  
ضروريا لوقائع ثابتة وظاهرة للعيان ومتصلة بالجريمة . ولكن فحص الدم يجب  
أن يجريه طبيب .

ولايجوز تحليل الدم أو اجراء أى فحص جسدانى آخر الا بأمر المحكمة ،  
فيما عدا الحالات التى يمس التأخير فيها العدالة فيجوز فيها اجراؤه بأمر من  
النائب العام أو وكلائه . ولايجوز للشخص رفض الخضوع للفحص الا بأمر من  
المحكمة .

وتخول المادة ٨١ ( د ) من قانون العقوبات القاضى أن يأمر بإجراء الفحص  
الطبى اذا ظهر للمحكمة أن المتهم يعانى من مرض عقلى . واذا لم يوكل المتهم  
مدافعا عنه عينت المحكمة من يقوم بالدفاع عنه . والمدعى عليه أن يقدم من فوره  
اعتراضا يترتب عليه تأجيل القضية حتما . ولا يجوز حجز المدعى عليه فى مصحة  
عقلية لمدة أكثر من ستة أسابيع .

وتنص المادة ٨١ ( ب ) على أنه يجوز أخذ صورة فوتوغرافية وبصمات الاصابع  
للمتهم وبغير رضاه اذا كان ذلك لازما لنجاح التحقيق فى الجريمة .

وتحظر المادة ١٣٦ ( ١ ) من قانون العقوبات استعمال وسائل فى التحقيق  
من شأنها التأثير على عقل المتهم مثل المواد المخدرة أو التنويم . وقد رفضت محكمة

أوبرلاندر جرحت هام في حكم لها الاعتماد على أسلوب تحليل المواد المخدرة أو المنشوطة .

وقضى بأن المنع ينطبق على جميع « مخدرات الاعتراف » كما قضت المحكمة نفسها بعدم قبول استعمال أجهزة كشف الكذب .

وبعد بعض التردد حكمت المحكمة الإدارية الاتحادية بأن الاختبارات النفسية تتفق مع دستور سنة ١٩٤٩ .

وفي دعاوى البنوة يجب أن يخضع الشخص لفحص فصيلة دمه إذا كان ذلك مفيدا وفقا للمبادئ العلمية المقررة . وإذا رفض الشخص بغير أسباب معقولة يمكن استخدام القوة معه في حدود معقولة ( مادة ٣٧٢ ( ١ ) ) .

وفي دعاوى الطلاق للمرض العقلي لأحد الزوجين يجوز إجبار هذا الزوج على إجراء الفحص الطبي .

ووفقا للمادة ١٦٠ من قانون التأمين يجب إجراء الفحص الطبي على الشخص الذي يحصل على بوليصة تأمين .

والتحصين ( التطعيم ) إجباري وفقا لقانون التحصين لسنة ١٨٧٤ إلا إذا كان التحصين يعرض للخطر صحة الطفل أو حياته ، ويجب الحصول على شهادة من طبيب الأقليم بذلك ، ويجوز الحكم بالحبس أو الغرامة على الآباء والآباء بالتبني والأوصياء إذا رفضوا تطعيم الطفل .

### سويسرا

لا يجوز إجبار أحد على الفحص الطبي في سويسرا إلا في الحالات المنصوص عليها في القانون .

والفحص الطبي إجباري في الحالات الآتية :

١ - إذا ظهر للمحكمة أن المتهم مصاب بمرض عقلي أو أنه أخرج وأصم أو أنه يعاني من نوبات الصرع .

٢ - حين يشتبه في أن سائق السيارة قادها تحت تأثير الكحول . وإذا رفض الشخص في هذه الحالة تحليل الدم أو إجراء أى فحص طبي إضافي جاز الحكم عليه بالحبس أو الغرامة .

٣ - في دعاوى البنوة ولو أن المادة ٣١٠ من القانون المدني تنص على أن دعاوى الأبوة تخضع لقانون الأقليم ، ويتوقف خضوع الشخص لتحليل الدم من عدمه على ما تقرر في هذا الشأن الإجراءات المدنية التي تنص عليها قوانين الأقليم .

٤ - الفحوص المسكرية .

٥ - الفحوص الطبية للوقاية من الأمراض المعدية .

### الولايات المتحدة الأمريكية

المساس بحق الفرد في حرمة شخصيته الإنسانية ضد الفحوص والاختبارات الطبية بواسطة اشخاص غير مرخص لهم أو بطريقة غير مرخص بها قد يعتبر اعتداء ويمكن رفع الدعوى به باعتباره خرقا لحرمة الانسان .

وقد حكمت المحكمة العليا بأنه في الحالات التي يجيز فيها القانون تحليل الدم في قضايا قيادة السيارات يتعين اجراؤه بواسطة طبيب أو شخص مؤهل لذلك . ويجب اجراء التحليل بطريقة معقولة . وفي قضية التماس قدم وفقا للتعديل الرابع عشر للدستور الأمريكي اجري التحليل رغم اعتراضات مقدم الالتماس وقد كان مريضا يعالج في مستشفى مما به من اصابات . وقد حكمت المحكمة العليا بأن الاختبار الذي اجري لقياس نسبة الكحول في دم مقدم الالتماس كان اختبارا معقولا واجري بطريقة معقولة .

وتملك المحكمة الاتحادية ان تامر باجراء فحص جسماني او عقلي في القضية التي تكون فيها الحالة الصحية او العقلية للخصم محل منازعة . وقد حكم في قضية سياسية ضد ولسن وشركائه بأن هذه القاعدة القانونية مطابقة للدستور .

وفي دعوى اقامها الزوج لتطليق زوجته لاثهامها بالزنا وطلب فيها اجراء تحليل دم الزوجة وولدها ، رفضت المحكمة الطلب وصرحت بأن اخضاع الشخص لهذه الاختبارات ضد ارادته يعتبر اعتداء ، واخلالا بالحصانة التي يقرها القانون العام لحماية الشخص من اتهام نفسه بنفسه ، وخرقا لحرمة الشخصية الإنسانية للفرد .

ولكن المحكمة العليا بولاية نيوجرسي حكمت في دعوى مماثلة بأن هذا التحليل الاجباري للدم لا يعتبر خرقا لحرمة شخصية الانسان .

### المملكة المتحدة

لا يجوز وفقا للقانون الانجليزي اجبار شخص على الفحص الطبي او تحليل الدم ما لم يكن ثمة نص صريح في القانون على ذلك .

ويقضى قانون المرور على الطرق الصادر سنة ١٩٦٧ في القسم الثاني منه بأنه يجوز لكونستابل البوليس ان يأخذ من اى شخص يقود او يحاول ان يقود سيارة على طريق او في مكان عام « عينة من نفسه » لتحليلها اذا قام لديه

اسباب معقولة ( ١ ) للشك في انه شرب كحولا ( ٢ ) او للاشتباه في ارتكابه جريمة مرور أثناء القيادة ( ٣ ) أو اذا كانت هناك حادثة .

ويعتبر عدم تقديم العينة بغير علم مقبول جريمة جنائية . واذا تخلف الشخص عن اجراء اختبار النفس جاز القبض عليه والزامه بتقديم عينة من البول أو الدم .

ويعتبر عدم تقديم هذه البيانات بغير علم مقبول جريمة كذلك ، ويجوز عقاب الشخص بعقوبة من يقود سيارة في حالة زيادة الكحول في دمه عن النسبة المقررة .

ومع ذلك ينص القسم ( ٢ ) على انه لا يجوز اجبار المريض في مستشفى على اختبار النفس أو البول أو الدم بغير موافقة الطبيب الممارس المسئول عن المريض .

ولا يجوز اخذ بصمات اصابع الحدث الذي تقل سنه عن ١٤ سنة . وفي حالة حجز شخص تزيد سنه على ١٤ سنة واتهامه بارتكاب جريمة أمام محكمة قضائية يجوز للمحكمة أن تأمر باخذ بصماته بواسطة كونستابل ، فاذا برىء من التهمة وجب اعدام البصمات وصورها والسجلات الخاصة بها .

والتحصين ( التطعيم ) ليس اجباريا في المملكة المتحدة ولا توجد قوة تملك ان تأمر به . وفي الأماكن التي يعلن عن انتشار الأوبئة فيها يجب على السلطات المحلية ان تحصل على المصل اللازم وأن تتيح الحصول عليه . ويجوز لها اسداء النصح للسكان المحليين للتطعيم به ولكنها لا تملك اكراههم عليه .

ولا تخول قوانين الصحة العامة اية سلطات لاجراء تفتيش صحي للأشخاص المشتبه في اصابتهم بأمراض معينة معدية ويجب الاخطار عنها . ولكن مثل هؤلاء الأشخاص يجوز الأمر بنقلهم الى المستشفى .

وفي دعاوى البتوة لا تملك المحكمة ان تأمر بتحليل الدم ولكن اذا رفضت الزانية بغير مبرر معقول اجراءه عليها أو على ولدها فان المحكمة في الدعاوى المدنية تملك أن تفسر الرفض في غير صالح تلك المرأة .

وفي دعاوى البتوة لا تملك المحكمة أن تأمر بتحليل الدم . ولكن في الحالات التي يكون فيها ذلك التحليل قد تم بطريقة صحيحة فان المحكمة تعمل على النتائج في الإثبات . وقد عبر اورمردج عن أملة في أن لا تحول أية عقبات دون الحصول على عينة من دم الطفل بقصد بيان فصيلته .

وفي دعاوى ابطال الزواج بسبب العنة أو عدم الفحولة أو الامتناع عمدا عن المباشرة تعين المحكمة طبيبا فاحصا لفحص الطرفين .



وتملك المحاكم القضائية أن تعيد المتهم الى السجن للحصول على تقارير طبية عنه . وعندما تقتنع المحكمة بأن جريمة ارتكبت وأن تحقيقا يجب أن يجرى في حالة المدعى عليه الجسمانية أو العقلية قبل اصدار الحكم فليها أن تؤجل القضية للحصول على تقرير طبي أو دليل طبي .

وثمة التزام في بعض المهن بالخضوع للفحص الطبي وعلى من يتقدم لاحترافها أن يخضع لكشف طبي دورى .

### انتهاك حرمة المسكن

ربما كان حق الشخص في الحماية من انتهاك حرمة مسكنه أقدم مظهر من مظاهر قاعدة حرمة الشخصية الانسانية للفرد وأكثرها احتراماً . ويعبر عن ذلك ببلاغة قول الانجليز مكاخرين بأن « مسكن الرجل الانجليزى هو قلعة » . وهذا يبدو قولاً اجوف بعض الشيء اذا تذكرنا القائمة الطويلة التى تتضمن الموظفين والمفتشين الاداريين بالملكة المتحدة وغيرها الخولين حق دخول المسكن بعد توجيه اخطار قانونى . كذلك يبدو غريباً أن انتهاك حرمة مسكن الشخص فى بلاد القانون العام ( المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ) لا يعتبر جريمة جنائية الا اذا كان بقصد ارتكاب جريمة معينة .

والحماية القانونية من هذا الانتهاك لحرمة الشخصية الانسانية للفرد مقرره بعضها فى نصوص دستورية وبعضها فى القانون الجنائى وبعضها الآخر فى القانون المدنى .

والحق فى حصانة المسكن أو الوطن مقرر فى دساتير جميع البلاد التى يتناولها هذا البحث باستثناء البرازيل وفرنسا . وكما هو معروف ليس للمملكة المتحدة دستور مكتوب .

وجميع البلاد باستثناء المملكة المتحدة والولايات المتحدة كما سبق القول تقرّر جزاءات جنائية على انتهاك حرمة المسكن .

وفى جميع البلاد يجوز الحصول على تعويض عن الضرر المادى الذى يسببه المعتدى على المسكن ، ولكن يبدو أنه فى فنزويلا وجمهورية المانيا الاتحادية والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وغيرها . يقوم الحق فى الحصول على تعويض عن الضرر المادى ( الأدبى ) علاوة على التعويض عن الضرر المادى للشخص أو للمال الذى سببه المعتدى أو حتى لو لم يكن ثمة ضرر مادي .

### المكسيك

تكفل المادة ١٦ من دستور المكسيك صراحة حرمة المسكن أو الوطن بنصها على ما يأتى :

« لا يجوز ازعاج أى شخص فى مسكنه الا بموجب أمر مكتوب صادر من السلطة المختصة مبينة به الأسباب القانونية المبررة للإجراء المتخذ . وأمر التفتيش وهو لا يصدر الا من سلطة قضائية ويكون مكتوبا يتعين أن يحدد المكان موضوع التفتيش والأشخاص موضوع القبض والأشياء التى يجرى البحث عنها . ويجب أن يقتصر التفتيش على الأغراض المحددة فى أمر التفتيش . وبعد اتمام التفتيش يجب تحرير بيان مفصل بحضور شاهدين يعينهما شاغل المكان محل التفتيش أو الموظف الذى قام بالتفتيش اذا كان شاغل المكان غائبا أو رفض تعيين الشهود » .

ويعتبر عدم مراعاة أحكام المادة ١٦ من الدستور جريمة جنائية عقوبتها الحبس أو الغرامة .

وبالرغم من وضوح عبارة المادة ١٦ يجوز لكثير من موظفى الإدارة دخول المساكن الخاصة لأغراض معينة كموظفى الصحة الذين يجوز لهم ذلك للتأكد من تنفيذ التعليمات الصحية وموظفى الضرائب للتفتيش على الدفاتر والمستندات . وفى هذه الحالة يتعين عليهم مراعاة الاجراءات المنصوص عليها فى المادة ٨٤ من قانون الضرائب الاتحادى .

كذلك ينص الدستور على حماية المواطنين من الزامهم باسكان القوات المسلحة مساكنهم الخاصة فى وقت السلم . وتنص المادة ٢٦ منه على انه « لا يجوز اسكان افراد القوات المسلحة فى وقت السلم فى المساكن الخاصة رغما عن ملاكها وبغير رضاهم » .

ولا ينص القانون المكسيكى على جزاء مدنى على انتهاك حرمة المسكن .

### فتزويلا

تنص المادة ٦٢ من الدستور على أن «للمسكن حرمة» . ولكن هذه القاعدة العامة لا تنطبق فى حالة الوقاية من الجريمة أو تنفيذ أمر قضائى .

وتنفذ المادة ٨٤ من قانون العقوبات هذه القاعدة بنصها على ما يأتى :

« يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ١٥ يوما ولا تزيد على ١٥ شهرا كل من دخل مسكن شخص آخر بالفتش أو خلسة أو بغير إذن أو ظل به أو بمبنى ملحق به على غير ارادة الشخص الذى له حق الإقامة فيه » .

ويشمل اصطلاح « المسكن » المبنى والفرقة بفندق وعيادة الطبيب والمعمل وغرفة الاستشارة الطبية سواء كانت مملوكة لشاغلها أم لا . واللحقات تشمل جميع الأجزاء المنتمية الى المسكن كالجراج وكوخ البستانى ومنزل الراعى .

وتبين المواد من ١٥٤ الى ١٦٣ من قانون الاجراءات الجنائية القواعد التى

يتعين مراعاتها في التفتيش المأذون به والتي يجب تنفيذها بطريقة شرعية وعلى نحو يكفل حماية كرامة الشخص .

- ويجوز لسد من موظفي الادارة دخول المساكن لأغراض معينة . فيجوز لفتش الصحة زيارة مساكن الناس بشرط الاخطار السابق . ويجوز للبوليس وفرق المطاق دخول المساكن بغير اذن صريح في حالات الخطر ( الحريق - الفيضان - النخ ) واداء المهام الانسانية او لمنع ارتكاب جريمة ، ويجوز لموظفي مصلحة الضرائب دخول المساكن للتفتيش .

وتنص المادة ١١٩٦ من القانون المدني صراحة على أنه يجوز الحصول على تعويض بسبب انتهاك حرمة المسكن .

### الأرجنتين

القاعدة العامة قررتها المادة ١٨ من الدستور التي تنص على أن « للمسكن حرمة . الا اذا نص القانون على غير ذلك .

ويعتبر الاعتداء على المسكن او اماكن العمل ضد الارادة الصريحة لحائوها جريمة جنائية عقوبتها الحبس من ستة اشهر الى سنتين .

ويعاقب بالعقوبة نفسها الموظف العام او ممثل السلطة العامة الذي يتجاوز اختصاصه مع حرمانه أيضا من حقوقه المدنية مدة من ستة اشهر الى سنتين .

ولا تنطبق هذه النصوص اذا دخل الشخص الاماكن المبيئة في النصوص السابقة لمنع ضرر لنفسه او لغيره او لباعث انساني او للمساعدة في تنفيذ العدالة .

واذا كون انتهاك حرمة المسكن جريمة السطو ليلا كان لصاحب المسكن الحق في التمسك بالدفاع عن النفس اذا ما قتل الجاني . وتعالج المادة ٣٤ من قانون العقوبات هذه النقطة صراحة . وهي تماثل حكم القانون الفرنسي من هذه الناحية . ويمكن التمسك بالدفاع عن النفس كذلك اذا ما استعمل العنف مع شخص يحتل مسكنه ويرفض مغادرته .

وفي الأرجنتين يمكن رفع دعوى الاعتداء في حالة انتهاك حرمة مسكن الشخص .

ويمكن رفع دعوى الاعتداء عن اى فعل تأتبه سلطة عامة او موظف عام او فرد عادي اذا كان بوجه غير شرعى او تحكمى يخرق او يقيد او يعطل او يهدد الحقوق او الضمانات التي كفلها الدستور صراحة او ضمنا او من شأنه أن يؤدي الى ذلك ، بشرط الا يكون ثمة وسيلة اخرى قضائية او ادارية تؤدي النتيجة نفسها او أن وجدت الا تكون موافقة تماما لحماية الحق او الضمان الدستوري حماية كاملة

بالإضافة الى دعوى الاعتداء تنطبق المادتان ١٠٧٧ و ١٠٧٨ من القانون المدني فى الحالات التى يؤدى فيها انتهاك حرمة المسكن الى اصابة الشخص . وتنص المادة ١٠٧٧ على أن كل جريمة جنائية يترتب عليها نشوء التزام بتعويض جميع الأضرار التى تسببها لشخص ثالث وتنص المادة ١٠٧٨ صراحة على التعويض عن الضرر الادبى الذى لحق بالمصاب .

## البرازيل

تقررت حماية حرمة المسكن فى قانون العقوبات وحده . ولا يوجد جزاء مدنى .

وتنص المادة ١٥٠ على أن يعاقب بالحبس من شهر الى ثلاثة اشهر او بالغرامة كل من اقتحم مسكن الغير او بقى فيه خلسة او غشاً وبدون رضاء صريح او ضمنى من الساكن .

وتكون العقوبة الحبس من ستة اشهر الى سنتين اذا ارتكبت الجريمة ليلاً او باستعمال السلاح او العنف او اذا كان الجناة اثنين أو أكثر .

ويشمل «المسكن» جميع أماكن السكنى غير المفتوحة للجمهور وجميع أماكن العمل أو مزاوله المهنة . ومع ذلك لا يشمل هذا الاصطلاح الفنادق أو الاماكن المفتوحة للجمهور والمساكن العامة والملاعب والاماكن المائلة .

ولم يدخل قانون العقوبات الجديد الذى سينفذ اعتباراً من سنة ١٩٧٣ أى تعديل على هذه الأحكام .

## جمهورية ألمانيا الاتحادية

تنص المادة ١٣ من دستور ألمانيا الاتحادية على أن « للمسكن حرمة » .

وتنص الفقرة ٢ من هذه المادة على أنه لا يجوز الأمر بانتفتيش الا بواسطة قاض أو فى حالة الخطر الحال بواسطة السلطات الأخرى وفقاً لنص القانون ويجب تنفيذه بالشكل الذى حدده الأمر .

وتنص الفقرة ٣ منها على أن دخول المساكن أو فرض قيود على استعمال المساكن غير جائز الا بخطر عن الجمهور أو انقاذ الأشخاص من خطر الموت أو لمنع خطر حال على النظام العام أو لمعالجة أزمة الاسكان أو لمكافحة خطر الأوبئة أو لحماية الأحداث المرضى للخطر .

وتعاقب المادة ١٣٣ من قانون العقوبات على الدخول غير المشروع فى المساكن الخاصة وأماكن العمل والأراضي المغلقة والمباني المغلقة المستعملة فى أغراض عامة وعلى البقاء فيها رغم الأمر الصادر من شخص مختص بمفادرتها .

«تعتبر جريمة انتهاك حرمة المسكن عنواناً على مصلحة متصلة بالحرة الشخصية . ويفسر «المسكن» تفسيراً واسعاً بصرف النظر عن المعاني الاصطلاحية . ومن ذلك أن الحجرة في فندق تحظى بالحماية لأنها تعتبر مؤقتاً المحيط الخاص للشخص حتى في مواجهة المالك أو مستغل الفندق . ولكن الوالد يجوز له أن يفتش أبناه القاصر .

واستعمال القوة دفاعاً عن النفس أمر معترف به في كل من القانون الجنائي والقانون المدني ولكن يجب أن تكون في حدود معقولة بالقياس إلى قيمة المصلحة التي انتهكت .

وتسري المادتان ١٠٢ و ١٠٣ من قانون العقوبات على تفتيش الأماكن المسكونة في الإجراءات الجنائية بمثل طريقة سرابها على تفتيش الأشخاص . ويمكن إجراء التفتيش بالنسبة لمسكن المتهم أو مسكن أي شخص يحتمل أن يساعد المحكمة بوصفه شاهداً إذا كان من شأن هذا التفتيش أن يؤيد واقعة لها أهمية في إثبات الجريمة . ويجب أن يكون التفتيش مسكن غير المتهم إلى مدى يتناسب مع نتائجه المتوقعة .

وقد تناولت المواد ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ من قانون العقوبات بيان الإجراءات الواجب مراعاتها مثل قوائم التفتيش التي تتضمن بيان الأشياء التي عثر عليها وأخذت وتوقيع المدعي وضمانات أخرى .

ورقاً للمواد ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ من القانون المدني يجوز للعامة أن يدخل مسكن المحكوم له بتعويض ويفتش محتوياته وله استعمال القوة عند المقاومة وله استدعاء البوليس لمعاونته . ولا يجوز الدخول بالقوة إلا بحضور اثنان الذي بيده الحكم أو أحد أفراد أسرته أو بحضور شاهدين أو أحد رجال الشرطة .

ويجوز لمصلحة الضرائب أن تأمر بتفتيش أماكن الممول الذي يشتبه في أنه لم يدفع ضرائب الدخل أو تهرب منها ( مادة ١٩٣ ) . ويجب الحصول على أمر تفتيش صادر من المصلحة .

ويجوز كذلك تفتيش المباني بواسطة مصلحة الجمارك إذا اشتبه في أنها تحتوي على بضائع مهربة .

وفي جمهورية ألمانيا الاتحادية تخول المادة ٨٩٥ من القانون المدني الحق في رفع دعوى مدنية عن أي فعل يتطوّل على انتهاك لحق الشخص في مسكنه . وإذا لم يسر الاعتداء ملكية قائمة انطبقت المادة ١٠٠ . وجسامة هذا الفعل الخاطيء في القانون المدني تتبدى من أنه يعتبر من الحالات النادرة التي يجوز فيها الحكم بتعويضات عامة .

#### السويد :

تنص المادة ١٦ من الدستور على أنه « على المالك ألا يفكر أو يسمح بأن يفكر أمن أي شخص في مسكنه .

وينفذ القسم ٦ من الفصل ٤ من قانون العقوبات هذا الحكم بالنص على أنه :  
« يعاقب بغرامة لتعكير أمن الشخص في مسكنه كل من دخل مسكن شخص آخر أو بقى فيه بوجه غير شرعى سواء كان المسكن غرفة أو منزلا أو فناء أو قاريا »  
وبالنص في القسم ١ من الفصل ١٢ على ما يأتى :

« يعاقب لتعكير أمن الشخص مسكنه كل من دخل بوجه غير شرعى خيمة أو ابوانا .. » .

وتتوقف جسامة الجريمة على مقدار الضرر . وينص القسم ٢ من الفصل ١٢ على أنه :

« اذا كان الضرر الحاصل محدودا والجريمة تافهة يلزم الشخص بدفع تعويض يسير » .

وبناء على ذلك اعتبر الشخص الذى وجد نائما في سيارة شخص آخر مرتكبا للسلوك التحكمي فحسب .

ويتضمن قانون الاجراءات نصوصا مفصلة من حق الشرطة والنيابة في دخول املاك شخص آخر . فيجوز تفتيش مسكن شخص أو غرفة اذا اشتبه بناء على أسباب مقفولة في ارتكابه جريمة جنائية . ويجب على رجل الشرطة العادى الحصول من رئيسه على اذن فاذا دخل مسكن شخص بغير اذن فيمكن اعتباره مرتكبا لجريمة انتهاك حرمة المسكن أو خارجا على مقتضى الواجب في أداء وظيفته .

وقد يصل التفتيش غير المشروع الذى يتم بغير ابراز الاذن ( وفي هذه الحالة تسرى نصوص خاصة ) الى حد اعتباره جريمة سلوك تحكمى اذا نقلت منقولات من مكانها . وتتوافر هذه الجريمة كذلك اذا تعدى الشخص على ملك غيره من غير ان يأخذ منه شيئا لنفسه وذلك بوضع قفل أو كسره أو باى وسيلة أخرى أو اذا منع غيره بالعنف أو بالتهديد من استعمال حقه فى اخذ شيء أو الاحتفاظ به

ولا يوجد فى السويد جزاء مدنى على انتهاء حرمة المسكن . ولكن يجوز الحكم بالتعويضات أثناء نظر الدعوى الجنائية .

## فرنسا

تشير مقدمة الدستور الفرنسى الى نصوص اعلان حقوق الانسان الصادر فى سنة ١٧٨٩ التى اعتبرت الملكية الخاصة مصونة ومقدسة . وقد ثار الجدل طويلا حول القيمة القانونية لتلك المقدمة . غير أنه فى حكم صادر فى ١٦ يوليه سنة ١٩٧١ حكمت المحكمة الدستورية بأن نظامها يعتبر جزءا من الدستور .

وانتهاك حرمة المسكن ممنوع بموجب المادة ١٨٤ من قانون العقوبات التى تنص على أن يعاقب بالحبس من ستة أيام الى سنة أو بالغرامة من ٥٠٠ الى ٣٠٠٠ فرنك

كل من دخل من رجال الشرطة والموظفين العموميين ورجال الضبط القضائي مسكن مواطن بوجه غير شرعي وضد إرادته وبغير مراعاة التعليمات التي نص عليها القانون . ولا يعتبر دخول مسكن بالقوة مشروعا الا في حالة التلبس بالجريمة أو بناء على أمر كتابي . ويعاقب بالحبس من ستة ايام الى ثلاثة أشهر أو بالغرامة من ٥٠٠ الى ١٨٠٠ فرنك كل من دخل بوجه غير شرعي مسكن شخص آخر بالقوة أو بالتهديد . ويقصد «بالمسكن» أي منزل دائم أو مؤقت ، ويعتبر كذلك الغرفة بالفندق . ومفهوم «القوة» مفهوم مجازي ويشمل فتح الباب بالقوة .

والدفاع عن النفس أمر مشروع وفقا للمادتين ٣٢٨ و ٣٢٩ من قانون العقوبات . ويعتبر دفاعا شرعيا في جريمة قتل أن يتم القتل أثناء دفع انسطو على المسكن ليلا . وقد ظل هذا التشريع نافذا منذ سنة ١٨١٠ بغير تعديل ، ويمكن القول بأنه يعكس عقلية القرن التاسع عشر حيث كانت الملكية تعتبر في أهمية الحياة البشرية . ومع ذلك فرغم اعتبار المادة ٣٢٩ للدفاع عن النفس قرينة قانونية فإنه يجوز محاكمة الشخص الذي يقتل أو يصيب المعتدى على حرمة المسكن اذا ثبت أنه كان يعلم أن المعتدى لم يكن ينوي قتله أو الاستيلاء على نقوده أو منقولاته .

ولا يجوز تفتيش الأماكن الا بناء على أمر صادر من قاضي التحقيق بناء على شكوى . ولا يجوز تنفيذ التفتيش الا بواسطة قاضي التحقيق نفسه أو رجال الضبط القضائي الذين يفوضهم في ذلك ، غير أنه لايلزم صدور أمر من قاضي التحقيق في حالة التلبس بالجريمة .

وأثناء التحقيق الأولى لا يجوز للبوليس الدخول بالقوة ولا يجوز التفتيش الا بموافقة الساكن في المكان .

### سويسرا

تنص المادة ١٨٦ من قانون العقوبات على أن يعاقب بالحبس أو الغرامة ، بناء على شكوى ، كل من دخل مسكنا أو مبنى أو منشآت مغلقة تكون جزءا من مسكن أو فناء أو حديقة مغلقة متاخمة لمسكن بوجه غير شرعي وضد إرادة الساكن أو يبقى بها رغم طلب الخروج منها .

ولا يعتبر الدفاع عن النفس جريمة جنائية اذا ارتكبت دفاعا عن المال أو الحياة أو العرض أو الحرية أو الشرف أو الثروة . ولكن على من يتمسك بالدفاع عن النفس أن يثبت أنه لم يكن في وسعه الدفاع عن نفسه أو ماله بطريقة أخرى وأن الوسائل التي استعملها كانت متناسبة بدرجة معقولة مع درجة الخطر .

### الولايات المتحدة

يحمي التعديل الرابع عشر للدستور الأمريكي حرمة المسكن في النص الآتي : - «لايجوز انتهاك حق أفراد الشعب في أن يكونوا آمنين على أشخاصهم ومنازلهم وأوراقهم وحاجاتهم من أي تفتيش أو استيلاء غير معقول» .

ووفقاً لهذا التعديل يجب الحصول على خلف اليمين أو الإقرار على أمر كتابي بالتفتيش بين على وجه خاص المكان محل التفتيش والأشخاص محل القبض والأشياء محل الاستيلاء .

ومع ذلك يجوز للفرد أن يتنازل عن الضمانات الدستورية التي قررها التعديل الرابع ، وذلك بأن يرضى بالتفتيش أو القبض أو الاستيلاء غير الشرعي . وقد حكم في قضية حديثة في فرجينيا بأن رضا أحد أفراد أسرة المتهم يحرم المتهم من الحماية الدستورية . فقد ذهب ضابط الشرطة للبحث عن مخدرات في مسكن طالب يسكن مع والديه . وفي غيبة الطالب سمحت الأم للضابط بالدخول بناء على إبراز أمر كتابي بالتفتيش . فلم يعثر على شيء في مسكن الطالب . ولما سئلت الأم عما إذا كان ابنها قد تلقى طروداً اصطحبت الضابط إلى صندوق البريد الذي كان موجوداً خارج المبنى الذي يسكنه أمر التفتيش وفتحته وأخرجت طروداً موجهة إلى ابنها وسلمته إلى ضابط البريد وظهر أن الطرد يحتوي على ماريجوانا . وقد استظهرت محكمة استئناف فرجينيا أن الأم قد وافقت نيابة عن ابنها على إجراء تفتيش بغير إذن كتابي .

ويعتبر انتهاك حرمة المساكن الخاصة عدواناً على الملكية . ولكن في الحالات التي يتضح فيها أن جوهر القضية هو انتهاك حرمة الشخصية الإنسانية للمدعي فإن المحاكم تقضى بتعويض يزيد على التعويضات العادية التي تحكم بها في حالة الاعتداء على الملكية .

وعلى سبيل المثال في قضية جونسون ضد هان حيث دخل شاب مسكن المدعية ليخطب ودماً بطريقة غير لائقة ركزت المحكمة على الانتهاك غير القانوني للمسكن .

ومن القضايا القديمة حيث حكم بالتعويض قضية في ميتشجان مسنة ١٨٨١ وفيها دخل رجل بالغش على امرأة في حالة وضع . وفي قضايا أخرى حكم على المدعي عليه على أساس أنه انتهك حرمة مسكن المدعي بغير إذن تفتيش أو على أساس أنه قبض على زوجة المشتكي بغير ترخيص قانوني أو على أساس أن المالك انتهك حرمة مسكن المستأجر .

ويمكن رفع الدعوى في الولايات المتحدة على أساس انتهاك حرمة الشخصية الإنسانية للفرد إذا لم يمكن رفع الدعوى على أساس الاعتداء على الملكية . وعلى هذا الأساس قضى لصالح المدعين في دعاوى انتهاك الغرف في الفنادق وغرف النوم الخاصة في السفن .

#### الملكية المتحدة

في القانون الإنجليزي لا يجوز للموظف أو لرجل البوليس أن يدخل منشأة شخص آخر ما لم يكن معه إذن شرعي بذلك .



ولكى يمكن تفتيش المنشأة الخاصة على رجل الشرطة أن يقدم طلبا الى القاضى للحصول على اذن تفتيش وأن يذكر الأسباب الداعية الى ذلك بعد أداء اليمين على أن لديه أسبابا معقولة لكى يعتقد أن المنشأة تحتوى على أشياء مسروقة أو تم الحصول عليها بطرق غير شرعية . ويجب أن يحدد أمر التفتيش الأماكن وطبيعة الممتلكات التى تفتش . فإذا لم تحدد فى الأمر كان الأمر باطلا وجاز محاكمة الشرطة بتهمة الاعتداء على المسكن . ففى قضية أنتيك ضد كارنيجتون دخل البوليس بناء على اذن عام صادر من سكرتير الحكومة مسكن المدعى أنتيك وكان مشتبه فى أنه يؤلف كتابا يحرض على الفتنة ، واستولى على كتبه وأوراقه ، فحكم له بتعويض قدره ٣٠٠ جنيه استرليني بسبب الاعتداء على حرمة مسكنه .

ورجل البوليس الذى يقوم بتفتيش المساكن الخاصة بناء على اذن يمكنه أن يأخذ ويحتجز الممتلكات التى يجدها فيها بشرط أن يكون لديه أسباب معقولة للاعتقاد بأنها يمكن أن تعتبر أدلة لمحاكمة مرتكب الجريمة المشتبه فيها .

ولا يجوز لرجل الشرطة - بغير أمر كتابى مشروع - أن يدخل أو يبقى فى المكان بغير رضا صاحبه . وفى احدى الحالات لاحظ رجل الشرطة سيارة لورى اعتقد انها تعوق الطريق ، ومالبثت أن تحركت الى جوارج قريب للاصلاح . فدخل رجل الشرطة الجاراج للتحرى ولكن صاحب الجاراج أمره بالرحيل فرفض وأبرز من المستندات مايدل على انه شرطى . ولكن صاحب الجاراج استعمل القوة ل اخراجه من الجاراج . وعندما حوكم صاحب الجاراج للاعتداء على شرطى أثناء تأدية واجبات وظيفته حكم ببراءته على أساس أن رجل الشرطة لم يكن لديه السلطة الشرعية للبقاء فى المكان عندما طلب اليه الخروج وأن صاحب الجاراج كان له الحق فى استعمال القوة فى الحدود المعقولة ل اخراجه .

وكما فى البلاد الأخرى يوجد كثير من الموظفين الإداريين كمفتشى الصحة الذين يجوز لهم دخول المساكن لأغراض معينة وبعد اخطار قانونى .

وجوز وفقا للقانون الانجليزى رفع الدعوى عن الاعتداء على الملكية والأمتعة فى حالة دخول المباني بغير اذن أو معاملة ممتلكاتهم بوجه غير شرعى . ولا يجوز للمدعى رفع الدعوى الا اذا كانت له مصلحة قانونية فى الأرض تخوله الحق فى حيازتها ، ومن ثم يجوز للمالك أو المستأجر لمنزل أو غرفة أن يرفع الدعوى للاعتداء ، ولكن الزائر لفنلق أو المنزل أو المريض فى مستشفى لا يمكنه ذلك .

وفى ايرلندة الشمالية يخول قانون السلطات المدنية ( السلطات الخاصة ) لسنة ١٩٢٢ سلطات واسعة فى التفتيش .

وتخول القاعدة رقم ٤ ( المستحدثة فى يولييه سنة ١٩٥٤ ) رجل الشرطة أو الكونستابل أو أى فرد فى قوات صاحبة الجلالة أثناء تأدية واجبه : اذا اشتبه فى أن

منزلا أو مبنى أو أرضاً أو سيارة أو سفينة أو طائرة أو أى منشأة أخرى أو أى شيء بداخلها يستعمل أو استعمال أو على وشك أن يستعمل أو يحتفظ به من أجل أى غرض ضار باستتباب الأمن أو المحافظة على النظام أو اشتبه في أن جريمة ضد هذه الأمور ترتكب أو ارتكبت أن يدخل ولو بالقوة عند الاقتضاء في أى وقت بالنهار أو بالليل ويجرى التفتيش والاستيلاء على أى شيء يجده يشتبه في أنه استعمال أو في النية استعماله لتحقيق أحد هذه الأغراض .

ويجوز لرجل البوليس أو الكونستابل أو لأحد أفراد قوات صاحبة الجلالة وفقاً للقاعدة رقم ٥ ( المستحدثة في يونيه سنة ١٩٥٤ ) أن يوقف ويفتش ويستولى على وسائل النقل إذا اشتبه في أنها تستعمل في غرض ضار باستتباب الأمن أو المحافظة على النظام .

وتدخل القاعدة رقم ٣٤ ( المستحدثة في يناير سنة ١٩٥٧ ) وزير الشؤون الداخلية أو أى شخص يفوضه أن يدخل أى أرض أو مبنى أو أى أملاك أخرى أياً كانت .

### الاستيلاء على المراسلات

يثور البحث تحت هذا العنوان في أمرين : الأول الحماية التى يخلوها القانون من الاستيلاء غير المشروع، والثانى الظروف التى يجوز فيها الاستيلاء . والقوانين فى البلاد العشرة جميعها متشابهة تقريبا ، ولكن توجد خلافات كبيرة فى القانون وفى العمل فى المسألة الثانية .

### الاستيلاء غير المشروع

#### المكسيك

الحماية من الاستيلاء غير المشروع على المراسلات مقررة فى الدستور وفى قوانين العقوبات وفى بعض القوانين الخاصة .

وتنص المادة ٢٥ من الدستور على أنه :

« لا يجوز اخضاع المراسلات المغلفة بالبريد لأى شكل من أشكال الفحص ويعاقب القانون على انتهاك السرية فى هذا الشأن » .

والقانون الخاص بالوسائل العامة للمراسلات هو القانون الذى تضمن الأحكام التفصيلية المبنية على المبدأ الرئيسى الذى أرسنه المادة ٢٥ من الدستور ، وتنص المادة ٤٤٢ من هذا القانون على ما يأتى :

« لا يجوز اخضاع المراسلات المغلفة بالبريد لأى شكل من أشكال الفحص . ومن يخرق أحكام هذا القانون يعد مرتكباً لجريمة افشاء سرية المراسلات ويحكم عليه بالعقوبات المنصوص عليها فى هذا القانون وفى قانون العقوبات » .

وتفرد المادة ٥٧٦ من القانون نفسه بين العقوبة التي يجوز الحكم بها على الفرد العادي ( الحبس من شهر إلى ستة أو الغرامة اثنان مئتي ديناراً ٥٠.٠٠٠ ديناراً ) وتلك التي يحكم بها على موظف البريد وهي أعلى من ذلك بكثير .

وتم نصوص أخرى تنظم هذه الجريمة هي المواد من ١٧٣ إلى ١٧٥ من قانون العقوبات التي تنص على عقوبة تكميلية يجوز الحكم بها في حالة إفشاء سرية المراسلات .

وتنص المادة ٤٢٣ من القانون المشار إليه على موظف البريد التزام السرية بالنسبة إلى الأشخاص الذين يسلمون الرسائل .

ويعتبر جريمة بالنسبة لموظف سكرتيرة المواصلات والأشغال العامة أن يعطوا أي بيان متعلق بالأشخاص الذين يسلمون الرسائل إلى مصلحة البريد أو يكشفون عن شخصية أو محل إقامة شخص يستأجر صندوق بريد .

ومع ذلك توجد عدة استثناءات من أحكام المادة ٤٢٣ إذ يجوز إعطاء بيانات من هذه المسائل بناء على أمر كتابي من السلطة القضائية أو سلطة الاتهام أو في شكل بيانات إحصائية وفقاً لأحكام القانون .

ووفقاً للمادة ٥٧١ من القانون نفسه :

«أي شخص ، وبغير ترخيص قانوني وبوجه غير شرعي وضد مصلحة شخص ثالث ، يستولى أو يفشى أو يكشف أو يستعمل محتويات الرسائل والأخبار والبيانات التي سمعها عرضاً إذا لم تكن موجهة قصداً إليه أو إلى الجمهور يعرض نفسه للجزاءات المنصوص عليها في قانون العقوبات ( المواد من ١٧٣ إلى ١٧٥ ) .

وتنص المادة ٥٧٦ من القانون نفسه على عقوبة الحبس مدة من شهر إلى سنة أو الغرامة من ٥٠ إلى ١٠٠٠ ديناراً لكل من يفتح أو يتلف أو يخفي رسالة مغلقة مسجلة إلى البريد وذلك في غير الحالات المنصوص عليها في القانون . وتضاعف العقوبة إذا كان الجاني من موظفي البريد ( مادة ٥٧٥ ) علاوة على قيام السلطات الإدارية بفصله من وظيفته .

وسوف نرى أنه يوجد بالمكسيك تشريع في غاية التفصيل والدقة ولا يقتصر على تنظيم الحالات الراهنة ولكنه يوفر بسبب عمومية نص المادة ١٦ من الدستور حماية كافية من أي تطورات جديدة في هذا المجال .

ويبدو من المؤكد أن النصوص القانونية المتعلقة على وجه خاص بالاستيلاء على المراسلات تقدم ضمانات صلبة ضد الاعتداء على حرمة الشخصية الإنسانية للفرد وعلى حقه في أن يترك وشأنه .

### فتزويلا

يكون الاستيلاء على المراسلات جريمة معاقباً عليها بالمواد ٤٨٦ و ١٨٧ من قانون

العقوبات التي تنفذ المادة ٦٣ من الدستور والتي تنص الفقرة الأولى منها على أن « سرية المراسلات في جميع أشكالها مضمونة » .

وتنص المادة ١٨٦ من قانون العقوبات على عقوبات تختلف بحسب ظروف القضية على الفتح غير المشروع للخطابات والبرقيات وغيرها من المراسلات المغلقة التي لم تسلم إلى المرسل إليه (الحبس من ثمانية أيام إلى عشرين يوما) . وإذا سبب إفشاء محتويات الرسالة ضررا للمرسل إليه تزداد العقوبة إلى الحبس من خمسة عشر يوما إلى عشرة أشهر .

وتنص المادة ١٨٧ من قانون العقوبات على عقوبات خاصة لكل من يتلف خطابا لا يخضه .

وتعاقب المادة ١٨٨ كل من يتسلم خطابا وينشر محتوياته بغير موافقة مسبقة من مرسله .

وتعاقب المادة نفسها موظف البريد الذي يستغل منصبه في قراءة الرسائل أو اتلافها .

### الأرجنتين

لا يتضمن الدستور ولا القانون المدني في الأرجنتين نصوصا خاصة لمنع هذا الشكل من أشكال انتهاك حق الشخص في أن يترك وشأنه .

والتدابير التي تعالج هذه المشاكل تتضمنها نصوص قانون العقوبات وخاصة في المادتين ١٥٣ و ١٥٤ .

وتنص المادة ١٥٣ على ما يأتي :

« يعاقب بالحبس من خمسة عشر يوما إلى ستة أشهر كل من يستولى بغير حق على خطاب أو مراسلة مغلقة أو مكالة تليفونية أو برقية أو أية وسيلة أخرى غير مرسلة إليه . ويحكم بالعقوبة نفسها على كل من يستولى بغير حق على خطاب أو رسالة أو أية مستند خاص آخر ولو كان غير مغلقة وكل من يتلف أو يحول إلى غير المرسل إليه أية رسالة غير موجهة إليه . ويعاقب المتهم بالحبس مدة من شهر إلى سنة إذا أفشى إلى شخص آخر أو نشر محتويات الرسالة .

ويلاحظ أن نص المادة ١٥٣ ينص بوضوح على أن الذي يكون الجريمة المعاقب عليها هو الاستيلاء غير المشروع على المراسلة مما يفيد أن الاستيلاء يعتبر في بعض الظروف مشروعا . ولكن النص مع ذلك لم يبين متى يتحقق ذلك . ومع ذلك فإنه حتى لو اعتبر هذا الفصل في بعض الظروف مشروعا في نظر القانون فإنه مع ذلك يعتبر خرقا لحرمة كاتب الرسالة .

وتنص المادة ١٥٤ من قانون العقوبات على الجريمة نفسها وإذا ارتكبتها موظف البريد أو البرق وفي هذه الحالة تكون العقوبة أشد وتصل إلى الحبس مدة من سنة إلى أربع سنوات .

وينظم كذلك القانون المدني في المادتين ١٠٧٧ و ١٠٧٨ موضوع انتهاك حرمة الشخصية الانسانية للفرد وحقه في أن يترك وشأنه .

### البرازيل

ان انتهاك سرية المراسلات منصوص عليه في المادة ١٥١ من قانون العقوبات الصادر سنة ٤٠ في القسم الثالث ( الجرائم المتصلة بانتهاك سرية المراسلات ) من الباب السادس ( جرائم العدوان على حرية الفرد ) .  
وتنص المادة ١٥١ المشار اليها على مايتأتى :

« يعاقب بالحبس مدة من شهر الى ستة أشهر أو بالغرامة من ٣٠ سنتا الى ٢ كروذيرو كل من يفشى بطريقة غير مشروعة محتويات رسالة مغلقة مرسلة الى شخص ثالث . ويعاقب بنفس العقوبة كل من يستولى او يأخذ او يتلف كليا او جزئيا بوجه غير قانوني رسالة تخص شخصا ثالثا . وتزداد العقوبة بمقدار النصف اذا سبب الاستيلاء أو اتلاف الرسالة ضررا لشخص ثالث » .

وتكون العقوبة الحبس من سنة الى ثلاث سنين اذا ارتكب الجريمة أحد موظفي البريد أو البرق أو الراديو أو التلغونات وذلك بإساءة استعمال التسهيلات التي تتيحها له وظيفته .

وقد رددت المادة ١٥٩ من المجموعة الجديدة الصادرة في ١٩٦٩ معظم الأحكام التي تضمنتها المادة ١٥١ من المجموعة الجنائية الصادرة سنة ١٩٤١ .

وينص المرسوم التشريعي رقم ٢٠١٥١ الصادر في ١٧ يناير سنة ١٩٥١ ( بالموافقة على لوائح مصالح البريد والواصلات ) في المادة ٢١ منه على مايتأتى :

« يعتبر انتهاكاً لسرية المراسلات :

( أ ) كل من يفتح أى رسالة مغلقة مرسلة الى شخص ثالث ومحتوية على خطاب .

( ب ) كل من يأخذ لنفسه رسالة بريدية مفتوحة أو مغلقة مرسلة الى شخص ثالث أو يتلفها كليا أو جزئيا وذلك بوجه غير قانوني .  
وتنص المادة ٣٥٤ من اللائحة على مايتأتى :

« يعاقب بالحبس من شهر الى ستة أشهر أو بغرامة من ٣٠ سنتا الى ٢ كروذيرو كل من فتح بغير إذن أى رسالة مغلقة مرسلة الى شخص ثالث » .

### جمهورية ألمانيا الاتحادية

تنص المادة ١٠ و ١٨ و ٤٤ من الدستور على أن لسرية المراسلات البريدية والتلغونية حرمة .

وتعتبر جريمة وفقا للمادة ٢٩٩ من قانون العقوبات أن يفتح الشخص بغير إذن خطابا أو مستندا مطلقا مرسلا أو موجهها الى شخص آخر .  
وتعاقب المادة ٣٥٤ من قانون العقوبات موظفي البريد على افشاء اسرار المراسلات البريدية .

وتقرر المادة ٣٥٤ عقاب أى موظف بالبريد بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة اشهر اذا فتح أو أخفى خطابات عهد بها الى مصلحة البريد أو سمح لشخص ثالث عن قصد بفعل ذلك ، وذلك كله في حير الحالات التى ورد عنها نص في القانون .

#### السويد

ينص قانون العقوبات فى القسم ٨ من الفصل الرابع على أنه يعتبر مرتكبا لجريمة انتهاك سرية المراسلات البريدية ووسائل الاتصال كل من يقتحم بغير حق مضمون مراسلة بريدية أو محادثة تلفونية أو أى وسيلة أخرى .

ووفقا للقسم الثانى من الفصل نفسه يعتبر مرتكبا لجريمة انتهاك حرمة الودائع الموضوعة فى مكان محصن « كل من يفتح حق خطابا أو يصل بأى طريقة الى شيء محفوظ فى حيز مفلق بقفل أو شمع أو بوسيلة أخرى وذلك كله فى غير الحالات المنصوص عليها فى القسم الثامن » .

#### فرنسا

تعالج المادة ١٨٧ من قانون العقوبات انتهاك سرية المراسلات اذ تنص على أن يعاقب بغرامة من ٥٠٠ الى ٣٠٠٠ فرنك وبالحبس من ٣ اشهر الى خمس سنوات كل موظف فى الحكومة أو فى مصلحة البريد يستولى أو يفتح خطابا عهد به الى مصلحة البريد أو سهل لغيره فعل ذلك .

ويعاقب بغرامة من ٥٠٠ الى ٣٠٠٠ فرنك وبالحبس من ستة أيام الى سنة كل من أخفى أو فتح عن سوء قصد رسالة مرسلة الى شخص ثالث « .

وبعبارة أخرى تعاقب الفقرة الثانية من المادة كل من يرتكب بسوء قصد فعلا ويترتب عليه حرمان شخص من رسالته ولو كان ذلك بصفة وقتية .

وتنطبق تلك المادة على كل فعل من شأنه انحراف الرسالة عن وجهتها أو حجزها عن المرسل اليه .

#### سويسرة

حرمة المراسلات مكفولة بموجب المادة ٣٦ فقرة ٤ من الدستور الاتحادي الصادر فى ٢٩ مايو سنة ١٨٧ التى تنص على أن « حرمة سرية الخطابات والبرقيات مكفولة » .

ويتضمن قانون العقوبات والقانون الإدارى والقانون المدنى نصوصا خاصة بتطبيق هذا المبدأ المستورى .

وقد عدل عنوان المادة ٦٧٩ من قانون العقوبات بالقانون الفدرالى الصادر فى ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٦٩ لكى يبين الحماية المتزايدة التى يكلها قانون العقوبات لحق الشخص فى خصوصياته . وتنص تلك المادة على ما يأتى :

« انتهاك السرية أو الخصوصيات - انتهاك الأسرار الشخصية - يعاقب بالحبس أو الغرامة كل من فتح بغير حق أو اذن مستندا أو مراسلة أو طردا مطلقا لكى يتعرف على محتوياته وكل من علم بعض الحقائق بفتح مستند أو طرد مطلق لم يكن مرسله اليه اذا هو أفشى هذ الحقائق أو حصل منها على بعض المنافع » .

أما فى القانون الإدارى فان المادة ٥ ( أ ) من القانون الاتحادى الصادر فى ٢ من أكتوبر سنة ١٩٢٤ فى شأن مصالح البريد تنص على ما يأتى :

« يحظر على الأشخاص المهود اليهم بمصلحة البريد أن يفشوا أى بيان متعلق بعمليات البريد التى يقوم بها أى فرد ولا أن يفتحوا أى رسالة بريدية مغلقة أو أن يحاولوا التعرف على مضمونها ولا أن يفشوا أى بيان مهما كان الى شخص ثالث ولا أن يسهلوا لآى شخص أن يفعل ذلك » .

ووفقا للمادة ٥٧ من القانون نفسه يعتبر جريمة معاقبا عليها بالحبس أن يقوم أى شخص مسئول عن ادارة مصلحة بريد بانتهاك حرمة البريد أو أن يتلف أو يتسبب فى اخفاء أى شىء مرسل عن طريق البريد أو الاستيلاء عليه أو أن يسهل لغيره فعل ذلك .

أما فى القانون المدنى فتنص المادة ٢٨ من المجموعة المدنية على أنه يجوز للمضروب من انتهاك سرية المراسلات أن يقاضى الفاعل للمطالبة بالتعويض ويجوز له الحصول على تعويض مالى لجبر الضرر الأدبى الذى لحق به .

### الولايات المتحدة

يعتبر فتح خطاب بغير اذن جريمة اتحادية معاقبا عليها بالحبس والغرامة أو احدى هاتين العقوبتين .

ويتضمن القانون الاتحادى وقوانين الولايات قواعد عديدة مفصلة عن الاستيلاء على الخطابات ، وهى مماثلة لتظلماتها فى الدول الأخرى .

وعلى سبيل المثال ينص القسم ١٦٥/٥٢ من قانون العقوبات بولاية أوريجون على أن يعاقب بالحبس فى سجن الولاية مدة لا تقل عن شهر ولا تزيد على سنة وبغرامة لا تقل عن ٥٠ دولارا ولا تزيد على ٥٠٠ دولار كل من فتح عمدا أو قرأ عمدا أو تسبب عمدا فى فتح وقراءة أى خطاب مطلق غير مرسل اليه من غير أن يأذن له فى

ذلك كاتبي الخطاب أو المرسل اليه وكذلك كل من تعمد بغير اذن نشر خطاب كله أو بعضه مع علمه بأنه فتح على النحو المشار اليه . ولا يسرى حكم هذا القسم على أى فعل تعاقب عليه قوانين الولايات المتحدة .

### المملكة المتحدة

يعتبر موظف مصلحة البريد ، وفقا للقسم ٥٨ ( أ ) من قانون مصلحة البريد الصادر سنة ١٩٥٣ ، مرتكباً جريمة اذا هو فتح أو عن عمد حجز أو آخر أى رسالة بريدية .

وينص القسم ٥٢ من قانون مصلحة البريد لسنة ١٩٥٣ على أنه يعتبر جريمة سرقة رسالة بريدية من مصلحة البريد أو من موظف البريد أو من حقيبة البريد كما يعتبر كذلك تفتيش حقيبة البريد . وقد حكم بأن أخذ الخطاب واتلافه بغية احباط تحقيقات يعتبر جريمة سرقة .

والشخص الذى يفرى عامل البريد عن طريق القش ، وبقصد حرمان المرسل اليه من الخطاب ، على الاستيلاء على الخطاب وتسليمه اليه يعتبر اما مرتكباً لجريمة السرقة واما شريكاً فى السرقة التى ارتكبها عامل البريد .

وينص القسم ٥٦ من قانون مصلحة البريد لسنة ١٩٥٣ على أنه يعتبر مرتكباً لجريمة كل شخص ليس فى خدمة المدير العام للبريد ، وبسوء قصد وبنية الاضرار بشخص آخر يفتح أو يتسبب فى فتح رسالة بريدية مرسلة الى ذلك الشخص أو يأتى ما من شأنه أن يحول دون تسليمها اليه . ولا يسرى هذا انقسم على الشخص الذى يكون والداً أو فى مركز الوالد أو الوصى على الشخص المرسل اليه الرسالة .

ووفقا للقسم ٢٠ من قانون البرق لسنة ١٩٦٨ يعتبر مرتكباً لجريمة كل شخص تفرض عليه وظيفته واجبات متصلة بمصلحة البريد أو يعمل لحساب المدير العام ، وبالمخالفة لواجباته يفشى أو يذيع بأى طريقة أو يستولى على محتويات أى رسالة برقية معهود بها الى المدير العام لارسالها .

ووفقا للقسم ١١ من قانون حماية مصلحة البريد لسنة ١٨٨٤ يعتبر مرتكباً لجريمة أى شخص يعمل لدى شركة لتفراغات ويفشى بغير حق لى شخص فحوى أى برقية .

ولا يوجد فى القانون جزاءات مدنية خاصة ضد من يستولى على الرسائل البريدية ، ومع ذلك يبدو من حيث المبدأ أنه يمكن رفع دعوى الاعتداء على المنقولات.

### الاستيلاء المرخص فيه

من المعتقد أن الرسائل فى جميع الدول محل الدراسة يتم الاستيلاء عليها من قبل السلطات الحكومية لأغراض متعلقة بالبوليس أو المخابرات أو مكافحة المخابرات، ولكن القوانين لا تتكلم فى معظم الحالات عن هذه المسألة الدقيقة . ومع ذلك فتمت



استثناءات ، وفي بعض الحالات توجد نصوص تشريعية مفصلة . وربما يكون قانون جمهورية ألمانيا الاتحادية أحسنها صياغة . وفي فرنسا وسويسرا توجد كذلك نصوص تجيز الاستيلاء .

### جمهورية ألمانيا الاتحادية

في أغسطس سنة ١٩٦٨ صدر قانون للطوارئ قيد الحريات الانسانية المنصوص عليها في الدستور . وأول قانون صدر في ظل قانون الطوارئ هو القانون الذي أجاز فحص الرسائل البريدية ومراقبة المكالمات التلفونية من قبل جهات مرخص لها في ذلك القانون . ( وقد عمل به من أول نوفمبر سنة ١٩٦٨ ) .

ومنذ دخول هذا القانون في دور النفاذ أقيمت عدة دعاوى أمام المحكمة الدستورية الاتحادية للطعن على النص الخاص بالاستيلاء على البريد والاتصالات عن بعد في المادة ١٠ من قانون الطوارئ . ويستند الطعن في هذه المادة المعدلة على أساس أنها تنطوي على انتهاك لحكم المادة ١٩ من الدستور وتعرض النظام الديمقراطي الاساسي للخطر .

وقد صدر هذا النص كتعديل للمادة ١٠ وقضى بأنه يجوز للسلطات المختصة اصدار الأمر بالاستيلاء على المراسلات لأغراض الأمن أو الدفاع أو في حالة تعرض المؤسسات الدستورية للخطر أو في حالة الخيانة أو تعرض القوات الاجنبية العسكرية في جمهورية ألمانيا الاتحادية للخطر .

وعند النظر في اصدار أمر بالاستيلاء يجب على السلطات المختصة أن تقدم طلبا كتابيا تبين فيه طبيعة الجريمة المشتبه فيها وماهية ومدى الاجراءات المطلوبة وتقر بأن جميع وسائل التحقيق الأخرى قد استنفدت . ويصدر الأمر بالاستيلاء على المراسلات والمكالمات التلفونية لمدة محدودة قدرها ثلاثة أشهر . وإى امتداد لها (وهو لا يجاوز أيضا ثلاثة أشهر) يجب أن يقدم عنه طلب بمثل طريقة الطلب الأصلي، وينشئ البرلمان لجنة لبحث الطلب فإذا قررت اللجنة أن لا وجه للاستيلاء فلا يمكن اصدار الأمر . وإذا قررت اللجنة أن التسجيلات لم يعد ثمة حاجة إليها فيجب ائلاف جميع المستندات فوراً واصدار شهادة بذلك من قبل السلطات المختصة . ويجب على الوزير المسئول عن الادارة التي طلبت استصدار أمر الاستيلاء على المراسلات أن يظل على اتصال دائم مع اللجنة وأن يقدم إليها تقريرا شهريا لكل التطورات التي تتم في ظل الأمر المذكور .

وإذا كانت أسباب الأمر بالاستيلاء على المراسلات هي الاشتباه في ارتكاب جريمة قتل أو انتحار أو سرقة بالاكراه أو اختطاف فيجب أن يصدر الأمر من القاضي وفي حالة الضرورة القصوى من النائب العام أو وكلائه .

## فرنسا

تخول المادة ٨١ فقرة أولى من قانون الاجراءات القضائية قاضى التحقيق ان يستولى وبأخذ للمصلحة العامة اى رسالة تفيد فى التحقيق . وفى حالة الضرورة يجوز كذلك لمدير البوليس وفقا للمادة ٣٠ من قانون الاجراءات الجنائية فى المواد الجنائية المتعلقة بأمن الدولة أن يفتح المراسلات وأن يسلمها الى المدعى العام لدى محكمة أمن الدولة .

ويرخص القانون لسلطات السجن أن تراقب مراسلات المسجونين سواء المحكوم عليهم وغير المحكوم عليهم باستثناء مراسلاتهم مع محاميهم .

ولم يتضمن القانون الجديد لحماية حق الفرد فى خصوصياته وأسراره ، ربما لسوء الحظ . ، نص المادة ١٦٣ من مشروع القانون الخاص بتعديل القانون المدنى ، وكانت التى تنص على أنه « لا يجوز لمن يتسلم خطابا سريا أن يفشى محتوياته غير موافقة كاتبه » .

## سويسرة

وفى سويسرة توجد نصوص مماثلة سواء فى قانون العقوبات أو فى القانون الادارى .

وتضع المادة ٦٨ من القانون الفدرالى للاجراءات الجنائية الذى ووفق عليه فى ١٥ يونية سنة ١٩٣٤ تحت عنوان الفصل التاسع الخاص بالحراسة والتفتيش والمصادرة بعض القيود على حق الاستيلاء على المراسلات من قبل السلطات القانونية والبوليس ، هذا بياتها :

١ - أى تفتيش رسمى للمستندات الشخصية يجب أن يتم بطريقة تضمن احترام الأسرار ذات الطبيعة الشخصية كلما أمكن ذلك ، وسر المهنة المنصوص عليه فى المادة ٧٧ مكفول .

٢ - دعلى وجه خاص لا تفتش الأوراق الا اذا ظهر انها تحتوى على بيانات مهمة للتحقيق .

٣ - ويجب قبل التحقيق اعطاء الفرصة لمالك الأوراق ، كلما أمكن ، لكى يكشف عن مضمونها ، فاذا رفض فحصها وضعت فى حرز وأودعت فى مكان أمين . وفى هذه الحالة يصدر الأمر بفحصها أو بعدم فحصها من غرفة الاتهام ( وهى المحكمة الاستئنافية لقاضى التحقيق ) حتى المحاكمة . اما اثناء المحاكمة فيصدر الأمر من المحكمة .

وتنص المادة ٦ من القانون الاتحادى لمصالح البريد الذى ووفق عليه فى ٢ أكتوبر سنة ٢٤ فى الفقرة الثالثة منها على ما يأتى :

١ - تلتزم مصالح التلغون والتلغراف ، بناء على طلب كتابى من السلطة الاتحادية القضائية أو البوليسية المختصة أو السلطة الاقليمية القضائية المختصة ، بان تقدم اى بيان لازم متعلق بالعمليات البريدية الخاصة بافراد بدواتهم اذا كان هذا البيان مطلوباً في تحقيق جنائى او لمنع جريمة .

٢ - يجب تسليم الرسالة البريدية أو اعطاء ائبيان بناء على طلب مدير البوليس الاقليمى المختص لمنع ارتكاب جريمة .

### المملكة المتحدة

وفى المملكة المتحدة يتم الاستيلاء لحساب سلطات المخابرات أو البوليس بغير تشريع خاص يجيزه بناء على الامتياز الملكى . ولكن ثمة اجراءات ادارية من مدهاء فيجب ان يرخص فيه بأمر كتابى ولمدة محدودة وأن يوقع الأمر وزير الداخلية شخصياً .

### الولايات المتحدة

وفى الولايات المتحدة لا يبدو كما فى البلاد الأخرى محل الدراسة ، ان ثمة تشريعاً خاصاً ينظم الموضوع . ويبدو أن حق الاستيلاء مشتق من الاختصاصات العامة مثل اليمين التى يؤدونها رئيس جمهورية الولايات المتحدة بأن «يحمى الدستور ويدافع عنه » .

### خاتمة

أن مبدأ حرمة المراسلات قد تضمنته دساتير المكسيك وفنزويلا وجمهورية ألمانيا الاتحادية وسويسرا والولايات المتحدة الأمريكية . وليس الحال كذلك بالنسبة الى الأرجنتين والبرازيل وفرنسا .

ومن المعروف أن المملكة المتحدة ليس لها دستور مكتوب . ولكن جميع تشريعات الدول العشرة محل البحث تنص على جزاءات على الاستيلاء على المراسلات سواء فى قانون العقوبات أو فى نصوص خاصة متعلقة بمصالح البريد .

ويتضمن تشريع المكسيك وفنزويلا والأرجنتين والبرازيل وألمانيا وفرنسا نصوصاً خاصة تفرض عقوبات أشد على العاملين المدنيين الذين يفشون رسالة بريدية سرية أو يتلغون مستنداً مرسلًا عن طريق البريد ووصل الى أيديهم من خلال أداء واجبات وظائفهم .

وتمارس جميع الدول كما هو معروف الاستيلاء المرخص فيه على المراسلات . ومن المقرر أن القاعدة القانونية تكون مصنونة بدرجة أكبر اذا حدد التشريع الظروف والشروط التى يتم الاستيلاء فيها ، واذا خضع الاستيلاء ما أمكن للرقابة القضائية .

ومن الواضح أن الدول التي حققت ذلك من بين الدول محل البحث هي جمهورية ألمانيا الاتحادية وفرنسا وسويسرا .

### الاستيلاء على المكالمات التلفونية والبرقيات :

يعالج هذا القسم من البحث الاستيلاء على المحادثات التلفونية والمراسلات البرقية ، وربما كان من الأسر أن نبحث على حدة نصوص القانون المتعلقة به ( ١ ) الاستيلاء غير المشروع ( ب ) الاستيلاء المرخص فيه ( ج ) قبول الأدلة الآتية من الاستيلاء .

وتميل النصوص التي تحظر الاستيلاء غير المشروع الى اتباع نموذج عام . ولكن كما سنرى توجد فوارق واسعة في المسائلتين الأخريين سواء في القانون أو التطبيق .

### الاستيلاء غير المشروع

#### المكسيك

لا يتضمن الدستور المكسيكي أى حماية خاصة من هذا الضرب من ضروب انتهاك حق الشخص فى خصوصياته وأسراره .

ومع ذلك تتناول بعض نصوص القانون الخاص بوسائل الاتصال العامة عدداً معيناً من المشكلات المتعلقة بالاستيلاء على المراسلات البرقية أو التلفونية . وعلى سبيل المثال تحظر المادة ٣٧٨ من هذا القانون الاستيلاء على إفشاء الرسائل والأخبار والبيانات غير الموجهة الى الجمهور أو إفشاءها أو استعمالها إذا حدث ذلك بغير ترخيص وبأى نوع من أنواع أجهزة الاتصال الكهربائية .

ومن الواضح أن الإشارة الى « أى نوع » من أنواع الأجهزة تتيح لهذا النص مجالا واسعا للتطبيق حتى فى المستقبل مادام النص غير مقصور صراحة على نوع معين من الأجهزة . وهذا هو ما يعطى للنص قيمته الدائمة كوسيلة من وسائل الحماية .

وتفرض المادة ٣٨٣ من هذا القانون على موظفى المصالح القائمة بالارسال الكهربائى للمراسلات اشد التزام بالمحافظة على سر المهنة . وتنص على أن أحكام المادة ٥٧١ التى تحيل على قانون العقوبات تسرى على انتهاك سر المهنة .

وأخيرا تنص المادة ٥٨٧ من هذا القانون على أن يعاقب موظفو مصالح المواصلات الكهربائية الذين تثبت ادانتهم فى جريمة إفشاء المعلومات السرية الخاصة بعملهم هذه المرافق بالحبس من ثلاثة الى عشرة أشهر وذلك علاوة على فصلهم من وظائفهم .

## فتزويلا

لا يتضمن تشريع فتزويلا أى تدابير خاصة لحماية الفرد من الاستيلاء على المكالمات التلفونية ، ومن ناحية أخرى تحمى بعض النصوص فى قوانين البريد سرية المراسلات البرقية .

## البرازيل

تعالج المادة ١٥١ من قانون العقوبات الصادر سنة ١٩٤٠ الاستيلاء على المحادثات التلفونية اذ تنص على ما يأتى :

« يعاقب بالحبس من شهر الى ثلاثة أشهر أو بالغرامة كل من يفشى أو ينقل الى شخص ثالث أو يستعمل بغير حق محادثة تلفونية وكل من يمنع محادثة تلفونية من أن تتم » .

ولا يعاقب على التسمع على المحادثات التلفونية اذا كان لذلك أسباب قانونية . وهذا النص قد أدمج فى المادتين ٢١ و ٣٥٦ من المرسوم التشريعى الصادر فى ١٧ يناير سنة ١٩٥١ الخاص بمصالح البريد والمواصلات . ويشدد هذا المرسوم العقوبة اذ يجعلها الحبس من شهر الى ستة أشهر . وتضاعف العقوبة اذا كان قد لحق ضرر بشخص ثالث .

واذا كان مرتكب جريمة الاستيلاء على المحادثة التلفونية موظفا بمصلحة التلفونات عن طريق أساءة استعمال التسهيلات التى تتيحها له وظيفته تكون العقوبات أشد من ذلك اذ تقضى المادة ١٥١ من قانون العقوبات لسنة ١٩٤٠ بعقابه بالحبس من سنة الى ثلاث سنوات .

ولا توجد نصوص خاصة تتعلق بالرسائل البرقية . ولكن وفقا للمادة ١٥١ من قانون العقوبات ومرسوم سنة ١٩٥١ يحظر الاستيلاء أو افشاء محتويات الرسالة البرقية الا اذا كان لذلك « أسباب قانونية » .

## الأرجنتين

أن النصوص المتعلقة بهذا الموضوع فى الأرجنتين هى المادة ١٥٣ من قانون العقوبات وهى تنص على ما يأتى :

« يعاقب بالحبس من خمسة عشر يوما الى ستة أشهر كل من استولى على محادثة تلفونية بوجه غير شرعى . واذا افشى الجانى محتوياتها الى شخص ثالث أو اذاعها على آخرين يعاقب بالحبس من شهر الى سنة » .

وتعاقب المادة ١٥٤ موظف البريد أو البرق الذى يدان فى جريمة الاستيلاء على رسالة بالحبس من سنة الى أربع سنوات .

## جمهورية ألمانيا الاتحادية

أن نص المادة ١٠ من الدستور الذي يقضى بأن لسرية المراسلات حرمة يسرى على المحادثات التلفونية والرسائل البرقية سرياته على المراسلات البريدية .  
وتفرض المادة ٣٥٥ على موظفى البريد عقوبة على الاستيلاء غير المرخص به على المحادثات التلفونية والرسائل البرقية مماثلة لتلك التى تفرضها المادة ٣٥٤ على الاستيلاء غير المرخص فيه على الرسائل البريدية .

## السويد

يسرى القسم ٨ و ٩ من الفصل ٤ من قانون العقوبات لسنة ١٩٦٥ على الاتصالات التلفونية كما يسرى على الخطابات والبرقيات وبذلك يحرم انتهاك سرية الاتصالات عن بعد .

ويبدر أن التقاط المكالمات التلفونية يقع فى نطاق هذا الحظر .

وتحظر التعليمات التلفونية استعمال أجهزة التسجيل بغير اذن من السلطة المختصة . وبذكر وجود جهاز تسجيل عادة ( لا على سبيل الالتزام ) قرين رقم التلفون المعلن فى دليل التلفونات الرسمى .

ويحظر استعمال أجهزة الارسل بالراديو بغير اذن خاص . ويسرى هذا كذلك على أجهزة الراديو المستعملة سرا فى التقاط الأصوات المرسلة بامواج الراديو .

ووفقا لأحكام القانون الصادر فى ٧ مارس سنة ١٩٦٩ بخصوص التقاط المكالمات التلفونية المتعلقة بتحقيقات فى الجرائم الخطيرة التى ترتكب بالمخالفة للأمن الخاص بالمعارات المخدرة تنطبق أحكام القسم ١٦ من الفصل ٢٧ من قانون الاجراءات .

## فرنسا

يجب على موظفى مصالح البريد والتلفون والبرق فى فرنسا أن يحافظوا على سرية المهنة اذ يقسمون اليمين وفقا للمادتين ٤١ و ٤٢ من مجموعة قوانين البريد والتلفون والبرق على أن يحترموا حرمة المراسلات البريدية والبرقية والتلفونية .  
وتبعاً لذلك فإن موظفى المصالح المذكورة الذين يفشون محتويات محادثة تلفونية أو رسالة برقية يعقوب تحت طائلة العقوبات المنصوص عليها فى المادة ٣٧٨ لارتكاب جريمة افشاء سر المهنة .

وعلاوة على ذلك تنص المادة ١٧٧ من مجموعة قوانين البريد والتلفون والبرق على أن « تسرى احكام المادة ١٨٧ من قانون العقوبات على افشاء المحادثات التلفونية » . والمادة المذكورة هى الخاصة بانتهاك سرية المراسلات .

ولكن لا يحول أى نص فى قانون العقوبات دون استعمال أجهزة التقاط المحادثات التلفونية . وفى أثناء المناقشات التى سبقت إصدار قانون سنة ١٩٧٠ الخاص بحماية حق الفرد فى خصوصياته وأسراره اقترح أحد أعضاء المعارضة تعديلا يجعل التقاط المحادثات التلفونية واقعا تحت طائلة قانون العقوبات ، ولكنه أخفق .

## سويسرا

تكفل المادة ٣٦ (٤) من الدستور « حرمة أسرار التلغرافات » . وهذا المبدأ قد نفذته المادة ٦ من القانون الاتحادى المنظم للاتصالات البرقية والتلفونية التى تعتبر قيام موظفى التلفون أو البرق بافشاء أو السماح لغيرهم بافشاء محتويات المحادثات التلفونية والرسائل البرقية جريمة . وتتضمن المادة ٢٨ ( ب ) نصا مماثلا .

وتتضمن المادة ٢٨ ( أ ) من القانون نصا طريفا لحماية موظفى التلغرافات هو : « يجوز لإدارة البرق أن تسحب الخدمة التلفونية من أى شخص يسئ استعمال تلفونه أو يسمح باساءة استعماله بتوجيه عبارات نابية لعمال المرفق » . وتجرم المادة ٤٢ توصيل أى جهاز أو سلك باسلاك الإدارة الاتحادية بغير موافقتها . ويبدو هذا جزاء فعالا على كل أشكال الاستيلاء على الخدمات التلفونية العامة باستثناء ما يتم بوسائل فنية معقدة لا تقوم على توصيل أى شئ بأجهزة المصلحة أو اسلاكها .

وفى القانون المدنى تنطبق هنا أيضا المادة ٢٨ من المجموعة المدنية التى تجيز للمضروب أن يرفع دعوى للمطالبة بالتعويض ، أو أى وسيلة لجبر الضرر ، على المسئول عن انتهاك حقه فى سرية محادثاته التلفونية ووسائله البرقية .

## الولايات المتحدة

بالرغم من أن التقاط المكالمات التلفونية لم يحظره الدستور فإن من الواضح أنه امر غير مشروع باستثناء الحالات التى يرخص فيها بأمر من المحكمة لتحقيق جرائم خطيرة أو بقرار يوقعه النائب العام المختص بتحقيقات أمن الدولة . ويعتبر افشاء أو نشر بيانات تم الحصول عليها بالتقاط المكالمات التلفونية جريمة وفقا للقانون الاتحادى للولايات المتحدة . اذ ينص القسم ٦٠٥ من قانون المواصلات الاتحادى على ما يأتى :

« يحظر على أى شخص غير مأذون من قبل المرسل أن يستولى على أى مراسلة ، أو يفشى أو ينشر محتوياتها أو فحواها أو اثرها أو معناها على أى شخص » .

وينطبق هذا القسم على المحادثات التلفونية .  
وفي الدعوى التى أقامها نادرون على حكومة الولايات المتحدة حكمت المحكمة العليا بأن هذا القسم لا ينطبق فقط على إفشاء أو نشر المعلومات التى تم الحصول عليها مباشرة من الأسلاك وإنما ينطبق كذلك على تلك التى تم الحصول عليها بطريق غير مباشر .

ويلاحظ أن هذا القانون لا يحظر مجرد الاستيلاء على الاتصالات وإنما تتم الجريمة فقط عندما تفشى المعلومات أو تنشر . ويشترط كذلك أن يكون الاستيلاء بغير إذن . وقد حكمت المحكمة العليا بأنه يجوز قانونا تسجيل مكالمات تلفونية بموافقة أحد طرفى المكالمات وحده .

وقد سن عدد من الولايات الأمريكية قوانين تحرم التقاط المكالمات التلفونية . وفى القانون المدنى يخول التدخل فى شئون الفرد بالاستيلاء على مكالماته التلفونية الحق فى رفع دعوى الاعتداء المبينة على الإخلال بحقوق الملكية الخاصة بالدعى . كما يمكن رفعها تأسيسا على المسؤولية التقصيرية الناشئة عن الاعتداء على حرمة الشخصية الإنسانية للفرد وعلى حقه فى خصوصياته وأسراره .

ولكى ينجح المدعى فى دعوى الاعتداء يجب عليه أن يثبت وقوع تدخل مادمى فعلا فى حقوق الملكية الخاصة به . وفى قضية ضد حكومة الولايات المتحدة رفع بائع مشروبات روحية أثناء حظر بيعها دعوى بسبب استيلاء موظف اتحادى على مكالماته التلفونية تأسيسا على مخالفة ذلك للتعديل الرابع للدستور . ولكنه خسر الدعوى لأنه لم يكن ثمة اعتداء فعلى على ملكيته الخاصة لأن الأسلاك التلفونية قد تم العبث بها من بعد .

ومع ذلك فبعد بضعة سنوات قضى بتعويض كبير على التسمع على تلفون المدعى وعلى محادثاته ومحادثات أسرته وأصدقائه وحكمت المحكمة بأن التسمع على الأسلاك التلفونية يعتبر عدوانا على حرمة الشخصية الإنسانية معانلا لاستراق السمع الذى يعتبر جريمة معاقبا عليها بموجب القانون العام .

وتعتبر قضية ماك دانيل ضد شركة اتلانتي لتعبئة زجاجات الكوكاكولا على وجه خاص قضية مثيرة ، فقد طالبت السيدة المذكورة الشركة بتعويض عن الأضرار الشخصية التى أصابتها نتيجة وجود جسم غريب فى إحدى الزجاجات التى أنتجتها الشركة . وبينما كانت المدعية تعالج فى المستشفى وضعت الشركة سرا اعتقادا منها ببطلان زعم المدعية جهاز تسمع فى غرفتها وسجلت عددا من المحادثات الخاصة التى دارت بين المدعية وزوجها وأصدقائها وممرضاتها . وقد قضت المحكمة بوقوع الاعتداء على حرمة الشخصية الإنسانية للمدعية وحقها فى خصوصياتها وأسرارها وأنه لا يؤثر فى ذلك عدم إفشاء البيانات التى تم الحصول عليها إلى أى شخص آخر .



ولا يطلب من المدمى أن يثبت أن ضررا خاصا قد حاق به من الاعتداء على أسراره اذ يكفي ما يترتب على الاعتداء المذكور من حرج واذلال .

### المملكة المتحدة

ولا يعتبر التسمع على التليفونات - بوصفه ذلك - جريمة جنائية فى المملكة المتحدة . ولكن حيث يقع اعتداء مady على ممتلكات التاج فان ذلك يعتبر جريمة وفقا لقانون التلغراف السلكى واللاسلكى .

ومع ذلك فمن الممكن التقاط المكالمات التليفونية بغير أى اتصال مady مع الشبكة التليفونية . ومن الممكن أن يعتبر الالتقاط هنا جريمة وفقا للقسم ( ١ ) من قانون التلغراف اللاسلكى لسنة ١٩٤٩ الذى يجرم تركيب جهاز تلغراف لاسلكى بغير إذن المدير العام . ويجرم القسم ٥ ( ب ) من قانون التلغراف اللاسلكى لسنة ١٩٤٩ استعمال جهاز تلغراف لاسلكى للحصول على معلومات عن مضمون رسالة أو مرسلها أو المرسل اليه ( سواء أرسلت بالتلغراف اللاسلكى أو لا ) بغير ترخيص صادر له أو لمن يعمل لحسابه من المدير العام فى أن يستقبل » . ويفسر القسم ١٩ ( ١ ) عبارة « التلغراف اللاسلكى » بأنه الإرسال أو الاستقبال فى مجال لم يزود بواسطة اتصال مادية اقيمت أو نظمت لهذا الغرض من أغراض الطاقة الكهرومغناطيسية .

وفى القانون المدنى لا يوجد جزاء خاص على التسمع التليفونى غير المشروع . ويجوز الحصول على الجزاء المقرر على الاعتداء على الملكية عندما يكون ثمة تدخل مady فى ملكية التاج أو ملكية الأفراد . ويشترط لذلك أن تقام الدعوى ممن له حق حيازة الملك وعلى ذلك يجوز للمالك الفندق ( وليس للنزيل ) أن يقيم الدعوى للمطالبة بالتعويض اذا وقع تسمع على تليفون النزيل ، وكذلك لا يوجد جزاء قضائى اذا تم تسمع التليفون بغير أى اتصال مady بالاسلاك التليفونية ( ولو أن ذلك قد ينطوى كما رأينا على جريمة جنائية ) .

وقد تم حديثا بنجاح وبراعة ادانة مخبرين سريين فى محاكمة جنائية عن تواطؤ على الاعتداء لارتكابهما بقصد تسجيل محادثات تلفونية . والتواطؤ هو اتفاق بين شخصين أو أكثر لارتكاب فعل غير مشروع سواء كون الفعل فى حد ذاته جريمة جنائية أم لا . وعلى ذلك يعتبر جريمة جنائية بالنسبة الى شخصين أو أكثر أن يرتكبوا مجتمعين فعلا يعتبر خطا مدنيا لو ارتكبه واحد منهم بمفرده .

كذلك يعتبر جريمة جنائية وفقا للقسم ٢٠ من قانون التلغراف لسنة ١٩٤٨ أن يقوم أى شخص عليه واجبات وظيفية متصلة بمصلحة البريد بمخالفاتها وذلك بأن يفشى أو يذيع بأى طريقة أو أن يستولى على محتويات رسالة تلغرافية عهد بها الى المدير العام لارسالها » .

وينطبق هذا القسم على المحادثات التليفونية ولكنه مقصور على موظفى البريد .  
وقد تكررت الاشارة الى عدم كفاية هذه الجزاءات فى القانون الجنائى  
والقانون المدنى على السواء فى كتابات الكتاب والمناقشات البرلمانية .

### **الاستيلاء الرخص به**

تشير معظم الدول فى تشريعاتها بطريق مباشر أو غير مباشر الى الاستيلاء  
الرخص به على المحادثات التليفونية . وفى بعض الدول تقوم رقابة قضائية لبعض  
أو كل افعال الاستيلاء . ولكن عادة يوجد مجال واسع من قبل سلطات الدولة  
غير خاضع لاية رقابة قضائية . والتسمع على خطوط التلفون الخاصة حتى حيث  
تتوافر مسوغات له من الأمن العام أو المصلحة العامة يعتبر مع ذلك اعتداء على  
حرمة الشخصية الانسانية للفرد وعلى حقه فى خصوصياته وأسراره .

### **المكسيك**

وعبارة « بغير ترخيص » الواردة فى المادة ٣٧٨ من القانون المكسيكى الخاص  
بوسائل الاتصال العامة تتصل مباشرة بالمادة ٣٧٩ التى تحدد الحالات التى يجوز  
فيها منح ترخيص بالتسمع . ومع استبعاد التسمع بناء على طلب المرسل أو المستقبل  
للمرسلة فإنه لا يجوز منحه الا « للسلطة المختصة لاسباب قانونية » .

وتؤدى هذه العبارة الفامضة الأخيرة الى مخاطر معينة لحق الفرد فى  
خصوصياته وأسراره لأنها لا تحدد بدقة السلطات التى يجوز لها الاستيلاء على  
ما يعتبر معلومات خاصة تماما ، كما أنها لا تحدد الجهات التى يجوز لها منح  
الترخيص للاستيلاء سواء كانت جهات ادارية أو قضائية أو غيرها .

### **البرازيل**

وفى البرازيل كما سبق أن رأينا عرف « الاستيلاء غير القانونى » بأنه يشمل  
الحالات التى لا تبررها اسباب قانونية . ويفهم من ذلك أن القانون يعترف بشرعية  
الاستيلاء من قبل بعض سلطات الدولة . ولكن القانون على ما يبدو لم يحددها .  
ولا توجد رقابة قضائية على التسمع على التلفزيونات .

### **جمهورية المانيا الاتحادية**

فى سنة ١٩٧٠ رفعت دعوى أمام المحكمة الدستورية الاتحادية بطلب الحكم  
بعدم دستورية النصوص الواردة فى بعض قوانين الطوارئ لسنة ١٩٦٨ التى تجيز  
التقاط المكالمات التليفونية والاستيلاء على البريد .

وقد حكمت المحكمة بأغلبية خمسة أصوات ضد ثلاثة بأن ذلك يحقق المصلحة  
القومية وأنه لا يتعارض مع الدستور . واعتبرت حماية الجمهورية الاتحادية ونظامها

الحزب الدستوري ذات أهمية أسعى من كل ذلك وتستلزم هذا التقييد للحقوق الأساسية .

ووفقا لقانون الطوارئ يجب تقديم طلب أولا للترخيص بالتسمع الى القاضي .  
وقد حكمت المحكمة الدستورية بأنه يجوز أن يصدر الترخيص كذلك من لجنة برلمانية .

وقد قيل في هذه الدعوى أن الشخص الذى تكون مكالماته التليفونية موضع تسمع من حقه أن يعلم ذلك . ولكن المحكمة رفضت هذا القول مقررة أنه لما كان معارضو الدولة يعملون في السر فإنه يكون من اللائق أن تتم الاجراءات المضادة في السر كذلك .

### السويد

يلزم الحصول على امر من المحكمة للترخيص للسلطات فى الاستيلاء وفحص الرسائل البريدية والتلفرافية والتقاط المحادثات التليفونية .

وقد صدر فى سنة ١٩٦٩ قانون يرخص للسلطات العامة فى التسمع على تليفونات الأشخاص المشتبه فى ارتكابهم جرائم مخدرات . ولكن يلزم الحصول على اذن المحكمة التى تملك اعطاء الاذن لمدة شهر واحد .

### فرنسا

يجوز الترخيص فى الاستيلاء على الاتصالات البرقية أو التليفونية اما بالطريق القضائى واما بالطريق الوزارى .

ويجوز لقاضى التحقيق أن يأذن فى الاستيلاء على المحادثات التليفونية اثناء اجراء التحقيق القضائى . وتنص المادة ٢٤ ( الفصل ٤ ) من تعليمات مصلحة البريد على أن على مدير الادارة المركزية وجميع موظفى البريد أن يستجيبوا الى أى طلب من قاضى التحقيق للتسمع على مكالمات تليفونية معينة . ويجب ألا يلجأ الى هذه السلطة الا فى جرائم خاصة جدا حيث يتعدى عادة اثباتها بطرق التحقيق العادية وحيث يبدو أن الكشف عن المجرم يتوقف على استعمال هذه الطريقة من طرق التحقيق .

ولا يجوز منح الاذن الوزارى الا من مكتب رئيس الوزراء حيث يوجد موظف مسئول عن الاتصال بالادارات المختلفة المعنية . ولا يقتصر الاستيلاء على مصلحة الأمن او ادارة المخابرات وكثيرا ما يلجأ اليه البوليس وسلطات الضرائب والجمارك . ومن المفهوم أن السلطة فى منح الترخيص بالاستيلاء مفوضة الى الموظف المعين . لذلك فى مكتب رئيس الوزراء ، وأن المكالمات التى يتم تسمعها تطبع من نسختين . ترسل احدهما الى مكتب رئيس الوزراء .

وكمبدأ لا يمنع هذا الترخيص الوزاري الا في حالات الجرائم الخطيرة  
أو عندما تكون سلامة الدولة في خطر ، ولكن من المعتقد على وجه عام ان هذه  
المبادئ تلقى تفسيراً متحرراً .

### سويسرا

يحدد القانون بشكل واضح حقوق السلطات الرسمية في الحصول على  
الاتصالات . فالمادة ٧ من القانون الفدرالي الصادر في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٢ تنظم  
المواصلات التلفرافية والتلفونية وتقرر انه :

١ - يلتزم مرفق التليفون والتلفراف بأن يقدم كل التسجيلات التليفونية  
والتلفرافية وكذلك الإيضاحات الخاصة بها ، كطلب السلطة الفدرالية المختصة ،  
القضائية أو البوليسية ، أو السلطة القضائية المحلية المختصة ، وذلك بمناسبة  
الاجراءات الوقائية التي تتخذ أو التحريات والتحقيقات الجنائية .

كما يجب تقديم هذه الاتصالات والإيضاحات كطلب مدير البوليس الاقليمي  
المختص بقصد منع ارتكاب جريمة . وتسجيل المكالمات التليفونية تنظمه صراحة  
المادة ١٧٩ من القانون الصادر في ٢٠ من ديسمبر ١٩٦٨ الذي يقرر عقوبة جنائية  
للاخلال بحمة الأشخاص ينص على أن :

« يعنى من العقوبة المقررة بالمادة ١٧٩ كل من عمد ، عن طريق جهاز التلفون أو  
أى أجهزة خاصة بمرفق البريد أو التلفراف ، الى الاستماع أو الى تسجيل محادثة  
تمت عن طريق جهاز التلفون اذا كان ذلك خاضعاً لرقابة مرفق التلفون » .

وهذا يدل على أن تسجيل المحادثات يجوز أن تقوم به السلطات المختصة .

وقد وقع حادث في ديسمبر سنة ١٩٧٠ أثار قلق الرأي العام ، فقد  
قام اثنان من مفتشى البوليس السابقين بجمع معلومات من اشرطة البوليس تتعلق  
بالفى شخص فى جنيف ، وأنشأ مكتب مباحث استغلا فيه هذه التسجيلات ،  
وتوصلا الى تحريات أساسها هذه المحادثات التلفونية . وكان رأى المدعى العام  
الاتحادى « ان هناك فارقاً أساسياً بين الاستعمال القانونى لتسجيلات المحادثات  
التلفونية لصالح الدولة أو الأمن العام أو لمنع وقوع الجرائم ، وبين الاستعمال غير  
القانونى » .

ويمكن القول انه فى سويسرا قد تناقص كثيراً عدد الموظفين الرسميين  
المخولين حق الاستماع التليفونى ، ومع ذلك فان عددهم ما زال كبيراً فهو يشمل  
جميع قضاة التحقيق الاتحاديين والمدعى العام الاتحادي ورئيس البوليس الاتحادي  
وقضاة التحقيق العسكريين ورؤساء هيئات الجيش وقضاة التحقيق بالولايات .  
والعضو المسئول بكل ولاية عن قمع الجريمة بمعرفة البوليس .

## الولايات المتحدة

كما وضع من قبل فان تسجيل المحادثات السلكية غير قانوني بالولايات المتحدة الا اذا اذنت به محكمة مختصة بالأحوال الجنائية أو المدعى . أو النائب العام في قضايا الأمن العام . وهناك اعتقاد بأن الاستيلاء على المحادثات التليفونية بمعرفة أجهزة الحكومة يجرى بغير ترخيص من السلطات المختصة وذلك الى حد غير ثابت . وهناك مثال عن التضارب حول هذا الموضوع ، فقد حدث في شهر يونية ١٩٦٩ أن السيد رامزى كلارك المدعى العام في المدة من أكتوبر سنة ١٩٦٦ حتى يناير سنة ١٩٦٩ قرر أن مكتب التحقيقات الفدرالي ( FBI ) لم يأذن بالاستيلاء على أى محادثات تليفونية خاصة بالسيد مارتين لوثر كنج أو السيد الجاه محمد زعيم المسلمين السود . ومع ذلك فإنه لما قدم السيد محمد على كلابي للمحاكمة بتهمة العصيان ، وقرر أن ذلك مبناه معلومات تجمعت من استيلاء غير قانوني على محادثات تليفونية أجريت مع هذين الشخصين ، فان مندوب مكتب التحقيقات السيد فيكونر اعترف في شهادته بأن تلفون الدكتور كنج كان تحت التسجيل في المدة من ١٩٦٤ حتى اغتياله سنة ١٩٦٨ .

وفي مايو سنة ١٩٧١ ثبت أن مكتب التحقيقات الفدرالي قد حصل خلال مدة حكم الرئيس نيكسون على عدد ٣١٥ أذنا قضائيا في قضايا جنائية وأن لديه خمسين تقريرا عن تحريرات امن بتوقيع المدعى العام . وقد صرح الرئيس نيكسون في مؤتمر صحفى بأنه في عهد الرئيس كيندى صدر تصريح بتسجيل ضعف هذا العدد من المكالمات التليفونية .

## المملكة المتحدة

ذهبت الحكومات - لفترة طويلة - الى انها مخولة - لادامى الامتياز الملكى - أن تستولى على الخطابات التى يحملها البريد الملكى . وهذا الادعاء امتد الى الاتصالات التليفونية .

وهناك شك حول اساس هذا الادعاء . ولكن في ظل قانون « اجراءات محاكمة الناتج » الصادر سنة ١٩٥٧ فان سلطة الدولة تعفى الآن من المسؤولية عن الاستيلاء على الرسائل البريدية أو التليفونية . على أن اجراءات الترخيص الرسمى بالاستيلاء على المحادثات التليفونية هى نتيجة تدقيق من البرلمان والرأى العام بسبب حادث وقع سنة ١٩٥٦ .

فقد كان يجرى تحقيق حول سلوك أحد المحامين بأنه لا يتفق وأصول المهنة، وكان البوليس قد حصل على محادثات صدرت من والى احد كبار المشكوك فيهم . وقد كان عميلا لأحد المحامين . وعن هذا الطريق امكن للبوليس أن يحصل على تفصيل لمحادثات تليفونية مباشرة تمت بين المحامى وهذا العميل والتى يمكن

أن تكون موضع مساءلة أمام القضاء الإنجليزي ، وقد طلبت المحكمة الى البوليس أن يسلم هذه المحادثات التليفونية ، وصرح المختص بتسليمها رغم أنه لم يتم شك حول اتهام جنائي ضد المحامي . وقد استمع أعضاء المحكمة الى المحادثات التليفونية . وانتهى الأمر بايقاف المحامي عن مهنته بسبب ما احتوته هذه المحادثات .

وقد أثار هذا الحادث ضجة بين الرأي العام ، وشكلت لجنة تحقيق من مستشارين لبحث موضوع الاستيلاء على المحادثات التليفونية ، وتبينت أنه حتى سنة ١٩٣٧ كانت الهيئة العامة للبريد تجرى على أن من حقها قانونا الاستيلاء على المحادثات التليفونية ، حتى قررت الحكومة في ذلك العام لدواع سياسية وجوب الحصول على إذن كتابي من وزير الداخلية قبل الاستيلاء على أى محادثة تليفونية . وقد أعدت سنة ١٩٥١ مذكرة بشأن المبادئ التي تنظم اصدار هذه الاذن ، مؤداها وجوب أن يكون الاتهام جديا ، وأن تكون اجراءات التحقيق العادية قد أخفقت ولا ينتظر نجاحها وأن الاستيلاء على المحادثات يؤدي الى اتهام يوصل الى الحكم بالادانة لمدة ثلاث سنوات على الأقل ، أو أنه يتعلق بجرائم جرمية ، أو يكون هناك تكرار لأعمال خطيرة يؤدي عدم كشفها الى الأضرار بصالح الخزانة أو اقتصاد البلاد، وأن يصدر الاذن بالاستيلاء لسلطات الأمن فقط في أحوال النشاط التخريبي أو التجسسي الذي من شأنه الأضرار بمصالح الوطن .

وذكرت اللجنة أن اكبر عدد من أذن الاستيلاء على المحادثات التليفونية بلغ ٤٣١ خلال عام واحد ، وأن ذلك كان محل بحث دقيق .

وأوصت اللجنة بالاجماع بأن لاتصل نسخة من التسجيلات الى غير رجال الخدمة العامة ، وأدانت مسلك وزارة الداخلية في قضية المحامي الذي وقع خطأ في حقه ، على أن هذا النظام لا يمتد حيث يمكن للبوليس أن يقنع مشتركا بالسماح لهم بعمل وصلة أو امتداد لتليفون يمكنهم من الانصات الى المحادثات .

وبناء على ذلك سلم البوليس سنة ١٩٥٩ الى مجلس النقابة العامة تفاصيل المحادثات التليفونية التي تمت بين طبيب وأحد مرضاه ، وانتهى الأمر بعزل الطبيب من مزاوله المهنة بسبب سوء السلوك المهني .

ولا توجد رقابة قضائية على اصدار الاذن من وزارة الداخلية ، ورغم التدقيق في اصدار هذا الاذن فانه من الناحية القانونية للحكومة سلطة غير محددة تقريبا للاستيلاء على المحادثات التليفونية .

### قبول الشهادة

لا تجرى جميع البلاد على الاهتمام بدراسة كاملة عن هذا الموضوع ، وهو يتصل بالاعتداد بتسجيلات انتليفون أو التلغراف كدليل في الإثبات .

ومن البديهي أنه حيث يكون الاستيلاء على التسجيلات موضع رقابة قضائية ، فإن المعلومات المستمدة من هذه التسجيلات تكون محل اعتبار في الإثبات .

وحيث يكون الاستيلاء بتصريح من سلطات وزارية فإنه قلما تشور مسألة الأخذ بهذه التسجيلات في الإثبات ، لأن هذه السلطات تريد الإبقاء على سرية هذه الطريقة ، ومن ثم فهي تحجم عن تقديم مثل هذا الدليل أمام المحاكم . وعلى ذلك فالمبدأ أنه ليس ما يمنع قانونا من قبول ذلك أمام أى محكمة .

ويثور سؤال أصعب إذا قام دليل بناء على استيلاء غير مصرح به . وفي جمهورية ألمانيا الاتحادية يشور هذا السؤال بشأن حماية الحرمة الشخصية . والمبدأ العام أن الأدلة المادية التي هي نتيجة تسجيل اتصالات بدون إذن قد لا يؤخذ بها كدليل أمام القضاء .

وهناك استثناء من ذلك في حالة الدفاع عن النفس ، كحالة تسجيل محادثة تليفونية مع رجل يبتز مال آخر .

وفي فرنسا لا يؤخذ في الاعتبار الأدلة المستمدة من الاستيلاء غير المصرح به . ومع ذلك فهناك طريق يمكن بها تقديم هذه الأدلة أمام المحاكم دون الإفصاح عن مصدرها .

ولعدم وجود قاعدة تمنع الأدلة السماعية يمكن للبوليس أن يضمن تقريره إلى قاضي التحقيق أن البيانات قد حصل عليها من أشخاص من ذوي الخبرة أو بمناسبة تحريات البوليس بينما في الواقع تم التوصل إليها عن طريق الاستيلاء على التسجيلات .

وفي الولايات المتحدة قضت المحكمة العليا بأن تحريم القانون لإذاعة بيانات تم الحصول عليها من تسجيل غير مشروع يمتد إلى إذاعة البيانات في شهادة أمام القضاء .

وعلى ذلك فإن أى بيانات تم الحصول عليها بطرق مباشرة أو غير مباشرة ، عن اتصالات تليفونية غير مصرح بها قانونا ، لا تقبل في الإثبات . وإذا تم رضاه أحد طرفي المحادثة التليفونية فإنه لا حاجة بعد ذلك إلى الحصول على إذن الطرف الآخر .

وفي المملكة المتحدة ، المبدأ المقرر هو أن الدليل المستمد عن طرق غير قانونية لا يؤدي ذلك إلى رفضه في الإثبات .

### خاتمة

أنه في الدول المتقدمة يوجد تنظيم تشريعي يتعلق بالاستيلاء أو الإفشاء بغير إذن لخصوم الاتصالات التليفونية أو التلغرافية ، وأن اختلفت التنظيمات في

هذه الدول الى حد كبير . وهناك اتجاه عام لتقرير جزاءات لمثل هذا الاجراء اذا صدر النقل من موظفي هيئات المواصلات .

وفى معظم البلاد التى تجيز للسلطات الادارية تسجيل المحادثات التليفونية هناك قواعد محددة للتوفيق بين سلوك هذا الطريق وتفاذى اساءة استعماله .

ففى جمهورية المانيا الاتحادية ، والسويد ، وفرنسا ، وسويسرا ، والولايات المتحدة الامريكية ، للقضاء سلطة الاذن للادارة بتسجيل المحادثات التليفونية عادة لفترة محددة بدقة ويفرض اجراء التحريات .

ومن هذه البلاد ، تجيز فرنسا ، وسويسرا ، والولايات المتحدة ، الاذن باجراء التسجيلات التليفونية من وزير معين بناء على طلب الجهات الادارية المختلفة . وفى هذه الاحوال يكون الفرد تحت رحمة السلطة التنفيذية ، وليس له طريق قانونى لحماية نفسه .

وفى المملكة المتحدة لا توجد رقابة قضائية على تسجيل الادارة للمحادثات التليفونية . ولا يوجد قانون يمنع صراحة استيلاء الافراد على المحادثات التليفونية الامر الذى اثار الكثير من المناقشات فى البرلمان .

ومع ذلك فهناك ، على غير المتوقع ، رقابة ادارية صارمة على حالات الاستيلاء المصرح بها . ولم يقد دليل على ان هذه الحالات قد امتدت الى احوال اكثر مما فى البلاد الاخرى .

وفى دول أمريكا اللاتينية لا توجد رقابة قضائية ولا قوانين تقيد استعمال هذه الطرق للرقابة بمعرفة السلطة التنفيذية .

### اجهزة الاستماع واجهزة التسجيل

هذا القسم تتناوله القوانين المتعلقة باستراق السمع عن طريق اجهزة الاستماع ضد سماع محادثة من شخص فى مكان خاص وبعبون علمه . وهذا التهديد للحرية الشخصية تتزايد خطورته وتكثر فى الأسواق حيث الاجهزة التى تردد دقة باستمرار .

وهناك اربع دول هى جمهورية المانيا الاتحادية وسويسرا وفرنسا والبرازيل بها تشريعات جنائية لمواجهة جرائم تسجيل المحادثات الخاصة بغير اذن قانونى .

### فى المكسيك

نلاحظ أن المادة ١ من الدستور تحمى الفرد ازاء أى اخلال بحريته الفردية . ويستثنى من ذلك فقط ما نصت عليه القوانين صراحة .  
فالمادة ١٤ من الدستور تقرر مبدأ عدم امكان حرمان أى شخص من حقوقه باستثناء الحالات المحدودة صراحة فى القانون .



وعلى ذلك فإن أى اتجاه الى استعمال جهاز الكترونى أو جهاز استماع يعتبر مخلا بالضمانات المقررة بهاتين المادتين لتدخله فى الحقوق الشخصية للشخص موضوع استراق السمع وإخلاله بحريته الفردية .

ويضاف الى ذلك أن الدستور لا يشتمل على تحفظ يمنع تماما النصريح الا لموظفين رسميين بمراقبة مثل هذه الرسائل .

فالمادة ٢٨٦ من قانون الاجراءات المدنية تقرر أن المعلومات التى يتوصل اليها من جهاز الكترونى أو أى وسيلة للرغبة أو الاستماع يمكن أن يؤخذ كدليل فى الاثبات ، وتترك المادة ٤٢٠ للقاضى أن يحدد قيمة الدليل المستمد بهذم الطريقة .

وهذا الأمر قد يعتبر قيذا حقيقيا للحرية الفردية ، خاصة اذا رأينا عدم تحديد السلطات المخولة للجهات الادارية فى استعمال هذه الطرق للتحقيق . ووفقا لنصوص الدستور فإن السلطة القضائية يمكن أن يعطى لها - وحدها - هذه السلطات بناء على طلب من المدعى العام . ولكن نطاق هذه الحقوق غير محدود بأى تشريع فى المكسيك .

### فنزويلا

لا يشتمل التشريع على أى نص لحماية الحمرات الشخصية فى هذا المجال الخاص .

### الأرجنتين

ان الحماية الوحيدة التى يقرها القانون فى الأرجنتين فى هذا الشأن هى امكان المطالبة بتعويض تطبيقا للمادتين ٧٧ و ٧٨ من القانون المدنى .

### البرازيل

لم يكن هناك تشريع فى البرازيل حتى وقت قريب يحمى الفرد من استعمال الاجهزة الالكترونية أو أجهزة استراق السمع الأخرى على أن القانون الجنائى الجديد الصادر ١٩٦٩ يشتمل على بعض الحماية فالمادة ١٦٢ من القانون الجنائى الصادر سنة ١٩٦٩ تقرر أنه يعاقب كل شخص أدخل بالحرية الفردية أو الحق فى الابقاء على سرية التصريحات الخاصة بآخر باستعمال أجهزة استماع فنية يعاقب بالسجن لمدة لا تجاوز سنة أو بغرامة لا تجاوز ايراد ٥٠ يوما .

وهذا النص الجديد الذى أضيف الى القانون الجنائى يوما بناء على اقتراح البروفسور بول جوزيه داكوستا يمكن معه أدانة الأشخاص الذين يسجلون المحادثات الشخصية على آلة تسجيل بغير علم أطراف هذه المحادثات .

## جمهورية ألمانيا الاتحادية

تقرر المادتان ١٩٨ و ٣٥٣ من القانون الجنائي المضافتان في شأن الحماية الجنائية ضد تسجيل أو استراق السمع أنه :

« يعتبر اعتداء من أى شخص أن يقوم بالاستماع - بدون إذن - المحادثات الخاصة لأى شخص وسيلة استراق السمع أو تسجيل محادثة خاصة لشخص آخر » .

وتقرر المادة ٢٩٨ أن تسجيل الأحاديث التي يقصد إلى نشرها واستعمال مثل هذه التسجيلات أو تقديمها لشخص ثالث ، يعاقب عليه بالحبس لمدة قد تبلغ ستة شهور .

كما يعاقب على الاستماع أو محاولة الاستماع الى محادثة لشخص آخر عن طريق جهاز استراق السمع .

وفي بعض حالات خطيرة اذا ارتكب الاعتداء بقصد تحقيق ربح مادي أو بغرض الحصول على ربح غير مشروع من طرف ثالث أو الأضرار بشخص آخر يمكن أن تصل العقوبة الى الحبس خمس سنوات مع امكان مصادرة أجهزة التسجيل أو استراق السمع .

وتقرر المادة ٣٥٣ انه « اذا عمد موظف حالى أو موظف سابق بدون إذن الى افشاء سر وصل اليه أو أمكن الوصول اليه بمناسبة مزاوله اختصاصات وظيفته ، غاناه يعاقب بالحبس » .

ويعاقب بالعقوبة نفسها اذا افشى موظف حالى أو سابق بدون إذن حديثا خاصا لآخر تم تسجيله أو استراق السمع اليه باذن أو بغير إذن .

ويعاقب على استعمال أجهزة استراق السمع اللاسلكية وبغير تصريح بموجب قانون الاتصالات بأجهزة الاتصالات الصادر سنة ١٩٥٨ ، وقد صرح وزير العدل ان ليس في نيته ان يصدر أى تصريح بموجب هذا القانون لاستعمال أجهزة استراق سمع دقيقة وقد صدر سنة ٦٨ قانون يعاقب على تسجيل المحادثات بمعرفة شخص غير عام ، والمادة ١٧ من قانون المنافسة غير المشروعة الصادر سنة ١٩٠٩ تنص على انه يعاقب أى شخص يستعمل أو يذيع بغير المنافسة أو الربح أى أسرار خاصة بالعمل حصل عليها بطريق غير مشروع أو نتيجة فعل غير أخلاقي ارتكبه . والحصول على معلومات عن طريق أجهزة استراق السمع يعتبر لا شك عملا غير أخلاقي .

## السويد

لا يوجد في الواقع أى قانون يمنع استعمال أجهزة الكترونية أو أجهزة استراق السمع . ومع ذلك فهناك بعض نصوص تحرى الاخلال بحرية المسكن يمكن أخذها في الاعتبار .

فالقانون الصادر سنة ١٩٦٦ بشأن الاتصالات بالراديو يمنع تسجيل الرسائل الصوتية المنقولة بطريق موجات الراديو اذا استعمل المستمع جهاز استقبال غير مرخص له قانونا باستعماله .  
وفضلا عن ذلك فان اى تطفل او انتهاك يسلكه شخص آخر باى طريق للاستراق يعتبر تعديا ومن ثم يعتبر غير مشروع ويعاقب عليه .  
وفى ضوء هذه الأحكام يمكن القول ان وضع جهاز استراق السمع فى مسكن شخص يمكن اعتباره تعديا .

## فرنسا

المادة ٣٦٨ من القانون الجنائى ، المضافة بالقانون الصادر فى ١٩٧٠/٧/١٧ فى شأن حماية حقوق الأفراد ، تعتبر تعديا للاخلال بالحرية الفردية لشخص آخر بواسطة الاستماع او التسجيل او النقل باى وسيلة ميكانيكية او غيرها للأحداث الصادرة فى مكان خاص ، بغير موافقة المتحدث وفضلا عن ذلك فالمادة ٣٧١ تقرر ان السلطة العامة يمكنها بتنظيم خاص ان تحدد قائمة بالآلات التسجيل التى يمكن استعمالها مخالفة للمادة ٣٦٨ من القانون . والآلات التسجيل المحددة بالقائمة هى وحدها التى يمكن تصنيعها او استيرادها او عرضها او بيعها بموجب ترخيص يحصل عليه من الوزير . وأخيرا فالمادة ٣٧٢ تقرر ان للمحكمة مصادرة اى تسجيل يحصل عليه باى طريقة محددة بالمادة ٣٦٨ .  
ويمكن القول ان هذه الإضافات فى القانون الفرنسى مجالها محدد وخاص والجزاءات المقررة قاسية لأن المتهم يكون معرضا للحكم عليه بالحبس لمدة من شهرين الى ستة وبغرامة من ٢٠٠٠ الى ٥٠ ألف فرنك .

## سويسرا

القانون الفدرالى الجديد الصادر فى ١٩٦٨/١٢/٣٠ بتقرير اجراءات جديدة لحماية الحرية الفردية - الذى يعمل به من ١٩٦٩/٥/١ - يعتبر وسيلة لواجبة الطرق الجديدة للاخلال بالحرية الفردية . ولهذا سعى « القانون ضد الجواسيس الصغيرة » . وهذا القانون جاء بمجالات جديدة ، فالمادة ١٧٩ تتناول بعض فقراتها بالتفصيل بيان الاخلال بالأسرار الشخصية واستعمال اجهزة استراق السمع وتسجيل المحادثات ، وتداولها والنشر عن اجهزة الاستماع او التسجيل ضد الحريات الفردية .

فالمادة ١٧٩ معنونة « الاستماع الى تسجيل المحادثات بين اشخاص آخرين » تنص على أنه يعاقب بالحبس أو الغرامة بناء على شكوى مقدمة ضده :  
- اى شخص استمع او سجل محادثة غير عامة بين اشخاص آخرين بواسطة وسائل استماع فنية وذلك بغير موافقتهم .

– أى شخص حصل على مصلحة خاصة أو أفشى لشخص آخر أى معلومات حصل عليها أو يفترض أنه حصل عليها بطريق مخالف لما أشير إليه بالفقرة الأولى .  
– كل شخص أجاز أو سهل لشخص آخر الحصول على تسجيل علم به أو يفترض أنه حصل بالمخالفة للقانون على النحو المحدد بالفقرة ١ .

والمادة ١٧ فقرة ٣ المعنونة « تسجيل الحوادث باذن » تقرر أنه يعاقب بالحبس لمدة لا تتجاوز سنة أو بالغرامة ، بناء على شكوى :

– كل من سجل بدون موافقة المتحدثين على جهاز تسجيل محادثة خاصة كان طرفاً فيها .

– كل من احتفظ بتسجيل كان يعلم أو من شأنه أن يعلم أنه تم بالمخالفة للقانون على النحو المحدد بالفقرة ١ أو من حصل على منفعة شخصية من قبل هذا التسجيل أو سهل لشخص ثالث .

المادة ١٧٩ فقرة ٦ المعنونة « من عرض للتداول أجهزة استراق للسمع أو أجهزة تسجيل لاستراق السمع » تقرر أنه يعاقب بالحبس أو الغرامة :

١ – كل شخص عمل أو صنع أو استورد أو صدر أو تحصل على أو خزن أو امتلك أو نقل أو سلم الى شخص ثالث أو باع أو أجر أو أقرض أو عرض للتداول بأى صورة كانت جهازاً فنياً لاستراق السمع يستخدم بصفة خاصة فى الاستماع أو استراق النظر أو أعطى بقصد بيانات لصانع هذه الأجهزة أو سهل نشر الاعلان عنها .

٢ – اذا كان المخالف قد تصرف لمصلحة طرف ثالث يعاقب الأخير بالعقوبة نفسها اذا علم بالمخالفة ولم يعمل كل ما فى وسعه لمنعها .

### المملكة المتحدة

ان استعمال أجهزة الاستراق بصورة مفتعلة لا يعاقب عليه فى المملكة المتحدة .  
فاذا ادى ذلك الى التورط فى اساءة استعمال معدات الكترونية فان ذلك يكون مخالفاً لقانون « الاتصالات اللاسلكية » الصادر سنة ١٩٤٩ . وقد تمت أول محاكمة فى استراق السمع التليفونى فى المملكة المتحدة فى ١٠/٨/١٩٦٧ حيث وقعت غرامة على اثنين من مكاتب المباحث الخاصة من قضاة نيوبرى عن تركيب محول الكترونى بطريق الفش فى تليفون مصنع ، وهذا الاتهام لا يقوم اذا تم توسيل الميكروفون الى جهاز التسجيل بواسطة سلك .

ومع ذلك ، حيث يؤدى وضع التسجيل الى الالتزام بالتعويض عن هذه المخالفة هناك قضية حديثة انتهت الى انه اذا تأمر شخص أو أكثر فى ارتكاب

هذه المخالفة فإنه يحكم عليهم بناء على القانون العام القديم ، الذى يعاقب على جنحة التأمر . وهذه طريقة تعالج الى حد ما استراق السمع حيث أساس المخالفة هو الاعتداء على الحرية الشخصية ، وليس التعدى على حقوق الملكية . فضلا عن ذلك ، حيث يلزم اشتراك أكثر من شخص لوجود مؤامرة ، فهذه المخالفة لا يمكن أن يرتكبها شخص واحد يعمل لحساب نفسه .

وفي القانون المدنى يعتبر خطأ يوجب المسؤولية عن الضرر وضع ميكروفون أو جهاز تسجيل سرى بدون إذن على ملك أو فى ملك شخص آخر ، ولكن هذا التعويض متاح فقط لمن له مصلحة فى حق الملكية المعتدى عليه ، بحيث لا يستحق تعويضا اذا وضعت اجهزة الاستماع داخل غرفة فى فندق أو مستشفى الا اذا اقام مالك الفندق أو المستشفى الدعوى .

وهناك طرق أخرى للاستراق لها صور خرافية ، مثل اشعة ليزر ، يمكن بواسطتها تسجيل محادثة دون أى تعديل على حق الملكية . وفى مثل هذه الاحوال لا يكون هناك مجال لتعويض مدنى فى القانون الانجليزى ، ولا يكون ذلك جريمة الا اذا دخلت اشعة ليزر ضمن تعريف « التلغراف اللاسلكى » فى القسم ١٩ فقرة ١ من قانون « التلغراف اللاسلكى » الصادر سنة ١٩٤٩ .

ويأخذ القانون بالأدلة المستمدة من استراق السمع ، ولكن المحاكم اظهرت ازدياد هذا الدليل ، ففى قضية طلاق فى مارس ١٩٤٩ رفض القاضى كل دليل استقاه المخبرون عن طريق استراق السمع ، الا الأسماء والعناوين . ومع ذلك فإن محكمة الاستئناف فى قضية أخرى أخذت بالدليل المستمد من تحريات بعض المخبرين الذين حصلوا عليها من تسجيل فى حفلة ، وطالب رئيس القضاة باصدار تشريع يحفظ الحرية الشخصية فى المجال الذى لم ينظم بعد بقانون .

### الولايات المتحدة

تطورت الحماية التى يقرها القانون الفيدرالى فى الولايات المتحدة ازاء الاستماع غير المشروع . وهناك قضية عضو الشيوخ ادوارد . ف. لويج . والقضية الأولى التى عرضت على المحكمة العليا هى قضية جولدمان سنة ١٩٤٢ فقد ثبت أن رجال المباحث الفيدرالى قد وضعوا ديكثافونا خلف حائط مكتب المتهم وسجلوا محادثاته داخل المكتب ولم تر المحكمة فى ذلك أى خطأ كما لم تر المحكمة فى ذلك أى تعد على أساس أن الديكتافون وضع خلف الحائط فى مكتب ملاصق . وعلى ذلك لم يطبق القسم ٦٠٥ من قانون المواصلات الفيدرالى على الاستماع لطرف من المحادثة التليفونية .

وبعد عشر سنوات ، فى قضية « لى » ضد حكومة الولايات المتحدة ، وضع جهاز موصل فى جاكيت أحد الأفراد ، فى محادثة تنطوى على جريمة . وقد أوصل

رجال المباحث الفيدرالية الحادثة بواسطة مستقبل خارج مسكن المتهم ، وقضت المحكمة مرة أخرى بأن ليس في ذلك تعد ولا يرد تحت حماية المادة ٦.٥ من القانون .

وفي قضية سلفرمان بالولايات المتحدة قضت المحكمة العليا لأول مرة سنة ١٩٦١ بعدم شرعية إحدى صور استراق السمع . فقد أدخل البوليس جهاز استماع من شقة مجاورة لحائط المتهم وتم بذلك توصيله مع جهاز التدفئة وذلك بمشابة ميكروفون . وقد قدمت الحوادث المسجلة كدليل في قضية قمار والمحكمة في بحثها للاتهام قضت بأنه كان هناك تعد ، واستند قضاؤها على نظرة واسعة بأن الأمر الهام هو حق الفرد في الاطمئنان في منزله وأن يتحرر من أى تطفل غير معقول من جانب الحكومة .

ولكن في قضية لويز بالولايات المتحدة أقرت المحكمة اخفاء أحد رجال المباحث الفيدرالية جهاز تسجيل ليسجل عرضا بالرشوة ولم تر في ذلك أى استراق للسمع . وبالعكس تم التعويل على الشهادة المستمدة من محادثة موظف الحكومة وأجيز له افشاؤها .

وإذا استعمل جهاز راديو موصل ، بقصد استراق السمع ، فإن ذلك يكون اعتداء يقع تحت طائلة المادة ٥٠٢ من قانون المواصلات الفيدرالي ، وقد أدين عدة أشخاص عن اتهام بوضع موصل في فندق مابى فلور سنة ١٩٦٢ .

وفي سنة ١٩٦٦ وضعت لجنة المواصلات الفيدرالية قواعد جديدة تقضى بأنه فيما عدا الهبثات المرخص لها من القانون يحرم استعمال أى تدبير من الأشخاص الأطراف في الحادثة .

وقد علق عضو الشيوخ ( لوانج ) على ذلك بأن في ذلك مواجهة من القانون الفيدرالي الحالي للأجهزة الفنية الالكترونية . وأيد رأيه باستشهاد بحكم القاضي في قضية ( لوينير ) : ( الرسائل الالكترونية تضيف سمة كريمة جديدة الى أجهزة التسمع التي تسهل الاختراق الى المجتمع الحر تجعل البوليس يعلم كل شيء ، وعلم البوليس بكل شيء هو أحد الأسلحة الفعالة للاستراق . واني أذكر أنه اذا استطرنا في الأخذ بالرقابة الالكترونية بواسطة رجال المكتب الفيدرالي والأخذ بنتائج ذلك كادلة أمام المحاكم فانا نساهم في خلق جو رسمى من مخالفة القانون ونسلم بعجز الدستور والمحكمة عن حماية الحقوق الأساسية لمجتمع حر ) .

وفي قضية كاتز بالولايات المتحدة قضت المحكمة العليا بأن التعديل الرابع للدستور الأمريكي حمى الشخص الذى يريد أن يحفظ سرية محادثاته من كل تدخل حكومى غير مقبول ليس فقط في مكان خاص ولكن في مكان عام . ووضعت المحكمة المبدأ الأساسى لتكون تحريات الحكومة مقبولة . فيجب أن يقسم رجل الضبطية القضائية بأنه كانت هناك أسباب مقبولة للاعتقاد بأن الشخص قد ارتكب أو كان على وشك ارتكاب جريمة محددة ، وأن ذلك لم يكن ممكنا الا بالاقتراب من الحادثة

الخاصة . وقضت المحكمة بأن كل دليل يحصل عليه بطريق غير قانوني ، يجب استبعاده من أي محاكمة يمكن أن تقام .

وأحدث من ذلك ، صدر حكم المحكمة العليا في مارس سنة ١٩٦٩ وأرسي مبادئ تحكم استعمال الأدلة المادية المتحصلة من استراق غير قانوني . قضت المحكمة بأنه :

( أ ) في المسائل الجنائية يجب أن تسلم صورة طبق الأصل من كل دليل مادي

تحصل عليه من استراق السمع بصورة غير مشروعة إلى المتهم أو محاميه حتى في القضايا المتعلقة بأمن الدولة .

(ب) الشهادة المستمدة من استراق السمع غير المشروع يمكن الاعتماد عليها في المحكمة إذا لم يكن ذلك قد تم في منزل المتهم أو مكتبه أو ما يماثلهما . وإذا لم يكن المتهم طرفا في هذه المحادثات .

( ج ) الشخص الذي حصل استراق السمع بالنسبة لمسكنه ، أو كان طرفا في مثل هذه المحادثة له الحق أن يطالب باستبعاد الدليل المستمد من هذه الطرق غير المشروعة .

وكما في المملكة المتحدة ، فإن التعويض المدني عن التعدي أساسه أن استراق السمع يكون انتهاكا للملكية طالب التعويض ؛ على أن المحاكم استندت قضاؤها في مثل هذه الدعاوى ليس فقط على أساس التعدي بل على الهجوم الذي حصل على الحرية الفردية .

وعلى ذلك ففي قضية روتش ضد هاربر انتهت المحكمة إلى قبول الاتهام وإساسه أن المتهم أقام جهاز استراق سمع في شقة أجراها للدعي واختلس الاستماع إلى محادثاته الخاصة والسرية ولم يكن ضروريا للدعي أن يثبت ضررا خاصا أصابه نظرا لأن له حقا مستمدا من القانون العام يكفل حرية الخاصة ، التي يجب حمايتها من أي أضرار غير مشروعة .

### خاتمة :

يجب الإشارة إلى أنه في الأرجنتين والسويد والمملكة المتحدة لا توجد تشريعات خاصة تمنع تسجيل المحادثات دون علم من تخصم ، ومع ذلك ففي كثير من الأحوال يعاقب على أعمال استراق السمع تحت بنود أخرى من قانون العقوبات .

ومن ناحية أخرى ، فهناك قوانين جديدة أدخلت على مجموعة القوانين الجنائية في البرازيل سنة ١٩٦٩ وجمهورية ألمانيا الاتحادية سنة ١٩٦٧ ، وفرنسا سنة ١٩٧٠ ، وسويسرة سنة ١٩٦٨ ، تقرر أن سوء استعمال أجهزة التسجيل الصوتية دون علم من تخصه يكون اعتداء يعاقب عليه .

وقد ذهبت القوانين الفرنسية والسويسرية إلى أبعد من ذلك فهي تعاقب كل من صنع أو استورد أو قدم أو باع أجهزة استراق السمع التي تسمح بإجراء مثل هذا التسجيل دون إذن من جهة الاختصاص .

وفي المملكة المتحدة والولايات المتحدة فان استراق السمع بدون اذن يفتح مجالا لدعوى تعريض مدنية عن الأضرار متى كان وضع أجهزة التسجيل يشكل تعديا على ملكية المدعى . وفي الولايات المتحدة تطور القانون العام بحيث يقدم العلاج في مثل هذه الحالات حتى لو لم يكن هناك انتهاك اذا كانت الظروف تفصل الى حد المساس بالحرية الفردية .

### **التصوير بغير اذن ( المسارقة )**

#### **مقدمة :**

في هذا القسم نتناول حق الفرد في عدم التجسس عليه او النظر اليه من قرب وعدم تصويره بطريق الغش ودون رضاه ، او نشر صورته او ما يمثل شكله بأي طريق من شأنه أن يسبب له ضيقا او ارتباكاً ودون سبب مشروع .

وفي كثير من البلاد تعتبر قوانين الأحوال المدنية صورة او شكل الفرد مسألة تخص شخصيته ، وعلى ذلك فان قوانين هذه البلاد تقرر حقا خاصا لحماية شكل الفرد أو صورته . وفي بلاد أخرى لا يعترف بهذا الحق وليس هناك الا حماية ضيقة جدا ازاء مثل هذا النوع من التعدي على الحرية الفردية .

#### **في المكسيك :**

هناك نصوص قليلة جدا في القانون المكسيكي تتصل بهذا الموضوع . فبالنسبة للصورة الفوتوغرافية فان للمادة ٣٤٨ من القانون الجنائي ( وهي تتعلق بجنحة اصابة الغير ) يمكن أن يوجه الاتهام الى الشخص لأنه أخذ صورة فوتوغرافية أو فيلما يمكن اعتباره ضارا ، ولكن بشرط أن يقوم المدعى باثبات قيمة الايذاء في حقه .

واظهار الأحياء على شاشة أو مسرح أمر يخضع لقانون الملاهي الصادر سنة ١٩٧٠ الذي يحدد ما يعتبر مخالفة للمادتين ٦ ، ٧ من الدستور اللتين تتصلان بحرية التعبير شفاهة أو كتابة ، وتقرر رفض الأدلة بتقديم أى فيلم أو مسرحية في حالة التعدي على الحرية الفردية لأي شخص والاقبال من الاحترام الواجب له .

والمادة ٧٠١ من القانون تحدد أن التعدي على الحرية الفردية يعني تعريضا شخصيا للكرامة أو الازدراء أو السخرية أو القاء الشك حول سمعته أو قيمته .

#### **فرنزويلا :**

لا توجد نصوص تحكم التعدي على الحرية الفردية بطريق اختلاس النظر . وهناك حماية يقرها القانون المدني ضد تصوير شخص فوتوغرافيا دون رضاه .

فالمادة ١٠١٩٦ من القانون المدني تقضي بان للشخص الذي صورته آخر دون رضاه طلب التعويض عن ذلك .



## الارجنتين :

يمكن اخذ الصور الفوتوغرافية أو الأفلام بكل حرية فلا يوجد الحق ازاء التصوير في الأرجنتين فيما عدا حالة الاستغلال بصفة تجارية أو النشر بقصد القذف ولا توجد حماية ضد التصوير غير المصرح به الا اذا ثبت أنه تم بقصد التشهير أو الإهانة أو القذف .

## البرازيل :

لا توجد أى نصوص تتعلق بحماية الأفراد الذين تؤخذ صورهم دون علمهم أو رضاهم .

ومع ذلك يبدو أن القانون الجنائي الصادر سنة ١٩٦٩ يحمي الفرد ازاء التصوير غير المأذون به حيث أن المادة ١٩٦٢ الخاصة بالاختلال بالحقوق الفردية تغطي بنصوص عامة كل الطرق الفنية للتطفل على الحياة الخاصة لأى فرد ٠٠ ( كل من تطفل بأى وسيلة فنية على ٠٠٠٠ ) .

وأهم فائدة لهذا النص أنه وارد بصورة عامة بحيث يمكن تطبيق حكمه لمواجهة متطلبات الزمن ، فان مدى التطور التكنولوجي لن يتوقف ، ونظرا لأنه لايمكن التنبؤ بما قد يحدث مستقبلا فان المشرع رأى من الأنسب مالمجة التصدى على الحرية الشخصية كمبدأ عام ، وهذه الطريقة محل تقدير .

## جمهورية ألمانيا الاتحادية :

هناك نص عام بالمادة ٢ من الدستور تقرر عدم جواز انتهاك حرية الفرد .  
وفضلا عن ذلك هناك نصوص كثيرة في القانون المنظم لحق نشر الصور الفنية الصادر في ١٩٠٧ المعدل . تعالج نشر صور أى شخص بدون اذنه .  
فالمادة ٢٢ من هذا القانون تقرر أن الصور الفوتوغرافية لا يمكن نشرها أو عرضها الا بموافقة الشخص الظاهر في الصورة . وفي حالة الشك يعتبر أنه وافق على ذلك اذا كان قد تقاضى مقابلا على ذلك . ويجب موافقة أقاربه خلال عشر سنوات بعد وفاته لامكان نشر أو عرض الصور ، ويدخل في الأقارب الأحياء من الأزواج أو الأولاد أو الآباء .  
والمادة ٢٣ تعدد الاستثناءات من المادة ٢٢ حيث لا يلزم الموافقة على النشر أو الاعلان وهي :

( أ ) الصور المتعلقة بأحداث تاريخية .

( ب ) اذا كان الشخص الظاهر في الصورة مجرد شيء عرضى فى منظر عام أو لمنظر خاص .

( ج ) صور الاجتماعات والمعارض والاجتماعات التى يشارك فيها الشخص الظاهر فى الصورة .

ونشر الصورة الفوتوغرافية دون موافقة الشخص قد يجرم بالتطبيق لقانون  
١٩٦٥/١٩٠٧ .

وقد يؤدي الى اقامة دعوى اذا كانت الصورة مفتعلة ونشرت بمجلة واضرت  
بنشاط المدعى أو شجعت على مقاطعته بوجه عام لأنها تؤدي الى الأضرار بمصالحه  
المالية .

ويبدو أنه لا يوجد تنظيم في القانون الألماني ( لاختلاس التصوير ) الا اذا تم  
النقل بصورة علنية . فهذا التعدى يقع تحت عنوان ( مضايقة شديدة ) والعنصر العام  
فيه أن يكون قد ارتكب في علانية .

### السويد :

في السويد حماية الصورة الفوتوغرافية محدودة نسبيا وتتعلق بالصور التي  
عهد بتنفيذها الى مصور محترف .

والصورة التي تتم بناء على طلب يجب ألا تستعمل الا بموافقة الشخص الذي  
طلبها . والمادة ١٤ تعطي هذا الحق لمن طلب تصويره . وللمصور مع هذا أن يعرض  
الصورة على سبيل الاعلان الا اذا منعه من ذلك صراحة الشخص صاحب الصورة .

والتجسس على شخص يمكن أن يعاقب عليه في القانون الجنائي اذا تم ذلك في  
علانية أو اذا بلغ ذلك حد مضايقة الشخص محل التجسس .

### فرنسا :

يعرف القانون الفرنسي ( حق التصوير ) .  
والقانون الجنائي الفرنسي يشتمل على القانون الصادر في ١٧/٧/١٩٧٠ الذي  
يحرّم أخذ صور فوتوغرافية أو أفلاما أو تسجيلا - جلسة - بدون معرفة الشخص  
الذي تم أخذ صورته أو سجل صوته .

والمادة ٣٦٨ من القانون تقرر انه « يعاقب بالحبس من شهرين الى ١٢ شهرا  
أو غرامة من ألف الى ٥٠ ألف فرنك أو بكلا العقوبتين كل من تعدى عامدا على الحرية  
الشخصية لآخر عن طريق تسجيل أو نقل بأى جهاز صورة شخص آخر أخذت في مكان  
خاص دون رضائه » ويفترض ان الرضا قد تم خلال تجمع ويعلم الأشخاص  
الموجودين به . أما النشر فتحكمه المادة ٣٦٩ وتقرر انه :

« يعتبر جريمة يعاقب عليها بالتطبيق للمادة ٣٦٨ كل من احتفظ أو أعلن أو  
سهل اعلان الجمهور أو لشخص ثالث أو استعمل بصورة عامة أى مستند حصل  
عليه بواسطة جهاز مما أشير اليه بهذه المادة » .

كما تحمي المادة ٣٧٠ المواطن من استعمال صورة منقولة عن شكله حيث تقرر أنه:  
« يعتبر تعديا عليه بالتطبيق للمادة ٣٦٨ كل من عمد الى النشر بأى وسيلة صورة

منقولة عن صورة شخص آخر دون رضاه اذا لم يظهر تماما أو لم يثبت بوضوح انها مجرد نقل من شكله » .

ويجب التنويه بأنه في كل الحالات التي ترد تحت المواد ٣٦٨ ، ٣٣٧ ، ٣٧١ ، يعاقب على الشروع في الجريمة بالعقوبة نفسها كالجريمة النامة .

وفضلا عن ذلك فالمادة ٣٧١ تتضمن قائمة بآلات التصوير التي لا يمكن تصنيعها أو استيرادها أو تقديمها للبيع أو بيعها الا بترخيص من الوزير . والمادة ٣٧٢ تجعل من سلطة المحكمة مصادرة الآلة المستخدمة في ارتكاب الجريمة .

هناك قضية مشهورة عن التصوير والنشر بالصحافة ( من فيليب ، ضد جريدة فرانس ديمانش ) . فالمحكمة العليا أقرت ما ذهب اليه قاضي الأمور المستعجلة بالقرار الصادر بالحجز على الصحيفة الأسبوعية استنادا الى حالة الاستعجال وحماية لحق ابن السيد جيرارد فيليب وهو ممثل مشهور . فالجريدة طبعت بعض صور لابنه ( أوليفر ) سن ٨ سنوات حصلت عليها من دخول غرفة الطفل بالمستشفى بدون اذن مما أدى الى انزعاج الطفل واصابته بصدمة خطيرة . ورات المحكمة في هذه الظروف ان أخذ صور بدون اذن ولأغراض تجارية يحته الى جانب الحالة الصحية للطفل مما يكون تدخلا ظاهرا في الحياة الخاصة لعائلة فيليب .

وفي القانون المدني يعتبر ( حق الشخص في الصورة ) جزءا من حقوق الفرد . فلكل شخص أن يعترض على رسام أو مثال أو حفار أو مصور أو منتج سينمائي يعمل صورة له وله أن يطالب بالتعويض بالتطبيق للمادة ١٣٨٢ من القانون المدني متى كان لذلك محل ، حتى لو لم يكن هناك قصد سييء من جانب المدعى عليه .

#### سويسرة :

يوجد قانون خاص حديث في هذا الشأن :

في القانون الجنائي صدر قانون فيدرالى في ١٢/٢٠/١٩٦٨ لمواجهة التعدى على الحق الشخصى عن طريق الصور الفوتوغرافية أو الأفلام .

المادة ١٧٩ فقرة ٤ من القانون الجنائي بعنوان ( الاخلال بالحق الشخصى بطريق الكاميرا ) تعاقب صراحة على هذا النوع من التعدى وتقرر أن يعاقب بالحبس أو الغرامة :

( كل من سجل بطريق الكاميرا أو أى جهاز تسجيل آخر ما يمس الحياة الخاصة لأى شخص دون موافقته ، أو أى شيء يتعلق بحياته الخاصة وذلك بغير موافقته مما لا يمكن أن يشعر به أى شخص بالطريق العادى .

وكل من يحصل على منفعة أو يجبل طرفا آخر يعلم بواقعة وصلت الى عمله أو يفترض أنها وصلت اليه عن طريق المخالفة بما أشير اليه بالفقرة ١ .

وكل من احتجز أو مكن شخصا ثالثا من الحصول على صورة فوتوغرافية وهو يعلم أو كان من شأنه أن يعلم أن الحصول عليها كان عن طريق مخالفة مما أشير اليه بالبند ( ١ ) .

والمادة ١٧٩ فقرة ٦ تحرم تداول الاعلانات عن الآلات الفنية التي تستعمل بصفة خاصة لأخذ صورة بطريق غير مشروع . والنص لا يخصص آلة بذاتها أراد المشرع أن يخصها بهذا النص المانع .

وفي القانون المدني يعتبر تصوير شخص خلصة أو بالمخالفة لرغباته اعتداء على حقوقه الشخصية في مدلول المادة ٢٨ من القانون المدني ، وللمضروب أن يطلب التعويض ممن أخذ هذه الصور أو الأفلام .

### الولايات المتحدة :

يبدو أنه لا يوجد في الولايات المتحدة أحكام خاصة لحماية الفرد ضد التصوير رغم إرادته .

ومع ذلك فهناك عديد من الأحكام تشير الى استعداد المحاكم في بعض الأحوال لتقرير حماية ضد التعدي على الحرية الفردية .

ففي قضية ( فورستر ضد مانشستر ) تقرر أن التصوير مشروع في الأماكن المفتوحة للجمهور . وفي هذه القضية كانت المدعية تطلب تعويضا عن حادث سيارة ، حيث كان المدعي عليهم قد عمدوا الى تعقبها وتصويرها ؛ وتوصلا لصالح المجتمع أجرت المحكمة تحقيقا في شرعية طلب التعويض عن الضرر ، ورات أن متابعة النشاط اليومي للمدعية وتعقب خطواتها بالصور لم يصل الى حد التعدي على حريتها الشخصية .

وفي قضية أخرى قضت المحكمة بالتعويض لواحدة عانت من مرض غير عادي كان وزنها ينقص باستمرار رغم تغذيتها وجرى تصويرها في خلصة وهي بفراسها بالمستشفى رغم اعتراضها الشديد ، وتم نشر الصور تباعا في مجلة تحت عنوان ( جلاتون الهالكة ) . ورات المحكمة أن الحرية الفردية تفترض حماية الشخص من نشر صورة أخذت بغير موافقته أثناء مرضه أو فترة علاجه .

وفي قضية ( كلايمان ضد بيرنشتين ) حصل أحد العلماء على صور لتشويه وجه المدعية نتيجة مرضها - وذلك رغم إرادتها - ورات المحكمة في ذلك اخلاxa بحريتها الفردية ، وأمرت المدعي عليه بأن يمدد الى المدعية الصور التي أراد أن يستبقها لإبائه الطبية الخاصة .

فالتجسس أو استراق الرؤيا أو ملاحظة شخص قد تصل الى حد الاعتداء الذي يخضع للقانون الجنائي أو يجعل محلا لدعوى بطلب تعويض في القانون المدني .  
وفيمسا يتعلق بالقانون الجنائي ، يبدو أنه لا يوجد قانون فيدرالى يعاقب على

( استراق النظر ) ولكن عددا من الولايات أصدرت تشريعات تعتبر هذا التصرف بمثابة الاعتداء .

واصطلاح ( الشخص المسترق السمع ) ينصرف الى الشخص الذى يحوم حول المنازل الخاصة يتطلع من نوافذها - عادة بالنسبة لساكناتها - ويسبب لهن الرعب والضييق .

ومثال على ذلك ماورد فى قانون ولاية الألباما حيث يقر

« اذا استرق ذكر النظر الى غرفة تشغلها أنثى ، واذا اقترب شخص وحلق أو تفرس أو استرق النظر فى غرفة أو شقة أى موطن ليست له أو لا تخضع لرقابته تشغلها أنثى أو أكثر يعتبر مرتكب جريمة ويمكن أن يحكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة لا تتجاوز سنة حسب تقرير المحكمة » .

وحسب القسم ٦٤٧ فقرة ١٢ من القانون الجنائى بولاية كاليفورنيا يعتبر متشردا كل شخص عمد ليلا - أثناء تجوله أو تسكعه أو اضاعته الوقت - الى النظر خلسة من باب أو نافذة أو مسكن أو مبنى مؤجر ، مسكون ، دون أن يكون له شأن مع المالك أو شاغل المكان .

( كل من اختلس النظر خلال النوافذ أو الأبواب أو أى أماكن مماثلة بقصد التحسس عليهم أو التعدى على حريتهم الفردية ورغم رضاهم ) .

وتشريع ولاية ( نيوجيرسى ) يعتبر على النظام ( كل شخص يتعدى على الملكية الخاصة أو على الحرية الشخصية لأجر بطريق الغش أو التذلل بواسطة اختلاس النظر من نوافذ أو فتحات الأماكن المؤجرة للسكن وذلك لغرض غير قانونى ) .

وفى القانون المدنى يبرر مثل هذا السلوك أو أى تجسس آخر أو ملاحظة شخص إقامة دعوى اذا سبب تكرار المضايقة وبلغ حد الازعاج ، أو اذا حدث فى ظروف تبلغ به حد التعدى على الحرية الشخصية ) .

وهناك الكثير من القضايا حيث كان ناس ينظرون خلال النوافذ من سكة حديد معلقة أو يتجسسون من النوافذ بواسطة مخبر سرى .

وفى قضية ولاية ( انديانا ) كان سجن المدينة يطل على مسكن المدعى ، والمحكمة اعتبرت أن ذلك يكون مضايقة ، وطلبت الى سلطات المدينة ابقاء نوافذ السجن مغلقة فى الجانب المواجه لمنزل المدعى ، وقررت أن الوقائع تشير الى أن هناك اخلالا بالحرية الفردية للمدعى .

#### المملكة المتحدة :

من أقدم القوانين التى ما زالت مطبقة فى القانون الانجليزى الحديث قانون مآير الضبطية القضائية رقم ١٣٦١ ويسمح بالقبض على المتصنت أو مسترق النظر

وبذلك يتحقق السلام وحسن السلوك . وهذا النص يتناول استعمال جهاز التلسكوب أو الكاميرا التلسكوبية أو النظارات المكبرة .

والقرر أن ملاحظة مبنى من مكان عال يمكن أن يعتبر مضايقة أو يبرر إقامة دعوى بطلب تعويض مدني .

وليس في القانون الانجليزي نص عام يمنع تصوير أو أخذ فيلم أو يمنع تحضير نسخ من الأفلام .

وفي بعض الأحكام يتناول القانون الخاص بحق التأليف الحماية من نشر الصورة خاصة إذا كان حق التأليف ثابتا لصاحب الصورة . وعلى سبيل المثال هناك قضية مصور محترف تعهد بأن يصور حفلة العرس للمدعي ، وبعد فترة من الزمن قتل صهر المدعي وباع المصور صورة من مجموعة العرس الى صحيفتين ونشرا الصورة مما سبب الأذى للمدعي وزوجته ، وقد كسب المدعي الدعوى على أساس الاخلال بحق التأليف ، وتم التعويض عن الضرر على مثال ما هو مقرر بقانون حق التأليف الصادر في ١٩٥٦ .

ولكن مثل هذا العلاج مناطه أن يكون حق التأليف مقرا للمدعي ، وعلى ذلك فالزوجة أو الأفراد الآخرين في مجموعة الفرح لم يكن من حقهم رفع الدعوى ، وكذلك لم يكن للمدعي الحق إذا كان قد اتفق من قبل على أن للمصور حق إعادة طبع الصور . وفي بعض الأحيان يمكن علاج هذا الوضع عن طريق ( قانون العقود ) .

وعلى ذلك فإذا كان المصور قد صرح له باستعمال الصورة في غرض محدد ، فانه يكون قد أخل بالعقد أو يعتبر مهلا إذا استعملها في غرض آخر .

وعدا هذه الاستثناءات فليس في القانون الانجليزي ما يحمي الشخص بالنسبة للصور التي أخذت له أو التي تنشر مخالفة لرغباته .

## خاتمة :

وفي سويسرة منذ ١٩٦٧ وفرنسا منذ ١٩٧٠ تعتبر جريمة تعدد مخالفة الحرية الشخصية عن طريق أخذ صورة لشخص دون موافقته . . والمبدأ العام في القانون الجنائي البرازيلي الجديد الذي يمنع استعمال حيل فنية بقصد انتهاك الحرية الفردية كما رأينا في بعض القضايا ، سيصبح نافذ المفعول قريبا . فكما رأينا سيجعل هذا القانون التصوير في بعض الحالات دون موافقة الشخص بمثابة جريمة في البرازيل .

في سويسرة وفرنسا وفنزويلا ، هناك حق في التعويض المدني عن الأضرار نتيجة مثل هذا السلوك بصرف النظر عن قصد المصور . وفي المكسيك والأرجنتين يتحقق الضرر فقط إذا كان الفعل قد ارتكب بسوء قصد . وفي الولايات المتحدة قد يكون هناك علاج مدني إذا أوضحت الظروف أن هناك انتهاكا ظاهرا للحرية الفردية .

وهناك حماية مدنية بوجه عام ازاء النشر غير المصرح به لمثل هذه الصور في جمهورية ألمانيا الاتحادية ، وفرنسا ، وسويسرا ، وحماية أقل منها في حالات خاصة في انجلترا والسويد ، والولايات المتحدة والمملكة المتحدة .  
وجنحة استراق النظر تتوافر فقط في السويد والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفي جمهورية ألمانيا الفيدرالية اذا تمت في تجمع . وعدم معالجة القوانين الجنائية في البلاد اللاتينية لجريمة استراق النظر أمر يحتاج الى بحث نفسي .

### الازعاج :

يقصد بالازعاج ، السلوك الذي يؤدي الى مضايقة أو ازعاج شخص عن طريق مضايقته بالأسئلة ومراقبة منزله من الخارج لملاحقته بالأسئلة أو الصور عند خروجه ، واللاح في متابعته في الطريق ، وتكرار طلبه تليفونيا في منزله أو ارسال خطابات اليه تتضمن ما يزعجه .

والكثير من المطالبات عن الازعاج تقام ضد مخبري الصحف زائدي النشاط وبصفة خاصة اذا ضايقوا اشخاصا عانوا من مآسى شخصية . ولا يوجد في البلاد التي تتناولها هذه الدراسة أي تشريع خاص بالمضايقة عن طريق وسائل الاعلام الحديثة ( الصحف - التليفزيون - الاذاعة ) ، ولكن بعض البلاد بها أجهزة تقض قواعد تحكم سلوك رجال الصحافة وفي بعضها توجد مجالس رسمية ، أو محاكم تقدم اليها الشكاوى من هذا القبيل .

وفي اغلب البلاد يكفل القانون القليل من العلاج عن الازعاج . ويبدو أن فنزويلا والبرازيل وسويسرة تواجه بنصوص صريحة في القوانين الجنائية مثل هذا النوع من جرائم التعدي . وفي أغلب البلاد يترك الأمر لأحكام القانون المدني ، وفي الغالب يكون الناس الذين يعانون من مثل هذا النوع من التعدي غير ملئين لذلك فالسليم به أن العلاج المدني غير فعال في مثل هذه الأحوال .

### المكسيك :

القسم ٦ من المادة ١٥ من القوانين الخاصة بجرائم الأحداث في مجال الحكومة الفيدرالية والولايات تعتبر جنحة استعمال التليفون في تكرار توجيه مزاح مشين أو اهانات أو مضايقة لشخص آخر .

والمادة ١٨٢ من القانون الجنائي تقرر أن يعاقب بالحبس أو الغرامة من يهدد آخر بالايذاء في شخصه أو ملكه أو شرفه أو حقوقه .

### فنزويلا :

هناك نص صريح في القانون الجنائي خاص بالازعاج فالمادة ٥٠٩ تقرر أن كل من يعاكس أو يزعج آخر دون سبق مضايقة منه أو ما يستوجب ذلك يعتبر مرتكباً جنحة يعاقب عليها بالحبس والغرامة .

كذلك يمكن اقامة دعوى مدنية بالتطبيق للمادة ١١٩٦ من القانون المدني التى  
تقرر الالتزام بتعويض الشخص عن أى ضرر نتيجة ارتكاب جنحة .

#### الأرجنتين :

المادة ١٤٩ فقرة ٢ من القانون الجنائى تقرر أن يعاقب بالحبس من شهر الى سنة  
كل من وجه تهديدات لا أساس لها أو خطيرة بقصد تخويف أو بث الرعب فى نفس  
شخص أو أشخاص .

وتضاعف العقوبة اذا كانت التهديدات باستعمال أسلحة نارية أو من ثلاثة  
اشخاص أو أكثر أو كانت التهديدات بغير توقيع .

كما تخول المادتين ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ من القانون المدني الحق فى تعويض الأضرار  
عن الإزعاج الذى يكون جنحة .

#### البرازيل :

المادة ٦٥ من قانون الجنح تقرر أن يعاقب بالفرامة حتى ٢ كروزيرو أو الحبس  
حتى شهرين كل من يزعم آخر بقصد سيئ أو لدافع يستوجب المؤاخلة .  
والأستاذ بولو جوزيه داكوستا أحد شراح القانون الجنائى يرى أن تكرار الإلحاح  
بدرجة غير معقولة جهازا أو دون علانية على شخص يرغب فى الاحتفاظ بخصوصياته  
يجب اعتبار ذلك جنحة ، ولكن يؤخذ بهذا الاقتراح .

#### جمهورية ألمانيا الاتحادية :

يوجد فى القانون المدني نصان يمكن أن يواجهها علاجاً لبعض حالات  
الإزعاج .

فالمادة ٨٢٣ من القانون المدني تقرر أن من يصيب آخر دون وجه حق عمداً أو  
باهمال أو يصيب بغير حق ملكاً أو حقاً لآخر عمداً أو باهمال يلتزم بتعويضه عن  
الضرر الناشئ عن ذلك .

والشخص المصاب فى شخصه يجب أن يثبت أنه قد أصابه ضرر حتى لو كان  
غير مادي كما له أن يطالب بالتعويض عن الإهانة أو التحقير الذى أصابه .  
والمادة ٨٢٦ تقرر الحق فى تعويض عن الأضرار عمداً بآخر . بصورة تخالف  
النسلك الحميد .

وحيث يؤدى الإزعاج الى المضايقة فانه يعاقب عليه بوصفه ( شئ مقلق يزعم  
الامن العام ) بالتطبيق للمادة ٣٦٠ من القانون الجنائى اذا كان ذلك قد حلت فى  
مكان عام . أما اذا كانت المضايقة فى مكان خاص فلا تكون هذه الجريمة . وعلى ذلك  
فان تكرار الاتصال التليفونى ليلا بشخص لا يعاقب عليه بالمادة ٣٦٠ من القانون  
الجنائى .



وارسال خطابات بدون توقيع لا تشتمل على تهديدات أو عبارات غير أخلاقية أو عبارات قذف يعاقب عليه بوصفه مضايقة شديدة ، إذا وجه ذلك الى عدة أشخاص .

ومتابعة امرأة غير مشهورة في الطريق ليلا يعاقب عليه بوصفه مضايقة شديدة بالتطبيق للمادة ٨٦٠ من قانون التليفونات . ورات المحكمة بصفة خاصة أن هذا التجريم لحماية الصالح العام . وتبعا لذلك فان متابعة شخص له معرفة بالمتهم لا يدخل ضمن تعريف ( المضايقة الشديدة ) .

### السويد :

الفصل الرابع من القسم السابع من القانون الجنائي يقرر حماية الشخص من المضايقة وهو يقرر أن ( كل من يتعدى باليد أو بطلق ناري ، أو بالقاء حجارة أو يصدر أصواتا عالية أو يضايق غيره بتصرف طائش يعتبر مرتكبا لتهرش ) .

وهذا النص يغطي حالات مثل الاطاح في متابعة امرأة ، فإذا كانت الاضايقة لرجل فان الأمر يتطلب أن يكون التصرف أكثر ايجابية .

والفصل الثامن قسم ٩ في شأن أعمال التعدي يواجه بعض حالات المضايقة . وفي لسويد جرى نادى والصحفيين على أن ينشر بانتظام تقاليد الصحافة ، وانشكاوى ضد الصحافة تنظرها لجنة خاصة .

والجزاء الوحيد هو نشر آراء اللجنة ولهذا دوره الكبير .

وهناك قواعد واجراءات خاصة بهيئة الاذاعة والتليفزيون السويدى تساعد الشخص الذى سببت برامج الاذاعة أو التليفزيون ازعاجا له .

والازعاج دون مبرر بسبب برامج الاذاعة أو التليفزيون يجيز طلب تعويض الضرر بالتطبيق لقانون ( مسئولية الاذاعة ) الصادر فى ١٩٦٦/١٢/٣٠ .

### فرنسا :

لا توجد احكام خاصة بالنسبة للازعاج فى القانون الفرنسى .

فتمكرار الطلب تليفونيا اعتبرته المحاكم الفرنسية بمثابة ( عمل عنف ) ومن ثم يعتبر بمثابة اعتداء . وأن من يرسل خطابات بدون توقيع أو يكرر المكالمات التليفونية يكون مسئولاً عن التعويضات بالتطبيق للمادة ١٣٨٢ من القانون المدنى .

وقد جرت محاكمات جنائية بسبب الازعاج بواسطة التليفون ، وقضت المحاكم بالتعويض فيها بالتطبيق للمادة ٣١١ من القانون الجنائى على أساس أن أعمال التعدي هذه كانت عمدية .

وفضلا عن ذلك فالمادة ٨٥ من قانون الاجراءات الجنائى تقرر أنه على كل من يضار من تعد أن يقدم شكوى ويلقى مدنيا فى اجراءات المحاكمة على كل من حصل

له ازعاج بهذه الطريقة أن يتقدم أيضا بشكوى ضد الشخص المجهول . والمحكمة تساعده في البحث عن الشخص المجهول .

#### سويسرة :

في سويسرا ، يمكن للشخص الذي أصيبت مصالحه الشخصية بضرر أن يتقدم المحكمة بطلب التعويض وهذا يشمل حالة الشخص الذي حصل له ازعاج أو تجسس أو تجسس على حياته الخاصة .

وفضلا عن ذلك فإن كل من أساء التصرف في استعمال التليفون أو يستعمله بسوء نية ليزعج أو يكردر آخر يعاقب بالحبس أو الغرامة .

#### الولايات المتحدة :

بوجه عام لا يعتبر تعديا على الحرية الفردية مجرد تتبع أو ملاحظة شخص . وفي قضية سكلتز ضد شركة تأمين فرانكفورت م . اكسي ، وب . ج . تقرر أن متابعة الشاكي بشكل عام وباصرار يعتبر خطأ يحق معه للشاكي طلب التحقيق في ذلك لأن المراقبة العامة توفر الجريمة ومن ثم تماثل التعدي .

ورغم أن المراقبة العادية الحسيفة مسموح بها ، فإن المبالغة فيها بما في ذلك محاولة معرفة رصيد الشاكي في البنك ، تعتبر اختلاا بالحرية الشخصية . ومع ذلك فقد انتهت المحكمة في هذه الحالة الى أن مجرد جمع استعلامات عن الشاكي وعدم التسيب في تشجيع آنسات على مبادأته بالكلام لأغراض غير مشروعة . والتهديد أو المضايقة بالكلمات التليفونية لا يعتبر اعتداء حقيقيا على الحرية الفردية .

وفي قضية أخرى تقرر حق الشاكي في طلب التعويض عن الضرر حيث عمد مكتب يحصل الديون الى مضايقته عن طريق الاتصال التليفوني به ست أو ثمانى مرات يوميا بمكتبه ومنزله لمدة ثلاثة أسابيع .

وفي ولاية تكساس تقرر الحق في تعويض حتى الشفاء من ألم نفسى بسبب ازعاج المدين والاعلان بشكل غير لازم عن الدين .

وقد يبدو من العرض السابق أن مجرد الازعاج دون الجهر بذلك لا يفتح مجالا لمطالبة قضائية رغم أن القانون يختلف من ولاية الى أخرى .

وكذلك الحال بالنسبة للصحافة قبل الأفراد ففي قضية ( باربر ضد جريدة تايم ) قضى بأنه وان كان للجريدة أن تكتب أو تعلق على مرض المدعية - وكانت ذات شهرة - فإن ذلك لا يعجز تصويرها في غرفتها بالمستشفى .

#### المملكة المتحدة :

ليس من القانون الانجليزي حماية من المضايقة من أفراد عاديين الا اذا وجد نص قانوني معين يتعلق بصورة خاصة من الازعاج .

فإذا حصل ازعاج بصورة غير مقبولة بطلب شخص تليفونيا بصورة متكررة أو في نصف الليل أو تكرار الطرق على جرس المدعى أو بملاحظة أو محاصرة محل اقامته من مكان عال فإن الشاكي له أن يقيم دعوى التعويض عن المضايقة . وهذا التعدي يعتبر قائما اذا كان هناك تدخل غير مقبول في استعمال أو تمتع شخص بما يملكه مما يرتب له ضرر . وعلى ذلك فإن الدعوى عن المضايقة تكون محدودة ويجب أن يكون للمدعى مصلحة خاصة لتقوم الدعوى على أساسها .

فقد تكون الدعوى عن انتهاك شخص أرض غيره ، ويشترط أن يكون للمدعى مصلحة خاصة في الأرض ، وإذا أدى الازعاج الى تعرض للشخص ذاته فيكون أساس الدعوى هو التعدي عليه .

وإذا كانت الاتصالات التليفونية المتكررة غير عادية أو مؤذية تتم دائما لتسبب مضايقة أو ازعاجا أو قلقا لشخص آخر فإن القسم ٦٦ من قانون البريد الصادر سنة ١٩٥٣ يعتبر ذلك جنحة وللمضار أن يطلب حمايته بتطبيق القسم المشار اليه .

والقسم ٣٠ من قانون الإيجارات الصادر سنة ١٩٦٥ يقرر حماية ضد صورة من الازعاج تسمى الراشمانية نسبة الى مالك سبيء السمعة بدأ في ازعاج المستأجرين الذين لم يمكنه بطريق قانوني اجبارهم على التخلي عن مساكنهم . فقد ألقي الرعب بينهم بواسطة التهديد برجال معهم كلاب شريرة .

والقسم ٣٠ يعتبر جنحة ازعاج السكان أو اخلاءهم بوجه غير قانوني .

وقانون السلطة القضائية الصادر ١٩٧٠ - الذي عمل به منذ يناير سنة ١٩٧١ - يعتبر جنحة ، واقعة ازعاج المدين للدفع بالتهديد بطريق النشر الأمر الذي يسبب الرعب والظلم أو الاذلال للمدين . وأول دعوى بالتطبيق لهذا القانون كانت في مقاطعة ( يوركشاير ) في يونيو سنة ١٩٧١ حيث قضت المحكمة بفرامة ٢٠ جنيه على كاتب تحصيل ديون تعود أن يرسل الى منزل المدين عربة كبيرة مكتوب عليها عبارة ( تحصيل الدين ) .

ويكون هناك مجال لرفع الدعوى كذلك اذا أدى الازعاج الى أذى جسماني . ففي قضية جانفير ضد سويني هدد مخبران خصوصيان شغالة بأنها اذا لم تسلمهم بعض خطابات خاصة بمخدموها فانهن سيخبرون السلطات المختصة أن خطيبها كان - خلال الحرب الأولى - خائنا للوطن ، فقد طلبت تعويضا عن المرض الذي أصابها من الصدمة العصبية التي سببها سلوك المدعى عليهم .

ويوجد في إنجلترا مجلس للصحافة أنشئ في سنة ١٩٥٣ وله رئيس و ٢٠٪ من أعضائه دائمون وإلّا باقون يمثلون الصحف . ولا يعتبر هذا المجلس هيئة قضائية ولا يوقع عقوبات . ولكنه يختص أساسا بما يتصل بحق الصحافة في الحصول على البيانات ، وينظر الشكاوى المقدمة من الناس فيما يختص بطرق الحصول على الأخبار

ومستوياتها • فمثلا هربت محروقة في جريدة ديلي أسكتش في صندوق سيارة الى قصر الصحافة بشدة هذا التصرف •

وفي مناسبة أخرى أذان مجلس الصحافة نشر صورة القبطان الإيطالي الحاملة البترول توري كانيون التي اصطدمت بالصخور وسببت وجود بحيرة كبيرة من الزيت على الشواطئ البريطانية والفرنسية • لقد طاردت القبطان الصحافة العالمية ولجا الى مستشفى في جينوا ، والصورة المنشورة أظهرته مختبئا تحت سرير بالمستشفى • وهناك هيئة الإذاعة البريطانية التي تشرف على الإذاعة والتلفزيون ، وهناك الهيئة المستقلة للتلفزيون ، وتقدم اليها الشكاوى من التصرفات غير السليمة لمندوبيها • وهذه الهيئات الثلاثة تعمل بدرجات متفاوتة من النجاح على تحقيق المستوى الأخلاقي للأخبار الاعلانية ولكن ليس لقراراتها صفة جنائية ولا يمكن أن تقضى بالتعويض •

### التر الوظيفية أو المهنة على الحياة الخاصة

#### مقدمة :

أن بحث مسألة تأثير المهنة أو العمل في حياة الفرد الخاصة تزداد أهمية في العصر الحديث وذلك لتزايد الحاجة الى الأيدي العاملة ، وتزايد اعتماد الناس على وظائفهم وحرفهم ، وهذا الاعتماد ازداد ظهورا بسبب طبيعة كثير من الأعمال ، الأمر الذي يتطلب تفرغا كاملا وانغماسا تاما في العمل للمدى مباشرة • وهذا الوضع له خطورته اذا تزايد • فطبقا لقوانين التخصصات والمهارات الكبيرة فإن الفرد عليه أن يعود نفسه أكثر وأكثر على ضرورات معنية ، الأمر الذي يكون له آثار خطيرة على حياته الخاصة بحيث لا يبقى له منها القليل أو الكثير • ولا يبقى له - كشخص - الا مجرد معنى ، وكأنه يلبس قناعا لا يمكن أن يخلعه حتى في علاقاته الخاصة والشخصية •

والمثل الرئيسي لذلك هو حماية أحد الحقوق الفردية الأساسية التي لا غنى عنها وهي حق الزواج • ومما يدعو الى الأسف ان الحماية القانونية في أغلبية الدول ما زالت قاصرة ازاء الاعتداء على الحياة الخاصة للفرد بسبب نشاطه الوظيفي • وتوجد عادة تقرير للمبدأ بوجه عام لا يساعد على إيضاح المجال الذي نبخته •

فلا توجد قوانين خاصة عن هذا الموضوع في المكسيك أو البرازيل أو فنزويلا • ففي المكسيك وفنزويلا الى التعدي على الحياة الخاصة بالفرد من جانب مهنته قد يصل حد الاخلال ببعض الضمانات الدستورية • وفي الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لاتوجد قوانين تتعلق مباشرة بهذا الموضوع • ومن الناحية العملية ، فان أغلبية هذه المسائل اذا نشأت يحكمها التفاوض بين الموظف وبين صاحب العمل • وحتى اذا

كانت النقابات العامة قوية فان الحماية التى تكفلها الاتفاقات التى تعقدها اضعف اثرها منها فى البلاد التى يكفلها القانون .

### الأرجنتين :

تضمن المادة ١٩ من الدستور الأرجنتيني قاعدة عامة مؤداها أنه لا يجبر مواطن على عمل ما لا يحرمه القانون ، وقد يبدو فى ذلك بطلان أى بند يفسخ عقد العمل عند الزواج .

ولكن الأمر يوضح بقاعدة صريحة فى القانون رقم ١٢٣٨٣ الذى يمنح فصل أى موظف على أساس الزواج وفقا للأحكام الآتية :

### مادة ١ :

تحرم على أصحاب الأعمال والمشروعات التى تتمتع بامتيازات عامة وكذلك الشركات العامة والتجارية من أى نوع وضغ قيود ادارية أو ابرام اتفاقيات أو مصالحات تتضمن فصل الموظفين بسبب الزواج فمثل هذه الشروط تعتبر باطلة ولاغية .

### مادة ٢ :

وفضلا عن أى علاج ادارى أو قضائى يخول للأطراف المعنية ؛ فانه يجب على أصحاب الأعمال أن يعرضوا الأفراد الذين فصلوا على أساس الزواج عن أى ضرر أصابهم نتيجة فصلهم ، حتى لو لم يوجد عقد أو اتفاق أو مشاركة تخول ذلك .

### جمهورية ألمانيا الاتحادية :

تقرر المادتين ١ ، ٢ من الدستور المبدأ العام ، وهو عدم جواز المساس بكرامة الفرد ، وأن لكل فرد الحق فى اظهار شخصيته بحرية .

وبصفة عامة ، هناك القليل من التشريعات التى تكفل للموظف ( استغلال الشخصية ) ولكن هذا النقص لا يظهر لأن قانون العمل الألمانى فى جملة يكفل حماية كافية للموظف .

وهناك محكمة عمل فيدرالية ، والعديد من المحاكم الخاصة بالعمال فى الولايات والأقاليم . وقليل من هذه المحاكم قضت بالتعويض عن الاخلال باستغلال الشخصية .

وقد قضت المحكمة الاتحادية للعمل بأن يعرض الشخص عن الأضرار اذا كان الإخلال بهذا الحق له طبيعة استثنائية فعلا . وعلى ذلك فإذا كان رب العمل وهو يعتقد بحق أنه لصلحة عملائه ، قد أصدر منشورا يتضمن ملاحظاته ضد أحد موظفيه فان ذلك لا يعتبر كافيا للحكم بالتعويض .

ومع ذلك فهناك عديد من القرارات التي تحمي الموظف اذاء رب العمل في مجال الحرية الشخصية . فإذا كان طالب الوظيفة قد أثبت أنه ليس له سوابق وتبين فيما بعد أن له سوابق فعلا فان ذلك لا يسمح لصاحب العمل بفصله على أساس أنه خدعه بسوء نية ، ما دامت هذه السوابق لا تؤثر على طبيعة الوظيفة . ورأت المحكمة أن اذاعة استجواب لا يعتبر اخلالا بإخلاص الموظف أو تقريراً مخالفاً للحقيقة ، ومن ثم لا يعتبر عملاً خادعاً .

وقد تأيد ذلك بقرار من المحكمة الدستورية العليا سنة ١٩٦٩ برفض الرد على أسئلة وردت في إحصاء عام على النحو الآتي :

« أن شرف الفرد له الأولوية بين القيم التي يكفلها القانون الأساسى الألماني والتي لا يمكن التعدي عليها سواء من فرد خاص أو جهة عامة بما في ذلك الدولة . وإن التدخل في الحرية الشخصية للمواطنين من الدولة عن طريق أسئلة إحصائية تتضمن التحرى عن مسائل شخصية يجب أن يقتصر بنطاق من السرية حتى يكون بمعزل وأن يحتذى من تدخل الغير بما في ذلك الدولة » .

وتعتبر التحريات الشاملة للحياة الخاصة للفرد غير دستورية ومخالفة للمادة ١ قسم ١ من الدستور .

ومع ذلك ، فقد اعتبر متمشيا مع القانون التحريات المباشرة المتصلة بطبيعة وظيفة الشخص . وعلى ذلك يجوز لرب العمل التحرى عن حالة الموظفة اذا كانت حاملا أم لا ، كما يعتبر سليما الاختبار النفسى لطالب الوظيفة متى كان ذلك ضروريا للتعرف على قدرته على تولي وظيفة معينة . وعلى كل حال فان هذا القرار كان محل نقد باعتباره صورة حديثة للبحث في نفس الانسان .

والموظف لا يمكن أن يجبر على المشاركة في أداء ضريبة للكنيسة . فمن المتفق عليه أن الكنيسة لا حق لها في اقتضاء مقابل من رجل يرفض أن يدفع ، ومحاولة الحصول على هذا الرسم عن طريق رب العمل تعتبر محاولة مغلقة بقصد التحايل على القانون وفيها إخلال بحق يتصل بالشخص .

وقد اعتبر الاتفاق بين رب العمل وممرضة على أن تعزل عملها باختيارها ، في ظرف شهر من الزواج ، معيبا لمخالفته للدستور والقانون .

وأخذاً بذلك ، قضت محكمة عمال برلين بفساد اشتراط عدم الزواج ، فى عقد  
توظيف مضيقات .

وبالنسبة لاشتراط صاحب بار عدم مصاحبة البنات العاملات به للزبائن  
خارج المحل ، رأت المحكمة « أن هناك عرفاً قانونياً غير مكتوب فى مجال ترشيح  
العمل ، مؤداه أن الحياة الخاصة للموظف لا أثر لها بالنسبة لظروف العمل ما دام  
الموظف يؤدي عمله بصورة سليمة حتى لو كانت حياته الخاصة غير مرضية تماماً ، فإن  
هذا لا يخول صاحب العمل فصله دون اخطار ، أو حتى بعد اخطار حيث يوجد قانون  
يحمى الموظف » .

ولكن هذا المبدأ لا يطبق حيث يكون للسلوك الخاص بالموظف أثر عكسى مباشر  
على مكان عمله أو طبيعة عمله .

وذمبت المحكمة الى القول بأن هذا الاستثناء لا يطبق فى هذه الحالة حتى لو  
كان صاحب البار قد رأى أنه مما يسىء الى سمعة المحل أن تصاحب بناته الزبائن  
المتزوجين .

وقد ذهب بعض فقهاء القانون الى أن الرقابة على أبواب المصانع وتفتيش العمال  
يعتبر تعدياً على الحرية الشخصية ، ولكنها تقبل كثير لابد منه وخاصة أن هناك دائماً  
موافقة ضمنية من جانب العمال . وتفتيش الموظف أو العامل بمعرفة رب العمل دون  
رضاه غير قانونى ، الا اذا اذن به قاض أو فى حالات الضرورة . ولرب العمل  
الحق فى أن يأمر عماله بارتداء ملابس خاصة حيث يكون ذلك أمراً عادياً .

وقد قضت محكمة العمل فى فرانكفورت بأن لرب العمل الحق فى أن يحرم  
على الذكور من موظفيه لبس الشورتات أو القمصان خارج البنطلونات . ورات  
المحكمة أن ذلك يسرى فى شأن عمال المكاتب الذين عملهم استقبال الأعراب أو الظهور  
أمام الأعراب لأن عليهم مراعاة كرامة العمل .

ولما صمم أحد العمال المتدربين على أعمال السكك الحديدية ، على الظهور بشعر  
طويل جداً غير مرتب ومرسل على كتفه – رغم العديد من التحذيرات – رأت المحكمة  
أن رب العمل على حق فى انهاء تدريبه على أساس أن فى ذلك خطورة تعرضه  
لحوادث .

واذا كان الشعر الطويل سنة ١٩٦٦ أمراً غير مألوف فانه قد حصل تغيير بعد  
ذلك ، ويسمح للجند الآن بوضع شبكات على الشعر اذا صمموا على أن  
يبقوه طويلاً .

وقد ذهب أحد المشترعين الألمان وهو الدكتور شفينك ، في بحث حول الحق الشخصي للموظف بصفة عامة ، الى أن محاولة رب العمل وضع سماعات الكترونية خلسة يعتبر عملا غير قانوني ، وأضاف أن الاخلال بالحق المتعلق بشخص الموظف مع سماحه باستعادة هذا الحق يسمح أيضا بالتعويض في الأحوال الخطيرة .

## السويد

وفي السويد توجد بوجه عام حماية ازاء الفصل دون مبررات معقولة ، ويرجع ذلك من جهة الى التشريع ، ومن جهة أخرى الى الاتفاقات المبرمة بين أصحاب الأعمال ومنظمات العمال . وللعمال الذين يعتقدون أن فصلهم كان خطأ أن يطلبوا الى محاكم خاصة بهم العودة الى أعمالهم ، وفي بعض القضايا يحكم بالتعويض عن الفصل الخطأ . وبوجه عام فإن لأصحاب الأعمال حق فصل العمال اذا لم يؤدوا واجباتهم ، ولكن ليس لهم فصل العامل لهذا السبب اذا كان مرجعه حالة العمل أو أداء الخدمة العسكرية .

وحيث تشتمل عقود التوظيف على تحفظات تخالف العدالة فانها تعتبر لاغية وباطلة . فالنص المحرم لزواج الموظفة لا أساس له ، والقانون الصادر سنة ١٩٤٥ يحرّم بصفة خاصة الفصل بسبب الزواج .

والسويد - بالمقارنة بغيرها من البلاد - بها القليل من النصوص التشريعية المتصلة بمشكلة تأثير الحياة الوظيفية على الحياة الخاصة . فان هذه الحماية ترجع أساسا الى الاتفاقيات التي تبرم بين الاتحادات وبين تنظيمات أصحاب الأعمال .

## فرنسا

أظهرت القضايا التي نظرتها المحاكم في السنين الأخيرة<sup>١</sup> في فرنسا تغييرا في اتجاهها بالنسبة للحظر على الزواج في عقود العمل . ففي سنة ١٩٦٣ نجد الدائرة الاجتماعية لمحكمة النقض كثيرا ما أجازت مبدأ إمكان فصل الموظفة من العمل اذا كان زواجها يخالف صالحيات رب العمل . وفي ١٩٦٣/١/٢٧ أجازت المحكمة فصل ممثل لحل أدوية تزوج تمثل بيتا منافسا بحجة أن مصالح رب العمل قد تتأثر .

وفي قضية أخرى ذهبت المحكمة بتاريخ ١٩٦٣/١/٩ الى أبعد من ذلك فقالت أن مجرد العزم على الزواج يكفي سببا للفصل . وكان ذلك في شأن موظفة على الآلة الكاتبة اتجهت الى الزواج من موظف سابق الحق بمكتب منافس . ومع ذلك ففي ١٩٦٣/٤/٣٠ اعتبرت محكمة استئناف باريس أن الشرط في عقد الاستخدام لمضيفات شركة إير فرانس باطل . وهذا الشرط كان يقضى بإنهاء التوظيف عند الزواج كما لو كن تقمن بالاستقالة .



وأوضحت محكمة الاستئناف عدم صحة الشرط ، وأعدت للمضيفات حقهن في الزواج مقررة أن « حق الزواج هو حق شخصي مبناه مصلحة المجموع ولا يمكن تقييده أو تعديله وأن الحرية في الزواج يجب توفيرها » وفيما عدا حالة وجود أسباب الزامية ظاهرة فإن شرط تحريم الزواج يعتبر غير صحيح اذ يكون اخلاا بحق أساسى للشخص » .

وقد استندت المحكمة في ذلك الى سببين :

( أ ) يبدو أن الغرض الظاهر والنتيجة لشرط عدم الزواج هو تفادى الآثار القانونية للنظام العام والجزاء الجنائي له ، الذى يحرم فصل المرأة الحامل ، وعلى ذلك فإن هذا الشرط فيه غش ازاء القانون .

( ب ) أن الشرط يفرى الشخص الذى يخضع له بأن يدخل فى علاقة غير شرعية ، لا يحرمها الشرط ، بدلا من أن يفقد وظيفته .

### سويسرة

أن المحكمة الفيدرالية السويسرية لم تتج لها المناسبة لاصدار قرار فى شأن هذا المبدأ على نحو ما حدث فى فرنسا بالنسبة لاشتراط عدم الزواج فى عقود التوظيف .

ومع ذلك توجد بعض الأحكام فى الدستور ، والقانون المدنى . فالمادة ٥٤ من الدستور الفيدرالى الصادر فى ١٩٧١/٥/٤ وضعت أساسا دستوريا لحق الزواج كالتالى :

« حق الزواج يكفله الدستور . ولا يمكن لقانون أن يشتمل على منع الزواج على أساس الاعتراف أو النقص فى دخل أحد الزوجين أو أى اتجاه آخر للاعتراض على الزواج » .

ويبدو أن اشتراط عدم الزواج بوجه عام فى عقد الاستخدام يعتبر مخالفة للمادة ٢٧ من القانون المدنى التى تقرر أنه :

١ - لا يمكن أن يتنازل أحد كليا أو جزئيا عن أهليته لاكتساب الحقوق أو عقد الصفقات .

٢ - ليس لأحد أن يتنازل عن الحرية الشخصية أو أن يلتزم بتقييد حقوقه على نحو يخالف القانون أو الأخلاق .

## الولايات المتحدة

فى الولايات المتحدة توجد قواعد خاصة تتعلق بحماية الحرية الفردية بالنسبة للتوظيف . وفى الحكومة الاتحادية (القسم ٤ فقرة ٢ من قانون الخدمة المدنية) يحرم على الموظفين الاتحاديين عمل أى تحريرات عن الأصل أو الاتجاه السياسى أو العقيدة الدينية لطالب التوظيف .

والقسم ٥ جزء ٢٩٤ يحرم النشر عن عنوان مسكن الموظف أو حالته الصحية والقسم ٥ جزء ٧٣٥ يضح القيود على التحرى عن المركز المالى ونشاط الموظفين البعيد عن وظائفهم .

وهناك تعليمات لجهة التحقيقات للوظائف المدنية بعدم اجراء تحريرات غير ضرورية عن الحياة الشخصية لطالبى التوظيف ، وقد قضت المحكمة الاقليمية فى مينسوتا بأن « ما يتعلق بالشخص فى حياته الخاصة أمر لا يخص رب العمل الذى يعمل لديه ، الا اذا أثر ذلك الى حد ما على قدرته على الاستمرار فى أداء واجباته » .

وفى هذه القضية كانت جامعة مينسوتا قد رفضت توظيف رجل فى وظيفة أمين مكتبة لأنه كان قد أعلن أن له علاقة بذكر مثله ، ورات المحكمة أن هذا الرفض يخل بحقه فى حرية الكلام والتحرر من التفرقة .

## ختام

نخلص الى أن هناك اختلافا بين البلاد فيما يتعلق بالاعتداء على الحياة الشخصية لأى فرد من ناحية العمل ، فهناك بلاد لا تقرر صراحة حماية تتميز عن المبادئ الدستورية العامة ، وبلاد أخرى مقرر لها أحكام عامة وأحكام تشريعية خاصة . وأخيرا هناك دول ليس بها أى نصوص ، ويكون صميم المنازعات التى تثور فى هذا الشأن على أساس الاتفاقيات مع أصحاب الأعمال .

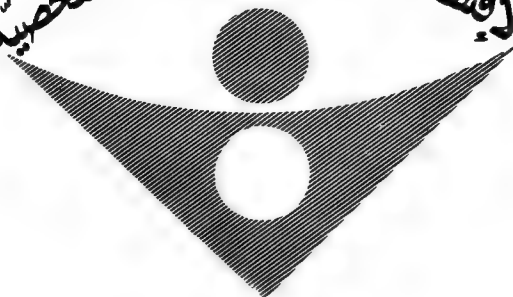
والطائفة الأولى من البلاد تشمل المكسيك وفنزويلا ، حيث لا توجد نصوص خلاف ما هو مقرر بالدستور .

والطائفة الثانية تشمل الأرجنتين . وهى الدولة الوحيدة فى أمريكا اللاتينية فى مجال هذا البحث التى لها تنظيم صريح يحرم فصل أى مستخدم على أساس الزواج . أما فى السويد فالتشريع لا يتناول هذا المجال بالتفصيل . وفى سويسرة حماية غير مباشرة . وفى فرنسا يحرم شرط عدم الزواج ويرجع ذلك

الى مبدأ قضت به محكمة الاستئناف سنة ١٩٦٣ ، وأخيرا في جمهورية ألمانيا الاتحادية تطور التشريع والقضاء الى درجة بعيدة في هذا المجال .

والطائفة الثالثة تشمل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة . ومرجع الحماية الى الاتفاقات التي تعقد بين منظمات أصحاب الأعمال والمستخدمين . ومثل هذه الحماية تظل بمعزل عن القوى المتصارعة بين المنظمات المختصة ، وتتوقف على مدى اهتمام الاتحادات بهذا الموضوع .

# الإفشاء العلني للمعلومات الشخصية



## مقدمة

من كل المخالفات الشخصية فإن الإفشاء العلني لحياة الفرد الخاصة كان بالتأكيد من أوائل الأشياء التي أثارت القلق .

وقد ظهر هذا الاهتمام إثر تقدم الصحافة الشعبية إذ إن الدور الأساسي للصحافة هو الاعلام ، وترتب على ذلك أن المحررين في بعض الأحوال يذكرون حقائق ترجع الى خصوصيات الأفراد . وكان هذا التناقض بين الحاجة الى الاعلام من وجهة الى ضرورة حماية السرية من جهة أخرى هو الذي أدى الى صعوبة ايجاد قوانين لحماية الخصوصيات بجانب القوانين التي تعاقب على التشهير والافتراء والقفز . ويوجد في بعض البلاد قوانين خاصة تحكم الصحافة ، وفي بلاد أخرى لا تخضع الصحافة الا لقانون العقوبات فحسب .

ويوجد فرق واضح بين الحماية التي يقدمها القانون المدني والقانون العام . ففي البلاد التي يحكمها القانون المدني فإن قانون العقوبات يحمي « كرامة الانسان » وذلك عن الاسماء الثلاث التشهير والافتراء وللقذف ، وفي بعض الأحوال فإن القوانين الخاصة بهذه الاسماء تشير بالتحديد الى خصوصيات الانسان . والعلاج المدني في

## ترجمة : الأستاذ حسن أنور حبيب

مدير عام بنك القاهرة وعضو مجلس الإدارة • كان  
وكيلا للنائب العام ، وتدرج في مناصب القضاء • شغل  
منصب أمين عام جامعة القاهرة ، ومنصب الرقيب العام للنشر ،  
ومنصب مدير عام ادارة المطبوعات ثم مصلحة الاستعلامات ،  
كما شغل منصب المستشار القانوني للمؤسسة الاقتصادية •  
له عدة بحوث منها حرية الرأي ، والاوراق المالية وتداولها ،  
والهجن الحيازي ، والمشاكل الدستورية في الشرق الاوسط ،  
ومنح التسهيلات في البنوك وضمنان الوفاء بها •

هذه البلاد يكون عادة في الاحوال التي ترتكب فيها واحدة أو أكثر من هذه الاساءات فقط • وفي النظام الذي يتبع القانون العام فان القانون الجنائي لا يتدخل في حماية شرف أو سمعة الأفراد • فيلجأ الفرد الى القانون المدني لحمايته • ويمكن القول ان التقاضي في هذا المجال صعب ومكلف • وعلى العموم فان التشهير أو القذف - كتابة أو علانية - الذي يؤدي الى العنف أو الى التفرقة العنصرية يقع تحت طائلة القانون الجنائي •

ويوجد فرق آخر في البلاد التي تطبق القانون العام هو « التبرير » أي اثبات صحة الوصف المشكو منه عن التشهير ، بيد أنه في البلاد التي تطبق القانون المدني يكون سداد التهمة نافيا كدفاع في عدد محدود من القضايا •

وبالرغم من ان الاطار العام واحد في انجلترا والولايات المتحدة - وهما تطبيقان القانون العام - الا ان القانون في الولايات المتحدة تطور أكثر مما هو عليه في انجلترا حيث ان الدفع بالحق المدني ينشأ من افشاء الحقائق الشخصية ووضع الجني عليه في ضوء كاذب في بعض الحالات ، وهي تهمة أقل اهمية من التشهير الكاذب أو التجريح • وحيث أن القوانين في البلاد التي تطبق القانون المدني تتبع الأسلوب نفسه

فاننا سوف نسرد تفاصيل التشريع بالنسبة للمكسيك ( التي يبدو أن لديها أتم قانون في هذا الموضوع بين دول أمريكا اللاتينية ) وفرنسا ( التي أثر قانونها بشكل واضح على قوانين دول أخرى ) .

والدراسة الحالية تبين بوضوح صعوبة الفصل بين الصالح العام والصالح الخاص ، بين الحياة العامة والحياة الخاصة ، بين ما يهم الجميع وبين ما يجب اعتباره حقا خاصا لشخص الواحد .

### المكسيك

من بين البلاد التي تحدثنا عنها نجد أن المكسيك تقدم أقصى الحماية اللازمة أمام هذا النوع من الاعتداء على حياة الفرد الخاصة . والقانون الخاص بذلك يوجد ضمن الدستور وقانون الصحافة لعام ١٩٧١ وفي قانون العقوبات . وبخلاف قانون الصحافة، فإن هذه الحماية غير مباشرة .

### المستور

والنوع الأول من الحماية يأتي أساسا من المادة ١٦ من الدستور ، وهي كما رأينا تجعل من إزعاج الإنسان عملا مؤثما . وقد يتضمن هذا نشر حقائق عن الحياة الشخصية التي تزعجه .

### قانون الصحافة

في حالة العلانية ، كتابة أو كلاما ، التي تضر بسمعة أو شرف الانسان ، فإن المجنى عليه له حق الالتجاء الى قانون الصحافة الصادر في ٩ أبريل ١٩١٧ . وعنوان هذا القانون خادع ، حيث أنه يشمل جميع أنواع التصريح العلني المطبوعات الصحفية فقط . والمادة الأولى للحرمات الشخصية :

الأعمال الآتية يترتب عليها انتهاك للحرمات الشخصية :

١ - أي زعم أو ادعاء خبيث ، تم بالإشارة أو القول في حضور واحد أو أكثر من الشهود ، أو بالكتابة ، أو بالطباعة ، أو بالرسم ، أو بالمطبعة ، أو بالصور أو بأية وسيلة أخرى اذا عمت بالقول أو البريد ، أو بريقيا ، أو تليفونيا ، أو بالراديو أو بأية وسائل أخرى للاعلام ، وكان من شأنها أن تنشر الكراهية أو الاحتقار أو السخرية لشخص ما أو تجرح سمعته أو مصلحته .

٢ - أي زعم أو قول خبيث تم بأحدى الوسائل المنصوص عليها في البند (١) المذكور ووجه ضد ذكرى شخص توفي بقصد المساس بشرف أو سمعة الأحياء من الورثة أو أحد من ذرية المتوفى .

٣ - ادراج أى تعبير خاطئ للحقائق بفرض اىذاء شخص ثالث وتعمد اظهار الحقائق بشكل خاطئ ، وكذلك أى تعقيب بفرض الاضرار دون أن يكون له سند من الحقيقة فى أى تقرير أو تصريح أو ادلاء ببيانات أمام محكمين أو محكمة تنظر فى قضية مدنية أو جنائية .

٤ - أى استخدام لطبوعات لمهاجمة كرامة أو سمعة شخص بقصد جعله شخصية مكروهة ، محتقرة ، أو يسخر منها ، أو اضرار لمصلحته الشخصية أو المالية .

ان مدى احكام هذه المادة ملحوظ .

وتشير الجملة الاولى بالتحديد الى « انتهاك الحرمة الشخصية ، التى ربما تكون أول تعبير استخدم فى أى تشريع . وهذا بالتأكيد أقصى مدى للقانون يذكر حماية الخصوصيات يمكن وجوده فى أى تشريع لاية دولة .

وكما سنرى فيما بعد فان هذه المادة قد تحترم كحماية قانونية ضد أى استعمال غير مباح للتشهير بالفرد .

والمادة ٩ تحدد عددا من المستندات التى يمنع نشرها والتى تكون اعتداء على الحرية الشخصية للفرد .

فيما عدا الأحوال التى سبق أن صرح بها بالنشر فى الفقرتين ( ١ ) و ( ٢ ) المذكورتين فانه ممنوع نشر :

١ - المستندات الرسمية والاثباتات الخاصة بمحاكمة جنائية قبيل تقديمها الى المحاكمة .

٢ - وفيما عدا الاحوال السابق الاتفاق عليها بين الاطراف المعنية ، ممنوع نشر عريضة الاتهام أو الاثباتات المقدمة قبل وبعد عرض قضايا الزنا والاعتداء على العرض وهتك العرض .

٣ - وفيما عدا الاحوال السابق الاتفاق عليها بين الاطراف المعنية ، ممنوع نشر محتويات العرائض والردود والدفاع أو أية مستندات مقدمة فى محاكمات الطلاق والتبني وفسخ الزواج أو الاعتراف بالابوة أو أية احكام خاصة بهذه القضايا .

٤ - المعلومات الخاصة بالتحريات أو المحاكمات غير العلنية بأمر القانون أو بقرار من القاضي .

٥ - تشكيل المحلفين اذا ما قصد منها اظهار اتجاه واحد أو أكثر من المحلفين، كما لو نشرت المناقشات الداخلية للمحلفين أو رأى احد اعضاء هيئتهم .

٦ - شخصية الجنود أو البوليس الذى اشتركوا فى تنفيذ حكم الاعدام على شخص أو أكثر .

٧ - شخصية ضحايا هنك العرض والذين اعتدى على شرفهم والاعتداءات الأخرى الأخلاقية .

وبعض المنوعات في هذه المادة لا توجد موافقة عامة ، ولكن مرة أخرى فان دقة الاصل ملحوظة وتبيء حماية واسعة ضد الاعتداء على الخصوصيات . وهذه الحماية لا تعتمد كما هو الحال في بلاد كثيرة على اثبات ان المدعى عليه متهم بالسب أو التلب أو الافتراء . فان مجرد نشر ما ورد ذكره في المادة يجعل المدعى عليه معرضا لاتخاذ اجراءات قانونية ضده . والمفطر الوارد في الفقرة (٢) عن نشر تقارير عن الاجراءات الخاصة بالخصوصيات تغلب على احدى المشكلات الأساسية ، اذ أن الأفراد لا يرغبون في اللجوء الى القانون عندما يعتدى على خصوصياتهم خاصة اذا ما كانت نتيجة هذا زيادة في النشر عن حياتهم .

والمادة ١٠ تقض العقوبات عن نقض المادة (٩) . والمادة (١٠) تشترط ان هذه العقوبات توقع على اى فرد تسبب عن طريق نشر أى شيء في افشاء خصوصيات فرد آخر ونصها كالآتي :

« ان العقوبات المنصوص عنها في المادة السابقة يجوز أن توقع على اى شخص خالف القانون بنشر أى شيء يكون فيه اعتداء على الحرية الشخصية للفرد أو على الأخلاق أو القانون العام والنظام ، وذلك دون الاخلال بتوقيع عقوبات أخرى قد تستحق بسبب الاعتداء على حريرة الشخصية » .

المادة ١٣ تقول أيضا :

« اى اعتداء على الخصوصيات يجعل المعتدى عرضة للآتي :

١ - من ثمانية ايام الى ستة اشهر حبس ، وغرامة من خمسة الى خمسين بزيته وفي الحالات التى لا تسرى عليها الشروط الواردة بالفقرة التالية .

٢ - الحرمان من الحرية لمدة تتراوح بين ستة اشهر وستين ، وغرامة من ١٠٠ الى ١٠٠٠ بزيته ، اذا ما كانت الاتهامات أو الاعتداءات ضارة بسمعة الشخص الموجهة اليه ، أو اذا كانت الاتهامات أو التفسير من طبيعتها أن تلصق الخرى بشرف أو سمعة المعتدى عليه أو تعرض بحياته وحريرة وحقوقه أو مصالحه أو تجعله موضع سخيرة أو عار » .

والمواد ١٥ و ١٩ و ٢١ و ٢٤ من قانون الصحافة تضع أنظمة خاصة بأنواع معينة من النشر يفرض منع انتهاك حق خصوصيات الفرد أو في حالة الاعتداء على القانون اذ تكفل عقاب المتهم وتعويض المعتدى عليهم عما لحقهم من ضرر .

ويقدم قانون الصحافة درعا ايجابيا من الأسلحة القانونية للدفاع عن الفرد ضد العديد من أساليب الاعتداء على خصوصيات الفرد . ومن الواجب التأكيد مرة أخرى من



ان هذا القانون قد وضع منذ وقت طويل والدقة التي اتبعت في كتابته دون تجاهل المستقبل ، اذ أن مواده يمكن تطبيقها على الوسائل الحديثة والاعلام . والحقيقة أنه من الأصح إعطاؤه عنوان القانون الخاص بحماية السرية عوضاً عن عنوان « قانون الصحافة » .

### قانون العقوبات

ان الحماية الممنوحة للخصوصيات بواسطة قانون العقوبات تسرى على التهم الثلاث « التشهير والسب والافتراء » ولابد من تأكيد أنه لا يوجد علاج مدني الا في الأحوال التي تقع في احدى المخالفات المذكورة .

« البايان ٢ و٣ من الفصل العشرين من قانون العقوبات يحددان هذه المخالفات كالآتي :

**السبب هو :** التهجم على شخص آخر ، عندما تترجم النية الى كلمات قيلت او اعمال ارتكبت ويكون منها معنى الاحتقار . ويعاقب على ذلك بالسجن سنة او بغرامة تصل الى ٢٠٠ بزيته او الاثنين مما .

**التشهير هو :** القاء اتهام بقصد الضرر بشخص او جماعة في حضور شاهد او أكثر وهذا الفعل ان كان حقيقة أو كذبا من طبيعته ان يلحق الضرر بشرف أو سمعة أو صالح هذا الشخص أو تعريضه لاحتقار الآخرين . وعقاب هذا الحبس مدة لاتزيد عن عامين أو غرامة من ٥٠ الى ٣٠٠ بزيته أو كلاهما .

**الافتراء هو :** الاعتداء الذي يسببه شخص كالآتي :

١ - اتهامه لآخر بعمل محدد يعتبر في حكم القانون خطأ ، اذا كان هذا العمل لم يثبت بالفعل أدائه أو اذا كان الشخص الذي قام به ليس الشخص الذي نسب اليه .  
٢ - أو أنه بالتشهير الجارح أو الشكوى والاتهامات نسب خطيئة الى شخص ثالث حدده بالاسم مع أنه في الحقيقة يعلم ان هذه الخطيئة لم تحدث ، أو ان الشخص الذي اتهمه كان بريئاً .

٣ - انشاء حالة تلقى بالشبهات الى شخص ثالث لم يرتكب أية خطيئة أو جعل هذا الشخص يذمومتهما ، وذلك بأن يضع في منزله أو في مكان آخر أى شيء قد يلقي الريبة أو افتراض المسؤولية عليه .

وعقاب هذا الحبس من ستة أشهر الى سنتين أو غرامة من ٢٠٠ الى ٣٠٠ بزيته أو كلاهما .

ويلاحظ أن خطيئة التشهير يمكن ارتكابها اذا ما كان الفعل قد نسب زورا أو حقيقة محمداً أو مشاعاً . وهذا يعني أن قانون التشهير يقدم حماية واسعة جداً ضد الاعتداء على الخصوصيات عن طريق التصريحات المحرجة . والحقيقة أن تصريحاً خبيثاً

من هذا النوع قد يكون إما سبا أو تشهيرا . وتحديد معنى الافتراء أضيق كثيرا حيث أنه يشير فقط الى الاتهام الكاذب لفعل يكون خطيئة حسب القانون . أما بالنسبة الى التشهير فانه يجب التاكيد بأن الاتهام يجب أن يكون ضارا أو بمعنى آخر فانه يجب أن يحدث ضرا فعليا أو أذى حتى يمكن أن ينشئ إجراءات قانونية .

ولتحديد ما اذا كانت التصريحات الحبيثة قد أضرت بالشخص الذى وجهت اليه فان المحكمة تأخذ فى الاعتبار كل الاعتبارات المهمة ومنها المكان والزمان والأقوال التى قيلت فعلا والمكانة الاجتماعية للمتهم والمحتدى عليه .

السب والتشهير والافتراء كلها من المواضيع التى لها حدود فى قانون العقوبات .

فمثلا اذا كان السب متبادلا فان القاضى قد يعفى من المحاكمة الطرفين او احدهما ، وبالتالي فلا يعتبر تشهيرا أو سبا اذا ما عبر شخص عن رأيه فى عمل أدبى أو فنى أو علمى أو صناعى أو بخصوص طاقة أو علم او قابلية او اتجاهات شخص آخر اذا ما كان هذاتعبيرا للصالح العام . كذلك فلا يعتبر تشهيرا اذا ما أعطى نصيحة لمساعدة قريب أو صديق طلبها منه ، ولكن يجب أن يكون هذا بصدق وبدون غرض التشهير . وهذا ينطبق على أى شخص يعطى شهادة مكتوبة أو شهادة أمام المحكمة . كما ان الشخص الذى يتهم باطلا شخصا آخر بتهمة جنائية لا يعتبر مفتريا اذا ما أثبت انه فعل ذلك بحسن نية وإن لديه اثباتات حسنة لما فعل .

ويوجد استثناءان لقاعدة ان اثبات الحقيقة للوقائع المدعى بها لاتعطى دفاعا لتشهير ، وهما ان التصريح يشير الى نشاط موظف عام أثناء تادية وظيفته ، وكذلك حين تكون الوقائع المدعى بها فى التصريح قد أثبت وقوعها قاضى محكمة . ولكن حتى فى هذين الاستثناءين اذا ما كان المتهم فعل ذلك بحيث يفرض الاضرار بالمشهر به فان هذا الحجت يلغى دفاعه ويصبح مسئولا . وقد تقرر ذلك عام ١٩٥٠ فى قضية عندما اتهم شخص بحق موظفا عموميا أثناء قيامه بعمله الرسمى ، ولكنه فعل ذلك لا لاهتمامه بالعدالة ، ولكن بفرض الاضرار بالموظف .

• ويوجد شرطان هامان فى قانون العقوبات خاصان بالتشهير والسب والافتراء . فطبقا لمادة ٣٦٠ فان الاجراءات القانونية تتخذ فقط عندما يشكو الشخص الذى وجه اليه الاعتداء . وفى حالة الوفاة فان الاجراءات القانونية يجوز اتخاذها بواسطة ورثته . ولكن اذا ما كان الاعتداء ضد الامة المسيكية أو حكومة أجنبية أو ممثل دبلوماسى فان النائب العام يمكنه اتخاذ الاجراءات . وعليقا للمادتين ٣٦٢ و ٣٦٣ اذا ما حكم على المتهم تضبط جميع المواد المكتوبة أو المطبوعة التى تكون جزءا من التشهير أو السب أو الافتراء وهذه وقائع جنائية تقع تحت المادتين ٤٤٤ و ٤٥٢ من قانون العقوبات .

## فنزويلا

ان الحماية الوحيدة في القانون الحالي لفنزويلا ضد الاحراج وعدم المبالاة والتصريحات المخاطئة أو الطائشة ضد الانسان هي الاجراءات القانونية للتشهير والسب والافتراء وهذه وقائع جنائية تقع تحت المواد ٤٤٤ و ٤٥٢ من قانون العقوبات .

والقاعدة العامة ان ثبوت صحة الاتهامات الموجهة ضد المدعى لايعتبر دفاعا .  
والمادة ٤٤٥ تحدد الحالات الشاذة التي يسمح فيها باثبات الحقيقة عن طريق الدفاع وهي :

- ( أ ) عندما تكون التصريحات تشير الى أعمال الموظف العام أثناء تادية وظيفته .
- (ب) اذا ما كان هناك اجراء قانونى ضد الشخص المشهر به وقد اتهم فيها بالجرم المنسوب اليه .
- (ج) عندما يرجو المشتكى المحكمة اثبات حقيقة أو كذب الوقائع المنسوبة .

وتعريف التشهير والسب والافتراء فى فنزويلا شبيه بأمثالها فى المكسيك .  
وفى عدد من البلاد الأخرى وبدون الدخول فى تفاصيل التشريع يمكن القول اجمالا بأن الاجراءات القانونية يمكن اتخاذها فى حالات الاحراج والتصريحات غير الصادقة أو غير المطابقة حول الحياة الشخصية فقط اذا كانت هذه التصريحات تكون جريمة التشهير والسب والافتراء .  
والمادة ١١٩٦ من القانون المدنى يمكن القاضى بموجبها منح تعويض للمشتكى فى الاجراءات القانونية . ولا يوجد اجراء لاقامة قضية مدنية بعلة التشهير والسب والافتراء .

ولا يوجد بفنزويلا قانون خاص يحاكم الجرائم التى ترتكبها الصحافة . وهذا يعنى ان الشخص الذى هوجم بمقالة أو عدة مقالات فى الصحافة يجب أن يلجأ الى الاجراءات القانونية الخاصة بالتشهير ويمكنه المطالبة بتعويض مدنى فى الاجراء القانونى .

والشخص الذى يرغب فى اقامة دعوى مدنية بالتعويض ، عليه ان يفعل ذلك ضمن ما يتخذ من اجراءات قانونية . وهذا العمل قد يكون فى غير مصلحة المدعى .  
ولكى يثبت حقه عليه أن يدلل بأنه قد يضار من التشهير . وهذا قد يكون صعبا عليه اجراؤه فى الوقت المحدد قبل أن يكمل الاجراءات القانونية .

## الأرجنتين :

وفى الأرجنتين أيضا لا يوجد اجراء بخصوص الافشاء العلنى للوقائع الخاصة عن حياة الانسان الا اذا كان هذا الافشاء يكون خطأ جنائيا .

والمواد من ١٠٩ الى ١١٧ من قانون العقوبات تحوى العديد من الشروط حول الاعتداء بالتشهير والسب والافتراء . وهذه المواد الموجودة فى الفصل الثانى من قانون

العقوبات الخاصة « بالاعتداء على الكرامة » لا تعطي أى تفسير أكثر من انها تشبه الموجود فى قوانين العقوبات الأخرى .

وعلى العموم فان الاجراءات توقف اذا ثبت ان الحقائق المدعى بها صحيحة ، الا اذا كان الشخص الذى قام بالافتراء قد فعل ذلك بغرض الاساءة وليس بغرض اثبات الصداقة .

وانبات صحة الادعاء انما هو دفاع فقط فى حالات محددة موجودة فى الحالات الآتية :

١ - اذا كان الغرض من الزعم الدفاع أو المحافظة على مصلحة عامة حقيقية .  
٢ - اذا كانت الحقائق المزعومة قد تسببت فى قيام اجراءات قانونية ضد الشخص المشهر به .

٣ - اذا ما طلب المدعى اثبات الزعم الموجه اليه ، بشرط أن هذا الاثبات لن يؤثر فى حقوق أو أسرار شخص ثالث .

ويمكن اتخاذ الاجراءات بواسطة الشخص المدعى عليه أو بواسطة زوجته أو ابنائه أو أحفاده أو والديه بعد وفاته .

والمواد ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ من قانون العقوبات تشمل تباعا التشهير أو السب الموجه فى المحكمة ، الذى لا يقع تحت الاجراء القانونى الا اذا نشر ، والسبب او التشهير المتبادل ، وفى هذه الحال فان المحكمة قد تعفى من العقاب أحد أو كليهما ، والانكار اذا كان علانية يمكن أن يكون سببا فى البراءة .

والمادة ١٥٥ من قانون العقوبات الخاص بالتدخل فى المراسلات يهى قاعدة عريضة من الافشاء العلنى للحقائق الخاصة بالحياة الشخصية للأفراد .

أى شخص فى حوزته مراسلات ليست للنشر ، وينشر هذه المراسلات بدون حق حتى اذا كانت موجهة اليه ، يكون عرضة لغرامة من عشرين ألف بزيته الى ٢٠٠ ألف بزيته اذا كان عمله هذا يسبب أو قد يسبب أذى لشخص ثالث .

والادعاء المدنى للتشهير والسب والافتراء لا يكون فقط مؤسسا على المادتين ١٠٧٧ و ١٠٧٨ من القانون المدنى الذى يعالج عموما الالتزامات المدنية للأخطاء الجنائية ولكن أيضا على المواد ١٠٨٠ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ من القانون المدنى الذى يعالج بالتحديد الاجراءات المدنية .

ولذلك يوجد فى الأرجنتين ادعاء مدنى مستقل ، وهذا غير موجود فى عدد كبير من الدول . والادعاء المدنى قد يقوم به الشخص صاحب الحق أو وارثوه ، ويمكن للزوج أن يطالب بتعويض عن خطأ أصاب زوجته ، وكذلك الوالدين بالنسبة لأولادهم .

والمادة ١٠٨٩ تقول :

فى أى حالة من حالات التشهير أو الإهانة فإن المجنى عليه يمكنه المطالبة بتعويض مالى إذا ما تمكن من اثبات أن الافتراء أو السب سبب له أذى حقيقيا أو فقدانا مهما لفرة الحصول على مال وإذا لم يتمكن المدعى من اثبات أن ادعاءاته لها ما يبررها :

وهذا يعنى انه فى حالة التشهير أو السب فإن الشاكى عليه أن يثبت أن الادعاءات سببت له أذى وانها كاذبة .

ولا يوجد فى الأرجنتين قانون خاص للصحافة يؤثر على النشر فى الجرائد عن الحياة الشخصية للأفراد .

### البرازيل :

الفصل الخامس من قانون العقوبات لعام ١٩٤٠ وعام ١٩٦٩ معنون « الجرائم ضد الكرامة » ، وفى كلتا الحالتين فإنه يشمل شروطا قانونية ضد الافتراء والتشهير والسب . وقانون ١٩٦٩ أصبح سارى المفعول فى أول يناير ١٩٧٢ .

وتعالج المادة ١٣٩ من قانون ١٩٤٠ التشهير وكذلك المادة ١٤٣ من القانون الجديد ، ولا يوجد أى تعليق على أى من المادتين ، وثبوت حقيقة الادعاء يعتبر دافعا فى حالة الادعاءات الخاصة بأعمال موظفى الدولة .

وتعالج المادة ١٣٨ من قانون عام ١٩٤٠ الافتراء ، وكذلك المادة ١٤٢ من القانون الجديد .

والمادة ١٤٠ من قانون ١٩٤٠ والمادة ١٤٤ من قانون عام ١٩٦٩ تعالجان جرائم السب .

وبدون الدخول فى تفاصيل التشريع البرازيل الذى هو مشابه لغيره فى الدول الأخرى فإنه يجب ملاحظة أن القانون الجديد يوقع فى بعض الحالات عقوبات مشددة ، خاصة إذا ما كانت هناك دعاية واسعة للمزاعم ، مثلا المادة ١٤٨ تقرر أن العقوبات تنزايد إذا ما كان الخطأ قد نشر فى الجرائد أو الراديو أو التلفزيون ، والعقوبات المتزايدة التى تضمنها القانون الجديد تظهر أن المشرعين مصممون على استخدام معايير شديدة لمنع الاسائة وخاصة إذا استعملت وسائل النشر .

وبخصوص الاعفاء من العقوبات فإن المادتين ١٤٢ و ١٤٣ من قانون العقوبات لعام ١٩٤٠ تحدان الحالات التى لا يكون فيها الإنسان عرضة للعقاب . فالمادة ١٤٢ تحمى النقد الأدبى والفنى والعلمى والآراء التى يدلى بها موظفو الدولة أثناء تأدية أعمالهم . والمادة ١٤٣ تمنح اعفاء من العقاب فى حالة التراجع الكامل قبل صدور الحكم .

والقانون رقم ٥٢٥٠ بتاريخ ٩ فبراير ١٩٦٧ الخاص بالصحافة يضع أنظمة خاصة بإذاعة الآراء والأخبار ويحدد المسئولية فى حالة عدم المحافظة على هذه الأنظمة .

والمادة ٢١ من هذا القانون تعالج التشهير • والفقرة ١ تقول ان الدفاع بأن التشهير حقيقة يكون فقط اذا ما كان الزعم موجها الى موظف عام عن أداء وظيفته ، وعندما يطلب الشخص الموجه اليه هذه الاتهامات اثبات حقيقة هذه الادعاءات •  
الفقرة ٢ من هذه المادة تقول :

اذا ادين شخص في جريمة ثم ألقى هذا الحكم فان أى انسان ينشر أو يذيع ادانة هذا الشخص يعرض نفسه للمحاكمة بتهمة التشهير الا اذا كان ذلك للصالح العام •  
وهذه الفقرة الأخيرة تحقق الحماية الشخصية ، حتى ولو أخذنا في الاعتبار حالة النشر للصالح العام ، وعلينا أن ننتظر لنرى حدود هذه النظرية •  
والمادة ٢٠ الخاصة بالاقتراء تقرر أيضا عقوبات محددة تصل الى الحبس ثلاث سنين •

### المانيا الاتحادية :

يوجد فرق أساسى فى قانون التشهير الألماني بين السب والتشهير والحقد الكاذب فالمادة ١٨٥ من قانون العقوبات تعرف « السب » بأنه أى تعبير بالكلمة أو الإشارة باحتقار ، وتجعله جريمة ، ولا يعتبر صدق هذه الأقوال كدفاع •  
وجريمة التشهير حددها المادة ١٨٦ بأنها ادعاء أو نشر حقائق مشينة ضد شخص تجعله محتقرا فى نظر الجمهور ، ولا يمكن الأخذ بالدفع بأن ما قيل حقيقة •  
وتعالج المادة ١٨٧ جريمة الزعم الكاذب بأنها الادعاء أو اذاعة تصاريح بالتشهير معروف انها كاذبة •

وحسب المادة ١٨٨ فللشخص الحق فى تعويض مالى اذا ما أصيب فى عمله أو اذا كان مستقبه قد تعرض لضرر نتيجة للتشهير به •

والمادة ١٨٩ تعتبر تعريض سمعة الميت للتجريح جريمة ، والدفع بأن ما قيل كان للصالح العام والمتضمن فى المادة ١٩٣ لا يمكن الدفاع به اذا كانت هذه الأقوال من خصائص الحياة الشخصية •

والمادة ٢٠٠ تعتبر أنه اذا ما وجد الشخص متهما بنشر أو اذاعة مواد للتشهير فان الحكم ينشر على حساب المتهم حسب ما جاء فى الحكم •

### السويد :

وهناك فرق فى السويد أيضا بين التشهير والسب •  
فالتشهير عرفه الفصل ٤ قسم ١ من قانون العقوبات لعام ١٩٦٥ بأنه :  
« الشخص الذى يصف آخر بأنه مجرم أو ان طريقة حياته مشينة أو يعطى معلومات تعرضه لعدم احترام الآخرين يكون مذنباً بالتشهير » •

ولكن يوجد دفاع ضد قضايا التشهير بأنه من واجب المتهم أن يقول ما قال أو أنه كان محققا في عمل مثل هذا البيان على ضوء اعتبارات القضية ، وأن الوقائع حقيقية أو يمكن اعتبارها حقيقية . فإذا ما ظهر أن الدفع بالصدق لا يمكن الأخذ به فإن على الشخص إثبات أن واجبه يحتم عليه قول ما قال .

والتشهير بشخص ميت يعتبر جريمة أيضا ، إذا كان الفعل مؤذيا للأحياء أو إذا أخذنا في الاعتبار الفترة التي مضت منذ الوفاة مع الأحوال الأخرى ، فإن هذا العمل يمكن اعتباره مغلا بحق المتوفى .

ويحدد الفصل ٥ من الباب ٣ السب كالآتي :

« الشخص الذي يشتم آخر مستعملا عبارات السب أو الاتهام أو مسلكا مهينا ، يكون متهما بالسب » .

وكقاعدة فإن المشتكى هو الذي يجب أن يتخذ الاجراءات الخاصة في حالات التشهير أو السب الا كان المدعى هو النائب العام للحالات العامة ، وفي حالة الوفاة فإن الزوجة أو أقرب الأقرباء يمكنه اقامة الدعوة .

وسمعة الميت تعتبر أكثر أهمية من سمعة الأحياء ولذلك فإنه لا يمكن الاعتداد بصدق ما قيل في هذه الحالة . وكذلك يمكن منيح التعويضات المستحقة . فعندما ادعت الصحف أن داج همرشلد انتحر غرمت ١٠ر٠٠٠ كرون وكذلك منحت المحكمة العليا شقيقه تعويضا .

ومنذ عام ١٩٥٦ أوصت المجلة القانونية لنادى الصحافة السويدى أن لا ينشر أسماء المشكوك فيهم في التحقيقات الجنائية الا اذا كانت هناك مصلحة هامة . وفي عدد حديث لهذه المجلة يوجد قسم خاص عن السرية يوصى بعدم نشر تفاصيل الحياة الشخصية وخصائص الفرد الا اذا رئي أن مثل هذا النشر ضرورى . ومثل هذه الضمانات في عدم استعمال الأسماء الخاصة بالتحقيقات الجنائية تتبعه اذاعة وتليفزيون السويد .

**فرنسا :**

يعطى القانون الفرنسى حماية للنواحي الخلقية الشخصية ويعتبر ان هذه تكون قاعدة جوهرية للكرامة .

وسوف نعالج هذا التشريع بأسهاب لانه كان الأساس لعدة تشريعات خصوصا في أمريكا اللاتينية .

والحماية ضد افشاء الحقائق المخرجة أو الخاطئة أو التي تكون غير ذات موضوع في الحياة الشخصية موجودة في فرنسا ضد التشهير والسب والافتراء . ولا تتخذ اجراءات قانونية في الحالات التي لا تغطيها هذه الجرائم .

## التشهير :

حدد معنى التشهير فى المادة ٢٩ من قانون الصحافة بتاريخ ٢٩ يوليو ١٨٨١  
والمعدل بقرار فى ٦ مايو ١٩٤٤ كالآتى :

أى ادعاء أو اتهام بعمل يكون اعتداء على شرف أو سمعة الانسان يعتبر تشهيراً .  
والنشر اما رأسا أو عن طريق اعادة النشر لهذا الافتراء أو الاتهام جرية يعاقب عليها ،  
حتى لو ظهر على شكل مشتبه فيه اذا ما وجه الى شخص غير معنى بالاسم ولكن من  
الممكن معرفته من طريقة الكلام أو الكتابة أو التهديدات الكتابية أو اللوحات التى تكرر  
الاتهام أو الادعاءات .

ويمكن أن نرى من الصيغة العريضة لهذه المادة ان عنوان القانون مضلل .  
فانه غير مقصور على الصحافة ولكنه يشمل المطبوعات الأخرى .

والمالات القانونية كونت افتراضات بأن الافتراء بالتشهير يكون بغرض الأذى ،  
ولكن هذا الافتراض مردود عليه اذا كان القاضى الذى ينظر فى القضية مقتنعا بأن المتهم  
كان حسن النية . والمالات النادرة هى التى ينجح فيها هذا الدفاع .

والمادة ٣٣ من نفس القانون تقول :

ان جريمة التشهير العامة والسب العام ترتكب بالنشر فى الجرائد أو بالخطب  
العامة أو بالصياح أو التهديد فى مكان عام أو فى اجتماع عام أو فى مستند مكتوب أو  
مطبوعات للبيع أو للتوزيع مجانا أو بثمن أو تعرض فى اماكن عامة أو اجتماعات أو  
بواسطة لوحات أو عرض ملصقات علنية .

والمادة ٢٨ تعنى أيضا ان هذه الجرائم يمكن أن ترتكب ببيع أو توزيع أو عرض  
رسومات على الجمهور ، والتشهير العلنى أو السب العلنى كما هو محدد يجعل المتهم  
معرضا للعقوبات الموضوعة فى المادة ٣٢ التى تنص على :

ان التشهير المحدد فى المادتين ٢٣ و ٢٨ يجعل المتهم عرضة للحبس مدة تتراوح  
بين ٥ أيام و٦ أشهر أو غرامة من ١٥٠ الى ٦٠٠٠٠ فرنك ، والتشهير باستعمال هذه  
الأساليب وتكون موجهة الى مجموعة من الناس الذين هم من أصل أو دين معين يعرض  
المتهم للحبس مدة تتراوح بين شهر وسنة وغرامة من ٣٠٠ الى ٣٠٠٠٠ فرنك  
اذا كان المقصود الحض على الكراهية بين المواطنين أو السكان .

وإذا كان السبب ليس علنا فان العقوبة تكون اسمية من ٣ فرنكات الى ٢٠ فرنكا .

وطبقا للقانون المدنى فان الشخص المشهور به له الحق فى تعويض حسب المادة  
١٣٨٢ من القانون المدنى . وإذا كان التشهير فى الصحافة فان من حقه الرد على ذلك  
حسب المادة ١٣ من قانون الصحافة ، المعدل بالأمر الصادر فى ٢٦ أغسطس سنة  
١٩٤٤ . وهى تقرر : ان المدير أو المسئول عن النشر عليه أن ينشر فى خلال ثلاثة أيام



من استلامه أى رد مرسل من الشخص الذى تكلمت عنه الجريمة ٠٠٠ وينشر الخطاب فى نفس المكان ويحس حروف الطبع الذى نشر فيه المقال موضوع الرد ٠ ولا يزيد طول الخطاب عن المقال المعنى ٠

وقانون الصحافة الصادر فى ٢٩ يوليو ١٨٨١ يحقق حماية كافية للخصائص الشخصية اذ انه فى حالات التشهير طبقا للأمر الصادر فى ٦ مايو ١٩٤٤ فان حقائق الوقائع المزعومة يمكن اثباتها أيضا فيما عدا :

( أ ) عندما تكون الوقائع المزعومة خاصة بالحياة الشخصية للفرد ٠

( ب ) عندما تكون الوقائع قد مضى عليها عشر سنوات ٠

( ج ) عندما يكون الزعم خاصا بحقائق تكون اعتداء على قانون الضم أو عدل أو أغنى منه بواسطة حكم قضائى لاحق ٠

وهذا يكون نقطة هامة اذ مادام الافتراء يمت الى الحياة الشخصية فانه لا يمكن الدفاع بصدق الوقائع ٠

وأخيرا فان القانون الجديد لعام ١٩٧٠ يمنح حماية أوسع بخصوص الإفشاء العلنى للحقائق الشخصية :

( أ ) فالمادة ٣٦٩ الحديثة تجعل جريمة الإفشاء العلنى لأى مستندات أمكن تسجيلها بواسطة جهاز لتسجيل الخطاب أو ما شابهها لأى شخص آخر دون موافقته جريمة معاقبا عليها ٠

( ب ) والمادة ٢٨٥ تقول انه فى حالة النشر فان الاجراءات تتخذ ضد المحرر أو الناشرين وفى حالة عدم امكان ذلك تتخذ ضد المؤلف أو اصحاب المطابع أو الموزعين ٠

ومن المهم الافادة انه طبقا للقانون الفرنسى فان أى شخص عادى أو مهم أو ذى شخصية عامة يمكنه المطالبة بتعويض فى حالة افشاء أسرار الشخصية طبقا للمادة ١٣٨٢ من القانون المدنى ولكن لا يوجد عقاب جزائى والتعويض يجب أن يكون مساويا للإصابة ٠ وكما فى القضايا الشخصية فان الإصابة عادة تكون نفسية وبذلك فانه ليس من السهل تقدير الشروط النقدية ٠

وتبعاً لذلك فان بعض المجلات الشعبية الأسبوعية لا تعوقها الجزاءات ، حيث ان قيمتها المالية ضئيلة ولا تؤثر عليها ٠ فمثلا فان المجلة التى تدفع تمويضا قيمته ١٠ر٠٠٠ فرنك ويكون قيمة توزيعها السنوى ٣٠ مليون فرنك عدا قيمة الاعلانات ، لن تراجع فى ترديده الاتهام اذا ما عاد عليها ذلك بزيادة فى التوزيع ، ولكن العقاب الوحيد الذى له تأثير جاد ضد المجلة الثرية هو مصادرة العدد ٠ واذا رجعنا الى سنة ١٨٥٨ فاننا نرى ان محكمة السين منعت نشر صورة لجثمان الممتلئة المشهورة

راشيل ، كذلك يمكننا أن نتذكر قرارا حديثا صدر عام ١٩٦٥ عن محكمة باريس في قضية فيليب ضد فرانس ديمانثس .

### القذف :

عرف القذف في الجملة الأخيرة من المادة ٢٩ من قانون الصحافة الصادر في ٢٩ يوليو عام ١٨٨١ والمعدل بالقرار المؤرخ ٦ مايو ١٩٤٤ كالآتي :

أي تعبير سيء أو اشارى احتقار أو إساءة ولا يحتوى على افتراء لعمل محدد يعتبر قذفا .

ومادة ٣٣ المعدلة عام ١٩٣٩ بالقانون التشريعى وأوامر نوفمبر ١٩٤٣ ومايو ١٩٤٤ تقرّر العقوبات التي يمكن توقيعها وتحدد أيضا أقصى عقوبة توقع في الحالات التي يكون الغرض منها هو القذف ضد الأجناس أو الأديان .

وأي قذف لا يكون في مكان عام يعطى الحق في اتخاذ إجراءات ، ولكن العقوبات تكون أخف حيث أن هذا يعتبر جريمة مخففة .

ويقرر قانون ١١ نوفمبر ١٨٨٧ الخاص بالتشهير والقذف عن طريق البريد والبرق المفتوح أن أي إنسان يرسل عن طريق البريد أو البرق مراسلات مفتوحة مثل البرقيات المعنونة التي تحتوى على عبارات تشهير ضد شخص آخر يكون عرضة للعقاب .

والإجراءات الخاصة ضد التشهير والقذف يمكن البدء بها عند التقدم بشكوى من الشخص الذى شهر به أو كان القذف ضده ، وهذا إجراء خاص بالقانون الفرنسى وكقاعدة عامة فإن القرار بالمحاكمة يتخذ دون الحاجة إلى أن يقوم المعتدى عليه بتقديم الشكوى .

والجزء الثانى من المادة ٤٨ من الفقرة ٦ تزيد التحفظ الآتى :

بجانب ذلك فإنه يمكن اتخاذ الإجراءات بواسطة المحامى العام رغم أنه لم تقدم شكوى ، إذا ما كان التشهير أو القذف قد وجه ضد جماعة من الناس من طائفة أو دين واحد ويكون الغرض إثارة الشعور بالكراهية بين المواطنين أو المقيمين .

### الافتراء :

في التعبير القانونى الفرنسى فإن معنى « الافتراء » بالضرورة يعنى عدم تصديق ، والقسم ٧ من قانون العقوبات المعنون « الشهادة الزور ، القذف والتعدي على السرية » يحتوى على الفقرة ٢ خاصة بالافتراء ، والمادة ٣٧٣ تحدد الجريمة بالمننى التالى :

أي شخص ، بأى طريقة ما ، يتقدم بتهمة الافتراء ضد واحد أو أكثر من الأشخاص إلى موظف قانونى أو إلى البوليس أو إلى أية سلطة لها الحق في اتخاذ إجراءات قانونية في الموضوع أو يعرضها على السلطات المختصة ، أو من يبلل بمثل

هذه البيانات الى الرؤساء أو من لهم سلطة على الشخص أو الأشخاص المتهمين ، يكون عرضة للحبس من ستة أشهر الى خمس سنوات وغرامة من ٥٠٠ الى ١٥٠٠ فرنك .

والأحكام القانونية تقرر بأن الاتهامات الكاذبة يجب ، حتى يمكن اعتبارها افتراء في المادة ٣٧٣ ، أن يكون الفرض منها اعطاء بيانات الى شخص رسمي لأفعال يمكن أن تعاقب جزائيا أو بعقوبات أخرى . والتصريح أمام القاضي بواسطة شخص طلب كشاهد لا يمكن اعتباره افتراء حيث ان الادعاء الكاذب لم يكن تلقائيا .

### سويسرا :

وهذا النوع من الحرمات الشخصية في سويسرا من حيث الحماية يقع تحت قاعدة حقوق الشرف التي تحميها الاعتداءات الثلاثة وهي التشهير والقذف والافتراء .

ويحدد التشهير المادة ١٧٣ في الجزء المسمى في قانون العقوبات بالاعتداءات ضد الشرف والتعدي على الأسرار الخاصة . وهذه المادة تشترط أن كل شخص يهاجم شرف شخص آخر أو ينشر أى اتهامات تهاجم شرفه إنما يرتكب جريمة التشهير .

والقاعدة العامة ان المتهم لا يعاقب اذا أثبت انه صادق في ادعائه أو ان لديه أسبابا قوية تجعله يصدق ذلك . ومع ذلك فانه يكون عرضة للعقاب اذا كان ادعاؤه قلم قبل أو نشر بغرض التشهير بشخص آخر ، خصوصا اذا كان يقصد حياته الشخصية أو العائلية ، وكان ادعاؤه صادرا بنية التجريح وليس لمساعدة العدالة .

وحكم المحكمة الفدرالية عام ١٩٥٥ يجعل من الواضح انه في الحالات التي تكون فيها المراجع الشخصية لشخص ما صحيحة فان المتهم لا يمنع من حقه في اثبات صحة مزاعمه ( أو مبررات اعتقاده بصحتها ) الا في الحالات التي لا يكون له فيها غرض حيوي وانما بغرض التشهير على الآخر . وهذا الحكم عزز عام ١٩٦٣ بواسطة المحكمة الفيدرالية .

والمادتان ١٧٦ و ١٧٧ تضعان الجزاءات الخاصة بالافتراء والقذف كالآتي :

ان حق الاحترام له معنى خاص في القانون السويسري والمحكمة الفيدرالية تقرر بوضوح في قرار لها عام ١٩٥١ مجال الحق الذي هو واجب على القضاة حمايته ، وهو سمعة الشخص أو شرفه ، أو السمعة من ناحية تجارته ، أو مهنته .

وفي القانون المدني يقع التهجم على سمعة الشخص تحت طائلة المادة ٢٨ من القانون المدني ، فالشخص الذي تعرض للتشهير والافتراء أو القذف له الحق في التعويض . وهذا يعنى ان له الحق في التعويض المدني على الشخص الذي أفشى حقائق تخص حياته الشخصية اذا كان هذا الافشاء احدى هذه الجرائم الثلاث .

## المملكة المتحدة ( إنجلترا ) :

ان القانون الجنائي أو قانون العقوبات في إنجلترا لا يوجد فيهما ما يحمي شرف أو سمعة الشخص ، وعليه أن يحاول إيجاد العلاج في القانون المدني . ولو ان القانون الجنائي يعتبر ان هناك تهمة الا أن المحاكمات قليلة جدا . ولا مكان النجاح فعمل المدعى اثبات ان عبارات التشهير قد قيلت في أحوال كان يمكن أن تسيء الى السلام . والاثام جعل لحماية النظام العام ، وليس سمعة الشخص المشهر به . وتبعاً لذلك فان اثبات صحة عبارات التشهير لا يمثل دفاعاً كما هو الحال في القضايا المدنية . وتوجد قاعدة قانونية في القضايا الجنائية وهو انه كلما كان الصديق ثابتاً عظمت التهمة ، أى ان الادعاء الصادق قد يؤدي الى المخالفة أكثر مما لو كان كذباً . ويمكن الدفاع في القضايا الجنائية بأن ما قيل كان للصالح العام .

واستعمال كلمات تؤدي الى الكراهية العنصرية أو التفرقة يعتبر جريمة ومع ذلك فان غرض هذا القانون هو النظام الاجتماعي لا الحماية الفردية .

والقانون المدني للتشهير معقد للغاية . ويمكن تلخيصه كالآتي :

التشهير المعاقب عليه هو الذي يميل الى التقليل من سمعة شخص آخر بين أعضاء المجتمع وتعريضه للكراهية أو للسخرية أو الاحتقار أو أن يتجنبه الناس . والتشهير كعمل ثابت كما في الكتابة يعتبر قذفاً ويجازى دون اثبات حدوث أى ضرر أى عدم اثبات ان المجنى عليه تحمل خسارة فعلية اما في مال أو فيما يقدر بمال . والتشهير العارض أو المؤقت أى في حالة الكلام يعتبر قذفاً . وفي بعض الحالات فانه يمكن المطالبة بتعويض اذا ما أمكن اثبات حدوث خسائر ، ففقدان السمعة فقط أو التحقير أو أو الإحراج لا يكفي .

واذا ما ثبت ان المتهم سيعاود أو سوف يستمر في التشهير ، فيمكن إيقافه من عمل ذلك بواسطة حكم كذلك يجعله معرضاً للغرامة . وفي الحالات التي يكون القذف فيها مهيئاً ومسيئاً فان التعويض قد يشمل عنصراً فيه عقاب رادع ولا يشمل فقط تعويض المجنى عليه بما يساوى خسائره الواقعية أو المتوقعة . فالتعويض في حالات القذف والظن يحكم فيه المحلفون . والمحلفون عادة يحكمون بتعويض شديد في الحالات التي تستحق وربما لهذا الغرض فان الاجراءات القانونية الخاصة بالتشهير عمل رادع أكثر مما يظن .

ولا يتخذ أى إجراء الا اذا كان التشهير ضد شخص غير المدعى . فالقذف في حق انسان في عدم وجود شخص ثالث يعتبر خطأ ( ولو ان الأشخاص الذين يستعملون لغة جارحة يمكن إيقافهم أى أن يحافظوا على السلام وأن يضبطوا أنفسهم ) .

ويوجد عدة دفعات في قضايا التشهير

فأولا الاحتجاج بصحة ما قيل أى اثبات ان التعبير المشكوك منه صادق تماماً ،

ومتي ثبتت تلك الحقيقة فإن الدفاع يكون قد نجح ، حتى ولو ان المتهم قال ما قال بسوء نية ويقصد تجريح المدعى وبدون أى سبب أو عذر لما قال . ولا يهم اذا ما كان ذلك موصوعا شخصيا ، أو مدى حكم الطبقة المحترمة العادية على ما قيل ، بل لا يهم أيضا ما اذا كان فى الوقت الذى قال فيه المتهم هذه الأقوال يعتقد صحتها ما دام فى امكانه اثبات الحقيقة عند المحاكمة .

وقانون التشهير لعام ١٩٥٢ يحدد الاحتجاج بالتبرير كالآتى :

ان منطق الحقيقة فى كل تهمة لا يثبت اذا كانت الكلمات لم تثبت صحتها ولا تجرح سمعة المدعى مع الأخذ فى الاعتبار حقيقة بقية الاتهامات .

ودفاع آخر ذو أهمية للصحافة وهو ان ما كتب كان تعقيبا عادلا لموضوع ذى أهمية عامة .

وقد تفشل دعوى بسبب الامتياز الكلى أو المخفف . فالامتياز الكلى يحى القضاة والناامين وأعضاء مجلس البرلمان من محاكمتهم بأى حال عن أى تعبير مسيء يقولونه فى المحكمة أو البرلمان والصحافة والراديو والتليفزيون اذا ما كرروا هذا التعبير بشرط أن يكون هذا دقيقا . وكثيرا ما يتحدث أعضاء البرلمان بإعادة ما قالوه فى حماية المجلس ، ولكن اذا لم يعيدوا أقوالهم فلا يمكن محاكمتهم .

ويمكن الدفع بالامتياز فى حالة ما اذا كان هناك منفعة متبادلة بين من ادلى بالقول والشخص الذى قيل له . ولا يحتج بالدفع اذا ما أبلغ بخبت أو بنية سيئة أو بصفينة والحبث يلغى الامتياز . فمثلا اذا ما أبلغ مدير شركة الى رؤسائه خطأ ان الصراف يزور فى الحسابات ، ففصل الصراف ، فلا يوجد تعويض ضد المدير اذا كان الخطأ بحسن نية وانه لم تكن نيته سيئة .

والاحتجاج بالامتياز المخفف يحرم الشخص المشهر به بتعابير خاطئة حول متانة مركزه المالى من أى علاج . وهنا يكون الحال مثلا اذا ما كان تعبير التشهير قد قيل لأحد أعضاء جمعية حماية التجار ، عملها تقديم المعلومات لأعضائها حول الأشخاص الذين قد يتعاملون معه ، ولكن لا يؤخذ بهذا الدفاع لمصلحة مكتب للاستعلامات مهمته جمع وبيع المعلومات لاي شخص من الجمهور .

والقانون المدنى لا يوجد به علاج للتشهير بالموتى اذا كان ما قيل صحيحا أو خاطئا حتى ولو جلب الحزن والاحراج أو الحسارة المادية لأقربائه . ولهذا لم يوجد علاج قضائى لأقرباء اللورد كولى عندما نشرت إحدى الجرائد عند موته الآتى :

« ان المنزل الذى مات فيه اللورد كولى مملوك للمستتر هنرى دافيز المالى ورئيس مجموعة شركة دافيز ذات الثروة الضخمة . ففى مايو الماضى قتل المستر بدوون زوجته وطفليه ثم قتل نفسه فى منزله ( منزل آخر وليس المنزل الذى مات فيه اللورد ) وذلك بعد ان تحطمت امبراطوريته المالية » .

وقد أحيل الموضوع الى مجلس الصحافة ، الذى حكم بأن العلاقة كانت من الدقة بحيث قد تجعل الكتابة عن الحادث مؤلة للأقارب والأصدقاء .

والتشهير بالميت قد يؤدى الى اجراءات قضائية اذا نشر بغرض أو باتجاه الى تجريح سمعة اقرباء أحياء بطريقة قد تجعلهم يحاولون الأخذ بثأرهم مما يؤدى الى تمكيد السلام - ومع ذلك فلم تتخذ اجراءات عند عرض مسرحية فى لندن بعد موت السير ونستون تشرشل تشير الى انه مسئول عن موت الزعيم البولندى الجنرال سكورسكى خلال الحرب فى حادثة طائرة .

وبخلاف التشهير ، فانه يوجد اجراء قانونى مدنى قد يحمى الانسان فى بعض الحالات سد الخوض فى حياته الشخصية . وهذا هو الاجراء فى القول الجيئ الكاذب . ولكى ينجح المدعى يجب عليه أن يثبت ان القول المشكو فيه غير صحيح وان ما قيل كان بنية خبيثة بدون أى سبب أو عذر ، وان المدعى قد وقع عليه ضرر منه وليس من الضرورى اظهار أى خسارة أو تهديد لسمعته . وعلى هذا فلو انه لا يعتبر تشهيراً اذا ما نشرت صحيفة ان تاجرا ما قد توقف عن العمل ولكن اذا كان هذا النشر تزويراً مقصوداً وانه سبب له خسارة فانه يمكنه رفع الدعوى . وهذه القضايا تقدم فى الأحوال التى يترتب عليها خسارة فى التجارة . وكذلك يقع الاتهام فى حالة ما اذا تأنت الحسارة قد تسببت من أقوال خاطئة خبيثة عن إخلق زوجة المدعى التى تساعد فى عمله .

ويمكن أن نرى من هذه المعالجة انه قد توجد عدة حالات تضع الانسان فى الحرج اذا ما قيلت بعض التماييز أو أفضيت بعض الحقائق الخاصة بالحياة الشخصية المتعلقة به أو بعائلته ولم يوجد هناك رادع قانونى مدنى أو جنائى .

والدعاوى التى أفضيت فى الولايات المتحدة والتى تعطى حماية للمدعى عليه الذى وضع فى موضع غير حقيقى خصوصياته بنشر غير معروفة فى القانون الانجليزى . ومنل واضح لذلك يظهر فى المثل التالى عندما نشرت مجلة صدرت فى ١٩٦٩ مذكرات فتاة من فتيات الشوارع تذكر فضيحة من الفضائح وقعت منذ ٦ سنوات خاصة بوزير حالى . وكان من نتيجة ذلك ان استقال الوزير واختفى من الحياة العامة . وبما أن الفضائح الواردة فى المذكرات كانت صادقة فلم توجد وسائل قانونية لاييقاف نشرها ولا علاج يمكن اتخاذه ولا توجد حماية ضد كشف الأسرار الماضية مهما كانت محرجة للشخص أو لعائلته ومهما كانت شخصية .

### الولايات المتحدة :

وقانون التشهير فى الولايات المتحدة يشبه بشكل واسع الموجود فى انجلترا . وكما ذكرنا فان هناك اجراءين مدنيين ومتطورين فى محاكم الولايات المتحدة يعطيان حماية أكثر وهما ينبعان من المبادئ المعترف بها فى قوانين الولايات المتحدة من

ان الانسان له الحق فى حماية خصوصياته والحماية متفرعة من الخطأ الخاص بالتهجم على الخصوصيات .

وأولهما هو الافشاء العلنى للحقائق الشخصية والدعوى ترفع حتى ولو ان التعبير لم يكن للتشهير وكان حقيقيا .

والدعوى الرئيسية هى دعوى ميلفين ضد ريد اذ أن احدى فتيات الشوارع التى نابت وصلحت وقاضت مخرجا سينمائيا لعرضه فيلما يمثل حياتها السابقة مستعملا اسمها الحقيقى . وكانت الفتاة تركت حياة الفجر منذ ثمانى سنوات وأصلحت نفسها . وقد حكم لصالحها وبتعويض عن التهجم على خصوصياتها .

وقد حلل الأستاذ بروز هذا النوع من التهجم المؤذى كالاتى :

**أولا :** أن يكون افشاء الحقائق الشخصية علانية وليس شخصا أى انه يجب أن تكون هناك علانية .

**ثانيا :** يجب أن تكون الوقائع شخصية وليست عامة .

**ثالثا :** ان الموضوع المعلن يجب أن يكون مضرا وغير مقبول لدى الشخص العاقل او للاحاساسات العادية . وبمعنى آخر فان ما نشر يجب أن يكون مما يعاقب وعليه لانه ضد آراء وعادات المجتمع .

ويختتم بقوله :

هذا النوع من الضرر هو شيء آخر مختلف عن التطفل ، فالمصلحة التى تحميها هى السمعة ، وهى ماثلة لنوع الضرر النفسى فى قضايا القذف والافتراء وهى فى الحقيقة جزء من التشهير الذى لا يقع فى النوع القديم من الأذى مع ازالة الدفع بالصدق .

والنوع الآخر من التطفل الحاطيء على الخصوصيات الذى اتسع فى الولايات المتحدة هو عندما يضع المتهم المدعى أمام الجمهور فى وضع خاطيء . وهذه الحالات تختلف عن حالات التطفل أو اظهار الحقائق الشخصية . ومرة أخرى فان المصلحة التى تحميها هى السمعة وهى مثل أهمية الضرر النفسى الناتج عن التشهير . اذ ان هناك تشابها فى حالات الافشاء ، ولكن الحالتين تختلفان فى ان احدهما تكون صدقا والأخرى لادبا ، احدهما حقائق شخصية أو خاصة والأخرى مخترعات . ويجب أن تكون هناك علانية . ويوجد كثير من حالات التشهير فى قضايا الكذب ، ولكن قضايا الخصوصيات لا تقع فى الحيز الضيق للتشهير ولذلك فان هناك حماية أكثر .

وكمثل لذلك الصاق آراء للمدعى لا يؤمن بها أو بعض كلام أو نشر مقال لم يقم بكتابته ، كنشر مجلة لآراء لرجل دين عن حرية الجنس لا يؤمن هو بها ولم يدل بها للمتهم ، أو نشر برقية موقع عليها من المدعى مرسلة الى محافظ تطلب منه عملا سياسيا غير قانونى ولا يمكن أن يعمل اذ انه موظف رسمى .

ومثل آخر لهذا النوع من الأذى الذى يظهر كثيرا هو اظهار صورة المدعى على كتاب أو مقالة أو اعلان لا شأن له بها . وقد يبرر اهتمام الجمهور بنشر الصور ، ولكن اذا كان الشخص لا علاقة له بالمقال فان اظهار صورته فيه تلميح بان المقال متعلق به . وهذا يضعه فى مظهر خاطئ أمام الجمهور ويعاقب عليه .

والاشارة الحاططة ليس من اللازم أن تعتبر تشهيرا ، ولو أنها كثيرا ماتكون كذلك ، ولذا يمكن اتخاذ اجراءات قانونية . ومن الواضح أن يكون ذلك غير مقبول للانسان العاقل . أما فى حالات النشر العلنى للخصوصيات فان الشخص الحساس جدا لا يجد الحماية المطلوبة .

### • ختام •

ما ذكرنا فانه من الواضح ان القانون قام بمسئوليته حديثا لحماية الانسان من الافشاء العلنى لحياته الشخصية والخاصة . وعندما توجد الحماية فانها انما تكون جزءا من الحماية السارية للأخطاء الأخرى مثل التشهير . والبلاد التى تعطى أهمية لحماية الأفراد فى حياتهم الشخصية عن طريق القانون المدنى من بينها المكسيك وبواسطة القانون العام من بينها الولايات المتحدة .

وفى إنجلترا لا يوجد حماية لهذا النوع من التهجم على الخصوصيات الا فى الدعاوى التى يثبت فيها التشهير . وفى الولايات المتحدة فالتهجم على الخصوصيات خطأ معترف به كشيء منفصل عن التشهير ولذلك فانه يقسم حماية أوسع .

وفى البلاد التى تطبق القانون المدنى فان الحماية الممكنة تكون عن طريق الخطأ الجنائى والتشهير والقذف والافتراء فى البلاد التى تطبق القانون العام من دعاوى التشهير .

وفى بعض البلاد التى تطبق القانون المدنى توجد قاعدة عامة تشريعية تشير عن طريق غير مباشر الى التشهير . وهذا فى حالة المكسيك اذ ان المادة ١٦ من الدستور تجعل العمل خاطئا وذلك بتجريح الشخص بنشر وقائع عن حياته الشخصية .

والحاجة الى التشريع الخاص بالتشهير ظهرت بالنسبة الى الصحافة ، فبعض هذه البلاد أصدرت قوانين خاصة بالتشهير عن طريق الصحافة . وهذا ينطبق على المكسيك وفرنسا والبرازيل اذ ان قوانين الصحافة فيها حديثة .

والدفع عن طريق القضايا المدنية يختلف اختلافا بينا . وفى بعض البلاد مثل فنزويلا فان طلب التعويض يجب أن يكون مقترنا بقضية جنائية . وكما رأينا فان هذا لا يعطى فرصة للنجاح نظرا لصعوبة اثبات الضرر فى الفترة القصيرة المسموح بها . وفى بعض البلاد الأخرى مثل سويسرا وفرنسا فان الاجراء المدنى يمكن اتخاذه منفصلا . ويعتبر هذا أفضل اتجاه .



وفي معظم البلاد التي تطبق القانون المدني فإن الإجراءات الجنائية تتخذ عندما يشكو الشخص المظهر به أو المقنوف في حقه . ومع ان هذا استثنائي فإنه يمكن تفهم هذا اذ انه موضوع شخصي . ومع ذلك فيمكن اتخاذ هذه الإجراءات بدون هذه الشكوى عندما تكون المصلحة العامة مرتبطة . وهذا هو الحال في فرنسا مثل التشهير بجماعة من الناس لأغراض دينية أو عنصرية .

وحق اثبات صحة الادعاءات كدفاع ربما يكون أهم نواحي القانون فيه ، وهو أحد الأشياء التي تظهر اختلافا واسعا بين البلاد . ونصل هنا الى مشكلة الأسرار الخاصة ، أي متى نضع الخط الفاصل بين الصالح العام والخاص ، بين الخصوصيات وحرية الكلام . ففي البلاد التي تطبق القانون العام مثل إنجلترا والولايات المتحدة فإن الدفع بصحة الادعاءات يكون غالبا دفاعا كاملا ، ولو ان القانون أقل جمودا في الولايات المتحدة . ومعظم المحامين في هذه البلاد يعتبرون هذه تصحية بحقوق الفرد الخاصة على محراب حرية الكلام . أما في البلاد التي تطبق القانون المدني فانهم يعترفون بأن هناك حالات يمكن الأخذ فيها بالدفع بصحة الادعاءات ، ولكن هذه الحالات تختلف من بلد الى آخر .

ففي بعض البلاد فإن هذا الدفع يمكن الأخذ به في حالات محددة . اذا كان هذا الادعاء للدفاع أو المحافظة على مصلحة عامة ( الأرجنتين ) . أو قيل عن موظف عام أثناء أداء وظيفته ( المكسيك وفنزويلا والبرازيل ) . أو اذا كان المتهم من واجبه الادلاء بالبيان المشكوك منه ( السويد ) . أو اذا كان الادعاء قيل بعد ثبوت التهمة المزعومة ( فنزويلا والأرجنتين ) . أو اذا كان هذا الادعاء قيل بنية صادقة للدفاع عن العدالة وليس بخبث للتجريح ( المكسيك والأرجنتين وسويسرا ) . أو اذا طلب الشاكي من المحكمة اثبات صدق الادعاءات التي قيلت ضده ( فنزويلا والأرجنتين والبرازيل ) .

وفي بعض البلاد الأخرى فإنه يؤخذ بصدق الواقعة الا في بعض الحالات المحددة :

اذا كان الزعم حول حياة الفرد الخاصة ( فرنسا وسويسرا ) . أو اذا كانت الادعاءات قيلت بغرض التجريح ( سويسرا ) . أو اذا كانت الادعاءات عن وقائع حدثت منذ عشر سنوات ( فرنسا ) . أو اذا كانت الادعاءات من عمل شمله العفو أو ان التهمة قد أُلغيت ( فرنسا ) .

وفي البلاد التي تطبق القانون المدني ، فإن الإجراءات الجنائية تتخذ اذا كانت الشكوى عن تعبير قيل بغرض خبيث ، بقصد التجريح ، كما ان هناك حقا مدنيا بالنعويض اذا ما ثبتت خسارة أو فقدان فعل . وهذا يمكن ان يؤدي الى تضيق في القضايا الخاصة اذا كانت الحسارة الناتجة عن التدخل في الخصوصيات غير مادية .

وأخيرا فإنه يجب التنبيه مرة أخرى الى الشروط الواردة في الفقرة ٢ من المادة ٩ من قانون الصحافة المكسيكي عام ١٩١٧ الذي يمنع النشر في الصحافة دون موافقة

الأشخاص المتعلق بهم الموضوع وهذا يتغلب على نقائص ما يتضمنه القانون لحماية الأفراد وهو احجام الشخص الذى انتهكت حرمة أسرارته خوفا من الاستمرار فى النشر اذا ما تقدم الى القضاء .

### استعمال اسم الشخص أو صورته أو ما يشابه ذلك

#### مقدمة :

فى كثير من الأنظمة القانونية ، وليس فى جميعها ، من المعترف به ان الانسان من حقه طلب المحافظة على استعمال اسمه أو سوء استعماله دون موافقته . فالاسم يمثل الشخص والمحافظة على الاسم هو جزء من المحافظة على شخصيته .

وصورة الشخص أو التشبه به تعرف الشخص كإنسان كفرد مختلف عن أى فرد آخر ، ولهذا السبب فان التشبيه يجب حمايته ، ولا يجوز استعماله دون موافقة صاحبه .

ولسوء الحظ فى مدينتنا هذه حيث يحتل التصوير مكان الكتابة أصبح التعدى على هذا الحق الأساسى للفرد متكررا خاصة نتيجة لانتشار الدعاية الحديثة والتصوير . وما علينا الا ان نرى جماعات السائحين الذين لا يرون أى قطر أو شعب الا من خلال عدسات آلات التصوير ، لنندرك كيف ان هذه الآلات أصبحت تهديدا للخصوصيات . ويمكن القول ان أى شيء يمكن رؤيته فى الطريق أو فى مكان عام لا يمكن اعتباره خاصا . ويمكن اعتبار هذا تصحيحا ، ولكن الملايين من الناس يستقبحون أن يأخذ صورهم غرباء دون موافقتهم .

وقد يكون هذا موضوع ذوق وتصرف وليس موضوع قانون ، ولكن فى كثير من الدول قوانين تعطى حماية ضد المصورين غير المسموح لهم واتخاذ اجراء قانونى ضدهم . وليس التهديد الأكبر هو تسجيل شبيهه للانسان أو صورته ، ولكنه نشر ذلك بدون وجه حق فى احوال قد تسبب له ازعاجا أو مضايقات أو لم يكن ذلك قد وافق عليه الانسان عندما صرح بتسجيل صورته .

ان اساءة الاستعمال هى التى تشكل تهجما على خصوصيات الفرد .

#### المكسيك :

لا توجد حماية قانونية حقيقية لاسم الانسان فى المكسيك ولكن توجد بعض الحماية لصورة الانسان أو التشبه به .

والحماية التى تمنح لصورة الانسان توجد فى فصل من قانون العقوبات وفى جزء من قوانين محددة كالقانون الفيدرالى الخاص بحقوق النشر .

والمادة ٣٤٨ من قانون العقوبات تختص بالنشر غير المصرح به للصور . فتقرر

ان أى شخص يسجل أو يصور انسانا بدون موافقته وفى نيته تجريحه ويقوم بنشر ذلك يعاقب على هذا الضرر .

ويلاحظ ان عنصر المقدر ضرورى لاثبات الضرر وبدون وجود تجريح فيه فانه لا يوجد ما يمنع من نشر صورة الشخص بدون موافقته الا اذا كان هذا فى دائرة قانون حقوق النشر .

ويحمى القانون الفيدرالى لحقوق النشر الشخص من نشر صورته بفرض الربح .

والمادة ١٦ من القانون تقول :

الشخص حر فى نشر الصور لأغراض تعليمية أو علمية أو ثقافية ، بشرط أن يعلن عن الأصل أو اسم المؤلف فى حالة النشر .

واستعمال أو نشر صورة الانسان لفرض الربح يجب أن يكون بموافقة أو موافقة من يمثله أو المنتفعين طبقا لقواعد الارث الموجودة فى القانون المدنى . ويمكن للشخص سحب موافقته ولكنه يكون عرضة لتعويض الحسائر الناتجة عن هذا السحب .

والمصورون المحترفون فى امكانهم عرض صور عملاتهم كتعبير عن مهاراتهم أو كأمثلة لأعمالهم ، بشرط أن لا يعترض على ذلك هؤلاء العملاء أو من يمثلم .

**فتزويلا :**

بالرغم من ان المواد من ١٠ الى ١٣ من مسودة قانون عام ١٩٦٠ الخاص بحماية اسم وشخصية الأفراد كانت بشيرا بصدر قانون حقيقى للتصوير ، فانه لم يصدر فى القانون الحالى هذا الحق .

والمادة ١٠ من مشروع القانون هذا اقترحت الآتى :

كل شخص له الحق فى عدم نشر صورته بدون موافقته الا اذا كان القانون لا يعارض ذلك . واستعمال صورة الانسان يجب أن لا تلحق الأذى بشرفه أو سمعته .

وأحد الأشياء التى تعطى الحماية فى القانون الجديد نشأت من المادة ٤٤ من قانون حقوق النشر الصادر فى ١٢ ديسمبر ١٩٦٢ وهى تقول ان نشر الصور المأخوذة عن طريق السلطات اما عن طريقها أو عن طريق طرف ثالث لفرض العدالة أو حماية الجمهور مسموح به وتبعاً لذلك فإن نشر الصور فى الحالات الأخرى غير قانونى .

وعادة فإن الحماية الوحيدة فى مثل هذه الحالات تغطيها المادة ١١٩٦ من القانون المدنى .

وقانون القصر ( المادة ١٠٣ ) تمنع النشر عن طريق الصحافة أو الراديو لأسماء وصور أو أية وسائل أخرى للتعريف بالقصر تحت ١٨ سنة الذين قاموا بعمل اجرامى أو كانوا ضحية اعتداء أو افساد أو غواية .

## الأرجنتين :

فى حالة استعمال الاسم أو التعريف فإن الوسيلة الوحيدة للتعويض هى ملء ما ينطوى عليه هذا من تهمة التشهير أو السب أو الافتراء حسب قوة التهمة . ولا يوجد ما يمنع فى القانون الأرجنتينى من أخذ الصور ولكن نشر صورة الشخص يخضع لمساير .

فالمادة ٣١ من قانون الاختراع تنص على الآتى :

لا يسمح بنشر صورة الإنسان بغرض تجارى بدون سابق موافقة . وفى حالة وفاته يجب الحصول على موافقة زوجته أو أولاده أو أقرب أقربائه أو والده أو والدته . وفى حالة عدم وجود المذكورين فليس من الضرورى الحصول على أية موافقة . ويمكن نشر الصور بدون أية موافقة اذا كان النشر فى صالح العلم والثقافة عامة أو اذا كان يخص أعمالا أو أحداثا تهم الجمهور أو حدثت علانية .

ويلاحظ ان التساؤل عما اذا كان النشر يعتبر طرقا للخصوصيات اذ أن ذلك يعتمد على الوضع الذى أخذت فيه الصورة . وعندما تصبح صورة الشخص مادة يهتم الجمهور بها فإن إعادة نشرها بدون موافقة لا تعتبر خطيئة الا اذا كان الغرض من نشرها هو تجريح صاحبها أو التشهير به أو الافتراء عليه . وفى هذه الحالة فإن النشر يعتبر خطيئة تحت المادة ١١٠ من قانون العقوبات .

والاحكام القضائية فى الأرجنتين تصمم على أن الشخص الذى يحصل على منفعة من الصور يجب أن يعاقب على ذلك حتى اذا ثبت انه لم تحدث خسائر .

والمادتان ١٠٧٧ و ١٠٧٨ من القانون المدنى تمطيان الحق فى طلب التعويض فى الحالات التى يساء فيها استعمال صورة الشخص أو اسمه أو تشبيهه .

## البرازيل :

ولا توجد تحفظات فى القانون البرازيلى ضد هذا النوع من التهجم على الخصوصيات ولكن بعض أجزاء المادة ١٦٢ من قانون العقوبات الجديد يمكن تطبيقها على هذا الموضوع حيث انها تشمل الآتى :

### التعدى على الحرية الشخصية :

أى شخص باستعمال وسائل علمية يتعدى على خصوصيات الآخرين أو لا يحترم سرية أحاديثه أو كتاباته التى ليست للنشر يكون عرضة للحبس لمدة لا تزيد عن ستة أو لفرامة تصل الى دخل ٥٠ يوما .

والعقوبات المذكورة تطبق على أى شخص افشى مواضيع سجلت بهذه الطريقة . ونشر الصور بدون موافقة صاحبها يعتبر اعتداء على الخصوصيات طبقا للمادة ١٦٢ .

والتحفظ موجه أساسا الى آلات التصوير والتسجيل المخفية . والحماية ضد أخذ أو نشر صور الشخص ولو انها ليست غير مباشرة الا انها مع ذلك مهمة .

### المانيا الغربية :

المادة ١٢ من القانون المدني تقرر الآتي :

الشخص الذي ينازعه آخر في حق استعمال اسمه أو الذي تعدى على مصالح آخر باستعمال اسمه بدون حق له الحق في المطالبة بإيقاف هذا التعدي حالا . وإذا كان هناك خطر من تكرار هذا التعدي فانه يمكنه أن يطلب من المحكمة إيقاف ذلك .

والمادتان ٢٢ و ٢٣ من القانون الألماني لحقوق الفنانين لعام ١٩٠٧ ( الذي ألفى عام ١٩٦٥ وحل محله قانون آخر ) تنظمان بالتفصيل حقوق الفرد الخاصة بالتشبيه به . والأحكام القضائية التي صدرت في ظل هذه القوانين كانت قليلة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك الوقت صدرت عدة أحكام مهمة .

وطبقا للمادة ٢٢ فيمكن توزيع الصور علانية بعد موافقة صاحب الصورة . وهذه الموافقة تعتبر ضمنية اذا كان الموديل قد أخذ أجره . وبعد وفاة الشخص فان حق النشر يكون لورثته .

وقد صدر حكم في ذلك لصالح الكونت زيلين عندما اعترض على نشر اسمه وصورته للإعلان عن سيجار .

وفي الأحكام التي صدرت بعد الحرب فان استعمال اسم الشخص لفرض الإعلان يعتبر انتهاكا للحق العام للشخص . ففي عام ١٩٥٨ حكمت المحكمة العليا بتعويض كبير لأحد رجال الأعمال عن صورة له وهو فوق حصان استعملت لفرض الإعلان عن أشياء جنسية . كما ان أحد المفتين قد حكم له بإيقاف إعلان صدر على شكل حديث خاص من مثله وورد اسمه فيه .

وبعد بعض التردد ، فقد وجد ان الشخصيات العامة يجب حمايتها ضد استعمال صورها لفرض الإعلان حتى ولو استعملت صور المسرح . فقد حدث عندما تزوج اثنان من المشهورين في عالم الفن ان إحدى الصور التي أخذت في هذه المناسبة نشرت بأحدى الصحف في العمود الذي ينشر اعلانات الراغبين في لزواج . وقد كسب الدعوى ضد الجريدة الزوجان رغم دفاع الجريدة بأنهما من الشخصيات التاريخية الحديثة . ولكن الحكم أخذ في الاعتبار ان هذا النشر فيه تلميح بان الزوجين التقيا نتيجة للنشر في هذا العمود .

ولوحات الشخصيات العامة .منها لوحات رجال الدولة والسياسيين والمجرمين والشخصيات التي تظهر في الأنباء يمكن نشرها ، ولكن يصبح هذا غير قانوني اذا كان

النشر بطريقة تتجاوز الحقوق الشرعية أى اذا كان هناك اشارة خفية أو تلميح فى الكلام .

والامتياز الممنوح للأشخاص المكن اعتبارهم من التاريخ الحديث يشمل المعلومات الخاصة بالمقائى التى تجعل منهم أشخاصا مشهورين ، ولكن هذا لا يشمل الأشخاص المتصلين بهم مثل خطبة أحد المجرمين .

### السويد :

والقانون السويدى يعطى حماية صغيرة فى هذا المجال . واحترام اسم الشخص أو صورته يرجع الى مقاييس الأخلاق الممولى بها فى الهيئات والجمعيات المهنية المختلفة ولكن التعويض قد يمنح طبقا لقانون حفظ حقوق النشر وقانون ٣٠ ديسمبر ١٩٦٠ .

ويعطى المجلس الخاص للتجارة والصناعة السويدى عند الطلب آراء حول مطابقة الاعلانات والأنظمة التجارية للمقاييس المعترف بها . ويتمتع المجلس بسلطة واسعة وينشر قراراته فى الكتب السنوية . اما فيما يختص بالاعلانات فانها تتبع المقاييس الموضوعة من غرفة التجارة الدولية .

واحدى القواعد الموضوعة لا تنشر صورة أى انسان معروف دون سابق موافقته . واستعمال صور الممثلات بخصوص اعلان عن قبعات السيدات اعتبر غير مرغوب فيه اذ ان العميلات قد يدور بخلدهن ان هذه القبعات تستعملها الممثلات الواردة صورهن .

والفصل ٢٧ ( ٢ ) من قانون حفظ المصنفات عام ١٩٦٠ يقرر ان نشر الصورة انى رسمت خصيصا غير مسموح به الا اذا وافق على ذلك صاحبها . ولكن المصور يمكنه عرضها لفرض الاعلان الا اذا لم يوافق على ذلك صاحبها .

### فرنسا :

وكما قلنا فان حق نشر الصور معترف به كمبدأ فى القانون الفرنسى .

ولا يوجد تشريع محدد خاص بالنشر غير المصرح به لصور الشخص أو اساءة استعمال اسمه . ولذلك يجب الرجوع الى الأحكام القضائية لنصل الى طبيعة ومدى العلاج الموجود .

وفى رأى البروفسور ديوبى ، أن اسم الانسان الذى يمكن عله من ضمن شخصيته ، يجب حمايته من جميع أنواع الاساءة ، وليس من الضرورى اثبات الحساسة حتى يطلب التعويض . وفى حكم صدر فى ٢٣ فبراير ١٩٦٥ تقرر ان احدى السيدات لا يمكنها أن تستمر فى استعمال اسم مختلق ، ضد رغبة أشخاص يحملون هذا الاسم تضرروا من خلط الأسماء .

وحق الانسان في صورته معترف به في الأحكام القانونية كجزء من حقوق الشخصية اذا ما كان هناك تهجم على خصوصياته .

وفي حكم لمحكمة باريس في ٢٧ فبراير ١٩٦٧ مبادئ عامة اذا ان مدام بريجيت باردو شكت من انها صورت داخل منزلها وهي في ملابس خفيفة . وقد وجدت المحكمة ان الصور أخذت بواسطة عدسات من نوع التليفوتو دون علمها . فقررت المحكمة ان حق الشخص في صورته ليس فيه استثناء في حالة النجوم والشخصيات المشهورة ، الا اذا كانت هناك موافقة على النشر . كما انه اذا كان النشر مسموحا به بخصوص حياتهم العامة فان هذا الافتراض غير مقبول اذا كان النشر عن حياتهم الخاصة .

وحكم محكمة السين في ١٨ مارس ١٩٦٥ يماثل هذا المبدأ فقد أخذت صورة بار تظهر رجلا مصطحبا امرأة صغيرة وهو منحني على البار امام بعض المشروبات . وأخذت الصورة بموافقتها ولكن ليس للنشر . وقد نشرت الصورة في مجلة بالعبارات التالية « في شارع الشانزليز به نجد عاهرات في سن ١٧ عاما . ولا شك أنه في بحر ١٠ أو ١٥ عاما ستكون نهايتها كامرأة سكيره فاسقة . وقد وجدت المحكمة ان الشاكي على حق في اتهمين ، أولا نشر الصورة بدون موافقة ، ثانيا استعمال الصورة بشكل خاطئ ، حيث ان العبارة تشير الى سمعة الأشخاص الظاهرين في الصورة .

#### سويسرا :

ان حق الانسان في استعمال اسمه معترف به في المادة ٢٩ من القانون المدني ويكون احدي « الحقوق الشخصية » . وهذه المادة تنشيء الآتي :

١ - اذا ما نازع شخص حق شخص آخر في استعمال اسمه فله الحق في الرجوع الى القضاء .

٢ - اذا ما استعمل اسم آخر بضرر ، فان من حقه طلب حكم قضائي بايقاف استعمال الاسم . ويمكنه المطالبة بتعويض اذا كان هذا العمل خاطئا ، كذلك المطالبة بتعويض أدبي اذا كان له الحق في ذلك .

أما حق الشخص في نشر صورته ، فان القانون الصادر في ديسمبر ١٩٦٨ يجعل نشر الصورة بدون إذن تعديا على خصوصياته . والمادة ١٧٩ التي ألحقت الآن بقانون العقوبات تحت عنوان « التعدي على الخصوصيات عن طريق آلات التصوير » تحرم الآتي :

أي شخص بتسجيل أو تصوير آخر دون موافقته أو تناول أي شيء يمس حياته الشخصية .

أى شخص يكتسب من تعريف شخص ثالث حقائق يعرفها أو حصل عليها بواسطة الوسائل المذكورة في الفترة السابقة .

أى شخص حفظ أو أوصل لشخص ثالث صورا يعرف أنها وصلت اليه بواسطة الوسائل المذكورة في الفقرة ( ١ ) •

في حالة اقامة دعوى يمكن حبس أو توقيع غرامة على الشخص المذكور •

وطبقا للقانون المدني فإن الشخص الذى أخذت صورته بطريق غير قانوني ونشرت أو أعيد نشرها في الصحافة أو بأى وسيلة أخرى دون موافقته يمكنه أيضا رفع قضية طبقا للمادة ٢٨ من القانون المدني ويحصل على تعويض عن هذا العمل غير القانوني •

### الولايات المتحدة :

يمكن لأى شخص أن يحمل اسما يحبه • وكثيرا ما يؤمرك المهاجرون أسمائهم ، ولا يمكن لأصحاب الأسماء الحقيقيين عمل أى شئ الا اذا كان تغيير الاسم يفرض ضار مثل التظاهر بشخصية وكيل المدعى للحصول على معلومات سرية من الشهود •

وقد قررت المحكمة العليا في جورجيا عام ١٩٠٥ أن استعمال اسم الشخص أو شبيهه بدون أخذ موافقته بفرض الاعلان أو الاتجار ينشئ تهجما على حقوق الفرد في القانون العام • وهذا القرار تبعه آخر عام ١٩٠٩ عندما قرر كبير قضاة رودايلاند أن نشر صورة الشخص بفرض الاعلان لا ينشئ أذى في القانون العام •

ومنذ ذلك الوقت فإن حق الانسان في السرية أصبح هو العلاج في ولايات عديدة في القضايا التي استعملت فيها الصور للاعلان • وهكذا دفع تعويض عندما استعملت الصور كاعلان عن محلات بقالة • ففي قضية شركة أولان ميلز ضد دود ، فإن صورة المدعية أخذت دون علمها أو موافقتها ، اذ أن المتهم أرسل ١٥٠٠٠ نشرة اعلانية بالبريد في ولاية اركانساس تحتوى على صورتها كما قام بتوزيع كروت تحتوى على صورتها بواسطة ممثليه من باب الى آخر • وقد فقدت المدعية وزنها ولم تتمكن من النوم نتيجة للتلميحات المهينة • وحكم لها بمبلغ ٧٠٠٠ دولار كتعويض •

ولا يعتبر قانونا أن يحكم للمدعى بتعويض في القضايا الخاصة بنشر الصور أو التشبيه بشخص كاعلان دون موافقته ، ولكن هذه الحالات محصورة في الاستعمال التجاري أو استغلال اسم الشخص أو صورته • وهذا حق مراعى الآن بواسطة التشريع في عدة ولايات • فمثلا فإن تشريع نيويورك لسنة ١٩٢١ ، الفصل ٥٠٦ المادة ٥ من الفقرة ٥٠ المعنون « حق الفرد في السرية » يقرر الآتى :

أى شخص أو شركة أو مؤسسة تستعمل لفرض الاعلان أو لأغراض التجارة اسم



أو صورة أى شخص على قيد الحياة دون سابق أخذ موافقته الكتابية ، أو موافقة والد الشخص الذى لم يبلغ سن الرشد ، فإن ذلك يعتبر مخالفا للقانون .

ويوجد رادع مدنى عن طريق الايقاف أو التعويض فى الفقرة ٥١ .

وحق السرية فى القانون العام فى امكانه اعطاء الحماية عن طريق حجز ضمان مالى فى كل الحالات وليس فقط فى قضايا الاعلان والتجارة .

وفى قضية جريغينى ضد الجمعية الطبية فإن المتهم نشر فى جريدة ذات انتشار كبير صورا للمدعى قبل وبعد اجراء عملية فى أنفه . وكان دفاع المتهم انه لا يوجد أى سبب لرفع الدعوى اذ ان الصور لم تنشر بفرض الاعلان . ولكن كان الحكم « ان أى مقال ولو فى نشرة علمية قد يكون اعلانا خفيا » ونجح المدعى فى دعواه .

وفى قضية سملر ضد دار نشر أولتم فإن المتهم قد نشر عدة صور للمدعية فى ملابسها الداخلية فى مجلة تجارية فى وضع غرامى جذاب . وقد حكمت المحكمة بان الصورة قد نشرت بفرض تجارى .

#### انجلترا :

وطبقا للقانون العام فلا يوجد احتكار أو حق الامتلاك فى استعمال أى اسم أو علامة ، أو وصف تجارى ، ولا يوجد علاج للاغتصاب الا اذا كان ذلك بطريق القش . والأسماء والعلامات التجارية توجد حماية لها الآن فى التشريعات المختلفة خلال قوانين حقوق النشر .

واسم العائلة ليس من حق الشخص القانونى وليس ملزما باستعمال الاسم الذى ولد به . واذا رغب فى أن يلقب باسم آخر فإنه يمكن من أخذ اسم آخر بالشهرة . ولا توجد اجراءات محددة . وكثير من الناس يظنون انه من الضرورى تقييد الاسم بالطريق الرسمى ، ولكن قيمة هذا السند هو انه يعطى اثباتا كتابيا لحقيقة ثابتة . ومع ذلك فإن الاسم الاول يمكن تغييره فقط عند التعميد أو عند التبنى .

واستعمال اسم شخص آخر دون موافقته لا يسبب اشكالا ، وقد رفضت دعوى ايقاف استعمال اسم شخص بواسطة شخص آخر ، وكانا يقطنان قريتين متجارتين وأطلق المتهم هذا الاسم على املاكه مما سبب ارتباكاً وازعاجاً .

ويعتبر خطأ استعمال اسم مؤلف معروف لمحاولة بيع نشره . ولكن فى قضية كلارك ضد فريمان فشلت دعوى مرفوعة بواسطة دكتور مشهور استعمل اسمه على بطاقة جبوب .

ويمكن اقامة دعوى لحماية اسم الشخص اذا كان هناك اشارة خفية تعتبر تشهيراً . وفى قضية بريس وشركائه ضد شركة الطباعة المتحدة اعتبر أن وجود اسم الشركة على الاعلان فيه مخالفة للعقد . كذلك فى قضية تولى ضد فراى الذى هو لاعب جولف

مشهور من الهواة حكم له بتعويض عن التشهير به نتيجة استعمال صورته في نوع من أنواع الشيكولاته ، اذ اعتبر انه تخلى عن مركزه كهاو . ولكن من المشكوك فيه أن هناك اتفاقا لو أن لاعب الجولف كان محترفا .

واستعمال الأسماء بدون سابق الموافقة في أغراض الاعلان اعتبر أيضا غير قانوني اذا ما وضع المدعى في مسئولية بسبب الاعلان عن السلع .

ويمكن اقامة الدعوى لحماية اسم الشخص على أن يكون هناك مصلحة مادية اعتدى عليها بطريقة أو أخرى . ويكون الشخص مسئولا عن هذا الخطأ .

في أثناء بيع أو عرض سلعة أو خدمات في المنطقة التي يكون فيها المدعى منافسا له ثم يعرضها على أنها من انتاج المدعى بطريقة محسوبة ليخدع الجمهور حتى يظنوا انها من سلع وخدمات المدعى أو شركات ينتمى اليها .

ففي قضية سيم ضد هانيز لم توافق المحكمة على إصدار إيقاف شخص عن تقليد صوت ممثل مشهور في التلفزيون التجارى بدون سابق موافقته .

وما قيل حول الأسماء ينطبق أيضا على تشبيه الشخص . وكثيرا ما يشار الى القضية الآتية : كوريللي ضد وول حين لم تنجح المدعية في الحصول على حكم ضد نشر صور ملونة تمثل المدعية وسط موقف خيالي في حياتها .

وقد يمكن الحصول على حماية غير مباشرة ضد التشبيه بالشخص في ظل قانون حق النشر . ففي قضية ولهم ضد سيتل كان المتهم كصور محترف مستخدما لأخذ صور أثناء عرس المدعى . وبعد مضي بعض الوقت قتل حمو المدعى ونشرت جريدتان الصور مما سبب حزنا شديدا للمدعى وزوجته . وقد نجحت الدعوى على أساس نقض مرسوم حق النشر لعام ١٩٥٦ . وكان هذا الدفاع منصبا على حق النشر الممنوح للمتهم . ولكن حسب العقود الجديدة التي توقع بين الأطراف والتي تعطي حق النشر للمصور ما كان ممكنا للزوجة أو المدعى رفع الدعوى .

وفي حالة ما اذا أظهر المتهم أن هناك تعاقدًا بينه وبين المدعى ، فانه من الممكن رفع قضية عن خرق الاتفاق . ويوجد العديد من الأحكام التي تمنع المصورين من استعمال صور لعملائهم لأغراض الاعلان على أساس أن هذا يكون خرقا لمادة من العقد .

وقد حكم أيضا في الحالات التي تساء فيها الثقة التجارية . فقد حكم في قضية بولارد ضد الشركة الفوتوجرافية أنه هناك طرق للعقد فقط ولكن خرق للثقة أيضا .

ويمكن القول أن استعمال اسم الشخص أو تشبيهه لا يعتبر عملا يستحق العقاب بل أنه لايعتبر عملا مؤثما في القانون الانجليزى . والحماية التي تعطي هي حماية غير مباشرة لعلاج أخطاء أخرى مثل التشهير وخرق حقوق النشر والتعاقد والثقة .

## مختتام :

أن وجود حق عام لحماية اسم الشخص أو صورته معترف به فقط في قوانين فرنسا وسويسرا وألمانيا . وفي غير هذه البلاد فانه من المشكوك فيه وجود حماية كافية لمثل هذا النوع من التهجم على الخصوصيات .

أما بخصوص الحماية من اساءة استعمال اسم الشخص فانه يوجد في عدد من البلاد التي تقوم بذلك اذا أسىء استعماله لأغراض الاعلان أو اذا نتج أخطاء أخرى مثل الأذى أو القس . ولكن فرنسا وسويسرا وألمانيا الغربية تعترف بالحق العام لمنع التظاهر باسم شخص آخر .

وحماية النشر غير المسموح به للصورة أكثر استعمالا .

وألمانيا الغربية وفنزويلا هما البلدان اللذان يعترفان بحق الحماية ضد نشر صورة الشخص أو تشبيهه دون موافقته . والعلاج في كلتا الحالتين يكون بواسطة القانون المدني .

وفي البلاد الأخرى فان إعادة نشر صورة المدعى غير قانوني اذا كان ذلك في حالات خاصة أو لأغراض خاصة .

ففي المكسيك فانه عمل خاطيء القيام بذلك بفرض تجريح شخص ، وفي فنزويلا يعتبر خطأ مدنيا اذا ما حدث ذلك بطريقة تجرح كرامة الانسان أو سمعته .

وفي بعض البلاد يوجد علاج مدني اذا ما استعمل التشبيه لأغراض الاعلان ( ألمانيا الغربية والولايات المتحدة وإنجلترا ) أو بصورة عامة لأغراض تجارية أو للربح ( المكسيك ، الأرجنتين ، الولايات المتحدة ، إنجلترا ) بل انه في بعض ولايات الولايات المتحدة يعتبر هذا عملا يعاقب عليه .

والبلاد التي يمكن فيها رفع دعاوى خاصة بنشر صور أخذت في احوال تعتبر خرقا للسرية هي فرنسا وسويسرا والبرازيل . ففي فرنسا تكون الدعوى بواسطة قضية مدنية . وفي البرازيل يعتبر ذلك خطأ مدنيا في القانون المدني وجنحة في قانون العقوبات ، أما في البرازيل فعند صدور قانون العقوبات سيصبح ذلك جنحة .

وفي العديد من البلاد هناك استثناءات للإجراءات القانونية في حالة ما اذا كانت الصورة لشخصية مشهورة ولا ترقى الى حالة انتهاك السرية ( فرنسا وألمانيا الغربية ) أو اذا ما كانت الصورة أخذت في مناسبة عامة ( الأرجنتين وفرنسا وألمانيا الغربية ) أو اذا كان النشر في الصالح العام أو لخدمة العلم والثقافة ( المكسيك والأرجنتين ) .

## افشاء المعلومات الخاصة

### سرية المهنة

تمثل طبيعة سرية المهنة أحد الأنواع الكلاسيكية للسرية ، وقد اعترفت معظم الدول بحاجتها الى شروط لحمايتها . ولكن الفرق بين الدول ان بعضها تطبق القانون العام ( الا فى الحالات التى يفسى فيها الأسرار الرسمية رجال الدولة ) وهى تعتمد على القضايا المدنية أو الاجراءات التنظيمية للهيئات المهنية ، وبين الدول التى تطبق القانون المدنى التى تعتبر خرق سرية المهنة عملا مؤثما .

### الكسليك :

يوجد اجراءان فى قانون العقوبات يجملان من خرق سرية المهنة عملا مؤثما .  
فالمادة ٢١٠ من قانون العقوبات تقرر أنه فى الحالات التى لا يقررها القانون فان أى شخص يكشف أسراراً أو معلومات خاصة وكلت اليه لطبيعة مهنته أو وظيفته أو مكانته ، دون أن يحصل على موافقة من اثمنه عليها وهو يعلم خطورة ذلك ، فانه يعاقب بالحبس من شهرين الى اثنى عشر شهرا أو غرامة من ٥ الى ٥٠ بيزيته .

والمادة ٢١١ تضع شروط مماثلة مع عقوبات أكثر للأشخاص العاملين فى المهن الفنية وموظفى الدولة والموظفين العموميين وأى شخص له اتصال بالمعلومات الصناعية السرية .

وهذه الشروط مذكورة مرة أخرى فى المادة ١٢ من قانون الصحافة التى تقرر ان أى مستخلم مذنب بافشاء حقائق تعلمها أثناء خدمته الرسمية يكون مصيره الفصل ويعاقب طبقاً للمادتين ٢١٠ و ٢١١ من قانون العقوبات الخاص بسرية المهنة .

واخيراً فان المادة ٣٨٣ من قانون طرق المواصلات تضع نظاماً مشدداً لسلك الموظفين العاملين فى خدمات اللاسلكى وما شابهه .

### فنزويلا :

والمادة ١٩٠ من قانون العقوبات فى فنزويلا تقرر :

أى شخص أوثق على معلومات سرية نظراً لوظيفته أو مهنته أو تجارته وكان افشاء هذه المعلومات يؤدى الى ضرر فاذا افشى هذه الأسرار ( الا فى حالة طلب ذلك قانوناً ) فانه يعاقب بالحبس من ٥ الى ٣٠ يوماً .

والمادة ٢٠٦ تقرر نفس الشروط لموظفى الدولة وبالعقوبات أشد .

## الأرجنتين :

تقرر المادة ١٥٦ من قانون العقوبات توقيع الغرامة على أى شخص تمكنه وظيفته أو تجارته أو مهنته أو حرفته أن يكون فى حوزته معلومات ذات سرية ويكون من نتيجة افشائها ضرر بدون أى سبب .

والمادة ١٥٧ من قانون العقوبات تقرر نفس الاشتراطات على الموظفين العموميين ، وبجزاءات أوقع ومنها الحبس .

وإذا ارتكب عمل من هذه الأعمال فيمكن استخدام القضاء المدنى المادتين ١٠٧٧ و ١٠٧٨ من القانون المدنى .

## البرازيل :

الباب السادس من قانون العقوبات لعام ١٩٤٠ يحتوى فى القسم الرابع موضوع « التعدى على أسرار المهنة » .

والمادة ١٥٤ من القانون ١٩٤٠ والمادة ١٦٣ من قانون العقوبات الجديد تقولان .  
الأشخاص الذين يؤتمنون على معلومات خاصة اكتسبت بطريق الوظيفة أو المهنة أو العمل ويفشون هذه المعلومات بدون أى سبب مما يسبب اذى للآخرين يعاقبون بالحبس لمدة من ٣ الى ١٢ شهرا أو بغرامة من واحد الى عشرة كرويزر .

## المانيا الغربية :

ان المادة ٣٠٠ من قانون العقوبات تعاقب على افشاء المعلومات السرية . والقسم الاول يمنع الأطباء وأطباء الأسنان والكيميائيين وأعضاء المهن الطبية والمحامين والمهندسين ( بخصوص براءات الاختراع ) ومسجلى الدعاوى والخبراء الاقتصاديين والمحاسبين من افشاء أسرار المهنة .

والمادة ٣٥٣ تعاقب الموظف العمومى على افشاء المعلومات السرية ، والموظف العمومى فى هذا الخصوص هو الذى يعمل فى هيئة عامة . ومحاولة ارتكاب هذا العمل يعاقب عليه أيضا .

والمادة ٤١٢ من القانون المالى تعتبر أى افشاء غير مصرح به لمعلومات خاصة بشأن أعمال مالية عملا مؤثما .

وإى اتصال بحرية موظف فى منشأة خلال فترة عمله بنية ابلاغ معلومات سرية أومن عليها تعتبره المادة ١٧ من القانون الألمانى للمنافسة غير العادلة لعام ١٩٠٩ جنحة بشرط أن يكون هذا الاتصال قد حدث بفرض المنافسة أو للكسب أو لاحداث ضرر .

والمادة ٩ من قانون الائتمان تجعل العمل مؤثما اذا ما أفشى موظف فى الادارة

المالية للدولة أو البنك المركزي معلومات سرية . وهذا ينطبق على الموظفين الذين تركوا الخدمة .

وفي عام ١٩٧٠ قررت المحكمة العليا ان النظام المتبع في المحاكم في ارسال ملفات الطلاق الى المركز الرئيسي للإدارة المدنية التي يعمل فيها أجند المطلقين بدون سابق موافقته ، غير مقبول إذ أن ملف الطلاق بطبيعته يكشف تفاصيل الحياة الشخصية ونذلك فانها منعت ذلك .

### المسويك :

القسم ٣ من قانون العقوبات لعام ١٩٦٢ يقرر « أنه اذا أفشى أحد موظفي الدولة ما هو من أسرار عمله ، أو اذا استخدم بدون حق مثل هذه الأسرار فانه يوقف عن عمله أو يفصل لهتك أسرار المهنة » .

وفي بعض القضايا يقرم أو كليهما .

وهذا القسم ينطبق على من ترك خدمة الدولة .

وفرض السرية على المحامين موجود في المادة ٣٤ الفقرة ٢ من قانون نقابة المحامين السويديين .

ومرض السرية على الأطباء موجود في فقرات بالمادة ٦٠ من التعليمات العامة للأطباء عام ١٩٣٠ و ١٩٦٣ و ١٩٦٧ وفي المادة ٣١ من قانون المستشفيات عام ١٩٤٩ . وبالإضافة الى هذه المواد – والعديد من التعليمات الادارية المطبقة على الأطباء السويديين العاملين في الخدمات العامة – فان نقابة الأطباء تبنت عام ١٩٥١ تشريفا اخلاقيا ، غير انه لا يحمل اجازة قانونية . وطبقا للمادة ٨ من هذا التشريع ، فان الطبيب عليه أن يتأكد من ان مساعديه يطبقون قاعدة السرية .

وكثير من الأطباء هم من موظفي الدولة ، وعلى هذا ينطبق عليهم الفصل الثالث من قانون العقوبات .

وفي قانون البنوك السويدي لعام ١٩٥٥ تضع المادتان ٩٨ و ١٩٢ القواعد الخاصة بالسرية للعاملين في البنوك .

والمحاسبون يمنحون رخصة العمل بواسطة القرف التجارية ، التي يمكنها تأديبهم عن طريق سحب أو إلغاء رخصة المحاسب الذي يخالف واجب مهنته . ومن بين هذه الواجبات السرية التي يقسم المحاسبون بالمحافظة عليها عند استلام رخصتهم . ويوجد أيضا احتياطات في قانون الشركات المساهمة الصادر عام ١٩٤٤ عن واجب السرية . والمنهن الآتية يشترط القانون عليها سرية المهنة : رجال الدين ، الصيادلة ومساعدوهم ، جميع الأشخاص الذين يقدمون المشروبات الروحية ، رجال البريد ، مرشدو الزواج ، والمولدات .

ويوجد تشريع خاص يختص بواجب السرية للموظفين العموميين عن الصحافة وعن بيع المشروبات الروحية . ففي الحالة الأولى فإن الواجب عدم افشاء شيء في محتويات المستندات حتى لا يكون المستخدم عرضة للعقاب في حالة اعطاء معلومات شفوية للصحافة .

وكما في البلاد الأخرى فإنه يوجد وكلاء ائتمان لاعطاء استعلامات عن حالة الشخص المالية ، أو طبع نشرات دورية للكيميالات التي قدمت للبروتستو ، وأحكام المحاكم ، والمحاکمات ، والمطاعات ، الخ . ومثل هذه الاستعلامات يحتفظ بها في آلات الكمبيوتر . ويوجد تمييز بين اعطاء الاستعلامات لأشخاص معينين يعنيهم الأمن ، وبين النشر العام لمثل هذه المعلومات . وقد أصدرت المحكمة العليا السويدية حكما بتغريم إحدى الوكالات ٥٠٠٠ كرونة كتعويض للتشهير باعطائها بيانات ثبت عدم صحتها . ويمكننا الحكم بأن اعطاء بيانات صحيحة من هذا النوع لا يعتبر قابلا للتقاضي .

وحق الامتياز عن افشاء سر المهنة عند اعطاء شهادة مشروط في الفقرة ٣٦ من الفصل ٥ من القانون السويدي للإجراءات الجنائية . والقاعدة العامة أن الأشخاص المذكورين بعد لا يمكن الضغط عليهم لاعطاء شهادة في المحكمة ، وهم : موظفو الدولة ، والموظفون المعينون أو المنتجون لأداء أعمال رسمية ، والمحامون ، والأطباء ، وأطباء الأسنان ، والدايات أو المساعدون في هذه المهنة . ومع ذلك وباستثناء محامي الدفاع وموظفي الدولة والعاملين بها فإن الأشخاص الذين ذكرناهم يمكن إجبارهم لاعطاء شهادة في القضايا الجنائية لعمل يعاقب عليه بما لا يقل عن حبس سنتين .

ورجال الدين معفوون من ذلك .

فرنسا :

والموضوع تحكمه المادة ٣٧٨ من قانون العقوبات الناشئ عن قانون ٢١ فبراير ١٩٤٤ ، والمعدل بالأمر الصادر في ٢٨ يونيو ١٩٤٥ .

وهذه المادة تبين الآتي :

الأطباء والجراحون وأي مهنة طبية أخرى وكذلك الصيادلة والدايات وكل الأشخاص الآخرين الذين في حوزتهم معلومات سرية أئتمنوا عليها بسبب عملهم أو وظائفهم أو تشغلهم وظائف ثابتة أو مؤقتة ، ويفشسون هذه الأسرار ، إلا إذا أمروا قانونا بعمل ذلك ، فإنهم يعاقبون بالحبس لمدة من شهر إلى ستة أشهر وغرامة من ٥٠٠ فرنك إلى ٣٠٠٠ فرنك .

واشتراطات المادة ٣٧٨ عن سرية المهنة عامة وغير مقيدة في تطبيقها . وهي تغطي كل الذين يسبب عملهم أو مهنتهم احترام طبيعة أسرار مثل هذه المعلومات سواء كانت الوقائع التي يعلمونها تحت ستار السرية أئتمنوا عليها عن طريق الأفراد أو اكتشفوها أثناء تادية أعمالهم .

وقواعد سرية المهنة فرضت على الأطباء كالتزام مهني . وعلى هذا الأساس يمكنهم رفض اعطاء الشهادة في المحاكم عن حقائق علموا بها من خلال أداء أعمالهم .

ومع ذلك ، فإن المجلس الوطني في ٨ مايو ١٩٧١ تبني شرطا هو أنه في حالات القسوة على الأطفال ، فإن الطبيب يكون غير ملتزم بسرية المهنة المقررة في المادة ٣٧٨ من قانون العقوبات . والنص يشير الى أنه في حالة تطبيق المادتين ٦٢ و ٦٣ من قانون العقوبات ( وهما تعالجان عدم افشاء المعلومات حول جريمة أو اعتداء في سبيل التنفيذ أو مساعدة شخص في ضيق ) فإن الطبيب أو أى شخص آخر ممنوع من افشاء سرية المهنة يكون في حل من هذا الالتزام .

كما أن الأحكام القضائية توسعت في مجال المادة ٣٧٨ من قانون العقوبات ليشمل القضاة والمحامين والمنفذين القانونيين ورجال الدين الكاثوليك وكل رجال الدين « جميع الأشخاص المؤتمنين بسبب وظائفهم أو مهنتهم على معلومات سرية » ومع ذلك فإن الأحكام انقضائية لم تشمل رجال الصحافة .

والمحامي في أى حال من الأحوال حتى اذا هدد باستعمال القوة ، لا يجوز أن يكشف لآى أحد شفاة أو كتابة أسراروا أعطيت له أثناء تادية مهنته .

والقساوسة الكاثوليك من بين أولئك الذين ينطبق عليهم سرية المهنة ، ليس فقط عن الأشياء التي يؤتمنون عليها أثناء الاعتراف بل على كل ما ظهر لهم أثناء عملهم .

وتوجد بعض الاستثناءات تسمح بالكشف عن أسرار المهنة في الحالات المدنية . المادة ١٩٧٥ من القانون المدني تقول ان العقد الذي يكفل منحة سنوية طول الحياة لصالح شخص يشكو من سوء صحته يصبح ملغى اذا ما توفي الشخص خلال عشرين يوما من عمل العقد . وفي هذه الحالة فإن القاضى يمكنه سماع شهادة الطبيب الذى عالج المتوفى خلال الفترة السابقة لوفاته .

## سويسرا :

يفرق القانون السويسرى بين سرية المهنة وسرية العمل ، فالمادة ٣٢١ من قانون العقوبات يعدد الأفراد المفروض فيهم المحافظة على سرية المهنة وهم رجال الدين والمحامون والمراجعون الذين أقسموا على المحافظة على السرية طبقا للتشريع ، والأطباء وأطباء الأسنان والصيادلة والمولدات ومساعدوهم وكذلك الطلبة الذين يحصلون على معلومات سرية أثناء دراستهم .

وتوجد استثناءات قانونية للافشاء طبقا للتشريعات الفيدرالية أو الولاية التي تحتم اعطاء المعلومات للسلطات أو التّشهادة في المحكمة . والمادة ٧٧ مع ذلك تقرر ان رجال الدين والمحامين والصيادلة والمولدات ومساعدوهم لا يمكن اجبارهم للشهادة حول



أسرار أؤتمنوا عليها بسبب مهنتهم . وطبقاً للمادة ٧٨ لا يمكن سماع شهادة رجل رسمي عن أسرار يحتفظ بها لطبيعة عمله كما لا يمكن إجباره لإبراز مستندات رسمية دون سابق موافقة رؤسائه .

وقانون الأسرار الرسمية تحكمه المادة ٢٣٠ من قانون العقوبات التي تقرر معاقبة أى شخص بالغرامة أو الحبس يفشى معلومات سرية أؤتمن عليها بصفته عضواً أو مستخدماً في هيئة رسمية ، أو علم بها بسبب وظيفته أو عمله .

وافشاء مثل هذه المعلومات توجب المعاقبة حتى بعد تركه العمل .

ومع ذلك فإن الإفشاء لا يعاقب عليه إذا ما كان ذلك بموافقة كتابية صادرة من سلطة أعلى .

والمادة ١٧٩ و ( ٢ ) المعنونة « انتهاك الأسرار الخاصة » تعتبر ان إفشاء أو الحصول على أية منفعة من أية معلومات توصل الحصول عليها عن طريق فتح خطاب أو طرد لشخص آخر يعاقب عليه .

والمادة ٢٦٧ تنشئ عملاً مؤثماً يسمى الجناية الدبلوماسية التي ترتكب إذا ما أفشى أى شخص أو سهل الحصول لهيئة أجنبية أو عملاتها أو للجمهور أسراراً يجب المحافظة عليها لصالح الاتحاد .

وطبقاً للقانون الإداري فالطرف الذى أودى يمكنه طلب اجراء تأديبي ضد مستشاره الفنى أو أية هيئة عامة أفشت أية معلومات خاصة عنه .

وأخيراً ، فطبقاً للقانون المدني ، فإن الشخص الذى أؤتمن على مواضع خاصة لمستشار فنى أو هيئة عامة يمكنه إذا ما أذاعوا هذه المواضع طلب التعويض اما طبقاً للمادة ٢٨ من القانون المدني أو طبقاً لشروط العقد الموقع مع مستشاره .

### الولايات المتحدة :

ان الحماية الممنوحة للمعلومات السرية تختلف تبعاً للعلاقة التي تنشأ عن السرية ويوجد عدد كبير من التشريع الفيدرالى . والمقاطعات تنظم مسئولية الموظف العام فى إفشاء المعلومات السرية . فمثلاً ، أى موظف أو مستخدم فى ادارات أو مكاتب الدولة ينشر أو يفشى أو يذيع أو يعرف بأى طريقة أو الى أى مدى دون سابق موافقة قانونية أى أخيار حصل عليها أثناء تأدية وظيفته أو عمله الرسمي يتعرض للغرامة أو الحبس أو كليهما ويفصل من عمله .

وتوجد شروط ماثلة فى التشريع الذى ينظم تسجيل الأجانب ، والمعلومات عن القطن والانتاج الزراعى ومكتب الاحصاء . والقول الانجليزى أن مستندات الدولة لها امتياز حيث ان نشرها قد يوقع الدولة فى حرب ، قد أكد فى الولايات المتحدة .

والقانون الخاص بالاتصالات السرية بالأطباء والتمس لحصته نشرة فورست كون  
القانونية كالاتى :

أن القانون العام لم يعط امتيازاً لما يقال بين الطبيب ومريضه . وقد ألغت القوانين  
الحديثة هذه القاعدة وأصبح ما يقال اليوم بين الطبيب ومريضه له حق الامتياز .  
والفرض من مثل هذه القوانين هو تشجيع المريض ليكشف للطبيب كل الحقائق التى  
يرغب فى معرفتها لتمكنه من اعطاء العلاج الصحيح وذلك بازالة أى خوف من جهة المريض  
من ان الطبيب قد يكشف هذه الحقائق اذا ما دعى للدلاء بشهادته . وغرض التشريع  
النهائى هو الحصول على العلاج الصحيح ، والأشياء التى تبلغ للطبيب تشمل معلومات  
حصل عليها بصفته المهنية أثناء اشرافه على المريض سواء حصل عليها أثناء الحديث أو من  
الفحص والمراقبة ، شريطة أن تكون هذه المعلومات ضرورية للطبيب للتشخيص أو لمباشرة  
العلاج . ومع ذلك فلا يوجد حد فاصل بين ما اذا كان هذا الاتصال ضروريا أو عدمه  
اذ ان المريض قد يكون فى حالة لا يعرف فيها نفسه .

وقاعدة الامتياز عامة لا تمنع الطبيب من اعطاء شهادته حول الحالة النفسية لمريضه  
فى حالة ما اذا وقع المريض على مستندات الوراثة والمنح وفواتير البيع وما شابهها ،  
كذلك من اعطاء شهادته عن الحالة الصحية اذا ما كان ذلك خاصا بالتشريع لمعرفة أسباب  
الوفاة . وتتعترف معظم الولايات بأن القاعدة ليس الغرض منها حماية المجرم ولذلك  
فإنها لا تطبق فى حالات الاجرام .

كذلك فان رجال الدين لا يصرح بما قيل له عند الاعتراف على شرط أن يكون  
ذلك بالطريقة التى تتمتع بها الكنيسة التى يتبعها .

وامتياز عدم افشاء ما قيل بين المحامى وموكله مطلق . وكان معترفا به أصلا  
على أساس انه التزام جنتلمان . ولكى يكون التقاضى صحيحا يجب أن يكون بواسطة  
رجال محترفين . ومن الضرورى لكى يشتكى الانسان أو ليدافع عن حقه أن يكون له  
دفاع محترف . واذا لم توجد حماية للأسرار فربما يحتفظ بجزء من قصته .

## انجلترا :

ينشأ سؤالان منفصلان فى القانون الانجليزى ، الأول عن المدى الذى يضع فيه  
الشخص نفسه حين يفشى معلومات سرية ليكون عرضة لمحاكمته اما طبقا للقانون  
الجنائى أو المدنى ، والثانى مدى ارغام الشهود المهنيين على افشاء أسرار مهنية فى  
أثناء المحاكمات .

## مسئولية الافشاء غير المناسب :

يقرر العديد من القوانين ان الموظف الحكومي أو العام اذا ما افشى معلومات حصل عليها أثناء عمله يعتبر مؤثماً .

وموظفو المالية ومحاكم الدخل مجبورون بالتوقيع على اقرار ان لا يفشوا أى تفاصيل واردة فى اقرار الضرائب . وجامعو الضرائب عليهم أن يقسموا أن لا يفشوا أى تقدير أو جملة للضرائب المدفوعة أو التى ستدفع . ويمكن افشاء المعلومات الى دولة أجنبية فى حالة الديون الضريبية أو حق الاعفاء فى انجلترا .

ولا توجد شروط لتوقيع العقاب لخرق أسرار المهنة فى القانون الجنائى .

وإذا ما حدث افشاء من هذا النوع فإن الضحية يمكنها اقامة دعوى عن طريق العقد اذا ما أمكن اثبات ان شروط العقد تمنع هذه العلاقة . وهذا الشرط يمكن أن يكون صريحاً أو ضمنياً من واقع ان الشخص الذى يلتزم بالعقد كان شخصاً مؤثماً قبل المدعى .

وخرق الثقة ليس مقصوراً على الحالات المتعاقدة عليها . ففى قضية جى ضد برتشارد عام ١٩٧١ حصل المدعى على حكم لمنع المتهم من افشاء مواد سرية وخاصة موجودة فى خطابات كتبها المدعى الى المتهم . وقد أعاد المتهم الأصل ولكنه استبقى الصورة . وكان أساس الشكوى ان المدعى له حق ملكية الخطابات . ومع ذلك فإن هذه القضية استشهد بها كثيراً فى المحاكم الأمريكية فى قضايا السرية .

والمحاكم تمنع الحماية ضد خرق السرية الزوجية . ففى قضية أرجيل ضد أرجيل طلبت المدعية الحكم لها لايقاف زوجها السابق من نشر أشياء خاصة بحياتها الخاصة خلال زواجهما . فحكمت المحكمة بأن الأحاديث الخاصة بين الزوجين خلال مدة الزواج يدخل ضمن اختصاصها للحفاظ على سريتها .

وحق منع تقصى الثقة أو الأمانة مراعى بدون تحفظ فى قوانين حق النشر الصادرة عام ١٩١١ وعام ١٩٥٦ .

## افشاء سر المهنة فى الشهادة :

ان احدى القواعد العامة للشهادة هى ان الشاهد يجب أن يجيب على أى سؤال يلقى عليه من المحكمة . ويقضى هذه القاعدة انه اذا رفض فإن المحكمة تحكم عليه بالحبس بتهمة احتقار المحكمة . ولكن يوجد هناك استثناء لهذه القاعدة فى صالح

المحاميين الذين لا يمكن الضغط عليهم لافشاء البيانات الشفوية أو التحريرية التي تمر بينهم وبين عملائهم .

وهذا الحق للعلاء وليس للمحاميين . فالمحامى لا يمكنه افشاء هذه الأسرار الا بسابق موافقة عميله .

وبخلاف هذا الحق الخاص بالاتصال بين المحامى وعميله فانه لا توجد قاعدة واضحة تمنع الحق لصاحب المهنة أن يرفض اعطاء المحكمة بيانات حصل عليها فى سرية .

وهناك العديد من القضايا فى زمننا هذا حيث يصمم رجال الصحافة على رفض الافشاء عن مصادر معلوماتهم ، وقد أرسلوا الى السجن بتهمة احتقار المحكمة . وحتى رجال الدين ليس لهم امتياز فى رفض اعطاء بيانات عن الاعترافات التي كشفت لهم طبقا لطقوس الدين ولو انه فى العديد من الحالات فان رجال القضاء لا يصممون على افشائها .

وطبقا للاتيكيت الطبى فان الطبيب عليه أن لا يفشى أية معلومات حصل عليها عن طريق صلته بالمريض ، ولكن يمكن ارغامه على عمل ذلك عند اعطاء شهادته فى المحكمة . وإذا رفض فانه يحاكم بتهمة احتقار المحكمة .

ان القضاة يمكنهم فى بعض القضايا أن يرفضوا محاكمة الطبيب بتهمة احتقار المحكمة اذا رفض افشاء الأسرار . وكل حالة يجب أن يحكم عليها طبقا لظروفها وحكم القاضى هو المقياس .

ويوجد بين رجال البنوك وعملائهم شرط مضمون هو أن البنك لن يفشى لشخص ثالث بدون موافقة العميل أية معلومات حصل عليها من فتح الحساب . ولكن المصرفى يمكن ارغامه بأمر المحكمة على اعطاء البيانات وكذلك فان المصرفى يمكنه افشاء المعلومات اذا ما كان ذلك من صالحه فعل ذلك .

وفى ايرلندة الشمالية فان القرار ١٨ ( س ) المقدم فى مارس ١٩٢٣ من السلطان المدنية والقانون الصادر فى ١٩٢٢ يسمحان لوزير الداخلية أن يأمر بفحص حسابات البنك .

#### خاتمة :

ان النتيجة التي يمكن الوصول اليها من هذه المقارنة ان الحاجة الى حماية قانونية لسرية المهنة معترف بها فى كل الأنظمة القانونية . والتشبيه العام واحد فيما عدا الجزاء ، اذ العقاب فى البلاد التي تطبق القانون المدنى جزائى وفى البلاد التي

تطبق القانون العام مدني . كما يوجد بعض الاختلاف حول الظروف التي يوجد فيها المستشارون المهنيون عند افشاء أسرار المهنة عندما يدلون بشهادتهم .

## الخلاصة :

ان الغرض من هذه الدراسة هو مقارنة القوانين الخاصة بالسرية في البلاد العشر المعنية . ولم يكن من الممكن بواسطة المصادر الموجودة التوسع في الدراسة لمقارنة الطرق التي تعمل بها هذه الاشتراطات القانونية المختلفة . ولا يتبع ذلك ان هناك تهجا أكثر على الخصوصيات في البلاد التي فيها الحماية أقل . بل الحقيقة قد تكون العكس ، فالحاجة الى التشريع لم تكن واضحة في هذه البلاد الا حديثا .

وبهذا التحديد في ذاكرتنا فان واضعي هذه الدراسة قد توصلوا الى هذه الخلاصة التجريبية التي وضعوها هنا في صياغة قاطعة أكثر مما تستحق .

١ - ان موضوع السرية يقسم نفسه الى سؤالين : ما هي الطرق المقبولة للرقابة او الاستعلام في الحياة الشخصية للأفراد ، وفي أي الأحوال وتحت أي حماية يكون لاثقا تجميع وبث أو نشر المعلومات حول الحياة الشخصية للفرد ؟

٢ - التهديد لحياة الفرد الخاصة تحت رؤوس المواضيع المذكورة أخذ في الاتساع بشكل أبعد من امكانية أي شيء معاصر ، نتيجة انتشار التكنولوجيا الحديثة .

٣ - وهذا الانتشار يدعو الى مراجعة فعالة لتشريعات حماية الخصوصيات . ففي الماضي كان من الممكن الاستغناء عن أي شيء معنون بالتحديد وحقوق السرية والاعتماد على الحماية التقليدية للشخص أو الأملاك لاعطاء الحماية اللازمة ضد الاعتداء على السرية . وقد اقترح انه في المستقبل ستزداد الحاجة الى قوانين معترف بها وسريّة لحماية السرية ، كما تنبأ به من قبل الاعلان العالمي لحقوق الانسان وفي الاجتماع الدولي عن الحقوق السياسية والمدنية .

٤ - والحق القانوني العام للسرية لابد أن يصبح في نزاع مع الحقوق القانونية الأخرى وخاصة حق الحرية للتعبير وحرية الصحافة ، ليس سببا لأن نرفض الاعتراف بالحاجة لمثل هذا الحق ، ولكن هذا يصل بنا الى صعوبات عملية ضخمة في رسم الحدود القانونية بين هذه الحقوق . ولا توجد طرق سابقة لحل هذا النزاع . والحلول يجب أن توجد من داخل كل دولة بما يلائم عاداتها والوزن الذي يعطيه الجمهور لهذه المصالح المتضاربة . وتوجد حدود لمدي تفصيل وتحديد التشريعات في هذا الخصوص . ويجب ترك الكثير لحسن تفكير القضاة الذين يجب أن يعبروا عن اتجاهات الجمهور في بلادهم .

٥ - وثبتت صحة ما نشر من تهجم على خصوصيات الفرد يجب أن لا يعتبر كدفاع . والحقيقة تكون كدفاع في الحالات التي يمكن فيها اثبات أن النشر كان للصالح العام ومعترفا به قانونا .

٦ - والحماية القانونية للخصوصيات يجب أن تكون عقابا وقصاصا مدنيا كذلك . والطرق الفنية الحديثة للتهجم على الخصوصيات أصبحت بحيث لا يتمكن الفرد العادي من كشف وإبراز الهجوم على خصوصياته ، وحتى لو كان في مقدوره عمل ذلك . ويجب أن تكون إمكانيات الدولة في خدمته . كذلك فإن معظم الأفراد لا يحاولون أن يقحموا أنفسهم في مخاطر ومصاريف التقاضي المدني خصوصا إذا ما كان التعويض المدفوع قليلا والعلاج المدني لا يكفي لحماية السرية .

٧ - والعلاج المدني مع ذلك يجب أن يكون في كل الحالات . وطبيعة المدعى في التهجم على الخصوصيات والضرر النفسي الذي قد يصيب يجب الاعتراف بهما بمنح تعويض عادل في القضايا المناسبة ، حتى ولو لم يكن هناك أذى مالى حدث للشاكي .

٨ - وعائق أساسية لحماية خصوصيات الفرد هو ان الضحية لا توافق غالبا على اتخاذ اجراء قانوني خوفا من زيادة النشر الذي يعطى للاجراءات القانونية سواء مدنية كانت أو جنائية . وحل هذا الاشكال يبدو في الشرط الموجود بالمكسيك منذ أكثر من خمسين عاما اذ أنه ممنوع نشر أى تحقيق عن قضايا افشاء الأسرار دون موافقة الطرفين . كما يمكن إيجاد حل آخر ولو انه محدود وهو منع نشر اسم الضحية كما هو موجود في عدد من البلاد في حالات التشهير وهتك العرض والاغواء أو حالات الزواج أو الحالات الخاصة بصغار الأطفال .

٩ - لا يكفي أن يعطى القانون حماية افشاء اسرار الأشخاص أو الشركات . اذ أن جزءا كبيرا من المسح الإلكتروني الذي يتهجم على الخصوصيات يقوم به البوليس ووكالات الحكومة الأخرى . والمراقبة الادارية الفعالة مطلوب فيها أن ترى ان هذه الطرق المكروهة والمكلفة انما تستخدم فقط في الحالات المهمة التي يحتاج اليها الصالح العام ، وقد اقترح ان درجة المنع لا يمكن الوصول اليها دون رقابة قضائية . والرقابة غير الموافق عليها عن طريق البوليس أو موظفي الدولة يجب أن تكون عملا مؤثما اجراميا ، والاثباتات التي حصل عليها بواسطتها يجب أن لا يسمح بها في أى اجراءات قانونية .

١٠ - وآخر وأقوى وأوسع تهديد للخصوصيات هو التسجيل والحفظ ونشر المعلومات الشخصية بواسطة الكمبيوتر . وهذا الاجراء يتطلب المراقبة بواسطة تشريعات خاصة يجب أن تؤمن :

١ - أن الشخص له الحق في أن يعرف ما هي المعلومات التي جمعت وحفظت حوله وأن يصححها إذا كان بها خطأ .

٢ - أن التوصل الى هذه المعلومات يجب أن يكون منظما .

٣ - ان المعلومات الشخصية تستخدم عامة للغرض الذي جمعت له .

٤ - أن تكون هناك سلطة عليا لديها الوسائل الحديثة لترى ان القانون منفذ ولها سلطة استلام وتحقيق الشكاوى .

١١ - وفي ضوء سرعة التقدم التكنولوجي والطريقة التي يحدث فيها التعدي على الخصوصية دون النظر الى حدود الدول ، اقترح ان مشكلة حماية الخصوصية يجب بحثها على مستوى عالمي . ومن المرجو ان الدراسة التي تقوم بها الجمعية العامة للأمم المتحدة بواسطة السكرتير العام قد توصل الى معاهدة دولية لحماية الخصوصية والى جهاز فعال دولي لتنفيذها .

# توحيد النظم في بنوك المعلومات

## وإمسالك الدفاتر الاجتماعية والسرية

### المقدمة

شاهدت السنوات الاخيرة جهودا مضاعفة في تأسيس بنوك المعلومات وتوحيد نظمها وفي جميع مراحل جمع الحقائق في المجتمع . وقد صاحب هذه المحاولات ارتفاع في كمية المعلومات التي يمكن قراءتها آليا بواسطة الآلات الالكترونية ، بما فيها من بيانات عن الفرد ، كما يوجد الآن اهتمام كبير بكيفية توحيد الاستفادة من هذه المعلومات التي يحتويها المجتمع ، ولكنها متفرقة في وثائق قانونية منفردة أو في الارشيف أو في بنوك المعلومات ، وذلك لسببين : أولا : الحيلولة دون ازدواج وثانيا : الاستفادة الى أقصى حد بهذه المعلومات وفقا للقواعد المعمول بها .

ويمكن تحقيق هذين الهدفين بتوحيد النظم المتبعة في جمع الحقائق والبيانات :  
١ - ان توحيد ملفات البيانات في بنوك المعلومات يمكن تحقيقه بالبدء في تأسيس



## بقلم : بيول . ج . ميولر

PAUL J. MÜLLER

يواصل دراساته العليا في علم الاجتماع في جامعة  
كولوني . قام بتأليف كتاب سيصد قريباً بالاشتراك مع  
مارك . أو . كارهواشن عن المعلومات : بنوكها وشغافيتها  
وسريتها .

## ه . ه . كولمان

H. H. KUHLMANN

طالب كزميله في الدراسات العليا بجامعة كولوني .  
ويشغل منصب مدير المشروعات في مؤسسة مراقبة المعلومات .  
له عدة مقالات عن نظم الإمداد بالمعلومات .

## ترجمة : الدكتورة فضيلة محمد فتوح

مدرسة الأدب الإنجليزي بجامعة عين شمس ، جامعة  
القاهرة ، جامعة الأزهر . حصلت عام ١٩٥٥ على البكالوريوس  
المتأزفة في اللغة الانجليزية وآدابها . وعلى الماجستير من  
جامعة القاهرة عام ١٩٦٧ . ثم الماجستير من جامعة لينز  
بألمانيا عام ١٩٦٩ ، والدكتوراه من جامعة عين شمس عام  
١٩٧١ .

بنوك الكترونية للمعلومات وهي تتميز عن البنوك الأخرى التي تقوم على نظم البطاقات  
والأرشيف العادية بأنه نظرا لامكانيات الآلات الألكترونية في التوصل الى الحقائق  
وحفظها يمكن تجميع المعلومات تلقائيا بمجرد توافر مجموعة كافية من تلك  
الحقائق ( أي تصبح معدة للاستعمال فورا ) .

٢ - أن أسلوب حفظ المعلومات في النظام الموحد - الذي يكون نقل الحقائق من  
أهم عملياته - لا يتغلب فقط على الطرق السقيمة في الوصول الى المعلومات والامكانيات  
المحدودة في توحيد قواعد جمع البيانات ، تلك الوسائل التي تنتج عن الوسائل  
التقليدية في نقل المعلومات وحفظها في ملفات في أماكن بعيدة بعضها عن بعض ، بل  
يتغلب أيضا على صعوبة توحيد ملفات الحقائق في البنوك المتخصصة .

وباستعمال الحاسب الألكتروني في النظام الموحد لبنك المعلومات ، أصبح  
التوصل الى البيانات والحقائق عن الأفراد أكثر سهولة عما قبل ، كما ازدادت الحاجة

الى السرية حتى يتسنى حماية الافراد والحفاظ على سرية حياتهم . فالمعلومات التي كانت فيما قبل منعزلة ومتفرقة ومن الصعب التوصل اليها نظرا لصعوبة الكشف عنها أصبحت سهلة المنال بتطبيق النظام الموحد للبنوك الذي ساعد على تكامل وتوافر الحقائق عن الافراد . ومن بين النتائج المخيفة لسوء استعمال هذا النظام امكان التعرف على الافراد أو «شفافية» صورهم وسمايتهم نتيجة للتوسع فى جمع الصور الجانبية للافراد . لذلك يجب الحرص على ألا يساء استعمال مثل هذه المعلومات اذا ثبتت اهمية وضرورة بقاء بنوك المعلومات .

وفى هذا المقال سنحاول تحديد وتعريف بعض المشكلات التي تنشعب عن هذا النظام بتحليل اجتماعي لجال « السرية » وبتقديم جميع الانماط التنظيمية الواقعية التي من المحتمل ان يتخذها مثل هذا النظام .

وكاساس لتحديد « مجال السرية » سنبدأ ، فيما يل ، بتصنيف البيانات المحفوظة الخاصة ببعض الافراد فى احد المجتمعات الفردية وفقا للاهداف التي جمعت من أجلها هذه المعلومات ، ولا يعطى هذا التصنيف نظرة شاملة لطبيعة المعلومات عن الافراد فقط بل سيحدد محيط المعلومات المناسبة عن الافراد لرجال البنوك ولعملائهم .

### الحقائق والبيانات عن الافراد

يمكن تصنيف المعلومات الخاصة بالافراد وفقا للاغراض التي جمعت من أجلها كما يلي :

١ - تجميع المعلومات أساسى لتوفير قاعدة للادارة العامة ( تخطيط وتنفيذ الخدمات فى الادارة العامة ) فالحاجة المتزايدة للبيانات والحقائق فى ادارة الخدمات العامة اليوم تظهر اعتماد الفرد المتزايد على الدولة فى الخدمات ، فالحكومة الآن تعنى المؤسسة التي تحدد كيان الفرد وحياته بمعاونه فى وضع سياسة محددة للمستقبل . «توفير سبل المعيشة» - تلك العبارة المستقاة من القانون الدستورى - تعنى اعتماد الافراد المتضاعف على خدمات الدولة فى البلاد المتقدمة التي يتوافر فيها تقسيم العمل فى الاعمال الوظيفية ، كالوصلات ، والصحة العامة ، وتوفير المياه والقوى الكهربائية، والمجارى ، والتربية والتعليم ، والأمن الداخلى .

٢ - تسجيل المعلومات فى المؤسسات الاجتماعية كالمؤسسات التجارية أو الكنيسة أصبح أساسيا لتحقيق أهداف تلك المؤسسات .

٣ - تجميع المعلومات أصبح اجراء جانبيا لتسجيل العمليات اليومية . ومثل هذه المعلومات تنتج كآثار لتدخل العمليات مثل «قوائم الحضور» . وفى هذه الحالة لا يوجد سبب لتعيين المعلومات بوضوح وتحديد لها مؤسسات معينة أو أهداف محددة.

## ٤ - جمع المعلومات للتحليل العلمية \*

وفى هذا المقال سيطلق على المعلومات المحددة فى البندين الاول والرابع والتي حددت طبقا للهدف من التجميع اصطلاح نوعى هو «الحقائق والبيانات الاجتماعية» .  
ومثل هذه التسمية تشمل المعلومات التي تم الحصول عليها من موارد متضاربة كالأحصاءات العامة وسجلات المؤسسات .

وتقوم الهيئات التالية بتوفير البيانات عن الافراد ، تلك البيانات الخاصة بالعلاقة بين الفرد ومجتمعه :

### **التسجيل الوطنى :**

مكتب تسجيل المواطنين (الميلاد ، الديانة ، السن ، التعليم) الجوازات ، سجل النسخين ، سجلات المواليد والزواج والوفيات (الطلاق ، التبني ، الزواج ، عدد الاطفال ) .

### **الضمان الاجتماعى :**

مستحقو المعاش ، البطالة ، المرض المزمن .

### **ادارة الخدمات :**

الغاز والكهرباء ، المجارى ، المياه ، تنظيف الطرق .

### **القرائب :**

الدخل والمهنة ، الفئة .

### **الدفاع :**

التجنيد الاجبارى ، مكاتب التجنيد ، القوات المسلحة .

### **مكان العمل :**

المؤسسات والهيئات (الملفات الشخصية ، الايرادات ، التاريخ الوظيفى ، المطعم) مكتب العمل (البطالة والتدريب المهني) .

### **البنوك والائتمانات :**

المستدينون ، المؤمنون ، أصحاب الحسابات ، الدخخ بالشيكات أو الاعتمادات ، جهاز مراقبة الاعتمادات .

### **المؤسسات الخيرية والخدمات الاجتماعية :**

بيوت الاطفال ، نفقات الصيانة ، الاعانات .

### **العلاج والمستشفيات والتميمات الصحية :**

التاريخ الطبى ، التطعيم ، المواليد ، المدارس والجامعات والمكتبات وتعليم الكبار والسلطات التربوية : قوائم التسجيل ، بطاقات القراء ، تقارير المدارس ، الاختبارات، التاريخ التربوى .

## وسائل الاتصال :

التليفون ، الراديو ، التلفزيون ، الجرائد اليومية ، الاشتراكات فى المجلات .

## البوليس والقضاء :

قوائم المشبوهين ، سجلات المجرمين ، الافراد التابعون لاشراف البوليس ،  
حيازة السلاح ، القرارات الخاصة بالغرامات الادارية ، تنفيذ القوانين .

## مكاتب الاحصاء :

الحسابات والاحصاءات .

## معاهد الابحاث :

الابحاث والتحليل .

## الاقامة :

الأدلة البريدية ( العناوين والاعمال ، مكتب تسجيل الاجانب ، نفقات الاسكان ،  
ملكية الاقطاعات الحقيقية ) .

## الاحزاب :

قوائم الاعضاء وقوائم الحاضرين .

## الجمعيات والمؤسسات والنوادي :

عضوية النوادي والاشتراكات .

## المصحافة :

المعلومات عن الافراد والاخبار والارشيف .

## مؤسسات الخدمات :

الفسيل والكي خارج المنازل ، المشتريات ، الاصلاحات ، التدفئة ، تصفيف  
الشعر ، الاقامة فى الفنادق ، السفر ، حجز الاماكن فى الطائرات ، تأجير العربات ،  
تأجير العربات ، العقل الحاسب الالىكترونى .

## الحيوانات :

الحيوانات الليفة .

## وسائل الانتقال :

اصحاب السيارات ، رخص القيادة ، تسجيل المركبات الالية .

## الفراغ :

دور السينما ، المحاضرات ، المناسبات الاجتماعية والرياضية ، الاجازات .

## البيئة الاولى :

الاسرة ، الاصدقاء ، زملاء العمل ، الجيران .

وفى الجزء التالى من المقال سنتناول العلاقات بين الفرد والبيئة فى المجتمعات

الغربية وكيفية توافر المعلومات الدقيقة عن الأفراد في المناطق التي تتواجد بها نظم ومؤسسات لجمع البيانات ، وتعارفها بالمناطق البدائية التي تفتقر الى مثل هذه الانظمة . ونعني بالمعلومات الدقيقة بيانات وحقائق عن نواح محددة لشخصية الفرد .

وسنبداً أولاً بعرض مثل لكيفية الحصول على المعلومات في البيئات البدائية ، حيث امكن التعرف على مدى المعلومات التي يمكن الحصول عليها عن عمل الجيران والاماكن التي يقضون بها عطلاتهم من بحث قام به سونك وهيرلين عام ١٩٦٠ على حوالى ١٥٠٠ فرد في ولفسبرج ( جمهورية المانيا الديمقراطية ) والمناطق المجاورة لها :

### الجنول الأول

مهن الجيران والاماكن التي يقضون بها عطلاتهم  
لسكان منطقة ولفسبرج وأربعة مجتمعات نامية

المجتمعات المحيطة بها		ولفسبرج		
المهنة	الاجازات	المهنة	الاجازات	
%	%	%	%	
٢١	٧	٣٢	١٩	لا يهتمهم الأمر ولا يعرفون شيئاً عن الآخرين يعرفون شيئاً عن جار واحد في الدور نفسه يعرفون شيئاً عن جيران في أدوار متعددة يعرفون شيئاً عن حوالى ٧٥٪ من الجيران يعرفون كل شيء عن الجميع
٤	٢	١٣	٩	
—	—	٤	٥	
—	١	٥	٥	
٧٥	٩٠	٤٦	٦٢	
٤٠٥	٤٠٥	١١٠٠	١١٠٠	عدد الحالات

### الشرح

نظراً لأن التصنيف السابق للعلاقات بين الفرد ومجتمعه اليومي لا يعتمد قائمة للمعلومات المحفوظة في السجلات الاجتماعية فانه من الضروري أن نشرح هذه القائمة وفقاً للقواعد الآتية :

١ - مدى علانية أو سرية هذا السلوك في حدود حصيلة المعلومات المطلوبة سواء كانت معلومات نقلت مباشرة أو معلومات مستنبطة .

٢ - وضوح تقويم أنماط السلوك في المجتمعات المختلفة .

٣ - الى أى مدى تؤدي السمات العامة لتماذج السلوك الى التزامات معينة ، وإلى أى مدى تعنى غفلة الفرد .

من الجائز أن تساعد الاجابة على هذه الاستفسارات على ايضاح معالم نظام اجتماعي من الصورة التي نحصل عليها للبيئة ، كما ان الاختلافات الموضوعية بين

المعلومات تتحكم في تحديد بيئة الافراد بشرط توافر المعلومات اللازمة لتكوين الفطرية  
الملائمة للتقويم مثل نظرية « أطوار النمو » .

### السرية ومسك الدفاتر الاجتماعية :

يعرف بول هالموس السرية « بالتححر من العلاقات الاجتماعية والبعد عن الاخطار  
عندما تتقدم عند الفرد الرغبة في الاتصال بالآخرين » . ويعنى هذا التعريف أهمية حرية  
الفرد في البيئة الاجتماعية ، ولكن اذا اعتبرت الاسرة عالما سريا فان العامل الحاسم  
عندئذ لا يكون انعدام الصلة والمؤثرات لأن هذين العاملين قائمان ، والشئ المفقود هو  
التفاعل مع الذات كاداة لمهمة معينة محددة تحديدا دقيقا مقابل اتصالات بالذات  
كشخصية متكاملة . ويجب مقارنة تعريف هالموس للسرية - ذلك التعريف الذاتى  
الارادى - بتعريف ارنولد سيمبل الذى يؤمن بتحقيق أربعة مبادئ تقوم على أن :  
( أ ) تحديد موضوع أو مجال للسرية ، ( ب ) له أساس شرعى أو قانونى ، ( ج ) يحصن  
من بعض الاتصالات والرقابة والمؤثرات التى قد يتعرض لها ( د ) الشخص الذى يطالب  
بالسرية .

ويعتقد سيمبل نفسه ان هذه المبادئ لا تكون تعريفا للسرية ، لأن اللفظ المراد  
تعريفه سيسعمل فى التعريف : ولكن بالرغم من هذا فان سيمبل يصف «عالم السرية»  
بمكان خال من جميع المؤثرات . وهذا المجال من المسير تحقيقه حتى فى الوحدات  
الاجتماعية التى تعد نموذجا للبيئة الخاصة أى « الاسرة » .

ولقد عرف آلان فـ . وستن « مجال السرية » بتعريف آخر ينبع من أصل  
اجتماعى وهو : ان « السرية هى انعزال الفرد الارادى أو المؤقت عن المجتمع العام ،  
سواء كانت عزلة جسمانية أو نفسية ، وسواء آكانت وحدة تامة أو انعزالا داخل دائرة  
صغيرة محدودة ، أو تحفظا داخل مجموعات أكبر » .

وهناك تعريف مماثل لفكرة « السرية » بقلم اروين شويش يمكن تلخيصها  
كما على :

«ان السرية ، التى تعنى انسحاب الفرد الارادى من المجتمع، هى السبيل الوحيد  
لتخلصه من متطلبات الحياة العامة ، فالعقلى نفسها تعنى ذلك الذى لا يمكن نقله  
للآخرين والسمة الاختيارية لبعض المهام والادوار التى توفر السرية للفرد » .

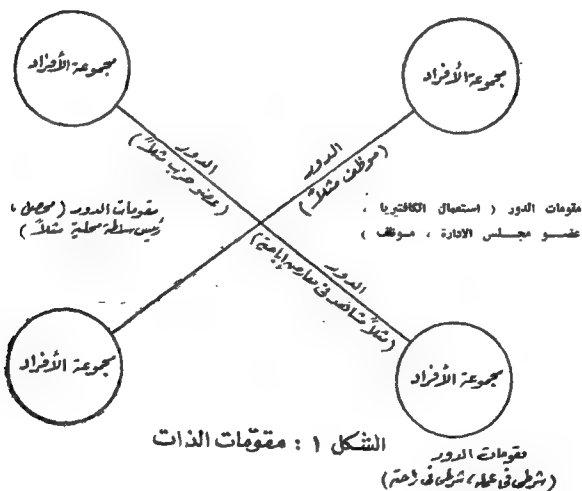
ويجب الاعتراف بأن السرية تعنى فى هذا المجال فترة يسترد الفرد فيها حريته،  
ويتخلص من التزامات اجتماعية فى الحياة اليومية ، فهى انسحاب من المحيط الاجتماعى  
وليست كما نود أن نعرفها فى هذا المقال « رؤية » الفرد وتقويمه فى مجالات متعددة  
يختلف كل منها وفقا للنظام الاجتماعى الذى ينتمى اليه . فانفرد بين التعريفين يقع  
فى اختلاف وجهتى النظر : فالسرية - عند البعض - تعنى الانعزال عن المجتمع ،  
وعند البعض الآخر تعد السرية والعلنية أوضاعا طبيعية متعاضدة ، أى ان بعض

الصفات الماثية تتواجد في الشخص في مجالات معينة وتختفي في مجالات أخرى :  
ولذلك يجب اعتبار «السرية» في هذا المقال لا كـ مجال يوفر الحصانة النسبية  
من المؤثرات ولكن كوضع معين ( معين بالنسبة للعلاقة بين الفرد والمجتمع ) يتميز  
بنقص نسبى في المعلومات عند الفرد في هذا الوضع .

من هنا يصبح مبدأ جمع « المعلومات عن الذات » القياس الاخير لتعريف « عالم  
السرية » كذلك المجالات التي يمكن أن يتحرك فيها الفرد بدون نقل المعلومات للآخرين  
بطريقة تضر ذاته نفسها .

ويصبح هذا التعريف شاملا اذا تذكرنا كيفية التحام الفرد ببيئته . شكل (١)

فالذات تتفاعل مع الدور الذي يتناسب مع الافراد المناسبين لهذا الدور .  
وبذلك تحصل البيئة على المعلومات التي تنتج عن هذا الدور فقط ، ويمكنها أن  
تستخلص معلومات من الوضع الذي يؤدي اليه هذا الدور .



الشكل الاول : مقومات الذات

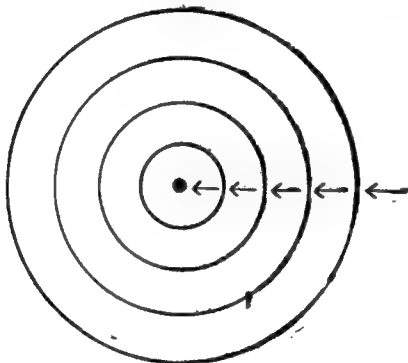
وهذا يعنى أيضا ان الادوار المختلفة تتضمن درجات متباينة من المعلومات عن مجموعة الافراد المتصلين بدور معين .

### النموذج الاول : الدوائر المتحدة المركز :

وعلى هذا الافتراض يمكننا تصوير محيط الذات تصويرا رمزيا كمجموعة من الدوائر المتحدة المركز تمثل تضاعف امكانية اتصالها ببعضها .

( ١٠ سيمبل ) ( انظر الرسم التوضيحي شكل ٢ )

الذات كفرد متكامل وليست / الافراد البعيدين نوما ما الافراد الضرياء  
المائلة - الاصدقاء - زملاء العمل - الجيران



الشكل ٢ : النموذج الأول

### الرسم التوضيحي : النموذج الاول

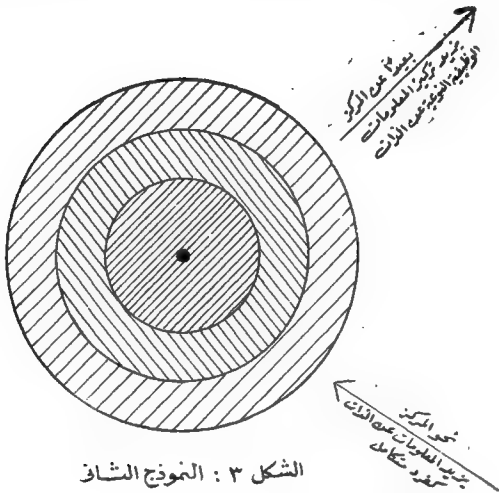
ويعنى هذا ان كمية المعلومات عن الذات ، كفرد وليست كالملتزم ، تزداد كلما اقترب الفرد من مركز الدائرة أى انها نسبية لدرجة المودة والانفة .

### النموذج الثانى : الحلقات المتحدة المركز

ولا يهدف النموذج الاول الى تقرير ازدياد خطى فى اكتمال المعلومات عن الذات، ولكنه يهدف الى التعبير عن ازدياد نسبة التفاعل مع الذات كفرد ( وليس كالملتزم بهمة ) كوسيلة لزيادة الانفة والمودة بين الزملاء الى درجة التفاعل - وعلى العكس من



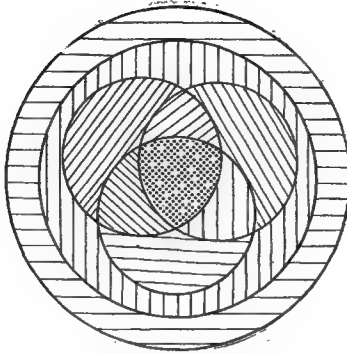
هذا فان الابتعاد يعنى ان المعلومات عن الذات مركزة فى وضع معين وبناء على ذلك فان اصدقاء الذات - بالنسبة لعائلته - يعرفون اشياء اخرى عنها ، قد لا تزيد عن معلومات أسرته ولكنها تختلف عنها (كملاقاته الجنسية خارج نطاق الزواج مثلا) وأفضل تمثيل بياني لهذا الرأى هو رسم بياني للحلقات المتحدة المركز (انظر الرسم التوضيحي «٣»



### النموذج الثالث : التداخل الجزئى للبيئات الأولية

لقد كان افتراضنا الاساسى فى النموذج الثانى هو انخفاض كمية المعلومات عن الذات كفرد متكامل وازدياد كمية المعلومات المركزة فى المهام المحددة كنتيجة للتقرب بين الزملاء وزيادة الالفة بينهم الى درجة التفاعل .

ولكن يجب ان نأخذ فى الاعتبار أنه فى المحيطات الاولى ( الميادين المتقاربة ، العلاقات الفردية ) لا يمكننا أن نتحدث مباشرة عن ازدياد خطى فى المعلومات عن الفرد ، فمما لا شك فيه ان لكل مشترك فى أى تفاعل أو اتصالات قد تعدى شخصيا بيئته الاولى - اصدقاء وزملاء وجيرانه - مما أدى الى تداخل جزئى للمعلومات فى البيئات الاولى (انظر الرسم التوضيحي رقم ٤ ) .



### الشكل ٤ : النموذج الثالث

ان وضوح صفات الافراد في العالم المصغر نتيجة للتداخل الكبير في المجتمعات (انخفاض مستوى العلاقات المتغيرة بين البيئات) مع تداعي مماثل لبعد القوى المواجهة وليس نتيجة لتكاثر الادوار التي تؤديها الذات . ومن أكثر الامثلة وضوحا وضع أهالي القرية : المعرفة المتبادلة عن الآخرين . وبناء على ذلك فان الحفَاط على بعد الموجه يصبح خطة لحماية أسرار الحياة .

وتماثل المؤسسات الاجتماعية هذه الادوار في الحياة العامة ومن ثم سنشير اليها كهيئات وسيطة لأنها تقوم بوظائف وسيطة بين أدوار الذات والنظام الاجتماعي ككل . ويحدد تخصص هذه الهيئات من عدم تخصصها مدى اقتصار المهام التي تقوم بها :

وتكلم هذه الهيئات الوسيطة بمعلومات عن الذات سواء نتيجة للتفاعل مع الذات نفسها أو نقل المعلومات اليها بطريق غير مباشر . وتتاح السرية في أوجه الحياة التي يتمكن فيها الفرد من أداء مهام محددة بحيث لا يوجد أى احتمال لنقل معلومات عنه لمجالات أخرى من الحياة .

ويمكننا الآن أن نحدد بدقة «الاخلال في نقل المعلومات» كما أشرنا اليه في مقدمة هذا المقال . بأنه الحيلولة دون نقل المعلومات المحددة عن طريق الهيئات الوسيطة ، وعلى سبيل المثال يعد الطبيب العام ممثلا لاحدى الهيئات التي تتسم بالاقصر في

نقل المعلومات حيث انه يلم بمعلومات عن ناحية واحدة من حياة الفرد ، ولا تظهر حياة الفرد بوضوح وتكامل أمام الطبيب .

وبذلك لا يصبح المحيط الخاص للفرد - أى العائلة - هو الشيء الوحيد الذى يجب حمايته من توحيد النظم فى بنوك المعلومات ، بل المعلومات الخاصة بالافراد على وجه العموم .

ان وسائل توحيد أنواع المعلومات المختلفة عن الفرد لا تتفق كلها بالرغم من انها أسسها متداخلة ، وبذلك تصبح صورة الانسان متعددة الابعاد لأنها قضت على وحدوية المعلومات عن الافراد .

وإذا يعد عالم السرية - الذى سبق الإشارة اليه كنظرية تشمل تلك المجالات فى حياة الفرد التى يتحرك فيها دون الخوف من نقل المعلومات بطريقة تضره - نتيجة لاختبارات - فى العالم الكبير والعالم الصغير - تنشأ من مبدأ اختيار المعلومات التى تنقل للأسرة والاصدقاء والجيران ولطبيب العائلة وللمؤسسات التى ينتمى اليها الفرد والى مكاتب الادارات المحلية الحكومية . وهذا لا يساعدنا فقط على عدم تحديد عالم السرية بتعريفها التقليدى كمالم الألفة والمودة ، بل يساعدنا على تفهم النظرية الشاملة لاختلاف رؤيا الافراد كنتيجة لاختلاف وسائل نقل المعلومات للهيئات الوسيطة وتكون هذه المعلومات مناسبة فى كل حالة للهيئات الوسيطة وعندئذ تعد مقصورة على مجموعة معينة .

ان السرية قائمة بالرغم من وجود وتداول المعلومات ، وهى لا تنتج عن اختفاء المعلومات ، ولكنها تنتج عن نقل المعلومات بانتظام .

ان توحيد نظم بنوك المعلومات - من وجهة نظر السرية على الأقل - تندرج بخطر وشيك وهو تغيير من جانب واحد فى العلاقة بين المؤسسات والافراد وامكانية تعرض الفرد لدراسة المؤسسات بينما المؤسسات نفسها ما زالت معقدة ومبهمة كما كانت من قبل . ومن ثم يتغير توازن الاتصالات المنظمة - العامة والخاصة - وتلك التى تترك والى لا تترك آثارا للمعلومات .

### النظم القومية لبنوك المعلومات

ان أى محاولات فى المستقبل لاقامة نظم قومية لتوفير المعلومات فى هيئة بنوك متحدة للحقائق والبيانات لن تقوم على بنوك البيانات كمراكز رئيسية لجمع وتقديم الحقائق فحسب - والى حد ما - على تقييم البيانات ولكنها ستتناول نقل المعلومات لى مركز يحتاج اليها .

ولتحقيق هذه الاهداف يجب أن تقدم بنوك الحقائق معلومات تتسم بأنها :

- أ - ملائمة
- ب - واضحة
- ج - دقيقة
- د - متوفرة فى الاوقات المناسبة
- هـ - سهلة التفسير

وبذلك تصبح النظم القومية لبنوك المعلومات نظماً لتخزين واعداد وتوزيع المعلومات التي تقدم البيانات المناسبة الشاملة عند الطلب أو تنشر ببيانات منتقاة كقاعدة للقرارات والاحكام .

وعند تجميع معلومات واضحة وتامة يصبح من المهم بالطبع توحيد وتكامل البيانات والحقائق التي تحوى معلومات عن الافراد . ومن الوسائل التي تساعد على تحقيق هذا الهدف تعيين ارقام شخصية دولية للافراد .

واذا لم يؤد هذا الى الكشف عن شخصية الانسان لمستعمل بنوك الحقائق فانه يجب وضع القواعد التي تؤمن سرية المعلومات « حماية سرية الفرد » ويجب اتباع ما يلي فى الوصول الى المعلومات وتحقيق البيانات :

١ - يجب وضع القواعد المتباينة التي تتحكم فى الوصول الى معلومات تتفاوت فى درجة السرية .

ب - يجب وضع قوانين تبطل جميع البيانات الخاصة عن الافراد بدون ترخيص وتساعد على تجميع البيانات واستكمالها عن الافراد بهدف تقييمها .

بالرغم من هذا فاننا سنصف الواجه المختلفة التي يمكن لبنوك المعلومات أن تتخذها قبل أن نذكر فيما يلي عدة أمثلة للطرق التي يمكن بواسطتها حماية المعلومات من الناحيتين الادارية والفنية .

ان بنوك المعلومات التي تصل الى المستوى المطلوب تتعدى جميع النظم التي سبق ان وضعت ، ولذا يجب أن نفترض ان سلسلة من المشاكل الجديدة سوف تنشأ عندما تضاف الكميات الضخمة من المعلومات الهامة الى الاحتياجات الضرورية المضاعفة لآلاف الافراد الذين يترددون على هذه البنوك . ويمكن تلخيص هذه الصفات فى ثلاث نقاط أساسية :

١ - البرمجة      ب - السوفتوير      ج - الهاردوير

بالنسبة للبند الاول وهو التخطيط فان مشاكله محددة نسبياً ، بينما الحل ما زال غير معروف ولذا لا يوجد الآن طرق اصلاح دولية من الممكن تطبيقها على كميات المعلومات المتباينة من الناحية التكوينية ، كما أنه لا توجد - على سبيل المثال - نظرية حسابية عامة قابلة للتطبيق لوضع موسوعات آلية ، وذلك اذا لزم، الامر لجعل الاصلاح اكثر دقة .

ونتيجة لاحتياجات معينة قدمت حلول لهذه المشكلات ، كما ان بعضها طبق فى عدة حالات . ومن أفضل الطرق للوصول الى حكم صحيح عند مقارنة هذه الوسائل هو استعمال نظام تشبيهى .

ولكن الامور تختلف بالنسبة للبندين الثانى والثالث فطالما لا يحتاج الا القليلون للخدمات فى النهاية ولا توجد هناك حاجة الى تقرير عن المترددين فى هذا الوقت فمن

الممكن اتباع نظام عمل بسيط • والنظم المعروفة حاليا « بنظم المشاركة فى الوقت » تكفى لاستعمال حوالى ٢٠٠ فرد • ولكن بمجرد البدء فى الحديث عن نظام لبضعة آلاف شخص ، وفى هذه الحالة - لسوء الحظ - يصبح استعمال نظم تشبيهية بسيطة عديم الجدوى لأن المشاكل تنشأ من الاعداد الضخمة وليس من المبادئ الاساسية •

وهناك مشاكل أخرى صعبة فى استعمال الهاردوير وهى هنا أيضا ترجع الى الاعداد المهولة المنتظرة من المستفيدين فى النهاية •

ومن الممكن وضع نمط تشبيهى لنموذج صغير لنظام قومى للمعلومات بدون صعوبة وذلك باستعمال مكونات الهاردوير والسوفتوير التى يمكن أن تنتجها المصانع اليوم • ومن ناحية أخرى فإنه ليس من المحتمل تقييم مستوى الاداء المتوقع من النظام المتكامل حيث أن الصعاب التى تنتج من نظم تقسيم الوقت تزداد زيادة أساسية •

أما مميزات الهاردوير فيمكن تحديدها وفقا لرأى الفرد الذى يستعملها وبوسائل البحث والإصلاح المتبعة ، بينما تقوم مميزات المنتجات الصلبة بدورها على المنتجات الرخوة وأن كانت تفوقها لأنها تتوقف على حجم بنك المعلومات والبنيان النهائى • ولقد أشارت المقارنات بين نظم بنوك البيانات القائمة حاليا الى أن تنظيم المعلومات يقل ملاسة لحركة الامداد والانتاج الداخلية الضرورية لحجم بنوك المعلومات •

## النماذج

### النموذج الأول

من المحتمل بناء بنك المعلومات على أساس تسلسلى حيث ترتبط الأطراف بالنظام المركزى عن طريق التجمعات ثم من خلال تجمعات اقليمية ومراقبة وتنظيم معدات التخزين الاجمالى الذى يتم فى مركز فرعى خاص • فاذا تناولنا ثلاثة آلاف مشترك أى تمت مراقبة ثلاثة آلاف معاداة بين الأطراف فى وقت واحد وتوفير حوالى عشر دقائق لكل حديث تام يمكننا استنباط ما يلى :

$$\text{شحنة النظام} = \frac{\text{عدد المحادثات}}{\text{الزمن}} = \text{خمس محادثات فى الثانية} \cdot$$

ويتكون الحديث التام من عشرة أسئلة والاجابة عليها ، حيث تقدم الاجابة الاخيرة المعلومات الدقيقة المطلوبة • فاذا اعتبرنا كل سؤال والاجابة عليه مداولة قائمة بذاتها نحصل على المعادلة التالية :

$$\text{معدل المداولات} = \frac{\text{عدد المداولات}}{\text{الثواني}} = \text{خمس مداولة فى الثانية}$$

ويعطى معدل المداولات فكرة نسبية ومحدودة عن عملية التزويد والانتاج بين الوحدة المركزية وتشكيل الأطراف المعنية •

## النموذج الثاني

والنموذج الثاني لنظام بنك المعلومات يتكون من مراكز متعددة لحفظ معلومات واحد ( آلات حاسبة منظمة ) يمكنها طلب المعلومات من خلال خطوط دائمة ومحولة . وبهذه الطريقة يصبح التوحيد ارتباطا حلزونيا أو على هيئة نجمة .

### التنظيم

ويمكننا الآن ان نضع نظاما محتملا لبنوك المعلومات . فبنك المعلومات القومي يحتوى بدون شك فى المرحلة الأخيرة من تطوره على عدد كبير من بنوك البيانات المستقلة . ولذا يجب أن نفترض بالتاكيد ان الهادوير والسوفتوير لن يكونا متجانسى التكوين . كما يمكن التكهن بانه فى جميع نظم بنوك المعاملات فى المستقبل سيكون المحور أو العامل الرئيسى هو بنك المعلومات الحكومى الذى من المحتمل أن نلحق به نظريا جميع المؤسسات الأخرى ، سواء كانت حكومية أو غير حكومية ، التى ربما كان لديها بنوك معلومات خاصة .

ففى النموذج الأول سيتم إصصال المعلومات عن طريق شبكة من المراكز لتداول المعلومات ، ويجب أن يتأكد العاملون فى هذه المراكز وفى بنوك المعلومات أن الاسئلة مصبوبة فى اسلوب جيد وتم نقلها بالطرق السليمة حيث انه فى بعض الظروف ستواجه ضرورة للرجوع الى البنوك البعيدة للرد على الاسئلة .

وعوامل التوجيه فى هذا لنظام بأكمله تصبح :

أ - لغة متسقة للاسئلة والاستفسارات .

ب - تنسيق فى طريق تقديم المعلومات وشبكة المراكز التى تتبادل المعلومات .

ويمكننا أيضا أن نقيم مثل هذه المراكز للنموذج الثانى . وفى الحقيقة فان اقامتها أكثر أهمية فى هذه الحالة لكى نموض المضار المحتمل وقوعها من استعمال لغات متعددة فى السؤال .

### القواعد الفنية والتنظيمية

وحماية البيانات فى النظام الموحد لبنوك المعلومات لا يجب ان تشمل ضمان حماية المعلومات فى البنوك المستقلة فحسب ، ولكنها يجب - وقبل كل شئ - ان تحمى المعلومات الضرورية فى التنظيمات المعنية لبنوك المعلومات الموحدة . وهذا يعنى ان حماية المعلومات يجب ان نأخذ فى الاعتبار الاحتمالات التى تنشأ عن سوء استعمال أكثر من بنك واحد فى الوقت نفسه .

ويمكن الحد من الوصول الى بنوك المعلومات ومخازنها - تلك التى سبق الإشارة إليها - اما على مستوى السوفتوير بالاتفاق على كلمة سر يمكن بواسطتها الحد من التوصل الى المعلومات الا لذوى الحق فى ذلك ، واما عن طريق الهاروير ،

بالمساح لبعض الاطراف المعنية من الوصول الى المعلومات . وبالإضافة الى ذلك هناك ميزة اضافية لتكنولوجيا البيانات والحقائق وهي أنه بازديار الحاجة لحماية المعلومات اصبح من السهل تنفيذ نظام كفء لحماية المعلومات وأمنها على اساس قواعد لحماية سرية المعلومات الشخصية .

ولحسن الحظ لا يوجد أى احتمال أو شك فى ان يصبح بنك المعلومات ( آلة تأتى بها الآلهة ) ، ولكن من المنتظر أن يعنى بنك المعلومات القومى نظاما مفتوحا يتلقى البيانات والحقائق من جميع أنواع بنوك البيانات وتكييف نظمه لمواجهة استفسارات المترددين عليه والتغيرات التى تطرأ على تكنولوجيا تجميع المعلومات ، عندئذ يصبح النظام قابلا للتعلم والتغير . وحماية مجال السرية سيعتمد على الطريقة التى تتعامل بها البنوك المستقلة .

ففى البنوك المستقلة التى تتبع نظاما متباينة فى تجميع وتخزين المعلومات نجد ان المعلومات الجماعية تقابل المعلومات الفردية ، والمعلومات الفردية التى تم الحصول عليها من مصادر مختلفة كالبوليس والمعاهد التعليمية والمؤسسات يجب ان تقوم على تحليل ودراسة هذه المعلومات . وعلى سبيل المثال ، اذا ادمجت مقاييس حماية المعلومات فيجب - على الأقل - أن تطبق أقصى هذه المقاييس على المعلومات التى استتبعت من عملية الادماج . ومن اهم مستلزمات أى نظام لتجميع المعلومات ألا يتم تجميع البيانات حول النواحي المتعددة لحياة الفرد بحيث تظهر صورته بوضوح . ويقبل مثل هذا الاجراء اذا كان الهدف التوحيد الذى يؤدى الى معلومات نوعية جذيدة .

وبؤدى ربط المعلومات عن الفرد الى ايجاد بعض المشاكل فى الحالات الآتية :

أ - عندما لا تستعمل البيانات للتوحيد الجزئى أو المؤقت على مستوى الهيئات الوسيطة .

ب - عندما توحد هذه المعلومات أو تبدلها تلك الهيئات بحيث لا يصبح للفرد حق

التحكم فيها .

# المؤتمرات الدوليّة القادمة

ومطبوعات الأمم المتحدة  
ووكالاتها المتخصصة

١٩٧٣

**نيويورك** الأمم المتحدة : حلقة دراسية لتقويم البيانات الإحصائية واستخدامها •  
United Nations, New York, N.Y. 10017.

**نيويورك** الأمم المتحدة : ندوة عن السكان وحقوق الإنسان •  
United Nations, New York, N.Y. 10017.

**بانكوك** اللجنة الاقتصادية التابعة للأمم المتحدة ، الخاصة بآسيا والشرق الأقصى • ندوة عن  
تقديم البيانات الخاصة بالسكان واستخدامها •  
ECAFE, Population Division, Bangkok (Thailand).

**شيكاغو** مجلس لدراسة الجنس البشرى المنتمج في مؤتمر الشباب العالمى للجنس البشري •  
Council for the Study of Mankind Inc.,  
P.O. Box 895 Santa Monica  
California 90406 (United States)

الرابع

**أوروبا الغربية** معهد العلوم الادارية : الاجتماع الدولى المشرون  
General Chairman, Institute of Management  
Sciences, P.O. Box 6112, Providence, Rhode Island 02904  
(United States)

الرابع

**بوخارست** اتحاد التاريخ الاقتصادى الدولى : حلقة دراسية ( الموضوع التضرر والبيئة )  
Professor Dr. J.F. Bergier, Rindarmarkt 6,  
Zürich (Switzerland)

١٩٤



ايريل  
ساويالو  
جمعية علم النفس الأمريكية المشتركة : المؤتمر الأمريكي المشترك الرابع عشر لعلم  
النفس \*

ISP, Box 88, El Paso, Texas 79968.  
(United States).

٥٦ - ٩ ايريل  
ليفربول  
الجمعية السكولوجية البريطانية : الاجتماع السنوي \*

General Secretary, British Psychological  
Society, Tavistock House, Tavistock Square,  
London, W.C. 1 (United Kingdom)

٢٦ - ٢٨ ايريل  
نيوارليانز  
اتحاد السكان الأمريكي : الاجتماع السنوي \*

P.A.A., P.O. Box 14182, Benjamin Franklin,  
Station, Washington, D.C. 20044  
(United States)

٢٥ يونيو الى ٦ يوليه  
فيثا  
المجلس الدولي للنساء : الاجتماع المشرون الذي يعقد كل ثلاث سنوات \*  
Council International des Femmes,  
13 Rue de Caumartin, 75009 Paris (France)

٢ - ٨ يوليه  
باريسي  
الاتحاد الدولي للمستشرقين : المؤتمر الرابع والمشرون \*

Mr. Y. Herouet, 35 Rue du Bois de Moines,  
94 La Yarenne (France)

١٣ - ٢٠ يولي

إسكفورد الاتحاد الدول لقضاة الشباب : اجتماع

IAYM, Tribunal de la Jeunesse, 19 Rue  
des Quatre-Bras, 1000 Brussels (Belgium)

١٩ - ٢٥ أغسطس

مونتريال الاتحاد السياسي الدول لعلم السياسة : المؤتمر العالمي التاسع \*

IPSA, 43 Rue des Champs Elysées, 1050  
Brussels (Belgium)

٢٦ - ٣١ أغسطس

مونتريال الاتحاد الأمريكي لعلم النفس : اجتماع \*

Dr. K.B. Little, American Psychological  
Association, 1200 17th Street N.W.,  
Washington, D.C. 20036 (United States)

٢٦ - ٣١ أغسطس

إيدجنان السلام العالمي عن طريق مركز القانون : المؤتمر العالمي لسنة ١٩٧٣ : للسلام العالمي  
بواسطة القانون ( الموضوع : إفريقيا ، العالم والقانون الدول )

World Peace through Law Center, 57 Rue de  
Lyon, 1200 Geneva (Switzerland)

١٧ - ٣٠ أغسطس

نيويورك الاتحاد الأمريكي لعلم الاجتماع : اجتماع سنوي \*

ASA, 1001 Connecticut A venue N.W.  
Washington, D.C. 20036 (United States)

من ٢٧ أغسطس الى أول سبتمبر

لييج مؤتمر عام للاتحاد الدولي للدراسة العلمية للسكان : جمعية عموميه \*

IUSSP, 5 Rue Forgeur, 4000 Liège (Belgium)

١  
٢٠

أوائل سبتمبر

الأراضي المنخفضة المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع الديني : مؤتمر \*

Secrétariat Général, Conférence Internationale  
de Sociologie Religieuse, 39 Rue de la Monnaie,  
39 Lille (France)

سبتمبر

فلورنسا الاتحاد الفدرالي الدول لجمعية الفلسفة : المؤتمر العالمي الخامس عشر \*

Professor Lea Gabriel Universität Wien,  
Universitätsstrasse 7, 1010 Vienna (Austria)

١ - ٨ سبتمبر

شيكاغو الاتحاد الدول لعلمي الانسان والأعراق البشرية : المؤتمر الدولي التاسع \*

Professor Sol Tax, President, IUAES,  
University of Chicago, Illinois 60637  
(United States)

٨ - ١٠ نوفمبر

دوفيل فلورنسا جمعية علم الشيخوخة : اجتماع علمي سنوي \*

E. Kaskowitz, Gerontological Society, One  
Du Pont Circle, Washington D.C. 20036  
(United States)

ديسمبر

الولايات المتحدة جمعية الاقتصاد القياسي : مؤتمر \*

P.O. Box 1264, Yale Station, New Haven,  
Connecticut 06520 (United States)

٢٧ - ٣٠ ديسمبر

نيويورك سيتي الاتحاد الأمريكي للاقتصاد . والاتحاد الأمريكي للاقتصاد . وجمعيات أخرى  
مخالفة : الاجتماع السنوي الثالث والثلاثون بعد المائة \*

John Lehman, Executive Director, ASA,  
806, 15th Street N.W., Washington,  
D.C. 20005 (United States)

أوروبا اتحاد المربين الدول للسلام العالي : أول مؤتمر عالمي \*

IAEWP, International Secretariat, Huntsville,  
Alabama, 35762 (United States).

بوخارست الاتحاد العالمي لدراسات جنوب شرقي أوروبا : المؤتمر الثالث \*

AIESEE, 9 Rue I.C. Frimu Bucharest (Romania)

٢

يوليه

نيروبي المجلس الدولي للرعاية الاجتماعية : المؤتمر الدولي السابع عشر

Mrs Kate Katzki, International Council on Social  
Welfare, 345 East 46th Street, New York, N.Y.  
10017 (United States)

أغسطس

كوبنهاغن الاتحاد الدولي للتاريخ الاقتصادي - المؤتمر السادس \*

Professor Dr. J.F. Bergier, Rindermarkt 6 Zurich  
(Switzerland)

١٨ - ٢٤ أغسطس ، أو من ١ - ٧ سبتمبر

تورنتو الاتحاد الدولي لعلم الاجتماع : المؤتمر العالمي الثامن لعلم الاجتماع \*

ISA, Via Daverio 7, 20122 Milan (Italy)

١٩ - ٣٠ أغسطس

نيويورك الأمم المتحدة - إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية : المؤتمر العالمي الثالث للسكان \*

Department of Economic and Social Affairs,  
United Nations, New York, N.Y. 10017.  
(United States)

٢٦ - ٢٩ أغسطس

هنتريال الاتحاد الأمريكي لعلم الاجتماع : الاجتماع السنوي \*

1001 Connecticut Avenue N.W., Washington,  
D.C. 20036 (United States)

سبتمبر

الولايات المتحدة جمعية الاقتصاد القياسي : المؤتمر العالمي الثالث \*

P.O. Box 1264, Yale Station, New Haven,  
Connecticut 06520 (United States)

## وثائق ومطبوعات الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة القانون الدولي

### القانون الدولي

الكتاب القضائي المستوى للأمم المتحدة

(UN/ST/LEG/SER.C/7)

مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بقانون المعاهدات

(UN/AC/CONF. 39/11/Add. 2)

اللجنة الدولية للقانون • التقرير الرابع الخاص بالمعاهدات

(UN/A/CN. 4/249)

الدول المختلفة التي لا تطل على البحار ومشكلة وصولها الى البحر

(UN/A/AC. 138/37)

### حقوق الإنسان

تقرير اللجنة الخاصة لاستقصاء ما تمارسه إسرائيل مما يؤثر في الحقوق الانسانية بالأراضي المحتلة

(UN/A/8089)

احترام حقوق الإنسان في الصراعات المسلحة

(UN/A/8370)

تقرير مؤتمر قضاء أفريقيا عن الاجراءات القانونية في أفريقيا والفرد

(UN/E/CN. 14/521)

الفرقة النصرية

(UN/E/CN. 4/Sub/307 Rev. 1)

القضاء على كل صور المصعب الديني

(UN/A/8330)

اللاجئون

(UN/Suppl. No. 12. A/8412)

## المقال واسم الكاتب

## رقم العدد وتاريخه

- ♦ **الحماية القانونية للحريات الشخصية** : The legal protection of privacy :  
دراسة مقارنة من الهيئة الدولية لرجال القانون في عشر دول  
Comparative survey of ten countries.  
مجلد : ٢٤  
العدد الثالث سنة ٧٢
- ♦ **حق الحرية الشخصية**  
دراسة مقارنة لقوانين عشرة بلدان  
The legal law relating to privacy
- ♦ **الاعتداء على الحرية الشخصية للفرد**  
Intrusions into privacy
- ♦ **الافشاء العلني لحياة الفرد الخاصة**  
Public disclosure of private information
- ♦ **توحيد النظم في بنوك المعلومات وامساك الدفاتر الاجتماعية والسرية**  
بـ بقلم : بول ج. ميولر  
Paul J. Müller and H.H. Kublmann  
و  
١٩٨٠ كولمان

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٢/٤٧٢



# مركز مطبوعات اليونسكو ومجلة رسالة اليونسكو

يقدم مجموعة من المجلات الدولية بأقلام كتاب  
مختصين وأساتذة دارسين .  
ويقيم باختيارها وتعليقها العربية نخبة متخصصة  
من الأساتذة العرب ، تصبح إضافة إلى المكتبة العربية  
تساهم في إثراء الفكر العربي ، وتمكين من ملاعقة  
البحث في قضايا العصر .

تصدر شهرياً

مجلة رسالة اليونسكو

يناير / أبريل / يوليو / أكتوبر

المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية

استقبل الشريعة

فبراير / مايو / أغسطس / نوفمبر

مجلة اليونسكو للمكتبات

مجلة (ديوجين)

مارس / يونيو / سبتمبر / ديسمبر

العام والاحتف

بمجموعة من المجلات تصدرها هيئة اليونسكو لبرنامج  
الدولية ، وتصدر طبعات العربية بالاتفاق مع الهيئة القومية  
للونسكو ، وبمبادرة الهيئة القومية العربية ، ووزارة  
الثقافة والإعلام بجمهورية مصر العربية .

الضمن ١٥ قرشاً



المجلة الدولية

للعالم الاجتماعي

دراسة واسعة عن

• مشكلات شباب العالم

المجلة الدولية للعالم الاجتماعي

عدد 1 - سنة 1988

المجلة الدولية للعالم الاجتماعي



المجلة الدولية للعالم الاجتماعي



# المجلة الدولية

## للعلاوم الاجتماعفة

العدد الثاني عشر

السنة الثالثة

• يولية ١٩٧٣

• تموز ١٩٧٣

• جادى الثانية ١٣٩٣

### محتويات العدد

#### ◆ مفهوم الزمان الاجتماعى

دوره فى التنمية

بقلم : رودلف ريتسوهازى

ترجمة : الدكتور عثمان أمين

#### ◆ نحو تفسير بنائى للحركات الشبابية والعلابية

بقلم : كلاوس ر. اليريك

ترجمة : الدكتور أحمد الخشاب

#### ◆ المداخل الاجتماعية لثقافة الشباب

بقلم : كازيميرز زيجولسكى

ترجمة : ابراهيم زكى خورشيد

#### ◆ التغير الجلى

فى شباب الطبقة المتوسطة

بقلم : جارى ب. رش

ترجمة : الدكتور محمد خليل برعى

#### ◆ الشباب فى اوغندا

بعض الابعاد النظرية

بقلم : ت. والاس

3

س. ج. ويكس

ترجمة : الدكتورة حورية توفيق مجاهد

#### ◆ علم النفس الاجتماعى فى افريقيا

وجهة نظر الطبيب النفسى

بقلم : هرى كولومب

ترجمة : الدكتور أحمد عبد الرحيم أبو زيد

#### ◆ المؤتمرات الدولية القادمة ووثائق ومطبوعات الامم المتحدة

ووكالاتها المتخصصة

تصدر عن : مجلة رسالة اليونسكو

ومركز مطبوعات اليونسكو

١ شارع طلعت حرب بميدان التحرير  
بالقاهرة

تلفون : ٢٢٤٠٢

رئيس التحرير • عبد المنعم الصاوى

هيئة التحرير • د. مصطفى كمال طلبه

د. محمود الشنيطلى

عثمان نوبيه

محمود فؤاد عمران

الإشراف على • عبد السلام الشريف

# • حتى نحى شبابنا •

---

العالم مشغول الآن بدراسة أزمة الشباب ، وتقصى جذورها ،  
والتنبؤ بما قد تحدثه من أثر ، أو ربما من خطر ، على الحياة العامة في  
مناطق العالم المتباينة •

وتقترن الدراسات بالاحصائيات وبالعينات، وباستمارات الاستبينة،  
لتنتهى الى نتائج تبدو في بعض الاحيان مذهلة •

ولست أشك في قيمة هذه الدراسات ، كما لا أشكك في نتائجها ،  
فقد أجريت بالصيغة العلمية المتعارف عليها ، لكن هذا لا يمنع من الاحتياط  
عند مناقشة ما تنطوى عليه النتائج من دلالات •

ذلك لأن كل هذه البحوث تجرى عن مجموعات انسانية ، وعندما  
يكون مجال الدراسة نفس الانسان فانه يصبح للمسألة وجه آخر ،  
لا تحكمه دائما الارقام •

والنفس الانسانية تنطوى على تعقيدات ، وتدور في مختلف المجالات،  
وتتعرض في كثير من الاحيان لمؤثرات من غموض أو اكتئاب أو تفاؤل أو  
انطواء • أو غير ذلك من مؤثرات •

وحيثما تصبح نتيجة أى استبينة عنها خاضعة لتأثير هذه المؤثرات  
عليها •

ومن هنا يصبح القطع بصحة ما تنتهى اليه البحوث من نتائج ،  
وما تدل عليه النتائج من دلالات ، أمرا يحتاج الى قدر من الحذر •

ومع هذا ، لو افترضنا صحة كل ما انتهت اليه بحوث الباحثين من  
نتائج لوجدنا أنفسنا أمام ظاهرة من ظواهر هذا العصر الذى نعيش فيه •

والظاهرة لا شك خطيرة ومقلقة ، وهى تتخذ أشكال الرفض حيناً،  
وأشكال العنف في كثير من الاحيان •

# من خطر التقليد!

---

والرفض والعنف كلاهما شكل من أشكال التمرد على الواقع ،  
ومحاولة للخروج عليه .

والحديث يطول عن وصف هذه الظاهرة ، وبيان اسبابها ، وتوقع  
ما قد تنتهي اليه من نتائج .

وتدور محاولة العلماء والباحثين حول ربطها بالعوامل الاجتماعية ،  
والتطلع الى تغيير الواقع ، والثقافة الخاصة بالشباب ، وهي تكاد تكون  
منقطعة الصلة بالثقافة التقليدية السارية .

كذلك تدور محاولة العلماء والباحثين حول ما تتخذه هذه الثقافة  
لنفسها من صيغ التعبير ، في الملبس الغريب الذي ترتديه أجيال الشباب،  
والمظهر الخارجي في اطلاق شعر الرأس ، أو ارسال اللحي ، للتعرف على  
العوامل النفسية والاتجاهات العقلية التي تدعو الشباب الى هذه الصيغة  
من صيغ التعبير .

لكن الشيء الذي لا ينال القدر الكافي من الاهتمام هو ما تشير اليه  
بعض هذه الدراسات من تطور المجتمعات التي تشهد هذه الظاهرة من  
ظواهر الشباب .

ولو أن هذه الظاهرة طبيعية ، ولو أنها ثمرة من نمرات التطور  
بشكل عام ، اذن فلماذا لم تظهر في كل جيل ؟ ولماذا لم تصبح ظاهرة لها  
كل هذا الخطر الا في السنوات الاخيرة ، وفي هذا الجيل على وجه  
الخصوص ؟ ألم تشهد الاجيال السابقة قيام أجيال من الشباب في محيطات  
زاخرة بالشيوخ والكهول والاطفال ؟ فان تكن كل الاجيال المتعاقبة قد  
مرت بأدوار الطفولة والمراهقة والشباب فلماذا هذا الجيل وحده من أجيال  
الشباب هو الذي يثير الفزع ؟

اذا كانت أجيال الشباب جميعا قد عبرت مراحل العمر بلا ضجيج،  
واذا كان جيل الشباب المعاصر هو وحده الذي يورق جفون العلماء

والباحثين ، بل الحاكمين ، فلا بد اذن من وجود عنصر خاص يؤدي بجيل الشباب المعاصر الى الموقف الذى يقف فيه .

على أننا لا ننفي أن وجهات النظر بين الاجيال قد تتفاوت ، وقد تتعارض ، وإن هذا قد يؤدي الى نوع من النزاع فى بعض الاحيان ، أو فى بعض الظروف ، لكن المشكلة لم تأخذ هذا الشكل الحاد العنيف الا فى هذا الجيل .

لا بد اذن من سبب نضع عليه أيدينا .

وقد تكون حاجتنا فى هذه المنطقة الى التعرف على هذا السبب أشد، حتى نحمل شبابنا من خطر التقليد .

إن ما يسمى بأزمة الشباب ، أو محنة الشباب ، أو ثورة الشباب ، هو ظاهرة مزعجة ، وهى فى حقيقتها مرض من امراض التخمة التى أصابت المجتمعات التى قامت فيها .

ولو تأملنا المناطق التى استشرى فيها هذا المرض لوجدنا أنها المناطق الصناعية ، التى وصل فيها التقدم الصناعى الى درجة عالية ، وفاض فيها الانتاج عن الاستهلاك ، وامتلات مخازنها بالمخزون السلى المكس ، واتجه اقتصادها الى توفير الايدى العاملة أو تخفيضها .

وفى ظل هذه الاوضاع الاقتصادية المضطربة فان طبائع الاشياء، تفرض على النفوس نوعا من الاضطراب ، وأول من يتأثر بالاضطراب الاجتماعى عادة هم الشباب .

هو اذن نوع من امراض التخمة ، وهو كذلك داء ظهر فى بيئة صالحة لاستقباله ، فافرخ فيها وتكاثر ، وجرف افواج الشباب لتقع تحت تأثيره المدمر .

والذين يرون فى تمرد الشباب ، وثورته على النظم والاشكال والتقليد والقيم ، ظاهرة من ظواهر التقدم ، يخدعون أنفسهم ويخدعون الشباب .

فما هو التقدم فى هذا الانعزال الذى يلجأ اليه الشباب ؟

ما هو التقدم فى الاغتراب عن المجتمع ؟

ثم ما هو التقدم فى الاتجاه نحو حياة الكهوف والغابات ، فى جماعات تتناول المخدرات ؟

ولسنا نود أن نناقش أسلوب الشباب فى الملبس ، ولا طرقهم فى ارسال الشعور واطلاق اللحن ، فتلك كلها مظاهر خاصة ، لا تدخل فى

الحساب الا بقدر ما تكسب من عمومية تشيع بين جماعات الشباب ،  
ولكنها مع هذا محصورة فى خصوصيات لا معنى لاعطائها أكثر مما  
تستحقه من اهتمام .

هذه الظاهرة أساسها القلق والهروب بالمخدر عن الواقع . وتحميل  
نفوس جيل يواجه تحديات عصر السرعة ، فى المواصلات ، وفى الانتاج ،  
وفى تكديس الفائض منه فى المخازن .

هذه الظاهرة أساسها القلق والهروب بالمخدر عن الواقع ، وتحميل  
التبعة لأجيال تقابست على تولي المسئوليات .

- ويجد الشباب نفسه يقتصره الهم وتطحنه هواجس الحاجة .
- هذا هو السر الحقيقي وراء ما يسمى بثورة الشباب .
- فأين نحن من هذا جميعه ؟

اننا فى عالمنا النامى لا نزال نواجه تحديات التخلف ، محاولين أن  
نكسر الحاجز الذى يطوق به أعناقنا .

ولن نصل الى تخطي هذا الحاجز الا بالعمل الدؤوب المتصل ، لنلحق  
بالركب ، ولنعوض ما تركته فينا التيارات السامة الدخيلة ، التى فرضت  
علينا وجودها بالقوة والقهر .

وسيكون علينا ، لعدد من الأجيال ، أن نعمل ليل نهار ، ليزداد انتاجنا  
كما ونوعا .

- ولن يقوم بالقسط الاكبر من هذا الدور غير الشباب .
- الشباب المنتج دون أسى ، العامل دون خوف ، الدؤوب دون مراة ،  
الصبور من غير دموع تتخفى فى طيات قلبه .
- هذا هو الشباب الذى يستطيع أن يحقق الأمانى .
- وهو لهذا محتاج الى أن يملأ رأسه بالعلم ، وأن يملأ وجدانه بالبهجة ،  
لتمتلىء ارادته بالرغبة فى تحقيق الأمل .

ولو قد التفت الشباب فى بلادنا العربية الى الشباب الذى دمرته  
المحنة ، فانه سيفقد نفسه ، وسيفقد خطواته على الطريق ، ولن يستطيع  
أن ينتج شيئا يذكر .

ولست أتصور أن كرامة الشباب فى بلادنا تسمح له بأن يعيش عالة  
على الآخرين ، لانشغاله بشعره المرسل ولحيته المطلقة ، وأنفاس لفائف  
المخدر !

لا أتصور هذا ، ولا أتوقعه ، ولا أرجوه .

**عبد المنعم الصاوى**

# مفهوم الزمان الاجتماعي



## دور الألف النصفية

منذ امتدت الدراسات الاجتماعية لتشمل بنيات المجتمعات وسيرها ، ولتشمل أيضا طريقة تغيرها ، رأينا مشكلة الزمان ، من حيث هو اطار الدلالة ومؤشر التغير ، تقوم على نحو الى • وسرعان ما تحقق من عكفوا على هذه المسألة من أن الزمان ، كما يراه عالم الاجتماع ، ليس مفهوما فيزيقيا أو فلسفيا أو نفسيا ، ولكنه انبثاق اجتماعي .

وكل مجتمع ، بثقافته المطابقة له ، يضع للزمان مفهوما معينا تقبله أغلبية أعضائه على أنه أمر طبيعي ، ويستخدم معيارا لتنظيم أوجه نشاطهم • وهكذا نجد لكل مجتمع أنماطا من السلوك ملائمة لمفهوم الزمان الذي يبته في أذهان أعضائه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية . وفي داخل كل مجتمع نرى جماعات لها شأنها • كالطبقات الاجتماعية أو سكان المدن والريف أو الأجيال المختلفة ، قد تتباين أشد التباين في تصورهما للزمان وفي سلوكها بـلقياس اليه وفي طريقة استخدامها له •



## بقلم : رودلف ريتسوهازي

أستاذ بجامعة لوفان في بلجيكا • الى جانب المقالات  
المدمجة نشر كتابا عن أصل وتكوين الكاثوليكية الاجتماعية  
في بلجيكا ١٨٤٢ - ١٩٠٩ (١٩٥٨) ، وكتابا عن الزمان  
الاجتماعي والتنمية ، دور العوامل الاجتماعية والثقافية في  
النمو (١٩٧٠) ، وكتابا عن : نظرية الوقائع الاجتماعية وتقدمها  
(١٩٧١) •

## ترجمة : الدكتور عثمان أمين

أستاذ قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة سابقا،  
وأستاذ غير متفرغ ، وعضو مجلس كلية الآداب بجامعة القاهرة .  
عضو شرف الجمعية الفرنسية الديكارتية منذ ١٩٥١ ، ورئيس  
جماعة أنصار الإمام محمد عبيد • عضو لجنة الفلسفة بالمجلس  
الأعلى لرعاية الفنون والآداب - عضو شرف «الأسرة العالمية»  
بباريس منذ ١٩٥٠ ، وعضو بلجنة الفلسفة بجمع اللغة  
العربية ، وعضو بالمجلس الأعلى للمشؤون الإسلامية • صاحب  
النظرية الفلسفية «الجوانية» وهي أول محاولة لبناء فلسفي  
جديد في إطار التراث الإسلامي العربي • حائز على الجائزة  
الأولى من رابطة مصر فرنسا عن كتابه بالفرنسية عن فلسفة  
الإمام محمد عبيد سنة ١٩٥٢ • له مؤلفات فلسفية كثيرة ترجمت  
الى كثير من اللغات مثل الانجليزية والأردية والإندونيسية  
والسواحلية •

---

ومفهوم الزمان الاجتماعي يمكن أن يقسم الى خمسة أبعاد يشمل كل منها  
جانبها منفصلا متميزا •

**التوقيت** ، أي الكيفية التي ترتب بها ضروب النشاط في علاقاتها بعضها  
ببعض ، أو الكيفية التي بها يقيم المنظّمون الاجتماعيون ، الذين يتعين عليهم أن  
يعملوا معا أو بالتناوب ، الاتصال فيما بينهم ، والكيفية التي بها تتوافق بعضها  
مع بعض مختلف المتتابعات الزمنية التي ترصد نبض الحياة الاجتماعية . مثال  
ذلك : كيف يرتب ، فيما يتعلق بالزمان ، اجتماع بين أعضاء مجتمع ريفي يريدون  
أن يجمعوا المحصول معا ، أو كيف يقوم متعاقد بتسليم خامات معينة في تاريخ  
محدد ؟

**وترتيب الوقت** ، أي الكيفية التي بها يوزع الافراد والجماعات أوجه نشاطهم  
ويرتبون أفعالهم في مجموعات : وحين تواجههم مهمة أو مهام فورية يؤدونها

بتقسيمها الى مراحل متعاقبة . ووجهة النظر هنا هي الأداء في أقصر وقت ممكن ، كما هو الشأن في حالة عامل جراج يريد اصلاح آله ، ويتعين عليه أن يتبع نمطا خاصا في تماقب عملياته .

**التنبؤ :** يعنى القدرة على أن نتخيل الأحداث في المستقبل ، وعلى أن نضع لأنفسنا أهدافا أبعد ، وعلى أن نشكل نشاطنا طبقا لأحداث مستقبلية ، مرغوب فيها أو لا مفر منها . ونحن هنا معنيون بالمستقبل المتوسط الأجل أو الطويل الأجل، مثال ذلك حالة المؤسسة التجارية التي تقدر الاتجاهات في السوق معيارا لرسم خطة خمسية للتوسع .

**الزمان التاريخي :** يعنى رؤية مسار الحوادث البارزة في التاريخ الانساني ، هل يسير التاريخ في دورات من الارتفاع والانحدار ؟ وهل هو ارتداد عن عصر ذهبي مفقود ؟ أم هو على العكس تقدم ، أى أنه رغم الصروف والتقلبات يؤدي في النهاية الى عالم أفضل ؟

**الزمان من حيث هو قيمة :** أى كيفية تقدير الناس للزمان المتاح لهم واستخدامهم اياه ، سواء كان الزمان حياة بأكملها أو سنة أو شهرا أو أسبوعا أو يوما . والزمان يمكن تنظيمه والسيطرة عليه بدرجات مختلفة طبقا لما يعطى له من قيمة . وقيمة الزمان يعبر عنها ما يعطى الأفضلية الاجتماعية من أوجه النشاط وأوقات الفراغ ، فمثلا قد يرى مجتمع أن الوقت من ذهب ، ويرى آخر أنه تسليه . ويرى ثالث أنه تأمل .

ولكن لا يحسم المشكلة أن نعتبر الزمان الاجتماعي وأبعاده المختلفة انبثاقا اجتماعيا . فبقدر ما يكون الناس منتجي مجتمعهم ( لا عاملين على استثماره فحسب) وبقدر ما يكونون صانعي تاريخهم ، فإن تصورهم للزمان وما يصطنعون من استراتيجيات للسيطرة عليه يصبحان جزءا هاما من أسلوب معرفتهم ، ويكونان من بين العوامل الجوهرية لادخال التجديدات ، ويساعدان على تحريك التغير ، مثال ذلك : أن ضم ما تفرق من جهود المنظمين الاجتماعيين في الوقت المناسب ، أى الدقة في التوفيق بين تتابع الزمان والأحداث ، يصبح عاملا للتنمية وشرطا مسبقا لحسن تسيير أى مجتمع بلغ درجة معينة من التعقد .

إن تنظيما راشدا للعمل منظويا في انجاز المهام اليومية ، وفي عملية الانتاج بخاصة ، مرتبط ارتباطا وثيقا بالكفاية ، وبالتالي بالنمو .

إن التنبؤ بهم أى مشروع فردى أو جماعى يتضمن الابداع والاستراتيجية والتقدم . فالتناس يشعرون اليوم في عمل ما يرينون رؤيته منجزا في العد . ولكى يبنى الانسان غدا ينبغي أن يحسب أثر أفعاله وردود فعل الآخرين عليها . وبقدر

ما يفضي التنبؤ الواضح الرؤية تطلعات طويلة المدى ، يكون اختيار الأهداف أسهل ، وفرصة بلوغها أكبر .

ان فكرة عن التقدم الواسعة الانتشار هي وحدها من بين رؤى التاريخ المنتجة للتغير الإرادي . انها تنبه الاستعدادات الإيجابية المعادية للركود ، وهي رئيسية بالنسبة للتنمية ، بمعنى أن التنمية يقوم بها أولئك الذين يعتقدون أن الوقت يعمل لصالحهم ، والذين يرون في الزمان صعودا ، والذين ثبت أعمالهم قوة دينامية لا يمكن احتواؤها .

وفيما يتعلق بنظام القيم، اذا أريد للتنمية أن تحدث، لابد أن تقدر قيمة الزمان بمعيار اقتصادي . ان القيمة الاقتصادية للزمان وندرته هي التي ترغب الانسان في الاقتصاد.فيه والارتفاع به الى أقصى حد ، ليستطيع ، على المدى الطويل ، أن يزيد من عمله وانجازاته وكسبه .

ومن الأمور المتكلفة أن نفصل بين جانبي الزمان الاجتماعي - الزمان كحصيلة للتغير والزمان كمصدر فيه - فهما مرتبطان معا في تبادل داليكتيكي مستمر . ومن التاريخ يستمد الانسان التجارب التي تتراكم وتصبح بنية ، وبصفة خاصة موافقه وسلوكه بازاء الزمن . غير أنه تحت ظروف معينة يتنمرد على قيوده وينشئ مواقف جديدة . هذا النشاط المبدع يضطره الى تعديل أو مراجعة أفكاره ومعرفته ومناهج عمله ، بما في ذلك تصوره للزمان ومواقفه بازاء أبعاده المختلفة . فاذا كان هدفه التنمية فليس يكفي أن يتخلص من بنيات الماضي التي هو أسرها ، بل لابد له أيضا من أن يصنع الأدوات العقلية والاقتصادية والسياسية التي تفتح الطريق الى المستقبل .

وفي كتاب نشر حديثا (١) عالجت فيه ، على وجه التحديد ، مسألة كيف أن العوامل المختلفة في عملية التنمية، وبصفة رئيسية ذات الطبيعة الاقتصادية والثقافية، تتوافق بالفعل في التنمية ، ( وهذه أهم صورة يتخذها التغير الاجتماعي اليوم ) . ومع ذلك فلكي نتجنب مناهة التعميمات النظرية قصرت دراستي على العلاقة بين النمو وبين عامل ثقافي واحد ، هو الزمان الاجتماعي . ما هي التغيرات في المفاهيم الزمنية وفي السلوك ، التي تسبق التنمية الاقتصادية وتساعد على الحركة ؟ وكيف تستقرا ؟ وما هي التغيرات الزمنية التي تتم خلال التنمية الاقتصادية ونتيجة لها ؟

كان يستحيل على أن أجيب على هذه الأسئلة بدون أن أقوم أولا باستقصاء العلاقات بين الأبعاد المختلفة لمفهوم الزمان الاجتماعي والعناصر المختلفة في تقدم

---

(١) Temps social et développement. Le rôle de facteurs socio-culturel dans la croissance, Bruxelles, La Renaissance du Livre, 1970.

النمو ، متخذاً إطاراً لبحث أهم العلاقات الاجتماعية ، مثل النشاط المهني لدى العمال اليدويين والزراعيين والمكتبيين ، الى جانب الاداريين ، وكذلك الجمعيات الاسرية والاقتصادية والثقافية والدينية والخدمات العامة ونشاط اوقات الفراغ الخ، في الوقت الحاضر في بلاد في مراحل مختلفة من التنمية ، وفي الماضي عبر تاريخ مجتمع واحد .

وقد استخدمت المنهج المقارن أداة للبحث ، لدراسة المجتمعات المعاصرة ، وكان استدلالى على الوجه التالى : حين ننظر في الماضي وفي الحاضر نجد من الممكن إقامة خط نظري ، وفي الطرفين المتباعدين نجد ما يمكن أن يقال له « المجتمع التقليدي » و « المجتمع الصناعي » ، ويستخدم اصطلاح « المجتمع الانتقالي » لوصف مجتمع محلي في مرحلة الانتقال من أحدهما الى الآخر . وبالترتيب الزمني للنظري المقام على هذا النحو يصبح من المستحيل أن نضى بالتحليل في إطار العلية ، ما دام تتابع الأحداث يجعل من الممكن أن نحدد الأسبقية ، ويجعل من الممكن أيضاً ، بالاعتماد على مقارنة عرفية ، أن نبين هل العلاقة ضرورية ام عارضة .

ومع ذلك فهذه أداة ترجع الى أن المجتمعات المختلفة التي وضعتها في خط تطوري هي في الواقع مجتمعات معاصرة . وليس ما يضمن أن احدي قرى يبرو متى بلغت القطب الآخر من التطور سوف تشبه مركزاً زراعياً حديثاً في أوروبا الشمالية .

فأداة البحث هذه اذن يجب استعمالها بمنتهى الحذر ، وبشروط معينة ، مثال ذلك أن مراحل التطور ينبغي تصورها وتبين هويتها في وضوح . ولا يقين عن بالنا أن المراحل كانت تراكيب نظرية وأنها لم توجد في الواقع على هذا النحو . فجميع المجتمعات الصناعية تشمل عناصر تقليدية ، كما أن المجتمعات التقليدية قد تشمل على عناصر تدفعها الى الحركة .

ثم ان الخط التطوري المقترح لا يتضمن اطلاقاً أن كل المجتمعات تنتهي بالضرورة الى نمط معين من أنماط المجتمع الصناعي . وعلى العكس فأننى أعتقد أن كل واحد من البلاد الجارية في تيار هذه العملية يمارسها منفرداً ، وانها تختلف في تطورها من وجهة النظر الثقافية على الأقل . كما لا يعنى الخط التطوري المقترح أن الطريق الذى يتبعه اتباعه هو طريق معيارى . واذا كان هناك مراحل فهي لا تتم فى نظام محدد من قبل . وأخيراً فإن الخط المقترح لا يتضمن أن هناك نهاية للتنمية ، بل ان التنمية على العكس لامتناهية . وبعد قيام ما يسمى اليوم مجتمع المستهلك ستنبثق على الأرجح حضارة جديدة . والمجتمع الصناعي شأنه في ذلك شأن كل المجتمعات ينفتح أيضاً على مستقبل .

وهكذا فإن وسيلتي في البحث لا تعدو أن تكون أداة نسبية للقياس . وهي تستخدم علامة للحقائق العيانية مبنية مسارها ومحتجياتها بالنسبة لنمط مثال . وهي تفترض في البحث عن العلل نسبة تقريبية لاحتمالات الخطأ في الحلول المتأخذ بها . والمثل التالي يوضح ما اعنيه :

انطلاقا من الخط التطوري النظري، المجتمع التقليدي. المجتمع الانتقالي، المجتمع الصناعي ، نضع على هذا الخط المجتمع المحلي « أ » في المرحلة الأولى ، والمجتمع المحلي « ب » في المرحلة الثانية ، والمجتمع المحلي « ج » في المرحلة الثالثة . وفي الوقت نفسه جمعت بيانات وإفافية من المجتمعات المحلية الثلاثة عن مفاهيمها الاجتماعية للزمان وللتنمية . ونلاحظ وجود العنصر « أ » في المفهوم الاجتماعي للزمان لدى المجتمع المحلي « أ » ، ونلاحظ وجود العنصر « أ » نفسه مرتبطا بوجود العنصر « ب » ، من التنمية في المجتمع المحليين « ب » و « ج » . و التدليل على أن « أ » هو علة « ب » يتضمن قدرا من الخطأ تحدده درجة الاحتمال بالنسبة للمجتمع المحلي « أ » بأنه لن يتطور نحو الصورة الاجتماعية الحاصلة في « ب » و « ج » وتحدده بالنسبة إلى المجتمع المحليين « ب » و « ج » بأنهما لن يكونا قد مرا بمرحلة « أ » من التنمية .

وما يزال قائما خطر الوقوع فيما أسماه ويلبرت مور «الاستاتيكية المقارنة» . وبعض الكتاب يقصرون دراسة التنمية على تعداد المراحل المتعاقبة ، وعلى مقارنه بين خصائص كل مرحلة . ولكن دراسة ظاهرة سيماها الأولى هي التغير تحقق غرضها فقط عند ما تكون قد حددت اللوالب الرئيسية للحركة ، وحددت مواقع القائلين بالعمل ، واكتشفت المشروعات ، وقدرت القوى ، ووزنت الضغوط التي تيدل داخل النظام وخارجه ، ووضعت الأحلاف التي توحد ، والصراعات التي تفرق ، وحللت الروابط بين الأحداث ، وشرحت عملية التقدم والتقهقر ، وراجعت شبكة النظام ومنجزاته في عمله الإجمالي .

هذه الحاجة إلى فهم التغير وشرحه قادتنى إلى « المنهج التاريخي » ، وهو عبارة عن أن نكتشف ، داخل مجتمع واحد ، النمو الخاص الذي رأينا عليه العناصر المكونة للمفهومين الاجتماعيين للزمان والتنمية تظهر وتنمو وتضم بعضها إلى بعض في مجموعات .

وإذ بأشرنا الأمر أنا وزملائي ، بمعالجة الموضوع معالجه تاريخية ومقارنة ، فقد اجتزنا أربعة مسالك لجميع المعطيات المتصلة بدراستنا .

اتخذنا أساسا لنا دراسات مرتبطة بالموضوع ارتباطا جانبيا ، وبعضها بحوث قائمة بذاتها عن موضوعات أنثروبولوجية أو اجتماعية ، زودتنا بمعلومات واسعة عن أشياء تدخل في المجال الذي كان يشغلنا .

جمعنا عددا كبيرا من الوثائق المكتوبة من جميع الأنواع كمصدر غير ارادى ، وبالتالي كدليل لا شبهة فيه على ما يوجد في القطاعات الخاصة من الحياة الاجتماعية . من مفهوم للزمان ومن سلوك بازااته .

وفي عدد من الزيارات لأمريكا اللاتينية ولافريقيا أجريت بنفسى ملاحظات تفصيلية جدا ، أعددت لها مقدا . وعلى هذا النحو عكف اثنان من زملائي على ملاحظة مجتمعات محلية وموضوعات معينة ، وبصفة خاصة في بيرو وساحل العاج .

لقد نظمنا مسعا مقارنا يطفى بيرو وبلجيكا ، متخذين لعلنا مركزين : الأول منطقة مبانى ليما ، كاللاو ، وقرية كويلما بجنوب ليما بقرب الشاطئ الباسيفيكي ، والثاني منطقة مبانى بروكسيل وقرية لودباى فى القسم الفالونى من مقاطعة برابان .

واشتمل المسح على مجموعة من الاسئلة موضوعها التعرف على هويات من وجهت اليهم الاسئلة وعلى مؤشرات التنمية فى بيئتهم ، وعلى أسئلة عبرت فى اصطلاحات عملية عن القضايا الواردة فى نموذجنا النظرى ، وعلى تقرير عن ميزانية الوقت ، أى تسجيل عن نشاط الذين سئلوا أثناء الأربع والعشرين ساعة من اليوم السابق على المسح .

وفى كلتا القريتين سئل جميع السكان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ سنة و ٦٥ سنة . وفى كلتا العاصمتين استخدمت عينة احتمالية تضدت على مستويين ينتظمان كلا الجنسين ممن تتراوح أعمارهم بين ١٨ سنة و ٦٥ سنة . وفى كل حالة سئل ١٠٠٠ شخص ، ولم تكن النتيجة كما سنرى عينة تمثيلية من كل من البلدين كمجموع ، بل دراسة لأربعة مواقع . تمثل أربعة عوالم مختلفة ، فى مراحل مختلفة من التنمية .

والمعلومات التى حصلنا عليها قد نسقت وسجلت فى بطاقات مثقوبة ، ثم حللت على أنواع كثيرة مختلفة بواسطة الكمبيوتر .

ولم يكن قصدى من اختيار هذا النسق من جمع المعلومات هو النفاذ الى مختلف جوانب الحقيقة فحسب ، بل أيضا احاطة كل واحد من البيانات ، فيما اخترت من فروض اجرائية ، بمجموعة من الادلة تؤيده أو تفنده .

وقد بدا لى أن المعلومات التى استخلصناها عن طريق الفحص يمكن التأكد منها بمعارضتها بالمعطيات الواردة فى الوثائق التلقائية ، وأن السلوك الذاتى والكيفى الذى كشفت عنه قائمة الاسئلة يمكن التحقق منه بواسطة الوقائع الموضوعية والكمية

التي زودتنا بها ميزانيات الوقت ، وأن ملاحظاتي يمكن تصحيحها بما توصل اليه المؤلفون الآخرون من حقائق في بحوثهم المستقلة ، وأن الفحوص التي تقدم نظرة استاتيكية عن الوضع يمكن أن تلحق بها محتويات الوثائق التاريخية (١) .

ان تأليفا من المصطلحات المتجمعة مرتبة في مقابلة خلفية التاريخ الواقعية تجعل من الممكن صياغة نظرية عن الزمان الاجتماعي ، وسأقتصر في هذا المقال على تلخيصها في ايجاز .

ان أول جهد يبذله المجتمع لتصور الزمان والسيطرة عليه لا علاقة له بالتنمية . وهو يحدث بمجرد ان يصبح الناس قادرين على تكوين افكار بسيطة عن انفسهم وعن مجتمعهم . وفي أغلب الأحيان يكون النظام الذي يدعو الى القيام بمثل هذا الجهد هو الدين ، كما تشهد بذلك حضارات افريقيا وبابل ومصر والصين وفلسطين واليونان وروما .

والزمان ، من حيث هو متشعب بثوب الكهنوت ، يتلاقى حينئذ مع حاجات أنظمة أخرى كششاط المعاش ( صيد الحيوانات وصيد الأسماك والزراعة ) والملاحة والطب والعلم وتنسيق ضروب النشاط اليومي . وهو أولا يسجل وفقا للايقاعات الطبيعية ، فحركات النجوم تنشئ النهار والشهر القمري والفصول والسنة . والعرف الاجتماعي ينشئ بعد ذلك وحدات أخرى كالأسابيع والساعات والدقائق والثواني . وتحدث تطورات في تعريف هذه الوحدات في أوقات مختلفة . وأول ما يحدد منها هو تلك التي يحتاج إليها المجتمع للعبادات الدينية ، وضروب النشاط الدورية في الحياة الاقتصادية . ويأتي بعد ذلك من الوحدات ما يحتاج الى آلات قياس معقدة كالثانية وأجزائها .

وفيما يتعلق بالتنمية ثبت أن التفيرات التي حدثت في أوروبا في العصر الوسيط كانت هي الحاسمة . ولم يعد الوقت في العصر الوسيط وقتا ضائعا . انه لم يكن بعد «من ذهب» ، ولكنه كان ذا قيمة ، وذا قيمة فيما يتعلق بالله . وفي المرحلة الاولى سيطر الدين على الزمان بتحديد التقويم وتقرير الايام المقدسة وتقسيم اليوم والساعات . وفي المرحلة الثانية صار الزمان الديني زمانا مدنيا . بدأت المدن تحيا وجودا معقدا من صنعها ، والتزامات الحياة المتعددة في مدينة ما ، وقد اكتظت

---

(١) ان مالمجتي المنهجية قد بسطت ووضحت على نحو أوفى في البحث الجامعي الذي سينشر قريبا تحت

عنوان :

«The Use of Times» : A Cross-National Comparative Survey of Daily Activities of Urban and Suburban Population in Twelve Countries, Paris and The Hague.

بضروب النشاط كخلية النحل ، جعلت من الضروري قياس الزمان قياسا مضبوطا ومستمرًا . وأخذت السلطة المدنية ومجلس المدينة على عاتقهما مسئولية تنظيم ضروب النشاط اليومي وأيام الأسواق ودفع الضرائب واجتماعات المواطنين . واخترعت الساعات الميكانيكية مسجلة ساعات موحدة الطول . وزينت الساعات الدقاقة أبراج الأجراس وقباب الكنائس . وأخيرا يظهر الحاجات والمطامح والتحديات التي أدت إلى التنمية صار مفهوم الزمان عنصرا لا غنى عنه في الاستراتيجية التي يصطنعها بناء العالم الحديث . ويمكن أن نضع بدء التنمية في أوروبا حين توافقت العناصر المختلفة الضرورية لمولد المجتمع الصناعي في مكان معين ، وهذا زمان نظري بحت ، يحدد منطقيا بإيسر مما يحدد تاريخيا ما دام التوافق كان طبيعيا وليس مفتعلا ، وما دام قد حدث دون أن يلحظه المجتمع المعاصر . والعوامل المتضمنة نشأت إلى حد ما مستقلة بعضها عن بعض ، ولم يك ذلك بأي حال طبقا لخطة مرسومة من قبل . ولقد شملت هذه العوامل نهضة العلم من القرنين السادس عشر والسابع عشر وما بعدهما ، والاختراعات والتجديدات التقنية ، بدرجة متواضعة خلال العصور الوسطى ، ولكن زادت جرأتها فيما بعد . وانشاء الدول والتحسينات في الجهاز الحكومي واكتشاف العالم وفتح الأسواق والنمو السريع للتجارة ، من القرن السادس عشر وما بعده ، والتوسع في الموارد النقدية ، وانشاء تقنيات تجارية ومالية جديدة ، وظهور البورجوازية ، والتغيرات في نظام القيم ، والفردانية ، ونمو حافز الربح ، والاعتقاد في التقدم والعقلانية ، والنظر إلى الأمور نظرة رياضية ، وتكديس رأس المال ، وانشاء الطرق ، وشق القنوات ، ونمو المدن ، وتقدم التعليم ، وضغط السكان منذ منتصف القرن الثامن عشر وفيما بعد ، وكل منها يمثل تماكب تنميات كانت في الأصل متفاوتة الحظ من الاستقلال ، ثم تزايد ارتباطها حتى كونت في النهاية منظومة واحدة متماسكة ، فكانت بذلك دافعة إلى التنمية .

ولقد تطور مفهوم الزمان الاجتماعي في إطار هذه الحركة الشاملة ، واذ كان هذا المفهوم مرتبطا بالدين أصلا فقد أدى دوره تدريجيا بتغيير نظرة الناس ، وصاحب الاتجاهات الأخرى كالتقدم نحو العقلانية وانجازات العلم وسيادة الحاسب الرياضي . وأولئك الذين كانوا في طليعة التغير احتاجوا إلى الدقة في تصور الزمان . فقد تعين على الملاح لكي يحدد موقعه في أعالي البحار أن يعرف خط الطول الذي يقع عليه ، محسوبا من الفرق بين الوقت في خط الزوال وبين الوقت المحلي . ونجاح العمالة كان يفترض مقدما الدقة في توقيت الزمان القياسي . ورجل العلم العاكف على حل رموز قوانين الفلك والطبيعة انما استطاع أن يحقق تقدما باستعماله الآلات المقعدة في ملاحظاته . وكان يعتمد على تقدم تقنيتين : تقنية الآلات البصرية ، وتقنية آلات قياس الزمان . والمقاولون والمولون والمنظمون قد اكتشفوا جميعا أن خططهم مشروطة بعامل



الزمان ، واكدوا أهمية التخطيط المسبق والتوقيت الدقيق ، وحساب الزمان ، والاقرار بقيمته .

والنموذج النظرى التالى يمكن استخدامه لبيان ما حدث من تغيرات :

فى أساس أى عملية من عمليات التغير يوجد دائما حافظ للنظام . داخل أو خارجى ، يمكن أن يتخذ أشد الأشكال تنوعا ، كالتحدى أو الحاجة الجديدة أو الطيوع أو الاكراه . وهذا الحافظ هو فى ذاته محايد ، ويتميز امتصاصه أو تفسيره بواسطة مجموعة أو طبقة من الناس . وشروط الامتصاص والتفسير ( أو عدم الاحساس ) تتوقف هى أيضا على البنيات العقلية للجاعة المطلوبة . وبعبارة أخرى تتوقف من جهة على المواقف الموضوعية والضغوط الممارسة ، وعلى مصالح المجموعة المعنية وعلاقتها مع المجموعات الأخرى فى المجتمع ، وتتوقف من الجهة الأخرى على قوة الاحساس والقيم والرغبات والمطامح التى تؤثر فى الكيفية التى بها تعي المجموعة الحافظ ، كما تتوقف على حسن صياغة المشكلة الناجمة .

ومن ثم فإن الحافظ الذى ينتج فى عمل اجتماعى بواسطة مجموع يقابل بحاجة مكون من التأثيرات الحاسمة فى التنظيم الاجتماعى وأشكاله الثقافية قد تجمده أو تخلى سبيله فى حين هى تفسره وتغيره .

ولنطلق اسم المبدعين على المجموعة أو الطبقة التى تتلقى الحافظ وتصوغ المشكلة وتعد لعمل تجديدى . ولقد رأينا أنه فى القرنين السادس عشر والسابع عشر كان المبدعون ملاحين فاتحين ، وعلماء ، وتجارا مفامرين . وأى دراسة للتغير تفترض مقدما ، كخطوة أولى ، فحصا للمثير ولطبيعته ولشدته والمرحلة الثقافية الاجتماعية التى بلغها المجتمع ، ونشأة المبدعين وحالتهم ومنزلتهم وعددهم ومعلوماتهم .

ومتى عرفنا المعطيات الأساسية استطعنا أن نوجه انتباهنا الى نظام العمل الذى أعده المبدعون ، وقد يكون نظاما بسيطا جدا مكونا من توليف من ردود الأفعال التى يتفاوت حظها من التلقائية ، يؤدى فيها التفكير دورا ضئيلا جدا . وهو يبقى مقصورا أعلى التبادل الديالكتيكى بين الحافظ ورد الفعل . ونظام العمل - معدا على مستوى أعلى ، يتشكل حول خطة ، ويشمل هدفا أو أكثر . واستراتيجية وتاكتيكا يتضمنان ايجاد الأساليب والوسائل . وتنشئ الخطة من اختيار أو اختيارات متعاقبة ، تكون هى نفسها مشروطة بتخطيط مسبق ، وبالمجال النفسى الذى يكون للقائمين بالعمل فيه الحرية فى اكتشاف مناهج العمل الممكنة والإمكانات الموضوعية (المعونة أو التوقعات من الأطراف الأخرى الخ ) . وبالإضافة الى أركان نظام العمل يجب أن تركز الدراسة على شكل هذه الأركان ومحتواها وطبيعتها ، وكذلك على التصميم الذى يتابع به

المنفنون أهدافهم ، والارتباط بين أركان النظام على جانب عظيم من الأهمية أيضا ، وبصفة خاصة مستوى الطموح والفرص المتاحة . فإذا كانت أكثر تباعدا مما ينبغي كانت النتيجة خيبة أمل ومرارة ولجوءا إلى المناهج اليائسة أو العنيفة .

والمبدعون الذين ينجحون في وضع مقاصدهم ومشروعاتهم على عتبة الأهمية التاريخية ، أى الذين يبدأون بوضع خططهم موضع التنفيذ ، ويدخلون في مجال رؤية المجموعات الأخرى يحيطون أنفسهم بالمقلدين والأنصار والشركاء والمنافسين والحاسدين والخصوم والأعداء . وهكذا تنمو حول نظام العمل الأصل شبكة من الاتباع والاحلاف والصراعات . وتشمل دراسة النظام تحقيق شخصية الأتباع والحلفاء والخصوم ، ومحاولة لإيجاد أسباب مواقفهم ، واكتشاف ما لديهم من نظم العمل ، مع بيان الأهداف والاستراتيجيات والتاكتيكات المتبعة . وما قد ينشأ من صراع يمكن فهمه ، إذا أدخلنا في حسابنا مثلا الصورة التي لدى كل منفذ عن الآخرين ، أو الشكل الذي تأخذه المواجهة ، والمناهج المستعملة ، ودرجة التصميم والجدل والقوة التي يبديها المناوئون .

ونتائج العملية التي تبدأ على عتبة الأهمية التاريخية عديدة ، فالعمل التجديدي قد يكون مستتبرا بحذافيره ، وقد يكون مستحسنا في صورة معدلة أو أعيد تفسيرها ، وقد يتوصل إلى نوع من التراضى ، وقد تغير الأهداف برمتها ، كما قد يتنحى واحد أو أكثر من المنفذين بسبب الإعياء الخ .

وعملية التغير ، مأخوذة ككل ، ينظمها تبادل دياكتيكي ذو ثلاث شعبي : شعبية التبادل بين مقومات كل واحد من نظم العمل ، وشعبية التبادل بين الأنظمة ، وهو التبادل الذي يحكم العلاقة بين المنفذين ، وشعبية تبادل زمنى ، يكون فيه الموقف في كل لحظة من اللحظات المتعاقبة خلال العملية نتيجة لكل المواقف السابقة ، ومؤثرا في كل المواقف التالية ، بينما تسمح أو تضيق مجموعة القطاعات الاجتماعية المتأثرة .

ولنتظر الآن في المكان الذي يحتله المفهوم الاجتماعي للزمان ، في هذا النموذج النظري .

إن المفهوم يتدخل في مرحلتين مختلفتين من عملية التغير ، وفي ظروف مختلفة كل مرة .

والمفهوم قد يتدخل في الوقت الذي يتلقى فيه الفاعل ، المؤثر في صورة عنصر ، في البنياى العقلى أو النظام الثقافى . وطريقة تدخله سلبية . والمفهوم الاجتماعى للزمان جزء من الحاجز الذى يعوق مرور المؤثر ويراقب الرسالة . وطلب الفعل قد

لا يكون مقبولا ، لأن مفهوم الزمان عقبة في سبيل فهمه . مثال ذلك ان دعوة للعمل يمكن أن ترفض لأن العامل يؤثر أن يستعمل وقته للاستجمام دون العمل ، أو لانه لا يستطيع أن يتخيل لاي غرض يستعمل ثمرة عمله المقبل .

والمفهوم الاجتماعي للزمان يمكن أن يتدخل عند ما يكون نظام العمل قد تكون ، والظروف التي يحصل فيها التدخل هنا دينامية . وأشكال التدخل تقابل الجوانب الخمسة الكبرى من تصورنا للزمان : الزمان كقيمة ، جزء من كل نظام القيم لدى العامل ، ويؤدي دوره في اختيار الغرض من الفعل ، والتخطيط العقلي للأساليب والوسائل ، الوقت مفهوما على انه تقدم ، أو روح التقدم ، يسهم أيضا في اختيار أهداف العمل ، ويعمل بمثابة استعداد وقوة دافعة ، قوة الإرادة التي تحرك ، والتنبؤ يتدخل في الاستراتيجية ، باعتباره أحد عناصر الخطة ، وأفضل توزيع ممكن للوقت يؤدي دورا حاسما في الانجاز وفي تهيئة أفضل الظروف اليومية لنموذج سلوكي هو جوهرى لنجاح أي مشروع يتوقف تنفيذه على الحل التفصيلي لمشكلات تتضمن توقيت المتتاليات وتنظيمها .

ولننظر كيف أن مفهوما للزمان ، ضروريا لنجاح خطة . يحوز القبول . والكيفية التي أدخل بها ، تبدأ العمل في مجال القيم . وفي المقام الأول لا بد أن يكتشف العامل أن للوقت قيمة ، لأنه لا غنى عنه لتحقيق أهدافه المرسومة . فانه أداة ضرورية في نظام العمل الذي يقيمه ، ومن أراد الفاية أراد الوسيلة .

كان هذا هو الموقف في القرنين السادس عشر والسابع عشر . فالملاح الفانح ، العاكف على الوصول الى غايته سالما ، أوجد الطلب لآلات قياس محسنة . والعالم الرامي الى حساب السرعة التي تدور بها الكواكب ، أو سرعة الاجرام المتساقطة ، والى التعبير عنها في قانون ، كان عليه أن يعرف عامل الزمان ، وأن يسجله . تسجيلا دقيقا . وطبقات التجار ، والمغامرين التجاريين ، العاكفين على توسيع نشاطهم ، كان عليهم أن يبدؤا بتعديل مفهومهم للزمان ، لكي يلائموا بينه وبين الغاية المنشودة ، وبعبارة أخرى كان عليهم أن يقوموا الزمان ، وأن يدخروه ، وأن يخطوه مقدما ، وأن يراعوا جدولا زمنيا ، وأن يتخذوا تدبيرا عقليا من أجل ما يتعين القيام به من أعمال .

وعلى هذا النحو اكتشف هؤلاء المبدعون أن الزمان ذو قيمة عندهم ، وعبروا عن قيمتهم في معادلة ، مثل أن الزمان ملاحاة آمنة ، وأن الزمان امكان صياغة قانون ، وأن الوقت من ذهب .

وأصبح الاكتشاف اسهل ( ١ ) كلما عظم المؤثر ، ( ب ) وكلما اتسع نطاق

الفرص ، ( ج ) وكلما ازدادت جاذبية الهدف ، ( د ) وكلما عظمت درجة الانبساط في المواقف العقلية المصاحبة ، ( هـ ) وكلما زادت الحركة السيكلولوجية .

وانطلاقا من المبدعين تنتشر في المجتمع صور جديدة من السلوك والنظرات والقيم ، بالهلاكة أو الضغط أو الاستحسان الاجتماعي ، أو التثقيف . ويحدث الذبوع بصورة خالية من التوافق الزمني . والتصور الجديد للزمان تكتسبه أولا الطبقات الحاكمة ، ثم الطبقات المحكومة ، وتكتسبه المدن قبل الريف ، وبعض القطاعات قبل الأخرى .

وعلم التوافق الزمني يصلق أيضا على بنية الشخصية الفردية . والتوافق يبدأ من الخارج ، لدى أناس يتخذون مواقف جديدة ، وصورا من السلوك سطحية . انهم لم يعدوا متخلفين عن الركب ، ولكنهم لم ينظموا وقتهم بعد . وفي المرحلة الأخيرة وحدها يتغلغل التوافق الى الداخل ، ويعطي التجديد بمنزلة قيمة من القيم . وهذا المنحى يستقر ويكتسب ذبوعا ، وصور السلوك التي كان ينظر إليها على أنها بدعة يصبح لها كيان مقرر ، وتنتقل انتقالا طبيعيا خلال المجتمع .

واعتقائى أن النموذج الذى وصفته ، مع أنه مرسوم فى ضوء تطور المجتمعات التى صارت مصنعة بالفعل ، هو نموذج صالح اليوم كذلك للبلاد النامية .

وظروف التنمية مختلفة بالطبع اختلافا أساسيا فى الثلث الأخير من القرن العشرين عما كانت عليه فى بداية القرن التاسع عشر . فالبلاد الباحثة اليوم عن التنمية ليست رائدة ، وهى تستطيع أن تستفيد مما لدى الآخرين من تجربة ، ولكن فى الوقت نفسه نجد الانطلاق أصعب عليها بسبب علاقات التبعية والسيطرة التى تربطها بالدول الصناعية الكبرى . فقد استغرقت أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية ٣٥٠ عاما للوصول الى تغيير فى النظرة ، من الوقت الضائع اقتصاديا ، ومن الوقت غير المحدد ، الى الوقت المستعمل استعمالا صحيحا الى الدقة . واليوم تستطيع البلاد المتخلفة أن تتقدم على نحو أسرع ، بالافادة من جميع الاختراعات الموجودة . ومن جهة أخرى بينما كان من الممكن فى القرن التاسع عشر أن يكون هناك تقدم بدون اختلاف يؤدى الى نتائج فادحة بين الانتاج والطلب من جانب المستهلك ، نرى اليوم نتيجة لارتفاع موجة الآمال التواق الى الرخاء فى العالم كله أن الفرق بين الطلب وامكانيات الانتاج كبير جدا ، ويخلق جوا من الصراع ، ان لم يخلق جوا ثوريا ، حتى قبل أن تبدأ التنمية .

ان التنمية قد دفعت بالمجتمعات الصناعية والمتخلفة فى تجهيزاتها الى تنكب طريقها على نحو خطير . والناس الآن على وعى بذلك ، والبلاد النامية تزداد تصميما

على تعويض الوقت الضائع • وبدلاً من أن تسير كما سارت أوروبا تستطيع ، اذا شاعت ، أن تجعل من التنمية عملية مرسومة ومخططة • ولكن مهما يكن من تغير الظروف ، الفردية ، يبدو أن مشكلة المفهوم الاجتماعي للزمان تنصب على الاستراتيجيات المتعين وضعها ، يمثل شروطها في الماضي : ما لم يكن تغير فيما يجعل للزمان من قيمة ، وما لم يكن هناك تنبؤ ودقة ورقابة على الزمان ، فلا إمكان للتنمية •

# نحو تفسيرينائي

## للحركات الشبابية والطّلابية

منذ منتصف العقد السابع من القرن الراهن كثر الحديث عن اضطراب الشباب والطلاب وتمردهم الى درجة تجعل هذه الظواهر حقيقة واقعة من حقائق الحياة الاجتماعية في عديد من المجتمعات الصناعية . وكقاعدة عامة يتجمع الشباب والطلاب معا وكانما ظروف كل منهم واحدة وأحوالهم متشابهة ، وهذا يعنى أن سلوك الطلبة صورة طبق الأصل من الجيل الأصغر أو الجيل الجديد برمته . ولعل الأمثلة الناصعة على ذلك ما قدمته لنا حوادث مايو ١٩٦٨ في فرنسا . وهو المثال الذى يتضح منه - في حالة عدم وجود عين فاحصة متمعة - ان المظاهرات التى حدثت قام بها بصفة أساسية الشباب أو الجيل الجديد .

### التمايز والتماثل في السلوك السياسى للشباب والطلاب

تولد هذا الانطباع من خلال الدراسات التى أجراها « كونفرس » و « بيرس » ( سنة ١٩٧٠ ) والتى توضح نتائجها أن ٢٠٪ من الشعب الفرنسى تحت سن الثلاثين ( و ٣٠٪ من الرجال تحت سن الثلاثين ) اشتركوا في المظاهرات . حدث هذا في الوقت الذى كان فيه اشتراك النسب ممن تعدت سنهم الخمسين اشتراكا قليلا أو منخفضا . ورغم هذه النتائج فاننا لا نستطيع التعجل باستنتاج متسرع يرى في هذه النتائج تدعيما للافتراضات التى تم صوغها في بعض الأحيان والتى من

## بسم : كلاوس . ر . اليربك

مساعد باحث في مركز الأبحاث التجريبية في العلوم  
الاجتماعية بجامعة كولوني - له عديد من المؤلفات في الدراسات  
الاجتماعية .

### ترجمة : الدكتور أحمد الخشاب

رئيس قسم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

بينها أن الجيل الأصغر يتحد من خلال أي شكل من أشكال التمرد الموجه نحو النظام الاجتماعي القائم . وسبب عدم تعجلنا بهذا الاستنتاج هو أن النتائج التي قدمتها دراسات مختلفة أجريت في مجتمعات صناعية مختلفة أشارت إلى وجود فروق واضحة بين أفراد الجيل الأصغر نفسه .

فقد بين كونفرس وآخرون سنة ١٩٦٩ أنه يوجد في الولايات المتحدة صراع داخل الجيل الواحد ، فبينما نجد من بين الطلاب الجامعيين من ينخرط في الجناح اليساري المعارض لحركات الطلاب نلاحظ أن الشباب الذين ينتمون إلى هذا العمر نفسه والذين لم يقدر لهم الذهاب إلى أية جامعة يشيع بينهم أعداد متفاوتة من المؤيدين للجناح اليميني الذي رشح جورج والاس للرياسة . وقد انتهى « كاس » ( ١٩٧١ ) في دراسة له عن الأفكار السياسية والسلوك في جمهورية ألمانيا الفيدرالية إلى أن هناك فروقا عميقة واضحة بين الشباب من الطلاب وبين الشباب من غير الطلبة . ولقد اشترك في سنة ١٩٦٨ أكثر من نصف الطلاب على الأقل في مظاهرات نشبت لاعتبارات سياسية، في حين كانت النسبة المقابلة للمشاركين فيها من الشباب غير الطلاب تصل إلى ٥٪ فقط . وأوضحت دراسة « كاس » التي انطوت على بعض عينات مقارنة من الشباب الطلابي وغير الطلابي والجمهور العريض ( كاس ١٩٧١ ) أن هناك فروقا أساسية فيما يتعلق بالاهتمامات السياسية والآراء السياسية والأيدولوجيات بين الطلاب من جانب والشباب غير الطلابي والجمهور

العريض من جانب آخر . فقد أبدى الطلاب اهتماما كبيرا بالسياسة ، وأوضحت أحكامهم من خلال اجاباتهم على اختبار من نموذج ( ف ٣ ) انهم أقل تسلطا ومحافظة من الشباب غير الطلابي ، ومن الجمهور العريض . هذا في الوقت الذي كان الفرق فيه بين الجماعتين الأخيرتين - الشباب غير الطلابي والجمهور - فرقا لا يذكر .

وهذه البيانات التي تتعلق بالولايات المتحدة وجمهورية ألمانيا وغيرها من البيانات تشير الى أن المكانة المهنية ، والانتظام في الحضور في معاهد التعليم ، يفضيان الى وجود فرق كبير بين الشباب الذين في فئة واحدة من فئات العمر مما يصعب معه الحديث عامة عن تمرد الشباب أو ثورتهم اذا كان المقصود بالشباب مجرد فئة محددة من فئات العمر ، كما هو شائع في لغة الحياة اليومية .

ويمكن أن يكون هذا الأمر حقيقيا بالنسبة لحوادث مايو عام ١٩٦٨ في فرنسا، كما يبدو ذلك من تحليلات كل من كونفرس وبريس ( عام ١٩٧٠ ص ١٩ ) . ويتضح ذلك من البراهين التي تم الاستشهاد بها ، فقد ثبت أن معدل من اشتركوا في الاضطرابات من بين جمهور المثقفين كان عاليا وخاصة بين الناس الأكثر تعلما والمربين تدريبا عاليا نسبيا ( ويقصد بهم اجرائيا أولئك الذين نالوا تعليما بعد المستوى الثانوي ) . وكان انتشار الاضطرابات وسريانها بينهم ثلاثة أضعاف انتشارها بين أولئك الذين نالوا تعليما عاديا أو الذين ينحدرون من الطبقة العاملة . ولو نظرنا الى النساء نظرة منفردة لرأينا هذه النسبة تزيد من ثلاثة أضعاف الى أربعة أضعاف . فحوالي نصف الذكور دون التاسعة والعشرين تقريبا ، والذين نالوا تدريبا متقدما خرجوا الى الشوارع .

يبدو واضحا إذن أنه من الخطأ أن نعزو الميل للتمرد الى عمر بعينه ، كما هو الحال في العبارات الدارجة العامة التي يمكن لنا ملاحظتها في كثير من الثقافات التي منها : أن الرجل الذي لا يكون ثوريا في سن العشرين ليس له قلب ، وأن الرجل الذي لا يزال ثوريا في سن الأربعين ليس له عقل . ومثل هذه التأكيدات لا نجدها في العبارات العامة فقط ، لأن العلماء حاولوا أيضا تفسير الشغب الطلابي وحركات الشباب من خلال تأكيدات مماثلة لتلك العبارات الدارجة . فقد حاول « ليبست » (١٩٦٥) مثلا تأكيد أن الرجال الصغار يميلون أو يجنحون نحو الأخلاق المرنة اللتوية (بالمعنى الذي يقصده ماكس فيبر) ، في حين أن البالغين الناضجين يتميزون بأخلاق المسؤولية . ومن ثم أخذ « ليبست » هذا تفسيرا للاضطرابات الطلابية .

وايا كان الأمر فإذا لم يكن العمر هو المتغير الذي يتسبب في التمرد أو الميل نحوه فمن الضروري البحث عن فروض تفسيرية أخرى . وفي محاولة البحث عن



تفسيرات بديلة يجب أن يوضع في الحسبان التحليلات الامبريقية المتعددة لحركات الطلاب في المجتمعات المختلفة .

وهذا يوضح لنا أهمية الخوض في الاعتبارات السياسية بهدف الوقوف على العوامل البيئية المرتبطة بتلك النشاطات السياسية التي تعتبر ظروفًا ضرورية تؤدي إلى اشتراك الطلاب - باعتبارهم أفرادًا - في سلوك الشعب ( انظر على سبيل المثال الزبك ١٩٧١ ) ، وإية ذلك أن تفسر الشعب الطلابي من خلال السلوك الفردي يعد تفسيرًا غير دقيق (١) . ومن هنا تبدو الحاجة ماسة إلى تفسير بنائي لظاهرة الشعب الطلابي ، تفسير يقدم لنا نسقًا يربط سلوك الأفراد المشحون بالصراع الناتج من هذا السلوك الجامع . وفيما يلي نقدم تفسيرًا بنائيًا لمظاهر الاجتماع الطلابي في المجتمعات الصناعية المتقدمة ، وسوف نحاول تحقيق هذا التفسير وإثباته في ضوء بيانات تم جمعها من دراستين مسحيتين أجريتا بين الطلاب في الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية ألمانيا الفيدرالية ، وسوف نختم ذلك بمناقشة لدى صدق التفسير وصحته بالنسبة لسلوك الرجال الصغار على وجه العموم .

### تفسير بنائي للحركات الطلابية

#### وصف الطلاب كجماعة ووصف دور الطالب

إن المجتمع الطلابي على درجة عالية من التجانس ، فمعظم الاتصالات تتم داخل هذا المجتمع ، وأصدقاء الطلاب هم غالبًا طلاب آخرون ، لا في ساحات الجامعات فقط بل أيضًا بالجامعات نفسها .

والمؤسسات التي تؤدي خدمات للطلاب كالمؤسسات الرياضية والإسكانية والكافيتريا والتأمين الصحي وتنظيمات السفر وغيرها من المؤسسات الخاصة بخدمة الطلاب والممارسات اليومية لهم تتم كلها من خلال اتصالات ضرورية داخل الجماعة الطلابية ، وتلك الممارسات التي تقلل اتصالات الطلاب مع الجماعة الأخرى إلى الحد الأدنى من جانب آخر .

وهناك تشابه بين معظم أعضاء الجماعة الطلابية ، إذا ما نظرنا إلى خصائص عامة ، فهم يتساوون في الصغر ، وفي المرحلة الواحدة من دورة الحياة ، وينحدرون من خلفيات متشابهة للمكانات الاجتماعية ، إذ يأتون من الطبقتين الوسطى والعليا .

---

(١) فالوجهون لهذه الحركات يميلون إلى الهجر من بيوت ليبرالية أو راديكالية ، ويعرف ذلك بدراسة الموضوعات بالنظر إلى التقليد الليبرالية أو اليسارية مع تصوراتهم المياسية .

كما أن نظام تقدير الدخل الذى يحصلون عليه يتشابه أيضا ، والفروق فى الدخل والاستهلاك لا تعنى بالضرورة وجود فروق فى المكانة داخل الجماعة . وتتساوى المكانات الخاصة بالهن التى يتطلعون إليها فى الارتفاع حسب توقعاتهم على الأقل .

ويضاف الى اتجاه الطلاب نحو التساوى والتعادل أن الدراسة لا تتميز بوجود تقسيم العمل كما هو الحال فى معظم الأنشطة فى المجتمعات الصناعية . فليس المطلوب من الطلاب أن يؤدوا قدرا معينا من العمل فى وقت محدد ، لأن المطلوب منهم تحصيل المعرفة المنتظمة المتوقعة أثناء الدراسة . فليس للعمل أثناء الدراسة غرض فى ذاته ، بل هو وسائل فى عملية التعلم ، لأنه ليس من المتوقع من الطلبة أن ينتجوا أى شئ مفيد للعلم ، ولكن عليهم أن يبنوا قدرتهم المحتملة على أداء عمل علمى مستقل .

والدور الطلابى ليس متسقا مع غيره من الأدوار ، لأنه لا يمكن اغفال العضوية المتزاملة المتساوية فى المجتمع الطلابى وفى الجماعات الأخرى ، كما كان الحال فى العصور الوسطى حيث لم يكن بمقدور أعضاء الجامعة أن يكونوا مواطنين من مواطنى المدينة التى تقع بها الجامعة ، ومع كل ذلك فأنماط العضوية المتقابلة ليست نسخة واحدة .

ويمكن النظر الى الدور الطلابى على أنه دور موقوف بسنوات قليلة ، هذا فضلا عن عدم اتساق هذا الدور مع غيره من الأدوار .

وتعد متطلبات الدور الطلابى متطلبات غريبة ، فليس لهذا الدور محددات قائمة . فالتوقع أن شاغل الدور نفسه هو الذى عليه أن يحدد ما ينبغى أن يكون عليه تصوره للدوره .

وقد يكون الطلاب أحرارا فى تحديد الكيفية التى يستغلون بها وقتهم ، لأنهم فى أكثر البرامج الدراسية تنظيما لا يفعلون ما يمكن تشابهه مع استغلال الوقت فى مكان آخر فى العالم الصناعى . وثمة حالة استثنائية من الحالات الطلابية ، وهى التى تتعلق ببحث الطلاب عن ذواتهم ، وكشفهم عن قدراتهم . وحتى لو كان لدى الطلاب وقت مناسب لتحقيق ذلك ، فذلك يرجع الى الطلاب أنفسهم ، وذلك لأن عينة المتطلبات المحددة للدور تجعل هذا الدور من الناحية النظرية متسقا مع معظم الأنماط الأخرى للنشاط .

ولكن الأنشطة الأخرى هذه لا تفضى بالضرورة الى أدوار أخرى ، فالطالب يعمل ليسيش ، لا لى يصبح عاملا لبعض الوقت ، أو موظفا لبعض الوقت ، فى الوقت الذى يكون فيه طالبا . ففى مكان عمله يستقبل ويعامل كطالب .

ويعنى هذا اللبس الغريب في توقعات الدور الطلابى - الى حد ما - نوعا من السلوك الانحرافى ، ومن ثم يكون من المتوقع وجود معايير خاصة بالسلوك الطلابى ، هذا بالرغم من أن الوضع الأكاديمى لا يضع استثناء للطلاب فى القانون العام .

وقد لا يكون سلوك الشباب من غير الطلاب مقبولا اجتماعيا ، شأنهم فى هذا شأن الطلاب ، فيطلب منهم أيضا فى بعض الأحيان أن يجنحوا نحو السلوك المعتدل . غير أن ما يعد سلوكا انحرافيا ، أو أفعالا انحرافية يعاقب عليها أى شخص من وجهة نظر القانون ، وما الى ذلك من الصور المزاجية للطلاب ، تقابل بشيء من التسامح . وذلك أمر متفق عليه ومصوغ من الناحية النظامية ، وبعد شاهدا على ما يسمى فى الولايات المتحدة الأمريكية « بالهوج » أى الحق .

ولا يوجد أسلوب محدد يرتدى الطلاب ملابسهم وفقا له ، إلا أن غياب المتطلبات الخاصة لها تأثير يجعل من السهل معرفة الطلاب دون ارتدائهم زيا موحدا ، كما يفعل شاغلو الأدوار الأخرى ( كالجنود مثلا ) . وبالنظر لعدم وجود زى موحد للطلاب فهذا يقلل أو يختصر المسافة التى تسمح بها الأدوار الأخرى . ولكنهم معروفين كطلاب فمن شأن ذلك أن يغير موقعهم التفاعلى مع غير الطلاب . فالتفاعل بين الأشخاص الذى يكون معروفا لدى كل منهم يصبح تفاعلا مقصورا على الفئات .

ولذلك فما يطلق عليه اسم استقلال الكلمة له دلالة خاصة لدى الطلاب ، تختلف تماما عن الاستخدام الشائع لكلمة استقلال ، فهو يعنى استقلالا نسبيا عن تأثير الدولة .

والمجتمع الأكاديمى الجامعى غير المرئى يعتبر مجتمعا حقيقيا ، يخفى عليه فيه أن يتفاعل مع العالم الخارجى . وأما العلاقات بين الطلاب فهى علاقات اسمية ، بشكل لا يجعلها تفى باستخدام كلمة « مجتمع » بالمعنى الذى يعنيه « تونين » ( ١٩٢٥ ) ، فهناك علاقات اجتماعية ضرورية للمجتمعات الصناعية المتقدمة التى تتميز بدرجة عالية من تقسيم العمل ( لمعرفة هذا انظر بيرجر ، ولوكمان ) .

ويتشابه مع الوضع الطلابى هذا الى حد كبير تقطع الدورات الاجتماعية ( سيمبل ١٩٥٨ ) التى يطور الأشخاص من خلالها ذواتهم الفردية وينمونها من خلال ارتباطات فريدة لأدوارهم ، فعندما يكون لكل فرد عدة أدوار لا يكون لأى من هذه الأدوار توحيد خاص ، ومن ثم تصبح مسافة الدور ممكنة ، لا كمقولة تحليلية فقط ، وإنما أيضا كخاصية من خواص الواقع الاجتماعى . وتميل العضوية فى الجماعات المختلفة ، وارتباط الأدوار بتوقعاتها المختلفة ، الى إيجاد مواقف للضغط المتعاقد المتزامن ، وإلى نوع من عدم الاتساق فى المكانة الاجتماعية ، التى تحدد توقعات

الدور بصورة سوية . وذلك لأن المجتمعات الصناعية لا تهىء الظروف التى تنمو من خلال الحركات الاجتماعية ، وذلك النمط من الصراع كان « ايميل دوركايم » قد توقعه ( ١٩٣٣ «دوركايم» ) ، وإذا كانت العضوية فى الجماعات المتصارعة غير محددة ، وإذا كان أعضاء الجماعة ينتمون بعضويتهم الى جماعات هى اطراف فى الصراع ، فان ميكانيزمات النظم الاجتماعية الخاصة بتنظيم الصراع تستوجب التطور . فصراعات الجماعة لا تكون لفترة طويلة صراعات بين أعضاء الجماعات ، ولكنها صراعات بين الممثلين للجماعات ، وهى التى يفترض انها تقلل من شدة الصراع .

وثمة امكانية لوقوع الصراعات الواقعية التى يشترك فيها أعضاء الجماعة ، فى ظل وجود انماط مشتركة للتنظيمات الاجتماعية ، حيث لا تكون هناك عضوية متبادلة بين الجماعات .

فكما وجد مظفر شريف فى تجربته الشهيرة التى اجراها عام ١٩٦١ فان عضو الجماعة « أ » يمكنه ان يتجنب بسهولة الصراع مع الأعضاء الآخرين فى جماعته ، فى الوقت الذى تكون فيه الخصومة بينه وبين الجماعة «ب» أكبر على شرط ان لا يكون هناك ارتباط ايجابى بين الجماعتين « أ » و «ب» .

وفىما يتعلق بالصراعات التى من النوع الواقعى ليس ضروريا أن تكون الجماعة «ب» (الجماعة غير العضوية) جماعة واقعية كما فى التجربة . فاعضاء المجتمع شأنهم شأن أعضاء الجماعات لا يفكرون من خلال جماعة مرجعية سلبية ، وانما من خلال جماعة مرجعية ايجابية ينتمى اليها كل الأعضاء . فبالنسبة للجماعة العسكرية تكون الجماعة المرجعية السلبية هى المدنيين ، الذين لا يعنون أنفسهم جماعة فى المجتمع الصناعى . وبالنسبة لرجل الدين فجماعته المرجعية السلبية هى عامة الناس ، الذين يصعب عليهم التفكير فى أنفسهم كجماعة . ولكل هذه الجماعات المرجعية الرمزية وظيفة هامة ، لأنها تحدد انماط السلوك الواجبة والتى تعتبر خارجة عن الحدود .

فالجندي الذى يتصرف كما يتصرف الرجل المدني يأتى عملا خاطئا . لأن الجنود لا يتصرفون كالمدنيين . والميكانيزمات التى من هذا النوع تعتبر فعالة اذا لم تكن الجماعة المرجعية السلبية مختلفة فقط ، بل كانت ايضا محددة لأنها لها قيم مختلفة وأقل .

وقد يختلف نوع العلاقة هذا عن الاعتقاد البسيط الذى يرى أن الجماعة الأخرى أقل مكانة وقيما . وهناك شكل أكثر تقدما من أشكال هذه العلاقة ، كالدنى

درسه « سوديى » وآخرون ( ١٩٥٨ ) . وثمة اعتقاد فى بعض الدراسات القومية المتحيزة ، مؤداه أن الجماعة غير العضوية تفكر فى الجماعة العضوية على أنها أقل منها اجتماعيا . فإذا اعتقد الجنود أن رأى المدنيين فيهم رأى يخفض من قيمتهم فسوف يكون من السهل على الجنود أن لا يتصرفوا كالمدنيين الذين يعجزون عن تصور الفضائل الحقيقية للعسكرية .

ويمكن لنا توضيح علاقات المجتمع الطلابى بالمجتمع الكبير ، عن طريق عمليات من النوع المشار اليه . فبعيدا عن التعارض التقليدى بين غير الاعضاء والأعضاء فى الجامعات فاعتقاد الطلاب فى وجود أنماط مضادة لهم بين السكان فى جملتهم يمكن أن يكون اعتقادا حقيقيا قائما ومؤكدا ، ويقدم تبريرا لأضراب الطلاب .

فى سنة ١٩٦٥ أوضحت نسبة ٥٤٪ من عينة عشوائية من طلاب جامعة ويسكونسن فى ماديسون وجود آراء سلبية من السكان نحو الطلاب ، فى حين أن ٢٢٪ فقط من هذه العينة أجابوا بوجود اعتقاد لديهم بأن السكان آراء ايجابية فى الطلاب . وهذا يعنى أن الأغلبية من الطلاب لا ترى الواقع . وذلك لأن هناك دراسة مسحية أجريت فى وقت الدراسة السابقة على سكان ويسكونسن ، اتضح من نتائجها أن معظم سكان هذه المنطقة من البالغين ( بنسبة ٥٩٪ ) لهم آراء ايجابية فى الطلاب ، وأن الأقلية منهم ( ١٨٪ ) هم الذين كانت لهم آراء سلبية .

وفى الوقت الذى لم تكن لدى فيه بيانات حول المجتمع الالمانى قبل حدوث الحركات الطلابية فإن المسوح التى أجريت بمد بدء أضراب الطلاب أوضحت أن هناك اتفاقا فى الراى بين الطلاب على أن السكان بوجه عام يعارضون المظاهرات الطلابية . وفى دراسة مسحية أجريت سنة ١٩٦٨ على طلاب كولونى أوضح ٨٢٪ من الطلاب وجود اعتقاد لديهم بأن معظم السكان يقفون ضد المظاهرات . وفى سنة ١٩٦٩ رافق ٩٥٪ من المستنيرين من طلاب كولونى على القضية التى مؤداه أن أعمال الطلاب وتصرفاتهم والمعارضة البرلمانية عمقت الهوة بين الطلاب وعامة الجمهور . ما ترتب عليه معاملة الطلاب كالمثبوذين .

وكأمر واقع فإن الافتراضات التى افترضها طلاب كولونى افتراضات خاطئة ، شأنهم فى ذلك شأن قرنائهم من الطلاب الأمريكيين . فبالسؤال عن مظاهرات الطلبة ! رجعت أقلية من الجمهور ما تكرهه هذه الأقليات فى مظاهرات الطلبة الى الطلبة أنفسهم ، وارجعت الأغلبية مسئولية تحريك الكلية الى الافراط الزائد الذى بدا من قلة من الطلاب ، ومن ثم احتفظت هذه الأغلبية بتصوير ايجابى نحو معظم الطلاب .

وفيما يتعلق بالانشقاق بين المجتمع والجمهور ، ذلك الانشقاق الذى يفترض

الطلاب وجوده ، لا يمكن تفسير هذا الانشقاق كنتيجة مصاحبة للحركات الطلابية ، لأنه لا يعدو كونه ظرفا لوجود الحركات الطلابية نفسها ، يمكن على أحسن الأحوال أن يحى التصدعات التقليدية . وتبريرنا هذا لا يستند الى نظريات نفسية اجتماعية ، او تفسيرات مبنية على نتائج مسوح تم اجراؤها .

### اختبار امبريقي ( تجريبي )

تم اختبار التصور النظري الخاص بالظروف المؤدية الى الحركات الطلابية داخل المجتمع الطلابي ، وايضا الدور الكلي للطلاب . وقد اختبر كل منهما اختبارا مستقلا بالاستناد الى جانبين : توحّد الدور ، وادراك قيمة التصدع والانشقاق بين الطلاب وبين المجتمع .

وفي غيبة البيانات عن تناسق الدور غير الطلابي يمكن اختبار المفهوم فقط من خلال الاصطلاحات الاجتماعية البنائية ، لأن البيانات الخاصة بالطلاب لا توجد بينها بيانات حول أى من المتغيرات ، وانما قياس كلي . لأن الذى يمكن وصفه كمتمغير هو التوحّد مع الدور . فالدور خاصية من خصائص البناء الاجتماعى لا تحكم تماما سلوك شاغلى الأدوار . فبإمكان شاغلى الأدوار تصور توقعات الدور تصورات مختلفة ، كما أن بإمكانهم التوحّد مع أدوارهم بدرجات متفاوتة . وهذا المدخل يجعل هناك امكانية لاختبار النظريات من خلال البيانات التى تجمع عن الطلاب .

#### جدول رقم (١)

تأييد حركة الطالب بالتوحّد مع دوره

الإجابة	توحّد عال	توحّد منخفض
تأييد حركة الطالب	٪١٥٦	٪٨٥
مؤيدا الى حد ما	٪٤٤٢	٪٣٨٨
سلبي الى حد ما	٪٣٢	٪٣٨٥
سلبي	٪٨٢	٪١٤٢
المجموع للمجيبين	« ٣٩١ »	« ٤٢٣ »

وبحساب قيمة كذا لمعرفة دلالة الفرق بين الاثنين اتضح أن قيمته = ١٨٩ ، وهى قيمة دالة عند مستوى ٠.٠١ .

جدول رقم (٢)

الاتجاه نحو التحرك الطلابي الحر لمعرفة أهمية التدريب المهني كهدف للتعليم

الإجابة	أهمية لا تذكر	مهم	أكثر أهمية
مؤيد	٪٤٠ر٣	٪٣٢ر٣	١٥ر١
تأييد قليل	٪٣١	٪٢٩	٢٢ر٦
معارضة قليلة	٪١٢ر٤	٪١٧ر٧	١٧ر٤
سلبي	٪١٦ر٣	٪٢١	٢٤ر٩
المجموع للمجيبين	( ١٢٩ )	( ٦٢ )	( ٨٦ )

كما = ١٩٩٨ دالة عند ٠.١ .

جدول رقم (٣)

يوضح اتجاهات معظم سكان المجتمع ومعظم الطلاب  
نحو مظاهرات الطلاب

الإجابة	أغلبية الطلاب	أغلبية السكان
سلبي جدا	٪١	٣٦ر٤
سلبي	٪١٢ر١	٥٥ر٣
نصف ونصف	٪٥٨ر٤	٧ر٨
موجب	٪٢٥ر٥	٠ر٣
موجب جدا	٪٢	صفر
المجموع للمجيبين	( ٨٥٥ )	( ٨٥٥ )

### الفرض الأول

« إذا كان الدور الطلابي ظرفا ضروريا لحركات الطلاب فان تأييد حركات

الطلاب سوف يرتبط بالتوحد مع هذا الدور » .

بدعم هذا الفرض البيانات التي جمعت في سنة ١٩٦٨ من الدراسة المسحية

على طلاب جامعة كولوني ، وهي البيانات المبينة في الجدول رقم (١) .

## الفرض الثاني

« كلما كان ادراك الانشقاق في المعايير والتوقعات بين الجماعة الداخلية (الطلاب) والجماعة الخارجية (السكان) كان هناك ميل الى تأييد الحركات الطلابية »

كان الاختبار الامبريقي لهذا الفرض ممكنا فقط بالنسبة للبيانات التي تم جمعها من جامعة كولوني سنة ١٩٦٨ . ففي هذه الدراسة المسحية كان السؤال الاسقاطي - الى حد ما - الذي تم صوغه هو : الى اي نوع من انواع الاتجاه يميل معظم الطلاب ومعظم السكان في نظرهم الى المظاهر الطلابية . ويتضح من التوزيع المبين في الجدول رقم (٣) الانشقاق الحاد الذي رآه معظم المجيبين وعبروا عنه في اجابتهم ، ونسبوا من خلالها للطلاب المشاعر الموجبة او المختلطة ، ونسبوا لاجلبية السكان الاتجاهات السلبية جدا ، او التي تعد على احسن الاحوال مختلطة .

والتغير الجديد الناتج عن الارتباط بين هذين السؤالين اللذين يقيسان التباعد بين الطلاب والسكان تم استخدامه كمقياس للانشقاق الادراكي لمعايير واتجاهات كل من الجماعتين المرجعتين . وبحساب معامل الارتباط بين هذا المتغير الجديد وبين تأييد الحركات الطلابية جاءت نتيجة ٢١.٢ ،  $Y = 29.٢٩$  ، وهي دالة عند مستوى ٠.٠١ . ويضيف لنا التوحد مع الدور الطلابي ، وتباين متغير التقويم نسبة ٧٪ اضافية لتباين المتغير المستقل ، وهو «تأييد الحركات الطلابية» ، وأدخلنا الآباء في النسبة ، وذوى الاتجاه الليبرالي ، والمناخ السياسي للدراسة . فان الفرق غير الدال لمعاملات الارتباط يوضح لنا ان هذه المتغيرات غير مرتبطة بالمحددات الأخرى للتأييد الفردي للحركات الطلابية ( اليريك ١٩٧٠ ) .

وأود ان أؤكد هنا ان مناقشتي مناقشة بنائية ، تستخدم حول الافراد . وحاولت ايضا ان اختبر مدى هذا في هذه الحالة . وناقشت الظروف البنائية كخواص الدور التي توحد امكانية تأييد الحركات الطلابية ، التي تنجح الى الصراع على مستوى النسق الاجتماعي ، ذلك التأييد الذي تقدمه الجماعة دون خروج على القوانين الاجتماعية النفسية لتعاشي الصراع . فخواص الدور وخصائص الجماعة تحتاج بدورها الى درجة من التوحد الفردي مع كل من الجماعة والدور ، لكن يكون كل منهما فعالا . فوجود أي نقص في التوحد مع الدور من شأنه ان يقلل من التأثير البنائي . هذا هو المنطق الكامن من وراء التدعيم الامبريقي لمناقشتي التي لا تعدو تحليلا لحالة من حالات الانحراف داخل البناء .

وإذا ما قبلت الشواهد المذكورة سالفا فيجب ان يكون واضحا اننا لا ننظر الى تفسير الحركات الطلابية هذا عن طريق خواص وسلوك الافراد . فتأييد هذه



أحركات ليس انحرافا فرديا - لو اتنا استخدمنا هذا الاصطلاح - لانها حالة من حالات الانحراف الجمعى المتأصل فى البناء الاجتماعى .

وأذا تبينا لماذا حدثت هذه الانحرافات الجمعية بالشكل الذى شاهدته السنوات الخمس الأخيرة فسوف يكون يسيرا علينا فهم هذا اذا ما وضعنا فى الاعتبار جانباً آخر من جوانب توقعات الدور .

### ارتباط الظروف البنائية والتاريخية وامكانية التآليف بينهما

ليس من الممكن تناول أى جانب أو مظهر خاص من مظاهر توقعات الدور بمنأى عن الأنشطة السياسية . فتحليل مضمون بعض الأحاديث الرسمية فى سنة ١٩٥٠ فى الولايات المتحدة وألمانيا يبرهن لنا على أن الطلاب كانوا يتوقعون مشاركتهم فى الحياة السياسية .

ف لدى الطلاب ميل متوقع أن لا يكونوا ممثلين بما يلائم النموذج المثالى فى السلوك والفكر .

ويمكن لنا تبين ملامح هذا النموذج من اقتباس بعض فقرات من الحديث الذى قاله « ادموند براون » سنة ١٩٦١ ، وهو الذى أصبح بعد ذلك حاكماً لولاية كاليفورنيا :

« انى أقول شكراً لله لمشاهدتى اضراب الطلاب » .

«وعندما تظاهروا فى وجهى فى سكرامنتو كنت أظنهم مخطئين بسبب معارضتهم ونطالبتهم بطريق الحرية ، واستماعهم لما فى المجتمع من خلافات . ولأنهم خرجوا الى الحقول مع عمال التراخيل ، ولما أتوا به من ترانيم وأهازيج عن التفرقة العنصرية . ولاحظنا أن بعض الكليات أصبحت كمعسكرات تعذيب للمواطنين . وكان الأمر محفوفاً بالصعوبة والخطورة لأن بعض الطلاب وقع فى الخطأ . وأدان بعض المواطنين ارتكابهم هذا الخطأ . وتعالى النداءات الفاضية ، وفقدت بعض الكليات المساعدات التى كانت تقدم لها ، وعلينا نحن الحكام مواجهة التوافل الساخطة ، وأن نختار ممثلين رسميين للضغط على كليات الولاية ومعامدها . ولكن علينا الآن أن نقف الى طلابنا ونتفاخر بهم . وإذا ظلت أمريكا ماضية فى طريقها فسوف ترحب بالطلاب التأقدين النافدى الصبر . وسوف يكون هؤلاء الطلاب خائفين لو أنهم أصبحوا مسالين » .

والذى يدعو الى السخرية أن فائل الكلام السابق هو الحاكم الذى أمر بوليس

الولاية بالتدخل ضد الحركة الحرة بساحات « بيركلى » بجامعة كاليفورنيا  
سنة ١٩٦٤ .

ويعد الاختلاف بين توقع المشاركة السياسية وبين ما هو واقع جانبا  
هاما لتفسير نمو الحركات الطلابية بصفة مبدئية . فتأيد الأنشطة السياسية بأفكار  
غير مطبقة يعد همزة وصل بين التفسير البنائي وبين الأبعاد التاريخية ، ويوضح  
ذلك الجمود الذى كان واقعا فى سنة ١٩٥٠ ( جولد شن وآخرين ١٩٦٠ ) ،  
وهابرماس وآخرين ١٩٦١ ، وموسجروف ١٩٦٤ ) والحركات الطلابية التى وقعت  
فى النصف الثانى من العقد المنقضى ( العقد السابع من هذا القرن ) .

### إمكانية تطبيق النموذج لتفسير احتجاج الشباب وحركاتهم

يعتبر توقع الدور الخاص بالمشاركة فى السياسة ، وسلوك المعارضة ، شيئين  
بمعنى ما مقصورين على الطلاب ، غير أن ذلك يمكن أن يكون صوابا بالنسبة للجيل  
الجديد عامة . وإذا كان الاقتباس السابق الذى يقول « أن الرجل الذى لا يكون  
ثوريا فى سن العشرين ليس له قلب .. » اقتباسا زائفا لوصف الواقع الاجتماعى  
فهو مع ذلك لا يعبر عن معيار يتوقع أن يمثل له الجيل الجديد الأصغر . وعلى أية  
حال فإذا أردنا استخدام توقعات معيابة لتوضيح سلوك هذا الجيل فيجب أن  
أن لا ننسى أن الشباب ليس مجرد فئة بيولوجية فقط، بل هو أيضا فئة اجتماعية .

وعندما نتحدث عن الشباب كفئة اجتماعية فذلك لا يعنى فئة من فئات  
بيولوجية خاصة من فئات العمر ، بل هو مرحلة خاصة فى دورة الحياة .

فبعد التمييز بين الأطفال والبالغين يمكن تعريف الصغير بأنه ذلك الذى يصل  
عندما يصل سن البلوغ الى نضج جنسى ، لا نضجا بالزواج أو الالتحاق بمهنة  
من المهن . حتى إذا افترضنا أن هذه الحقوق وتلك الواجبات هى التى تؤهلهم  
لمسئولية المشاركة فى عمليات المجتمع الأساسية .

وعلى أية حال فطول فترة الانتقال بين البلوغ وتحديد مكانة هذا البلوغ ،  
والمدى الذى تتشكل من خلاله إحدى مراحل دائرة الحياة ، هو طول يختلف  
من مجتمع صناعى حديث الى آخر . فطول هذه الفترة يزداد بكثافة التدريب  
الضرورى للحصول على المكانة المهنية المرغوب فيها . وذلك لأن المكانة الاجتماعية  
للصغار وتطلعاتهم تعتمد الى حد واضح على الفئة الطبقية التى ينتمون إليها .

فترة الشباب تتفاوت بين الذين يتطلعون الى درجة مهنية عليا أو وسطى ،

وذلك لأنهم ينحدرون بدرجات متفاوتة من أسر ذات انتماءات طبقية وسطى أو عليا . وعلى هذا يمكن القول في الآونة الراهنة وفي المستقبل القريب أن فترة الشباب قد طرا على مدتها بعض النقص ، ومع هذا فمازالت هناك درجة يجب وضعها في الاعتبار ، وهي التي ترتبط بالفئة الطبقية الوسطى أو العليا من المجتمع ، وهي فئة تحرص على تحقيق وراثتها المهنية عن طريق ابنائها .

وإذا وضعنا في اعتبارنا هذه العوامل امكنا تفسير الفروق بين الجماعات التي تنتمى الى فئة واحدة من فئات العمر ، كما أشرنا في المقدمة . وعندئذ يكون من المستطاع وضع تعريف لمفهوم الشباب يعتمد على التماثل والتشابه بين الطلاب والشباب عامة ، لأنه لم يعد في الامكان تعريف الشباب بالاستناد الى فئة عمر فقط . وأما عن المتغير الناتج عن التباين الكبير داخل الجماعة - متغير التعليم - فهو أيضا متغير يحدد هل ينتمى الشخص الذى يخضع للقانون البيولوجى للعمر الى تلك الفئة الاجتماعية التي نصفها بأنها فئة الشباب أم لا ينتمى .

وعندما تتسق الصور البنائية لمعاهد التدريب مع صور المعاهد الجامعية سيكون لدينا - بجانب توقع الدور الخاص بالسلوك السياسى - الظروف البنائية التي وضعناها سابقا والتي تعد ضرورات بنائية لوجود حركات الطلاب . وعند هذا الحد يكون تفسير الحركات الطلابية قابلا للتطبيق على الجيل الجديد أو الشباب عامة .

وهناك بعض الشواهد تدعم الفرض الذى مؤداه أن التوقعات المعيارية ترتبط بالشباب بوجه عام ، ويفهم من هذا الفرض هنا وجود تصور قيمى ملء ومحمل ببعض الجوانب السياسية والدينية . وهو تصور يعتمد على الفئة الاجتماعية بدرجة لا تقل عن اعتماد الشباب على مرحلة عمر معينة . ويفسر هذا الفرض أيضا سبب نمو تأييد الحركات الطلابية في غرب أوروبا كتأييد نام في ظل انحلال اجتماعى ، كما برهن على ذلك « انجهاارت » ١٩٧١ . وكلما زاد الانتشار الكبير للحركات الشبابية بين جماعة اجتماعية مالت تلك الجماعة الى وصف السلوك الانحرافى للجيل الأصغر ، كشكل من أشكال التعبير الذاتى ، ونوع من الاحتجاج الذى يعتبر كتهديد للجماعة ، لأنهم ينظرون الى هذا التحديد كنوع من انواع التهديد الوقتى ، ويقبلونه كأمر واقع ، حتى لو كانت مادة الاحتجاج نفسها غير مقبولة .

وعلى هذا فطبيعة المعايير التي من المتوقع أن يمثل لها الجيل الأصغر ، وطبيعة الخصائص البنائية للدور الطلابى ، وطبيعة الخصائص البنائية للجماعة الطلابية ، كل ذلك ليس كافيا لتفسير توقيت ومضمون حركات الاحتجاج وتمرد الشباب . هذا التوقيت وذلك المضمون يعدان مكونا ضروريا في أى تفسير للحركات

الطلابية وتمرد الطلاب . ويعد المفهوم من النوع التنظيمى مقياسا لوضع الحدود التى من خلالها تتفاعل المتغيرات الأخرى لتحديد التوقيت الدقيق لآى واقعة ، مثل الحركات الطلابية والشبابية .

وعلى كل حال فلا يمكن تفسير نمو الحركات الطلابية دون الرجوع الى التطورات التى تحدث على مستوى النسق السياسى فى الدول الغربية . ولن اهتم هنا بالتفصيل ولكنى سوف أكتفى بالإشارة الى تلك الجوانب التى اعتبرها ضرورية فى التفسير .

وتتضمن هذه الأسباب التاريخية : ( أ ) انتهاء الحرب الباردة ، ( ب ) عدم الاتفاق بين تصدعات البناء وتنظيم النظام الحزبى ، ( ج ) الطبيعة المتغيرة للصراع السياسى ، فبينما كانت الصراعات السياسية فى العقد السادس صراعات فنية ترتبط بالخبرة فإن الصراعات فى العقد السابع أصبحت صراعات معيارية أو قيمة تسمح بالمشاركة الجماهيرية .

ويجب على من يهتم بتحليل الحركات الطلابية أن يضع فى اعتباره الصراع فى فيتنام ، اذا كانت لديه رغبة فى توضيح نمو الحركة الطلابية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن يضع فى اعتباره الانحراف عن النظام البرلمانى ، تحت وطأة التحالف الكبير وقوانين الطوارئ فى جمهورية ألمانيا الفيدرالية اذا رغب القائم بالتحليل أن يستجلى جدول الحركات الطلابية فى ألمانيا .

وفى الوقت الذى يجب فيه الاهتمام بالدعاوى السياسية يجب أن يكون واضحا أن المقاصد والمبادئ السياسية ليست وحدها قادرة على تفسير الحركات الطلابية والشبابية ، كما يعتقد فى ذلك بعض المشاركين فى هذه الحركات . فلو كانت الأسباب السياسية هى الدافع الوحيد فما هو المبرر للتمييز بين الطلاب والشباب عامة فى هذا الصدد . فمعيار المشاركة السياسية يمكن تصويره كعامل ، عن طريق أن تصبح الأقلية ( التى تكون أكثر اتساعا مما يظنه بعض المنظرين ) متوحددة مع الأغلبية فى الحركات الاجتماعية .

وأشارتى الى هذه العمليات انما كان الهدف منها هو توضيح الطرق البديلة التى بها يكون التفسير البنائى لحركات الطلاب والشباب تفسيراً شاملاً .

ويعتبر التفسير البنائى تفسيراً ضرورياً ، ومن ثم يستوجب المزيد من البحث . وذلك لأن الحركات الطلابية الحديثة ليست ذات أهمية سوسيولوجية خاصة ، وإنما الذى يجعلها هامة هو وجودها فى غيبة عن الحركات المقارنة بين التجمعات

الاجتماعية الأخرى . وما حاوله هذا المقال هو تفسير الموقف من خلال اصطلاحات ومفاهيم اجتماعية بنائية .

وإذا تقرر تدعيم المحاولة السابقة بمزيد من الشواهد فإن سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية تقتضى التنظيم . فالانحراف على مستوى النسق الاجتماعى ليس نابعا بالضرورة من الانحراف الفردى ، سواء كان انحرافا واقعيا أو سلوكيا . ففكرة الانحراف الفردى هذه يجب فيما اعتقد أن تستبدل باعتبار الجماعة مستوى بنائيا وسيطا . فمن مزايا وجود تفسيرات مقارنة من هذا النمط أنها تكون قادرة على الافادة من المكونات البرهنة أو المختبرة من النظريات السوسيولوجية ، والنفسية الاجتماعية ، والتي تستخدم بوجه عام لتفسير الثبات الاجتماعى ، والافادة من تطبيقها على تفسير عدم الثبات والصراع الاجتماعيين .

فأى تفسير للحركات الاجتماعية لا يصبح تفسيراً ممكناً الا من خلال تصور النسق الاجتماعى الذى لا يعنى فقط تعريف الانسجام والتوازن والاشتراك ، بل يعنى أيضا ما يهدد الانسجام والتوازن والاشتراك كحالات ضمن أخريات فى النسق الاجتماعى .

# امداخل الاجتماعية لثقافة الشباب

لاشك ان أهمية مشاكل الشباب قد زادت في السنوات العشر الماضية، وأصبحت جميع الأمم مدركة لها . ذلك أن ظواهر من قبيل الصعوبات التي تعترض الجيل الصاعد في تكيفه بظروف الحياة الحديثة ، وعظلة الشباب ، وخاصة في الجماعات المحرومة من الحقوق الاجتماعية ، وازدياد الجناح ، وأزمة المدرسة والمؤسسات التربوية التقليدية ، وحركات الاحتجاج التي يقوم بها الشباب ، واشتراكهم في الحوادث الاجتماعية والسياسية ، وخاصة الثورة الثقافية في الصين ، كل أولئك قد جذب انتباه الممارسين لهذه المسائل والدارسين لها . ومن العسير أن نجد مؤسسة اجتماعية أو مركزاً من مراكز السلطة أو تكوين الرأي العام لا يهتم بمشاكل الشباب ، ومن ثم فإن سلوك الشباب يبدو عظيم الشأن في المسائل العملية .

والشباب يتمتعن بصور مختلفة من الاحتكار والحملات والاضغوط في النضال السياسي والدعائي ، وتصارع الآراء والأفكار على المستويين القومي والدولي ، كما يحدث في الصراع الاقتصادي على السوق والزبائن . ويمكننا أن نقول بوجه عام أن أولئك الذين يشاركون في هذا النوع من النضال يحاولون أن يجتذبوا إلى صفوفهم الشباب فوراً تأمينا للمستقبل الذي سوف يشكله بطبيعة الحال سلوك الشباب ، ورغبة في أن يحقوا المخاطر التي قد تنشأ عن نزعات غير مرغوبة تساور الشباب ، أو يقللوا من هذه المخاطر على الأقل . وهذا الموقف له معقبان علميان توأمان .

## بقلم : كازيميرز زيجولسكى

الأستاذ المساعد لقسم التأثير الثقافى فى المجتمع بمعهد  
الفلسفة وعلم الاجتماع فى الأكاديمية البولندية للعلوم •  
وقد نشر عددا من الكتب بالبولندية ، معظمها عن الأفلام وعن  
تطور الثقافة الجماهيرية •

## ترجمة : ابراهيم زكى خورشيد

المدير العام للثقافة ورئيس مجلس ادارة الدار المصرية  
للتأليف والنشر سابقا • له فى ميدان الترجمة نشاط مرموق •  
ومن أهم جهوده مراجعة قاموس النهضة بجزءيه ( الانجليزى  
العربى والعربى الانجليزى ) ، وترتيب دائرة المعارف الإسلامية  
عن الانجليزية بالاشتراك مع بعض الاساتذة •

الأول : أنه يزيد من الحاجة الى الأبحاث والدراسات والنظريات والمطبوعات  
التي تدرس مشاكل الشباب من وجهات نظر مختلفة • والشعور العام عن الدور  
الحاص لعلم الاجتماع فى تشخيص الداء والانداز به مشترك بين النظم السياسية المختصة  
ومدارس الفكر ، وهو يهيء الظروف المواتية للدراسة •

والثانى : ان ضغط الممارسة ووسائل الاتصال بالجماهير يكون من القوة بحيث  
يهدد التفكير العلمى ويؤدى الى نتائج سطحية متعجلة تقوم على ملاحظات ومعلومات  
لاتمس الا القشور • ونذكر من الشواهد على ذلك كثيرا مايسمى بالمطبوعات الاجتماعية  
التي تتناول شباب الصين أو حركات الطلاب الأوربيين ، وهى المطبوعات التي أصبحت  
ميسورة بمثل السرعة التي تيسرت بها التحقيقات الصحفية • على أنه من الجوهري  
أن نذكر ان الدراسة الاجتماعية لمشاكل الشباب قد زادت عسرا بقيام الصراعات  
الاجتماعية التي تفرض التزامات خاصة على الباحث •

وكذلك فإن من العسير على عالم الاجتماع أن يدرس التمييز العنصرى أو الدينى  
والصدادات العنيفة على هذين الصعيدين تحتمل فى بلد من البلاد ، أو ينظر فى الآثار  
الاجتماعية للحرب وحكومة بلاده مشتركة فى صراع مسلح • وكل مطبوع أو تصريح  
بل الاشتغال بدراسة يصبح عنصرا من عناصر الصراع ، سواء شاء العالم الاجتماعى  
أو لم يشأ ، ثم أن الطرفين المتنازعين سوف يحاولان دائما استغلال هذه العناصر

لمصاحبتها ، وقد تنشأ مشكلات علمية أخرى فيما يختص بأى بحث دولى حين يقوم بتحليل مشاكل حادة كمشاكل الشباب مجموعة من علماء الاجتماع من بلاد مختلفة . وفى مثل هذه المواقف تنشأ صراعات حين يكون الشباب فى أكثر الأحيان هم موضوع اهتمامات خاصة ، ويشير هذا الى نزاعات دولية كبرى هى القوى الدافعة فى عصرنا . على أن هذا ليس هو الخط الوحيد الذى يتهدد البحث عن الحقيقة العلمية . ويخرج الباحثون من بلاد مختلفة النظم السياسية ، وعلمهم بالبلاد الأخرى الذى يقوم على ترجحات ضعيفة ومصادر غير علمية أو يشوبها الهوى يكون فى أكثر الأحيان محدودا ، وثمة نزعة عامة بين علماء الاجتماع الى قياس الموقف فى بلد أجنبى بالموقف فى بلدهم هم ، والسعى الى تقرير أمور بحجج مسبقة ، والقيام بأقيسة سطحية . مثال ذلك أننا حين نتحدث عن « شباب الجامعة » نجنح الى نسيان الفروق الأساسية فى الأصول الاجتماعية ، ففي البلاد الاشتراكية نجد أن كثيرا من هؤلاء الشباب يخرجون من أصول من العمال والمزارعين ، أما فى البلاد التى يقوم اقتصادها على الأسواق فإن طلبة الجامعة يمثلون فى الغالب الطبقة الوسطى ، فى وجهة نظرهما وموقفهما وحيثياتها .

وعلماء الاجتماع البولنديون ، وخاصة علماء الاجتماع الذين يدرسون الثقافة ، ظلوا سنوات كثيرة يحاولون أن يقتربوا من الموقف فى البلاد الأخرى ، وأن يقوموا بدراسات مشتركة تجريبية ثنائية فى الغالب (١) . وقد كان التعاون فى هذا الميدان فى خلال العشر السنوات الماضية ينمو بنجاح مع بلاد مختلفة النظم الاجتماعية والتقاليد والثقافة ، وهذا الضرب من التجربة يحمل الكاتب على التنويه بتلك الوجودية من دراسة الشباب التى قد تؤدى اذا توجهت الى أخطاء وتطورات فى غير محلها .

## مشاكل المصطلحات

لما كان مصطلح الثقافة مصطلحا ذاعت شدته بأنه فضفاض غير محكم فانه من الممكن استخراج عدد من المصطلحات والتعاريف لا حد له . وهذه المصطلحات تتطلب اذا استعملت للأغراض العلمية تفسيراً وتدعيماً مناسبين، فما الذى نفيه حقاً بالمصطلح « ثقافة الشباب » ؟ وإلى أى حد نذهب فى القول باستقلالة الذاتى بل مقابلته «لثقافات» الأخرى ؟ وإذا كان الموقف الاجتماعى فى بلد صناعى أو بلد آخذ بأسباب

(١) كانت أهم هذه الدراسات الدراسة البولندية الموفيتية الخاصة بالمشاكل الاجتماعية للعمل والإنتاج . وفى هذا النطاق درس كثير من مشاكل الشباب . مثل اختيار المهنة ، والتكيف بالعمل فى الصناعة وقت الفراغ . وقد نشرت النتائج بالبولندية والروسية جميعاً . وظهرت النسخة البولندية سنة ١٩٧٠ بعنوان «المشاكل الاجتماعية للعمل والإنتاج» بقلم G.W. Osipow و J. Zaczepanski



التصنيع فى النصف الثانى من القرن العشرين هو موضوع دراساتنا فان من الواضح أن « الثقافة » اذا نظرنا اليها من حيث هى وجه من وجوه الموقف مركبة بالطبيعة ويُعسر تحليلها بالطرائق التى يستقصى بها علماء السلالات البحث فى غينيا الجديدة، ذلك أن السمات القائمة المسلم بها للجماعات المختلفة التى تعمل جنبا إلى جنب فى فطنة ، تلك الجماعات التى تتكون منها الجماعات الحديثة ، تشتمل على أنماط من السلوك : آراء ، وعناصر من الثقافة المادية ، واللغة الخ . ومن ثم يستطيع المرء أن يتحدث عن عشرات من « الثقافات المختلفة » مثال ذلك الثقافات الخاصة بجماعات أرباب المهن . والتعايش الثقافى لثل هذه الجماعات ليس بريئا من الصراعات التى تنمكس فى الفن والأدب . على أن هناك مناطق محايدة فى الموقف الاجتماعى صالحة لأغراض التحليل العلمى أى « الثقافة القومية » و « الثقافة الطبقية » و « الثقافة الدينية » . والسؤال الرئيسى هو من ثم : ما هى المعلومات والحجج اللازمة والمناسبة لتحديد عدد من الظواهر المرتبطة بجماعة اجتماعية ما من حيث هى « ثقافة » هذه الجماعة ؟ وهذا السؤال ، على الأساس الاجتماعية ، يتطلب من الباحث أن يحدد تلك العناصر التجريبية التى يستعملها فى التعريف بالمصطلح « الثقافة » . وفى رأى الكاتب ان المرء يجب أن يحظم الأدوات العقلية ويحكم المقاييس التى تستخدم لأفراد الوحدات المستقلة بذاتها بدلا من أن يرخيها . وقد تثبت عبارات من قبل « السمات الثقافية للشباب » أو شبيبتها أنها كافية كل الكفاية للفهم المشترك . وثمة بعض الكتاب قد وعوا هذه المصاعب ، فاستخدموا مصطلح « ثقافة فرعية » وهو مصطلح يمكن الدفاع عنه فى يسر . ومن الضرورى تحديد المصطلحات السليمة وتقبلها من أجل الدراسة العلمية الدولية للشباب وبسبب الاضطراب الذى طرأ على المصطلحات الشائعة غير الدقيقة .

### البحث عن الخصائص الثقافية للشباب

والفروق الثقافية بين طوائف السن فى كثير من المجتمعات ، بما فيها المجتمعات الآخذة بأسباب الصناعة ، ليست كما سبق أن قلنا ممكنة فحسب ومسلما بها بصفة عامة ، بل انها تصبح فى كثير من الأحيان موضوع جهود يبذلها الراشدون للهيمنة على هذه الطوائف . فالراشدون يبدعون صورا ثقافية تستهدف طوائف السن الأخرى وينمونها ، والبالفون يكتبون كتباً ويخرجون أفلاما وبرامج تلفزيونية للأطفال والمراهقين ويخلقون عالما من القصص يرى فيه الشباب أنفسهم ، وأخيلة الشباب تفرض نماذج وأطلا على المراهقين . وكذلك ينظم البالفون السوق المهمة جدا لبضائع المستهلكين التى يقصدون بها الزبائن الشباب مثل المستلزمات الزائلة المسائرة للزى الجارى التى تقوم رمزا لاعزازهم لجيلهم مثل الملابس وأنماط الشعر والحل والشارات وغير ذلك . وهذا العمل يرتبط بالتطور الاقتصادى العام وارتفاع

مستوى المعيشة في المجتمعات الحديثة ، وقد حلت في السنوات العشر الماضية أن أقامت البلاد الاشتراكية صناعة خاصة أفردتها للمراهقين . وأصبح متجر كبير مخصصا للزبائن الشباب وعرف باسم « قسم الأحداث » وكان من أكبر المجازفات التجارية في وارسو ، بل ان بعض المخططين قد اقترحوا أن تكون ثمة أزياء مدرسية موحدة من عدة ألوان وتفصيلات لكل صف مدرسي . ولاشك أن هذه النظرة الجديدة من « ثقافة الشباب » سوف تقابل بالترحاب من بيوت صناعة النسيج والأزياء في العالم بأسره . ولما كان النجاح الاقتصادي للأفلام ، والتسجيلات والمطبوعات تعتمد على الزبون الشاب ، فإن المسئولين ، وإن كانوا هم أنفسهم أبعد ما يكونون عن الشباب ، يجب عليهم أن يسايروا أذواق الزبائن ، كما يساير صناع اللعب في لعبهم أذواق الأطفال سواء بسواء . ولنحاول أن نحدد النقطة التي نتحدث عنها في ايجاز دون أن ندخل في التفصيلات التي يمكن أن تتكرر بلا نهاية : إلى أي حد يكون ما يعرف بثقافة الشباب ثمرة لفعل تأتيه جماعات مهيمنة من الراشدين أو ممارسة تتفاوت براعتها يزاولها هؤلاء الذين يستهون الشباب في كثير من الأحيان متبعين القاعلة التجارية التي تقول ان الزبون على حق دائما ؟ . ولعل من الواجب أن توصف هذه الثقافة وصفا سليما بأنها « ثقافة للشباب » ما دام دور الحدث في جوهره سليما .

ولا يمكن للدراسات الاجتماعية الرامية إلى وصف مثل هذا السلوك الثقافي وتقويمه ، أن تعزل الفردية الثقافية لطوائف الشباب إلا إذا أخذت في اعتبارها في الوقت نفسه الراشدين المشاركين أيضا . ويحدث في بعض الأحيان أن يسلم بصفة ثقافة الراشدين ضمنا . وقد قام المؤلف سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ بدراسة قياسية شملت الأمة جمعاء عن مشاركة مدرسي المدارس الابتدائية والثانوية ببولندا في الثقافة الجماهيرية (١) ، والظاهر أن المشاركة في هذه الطاقة ( متوسط السن ٣٢ ) التي أفادت من وسائل الاتصال الجماهيري بما في ذلك برامج للشباب ، كانت عامة ، والراشدون يهتمون بالمفنيين الشعبيين ، وممثل السينما والأفلام ، والمجلات المصورة ، والصراع بين الأجيال ، والمبسطات ، والعاطفيات . وكل أولئك ، من حيث الشكل والمضمون ، ينظر إليه على اعتبار أنه يدل على خصائص النظرة أو المستمعين الشباب وعلى ما يفضلونه . ومع أن الراشدين والشباب لا يعيشون في عالمين منفصلين فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن الحياة الثقافية للمدرس الناضج في سن الثلاثين هي هي الحياة الثقافية للتلميذ الناضج في سن الخامسة عشرة . على أن المعلومات تدل في هذا الصدد على أن الجيلين أكثر قربا بعضهما من بعض مما كان عليه الحال منذ ثلاثين أو خمسين سنة .

---

(١) سمى المشروع «المدرس ووسائل الاتصال بالجماهير» وكان تحت رعاية اتحاد المدرسين

البولنديين .

ومن ثم فإن أية محاولة للقول بأن مقاومة الشباب واحتجاجه على النظم والقيم التي يمثلها الراشدون هي سمة جوهرية لحياتهم الثقافية ، محاولة من جانب واحد فقط . فقد تبين أنه يقوم الى جانب الطوائف المحتجة من الشباب ، طوائف أخرى من الموقفين تحاول أن تتكيف بالظروف الاجتماعية القائمة ولا تجاهد في سبيل احداث أية تغييرات جوهرية . ومن هنا نتساءل : هل الاحتجاج شيء من خصائص الشباب ام أنه موضوع بعض صور الاجتماع الناشئة مثلا من الموقف في الجامعة ؟ . وحسبنا أن نبرز أنه حدث في السنين الأخيرة فقط مظاهرات من جماهير العمال يحتجون على ما يحسون أنه أوضاع اجتماعية جائرة ، كما ركن المزارعون الى الشغب خوفا من منافسة الاتحادات الكبيرة ، وكذلك قامت مظاهرات تندعو الى السلام قادها ويقودها شيوخ جليل المشيب رؤوسهم وفي طليعتهم الفيلسوف الراحل اللورد برتراند رسل . وقد خالف الشباب كثيرا من النبوءات عندما حدث صراع اجتماعي عنيف في بولنفة سنة ١٩٧٠ إذ لم يشارك الشباب فيه مشاركة هامة أو لم يكن لهم فيه دور قائم بذاته . فقد كان الراشدون هم أبطال الحوادث . وحسبنا أن نبحث الشعارات والبرامج والمطالب التي نادت بها هذه الحركات لننتهي الى أن الشباب كانوا أقرب الى التكيف بهذه الحوادث منهم الى اثاره حركات احتجاج خاصة بهم .

وئمة آخر الأمر نقطة أساسية هي أننا اذا ذهبنا الى أن هناك ثقافة شباب مستقلة قائمة بذاتها أقيمت في مواجهة عالم الراشدين ، فانهما كانت خليقة بأن تهدف الى العزلة . ولكن الوقائع تخالف ذلك . فالاحتجاج وثقافة الشباب قد قدما كثيرا في صورة ميلودرامية ، وعرضا على الجمهور وأمام عدسات التلفزيون ، وزودت بهما صحف المساء وأقسامها الخاصة بالتصوير الشمسي . كل هذا يعمل ليجذب الانتباه في المجتمع ، وللنجاح في الطريق المقبول في عالم التجارة . ولبعض الشباب نزعات اصلاحية تتفاوت في جوهريتها . هم يريدون أن ينفذوا العالم ، وأن يحدثوا تغييرات أساسية في البناء الاجتماعي ، ويتقبلوا طبقة جديدة من القيم تتفق مع ما ذهب اليه الأنبياء والزعماء القدماء . ولننسى مثالا واحدا على ذلك . فقد جاء في أحد المصنفات الموجهة من كانتون الى الشباب الصيني في مستهل الثورة الثقافية هذا النص :

« الى العاملين الثوريين في فندق نانفونج . لقد كان يؤم فندق نانفونج في كثير من الأحوال أصدقاء من جميع الدول . ومن ثم فهو ميادة للتفكير البورجوازي . وقد وكل الحزب والشعب اليكم واجبات بإقامتكم بالعمل هناك ، وإبتلائكم في الوقت نفسه بامتحان قاس . على أننا حين صعدنا اليوم من الطابق الأرضي الى الطابق الثامن وجدنا أن بعض الناس قد أسرفوا في طلاء وجوههم ، وقصوا شعورهم على طريقة الأوباش من الشباب ، على حين لبس بعض العاملين الآخرين ملابس عجيبة وأحذية مستنونة الطرف . ونحن الحرس الأحمر نطالبكم بأن تقصوا على جميع هذه القاذورات

فى ظرف ٤٨ ساعة ، وانا لنحملكم المسئولية اذا لم تفعلوا ، انا نريد منكم أن تكونوا مثلاً حسناً لجميع العاملين فى خدمة الصناعة (١) •

وهذه الوثيقة الهامة ، هى فى نظر عالم الاجتماع ، شاهد على أن الطريقة المقبولة بصفة عامة لأداء أناس بعينهم بعض الشؤون فى المجتمع قد قلبت فى الصين . فقد اعتقد الطلبة أن لهم الحق فى الاشراف على البالغين وحملهم على التصرف على نهج خاص • وهم يفعلون ذلك ، فى رأيهم ، من قبل الأمة بأسرها ولمصلحتها ، وهم يدعون إلى الوحدة الثقافية ويريدون فى الوقت نفسه أن يقضوا على العناصر الدخيلة بما فى ذلك الأحذية نفسها التى تساير الطراز الشائع •

### الجوانب التاريخية للمشكلة

ولا يستطيع عالم الاجتماع الذى جعل همه الأكبر الثقافة ، ان يتجاهل الوجوه التاريخية للمشاكل ، بل اننا ، اذا لم نرتد ببصرنا الى ما قبل القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، نجد كثيراً من السوابق والملاحظات التى تتفق مع مشاكل اليوم الثقافية المتزايدة الحديثة ، ففى تلك الحقبة كانت حركات الشباب لها شأن هام جداً فى كثير من الأمم ( ولو أن ذلك اقتصر على المدن الكبيرة فى الغالب ) بالرغم من أن عدد السكان الحضريين كانوا وقتذاك أقل كثيراً منهم اليوم كما أن المدارس لم تكن منتشرة بهذا الانتشار الواسع الذى نجده اليوم • ولندكر سنة ١٨٣٠ وأوروبا الغربية بحركاتها الثقافية والسياسية ، وأعمال الشغب التى قام بها الطلبة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى بولندة وروسيا ، أو هبات العنف التى مارسوها فى ٤ مايو سنة ١٩١٩ وكانت رائدة لحوادث اليوم فى الصين •

ويرى الكاتب اننا اذ نحلل بعض الظواهر الثقافية التى تحدث بين الشباب ، فان أنماط السلوك التى تتحصل من علمنا ببعض المدارس والطوائف ، هامة جداً •

ان بعض الجماعات المحتجة تناضل النظم والقيم الحالية بغير استثناء تلك التى أسبغ عليها الزمن جلالة ، وهم يدعون الى شعارات توثيقية عارضة غامضة تنشد السلام وتدور حول حب الناس كافة ونبيذ العنف • وكل هذا معروف حق المعرفة من التاريخ ومن الأدب والمثل ، منذ الأزمنة القديمة حتى الأزمنة الحالية • وقيام زعيم أو زعماء أو توتوا موهبة الزعامة ، والحياة الجماعية والبدوية فى بعض الأحيان ، ورفض

---

(١) - مجلة الشرق الاقصى للاقتصادية (مونخ كونيغ) العدد رقم ١٩٩ ، اكتوبر سنة ١٩٦٦ ، ص ١٢٥ .

المشاركة في الخدمة العسكرية وفي الأنشطة الاقتصادية والمهنية ، هي خصائص هذه الجماعات ، وهم ، اذا استثنينا اباؤهم لامور معينة ، يدخلون في أنماط سلوكهم التفتني بأغان معا ، والرقص رقصا وجديا ، وتماطي المخدرات ، والانخراط في عريضة يباح فيها كل شيء . ونحن نجد في حشد حاشد من الطوائف كثيرا منها له صفة حركات الشباب . ويسهم الطلبة ، والآبقون من الكليات ، والفنانون ، وأهل الفكر المأمولون ، بدور جوهري في هذه الطوائف . وكلما كانت مبادئهم وأفعالهم بعيدة عن المعايير السائدة بين الناس في زمنهم زاد اضطهادهم ، حتى لو حاولوا أن يخفوا أنفسهم عن بقية المجتمع أو ينعزلوا عنه . وحسبنا أن نذكر هنا التيرلويان الفرنسيين الذين حرموا من رعاية الكنيسة سنة ١٣٧٢ في عهد شارل الخامس ، أو استمرار وجود اخوة وأخوات الروح الحرة بالرغم من الاضطهادات التي عانوها من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ، وخاصة في الأراضي الألمانية والتشييكوسلوفاكية . وهذه الطائفة الاخيرة قد نازعت كل نظام اجتماعي أو أخلاقي مستقر . وكل سلطة ، ونادت بحق كل فرد في الحرية الكاملة ، وكانت القاعدة النظرية لهذه الطائفة هي الشعار : « أينما حلت روح الرب حلت الحرية » . وقد التمس أتباع الطائفة المذكورة ، ومعظمهم من الشباب ، هذه الحرية أولا وقبل كل شيء ، في ميدان الجنس ، وعارضوا الزواج في سبيل شيوعية الاختلاط الجنسي ، ومارسوا شعائر العري والعريضة التي يباح فيها كل شيء . ولم يكن هؤلاء يريدون العمل ، وآثروا التجوال جماعات صغيرة ، يتسولون خبزهم ، ويدعون الى شعاراتهم . ونحن نستطيع أن نقول قول ألوانق أن السلوك الثقافي للشباب يمكن أن يفسر جزئيا على الأقل بأنه صورة من صور التشيع للمذهب خاص ، وأن المرء يجب ألا يدهش عندما يجد تلك الظاهرة تحدث في بلاد لها مثل هذه التقاليد .

وثمة نمط آخر من أنماط السلوك يمكن أن يفسر على ضوء تاريخ المدرسة ، ذلك أن هذه المؤسسة العظيمة الحظ في ظل المربين ، تتسم ، من وجهة نظر عالم الاجتماع ، بشيء من الاسراف في المثالية والنظر الى الأمور من جهة واحدة ، فالمدرسة لم تمر فحسب بأزمات عدة تتصل بقدرتها على التكيف بالظروف التي تتبدل سريعا ، بل هي قد أثارت أيضا المقاومة بين الجيل الصاعد ، للمناهج ، وللحكما ، والقيم والافكار التقليدية ، وقد اتخذت الأحزاب والمدرسة نفسها صورا مختلفة تبعا للمكان والزمان .

وقد اتخذ التعبير عن الاحتجاج سبيلا مختلفة ، فظهر في لغة طائفية خاصة بالمدرسة ، وظهر في العادات ، والهروب ، وأعمال الشغب ، والاستهزاء والسخرية

بالنظم الرسمية وبرامجها ، أو انكارها تماما كما حدث في مسألة الانفصالات من  
الأكاديمية البولندية للفنون الجميلة (١) .

ونحن نجد في تاريخ الثقافة البولندية مثالا هاما يبين ان هذا النوع من  
الاحتجاج يمكن أن تكون له وجه ايجابية ، فقد شاع في أوائل القرن السابع عشر ،  
من سنة ١٦٠٥ الى سنة ١٦٢٥ ، حزب خاص من أدب الشيطنة في أقدم جامعة بولندية  
بكرাকাو ، وهذا الأدب الذى أنتجه طلبة آبقون وخريجون لم ينالوا من التعليم الحظ  
الكافى فضلا عن تركهم وظائفهم ، قد ساق صورا قوية طبيعية للعلاقات الاجتماعية ،  
كما ساق أوصافا ساخرة لطبقة النبلاء الحاكمة ، ومثل أناسا من الطبقات المحرومة ،  
وبين المصاعب التى تكتنف حياة الطلبة ، وثمة عنوان لكتاب من الكتب التى كتبت  
فى ذلك العهد يصور الموقف خير تصوير وهو : « فى هذا الحوار الحزين يورد العالم  
وصفا صادقا للشقاوات الكثيرة التى يلقاها فى دراساته ، ثم يذكر مباحجه ومتمه  
( هيئات ) فى المدرسة » ، وقد اضطهدت الكنيسة هذا الأدب المشيطن وحرمته  
آخر الأمر .

وأزمة المدرسة والاحتجاجات الموجهة اليها هى بلا شك الأسباب التى دعت الى  
مسلك الشباب فى كثير من البلاد ، وخاصة فى تلك المجتمعات التى بدأت فيها  
المدارس فى قبول عدد أكبر من الطلبة بعد أن كانت لا تقبل الا عددا محصورا .  
على أن الشباب لا يستطيعون باحتجاجهم الخروج عن سلطان المدرسة . ولا يستطيع  
المراهق أن يلاحظ سلطان المدارس فى الشعارات ، ويصبح المعلم فى كثير من الأحوال  
الزعيم الروحى للشباب . مثال ذلك أن الشباب فى الصين يحاولون هم أنفسهم  
أن يدرسوا وأن يربوا البالغين ونسئ بهم مدرسيهم وآباءهم وزملاءهم .

### ملاحظات أخيرة

من الراجح أن مشاكل الشباب سوف تستوعب جهود الباحثين والرأى العام  
عدة سنوات . ويعتمد تقدم علم الاجتماع الخاص بالثقافة الى حد كبير على نظرات  
الشباب المتعددة الجوانب المنهجية الى مشاكل ثقافة الشباب الذين يرثون ، بحكم  
أنهم جزء من كل ، عناصر ثقافة الماضى على الرغم من تصريحاتهم ، ويقوم تقدم التعاون  
الدولى لعلماء الاجتماع فيما يتعلق بمشاكل الشباب كما تقوم وسائل الاتصال  
بالبصاير والثقافة الجماهيرية على معرفة الظروف الاجتماعية فى مختلف المجتمعات ،

وعلى مجموعات مشتركة من الأفكار والمناهج التي يمكن تبادلها • وخير طريقة لتحقيق ذلك هي تنظيم مشروعات البحث الدولية الخاصة بالشباب والمشاكل الاجتماعية التي تثيرها ، ويتطلب ذلك تبادلا مطردا للمعلومات العلمية ، ولقاءات منتظمة للعلماء ، وثمة مثال طيب على ذلك نجده في منشأة اسدت في السنوات القريبة فضلا عظيمًا في تحقيق هذه الفكرة الخاصة بالتعاون الدولي ، ونعني بهذه المنشأة المركز الأوروبي لوقت الفراغ والتعليم في براغ ، وبهذا المركز المنضم الى اليونسكو علماء من شرقي أوروبا وغربها ، وهم يجتمعون بانتظام مع زملائهم القادمين من الولايات المتحدة وكندا • ومن الضروري أن ننوه مرة أخرى بشأن وقت الفراغ والتعليم في حياة جيل الشباب ودراسته • وأنماط وقت الفراغ لها من بعض الوجوه صفة دولية مشتركة ، كما أن الاتجاهات التربوية أيضا تتماثل أيضا من وجوه كثيرة • ولا تدل مطبوعات المركز على التشابه فحسب ، بل تدل أيضا على أوجه الخلاف العميق بين الظروف الاجتماعية والثقافية المختلفة للشباب (١) • ولا يمكن أن تقوم صورة علمية للشباب المعاصر وثقافته بريئة من الهوى ، الا بالجهود المشتركة لعلماء الاجتماع من جميع البلاد •

---

(١) انظر «Society and Leisure» Bulletin for Sociology of Leisure, Education and Culture

الجزء الأول سنة ١٩٧٠ براغ ، إصدار المركز الأوروبي لوقت الفراغ والتعليم •



# في شباب الطبقة المتوسطة

مقدمة

وضع الشباب

يقول ادجار فريدينبرج : « يعتقد كل مجتمع صناعي رئيسي وجود مشكلة شبابية خطيرة » (١) . وعلى أي حال فإن طبيعة هذه المشكلة لا تحدد غالبا في نطاق انحرافات قطاعات من الشباب عن المستويات الايجابية للسلوك الملتزمة بالقوانين ،

طبعة معدلة عن دراسة قدمت في المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع الذي عقد في سبتمبر سنة ١٩٧٠ . والدراسة قامت على أساس بحث تم في عام ١٩٦٨ بمساعدة منحة من اتحاد مجلس المدارس في كولمبيا البريطانية (كندا) ، ومدرسة الحى رقم ٤٤ ، وإدارة الصحة القومية والرفاهية (كندا) ، وقسم منح الرفاهية، ومعهد الدراسات التعليمية في كولومبيا البريطانية ، ولون ، ومؤسسة ثي كيورني ، وجامعة سيمون فوايزير، ومنحة الرئيس للبحث . ويمكن أن نطلق على المجتمع الذي تمت عليه الدراسة أنه مجتمع الطبقة المتوسطة في تكوينه ، وبصفة مبدئية فهو مناسب لختمه مركزا كوفر . وكولومبيا البريطانية تتميز بدرجة أعلى من المتوسط من حيث الوظائف والدخل والتعليم المتوسط ، وتتميز بمتوسط أعمار منخفض ومعدل هجرة مرتفع نسبيا . واثناء الدراسة لم تدرس هيكل المؤسسات الاجتماعية فقط ، ولكن أيضا تمت الدراسة على طلبة المدارس العليا الذين تركوا المدارس بالإضافة الى آباء كل من المجموعتين .

Edgar Z. Friedenberg, *Coming of Age in America: Growth and Adolescence*, (١)  
p. 3, New York, N.Y. Vintage Books, 1967.



## بقم : جارى ب. رش

أستاذ علم الاجتماع المساعد في جامعة سيمون فريزر ،  
فانكوفر ، كندا • أصدر بالإشتراك مع • س. ديتيسوف  
« الحركات الاجتماعية المسيحية » عام ١٩٧١ • وله عدد  
من المقالات عن التطرفية اليسينية •

## ترجمة : الدكتور محمد خليل برعى

مدرس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة  
القاهرة • ماجستير في الاقتصاد من جامعة أنديانا بالولايات  
المتحدة ، دكتوراه في الاقتصاد من جامعة القاهرة • من  
مؤلفاته وأبحاثه : مبادئ الاقتصاد (كتاب) • وسائل القياس  
(مذكرات) • مجموعة أبحاث عن معدلات الانتاج والكفاءة  
الانتاجية ، وعن صناعة الغزل والنسيج في بعض البلاد  
العربية •

كما أن صلتها بعيدة عن المشاكل التي تواجه الشباب أنفسهم • وإلى حد كبير فإن  
قصر النظر في هذه الحالة إنما يعكس الظروف الغربية التي تحيط بالصغار في  
المجتمعات الصناعية المتقدمة ، فكأن الفرد صغيراً لا يعتبر رصيذاً حيويًا من وجهته  
الخاصة • وبالرغم من أن البالغين قد ينظرون بغيرة وحسد إلى « مرحلة الشباب »  
فإن كلا من البالغين والصغار ينظرون إلى مرحلة البلوغ على أنها مرحلة شقاء  
أو ما يشبه السجن ، ومدخل إلى متاهات مرحلة البلوغ • فالوضع بالنسبة للبالغ  
يعتبر حساساً جداً • ويرجع ذلك إلى أنه بالرغم من كونه عضواً في مجتمع متشابك  
داخل مجموعة متكافئة فمن المتوقع منه ( ويعتقد أنه من الواجب عليه ) أن يصبح  
عضواً في مجتمع البالغين • وعلى كل حال فإن الفرص المتاحة للانتقال أسلس بين  
هذين المجتمعين « المألوفين » تعتبر محدودة وقليلة في المجتمعات الصناعية المتقدمة •  
فالصغار أقل إدراكاً ، ولم يعدوا الأعداد الكافية للانتقال لمرحلة البلوغ • والفرص  
محدودة لايجاد علاقات متبادلة بين كل من الصغار والكبار لبلوغ أهداف مشتركة  
ولايجاد نشاط مشترك يمارسه ويتعلم منه كل من الصغار والكبار • ويمثل التقصم  
في السن مجموعة من اطارات القدرات غير المترابطة والمحددة قانوناً بصفة أساسية  
لا تستند إلى النضج الجسماني والنفساني والفكري والمصاطفي • ونتيجة لذلك  
يتعامل الكبار مع أغلبية البالغين بأسلوب تنتابه النزوات على أساس أنهم أطفال غير

مسؤولين أو بالفون غير ناضجين • وبالتالي فإن عدم المسئولية هذا وعدم النضج يجب أن يخضع للسيطرة والعلاج • وفي هذا يكتب فريدنبرج :

« يعتبر البلوغ مرحلة نمو ينبغي أن تمر بصورة طبيعية ، ولكن بدلا من ذلك هناك شعور سائد بعدم السماح بأن تمر باستمرار دون تدخل • فالصغار يزعمون ، ويقضبون كبارهم ، كما أنهم يزعمون ويقضبون أنفسهم ، أو يثورون وينتابهم اليأس عندما يظنون أنهم سيمصبحون بمثل حالة الكبار • ويراقب البالغون ويلتصون «طفيان المراهقين» «لمجتمع البالغين» الذين يسعون لقيادتهم بأساليب الرقابة والغزو الداخلي (١) » •

وفي مجتمع الطبقة المتوسطة ، مثل ما نقوم بدراسته ، فإن أساليب الغزو الداخلي والرقابة وممارسة القوة ، على الرغم من كونها غير عميقة ، تمارس بجدية بواسطة معظم المؤسسات التي يتحكم فيها البالغون : الأسرة ، المدرسة ، الكنيسة ، النظام القانوني ، الهيكل السياسي ، مجتمع الأعمال ، ومجموعة من معاهد الخدمة العامة والمعاهد الترفيهية • وكما لاحظنا من قبل قلما تكون العلاقات بين الأعضاء البالغين في هذه المؤسسات وبين الصغار علاقات تبادلية ، ولكنها علاقات من جانب واحد • وفيما يختص بهذه العلاقات لاحظ دونالد جى ماكلوك : أن أغلبية العلاقات الإنسانية تتخذ طابع الضغط والاجبار وأن تكن من جانب واحد • وهى تظهر بين شخصين أو جماعتين عندما يحدث اتصال مستمر متصاعد وتعارض متوقع • وعندما يلاحظون اختلافات بينهم ، وينظرون الى هذه الاختلافات على أنها لا مساواة ، ويفترضون أن ذلك الفرد أو تلك المجموعة تمنح حقوق التحكم فى الآخرين •

وكنموذج للعلاقات من جانب واحد نجد أن العضو المتحكم لا يعتقد فقط أنه يعرف أكثر من الآخر ، بل أحسن منه ، وهو أيضا يعرف الشخص الأقل فى المعرفة بأنه من غير المتوقع ، لأسباب فى طبيعته ، أن يعرف ما ينبغي عليه معرفته ما لم يكن معكوما وخاضعا • وهذه الأهمية الحساسة لفكرة « المعرفة الأفضل » والافتراض عن طبيعة الفرد الآخر هى التى تمنح التبرير - فى الواقع الإلزام - لممارسة الحقوق على الآخرين • ولا ينظر الى العضو غير المستقل على أنه قاصر فقط فى معرفة عالم الأشياء بل يعتقد أيضا أن هناك قصورا فى عقله ، وأنه إنسان سهل التأثير عليه ، وتحركه المشاعر أكثر مما يحركه المنطق (٢) •

---

Friedenberg, op. cit., p. 4 (١)

Donald J. Mecculloch, The Community of the University, in: Howard (٢)  
Adelman and Dennis Lee (eds.), The University Game, p. 25-27, Toronto, Anansi Press,  
1968.

والأمر الغريب في مجتمع الطبقة المتوسطة هو أن أسلوب التحكم من خلال العلاقات الوحيدة الجانب له تأثير واضح ، فكثير من الصغار الذين قمنا بدراساتهم يعتقدون أنهم عاجزون ، أقل مكانة وغير قادرين على إصدار أحكام مستقلة . فعلى سبيل المثال : توافق الأغلبية العظمى من عينة الطلبة التي قمنا بدراستها على أن الصغار عذرة تكون لهم أفكار ثورية ينبغي التخلي عنها كلما تقدم بهم العمر ( ٦٧/١ ) ، وأن الطاعة والاحترام من أهم الفضائل التي ينبغي أن يتعلمها الأطفال ( ٧١/١ ) ، وأنهم يضيعون وقتا كبيرا ويقضونه بحفاوة ( ٦٣/١ ) ، وأن عليهم الآن أن يعملوا بجدية للتمتع بالحياة في المستقبل ( ٧٧/٦ ) . وبالرغم من أن الصغار بصفة عامة يوافقون على مثل هذه الأفكار بدرجة أقل من آبائهم فمن الواضح أنهم تقبلوا ما علمهم مجتمع البالغين عن أنفسهم . وعلى أي حال فإن كل البالغين لا يسلمون للضغوط التي يمارسها من هم أكبر سنا منهم لاشراكهم في أفكارهم . وقد أمكن لفئة قليلة من تلاميذ المدارس ، وعدد أكبر ممن تركوا المدارس ، تجنب تقبل هذه الأفكار ، وبعضهم كما سوف نرى يكونون أفكارا بديلة ويتبادلونها .

وانتشار ممارسة السلطة من جانب واحد ، يمارسها البالغون على الصغار ، يدعونا الى اثارة فكرة « الصراع بين الأجيال » التي تشير الى الصراع بين الأبناء والآباء ، الصراع الذي تكون فيه السيادة لمصالحهم المتوافقة والمتعارضة ، وأهدافهم أو قيمهم عرضة للخطر . وأحدى نتائج هذه الفكرة هي أن نظن أن الصراع بين الأجيال صراع « ايدولوجي » : المثالية للصغار والمادية للكبار . وعلى أي حال علينا أن لا ننسى أن القوة عنصر أساسي في أي صراع ، وأن أسلحة القوة في حالتنا هذه — الاستقطاب ، الخضاع ، العنف ، الدعاية ، الخ — هي في أيدي الجيل الأكبر . وقلما نجد الصغار في وضع يمكنهم من تطبيق عقوبات ماثلة ورقابة على البالغين . وفي واقع الأمر نجد أن العلاقة بين الصغار والكبار هي أساسا علاقة « استعمار » أو « اقتطاع » حيث يمثل الصغار الشعب الخاضع . فالصغار ليس لديهم أراض وقلما يكون لديهم ممتلكات ( ممتلكات شخصية مختلفة الأنواع ) ، وذلك بالرغم من أنه يمكن لهم عادة التوصل الى قطاعات خاصة من أراض الآباء وممتلكاتهم . وفي معظم المجتمعات الصناعية المتقدمة ( حيث التعليم الاجباري ) نجد أن الأطفال يمنعون من العمل . الا أنهم يجبرون على العمل ( في المدرسة وفي المنزل ) في مقابل حمايتهم والحفاظة عليهم . ومهما كان الوضع الاجتماعي للصغار فانه يشترك من الوضع الاجتماعي لآبائهم . ومن ثم فإن الصغار في علاقتهم بمجتمع البالغ مسلوبو الإرادة ومعرضون للاستغلال ، ويظهر هذا الوضع في كثير من المناطق (١) ، وبالإضافة الى

(١) على سبيل المثال : قامت الدولة بإنشاء مشروعات والأعمال للشباب الممارش ، كما قامت الأحزاب بمثل ذلك عندما انشأت أجنحة الشباب ، وقام رجال الأعمال بتحويل ثقافة الهيبز واسلوب

ذلك فان ظروف شباب الطبقة المتوسطة تسوء وتدهور ( كما سوف نناقشها فى هذه المقالة ) لأن بعض التغيرات التكنولوجية والوظيفية التى تظهر الآن فى المجتمع الرأسمالى الاحتكارى تولد تناقضات طبقية جديدة ، يكون فيها لشباب الطبقة المتوسطة ، لا للطبقة العاملة ، الاحتمال الأكبر للاغتراب والتغير الجذرى . وباختصار فاننا ننظر الى « ثورة الشباب » الماصرة على أنها تركز الى بنيان قوى لا مجرد تخيلات .

## الهيكل الاجتماعى والعلاقات الأيديولوجية

من المفيد ، عند هذه المرحلة ، أن ندرس باختصار بعض خصائص مجتمع البالغين الذين قمنا بدراستهم . فأحدى السمات البارزة هى التكوين الطبقي لمينة الطلبة ، وهو تكوين يعكس الهيكل الطبقي للمجتمع ، لأن القياس كان طبقا لوظيفة الأب (١) . بالمقارنة بمنطقة فانكوفر ، وهى الأكبر ، كان المجتمع أيضا حين درسهام يضم عددا من العمال ضعف طبقة المهنيين وثلاثة أمثال الاداريين ، وكانت الطبقة الأدنى من وظائف الكتبة والعمال أقل تمثيلا ( وخاصة الطبقة الأدنى من العمال ) . اذ يبلغون حوالى ثلث العدد فى منطقة فانكوفر . وقد كانت الاجابة على السؤال « أى طبقة اجتماعية سوف تقول أنك تنتمسب إليها ؟ » ١٤٪ من الاجابات « فوق المتوسطة » و ٧٠٪ متوسطة Middle ، متوسطة Average أو ما يعادلها . وبالمقارنة بمجتمع الطلبة كانت عينة الطلبة المتسربين من المدرسة أكثر تمثيلا فى الطبقات الادارية والطبقات الاعلى العمالية ( خاصة الأولى ) وكانت أقل تمثيلا فى الطبقة المهنية .

وقد كانت معالم الطبقة الاجتماعية والنسب المئوية ، للمينة كلها البالغ عددها ( ٣٨٩ ) طبقا للوظائف ممثلة كالاتى :

مهنيون ٢٠٪ : يعملون لحسابهم أو مع شركاء ( محام ، مهندس ، طبيب ، مدرس ، الخ ) . اداريون ٢٨٪ ( رجال أعمال ، مديرون ، موظفون ، أصحاب أعمال ) .  
الطبقة الأدنى للكتبة ١٧٪ : كتبة وموظفو بيع .

---

حياتهم الى أرباح ، وقام البوليس عن طريق التهديد بتحويل الشباب الى مرشدين فى جرائم المخدرات . فالهيكل الاجتماعى للمدرسة يشبه ذلك الخاص بالسجن . وتقيم الكنائس حفلات الرقص مستغلة شعور الشباب بالوحدة لاجراء تغيرات فى سلوك روادها .

(١) عينة الطلبة ممثلة احصائيا فى المنطقة موضع الدراسة . ومن ناحية أخرى لصعوبة الحصول على عينة ممثلة للذين تركوا المدرسة فان بيانات عينة المتسربين لا يمكن الاعتماد عليها احصائيا .

الطبقة الأعلى للعمال ٢٦٥٪ : حرفيون مهرة ، أسطوات ، ومنفذون •

الطبقة الأدنى من العمال ٦٢٪ : عمال نصف مهرة وغير مهرة ، وعمال خدمات ، وعمال مزارع •

اجابات غير محددة ١٥٪ : لا اجابة ، أو لا يعرفون •

ومن بين الخواص الأخرى المميزة للمجتمع موضع الدراسة مدى أخفاء الشباب لتطلعاتهم في التحرك الى مستوى أعلى ، وهو الاتجاه المنتشر بين جميع قطاعات مجتمع البالغين • ويتركز هذا التشريك بصفة خاصة في مستويات طبقة الكتبة ، حيث يعتبر التعليم الطريق المناسب لحياة أفضل • وتحدد العلاقة بين خطط التعليم العالي والطبقة الاجتماعية كالاتي ( النسبة المثوية لمن يستهدفون دخول الجامعة ) : مهنيون ٥٨٪ ، اداريون ٦٩٦٪ ، الطبقة الأدنى للكتبة ٥٦١٪ ، طبقة العمال المهرة ٣٥٪ ، طبقة العمال غير المهرة ٢٠٨٪ ، واجابات غير محددة ٣٣٣٪ • والنسبة الاجمالية هي ٤٩٤٪ • ومن ثم فأننا نجد أن نصف الطلبة تقريبا ( من اجاباتهم ) يخططون لدخول الجامعة • ويختلف هذا الأمل باختلاف الطبقة الاجتماعية (١) • ولكن هذا التباين لا يثير الدهشة حيث يعتبر ظاهرة عالمية على أساس الدراسات التي أجريت على التعليم والطبقات الاجتماعية •

وتقدم البيانات الواردة بالجدول رقم (١) دليلا قويا على أثر الوضع الاجتماعي في التطلع الى مستوى أعلى ، فأكثر من ٥٠٪ من الطلبة في جميع الطبقات الاجتماعية يأملون في حياة مهنية • بالإضافة الى ذلك على الرغم من أن طبقة المديرين ممثلة تمثيلا أكبر في المجتمع ( ٢٨٪ من السكان ) فإن الوظائف الادارية المستقبلية رفضت كلية تقريبا من جانب الشباب موضع الدراسة • وقد ظهر في السنوات الأخيرة ، وبصفة خاصة في أمريكا الشمالية ، اتجاه ملحوظ نحو نبذ الشباب لعالم الأعمال - وليس من الضروري دراسة هذه الأسباب دراسة تحليلية هنا ، ولكن يمكن أن نقترح بعض الاحتمالات ، مثل : سوء ادارة الموارد الطبيعية ، وتدهور البيئة وفسادها ، وأنتاج الأسلحة ، والاحتكاكات الضخمة ، والرغبة المحومة في الربح •

---

(١) من المهم ملاحظة النسبة المرتفعة جدا للطلبة الذين يستهدفون دخول الجامعة في طبقة المديرين • وبدون شك يعتبر أبناء رجال الأعمال أهم قسم في المجتمع المدروس ، نظرا لانهم أكثر تمردا ونافرا لتناقضات مجسع مايبذ الراسمالية •

## جنول ( ١ )

### التوقع الوظيفى طبقا للطبقة الاجتماعية ( بالنسبة المثوية )

التوقع الوظيفى						
الطبقة الاجتماعية	مهيون	مديرون	طبقة صفار الكتبة	طبقة العمال المهرة	طبقة العمال غير المهرة	اجابات غير محددة
مهيون	٦١ر٨	—	٧ر٤	١ر٢	٧ر٤	٢٢ر٢
مديرون	٥٩ر٦	٢ر٨	٦ر٤	١ر٨	٣ر٧	٢٥ر٧
طبقة صفار الكتبة	٥٤ر٦	٣ر٢	١٠ر٦	١ر٥	٤ر٥	٢٥ر٨
طبقة العمال المهرة	٥١ر٤	١ر١	١٠ر٧	٥ر٨	٣ر٩	٢٧ر٢
طبقة العمال غير المهرة	٥٨ر٣	—	٤ر٢	٤ر٢	٢ر٥	٨ر٣
اجابات غير محددة	٦٦ر٧	—	—	—	—	٣٣ر٣
اجمالى النسبة المثوية	٥٦ر١	١ر٥	٨ر٥	٣ر١	٦ر١	٢٤ر٢
اجمالى	٣٨٩					

وبالرجوع الى بيانات الجنول (١) نجد أن التقارب الوحيد بين وظيفة الأب والوظيفة المستقبلية هي فى طبقة العمال غير المهرة . وبالرغم من أن هذه الحدود لها توقع غير مناسب أو غير متناسق للتحرك من قاع الهيكل الطبقي الى القمة ( هو راشيو الجير ) الا أنه يوجد على الأقل حوالى الربع لهم توقعات للتوظيف مستقبلا فى المستوى الأدنى للعمال ( عمال غير مهرة ) . ومع ذلك فإن علينا أن نخلص بأن معظم الشباب فى دراستنا لهم توقعات غير واقعية للتحرك لأعلى ، وان كان ذلك يقل الى حد ما فى الطبقات الأدنى اجتماعيا واقتصاديا ، حيث نجدهم أقل طموحا لدخول الجامعة .

ومن بين النتائج الأخرى التى تثير الاهتمام ما يعتبره الشباب مكاسب « مثالية » من وظائفهم المتوقعة ، وعندما تم سؤالهم عن ترتيب الرغبات التى ياملون تحقيقها من أعمالهم فى المستقبل كن الاعتبار الرئيسى هو فرص استخدام المهارات المتخصصة ( اختيار أول ٢٢ر٦٪ ) ، الاستقرار والطمانية . وحصل الضمان والاستقرار أيضا على درجة مرتفعة ( ١٩٪ ) ، وفرص مساعدة الآخرين ( ١١ر٦٪ ) ، وفرص تحقيق مكاسب مادية كبيرة ( ١١٪ ) . وكانت الرغبة فى القدرة على العمل مع اناس لا مع الأشياء متوسطة الدرجة ( ١٠٪ ) . أما الدرجات التى كانت فى مستويات أقل فقد

كانت هي الخاصة بالخلق والابتكار ( ٦٢٪ ) ، والمغامرة ( ٥٩٪ ) ، والتحرر من الرقابة ( ٢٦٪ ) ، والفرصة لممارسة القيادة ( ١٪ ) . وبصفة عامة يمكن القول بأن الشباب اليوم يفضل ضمان المستقبل وفرصة استخدام مهاراتهم عن الاثارة والمغامرة والابتكار والاستقلال . وكما سوف نرى فيما بعد فإن فرص تحقيق آمالهم منخفضة للغاية ، وبصفة خاصة للطلبة الذين يهدفون لدخول الجامعة .

أما بالنسبة للنواحي السياسية فقد وجدنا أن التفضيلات الحزبية للبالغين موضع دراسة تكاد تكون مشابهة تماما لأبائهم ( كما أظهرت سجلات انتخابات ألبم ) وذلك باستثناء أنهم يفضلون أن يكونوا على يسار الأحزاب الرئيسية أكثر مما يكونون على يمينها . وعلى أي حال فإن معظم حالات الشباب الذين درسناهم كانوا غير سياسيين بالمعنى الأيديولوجي ، كما أنهم أظهروا درجة مرتفعة للغاية من الاغتراب السياسي ( ما يماثل ضعف آبائهم تقريبا ) وذلك بالنسبة لأرائهم في الموظفين العموميين وفي الحكومة . وعلى أي حال فإن الاهتمام بالسياسة يزداد مع تقدم العمر ، فبالتحرك داخل النظام المدرسي يزداد اهتمامهم بدراسة السياسة والعلوم الاجتماعية ويقل اهتمامهم بدراسة العلوم الطبيعية والرياضة . ويلاحظ هذا الاتجاه ، بصفة خاصة ، عند الصف الحادي عشر والثاني عشر ، وينعكس في الاتجاه العاطي للقيّد والقبول بالجامعة . وفي أمريكا الشمالية يزداد الاتجاه نحو دخول كليات الآداب ، ويتناقص في كليات العلوم .

ومن وجهة النظر الاجتماعية السياسية للشباب موضع الدراسة ، فإنها كانت « يسارية ليبرالية » بصفة مبدئية ، وكان اتجاههم نحو قضايا اجتماعية محددة لا نحو الفلسفة والسياسة المجردة . كما أن موقفهم من هذه القضايا موقف اصلاحى . وفي معظم القضايا الاجتماعية ( حرية الكلمة ، التعبير السياسي ، الحريات المدنية ، مقاومة الحروب ، الخ ) فإنهم أكثر ليبرالية من آبائهم بدرجة كبيرة . وفي داخل البيئة من الطلبة تتنوع الاتجاهات الليبرالية وفقا للطبقة الاجتماعية ، فنجد أن الطلبة الذين يهدفون الى دخول الجامعة يكونون أكثر ليبرالية بالنسبة للقضايا الاجتماعية من هؤلاء الذين لا يهدفون الى دخول الجامعة .

والآن نجمع الصورة التي رسمناها عن الشباب في مجتمع الطبقة المتوسطة موضع الدراسة . لقد وجدنا علاقة شبه استعمارية أو اقطاعية بين الأجيال ، مع اعطاء تقديرات وأفكار سلبية للصغار عن حالتهم ووضعهم في الوقت الحاضر عن طريق الجهود المركزة للمؤسسات الاجتماعية التي يسيطر عليها ألبالفون . وبالتالي فلكونهم في مستوى أقل منهم فإنه يقال لهم أنهم ( خاصة الذين ينتمون الى الفئات الاجتماعية المتوسطة والأعلى ) اذا عملوا ودرسوا بجدية ودخلوا الجامعة فإنهم سوف ينجحون ويتحركون الى مستويات أعلى في السنوات التالية . ونتيجة لذلك نجد أن أعدادا كبيرة

من البنح فى الطبقة المتوسطة يخططون لدخول الجامعة ، ويتطلعون لمستويات وظيفية أعلى تحقق لهم الاستقرار والضمان وفرص ممارسة المهارات الخاصة التى اكتسبوها .

والنتيجة التى ظهرت للوضع الهيكلى والاجتماعى لشباب الطبقة المتوسطة هى ١٢اغتراب . لقد ناقشنا مشكلة التقدير السلبي للذات بشئ من الاسباب ، ولاحظنا الامل فى التعويض المقابل بضمان المستقبل والشهرة الشخصية . ولكن ليست المشكلة أن الشباب فى مرحلة اغتراب ذاتى ، بل هم أيضا غرباء بالنسبة لمعظم مؤسسات مجتمع الكبار . كما أن رفضهم الكامل تقريبا لمجتمع الأعمال وعدم ثقتهم فى الحكومة والموظفين العموميين يرتبط بمدى تقديرهم للمؤسسات الأخرى . وبالرغم من أن كثيرا من الطلبة لهم رغبة قوية فى التعليم فإنهم يرفضون القوة والسلطة المفروضة من خلال النظام التعليمى ، ويلجأون كحل بديل الى إقامة علاقات فى شكل مجموعات متائلة باعتبارها أكثر تعبيرا من حياة المدرسة . وبالرغم من حساسية الشباب للجوانب والاهتمامات الدينية فإن أغلبهم يرى أن الدين لا أهمية له فى حياتهم . وأيضاً بالرغم من أن الشباب موضع الدراسة لهم ارتباط معقول بفكرة القانون والعدالة فإنهم يرفضون الطاعة العمياء المتوقعة منهم عن طريق السلطات القانونية . وبالإضافة الى ذلك فإنهم يعلمون تماما أن هناك تمييزاً فى تطبيق القانون بين الناس ، وذلك وفقاً لترواتهم وحالتهم ووضعهم الاجتماعى وأصلهم وأعمارهم . ونجد أن العلاقات بين الأجيال داخل الأسرة تنسم بالتوتر . وقد أوضحت كثير من الردود أنهم لا يستطيعون مناقشة بعض الجوانب المحددة من حياتهم التى تهمهم مع آبائهم ( مثل مصاحبة الجنس الآخر ، والجنس ، والمخدرات ) . وفى مثل هذه العلاقات المتنافرة داخل المؤسسات التى يتحكم فيها الكبار فإنه من غير المستغرب أن يلجأ الشباب الى تكوين اتحادات من المجموعات المتكاثفة لتحديد دورهم وبلاورة شخصيتهم .

ومجتمع البالغين غير متجانس . فبالرغم من أننا قد ذكرنا أن الشباب له علاقة طبقية مشتركة فى مواجهة مجتمع الكبار فإن جيلهم يتباين بدرجة كبيرة وفقاً لحالة العمر ، والجنس والوضع الاجتماعى والاقتصادى ، والشخصية ، والقيم الاجتماعية ، وأسلوب الحياة ( الاهتمامات ، الأنشطة ، الملابس ، والهندام ، الخ ) . وفى دراستنا اكتشفنا مجموعة متشابكة من النماذج تستند الى هذه الخصائص التى من خلالها قام الطلبة موضع الدراسة بوضع تقسيم لانفسهم وللغير ، وكانت المقاييس السلبية هى الأكثر استخداماً وتطبيقاً بواسطة الشباب . ولم تكن هناك صعوبات الا فى حالات قليلة لتحديد الأنواع المعينة التى تثير كراهيتهم وأسباب ذلك ( على سبيل المثال ٨٪ فقط كانوا غير قادرين أو غير راغبين فى تحديد الشخص أو الأشخاص الذين يكرهونهم أكثر ) . أما بالنسبة الى النماذج الإيجابية فقد كانت الاجابات على أى حال أكثر تشويشا فيما يختص بالفضلين لديهم ( ٣٩٪ ) . ( كانوا غير قادرين أو غير راغبين



فى تحديد الفرد أو الشخص الذى يحبونه أكثر ) • ومن بين الأنواع التى كانت أكثر تفضيلا تلك المتصفة بالخشونة والجدية • وكانت مجموعة الهييز موضع تقدير كبير •

ويواجه الشباب الذين قمنا بدراستهم صعوبة كبيرة فى تحديد نموذج لأنفسهم أو لأعضاء الجماعة التى ينتمون إليها : ٤٤٪ غير قادرين أو غير راغبين فى تقسيم أنفسهم ، و ٣٨٪ فى تكوين رأى عن الكيفية التى قسمهم بها الآخرون ، و ٣٤٪ غير قادرين على تقسيم أصدقائهم • وعلى الرغم من ذلك فانه عند سؤالهم هل يرغبون فى الانتقال الى مجموعة من نوع آخر كانت نسبة الاجابة السالبة ٩١٪ ، و ٣٪ فقط لا يعرفون أو أوضحوا أنهم لا يعتقدون فى الأنواع المذكورة • ووجود درجة عالية من التماسك داخل المجموعة توضحه حقيقة أن أغلبية روابط الصداقة كانت داخل المجموعة • وباختصار يمكن القول بأن التقسيم الفئوى داخل مجتمع البالغين يتم بدرجة كبيرة على أساس تحديد الصفات غير الموجودة فى الفرد ، وأن الخرجين عن المجموعات ليسوا فقط مختلفين عنهم ، ولكنهم غير مرغوب فيهم أيضا بدرجة أو بأخرى • والانتماء الذاتى داخل المجموعات يتحقق عن طريق الالتزام الدقيق بالاساليب والمعتقدات والأنشطة التى يرتبط بهم •

وعموما فان نماذج المجموعات التى حددناها لا تصلح لآى تحليل هيكلى لمجتمع البالغين ( فالعضوية انتقالية ، وتعرض للتغير بتقدم العمر وبموال النضج ، وطبيعة الجماعات نفسها عرضة للتغير خلال الزمن مع كل خصائص جديدة تراها المجموعات المتعاقبة من البالغين ، والتى يمكن أن يتصف بها الناس ) • وعلى الرغم من ذلك فان هذه النماذج موجودة بأنماط حقيقية بالنسبة للشسبب ، وهى ضرورية لفهم طبيعة أيديولوجية الشباب وانتشارها • ولقد رأينا أن البالغ فى الطبقة المتوسطة يحددون بشكل خاص الخصائص المكروهة للجماعات المنحلة ، وعندما نأتى الى الخصائص المحبوبة للجماعات المقبولة فان آراءهم تكون أكثر شيوعا وانتشارا: شخص اجتماعى ( حسن السلوك والشخصية ) ، القيم العامة ، المواقف والأيديولوجية • ولقد رأينا أن اهتمام الشباب موجه الى القضايا والمشاكل أكثر من اهتمامهم بالمبادئ المجردة • ولدينا الآن الدليل على أن مواجهتهم لبعض القضايا المحددة تكون سالبة فالشباب يكون أكثر وضوحا لما يعارضه عما يقوم بتعظيمه • وفيما يختص بعلاقة البالغين بمؤسسات مجتمع الكبار فانه من غير المستغرب أى تكون ممارستهم المعتادة هى غالبا معدومة « أو سلبية » ، كما أن ميل شباب الطبقة المتوسطة الى اعتبار « الهييز » مثلا أعلى مفهوم أيضا ، ذلك أن هذه الجماعات تحاول الى حد ما تنمية بدائل ثقافية مضادة للنظام •

وفى السنوات الأخيرة أخذ عدد متزايد من الشباب فى تحويل هذه الرغبة فى

التغيير الى عمل ، وأخذوا يتركون المؤسسات الاجتماعية المختلفة ، فالبعض يترك الأسرة ليعيش في تعاونيات حضرية ، والبعض يترك العمل ليعيش في كميونات ريفية ، كما أن البعض يهجر الجامعة ليقوم جامعات حرة ومراكز حرفية . وفي المجتمع الذي تمت دراسته ترك حوالي ٣٠٠ طالب المدرسة ( حوالي ٥٪ من طلبة المدارس الثانوية ) خلال العام (١) . وبعض المشايخين أو الكسالى أو من لم يمكن تعليمهم طردوا أو اجبرتهم ادارة المدرسة على الخروج . والبعض أنهى دراسته ليحصل . ومن بين عينة التاركين للدراسة ٤٣٧٪ يعملون ( منهم ٣٦٤٪ طول الوقت ) ومعظم الطبقات الاجتماعية الاقتصادية المتوسطة . وتمثل طبقة المديرين وطبقة العمال المهرة ٣٦٤٪ ، و ٣٠٩٪ من عينة التاركين على التوالي . وفيما يختص بنوع البالغين نجد أن المستقيمين والمرتبدين والهيبيز كانت نسبتهم أعلى من عدد التاركين عن نسبتهم إلى مجتمع البالغين بصفة عامة . وعلى الرغم من أن من تركوا الدراسة قد رفضوا نظام المدرسة فإنهم يحتفظون باتحاداتهم داخل المدرسة ، وبالنسبة لمن أعطوا معلومات عن روابط الصداقة فإن ٨٠٪ منهم لهم ارتباطات منتظمة مع الأصدقاء الذكور في المدرسة ، و ٥٧٪ منهم لهم علاقات منتظمة مع الأصدقاء الاناث . وثلاثي اجمالي التاركين للمدرسة على اتصال بطلبة المدارس العالية .

ما هي اذن القيم والمواقف والاتجاهات السلوكية التي ينقلها التاركون للدراسة من خلال هذه الاتصالات الى الطلبة المنتظمين في الدراسة ؟

الرسالة الأولى هي مذهب « العدم » . فعلى ترك الدراسة نفسها تظهر رفضهم لعظم القيم السائدة في المجتمع ، وخاصة المتصلة بالمدرسة ، والمعروف أن المدرسة لها المسؤولية الأساسية في تنظيم هذه القيم . وكما قال «فريدنبرج» فإن «التاركين للدراسة لا يحبون ثقافة الطبقة المتوسطة ، وهم يعلمون جيدا ماذا يمكن أن نفعله حيالها . فالحجرة احدى الطرق لاختبارنا » (٢) .

وهناك رسالة أخرى لها دلالتها ، وهي مذهب الباحثين عن المذات ، فالتاركون يتحررون من القيود الاجتماعية ، وبصفة خاصة أهم القيود الأيديولوجية المفروضة على البحث عن اللذة . وهم عندهم كل من الوقت والرغبة في الذهاب الى الحدائق العامة والتسكع وممارسة العديد من المذات . وينتشر استخدام المذات على سبيل

(١) تشير من المعلومات عن التاركين حصلنا عليها من :

N.J.H. Mansfield, « Young Pariahs : Dropping Out of High School as an Institutional Alternative, Simon Fraser University, 1970 (Unpublished master's thesis).

Edgar Z. Friedenberg, « An Ideology of School Withdrawal in : (٢) Danial Schneiber (ed.), The School Drop out, p. 33. Washington, D.C. National Association, 1964.

المثال بين التاركين ( ٥٦ر٤٪ يستخدمون الماريجوانا ) ، فى حين يتعاطاها الطلبة بنسبة أقل ( ١٩ر١٪ ) . وممارسة العملية الجنسية شائعة أكثر بين التاركين ( ٦٩ر١٪ ) منها بين الطلبة ( ١٧ر٣٪ ) .

وينقل التاركون أيضا مجموعة متماسكة نسبيا من القيم الاجتماعية الى المدارس . هذه القيم تعكس المساواة ( على سبيل المثال التمييز الطبقي والجنسى منخفض جدا بين التاركين ) ، « الانسانية » ( على سبيل المثال نجد أن من تركوا المدرسة أكثر قدرة من طلبة المدارس على التمييز بين الطبيعة القهرية للمؤسسات الاجتماعية وأفعال العاملين بهذه المؤسسات ) ، « الليبرالية » ( على سبيل المثال التاركون أكثر ليبرالية فى كثير من القضايا الاجتماعية من الطلبة ) . وباختصار فإن من تركوا الدراسة ممن قمنا بدراستهم يعطون نظاما للقيم يؤكد تكامل الشخص أو الفرد وحقه فى مواجهة المؤسسات . وهم يتمتعون ، فى أشكال عديدة ، بما يطلق عليه ادجار فريدينبرج « الموضوعية » ، القدرة على مواجهة الشعور الداخلى للفرد والاستجابة له ، والخبرة الشخصية الفريدة والعلاقات الشخصية (١) . وليس من المستغرب أن نظاما للمعتقدات يرفض سيطرة المؤسسات وتحكمها ويبرز كرامة الفرد يكون له تأثير قوى على الشباب الذى يواجه تناقضات المجتمع الرأسمالى الاحتكارى (٢) .

### لتناقضات الرأسمالية الاحتكارية

ما هى طبيعة هذا المجتمع وكيف يؤثر على نوعية الوجود الانسانى ؟ ان أكثر المشاكل الاقتصادية بروزا فى المجتمعات الصناعية المتقدمة ( الولايات المتحدة نموذج لها ) لا ترتبط تماما بتكنيك الانتاج بقدر ما هى مرتبطة بأنماط الاستهلاك ، فالاتجاه التاريخى خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة كان نحو زيادة ترشيده التكنولوجيا الصناعية ، بما أدى الى توسع الطاقة الانتاجية الى الحد الذى أصبح فيه امتصاص الفائض يمثل مشكلة بالنسبة للتخطيط الاقتصادى . ومن الصفات الأخرى المميزة للمجتمعات الصناعية المتقدمة تزايد دور الحكومة كمستهلك للسلع والخدمات ، فالدفاع والتعليم والصحة والرعاية والقضاء والعديد من المصروفات العامة الأخرى تمتص الفوائض وتخلق دخولا ولكنها لاتخلق ثروة ( بمعنى أن اتفاق الحكومة - على الأقل فى

(١) Friedenberg Coming of Age in America, op. cit., p. 211.

(٢) هذا الشكل من التنظيم الاقتصادى ناقشه يوزوج باران وبول فى :

Paul A. Baran and Paul M. Sweezy, Monopoly Capital: An Essay on the American Economic and Social order, New York and London, Modern Reader Paperbacks, 1966.

الأجل القصير - لا ينتج سلعا استهلاكية ولا يحقق أرباحا ) . فلهنتيجة الاقتصادية لزيادة القوة الشرائية غير المصحوبة بالتوسع في الإنتاج هي التضخم . ومع تزايد تكاليف الإنتاج في الاقتصاد المعرض للتضخم فإن تكاليف الاستقرار الاقتصادي كذلك تزداد : الحوافز الضريبية ، إعانات الأسعار ، تعريف الواردات ، تكاليف الرفعية ، إعانات البطالة ، القروض الاستهلاكية . وفي معظم الاقتصاديات الصناعية المتقدمة نجد أن إمكانية التخفيض الكبير في تكاليف الإنتاج المحلي تواجهها الفاعلية المرتفعة للتكنولوجيا الصناعية . الإنتاجية المرتفعة للعمل ، الأجور المرتفعة وتكاليف المرتفعة للموارد والطاقة .

وتواجه الشركات الزيادة في تكاليف الإنتاج والعجز في الميزان التجاري عن طريق التوسع والتنوع ، وتتكئ الشركة ذات الصناعات المتعددة عن طريق التنصيف وإعادة الاستثمار من أن تخفض الخسائر في مناطق الإنتاج غير الربحية ، وأن تتوسع في المناطق الأخرى المحققة للأرباح . وفي السنوات الأخيرة كان جانب كبير من هذا التوسع في الأسواق الخارجية إلى الدرجة التي أصبحت فيها الشركة العالمية تكاد تسيطر على بناء المجتمعات الصناعية الغربية .

ومع تطور الشركات العملاقة ونموها تظهر تناقضات طبقية جديدة في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة . وبالرغم من أن درجة استغلال العمال قد تكون في تزايد عن طريق الضرائب الحكومية فليس كل من يبيع عمله يكون في صراع طبقي مع من يمتلكون وسائل الإنتاج ، أو مع من يسيطرون على الاستهلاك ، فقد توصلت نقابات العمال الأكثر قوة ، وخاصة التي تسيطر على العمل الضروري للشركات والمشروعات الحكومية ( مثل الصناعات المعدنية ، الطاقة ، النقل والتشبيد ) ، إلى اتفاقات ودية مع الإدارة ومع الحكومة ( ١ ) .

وكلما أصبحت هذه النقابات أكثر ضمانا وانتماء طبقيًا فإن المصالح الطبقية الجديدة تقل حول الاستغلال الرأسمالي ( علاقات الإنتاج ) وتكون أكثر حول ظروف التوظيف الملائم ( علاقات الاستهلاك ) . وتزداد احتمالات الصراع بين العاملين من جانب والعاقلين وشبه العاطلين من جانب آخر عندما يصبح مستوى الاستهلاك أو المعيشة للمجموعة الأخيرة مهددا بالبرامج الممولة ضريبيا للمحافظة على المجموعة الأولى ( الرفاهية ، الدخول السنوية عن طريق التأمين ، التعليم ، الخدمة العسكرية ، الخ ) .

(١) تينباك لندن منذ عام ١٩٧٧ بانحياز هذه النقابات إلى جانب الإدارة والحكومة ضد العاملين والعاقلين جزئيا . وكذلك بالحرب الطبقة الناتجة عن ذلك ، انظر : Jack London, in: « The Iron Heel, New York, N.Y., Hill and Wang. 1951 (American Century Series).

من يمثل البطالة والبطالة المقنعة في المجتمع الرأسمالي الاحتكاري ؟ تتضاءل فرص التوظيف لهؤلاء الذين لا يستطيعون دخول سوق العمل أو الذين عليهم أن يقبلوا مستويات في التوظيف أقل بدرجة كبيرة من مؤهلاتهم في التدريب والخبرة والتعليم . وهذا هو الوضع الذي يواجهه اليوم الشباب ، النساء والأقليات العرقية أو العنصرية وهناك مجموعات أخرى تضم من لفظتهم الصناعة ( الذين تقاعدوا من قبل والذين كانوا ضحية التسيير الذاتي ) ( الأتومية ) وعمال الكراء غير المنظمين ( العمال الزراعيين ، عمال الصناعات الاستخراجية ، صغار الكتبة ) .

ولنرجع الى محور اهتمامنا في هذه المقالة ، وهو موقف الشباب ، خاصة شباب الطبقة المتوسطة في المجتمع الرأسمالي الاحتكاري . فاغلبية البالغين في الطبقة المتوسطة في دراستنا شباب جامعي ، ومعظمهم يتطلع الى مستقبل وظيفي مهني أو فني . وتطلعات هؤلاء متجهة لوظائف مضمونة ومربحة ، ولكن احتمالات تحقيقها ضعيفة . فقد لاحظنا من الناحية الهيكلية الاتجاه نحو تزايد ترشيد أساليب الانتاج في ظل الرأسمالية الاحتكارية . ومنذ بداية اقرن أخذ المصنع في الترشيد عن طريق ادخال خطوط التجميع . وتلى ذلك الأتومية . وفي العقد السادس من هذا القرن أصبحت الأتومية مطلباً عظيماً لتنظيم العمل في المجتمع ، حيث كُن يعتقد أن تطبيقها سوف يسمح لعمال الانتاج بالتحول الى مراكز الموظفين ( الكتبة ) . وبالرغم من أن التحول الى أعلى قد حدث في بعض الأعمال المتخصصة بالقرب من أعلى قمة مستوى العمال الفنيين فإن الأتومية قد أدت في الواقع الى البطالة أو تخفيض الدرجة لأعداد كبيرة من العمال غير الفنيين أو أنصاف المهرة . وأكثر من ذلك أصبح من الواضح أن أغلبية البيروقراطيين غير قادرين أو غير أكفاء إطلاقاً في معالجة هذا القدر الكبير من المعلومات الناتج عن التكنولوجيا الحديثة . كما شهدت بداية العقد الماضي ظهور السوبرناطيقا ، فادخال « الحاسب الآلي » في الأعمال المكتبية أدى الى زيادة فرص العمل للتكنولوجيين ، كتأثير مبدئي . أما بعد ذلك فإن أكبر قطاع من قوة العمل تأثر بتقلص فرص التوظيف هو المستوى المتوسط وما يعلوه ( المهندسون ، الفنيون ، العلماء ، المديرون ، والموظفون (١) ) ، وبالرغم من أن الحاسب الآلي كان له بالتأكيد تأثير على الوظائف المتخصصة ، فإن أكبر تطبيق له كان على مستوى العاملين بالشركات والصناعة والحكومة .

وحتى على الرغم من حقيقة أن الحاسب الآلي يتيح فرص العمل في القطاع الفني من الاقتصاد ، وأن الموقف النسبي لعمال الطبقة المتوسطة يتدهور بالمقارنة بالعمال المهرة والأساسيين ، فإن شباب الطبقة المتوسطة مازال يأمل في وظائف مهنية وفنية ، وكثير منهم سوف يستقر عند مستوى أقل . والبعض سوف يجد من الصعوبة الحصول على وظيفة على الإطلاق . وفي مارس سنة ١٩٧١ كانت التقديرات المعدلة لمعدلات البطالة للشباب في كندا ، حسب الجنس والعمر كالآتي : ذكور ١٤ - ١٩ سنة

(١) هذا الاتجاه سجله :

R.A. Lockhart, « The effect of Recent Techno-Economic Changes of the Mobility Patterns and Opportunities of the American Middle Class, with Particular Emphasis on Emergent Contradictions between Occupational and Educational Factors », Simon Fraser University, 1970 (Unpublished Masters thesis).

(٢٢٦٪) ، ذكور ٢٠ - ٢٤ سنة (١٣٥٪) ، اناث ١٤ - ١٩ سنة (١٣٣٪) - اناث ٢٠ - ٢٤ سنة (٩٩٪) . وكان معدل البطالة على المستوى القومى (١٤٪) (١) عن نفس الفترة .

وبالرغم من أيديولوجية الطبقة المتوسطة ازاء التعليم الجامعى ، فان التعليم العالى نيس ضمانا للحصول على وظيفة عليا ، فكثير من خريجي الجامعة ، خاصة فى الآداب ، يجدون أن الوظيفة الوحيدة التى يمكن الحصول عليها عند تخرجهم لا تتطلب المهارات والتدريب الذى قضوا فيه سنوات عديدة وربما انفقوا عليه آلافا من الدولارات . ومن ثم فان التعليم العالى يزيد من خطورة اغتراب شباب الطبقة المتوسطة ، الذين يجدون انهم بدلا من التقدم ( عن طريق التدريب الجامعى ) سوف يقضون وقتا صعبا باستمرارهم فى وضعهم بالسلم الطبقي أو النظام الطبقي ( الفتوى ) بل ربما تحركوا الى أسفل . ولا يمكن للتناقضات الكامنة فى مجتمع الرأسمالية الاحتكارية أن تقيب عنهم لفترة طويلة ، خاصة اذا ما برزت فى نفوسهم من قبل بنور الشك فى أهمية أو حيوية المؤسسات الرئيسية القائمة . بالإضافة إلى القدرة الكامنة على التغيير ، هناك حقيقة أن كثيرا من الشباب يدخلون العلوم الاجتماعية والآداب الليبرالية فى الجامعة حيث توجد بعض التقاليد للتحليل والنقد الاجتماعى .

### الخلاصة

كثيرا مايعبر عن «ثورة الشباب» بأنها مجرد مرحلة سوف يتغلب عليها الصغار مع تقدمهم فى السن . ولكن يتزايد باستمرار عدم رضا الشباب ، وخاصة شباب الطبقة المتوسطة بالمؤسسات القائمة فى المجتمع . فالمدرسة بالنسبة للكثير منهم تعتبر خبرة عديمة المعنى لا تعلمهم شئ ، كما أن «فجوة الثقة» فى السياسة قد اتسعت بالدرجة التى أصبح فيها كثير من الشباب ناقدن سياسيين حتى قبل أن ينضجوا . فالأسرة والكنيسة عاجزة عن الإجابة عن المشاكل ذات الأهمية التى تواجه الكثير من الشباب . كما أصبح الشباب معاديا بصفة خاصة لقيم ونشاط عالم الأعمال . ويتضمن التكوين الأيديولوجى للعديد من الشباب حاليا ، العناصر التالية : وعي اجتماعى ( تعلمه الأسرة والمدارس والكنائس ) ، عدم الثقة فى المؤسسات الاجتماعية والمنظمات الرسمية ، مبادئ وقيم فردية . وفى مواجهة الشعور بالاغتراب تظهر لدى الشباب اتجاهات شديدة نحو « اللامبالاة » والبحث عن تحقيق الذات . واشباع المذات .

وبالإضافة الى ذلك هناك عامل هيكلى هام ، قد يقودنا الاعتقاد بأن الشباب سوف يكون له تأثير كبير على اتجاه التغير الاجتماعى فى المستقبل القريب . والحقيقة أن جانبا كبيرا من الشباب من مواليد بعد عام ١٩٤٥ يدخلون سوق العمل فى وقت تعاني فيه اقتصاديات الأمم الغربية ، وبصفة خاصة الولايات المتحدة وكندا ، من التدهور . ولا يتوقع أن ينخفض ضغط الشباب على قوة العمل حتى العقد التاسع عندما يصل القسم الأصغر من مواليد بعد عام ١٩٦٠ الى مستوى التوظيف . ومن ثم سوف يتحمل الشباب عبء البطالة لفترة قادمة . وبالنسبة للبعض فان احتمالات البطالة سوف تتأجل بسبب دخول الجامعة أو أداء الخدمة العسكرية . وعلى أى

(١) منه الأرقام استخرجت من : It's Your Turn : A Report to the Secretary of State ,

Committee on Youth, p. 22, Ottawa, Information Canada, 1971. ولأوقد أخذت عوامل التصحيح فى اعتبارها نسبة الصغار الذين غفوا النظر عن البحث عن عمل وكذلك الذين انسحبوا منه .

حال ، عندما يدخلون قوة العمل سوف يكون ذلك على أساس احتمالات توظف  
محتملة . وبالنسبة لكثيرين قد لا يمكن تحقيق هذا الاحتمال . وأخيرا فانه مع  
ازدياد ترشيد تكنولوجيا الإنتاج في المجتمعات الصناعية المتقدمة ، سوف تزداد  
أيضا احتمالات الصراع الطبقي بين العاملين في وظائف مضمونة وبين المستهلك  
الموسم .

ويعتبر التنبؤ بمدى ردود فعل الشباب للتناقضات الهيكلية والايديولوجية في  
المجتمع الحديث من الأمور المحيرة . الا أن هناك بعض الاتجاهات الواضحة . فمن ناحية  
يمكن أن نتوقع ازدياد عدد الشباب الخارجين عن المجتمع والذين يعيشون حياة  
هامشية تقوم على الإعانات والعمل بعض الوقت أو التسول .

وكثير من مدن أمريكا الشمالية تميزت بوجود شباب الجيتو ( المساكن الفقيرة  
للشباب) بينما ترك بعض الشباب المناطق الحضرية في محاولة العيش في المجتمعات  
الريفية ، ولا يزال البعض الآخر يلجأ الى المناطق النامية في العالم حيث تنخفض  
تكاليف المعيشة . ومن ناحية أخرى ، اذا تطور الوعي السياسي للشباب فانه من  
المتوقع أن يأخذ الشكل القفوضي ، بمعنى ثورة الفرد ضد المجتمع المنظم ، وقد لا يكون  
هناك وضوح رؤيا أمام شباب اليوم فيما يختص بما يدافعون عنه ، ولكن لديهم أفكار  
تكثر تحديدا فيما يختص بمن يثرون ضده . ولهذا السبب نجد انه من المتوقع  
للعمل الاجتماعي أن يكون اصلاحيا ويتجه الى معالجة بعض القضايا المحددة والعاجلة ،  
أكثر مما يكون في شكل حركات ثورية طويلة المدى لها ايديولوجيات جامدة . ولكن  
على الرغم من ذلك ، ونظرا لعوامل الوعي الاجتماعي والفردية وعدم تقبل التنظيمات  
الرسمية ، يمكن أن تنخرط الاعداد المتزايدة من شباب الطبقة المتوسطة في أنشطة  
« طليعية » تتجه لتحرير مجموعات الاقليات القومية المقهورة اقتصاديا وعنصريا .  
والأمثلة المعاصرة على هذا النشاط في أمريكا الشمالية تضم حركة تحرير المرأة وحزب  
الشباب العالمي وجبهة تحرير كوبيك وحزب الفهود السوداء .

ان لجوء الشباب لاستخدام العنف ضد النظام الاجتماعي القائم قد يكون له  
دور هام في تغيير جذري للمجموعات الاجتماعية ، فعوت أربعة من الطلبة في جامعة  
كنت في ٤ مايو سنة ١٩٧٠ كان دافعا للمظاهرات اللاحقة ضد الحرب . كما أن  
تصعيد الأعمال الراديكالية يؤدي الى بلورة وتجسيد الصراعات الطبقة . ولقد قد  
تدققنا من قبل احتمالات الصراع الطبقي بين الشباب وبين شرائح قوية من قوة  
العمل المنظمة . وهناك حادث له مغزاه فيما يختص بمعارضة الحرب سنة ١٩٧٠ .  
وهو الهجوم الذي قام به عمال البناء على الطلبة في ٨ مايو في نيويورك . وفي ٢٠ مايو  
سنة ١٩٧٠ تظاهر ما يتراوح بين ٦٠٠٠ و ١٥٠٠٠٠ من عمال التشييد وعمال  
الموانئ وعمال المكاتب في المدينة لتأييد سياسة الحكومة الأمريكية في جنوب شرق  
آسيا (١) .

وفي النهاية لا يمكن انكار أن الاندماج الهيكلي والايديولوجي للشباب في النظام  
الاجتماعي الراسخ في المجتمعات الصناعية الغربية في تدهور مستمر . ورد فعل  
الشباب على هذه الحالة سواء كان عن طريق التخل أو المواجهة سوف يكون له تأثير  
واضح على حركة التاريخ في هذه المجتمعات .

(١) هذه الاحداث تناقض الانطباع بأن الاضرابات الفرنسية في مايو سنة ١٩٦٨ تحل تولعات  
للتحالف بين الطلبة والعمال ضد الدولة . ويميل الكاتب للاعتقاد بأن التحالف الفرنسي يمكن  
التفايزة للثقافات العمالية أكثر مما يمكن تضامنا ايديولوجيا .

# الشباب في أوغندا



## بعض الأبعاد النظرية

### مقدمة

يقوم علماء الاجتماع منذ سنوات عدة بدراسة وملاحظة الشباب في أفريقيا الاستوائية وكذلك في معظم العالم النامي . وقد قدمت الكثير من الأفكار الخاصة بالعلاقة بين التعليم والتغير الاجتماعي وعدم ملائمة نظم التعليم المستوردة والمبالغة في عدد خريجي المدارس غير الصالحين للعمل ، وتغير الشباب من جلوره بسبب نمو مؤسسات أخرى جديدة (١) وقد ردد

نسخة معدلة من بحث قدم في سبتمبر ١٩٧٠ في المؤتمر العالمي السابع لعلم الاجتماع .

(١) نريد هذه الآراء كلها تقريبا في الوثائق الرسمية خلال الفترة الاستعمارية

وأوضحها بعض كبار الأساتذة مثل :

Thomas Balogh and K.A. Busia : See : T. Balogh : « The Problem of education in Africa : The Centennial Review of Arts and Science, Vol. 6, No. 4, 1962, p. 533-41. K. Busia : Purposeful Education in Africa : The Hague, Mouton, 1964, 107 p.

وهذه الآراء مازالت ذاتة حتى اليوم : انظر مثلا :

Education in Rural Areas : Report of the Commonwealth conference on Education in Rural Areas held at the University of Ghana, March-April 1970. London, Commonwealth secretariat, 1970, 314 p.



## بقلم : ت . والاس س . ج . ويكس

الأول خريج جامعة دورهام ، وهو يقوم الآن بالبحث الخاص بالذكوراء في علم الاجتماع في جامعة مكيري ، كيبالا بارغندا . والثاني كان من أعضاء هيئة التدريس في جامعة هارفارد وزميلة باحثا أول في معهد البحوث الاجتماعية بجامعة مكيري ، وهو الآن محاضر أول لعلم الاجتماع في جامعة مكيري .

## ترجمة : الدكتور حورية نوفي مجاهد

استاذة مساعدة للمعلوم السياسية بكلية الاقتصاد  
والمعلوم السياسية بجامعة القاهرة .

صلى هذه الأفكار السياسيون الذين يؤكفون استثمار الحاجة الى برامج تستهدف الإبقاء على ارتباط الشباب بالأرض وذلك من خلال التعليم الزراعي والخدمة الوطنية ، مشيرين الى خريجي المدارس العائقين و « المفرين » ويرون فيهم مصدرا للاضطراب السياسي والاجتماعي .

ومع ذلك فإن معظم هذه النتائج قد تطورت من البحث الذي تركز على نسبة ضئيلة جدا من السكان : أطفال المدارس وخريجي المدارس . وان كانت دراسات التعليم والتغير الاجتماعي المقصورة على هذه المجموعة لها قيمتها إلا أنها تميل الى اعطاء انطباع من جانب واحد عن مشاكل الشباب واتجاهاته ، اذ أنها تتجاهل اقلية السكان من الشباب الذي لم يلتحق بالمدارس والذي تلقى القليل من الدراسة (١) . كما يبدو

(١) انظر مثلا :

- A. Callaway : « Unemployment among African School Leavers », Journal of Modern African Studies, Vol. I, No. 3, September 1963, p. 351-71 ; M. Peil, « Middle School Leavers : Occupational Aspirations and Prospects », Ghana Journal of Sociology, Vol. 2, No. 1, February 1966, p. 7-16 ; A. McQueen : « Aspirations and problems of Nigerian School Leavers », Conference papers, Kampala, EAISR, 1963 (mimeo) ; there are articles by Anderson, Curtis and Koff on School Leavers in : J. Sheffield (ed.), Education, Employment and Rural Developments, Nairobi, East African Publishing House, 1967, 499 p. ; F. Kamoga : « The Future of Primary School Leavers in Buganda ».

أن بعضها مبني على أطارات نظرية مهزوزة ، وهي مشكلة سنناقشها هنا بدرجة من التطويل . وفي محاولة لتوضيح هذا الوضع قليلا فقد تم إجراء مسح لشباب أوغندا في يناير ١٩٧٠ (١) .

والفرض من هذا المسح لشباب أوغندا هو ، باختصار ، تقدير لاي مدى تلائم هذه الأفكار الشائعة عن الشباب في افريقيا النامية الوضع في أوغندا . ولناخذ في الاعتبار هل هناك ثقافة مميزة لشباب تلك الدولة ، وذلك بفحص المعتقدات والقيم والتوقعات والتصرفات الخاصة بالشباب .

وقد تضمنت عملية المسح مقابلات لحوالي ٧٠٠ من الشباب (جميعهم ما بين سن ١٣ و ٢٥ سنة) في ثلاث قرى من المناطق الشرقية والشمالية والوسطى من أوغندا . وقد قابلنا كل شاب مرتين ، واحدة في عام ١٩٧٠ والثانية بعدها بعام . ولقد تضمنت عينتنا كلا ممن يعيشون في القرية ، ومن يعيش من أعاليم بها حتى ولو كانوا هم أنفسهم قد غادروها . كذلك تمت مقابلة مع عينة من ٣٠٠ شخص بالغ من هذه القرى نفسها بهدف إجراء المقارنات (٢) .

---

Conference papers, op. cit. ; «A Study of WastaZe in Primary Schools in Uganda». Conference Papers, op. cit., 1960; A. Maleche, «Wastage among School leavers in West Nile», Conference Papers, op. cit., 1962; J. Silvey, «The occupational attitudes of Schools leavers in Uganda». in Richard Jolly (ed.) Research and Action, p. 135-53; Nairobi, East African Publishing House 1970; and Education in Rural Areas, op. cit.

(١) قام بمساعدتنا في هذا البحث : E.M. Asia, A.W.O. Alimani, D. Mulumba , G.W. Mwandha, J.K. Ssali, J. Wephekulu and Others.

- لهدف هذا المسح فقد عرف الشباب بأنهم الأفراد الذين تقع أعمارهم بين ١٣ سنة و ٢٥ سنة . وهذا التعريف استخدمته الامم المتحدة ، الوضع الاجتماعي العالمي ، الشباب ، ١٩٧١ . يجب ملاحظة ان الشباب يعرف وطبقيا بطرق أخرى غير مسلسل العمر في اوغندا .  
انظر :

S.G. Weeks : «Youth and the Transition to Adult Status», Conference Papers, Nabugado Conference, Kampala, Nakerce, MISR, Institute of Social Research, 1971 (mimeo).

(٢) لمزيد من المعلومات عن مسح شباب أوغندا انظر :

E.M. Asia : «The Methodology of the Uganda Youth Survey in West Nile District, Ohuko Village 1970», Conference Papers, Nabugado conference, Sociology of Education and Youth. Kampala, MISR, 1970 (Mimeo.); and T. Wallace and S.G. Weeks : «The Methodology of the Uganda Youth Survey, 1970», Youth Sessions 7th world congress of Sociology, Varna Bulgaria, 1970 (Mimeo).

وقد كانت أسئلة استطلاع الرأي ، التي أجعلها الأثنولوجيا المشتركة في العملية ، وكذا مراقب الأساليب ، قد سبقت الدراسة الشباب في كل من المناطق الريفية والحضرية واشترائهم - أن وجد - في أي شبكة من الأعمال الريفية أو المنطقة بالمدينة ، ترى أي من الشباب قد بقي في قراء ومن تركها وكيف يتأقلمون مع أوضاع الجديدة . كما حولنا فانيا أن ننظر إلى العلاقات والاختلافات بين الشباب وبين من تلقى منهم القليل من الدراسة أو من لم يتلقوا شيء منها ، وذلك فيما يختص بقدرتهم على الكسب والانتماج في الزراعة والثقافة غير الرسمية ونماذج الإنفاق والصداقة والقرابة والنسب وأنشطة أوقات الفراغ . واستكشفنا بصفة خاصة نماذج غير رسمية للمعرفة وكيف أنها بالتضامن مع روابط النسب والصداقة قد ساعدت الشباب على كسب العيش والانتماج في مجتمعاتهم الخاصة .

وباختصار حولنا أن ننظر إلى التجارب المختلفة وأساليب الحياة لهؤلاء الشباب واتجاهاتهم الناتجة عنها والعوامل التي أثرت فيهم خلال سنة من البحث الميداني .

ولما كانت هذه الدراسة قد تمت في أوغندا فإنه يجب الحذر من تطبيق أفكارها في مناطق أخرى من أفريقيا ، وإن كانت بعض المقترحات المقامة تبدو ذات معنى أوسع ، وسوف نشرح إلى ذلك خلال مناقشتنا .

هذا وسوف نأخذ في الاعتبار اثنين من أكثر وجهات النظر شيوعا عن الشباب في الدول النامية ، وسوف نتناولها بالنقد والتحليل على ضوء تجربتنا في أوغندا . الأولى نجدها في توصيات «إيزنشتاد Eisenstadt» وجوتليب Gottlieb وغيرهم ممن يرون أن قوى التمدين والتنمية - خاصة من خلال أشكال جديدة للمعالجة الاجتماعية للأوضاع - تؤدي إلى نمو ثقافة معقدة ومنفصلة خاصة بالشباب (1) ، والثانية عبر عنها من قبل «هيرسكوفيتس Herakovits» ثم بعده «تورنبول Turnbull» ، كما أنها تتردد في أعمال البعض مثل «اندرسكي Andreski» «(دوب Doob» «(ومكوين

S.N. Eisenstadt : « From Generation to Generation », New York, N.Y. (١)  
The Free Press, 1956, David Gottlieb, John Reeves and Warren D. Ten-  
houten, The Emergence of Youth Societies : A Cross-Cultural Approach  
New York, The Free Press, 1966.

Me Queen (١) • وسرى هؤلاء الكتاب الشباب كما لو كانوا قد وقفوا بلا حول في قبضة الانقسام بين عالمين مختلفين : التقليدى والحديث ، فهو نصف متعلم ومع ذلك فهو في حالة بطالة ويمثل مجموعة حائرة من الثوار الكاهنين قد ابتعدوا عن خلفياتهم • وبالتالي فسيكون لتطبيقاتنا ونقائنا بالضرورة صفة العمومية ، اذ ان الباحث مازال مستمرا والبيانات التي حصلنا عليها لم يتم تطيلها تطيلا كيميا حتى الآن •

فهذه المقالة تعتبر استكشافا اوليا يساعد في تحديد اطار نظري سيوضح مواصلنا اليه من نتائج ، ويوجه الابحاث المستقبلية توجيهها مشرعا •

### هل هناك ثقافة خاصة بالشباب في اوغندا ؟

ان مفهوم ثقافة فرعية للشباب منتشر الاستخدام في أوروبا والولايات المتحدة لدراسة خصائص الشباب : مقنناتهم ، وقيمهم ، واتجاهاتهم ، وتوقعاتهم ، وأنماط تصرفاتهم (٢) • وفى كتابه « من جيل الى جيل » يسلم « ايزنشتاد » بأن ظاهرة

---

M.J. Herskovits, « Acculturation », New York, N.Y., J.J. Augustin, 1938 ; Colin (١) Turubull, « The Lonely African », London, Cotton and Windus 1963 ; A. McQueen, « Educational and the marginality of African Youth », Journal of Social Issues, Vol. 24, No. 2, 1968. p. 179-94 ; S. Andreski, « The African Predicament, London, M. Joseph, 1969 ; L. Dood, « Becoming More Civilised », New Haven, Conn. Yale University Press, 1960 ; See also,

A.R. Zolberg « Youth as a Political Phenomenon in Tropical Africa », outhe and Society, Vol. 1, No. 2, December 1969, p. 199-218 ; and M. Armer, « Formal Education and Psychological Malaise in an African Society », Sociology of Education, Vol. 43, No. 2, Spring 970, p. 143-58 ; and Education in Rural Areas... op. cit.

(٢) من الامثلة الهامة لدراسات ثقافة الشباب فى أوروبا والولايات المتحدة :

E.A. Smith, « American Youth Culture : Group life in Teenage Society, New York, N.Y., The Free Press, 1962 ; David Gottlieb and Charles Ransey, « The American Adolescent Homewood III », The Dorsey Press, 1964 ; Kenneth Keniston, « The Uncommitted : Alienated Youth in American Society, New York, N.Y., Delta, 1960 ; Erik H. Erikson, « Identity » : Youth and Crisis, New York, N.Y., Norton, 1968 ; D.M. Downes, « The Delinquent Solution, A Study in Subcultural Theory, New York, The Free Press, 1966 ; James S. Coleman, « The Adolescent Society », New York, The Free Press, 1961 ; (ed.) Youth : « Challenge and Change », Cambridge, Mass Deadalus, 1961 ; David Matza, « Position and Behaviour of Youth », in : Robert E.L. Faris (ed.), Handbook of Modern Sociology, Chicago III. Rand McNally, 1964 ; F. Musgrave, « Youth and the Social Order », Bloomington, Ind., University Press, 1965.

المجموعة المميزة للشباب تظهر أيضا في الدول النامية (١) . فقد اتبحت للشباب فرص عمل ومراكز كانت مقفلة أمامهم من قبل في الوضع التقليدي ومازالت مقفلة بالنسبة لمن هم أكبر منهم سنا . وهذا يعني أن التوجيهات الثقافية التي تنتقل من جيل إلى آخر قد أصبحت غير ملائمة ، إذ أن هؤلاء الشباب يريدون أن يكتفوا اجتماعيا في مواقع جديدة غير مألوفة لديهم . وكلما أصبحت المجتمعات متعددة أصبحت الأسرة أقل قدرة على أن تعمل لموزع ومكيف اجتماعي لهذه الأدوار الجديدة المتعددة الأكثر تعقدا . فتنمو مؤسسات جديدة للتكيف الاجتماعي لتحل محل الوكالات التقليدية . وبالتالي يصر إيزنشتاد على أن الشباب يكتسب تميزا جديدا وتوجيها مستقلا عن أسرهم ، وأصبح يمثل فئة ثقافية شديدة التميز . فافتراضه هو أن التحول من الوضع الخاص إلى العام يؤدي إلى نشأة ثقافة خاصة للشباب مع نظام جديد للقيم الاجتماعية والوعي الشبابي .

فهل هذه النظرية التي تستمد أساسا من وجهات نظر «بارسونز» عن المتدين والتغير ، ومتغيراته النمطية الخمسة تعتبر مناسبة للدراسة شباب أوغندا اليوم ، هل تكون هنا ثقافة شبابية معينة واعية بذاتها ؟ (٢)

إذا كان علينا أن نقيم مدى تمشي هذا الاتجاه فيتعين أن يكون لدينا صورة واضحة عما يتضمنه بالضبط . وقد بحث فالتين بعمق في كتابه «الثقافة والفقر» المعنى الشامل لمفهوم الثقافة والثقافة الفرعية . فعرّف الثقافة بأنها : «طريقة شاملة للحياة يتبعها الناس» (٣) ، وهي تضع نماذج للسلوك ومستويات للتفهم والتوقعات والأحكام والتصرفات (٤) .

ولتعريف الثقافة الفرعية فإن الأمر يتطلب أكثر من مجرد إيجاد مجموعة تتصرف بطريقة مختلفة قليلا عن المعايير الاجتماعية المتعارف عليها . ويؤكد «فالتين» التفرقة بين القيم الثقافية المختلفة والتكيف الوضعي ، ففي الحالة الأخيرة قد يشاؤك الفرد أو المجموعة في القيم الثقافية العامة ، ولكن بسبب الظروف قد يرغب على التصرف بما يتعارض مع هذه القيم : « فالظروف غالبا تتطلب المساومة بالقيم أو

---

(١) Eisenstadt, op. cit., see also 1723.

S.N. Eisenstadt, « Changing Patterns of Youth protest in Different Stages of Development of modern societies », Youth and Society, Vol. 1 No. 2, December 1969, p. 133-150; see p. 135-9 on « Youth culture ».

Charles A. Valentine : « Culture and Poverty », Chicago III, University of Chicago Press, 1968.

(٤) المصدر السابق .

نقضها وذلك بالتكيف للوضع» (١) . ويحلر «فالتين» علماء الاجتماع بوجه خاص من النظر الى مجموعة من الإحصائيات ، التي يعتبرها وفقا لتفسيره مضللة ، واستخدامها لانحزام نموذج لعدم الاستقرار (٢) . فهناك عوامل أخرى قد تلعب دورا ولا يتبينها عالم الاجتماع . وهناك خطر في استنباط الحركات الاجتماعية من الأرقام لأن الشخص قد يجد بسهولة أن بعض الأفراد غير المناسبين قد أدرجوا تحت فئة قد لا يعترفون هم أنفسهم بها : فالجماعات البشرية الكبيرة تنسب لها صفات واسعة ذات نغم عاطفي مع أنها تعتبر في مواضع أخرى متناقضة كلية (٣) . وهذا قد يؤدي بسهولة إلى صلب قوالب يفرضها الباحث وهي لا تتناسب في الواقع مع الوضع الاجتماعي القائم وليس لها معنى بالنسبة له . فلتعريف الثقافة الفرعية يجب إذن أن يجد الفرد شريحة داخل نظام أوسع تقاسمت خصائص وعوامل مشتركة وتتطلب مجموعة قيم خاصة بها وكذلك أسلوب حياة مميزا مع نموذج للانتماء ووظائف اجتماعية معينة ولكن بأخذ هذا التعريف الخاص بالثقافة الفرعية في الاعتبار ، هل هناك ثقافة شبابية في أوغندا اليوم ؟

في الواقع لم نجد في أثناء عملية المسح أي ثقافة فرعية مميزة للشباب . وبالرغم من الادعاء بأن هناك عددا من طلبة المدارس الابتدائية يتخرج كل عام ، فإن النزر القليل منهم يحصل على عمل أو على دراسة أعلى ، ولا يوجد هناك دليل على أن خريجي المدارس يكونون مجموعة متجانسة ومنفصلة تلتزم بمقنناتها وفي وضع معارضة مع بقية المجتمع . بل لقد وجدنا العكس . فخريجو المدارس الابتدائية يبدوون وقد ائتمنوا نائبة في الاقتصاد المحلي وأصبحوا يشتركون في عديد من المؤسسات المفتوحة لهم مثل مجموعات السوق ونوادي الشرب في بوجيسو . ومجموعات العمل ونوادي الشرب والرقص في غرب النيل ، في حين أنهم في أوغندا يبدوون كما لو كانوا مرتبطين أسريا ويشكلون مجرد جماعات صداقة متفرقة . وبالنسبة للمتعلمين في المدارس الابتدائية في قراهم فلا يبدو أنهم قد طوروا لأنفسهم تطلعات طموحة وغير واقعية . فالمدرسة الابتدائية بحكم موقعها ونوعية القائمين بالتدريس فيها تعتبر وكالة للتكيف الاجتماعي ، فهي ليست في موقف النزاع مع قيم الأسرة أو القرية ، ولكنها في الواقع تفصل جزءا لا يتجزأ من الوضع الريفي المتطور (٤) . ويبدو أنه لتسمية مجموعة

(١) نفس المصدر ، ص ٨٠ .

(٢) For example see the work of McQueen, op. cit. and A.J. McQueen, «Unemployment and Future Orientations of Nigerian School-leavers», Canadian Journal of African Studies, Vol. 3, No. 2, 1969, p. 441-61.

(٣) Valentine, op. cit., p. 43.

(٤) نجد في معظم أوغندا أن الوضع الريفي في تغير بالرغم من وجود درجات متفاوتة واختلافات من منطقة إلى أخرى وفقا لعدد من العوامل . فأوغندا لم تصل بعد لمرحلة «الانطلاق» . والتنمية الريفية بطيئة بسبب عدم وجود ميكنة في القرية وفي الزراعة والمحافظة على الانتماء الذاتي الريفي الشديد

«خريجي المدارس الابتدائية» يعنى الامر الربط بين افراد ذوي أفكار ومظاهر  
وتصرفات مختلفة للغاية . وهم في الحقيقة ليسوا مجموعة وظيفية ولكنهم نخبة غير  
متجانسة من الناس كان لهم تجارب مشتركة في مجال واحد فقط هو التعليم .

اما المدرسة الثانوية فتعتبر مؤسسة للتكيف الاجتماعى في نماذج الحياة  
الحضرية . فتلاميذ المدارس الثانوية يتجهون لتكوين جماعة شبابية اكثر تميزا ،  
حيث أنهم في العادة يتكون بيوتهم أو قراهم للالتحاق بالمدارس الثانوية وهم غالبا  
يقيمون فيها اقامة كاملة مع غيرهم من الشباب من جميع أنحاء أوغندا . ويلاحظ  
أن مدرسيهم والكتب المقررة والمقررات مازالوا في معظمهم أوروبيين . أما بالنسبة  
لكثير من الفتيات فهى المرة الاولى التى يصابن فيها على قدم المساواة مع الأولاد  
ويتنافسن معهم في الامتحانات والأنشطة الاجتماعية والمجتمعات المدرسية . وهذا  
يعطى الفتيات نظرة جديدة الى أنفسهن .

ويبدو أن تلاميذ المدارس الثانوية يعتقدون وجهات نظر محددة وإن كانت  
تعارض في الغالب مع آراء آبائهم ، فمثلا أفكارهم عن الوظائف والتعليم والزواج  
وتربية الطفل تختلف في الغالب . ولكن يجب أن يؤخذ في الحسبان أنهم أقلية صغيرة  
لا تزيد على ٥% من أقرانهم في السن (١) ، ولذلك ففى أى قرية يمكن أن يتوقع وجود  
خمس فقط من بين كل ١٠٠ شاب ينتظمون في المدرسة الثانوية (مع ملاحظة أن هذه  
النسبة أكثر ارتفاعا في بعض المناطق مثل بوغندا ومنخفضة في مناطق أخرى مثل  
بوجيسو) . ولم نتمكن من أن نجد أى «حركة» لتلاميذ المدارس الثانوية في القرى  
وخارج بيئتهم المدرسية من شأنها أن تعطيه تميزا منطقيا (٢) . ويبدو أن معظم  
تلاميذ المدارس يتخذون أصدقاءهم المقربين من المعاصرين لهم من قبلتهم نفسها ،  
وعندما يعودون الى منازلهم في قراهم خلال الاجازات فإن دور الطالب ينحصر غالبا  
في الخضوع لأدوارهم الأخرى في الحياة مثل أدوار الابن والحفيد والفلاح والطباخ  
الخ ، حيث أنهم يتخذون نمط حياة عائلاتهم وقراهم بمجرد أن يعودوا الى الحياة

---

ووجود أرض كافية في معظم المناطق ليستقر بها الشباب وعدم وجود اقتصاد سوق على درجة كبيرة من  
النمو بصفة عامة .

(١) Annual Report, Kampala, Ministry of Education, 1968 (mimeo.)

محسوبة من كل من اعضاء ١٩٦٩ وعدد المقيدين في المدارس الثانوية المالية ( فى ١٩٧٠ كانت هناك  
٧٣ مدرسة مائة تضم ٤٥٠,٠٠٠ كلمية ) .

(٢) فى يولي ١٩٧٠ قام عشرة من الشباب بتكوين «جمعية خريجي مدارس أوغندا» . وعلى الرغم  
من العناية لها فى الصحافة والراديو والتلفزيون إلا أن عدد اعضائها وصل الى ٣٠٠ عضو فقط منهم  
٢٠٠ كانوا فى المدارس الثانوية ( أى ليسوا خريجين ) ولم يوجد أى خريج مدرسة ابتدائية . من  
مقابلة شخصية مع John Ken-Lukyamuza رئيس ومؤسس رابطة خريجي المدارس فى أوغندا .

العادية في القرية . وكثير من هؤلاء الخريجين من المدارس الثانوية يعودون في النهاية للانتماء من جديد في مجتمع القرية اذا لم يجدوا عمالا يتقاضون عنها أجرا في المدينة .

أما تجمعات الشباب الأخرى التي من الممكن تواجدها مثل الشباب المتعطل والشباب العامل وشباب الفلاحين والمنحرفين من الشباب ، فيبدو أنه ينقصها التماسق والتميز المنطقي . فمثلا يعيش المتعطلون غالبا مع أهاليهم ويعملون في مزارعهم ويقصدون المدينة من وقت إلى آخر للتقدم للوظائف . أما الشباب العامل فمع أنهم يشتركون غالبا في أنشطة متشابهة مثل الذهاب إلى السينما والرقص والشرب والمناقشات إلا أنهم يبقون على الروابط القوية مع أسرهم ، وأغلبية الذين ناقشناهم يطعمون في بناء منزل في قراهم وتكوين أسرهم هناك (١) . ولم يظهروا أي نموذج معين من التفاعل الاجتماعي المبني على الانتماء إلى مجموعة «الشباب العامل الحضري» . هناك بعض العوامل الهامة بجانب السن وهي مكان السكنى ومكان العمل والتعليم ومكان الميلاد والقبيلة والعشيرة والمجموعة الأسرية (٢) . مثال آخر يبدو من أن فئة مثل «الشباب المنحرف» تظل كمفهوم مفروض من الخارج لا لأن عدد الشبان الذين يقبض عليهم للانحرف يعتبر ضئيلا جدا وحسب ، ولكن كذلك لأنهم لم يتدمجوا في شكل عصابة أو تميز عام معارض للمجتمع ككل . هذا وتوضح دراسة صبية السوق في كمبالا عدم وجود هيكل معترف به للتعاون الحقيقي بين مختلف الصغار الذين يسعون للحصول على عمل . فتحويلات هؤلاء الصبية كانت سريعة جدا وهربوا عن اتجاهات فردية للغاية تبدو كأنها تكيف وضعى بما يتمشى مع الظروف التي وجدوا أنفسهم فيها ، بدلا من كونها ثقافة فرعية منفصلة ومحددة .

وقد تكون هناك استثناءات فردية أو من جماعة صغيرة للنموذج العام الذي وجدناه (مثلا الجيل الثاني والثالث من الشباب الحضري) ، إلا أن من الواضح أنه ليس من المفيد دراسة الشباب على أساس من ثقافة فرعية في حين أن أغلبيتهم لا تنتمي إلى مثل هذه الفئة .

---

(١) لاحظ باحثون آخرون هذا الطرح الخاص «بالبالغين» انظر :

R.D. Grillo, 'Anthropology, Industrial Development and Labour Migration in Uganda', in David Brokensha and Marion Pearsall (eds.), *The Anthropology of Development in Sub-Saharan Africa*, p. 77-84 Kentucky, Ky, Society of Applied Anthropology, 1969 (monograph No. 10).

(٢) للاطلاع على بعض الملاحظات الحديثة للمظاهر الاجتماعية لنمو المدن في أوغندا ، انظر :

Josef Gugler, « The Concept of Urbanization », Conference Papers, op. cit., 1966 (mimeo.); R.M. Salzbacher, « East Africa's Slum Problem : A Question of Definition », in Josef Gugler (ed.), *Urban Growth in Sub-Saharan Africa*, p. 45-51, Kampala, MISR Nkanga No. 6, 1970; David Parkin, *Neighbours and Nationals in an African City World*, London, Oxford University, 1968; and Peter Marris, *African City Life*, Kampala MISR Nkanga, No. 1, 1968).



## هل الشباب مغرب أم متعجم

تذهب وجهة نظر أخرى شائعة الى أن الشباب في الدول النامية في أزمة : فهو نتاج لمجتمع معزق بين القديم والحديث . وعلى الرغم من أن «تورنبول Turnbull» في كتابه *The Lonely African* لم يدع أنه كان علميا خالصا الا انه عبر بوضوح شديد عن افكار موجودة في الكتابات المتلفة بأفريقيا وفي البيانات الرسمية الهامة والرأى العام . ويتبنى تورنبول ، فيما يتعلق بالتغير الاجتماعى ، وجهة نظر ذات شقين في اتجاه واحد . فهو يعتقد أن مجيء الصبغة الغربية قد تمخض عن مأساة للأفريقي الذى وجد نفسه أمام الاختيار المباشر فى أن يصبح عصريا أو أن يظل تقليديا ، فالسير مع التيار يعنى أن يترك ماضيه وجنود وجوده، والتراجع أو العودة للوراء تعنى أن يقطع نفسه عن المستقبل .

فالانقسام القائم على التقليدى في مواجهة الحديث ينقسم هو الآخر الى عدد من الانقسامات الفرعية مثل : المتعلم في مواجهة غير المتعلم ، والعقيدة في مواجهة اللاعقيدة ، والقبلية في مواجهة البنيان السياسى والاقتصادى الحديث ، والريفى في مواجهة الحضرى ، والأسرة في مواجهة الانزعال ، وجميعها متعارضة كلية . فمثلا يقول تورنبول عن التعليم انه يجذب الفرد بعيدا عن أسرته ويعطيه آمالا لايمكنه تحقيقها ويضعف من طريقة حياته التقليدية . فهو يلقى به في عالم لا يستطيع فهمه وبحول دون الاتصال بغير المتعلمين .

والانقسام يركز عليه بوجه خاص في مجال الدين . فهناك شعور بأن التعليم الأوربى وتعليم الإرساليات يقوض الأيمان والمعتقدات الأفريقية ، في حين أن المسيحية البديلة لايمكنها أبدا أن تحل تماما محل هذه المعتقدات التقليدية ، ذلك لأنها نتاج لثقافة أجنبية ، وغالبا تقدم بواسطة نماذج مهزوزة لما تؤديه من دور . ولذلك يقول تورنبول ان الأفريقي يجد نفسه وسط فراغ روحى (1) . فالسمات القبلية ينظر اليها على أنها تخلخل بسبب متطلبات الهيكل السياسى والاقتصادى المتغير ، خاصة بنمو المدن ، وهذا التفكير القبلى يؤدى الى تحطيم القيم والرقابة الاجتماعية . ومثل هذا التخلخل يتفاقم أكثر بتفكك أوصال الأسرة الممتدة التى ينظر اليها على أنها لا تتلاءم مع العالم «الحديث» .

وطبقا لوجهة النظر هذه فان الأفريقي المعاصر الخاضع للمتطلبات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المرتبطة بالأخذ بالصبغة الأوربية يجد نفسه مجبرا على أن

---

(١) Turnbull المرجع السابق . وهو يكتب عن جماعة قام بدراساتها وكانت فى المراحل المبكرة للاتصال الثقافى ، وهو وضع تاريخى معين ، الا أن الأفكار التى طورها آنذاك ظلت تتردد حتى اليوم أى بعد عدة سنوات من الاستقلال وفى وضع تاريخى مختلف كلية .

يفك روابطه الأسرية وتميزه القبلي ومعتقداته الدينية ولربطه بالارض . ومن ثم فهو يترك في فراغ وحيدا ومشوش الأفكار بلا انتماء ، ومضطربا ماديا الى حد كبير ليعوض عدم وجود معنى لحياته .

ولكن مامدى فائدة هذا النموذج الخاص بالتغير الاجتماعى والمفهوم الناتج عنه من أن الشباب الإفريقى يتطور الى أفراد مغربين ؟ . ولقد ارتج على باحثين آخرين (١) أيضا من هذا الاتجاه المبسط . فمثلا «هوارد وولب» *Howard Wolpe* يقول في كتابه عن «سياسة الايو الحديثة في نيجيريا» : «أن تحليل الديناميكية السياسية للايو يبنىء بان التماذج التى تعمل على التقسيم الى تقضين «التقليدية» و «العصرية» تسهم بالقليل في زيادة تفهمنا لعملية التغير في إى مجتمع معين . فمثل هذه التماذج لا تفترض فقط مسبقا أن هناك تنافرا موروثا بين القيم والمؤسسات . والتصرفات «التقليدية» و «الحديثة» . ولكنها تطبق أيضا وجهة نظر ذات خط واحد عن التنمية تعتبر غير راسخة من الناحية التطبيقية ومحددة من الناحية النظرية » (٢) . ومما لاشك فيه أن ذلك قد تولد عن النتائج الميدانية لعملية «مسح شباب أوغندا» ، فالشباب لا يبدو انه منقسم بين الحضرى وغير الحضرى ، ولكنه يبدو متحركا الى حد كبير ، اذ يتوالى بين الحصول على أعمال بمرتبات في المدن وبين المعيشة في قراه والعمل في الفلاحة ، وبالتالي يستوعب في الاقتصاد القروى (٣) .

فقد أوضحت الدراسات التى قام بها كل من : «ماريس» *Marris* وجربلو *Grillo* وابستين *Epstein* وجلكمان *Gluckman* « أن الكثير من يعيشون في مناطق حضرية «عصرية» يحتفظون بما يطلق عليه اسم «الأدوار التقليدية» (٤) . وفي مقالة حديثة لجوزيف جيلار *Joseph Gugler* يؤكد أن أغلبية السكان الحضرين يحتفظون بصلات وثيقة تربطهم بالمناطق الريفية . وأن الذى يحصل على دخل منخفض مضطر نتيجة للضرورة الاقتصادية البحتة الى أن يحتفظ بنصيب في الاقتصاد الريفى حتى تستطيع أسرته أن تجد هناك الحد الأدنى

(١) منذ كتب هذا البحث لأول مرة نشر العديد من المقالات التى أيلت وجهة نظرنا ووسمت بها .

انظر :

Victor C. Vchendu, « The Passing of Tribal Man : a West African Experience », *Journal of Asian and African Studies*, Vol. 5, No. 1 and 2, January-April, 1970, p. 51-65; and Leonard Plotnicov, « Rural Urban Communications in contemporary Nigeria ; The Persistence of Traditional Social Institutions », *Journal of Asian and African Studies*, Vol. 5, No. 1 and 2, January-April, 1970, p. 66-82.

وحائز المقالتان تضمنان أيضا مسحا شاملا للكتابات المتعلقة بالموضوع

Harold Welpe, « Port Harcourt : Ibo Politics in Microcosm », *Journal of Modern African Studies*, Vol. 7, No. 3, 1969, p. 492-3.

(٣) هذا مثال آخر يبين لنا عدم وجود الانقسام التام بين الريفى والحضرى فى افريقيا

الاستوائية .

انظر : مناقشة جربيلو *Grillo* المرجع السابق .

(٤) Grilloop. cit, Peter Marris, « Family and Social Change in an African City », (٤)

London, Routledge and Kegan Paul, 1964, A.L. Epstein, *Politics in an African Urban Community*, Manchester, Manchester University Press, 1958, M. Gluckman « Anthropological Problems Arising from the African Revolution in : A. Southall (ed.), « Social Changes in Modern Africa », p. 67-82, London, Oxford University Press, 1961.

الضروري وحتى يضمن الأمن الأسمي . حتى ذوو الدخول العالية لهم روابط عاطفية قوية مع المناطق الريفية التي جاؤا منها ، ويتخذ شكل زيارات لجماعاتهم الريفية وتعليمهم لها ، ثم في النهاية الرجوع للمعيشة بها عند الكبر (١) . هذا ولا يبدى الشباب التعلم أى دليل على انقطاع الصلة بينهم وبين من هم أقل منهم تعليماً أو أكثر غربة عن قائلهم من غير المتعلمين (٢) . ولا يبدو أن هناك انقساماً تاماً بين المعتقدات التقليدية والحديثة ، بل أنها على العكس تظهر غالباً في نظام معتقد واحد في ذهن الفرد ، وإذا كان هو نفسه لا يرى أن معتقداته متعارضة فإن الباحث يجب أن لا يفرض قيمة وتفسيراته (٣) .

### نظرية الدور

أى من الأبعاد النظرية يساعدنا بكفاءة في تفسير ما يحدث ويوجه الأبحاث المستمرة عن الشباب في مجتمع في حالة تغير ؟ بهذا الصدد تقدم لنا «نظرية الدور» إطار عمل مناسباً ومفيداً ، ولا نستطيع حياله إلا أن نوضح باختصار بعض الأفكار التي نعرفها عن كيفية استخدام هذه النظرية . تؤكد الأخيرة أن السلوك الاجتماعي يتكون من تصرف شخص ما تجاه شخص آخر ، ومعظم تصرفات الأفراد من هذا النوع . فتصرف الفرد متشابك مع غيره وكثيراً ما يتشكل بوعى من الآخرين ، ويوجه مباشرة إلى توقعاتهم وما يتوقع عن سلوكهم (٤) .

وقد استخدم هذا الأسلوب من قبل في إفريقيا في الدراسات الريفية الحضرية في الغالب مثل دراسات بانتون Banton ، ابستين Epstein وجلكمان Gluckman و ماير Mayer وميتشيل Michell و سوت هول South-Hall . ولـ ميتشيل خاصة بعض الأفكار الثيرة التي تبدو مشيرة . ويمكن استخدامها لا في دراسة الأوضاع الريفية الحضرية فقط ولكن أيضاً في كافة الأوضاع الاجتماعية التي يشترك فيها الشباب . فيقول ميتشيل أن هناك نوعين من التميز الاجتماعي كلاهما هام ومتعلق ببحثنا ، ولكن أحدهما فقط هو الذي درسي في العمل الذي قام به . فالأول هو التفرق على مر الزمن في إطار مؤسسية اجتماعية معينة ، والثاني هو تفرق وضعى . ومن أجل دراسة سلوك الشباب نعتقد أنه من المهم معرفة وتفهم طبيعة المؤسسات التي يتعاملون داخلها . وحيث أن أوغندا

J. Gugler, op. cit. (١)

(٢) بالرغم من أن هذه قد تكون الحالة في الأيام الأولى للاستعمار والاتصال الثقافي عندما كانت الإرساليات الأوربية تطلب من أولئك الذين يلتحقون بالمدارس أن يصبحوا مسيحيين ويتخلوا عن التزاماتهم الروحانية .

(٣) يمكن أن نجد مثلاً لذلك في كتابات Golin Turnbull فنظريته في اكتساب الثقافة تجبره على تفسير ازدواج الطغرس الدينية : التمسيد ورافقة القرابين للألهة التقليدية كطهر لللبس بدلاً من أن تكون اندماجاً لجموعتين من المعتقدات لكل منهما مكانها في حياة الإفريقي . فالتمسيد يتمشى مع دوره كسبيحي ، ورافقة الدم تعتبر جانباً من دوره كضوئي قبيلته التي من خلالها يسير في اتصاله مع أجداده . والقول بأن الموردين متطرفان يعني فرض منطق أجنبي على الوضع .

T. Wallace : « Man in Modern Africa : Alienated or Integrated ? » Conference Paper, Nabusebo Conference, Sociology of Education and Youth, p. 10. Kampala, MISE, 1970 (mimeo).

H. Gerth & C. Wright Mills, Character and Social Structure, p. 11. London, (٤) Routledge and Kegan Paul, 1964.

خطة بسبل المدينة الحديثة ، وهي عملية تتغير فيها العناصر الأساسية للالتزامات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وتظهر نماذج جديدة تأتي معها بأشكال جديدة من السلوك الاجتماعي ، فلدراسة الشباب بها يجب النظر الى القاعدة التاريخية الاجتماعية وفحص نماذج الأدوار المتاحة على مر الوقت .

ويطور ميكائيل بانتون في كتابه «الأدوار» هذا الوضع بوضوح ، فيقول انه في كل مجتمع قد تتفاوت أهمية وضرورة الأدوار المختلفة بالنسبة للأشخاص الذين يقومون بها وبالنسبة للمجتمع ككل . وهو يركز على أن التغير الاجتماعي يؤدي الى نموذج آخر من الأدوار ، وأن هذه المجموعات المتغيرة الأدوار يجب أن تدرس من أجل تفهم سلوك الناس الاجتماعي . فمثلا بزيادة الأدوار التعليمية في مجتمع من المجتمعات ما الذي يشمل هذا من مضامين لا يمكن تجنبها بالنسبة لأدوار الأسرة ؟ أو كلما كانت كلمات الأدوار الوظيفية أكثر تطورا ماذا يحدث لأدوار القرية والقبيلة ؟ يجب أن يفحص هذا بدون تحيز دون أن نفرض رأيا مستمدا من معرفتنا بما حدث في أوروبا وأمريكا . وحتى نفهم الشباب في أوجندا علينا أن ننظر الى الكيان الفعلي للأدوار المتاحة للشباب ونرى كيف يتصرف في نطاق الهيكل المقدم (١) .

والنوع الثاني من التغير هو التغير المتعلق بالوضع فيؤكد أنه يستخدمه ميتشيل وعلماء الاجتماع الآخرون المختصون بدراسة الريف والحضر (٢) . ففي التغير الوضعي يتحرك الفرد من دوره في إحدى المؤسسات الى دور جديد مختلف تماما في مؤسسة منفصلة . وهو يفرق بين وضعه ، إلا أن هذا لا يتضمن أنه رفض أو نسي ماؤديه من أدوار في مؤسسات أخرى ، أو أنه قد تغير ، بل على العكس فإنه يستطيع أن يتأرجح بين المؤسسات المختلفة وأن يتكيف اجتماعيا في أدوار متعددة مختلفة . فمثلا نجد أن الأوضاع الريفية والحضرية بنظر اليها على أنها نظامان اجتماعيان منفصلان ، وأن الفرد يمكنه التحرك بينهما على التوالي ويؤدي أدوارا مناسبة لكل منهما . فكل فرد يمكنه أن يشارك في عدد من المؤسسات الاجتماعية ويتحرك بينها خلال فترة زمنية ، مثل المدرسة والأسرة والقبيلة والمصنع في الحضر والجيرة الحضرية ومزرعة القرية . وهذه المؤسسات قد تتطلب دورا سلوكيا مختلفا ، إلا أن عدم التوافق الممكن حدوثه لا يؤدي بالضرورة الى الارتباك أو الحيرة من جانب الفرد ، لأن القيم والمعتقدات التي يتعامل الأفراد بموجبها في الأنشطة اليومية لا تعمل كلها في وقت واحد . فالأفراد يعملون بموجب قيم معينة تتماشى مع الطريقة التي عرفوا بها - هم والمتعاملون معهم - الوضع (٣) . هذا وتسمح نظرية الأدوار للمراقب بأن «يفسر سلوك الناس بموجب الوضع الاجتماعي الذي يتفاعلون فيه» ، وهي لا تحاول أن تفرض على الشباب نمودجا لأدوار معينة ، ولا أن تفرض انفساما حادا بين المؤسسات والأدوار «التقليدية» و «الحديثة» .

(١) «تحليل الفرصة» يمكن أيضا أن يستخدم هنا ويصبح مكثرا . انظر : «Urban Poverty and Social Planning», in: Paul F. Lazarsfeld, William H. Sewell and Harold L. Wilensky (eds.), The Uses of Sociology, p. 443-4. N.Y. Basic Books, 1967.

(٢) لأمثلة حديثة انظر :

J. Clyde Mitchell, «Tribe and Social Change in South Central Africa: A Situational Approach», Journal of Asian and African Studies, Vol. 5, No. 1 and 2, January-April 1970, p. 83-101; and Van Velsen, «The Extended-case Method in Situational Analysis», in: A.L. Epstein (ed.), The Craft of Social Anthropology, p. 29-49, London Tavistock, 1967.

Mitchell: «Theoretical Orientations in Africa Urban Studies», op. cit., p. 59. (٣)

ومن دراستنا للشباب في أوغندا تعلمنا أن المشكلة هي الاعتراف بأن المؤسسات الاجتماعية في تغير ، ورؤية أية أدوار جديدة قد خلقت وأية أدوار قديمة تكررت لدرجة الابتذال ، وكذلك فحص الأشكال الجديدة للتكيف الاجتماعي في هذه الأدوار ، ولكن أيضا ، وربما كان ذلك أكثر أهمية ، رؤية عدد المؤسسات الاجتماعية المختلفة التي ينتمى إليها الأفراد ويتحركون فيما بينها . وعندما يتم التعرف على هياكل الأدوار الخاصة بالمجموعات التي تحت الدراسة عند ذلك فقط يمكن تفسير نماذج سلوك الشباب تفسيراً له مغزاه .

وهذا البعد يثير عدة مسائل هامة يستهدف بحثنا الإجابة عليها : ماهى الأدوار (الجديدة والتقليدية) المتاحة للشباب ؟ وماهى الأدوار التي يختارون القيام بها ، وما الذى يؤثر فى اختيارهم ؟ كيف يمكن تكييفهم اجتماعيا لهذه الأدوار ؟ وإلى أى مدى يجيدون القيام بهذه الأدوار ؟ ما مدى سهولة تحولهم بين الهياكل المختلفة للأدوار ؟ وماهى توقعاتهم والنزاعات المتعلقة بالدور ، وكيف يقومون بحل هذه النزاعات ؟ أننا نعتقد أن محاولة الإجابة على هذه الأسئلة سيؤدى الى تفهم أفضل لوضع الشباب فى افريقيا الاستوائية (1) .

## خاتمة

إن نظرية ثقافة الشباب لاتنبؤ لملائمة للوضع الاقتصادى والاجتماعى القسائم فى أوغندا اليوم . ونظرية التغير ذى الاتجاه الواحد القائم على الانقسام بين التقليدى والحديث تعتبر الآن عتيقة وبالية ، فأوغندا لم تعد بعد عند نقطة «اتصال ثقافى» ، ولا يوجد هناك تقسيمات نهائية وخلافات موروثية بين المعتقدات والسلوك التقليدى منها والحديث . أما نظرية الدور التى سبق وصفها فقد استخدمت فى عدة دراسات ديفية حضرية ، وننوى تطبيقها فى هذه الدراسة الموسعة عن الشباب . ونحن نؤكد أنها أكثر تعقدا مما استطنا تقديمه هنا ، ولكن الغرض من هذه المقالة هو توضيح أنها قد تكون أسلوبا مفيدا لدراسة وتفهم الشباب فى المناطق النامية . وباستخدام هذا البعد النظرى فأننا نأمل أن نقود بحثا عمليا وأن نستكشف الأدوار التى يؤدها الشباب ومدى كفاءتهم خصوصا تلك الأدوار المتعلقة بالتغير الاجتماعى والتنمية فى أوغندا الحديثة .

(1) هناك مشكلة نظرية أخرى على درجة كبيرة من الأهمية موجودة فى افريقيا الاستوائية ومرتبطة بظهور نظرية عن ثقافة فرعية للشباب هى أنه قبل أن يتكلم أحد عن ثقافة فرعية يجب أن يكون قادرا على أن يعرف بوضوح الينابيع الرئيسية للمعتقدات الاجتماعية والنماذج الثقافية . وهذا فى الواقع ليس ممكنا بعد فى بلد افريقى مثل أوغندا التى ليست موحدة ثقافيا بل إنها مكونة من عدة مجموعات ثقافية مختلفة (أو قبائل) . لمزيد من المصادر عن التمددين انظر :

John Brode, «The Process of Modernization: An Annotated Bibliography on the Socio-Cultural Aspects of Development, Cambridge, Harvard University Press, 1969.

وهناك كتاب آخرون عن أوغندا لم يذكروا من قبل هم :

C. Sofer, M. Southwold, L.A. Fallers, A.I. Richards, and D.E. Apter. Other sources are: T.K. Hopkins, «A Study Guide for Uganda», Boston Mass. African Studies Center, Boston University, November, 1969; and P.C.W. Gukkind and J.B. Webster, Traditional and Modern Africa, Syracuse, N.Y. Center for Eastern African Studies, Syracuse University, 1968 (mimeo).

# علم النفس الاجتماعي

## في أفريقيا

وجهة نظر الطبيب النفسي

قد طلب منا أن نكتب مقالا عن الدور الذي يؤديه علم النفس الاجتماعي في التنمية . وهذا المقال قد يحدد أولا ، من الوجهة المثالية والنظرية ، التنمية التي هي عملية تحول مركبة ذات سرعة مختلفة ، أحيانا تلقائية وأحيانا أخرى مخططة ، كما أنها نشيطة في مستويات مختلفة ، وتشمل في أهدافها حياة أفضل وحرية فردية اعظم .

وثانيا : تحديد يعطى للحقل الذي يغطي بواسطة علم النفس الاجتماعي استراتيجيته ومناهجه . والحقل الذي نحن بصدده ليس مجددا تحديدا . وأبدا عند ربطه بالتكنولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس حيث يحدد الفرد ما يقرره عقله ممتصا الثقافة المبتكرة ( التكيف الثقافي ) تحت تأثير الأنماط الاجتماعية لجماعته ( المفاهيم المتوارثة ) أو أنماط اجتماعية جديدة أوجدتها جماعته أو أدخلت من الخارج ( النزعات العصرية ، النقل الثقافي ) . أما بالنسبة للاستراتيجية المستخدمة بواسطة علم النفس الاجتماعي فإنها سوف تهدف إلى امتحان أي ظاهرة معينة من وجهة النظر الثلاثية للمفاهيم المتوارثة ، علاقاتها بالنظم والنماذج الحديثة ومتضمناتها لمشاكل الفرد ولما يقرره . وأخيرا مناهجه لا تزال تستنبط وتتراوح بين الموضوع

## بقلم : هنري كولومب

استاذ طب الأمراض النفسية والعصبية في كلية الطب  
وعلم العقاقير في دكاكر ، ومدير مركز أبحاث الأمراض النفسية  
في معهد العلوم النفسية والاجتماعية بجامعة دكاكر ، وهو  
مؤسس مجلة « علم الأمراض النفسية الإفريقية » ، ومؤلف  
أكثر من ٣٥٠ بحثا ومقالة عن طب الأمراض النفسية والعصبية  
وما يزيد على ثلاثين بحثا في الطب العام . وقد نشر من قبل  
مقالة عن أمراض الأمومة وتنظيم الشخصية في هذه المجلة  
( الجزء ٢٠ - العدد الثالث - ١٩٦٨ ) .

## ترجمة : الدكتور أحمد عبد الرحيم أبو زيد

استاذ كرسي الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب  
بجامعة القاهرة . حاصل على الدكتوراه من جامعة أدنبره . عام  
١٩٥٤ . له مؤلفات منها : تاريخ الأدب الروماني ، الممثل إلى  
اللغة اللاتينية ، مقتطفات من أغاني الشاعر الروماني هوراس  
مع شرح وتعليق باللغة الإنجليزية ، كنز البغيل والتوأمين  
للكاتب بلاوتوس ( من الأدب التمثيل اللاتيني الحديث ) .

الذي حوله الخلاف الى نقاش جماعي حر ، وبين طابع أنثولوجي لفهم منهج خاص  
بقياس العلاقات الاجتماعية وتكنيكات المجموعة ( زيمبلينى وكولومب ، ١٩٦٨ ) .

وقد يظهر المقال في علم النفس الاجتماعى فى علاقته بعصليات التنمية ، على  
الأقل فيما يسمى بالدول «التامية» . وقد يظهر هذا ما انجز لاقراء ضوء تكنيكات  
التنمية (الدوافع ، التيسيرات ، المقاومة ) ولتقويم متضمناتها ونتائجها وقد يظهر  
أيضا ما كان قد أحرز من نتائج من وجهة نظر التقدم الاجتماعى ذى المنزلة السامية .  
وفى النهاية قد يضع المقال أمامنا أفكارا عن التنظيم والأهداف التى لها الأسبقية  
بالنظر الى أن تنمية دول كثيرة تثير مشكلات حادة ، كما أن للتنمية نتائج ليست  
دائما مقيّدة .

ونحن لانرغب أو ليس فى مقدورنا ان نقوم ببحث مثل هذا . وعلى أية حال  
فإن تجاربنا فى افريقيا وقراءة قليل من الكتابات المتخصصة لم تكن تشجعنا على  
ذلك . ان علم النفس الاجتماعى فى الدول الافريقية ، مثل العلوم الانسانية  
الأخرى ، يثير نوعا من الشك وقد ينتظر المرء وقتا طويلا قبل أن يشاهد أى ثمرة

له • وان الأعمال القليلة التى فى افريقيا نفسها تشير غالبا الى الحاجة الى مزيد من الأبحاث والتحليلات •

ويمكن أن يستند اسهامنا على تجربتنا الشخصية فى علم النفس والتنمية. وان حقل الطبيب النفسى هو المكان الذى يتقابل فيه الاثنان، ومن جهة أخرى امداد الفكر بالفداء فيما يتعلق بفائدة الأول فى معرفة ودراسة الثانى •

قبل أن نعطى امثلة قليلة لأوضاع أو مظاهر مادية تسمح باستنتاجات أكثر عمومية فإنه يبدو من المناسب أن نحدد اطار ومحتويات هذه التجربة المتعلقة بالطب النفسى كى ندرك أو نبرر وجهة النظر الخاصة للطبيب النفسى الغربى الذى يعمل فى افريقيا •

اولا : ان الطب النفسى فى العالم الغربى تعتره فى الوقت الحاضر مجموعة من التغيرات والتحولات حسب هوى مختلف المدارس والاتجاهات السياسية والاجتماعية • وهو يحاول أن يجد مكانه الذى يرغب البعض فى النظر اليه بين العلوم الطبية بوجهة نظرها البيولوجية الدقيقة ، فى حين يرغب البعض الآخر فى رؤيته بين العلوم الانسانية التى تزخر بأبعاد المعانى •

وقد وجد الطبيب النفسى الغربى فى افريقيا نفسه مباشرة فى مواجهة الاتجاه الثانى من هذين الاتجاهين • وقد جعل عمله كطبيب على اتصال بالطب النفسى التقليدى أو العامى الذى يكتشف أهميته الاجتماعية وتماسكه الحضارى يوما بعد يوم •

ومهما كان تدريبه أو المدرسة التى ينتمى إليها فإنه لا يستطيع الا أن يضع فى اعتباره سلوك المريض وأسرته عندما يتضرعون الى أرواح اسلافهم أو الأشباح أو السحرة أو الأطباء الدجالين من أكلى لحوم البشر لتفسير أمراضهم الجسدية أو القلق أو الهذيان • كما أنه لا يستطيع الا أن يضع فى اعتباره ما يقوم به معالج من عمل شبيه بعمله ، قبل أو اثناء أو بعد ادخاله المستشفى للعلاج ، أو يحاول معرفة ماذا يدعو المريض وأسرته للحضور الى طبيب ومستشفى من الطراز الغربى. واقتباس فكرة عن المرض كلها جديدة ، رغبة فى أن يكون تحت علاج بدون تحقيق، احتمال نبذ لفرد أصبح خطرا أو عديم الجدوى للمجموعة الخ •

ان الحديث وأشكال الكلام تشير عن طريق المرض ، الذى هو علامة للاعتلال الأسرى أو الاجتماعى ، الى الأسرة والى المجتمع والى القيم الحضارية وأفكار المجموعات الوثنية التى لا يعلم عنها الطبيب النفسى الا القليل أو لا يعلم عنها شيئا •

ويجب عليه إذن أن يمد حقل الطب النفسى الى علم النفس والأنثولوجيا وعلم الاجتماع • وحيث ان هذه الموضوعات ليست مألوفة لديه وحيث أن مسئولية الاستشارات والتدريبات تقع على عاتقه فإن من الواجب عليه أن يلجأ الى أناس مدربين على حقول دراسية أخرى • وهكذا لا يمكن من الواجهة العملية تجنب طريقة



للفهم ذات انضباطات متعددة ، حتى ولو أنها أحيانا ترقى الى درجة الصعوبة . ومنذ قرابة عشر سنين يعمل علماء النفس الاجتماعى خاصة مع أطباء النفس بمستشفى « فان » المركزى فى داكاز ، وقد أدوا دورا كبيرا فى أنشطة البحث والروتين .

وثانيا : أن مشكلة من نوع آخر اقل بصورة واضحة فى تأثيرها على الطبيب النفسى ظهرت بسرعة فائقة فى المقدمة . وهذه هي مشكلة التدريب المعقدة بما يصاحبها من مأزق وتحرر من الوهم ، ولكنها مع ذلك ذات علاقة مباشرة بالتنمية باصرارها على التآفرق السريع كى جميع المستويات التنفيذية .

انه من المريح للمدرس أن يجعل من نفسه انسانا ذا معرفة ، صاحب خبرة شاملة يستطيع بطرق ليست عرضة للمناقشة حيث أنها قد جربت فى مكان آخر . وإذا كانت النتائج على غير ماكان متوقعا فان هذا يؤدي بواسطة الدفاع البدائى الاولى الى أن يعتبر للمدرس التلميذ غير متفتح .

وإذا كانت هذه على وجه الخصوص عقبة مثيرة فان هذا يرجع الى أن أسسها لم تدرس بمقدار كاف . وحيث كان لزاما علينا أن نقوم بالتدريبات فى جميع المستويات فقد كنا دائما نتدبر هذا الامر دون معرفته بطريقة أفضل رغم ذلك . وهناك ثغرة واسعة من الصعب إقامة جسر عليها تنشق بين الأسئلة والأجوبة ، بين التوقعات والنتائج ، أكثر مما نحتاجه فى أى من نشاطات الاتصال الأخرى . وإذا كان المضمون والمناهج غير مناسبة فان هذا يرجع الى سوء فهم الدوافع ، وكذلك الى عدم وجود اية علاقة واقعية تعتمد عليها جميع اتصالات المعرفة أو الطرائق التكنيكية .

والأعمال الحديثة للقويين وعلماء النفس عن خصائص علم دلالات الألفاظ ( التراكيب الممكن ادراكها ، تراكيب اللغة الوطنية ) لا تلقى أى ضوء على القوى الحركة للاتصال . ويعتبر التدريب جميعه قيذا ، وأى نظام للتدريب يعتبر أيضا قيذا أكبر . وهذا الوضع يعيد الى الأذهان المشاركة التى لا تزال فعالة لعصر الاستعمار . وحيث أن المدرسين مستعمرون سابقون فانهم يشيرون الريبة والمقاومة المستترة أو غالبا تقبلا ظاهريا بالنسبة للنماذج التى يقدمونها . وان الريبة والمقاومة من أهم الأسباب التى تؤدي الى عدم وجود حوار ، كما أنه لا يمكن الاصفاء الى التلميذ ولا الاعتراف به كشخص يستطيع أن يدرس أو يكسبنا أى شيء .

وربما يكون الطبيب النفسى ، المدرب على أن يستمع للآخرين ، هو المؤهل تأهيلا أفضل لكى يصغى . ولكن ماذا يستطيع أن يسمع اذا كان غير قادر على أن يرجع الى ثقافة ومعرفة المجتمع ؟ وأين يمكن البحث عن هذه المعرفة التى قد تعطى معنى لما يسمعه الا اذا كان ذلك أولا عن طريق الاثنولوجيا وعلم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع ، وثانيا فى تمهد بناحية علمية أقل وبناحية حسية أكثر ، مع ما يصاحب ذلك كله من أخطار ؟

والمزج بين التعاون الوثيق مع علماء النفس الاجتماعي الذين مارسوا معنا هذه ~~التقنيات~~ <sup>البرمجة</sup> لم يكن من اليسر أن نتوصل الى اى تقدم فيما يتعلق بالتدريب ولكنهم ساعدونا لتصبح أكثر ادراكا بطريقة جلية لهذه الصعوبات التى هى أيضا صعوبات التعاون التكنيكي .

ولتوضيح الدور الذى قام به علم النفس الاجتماعي فيما قد يسمى تطور عمل الطب النفسى سوف نأخذ بعض الامثلة من البحث ذى الانضباطات المتعددة لمركز أبحاث علم الأمراض النفسية بجامعة دكاكار ( مستشفى فان المركزى ) .

وكى نقيم دلالة ما هو آت فانه من المفيد أن نتذكر أن الطبيب النفسى لا يشارك دائما عالم النفس الاجتماعى فى وجهة النظر .

وتلك يواجه الطبيب النفسى فى العلاج والعمل الوقائى بالخيار بين التقدم بالتنشئة الذى يشمل تشخيصا أعظم وبين تشجيع الارتداد الذى يمثل عودة الى المفاهيم المتوارثة . وسوف نتضح هذه المعضلة من الامثلة التى سنورد بها .

### مفاهيم المرض العقلى

ان تاريخ الطب النفسى « الحديث » لا يرجع فى افريقيا الى زمن بعيد . كان اهتمام المستعمرين ينصب أكثر ما ينصب على مشاكل الصحة البدنية ، ولم يهتموا بالأمراض العقلية . ولم يكن هناك من يطالب بوجود أطباء نفسيين أو معاهد خاصة بالطب النفسى .

وقد تغير هذا الوضع فى السنوات القليلة الاخيرة . ان عدد مرضى العقل قد أصبح مرتفعا بقدر ما تجده فيما يسمى بالبلاد النامية ، وتطالب الولايات باقامة مستشفيات للعلاج أو لحجز المرضى . هل هذا الوضع الجديد نتيجة للتنمية ؟ ماذا يعنى ؟ هل يدل على تبني نماذج جديدة ومفاهيم جديدة عن المرض ؟

ويوجد بين اهل السنغال مفاهيم دقيقة على نحو تقليدى يشترك فيها الجميع وتعطى معنى واضحا للمرض العقلى ( مفهوم سببيا aetiological conception ) وتشير الى طريقة للمداواة التى كانت دائما ممكنة ( طرق علاجية Therapeutic methods ) . ولم يكن المرض غامضا بل كان فى اماكن كل فرد معرفته . ولم يكن غير قابل للشفاء . وكان كل ما يجب عمله هو الذهاب الى المعالج الحقيقى الذى كان يقرر العلاج الشافى . ولم يكن المريض مسئولا عن مرضه ، كما لم تكن الأسرة والمجتمع مسئولين مباشرة عن الاضطراب الذى لحق بأحد أعضائها . ومع ذلك كان كل شخص مهتما بمعالجته .

وبموجب هذه المفاهيم ( زيمبيلتى ، ١٩٦٨ ) فان المرض ناتج اما عن رجل ضار غير معروف أو تحوطه الريبة ، كالأطبيب المشعوذ الذى يوجه هجماته ضد

قوة الحياة ، أو عن منافس يطلب من المارابوت (١) أن يحبط من قوة وامكانات ونجاح شخص يثير حفيظته أو يحقد عليه ، أو عن روح قد تكون إحدى الأرواح المتعلقة بديانات عبادة الأسلاف ( نظام الراب ) (٢) لقبائل « ليبو » Lebou و وولوف Wolof أو إحدى الأرواح الأخرى . ويكشف القناع عن الطبيب المشعوذ وباحباطفاعليته. المارابوت بنوع آخر من السحر بانوقوف ضد الأرواح الشريرة أو بتهدئة ارواح الاسلاف بعيد المعالج التقليدى الوضع لمصلحة المريض والجماعة .

وبقدر ما يتعلق الأمر بنا فان أفكارا مثل هذه تساعد على علاج المرض العقلى بواسطة عمليات سيكولوجية وسوسولوجية . ويصبح المريض مشار اهتمام الجماعة ولا يندب . ويتدخل طرف ثالث مسئول عن المرض ( شخص أو روح ) يجعل من السهل على المعالج والجماعة معالجة الصراع .

وفي اطار هذه المفاهيم أظهر التحليل النفسى الاجتماعى أنه بالتغيرات الاجتماعية حدث اتجاه بعيد عن شعوذة أكلى لحوم البشر نحو المارابوتية . « بينما تكون الشعوذة هى الطريق الرئيسى لمفهوم الشر فى مجتمع تقليدى حيث يميل المرء الى رؤية علاقاته مع الآخرين فقط خلال فئات اجتماعية فان المارابوتية دليل على حالة اجتماعية يزداد فيها نمو المنافسة الفردية ( زيمبيني و كولومب ، ١٩٦٨ ) . أنه لرائع حقا ان نرى كيف ان الناس يلتجئون ، دون ابطاء ، الى المارابوت فى أى موقف يومى يتضمن المنافسة . ان الناس يعتقدون أنهم «مستخدمون» ، أو اذا استخدمنا عبارة قائل وولوف « يعملون » لا بين شركائهم من الزوجات ( وهى حالة نموذجية مطلقة ) فقط ، بل كذلك مستخدمين فى الفرع بين أصحاب الحوانيت والسياسيين والمصارعين وقرق كرة القدم الخ .

ولا تزال المسافة بعيدة بين مفهوم المارابوتية هذا والنماذج الحديثة للمرض العقلى التى ، رغم انها فى الحقيقة ليست واضحة كل الوضوح وتختلف من مدرسة الى أخرى ، تضع مسئولية المرض على عاتق الفرد نفسه أو الاشخاص الذين من حوله مباشرة ( الوالدين ) . وأثناء نشوء الأحوال الذهنية العادية امتنعنا أن نلاحظ كيف ان الفرد المريض قد أخذ على عاتقه المسئولية عن مشكلته .

ماذا يستطيع أن يظهر التحليل النفسى الاجتماعى لهذه الحقائق ؟ ما دامت المعلومات التى يمكن الاستفادة منها وفيرة ومتنوعة بدرجة كبيرة للعلاج المباشر ولاستنباط نتائج دقيقة فانها تبد على الأقل الطبيب النفسى ، الذى يناضل مثل

---

(١) المارابوت Marabout : معالج يزعم الفرييون أنه يسير فى تفسير المرض وفق نظام الرقى والتائم والإجابة الذى يزاوله بعض الناس فى العالم الإسلامى ، وقد يستخدم المارابوت مفاهيم أخرى فى تفسير المرض والملاج .

(٢) «راب» Rab : روح الأسلاف .

مرضاة بين المفاهيم المتوارثة والمفاهيم الحديثة ، بالفناء الفكرى الذى يتجسأوز  
ما تتضمنه حدود الطب النفسى .

أولا : ما مفزى الطب النفسى الحديث عندما يواجه بالطب الآخر أى طب النفس  
التقليدى الذى لا تزال أغلبية المرضى وأسرههم ومجتمعهم يتمسكون به ؟ هل النماذج  
الحديثة التى ادخلت ، سواء كمدلولات ذات مفهوم سببى أو كتكنيكات علاجية ،  
يمكن تقبلها ؟ هل هى أفضل ؟ ألا يوجد شئ يمكن تعلمه من النماذج القديمة ؟ إذا  
سأل أحد هذه الأسئلة فإن الاتجاه يمكن أن يتغير ويصبح الاصناء من الأمور  
المحتملة .

وثانيا : ماهو مفزى الاتجاه المتغير للمرضى والمجتمع وجها لوجه مع النماذج  
التي أدخلتها التنمية ؟ ان الانتقال من شعوذة أكل لحم البشر الى تولى الشخص  
بنفسه المسئولية عن صراعاته ، مع حركة المارابوتيين كمرحلة وسيطة ، يدل على  
عملية تطوير الفرد لشخصيته . وهذه العملية ، التى تتصف أيضا بالثقة بالنفس  
أو السلوك التنافسى ونبد القيم التقليدية ، ليست عملية سهلة . وتوجد نكسات  
كثيرة ، وحينئذ سرعان ما تظهر الممارسات القديمة والمريحة ثانية ، ويكون من شأنها  
تعبئة الجماعة من أجل الفرد .

وثالثا : ما المسئول عن قوة الاحتمال المتناقضة أزاء مرضى العقل وعن ممارسة  
الاحتفاظ بهم فى مكان حريز ، أو عن تركهم للطرق الرسمية التى تغاير طرق  
الجماعة ؟ هل هو انحلال الروابط الأسرية ، أو الأنايية ، أو النظرة النفعية  
للإنسان ، أو ماذا ؟ انه من الممتع دائما رؤية السبل التى تؤدى الى دخول المستشفى  
للعلاج . ويصبح المستشفى فى حالات كثيرة آخر ملتجأ أو بناية لحفظ جثث الموتى  
ريثما تدفن (١) (mortuary) . ويعتبر المريض نفسه متنبوذا ويسلم الى نظم  
أجنبية أو نظم لم تتماسك بعد . ويصبح العلاج تحت هذه الظروف صعبا .  
ويستطيع علم النفس الاجتماعى أن يعاوننا فى الإجابة على جميع هذه الأسئلة  
بمحاولة تحديد صورة للطبيب النفسى وصورة مستشفى الأمراض العقلية وأوجه  
الشبه أو الخلاف بين هذه الصور وبين تلك المستخدمة عن طريق العرف بواسطة  
المفاهيم المتوارثة .

### مؤسسات علاج مرضى العقل

وهذا المثل الثانى يظهر أيضا الصراع بين المفاهيم المتوارثة والعصرية وكذلك  
اسهام علم النفس الاجتماعى فى تحليل وتبيين هذا الصراع .  
ان تطور الطب العقل « الحديث » فى افريقيا خلال العشر السنين الماضية

---

(١) ولوصف تصرف بعض الأسر الذين يتركون مرضى العقل منهم فى المستشفى تستخدم قبائل  
الوولوف عبارات تؤدى معنى «تركهم فى مستودع للجثث فوق كومة من القاذورات» .

قد أدى الى تشييد المستشفيات على منوال المخططات الغربية التقليدية . وهذا استجابة لرغبة معينة لإبعاد المريض عقليا عن أنظار الأشخاص الآخرين وخاصة عن أنظار الزائرين . وخلال هذه الاستجابة لم تلق طرق العلاج فى الواقع أى اهتمام . ان فصل الأفراد عن الحياة الاجتماعية طريقة مؤكدة لجعلهم مرضى ، او لازدياد اضطرابهم سوءا . وليست النظم الموضوعة على هذه المخططات فعالة ، ويكفى أن يرى المرء فيها فقط شيئا بفكرة إبعاد الشخص المريض عن المجتمع .

ان المشكلة التى لا تزال أمامنا هى تحويل هذا النموذج المستورد المساعد الى نموذج آخر يتلاءم بطريقة أفضل مع وظيفته العلاجية . وليست هذه على وجه الخصوص مشكلة افريقية .

ان العلاج عن طريق المؤسسات والعلاج النفسى الجماعى والعلاج الجماعى سمات موجودة فى الوقت الحاضر فى جميع الدول ، ولكن وضعنا ونحن مواجهون . كما هو كائن بحضارة لاتزال تحتفظ بدرجة عالية من التماسك يعتبر بالاحرى وضعنا . خاصا فى مجموعة من الطرق المختلفة .

فى المقام الأول هل يركن الانسان فى تنظيم العلاج الجماعى الى الجماعات « الطبيعية » أى الأسرة والقرية او الى جماعات العلاج التقليدية أى الجماعات المنظمة بواسطة المعالج التى تلتف من حوله ؟ ان محاولة تقرير أى نوع من النظام قد يخدم وظيفته العلاجية على احسن وجه كانت محاولة تتميز دائما بالتجربة الى درجة كبيرة . ان البحث يوسم دائما بالشك والفوضى ، وما نظم . يصبح دوريا ماثرا تساؤل .

ان الخطة التى توضع للقرية والمائلة لما كان موجودا فى الأجمة قد نوقشت لمدة طويلة ، ولكن ذلك لم يؤد الى شيء . هل كان هذا فقط حيلة ؟ هل كان ذلك ارتدادا ؟ او هل كان ذلك فى الحقيقة المكان النموذجى للعلاج ؟ لقد كانت هناك قوى عديدة تقف ضدها : روح العصرية ، تأثير النماذج الغربية ، الفطرة الفكرية ، والشعور بأنه كان من الضروري الاتيان بنماذج مختلفة استجابة للذين يطالبون بشيء ما يختلف عن المداواة التقليدية . والنتيجة الحالية تعتبر حلا وسطا بصل الأبنية التقليدية بأبنية من نوع غربى . وان ذلك غير مقنع تماما .

هل من الممكن أن يحدث تقدم أكثر بمساعدة علم النفس الاجتماعى ؟ اذا كان شفاء المرض العقلى يكمن فى إقامة التآلف ثانية بين المريض والمحيط الذى يعيش فيه فما هو تأثير المحيط الذى يخلق هذا التآلف ؟ هل يستطيع فرد وقع تحت تأثير عملية الانتقال الثقافى (transculturation) ويتطلع الى ذاتية جديدة وتآلفه . جديد أن يجد نفسه ثانية بسهولة أكثر فى محيط شبيه بمحيطه او فى نماذج جديدة يطرح اليها ؟ « انهم يعالجونك فى فان Fan لان الأطباء يعتقدون فى نظام «الرابية Rab

لماذا تقلق نفسك بالمعالجين ؟ هذه التعليقات نسمعها دائما من الافريقيين . وعلى هذا المستوى يتضح صراع القوم المزدقين بين المفاهيم المتوارثة وبين الرغبة في التنمية السريعة . وإذا أخذنا هذه الازدواجية في حسابنا فهل نستطيع أن نجعل قضايا مشكلتنا أكثر وضوحا ونقترح طرقا أخرى للمساعدة خلاف مستشفى الأمراض النفسية ؟

والاستبانة التي أجريت بين المعالجين في القرى العلاجية التقليدية وكذلك بين القوم الذين يعيشون في المناطق الريفية أمدتنا ببعض المعلومات المفيدة . ان المعالج يتمتع بالشهرة لا لمجرد أن هناك حاجة للأطباء (١) ولكنه أيضا يعتمد على المعتقدات والأفكار العامة التقليدية حيث لا تشكل تكتيكاته العلاجية أى شيء أكثر من امتداد لهذه المعتقدات والأفكار . ويمكن للمرء أن يدرك على الأقل من هذه التكتيكات العلاجية أهمية مشاركة المجموعة الأسرية والجماعة في معالجة المريض . فانه لا يسمح في « مستشفيات الأجمة التقليدية » لأى مريض بالدخول الا اذا صاحبه طوال اقامته بها واحد أو أكثر من أفراد أسرته . وعلى أية حال فالأسرة تؤدي دورا أصليا في حياة الجماعة العلاجية من خلال العطايا والنشاطات الزراعية وأعمال البناء الخ . وهذه للمشاركة ، التي لا يسمح بها في النماذج الغربية ، تعتبر أمرا أساسيا في أفريقيا ، وقد يكون من المرغوب فيه أن تصبح جزءا من النظام .

والأمر الثاني يتصل بالعلاقة بين المرضى والجماعة أو المجتمع ككل . ان المستشفى الغربي يفصل المريض عن المجتمع ( وهذه إحدى وظائفه ) . أما المعالج التقليدى فيعمل داخل الجماعة . ان قرية المعالج العلاجية شبيهة بالقرى الأخرى . وتقدر نسبة المرضى للأصحاء بواحد الى أربعة ، انها مفتوحة للجميع ويرتبط المرضى بعمل الجماعة .

وقد أخذنا هذا النوع من التنظيم كمرشد في مشروع القرية العلاجية ( التي تستخدم كمنشور ) التي يلزم أن تنشأ بالقرب من مدن كل اقليم ادارى ، فعمل الطبيب النفسى كان متوقفا في المقام الأول على الحياة الجماعية في محيط تقليدى مما قد يجعل العلاج النفسى يسيرا بدون معالجين نفسيين .

وقد صادفتنا صعوبات من نوع آخر أثناء محاولتنا انشاء مجموعة علاجية في المستشفى . كانت للجماعة الطبية في علاقاتها واحتكاكها المباشر بالمرضى مشاكل تتعلق بالنفوذ والوظيفة والمنزلة والاتصال . ان اسهام الممرضة أو الممرض يمكن أن يكون هاما مثل اسهام الطبيب . والتوتر والصراعات داخل الجماعة الطبية

---

(١) أثناء مسح لوباء المرض العقل في منطقة من المستغال تنمو فيها أشجار الجوز وجد أن هناك ١٣٠ صالجا لعدد من السكان يبلغ تعدادهم ٣٥٠٠٠ نسمة حيث كان هناك ممرض واحد فقط لهذا العدد .

لها صدى على المرضى كجماعة . وتنبع القوة المحركة للجماعة الطبية من مفهوم اجتماعي نفسي .

انه لامر بسيط نسبيا ان يحدد دور كل شخص وان تصاغ صور العمل وان تفوض سلطة وان توضع سلسلة من الأوامر . ورغم ذلك لن تصبح النتيجة ، بأسلوب عمل الجماعة وابداعها ، مقنعة . لا ينظر أحد الى العمل أو الهدف بمثل طريقة غيره . ان لكل شخص افكارا غير افكار غيره . وتجعل القيم الحضارية هذه الاختلافات أكثر حدة . وهناك عوامل واضحة أو خفية من شأنها اعاقه عمل المجموعة ، وذلك مثل عدم المسؤولية والغياب ومحاباة الأقارب واجهزة السلطة . المتماثلة التي تعتمد على قبيلة الشخص أو طائفته الاجتماعية أو ارتباطاته السياسية والدينية الخ .

ان قسم الطب النفسي في « فان » قد لحقه مسح اجتماعي مرتين في مدى فترة . تقدر بست سنوات . وكانت النتيجة البارزة لهذا المسح هي افتقار الاتصال بين أعضاء المجموعة الطبية . وتعود بنا هذه النتيجة ، التي كان يمكن الوصول اليها ولا شك بدون أى مسح ، الى مشاكل الاتصال بين مجموعة مختلفة تتكون من أوربيين وإفريقيين . وهذا يثير أولى الصعوبات التي تبدو للعيان بوضوح كبير ، في حين يصعب التقلب عليها . ان الاختلافات الأساسية في فهم ومعالجة بيئة الشخص تصبح معقدة الى مدى أبعد بواسطة تقييدات العلاقات التاريخية بين المستعمر والمستعمر التي لا تزال آثارها عميقة .

وتظهر صعوبة ثانية أكثر اثاره للدهشة ، وهي تلك التي تتعلق بالاتصال بين الإفريقيين خاصة اذا وضع الشخص نصب عينيه الصفة الموحدة للجماعة في الحياة الإفريقية . ان الاتحاد والاندماج ليسا في الحقيقة مترادفين للاتصال . ان مواقف المجموعة ازاء التوتر الداخلي أو الصراع كثيرا ما يدل عليها سلوك يشير الى رغبة في اخفائها أو نسيانها أو حتى في انكارها أو رفضها . ويصبح لهذا السلوك في بعض المواقف قيمة اجتماعية حيث يجب أن يسان تماسك المجموعة ، ولكنه يصبح مضادا لضرورة تحليل وكشف النقاب عن الضغوط المستترة التي تحركها المجموعات الغربية .

واذا سأل أحد أسئلة عدة وإذا رغب شخص في أن يكشف كل شيء فانه سرعان ما يقابل بمقاومة سلبية ثم يفلق الطرق التي قد تؤدي الى المعرفة . ان حب الاستطلاع يعتبر خطأ يمارسه الأطفال في السفن على نحو صارم . وننحدر مرة أخرى الى دور المستمع ، ذلك الدور الذي لا نتحمله بسهولة ، وذلك لتلهفتنا على احداث المنجزات والتغيير والتقدم .

## ٥ البيئة الأسرية لمرض العقل

وهذا المثل يعتبر ملخصا لبحث ذى انضباطات متعددة أجرى فى سنتى ١٩٦٧ و ١٩٦٨ ( مستشفى فان المركزى ، قسم طب الامراض العصبية والنفسية ، ١٩٦٨ ) . وانه طريقة لفهم المرض العقلى من وجهة نظر علم النفس الاجتماعى . وكان الافتراض الأول هو أن المرض العقلى وخاصة الشيزوفرانيا اجباط لتماسك النماذج الحضارية والوظائف الاجتماعية . وانه يمكن دراسة هذا التماسك الآلى على أحسن وجه فى الأسرة حيث أنها تشكل نظاما للعلاقات الشخصية بين أفرادها ومصفاة للنماذج الحضارية للمجتمع ككل .

لقد كانت الطريقة الوحيدة هى اجراء مقابلة ، موجهة عادة ، ولكن بدون تحكم صارم . وكانت المقابلة أولا فى المستشفى حيث يصاحب المريض أسرته ثم أصبحت فيما بعد بين مجموعة الأسرة نفسها فى اقليمهم أو قريتهم . وتشتمل المادة التى جمعت على معلومات موضوعية ( أنظمة الزواج والنسب من ناحية ، ومعلومات طوبوغرافية من ناحية أخرى ) ومعلومات أقل تصنيفا ، خاصة ( أ ) المرض العقلى كشيء يعانى به المريض وبيئته الأسرية ، (ب) ادراكه للمرض العقلى ، (ج) تنظيم العلاقات بين الأفراد فى البناء الأسرى . وقد درست حالة اثنتى عشرة أسرة طبقت على عشرين مريضا يعانون من الشيزوفرانيا حيث كان هناك اثنان أو ثلاثة من المرضى ، فى بعض الأسر .

وقد كان التحليل على ثلاث مراحل :

١ - عينت فى كل حالة ثلاث فئات لنماذج حضارية استمدت من البيئة : ( أ ) نماذج متكررة ، كل الأفعال التى كانت تتكرر مرارا وتنبع نمطا لا يتغير . ( الخرافات والشعائر ) . (ب) نماذج يحتفظ بها ، قيم ووظائف اجتماعية تحتفظ بالتقاليد مع قدرتها على النمو ، كشيء ضد النماذج المستوردة الأقوى نسبيا . (ج) نماذج يجب أن تتغير ، نماذج فى أمس الحاجة الى نوع من الخيال الخلاق . تحتوى على ما يناقض ديناميكية التغير الاجتماعى .

٢ - وما ان عينت النماذج حتى حللت العلاقات بين الأشخاص فى الأسرة لمعرفة ما كان قد ساعد الشخص موضوع البحث كى يوحد النماذج المقدمة اليه وما قد فعل العكس .

٣ - وقد عينت المرحلة الثالثة قيمة مرض الشخص الذى يتناوله البحث حسب خلفية الشخص نفسه ونجاح اندماجه فى الأسرة وقدرته على فهم المجتمع من حوله . وكان فى الامكان استنباط بعض النتائج التى تعزز بحثا آخر أجرى فى جماعات افريقية أخرى .

وفى المقام الأول فان انفصام روابط الأسرة ، الذى لوحظ فى جميع الحالات



تقريبا ، يعتبر نتيجة للتغير الاجتماعي . ان ما نلاحظه هو اما انقسام فعل للأسرة ( الهجرة ، التشييت ، الطلاق ، النسبة المرضية ) أو تحول نحو نمط جديد لتنظيم أسرى ( الأسرة ، النووية ) ، الذى لم ينجح فى توطيد نفسه . ويوجد فى الحالة الأولى افكار تصاعدي فى الحضارة الأسرية حيث ان المجموعة الأسرية لاتصبح حاملة بعد القيم التقليدية ، وفى الحالة الثانية يحدث الصراع الناشئ عن اصطدام الحضارات مفعوله مع افكار الحضارة الأسرية (1) .

وفى المقام الثانى تظهر فى حالة كهذه دلالة خاصة تتصل بالسلطة . ففى النظم المستقرة مثل المجتمعات التقليدية تتحد السلطة فى وحدة كاملة حيث لكل فرد مكانه وحيث دوره ومنزلته حسب نماذج دقيقة لا تتغير . واذا اختلفت النماذج التى تكون فيها السلطة مكتسبة فان هذا لاؤدى الى نتائج خطيرة حيث ان التحام الجماعة والاستقرار الحضارى يكفلان اتحاد القيم . وان السلطة تؤدى دورا مختلفا فى النظم التى يعترىها التغير والتى تتعرض لضغوط خارجية والتى تبحث عن تنظيم جديد . فمن ناحية تصبح هى الشئ الوحيد الذى يحفظ الأسرة مجتمعة ، ومن ناحية أخرى توجد مخاطرة فى انها سوف تجمد النظام وتعمق التطور . ان المعارضة لا مناص منها .

وحيثما تنفصم روابط الأسرة يصبح تأثير السلطة الديكتاتورية سلبيا كلية حيث انها لا تمنع بعد أى تطور محتمل . وحيثما تصبح الأسرة أسرة « نووية » مع وجود فاعلية النماذج المضادة ، فان السلطة الديكتاتورية تجعل من العسير اظهار الصراع للعيان . وتحصر الفرد فى عدد محدود من الأدوار ، وتوقع كل أمل فى التطبيق . وفى المقام الثالث فان المريض يظهر ويعكس فى توهماته تحطيم الأسرة الذى هو نتيجة للتغير الاجتماعى . وعندما تصبح العلاقة الطيبة بأحد الوالدين مفتقدة ( مثلا بسبب الموت أو النزاع بين الزوجين أو الطلاق ) يظهر المريض نبذه لعلاقته أو انتماه الذى يمتد الى أسلاف أحد الوالدين . وان عملية انفصام الشخصية فقط تقوى من محاولاته التعويضية الى ادماج نفسه الخيالى مع الأفراد ، الأحياء منهم أو الاموات ، من السلالة الأخرى أو من السلالتين معا .

وبالرغم من الصعوبات الكثيرة فان هذا المسح قد سهل ايجاد فهم جديد للمرض العلقى . وقد أدى علم النفس الاجتماعى الدور الأعظم فى ذلك حيث استطاع أن يلقى الضوء على الظواهر من وجهة نظر ثلاثية ، تلك التى تحدثنا عنها فى البداية : علاقاتها بالتقاليد ، علاقاتها بالنظم والنماذج الحديثة ، دلالتها على تركيب الفرد ووجوده الطبيعى والشاذ .

---

(1) لقد اختلفت الأسرة من اجل اهتمام مبين ، وهكذا كانت مزولة على نحو مصطنع عن النظم التى ترتبط بها وثيقة (المدارس ، جمعيات الشباب ، الجماعات السياسية أو الدينية الخ) .

وكذلك ألقى الفهم الاجتماعي النفسى ضوءا على الظواهر الأكثر عمومية لعدم الانضباط الذى هو نتيجة للتنمية السريعة والتغير الاجتماعى . وعلى المستوى الفردى فإنه يشير الى صعوبات التنظيم أو التركيب الداخلى التى تنشأ عندما تكون الأنظمة أو النماذج التى تنقل مناقضة أو عندما تتحطم . هل هناك نتائج عملية نحصل عليها بالنظر الى الإجراءات الوقائية الممكنة ؟

إنه من الصعب الإجابة على هذا السؤال حيث أنه توجد نظم سياسية واجتماعية عديدة .

### بحث فى وباء مرض العقل وفى عمل الصحة العامة

وهذا أيضا بحث متعدد الانضباطات ، وقد أدى فيه علم النفس الاجتماعى دورا راجعا .

إن النهدف الأول لهذا البحث هو عمل مسح لجميع سمات الاضطراب العقل فى مجتمع ريفى حسب الخصائص الاجتماعية ، وقد اتبع فى هذا البحث طريقة مبنية على عمل A. Leighton . وقد جمعت معلومات بواسطة استبانة باللغة الوطنية عن الصحة العقلية والتنظيم الاجتماعى ( أو الانحلال الاجتماعى ) وقد اختبرت هذه المعلومات وصححت بعد أن قورنت بالفحوص الاكلينيكية . وقد انصبت هذه الاستبانة على ما له علاقة بالاضطراب العقل (psychotic) وماله علاقة بالعصاب neuratic . وكذلك ما له علاقة بالاضطرابات الجسدية الناشئة عن اضطرابات عقلية أو عاطفية Psychosomatic . إن الاستبانة الاجتماعية ( فى المحيط الريفى ) كانت متعلقة بالحالة الراهنة للقرية ومكان الشخص موضوع البحث فى القرية وحالته الاقتصادية . ومنذ بدأ المسح حدث أن شمل هدفين آخرين بالإضافة الى الهدف الأول : أولا : تحديد منسوب الصحة عند السكان واحتياجاته بأسلوب الصحة الاجمالية ، شاملة تقويم الصحة البدنية والأحوال الصحية وطريقة الحياة واستعمال الخدمات الطبية ، وثانيا وضع المجموعة القبلية الواحدة فى المحيط الريفى وفى المحيط الحضرى من ناحية الصحة الاجمالية ومن وجهة النظر الاجتماعية موضع المقارنة .

وقد أجريت فحوص طبية شاملة بواسطة متخصصين من كل نظام . وقد استخدمت هذه الاستبانة الخاصة بالصحة العقلية فى البيئة الريفية والحضرية . وانصبت الاستبانة الاجتماعية المستخدمة فى الحالة الأخيرة فى المقام الأول على مظهر التكيف بالمدينة ، الموقف الشخصى والأسرى للشخص موضوع البحث ، تجاربه فى العمل وطريقته الحضرية فى الحياة . وقد عالجت الاستبانة الاجتماعية للنساء فى المقام الأول الحياة الزوجية واستقلالهن بالنسبة لأزواجهن . وقد قامت معالجة

فى جميع الحالات للحصول على صورة من تعليم الأشخاص موضوع البحث فى المدارس وفكرتهم عن كيفية انسجامهم مع المجتمع .

وقد غطى المسح منطقة من اقليم سينى سالوم Sine-Saloum المشهور بزراعة الفول السودانى فى الجزء المعروف باسم السير ، وقد أدى تحليل معمل (١) factorial analysis لسكان يبلغ تعدادهم ٣٥٠٠٠ الى تقسيم الخمس والستين قرية للمنطقة كلها الى اثنتى عشرة فئة . وقد اختيرت قرية كيفا اتفق من كل فئة ودرست حالة خمسة وعشرين من البالغين خمس عشرة سنة فأكثر من أى من الجنسين فى كل من الاثنتى عشرة قرية فبلغ مجموعهم ثلاثمئة شخص . وقد درست عينة مشابهة من النازحين من قبيلة السير Serer فى مدينة دكار .

وقد كانت الأغراض الجديدة تمثل عامل اضطراب بقدر ما يتعلق بممارسة المسح الأولى . فكان على الذين يقومون بالمسح أن يأخذوا على عاتقهم دورا فيه كفاح أكبر ، كان عليهم أن يزنوا السكان يأخذوا قياسهم وهكذا ، وكان هناك التزام بحدود زمنية ، وكان من الأمور الأساسية ضمان تعاون السكان . ونشأت المشاكل البشرية بالنظر ، مثلا ، الى تقليل الشخص موضوع البحث للفحص الطبي، من حيث المبدأ ومن حيث مايتضمنه الفحص ، والكيفية التى تنظم فيها العمليات فى القرية ، وإشراك الزعماء والسكان ، الخ .

ان الصدام بين القائم بالمسح والشخص الذى يقع عليه المسح قد أظهر بوضوح طبيعة المشاكل التى تنشأ أثناء العمل الصحى (مرجت ورافل Mirgot and Ravel ١٩٧٠) . وقد أصبح المسح الطبى نفسه موضوعا للبحث كمؤشر للندرة على مص التماذج الجديدة ، للدخول فى اتصالات للاعداد للتغيير الذى ينمو من الداخل أو يوحى من الخارج .

ولن نتطرق الى مسح الصحة العقلية ومشاكل الميثودولوجيا والعمل التمهيدى وإدارة المسح ومغزى البيانات التى جمعت . ان المعلومات يجرى تحليلها فى الوقت الحاضر . ان المفهوم الاجتماعى النفسى الذى اتخذ المرض العقلى يختلف قليلا عن المفهوم الذى وصفناه آنفا . ان غرضه هو جعل المقارنة ممكنة بشعوب أخرى فى دول أخرى قد مسحت حسب هذه التكنيكات .

وما يمكن أن نستفيد به هنا هو رد الفعل عند سكان الريف .

وقد اجترحت ثلاثة عوامل لتمييز القوى فى البيئة الريفية :

١ - تقليل التقييم التكنيكى .

٢ - درجة الاتصال بالعالم الخارجى .

٣ - علم الاستقرار .

(١) غطى المسح ٢٦ من التغيرات الإحصائية والديموجرافية والاقتصادية .

وقد أيدت هذه العوامل الثلاثة بالتحليل ونمو الاتجاهات والسلوك بالنظر الى الجوانب المختلفة للتحقيق : العرض ، الاعداد ، المسح الفعلي ، رد الفعل . ان اتجاه السكان قد حدد في ضوء جميع وجهات النظر وافكار ومعتقدات زعماء القرية التي سجلت أثناء التحقيق مع الإشارة بوجه خاص الى بعد « التبعية الاستقلالية » ، الذي يهيمن على ما يلي ، من مسحتين للسلوك :

### إيجابي / سلبى ، مربى / موضع ثقة ، عنوانى / غير عنوانى

ان القرى التى تقبلت التقدم التكنيكى بصدر رحب كانت تلك التى أظهرت استجابة لطريقة تلاصقت على أحسن وجه مع السيطرة ، دون رفض ، على تأثيرات هذا الافتحام ( استقلالية ايجابية ) . وكانت هناك عوامل ثانوية قوت من هذا الاتجاه مثل الزعامة التى نشأت من حول المجموعات الدينية ( اسلامية تيدجانية ، كاثوليكية ) ، والشبان الذين درسوا في المدارس ، والسلطة المتناسكة بين أهل القرية .

ومن جهة أخرى فان الاستقلالية السلبية قد قويت حيثما كان تقبل الناس للتقدم التكنيكى بسيطاً . وادى المألجون التقليديون دوراً كبيراً ، والقوة كانت فى ابدى الشيوخ ، ووجد صراع عنيف بين الأجيال .

وعلى هذا الأساس فان بعض المقترحات يمكن وضعها للتربية الخاصة بالعمل الصحى . ان مهمة القائم بالعمل الصحى هي تغيير اتجاهات وعادات الناس وتخطيط علاج وفق وحالات لتحسين الصحة . ان المعلومات الطبية أو التربية الصحية تعتبر من الناحية الجوهرية استخدما لوسائل الاتصال التى تزود القوم بنماذج جديدة . وقد تحدد كعمل مفروض على المجموعة بقرار من الخارج . وهذا العمل لا يمكن تقبله الا اذا كانت النظرية من خلفه لها بعض الملامح المشبتركة مع النظام الاجتماعى الذى سوف ينجز العمل داخله . ولا يمكن أن ينجز بدون استخدام نظام فعال لوسائل الاتصال .

وقد كان من المستطاع أن نعطي هنا أمثلة أخرى لظهور الدور الذى يؤديه علم النفس الاجتماعى فى كل شيء له علاقة بالطب النفسى، الصحة العقلية، التربية، التدريب . والمعونة التكنيكية ، مثلا العمل الذى أنجز عن جرائم الأحداث وعدم الانسجام مع البيئة (Hugot, 1968) ، نمو النفوذ فى العلاقات بين الطفل والوالد (Berne et al., 1968) ، المصادقة التلقائية بين الشبان فى المدن الكبرى (Billen et al. 1968) ، الحركات الدينية الترفيقية ، الاتجاهات نحو المال ، امتلاك الأشياء أو الاحتفاظ بها ، الاتجاهات ازاء الخدمة العامة كعمل وظيفى ، وهكذا .

وهذه التحقيقات الاكلينيكية والاجتماعية النفسية استطاعت أن تسهم فى إيجاد

تحديد أفضل لمشاكل التنمية فى المجتمعات الافريقية وتدعيم الملحوظات القليلة التى  
ترغب فى أن ننهى بها الموضوع .

### الطب النفسى وعلم النفس الاجتماعى

ان الملحوظة الاولى تتعلق بالطب النفسى . مهما كانت الضرورات الموضوعية  
وضع النقل الثقافى ، العلاقات الجدلية المختلفة بين الفرد والمجتمع ، التغير الاجتماعى  
السرعى ( أو الدوافع الشخصية التى ربما قد أدت الى تعاون متماسك بين الأطباء  
النفسيين وعلماء النفس الاجتماعيين ، فان فوائد الطب النفسى واضحة .

وانه ليس فقط بحثنا فى الأوبئة أو طريقة حديثة للمرض العقلى أوحى به  
علم النفس الاجتماعى . ان الموضوع الحقيقى لعلم النفس الاجتماعى - أى العمليات  
التي تدمج الفرد فى المجتمع وتصنع شخصيته ، ابتداء من الأسرة والمجموعات  
التي تقدم وتنقل نماذج حضارية - يوسع من حقل الطبيب النفسى فى ممارسته  
اليومية ويغير من موقفه تجاه العمل الاكلينيكي أو المداواة حيث أصبح يدرك ابعادا  
جديدة .

ان النشاط الطبى ، سواء كان تشخيصا أو علاجا ، يفكر فيه عادة بأساليب  
غربية حيث أن التأثير الغربى لا يزال قويا . ان ما يتصوره القوم هو ذلك الحوار  
الخاص بالاعتراف أو اريكة المحلل النفسانى ، حيث المتحدثان فى وضع غير متكافئ  
ويجابه كل منهما الآخر مظهرا أحيانا المودة حيث ان العلاقة بينهما تتفاوت . وإذا  
وضع هذا النشاط على أساس تعاونى فسوف يكون ذلك للنفع ولا يحتاج  
الى أن نهش له بأى حال . ان المرض العقلى ، الذى يعتبر اجتماعيا فى أصله  
وأثره الحالى وتطوره فى المستقبل ، يكون من شأن الجماعة ، سواء فى مد يد انعون  
أو فى أخذ المسئولية على عاتقها أو فى العلاج . ان فكرة الجماعة العلاجية تطابق  
هذا النموذج الجديد الذى يصعب اقامته فى الحضارة الغربية . ويعتبر فى افريقيا  
نموذجا تقليديا حيث يصبح أمرا حيويا يحتفظ به على الأقل فى طريق التنمية .  
وهناك صعوبات عديدة فى تحويل هذه الجماعة الى نظام ذى طابع غربى ،  
مستشفى الأمراض العقلية فى افريقيا .

فهناك أولا صعوبة ادراك ماهية الشخص الآخر عبر الحاجز الحضارى . ثم  
هناك دلالة على ما يمكن - بلغة دور كل ومنزلة - تسميته « لبس ثياب خاصة  
dressing-up » ماذا يعنى للمريض لبس حلة خاصة واستخدام الأشياء  
التي تقترن بعمله الطبى ؟ هل هو حقا يعتقد فى الدور الذى يؤديه أو هل هناك  
مجرد مصلحة فى الظهور بهذه الهيئة ؟ ان الشخص الذى أسلم نفسه بعق الى  
عمله يحس بصعوبة فى ايجاد طريق لقدمه ثانية فى أسرته وجماعته . ان موقف  
المريض يشبه الى حد ما موقف المعلم ، ومتاعب الطب النفسى ليست سائدة عند

الآتي: عن طريق المصادفة • ان المرض كموظف واقتراجه من أروقة القوة المعالجة يكون تحت ضغط من مطالب موجهة اليه من الأسرة والأصدقاء ، مطالب لا يستطيع أن يتجنبها دون أن يخاطر بنزلة المجتمع له • وينظر الى المستشفى في معظم الأحيان كمصدر يسر للريح • والتبادل والعلاقات تقام في مكان آخر وقلما توجد الجماعة النحقة بين جدران المستشفى •

ويجب أن تعطى أيضا بعض العناية الى عمارة المستشفيات التي آتت من حضارة أخرى والتي هيئت بطريقة سيئة للمريض ، وكذا لراحة اعضاء الهيئة الطبية • ويجب الاهتمام أيضا بمصادر السلطة والحسم وتأثيرها التمييزي على جماعة مبنية بطريقة مؤلة تحت ضغط وتفاعل نظم متعائلة •

ولهذه الأسباب جميعها فان المهمة ليست سهلة ولكنها تمثل الطريق الصواب

## الاصفاء والاكراه

ان فكرة التنمية متصله اتصالا وثيقا بفكرة التدريب • وقد نودى في افريقيا بالتدريب السريع والنتائج الفاعلة • ان المراكز والمدارس المهنية تخرج فنيين وموظفين اداريين يقال عنهم - بعد أن يجتازوا الامتحانات - انهم صالحو للقيام بالأعمال التي دربوها من أجلها • ومع ذلك فكثيرا ما تتحطم آمال صاحب العمل وينتقل العامل الى مكان آخر ببساطة عندما لا يجد رغبة حقيقية في عمله أو في التدريب عليه •

وأثناء تنمية معلوماتنا عن الحضارات الافريقية يبدو الأمر لنا أكثر صعوبة وذلك كي يصبح المرء مدريا أو معلما ليرشد أو يقترح أو ينصح • ويتساءل المرء بالضرورة عن الأساس والملازمة والمعنى الحقيقي لهذا الشيء الذي يسمى التعاون الفني بما يلزمه من اكراه وفشل وضطايبا •

ان التعاون يؤدي الى التنمية ويعنى حياة افضل وحرية فردية اكبر • اى موقف يجب على المرء فى ضوء هذا ان يتخذ ؟ اى نوع من الحياذ ، حيث أن الحياذ مطلوب ؟

هل يجب أن يكون هو حياذ المعلم ، الذى يهتم قليلا بحاجات ومطالب الآخرين ويفرض آمالا يغيب تماما منطقها الداخلى وارتباطها بالحقيقة عن الأشخاص الذين تعطى لهم ؟

هل يجب أن يكون حياذ عالم الائنولوجيا ، الذى يراقب ويجمع ويعيد التركيب محاولا أن يجد قوانين تحكم الانماط الاجتماعية والحضارية بينما يحذر أن لايفعل شيئا قد يعتبر تدخلا فى اى أمر يراقبه ؟

او هل يجب أن يكون حياذ الطبيب النفسى ، الذى يتطلب منه أن يصنف أكثر من أن يقيم أو يصدر حكما أو يفكر ؟ انه بالإصفاء الى الشخص الآخر ربما قد تعلم أن يستمع الى مطالبه وأن يتعرف عليه فى ذاتيته وآخريته •

ان عالم النفس الغربى أو عالم النفس الاجتماعى الغربى فى موضع غير مريح

حيث أنه مأسور بين أحوال اقتصادية متقلصة بشدة أو كثيرا ما تكون مختلة وبين حقيقة انسانية لا تزال تفهم على نحو هزيل أو لا تزال منكرة .

ويعتبر الأمر بالنسبة اليه مغامرة عن طريق النقل الثقافي ، فاما أن يسقى في مكانه من الحاجز الثقافي ، ويصبح غير مؤثر حيث أنه لا يدرك شيئا ، واما أن يعبر الحاجز ولا يعرف بعد بوضوح من هو . وبالنسبة الى الأفريقيين فإن المغامرة تكمن في إعطاء ثقة فائقة للنماذج والتكنيكات المستوردة وفي تقبل القيم الغربية بسرعة كبيرة دون نقد ، وهكذا فإنهم ينسون حضارتهم نفسها .

أن الشخص المحروم من الثقافة الذي لا ينهل من ينبوع وجوده يصبح مشوها وغير مؤثر ومقصى . أنه فقط بحوار حقيقي حيث يستمع فيه كل الى الآخر يمكن تجنب « الاختناق » الثقافي ، ويكفل هذا الحوار القوة الحيوية لما يسمى بالدول النامية واثراء جميع الجماعات المحلية .

### المشاركة والممارسة

يقدم النمو أو يهدف الى تقديم أساط جديدة من السلوك . وتظهر هذه الأنماط اما من الداخل حيث تنبع من دينامية الحضارات والمجتمعات التي تشكل فيها أو أنها تكون مستوردة . وفي الحالة الأخيرة قد تستعاد اختياريا من مجتمعات أخرى أو تفرض سواء بواسطة قلة تفكر وتعمل لصالح الآخرين أو بواسطة نظم اجبارية تفرض نمطا ضيقا غير ملائم من الطرق الأجنبية .

ان قصدنا ليس النقد من وجهة النظر السياسية أو الخلقية لعمليات الاكراه التي كثيرا ما تهدف الى تحسين مستوى المعيشة بواسطة وسائل اقتصادية . ان فلاح قبيلة السيرير Serer الذي كان موضوع المسح للأوبئة يهتم بأمرين : الغذاء ، والصحة . ان ما يحتاج اليه هو المال والرعاية . ويمكن أن يحصل على كل شيء يرغب فيه برفع مستوى معيشته ، وأي عمل في هذا الاتجاه يبلى على أساس سليم . ولكن اذا لم يفهم ما يقدم اليه واذا كانت طرق انجازه في صراع مع العادات أو القيم الثقافية أو مناقضة لها ، واذا لم يستشر المستفيدين فان النتيجة قد تختلف عما كان يرجى منها . وتعتبر المحاولات لاعطاء تربية صحية بالنظر الى التغذية مثلا على ذلك . لم يفلح المهتمون بتربية الطفل وخبراء التغذية في محاولاتهم التي استغرقت أكثر من عشر سنين في نصح وتعليم وتدريب الأمهات كي يحاربن سوء التغذية . ومنذ عهد قريب جدا أصبح من الممكن احراز النتائج حيث ان الجماعة أصبحت تدرك الآن مشاكلها وأخذت تشارك في حلها .

ان الماضي قد ترك بصمات يصعب جدا محوها ، بصمات لا تزال تشير الى طرق سبلة وتعلم أسلوب عمل يبدو واضحا . ومن القروض ان المستعمر كان يعرف احتياجات المستعمرين دون سؤالهم ، وعلى أية حال لم يكن في استطاعتهم ان يسألوا لأنه لم يصنع اليهم أحد . وكانت الممارسة مسبوغة والممارس الذي يملك المعرفة يعتبر نفسه سيذا . ونشأ عن هذا الموقف أسلوب من العلاقات كان يرفض فيه الايمان بأحد الطرفين ، وأحيانا كان يرفض فيه أحد الجانبين الايمان بالجانب الآخر . ولم يكن التحول نحو التبادلة أمرا سهلا لأي من الجانبين ، ومع ذلك فانها حالة ضرورية كي تحتل المشاركة مكان الممارسة وتمطى أساسا من التعاون الذي يؤدي الى التنمية .

# المؤتمرات الدوليّة القادمة

لا توجد معلومات تفصيلية أوسع فيما يتعلق بهذه الاجتماعات ، يمكن الحصول عليها عن طريق هذه الخورية .

٢٥ يوليّة الى ٦ يوليّة

فيما : المجلس الدولي للنساء : الاجتماع المشرون - عقد ٣١ ثلاث سنوات

International Council of Women  
23, Rue de Caumartin,  
75, Paris 9e (France).

أواخر يوليّة الى مستهل يوليّة

غرناطة - اسبانيا :

المجلس الدولي للرعاية الاجتماعية : الحلقة الدراسية الأوربية السابعة

International Council of Social Welfare :  
Seventh European Colloquium.  
5, Rue Las Cases, 75 Paris — 7e (France).

١٣ - ٢٠ يوليّة

أكسفورد :

الاتحاد الدولي لقضاة الشباب : اجتماع

International Association of Magistrales : Meeting.  
IAYM, Tribunal de la Jeunesse,  
13, Rue des Quatre-Bras, 1000  
Brussels (Belgium)

١٦ - ٢٢ يوليّة

باريس :

الاتحاد الدولي للمستشرقين : المؤتمر الدولي التاسع والمشرون

29e Congrès des Orientalis, Collège de France, Place Marcelin —  
Berthelot, 75 Paris 5e (France)

١٩ - ٢٥ أغسطس

متريال :

الاتحاد الدولي لعلم السياسة : المؤتمر الدولي التاسع

IPSA, 43 Rue des Champs Elysées, 1050  
Brussels (Belgium)



٢٦ - ٢٦ أغسطس

متريال :

الاتحاد الأمريكي لعلم النفس : اجتماع

American Psychological Association : Meeting  
Dr. K.B. Little, APS, 1200  
17th Street, N.W., Washington  
D.C. 20036 (United States).

٢٦ - ٢٦ أغسطس

أبلجان :

السلام العالمي عن طريق مركز القانون : المؤتمر العالمي لسنة ١٩٧٣ :

World Peace Through Law Center :

( الموضوع : أفريقيا - العالم والقانون الدولي )

75. Rue de Lyon, 1200 Geneva (Switzerland).

٢٧ - ٣٠ أغسطس

نيويورك :

الاتحاد الأمريكي لعلم الاجتماع : اجتماع سنوي

ASA, 1001 Connecticut Avenue,  
N.W., Washington, D.C. 20036.  
(United States)

٢٧ أغسطس الى أول سبتمبر

لييج :

الاتحاد الدولي للدراسة العلمية للسكان : - الجمعية المعممة والمؤتمر العام .

International Union for the Scientific Study of Population :  
General Assembly and General Conference.  
IUSSP, 5, Rue Forgeur, 4000.  
Liege (Belgium).

أوائل سبتمبر

الأراضي المنخفضة :

المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع الديني : مؤتمر

International Conference for the Sociology of Religion : Conference.  
Mr. J. Vercheure, Secrétariat Général,  
Conférence Internationale de Sociologie Religieuse.  
39, Rue de la Monnaie, 59,  
Lille (France).

١ - ٨ سبتمبر

شيكاغو :

الاتحاد الدولي لعلمى الانسان والاعراق البشرية : - المؤتمر الدولي التاسع

Professor Sol Tax President, IUAES  
University of Chicago, Illinois 60637.  
(United States)

٣ - ٧ سبتمبر

لندن :

الاتحاد الدولي للعلاقات الصناعية : المؤتمر الدولي الثالث

International Industrial Relations Association:  
Third World Congress IIRA,  
15, Rue de Lausanne, 1211.  
Geneva (Switzerland).

٨ - ١٠ نوفمبر

دوفين ، فلوريان :

جمعية علم الشيخوخة اجتماع علمى سنوى \*

Gerontological Society : Annual Scientific Meeting.  
One Du Pont Circle, Washington D.C., 20036.  
(United States).

ديسمبر

الولايات المتحدة :

جمعية الاقتصاد القياسى : مؤتمر

Econometric Society : Conference.  
P.O.Box 1264, Yale Station, New Haven, Connecticut 06520.  
(United States).

٢٧ - ٣٠ ديسمبر

نيويورك ميهتى :

الاتحاد الأمريكى للاعضاء ، والاتحاد الأمريكى للاقتصاد وجمعيات أخرى متحالفة : الاجتماع السنوى  
الثالث والثلاثون بعد المائة \*

John Lehman, Executive Director, ASA.  
806, 15th Street. W., Washington D.C., 20005  
(United States).

# ومطبوعات الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة

## السكان والصحة والطعام :

### السكان :

- ◆ لجنة السكان : الدورة السادسة عشرة - مجموعة من الوثائق  
(UN/E/CN. 9/262. to UN/E/CN 9/262)
- ◆ مؤتمر السكان الافريقي - مجموعة من الوثائق  
(UN/E/CN. 14/POP/141, 18 October 1971, 19 p.).
- ◆ برنامج السكان الافريقيين : أعدته اللجنة الاقتصادية لافريقيا  
(UN/E/CN. 14/CAD. 1-12)
- ◆ كتيب يضم عينة من عمليات المسح السكاني في افريقيا - ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٧١  
(UN/E/CN. 14/CAS 7-17).

### الصحة :

- ◆ تعاطى الجشيش : ( مجموعة تقارير فنية برقم ٤٧٨ ) وتقدم منظمة الصحة والتغذية معلومات  
عن آثار الجشيش ، والمجالات التي تحتاج الى مزيد من البحث .
- ◆ تقرير عن احصاءات صحية عالمية ، يضم احصاءات ودراسات تشمل كل العالم : الأسباب  
الأساسية في الأمراض والوفيات من سنة ١٩٥٥ - ١٩٦٨ .

### البيئة :

- ◆ برنامج التنمية النابع للأمم المتحدة ، والموارد الطبيعية . تقرير  
(UN/E/C. 7-22).
- ◆ تقرير عن الحلقة الدراسية الأولى لكل افريقيا ، الخاصة بالبيئة البشرية  
(UN/E/CN. 14/532).
- ◆ نقاش حول الموارد الطبيعية .  
(ST/ECA/142).
- ◆ حلقة دراسية اقليمية خاصة بأمريكا اللاتينية ، عن مشكلات البيئة البشرية والتنمية  
(UN/ST/SCLA/Conf. 40/L. 5/Rev. 1).

- ندوة عن تأثير التمدين على بيئة الإنسان .

(UN/ST/TAO/SER/130).

#### الاقتصاد :

#### الإحصاءات وطرق الإحصاء :

- الكتاب الإحصائي السنوي عن آسيا والشرق الأقصى ، مع بيانات مقارنة لسنة ١٩٧٠ بالإنجليزية والفرنسية .

(ST. B 1).

- تقرير عن المجموعة العاملة في الإحصاءات الاجتماعية ( اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصى ) .

(UN/E/CN/11/L. 314)

- تقرير عن الدورة السابعة لمؤتمر رجال الإحصاء الأفريقيين .

(UN/E/CN. 14/54).

- تقرير عن المجموعة العاملة في حسابات الإنتاج وتوازن السلع ، وتحليل التكلفة والإنتاج في كل من الأسعار الجارية والثابتة .

(UN/E/CN. 15/547)

#### التنمية الاقتصادية ( وتشمل التنمية بوجه عام ) والتنمية

#### خطة العمل العالمية لتطبيق العلم والتكنولوجيا على التنمية

(UN/E/4962/Rev. 1).

(ST/BGA/146).

- نقل المهارة الفنية في صناعة الصلب بالبرازيل .

(UN/E/CN. 12/922).

- تقرير عن الاجتماع الوزاري الإفريقي التمهيدي لـ UNCTAD في أديس أبابا في أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٧١ .

(UN/E/CN. 14/546).

#### ■ الزراعة ، السلع الأساسية :

احتمالات السلع الزراعية (١٩٧٠ - ١٩٨٠) (منظمة الطعام والزراعة FAO)

- إدخال أنواع ذات محصول عال من الأرز في الفلبين ، ونتائج ( منظمة الطعام والزراعة ) .

- طرق العمل الدولي في التجارة المالية في الحبوب الزيتية والزيوت والشحوم (منظمة الطعام والزراعة ) .

#### المركز الاقتصادي :

- مسح اقتصادي لأمريكا اللاتينية : تقييم للسنوات العشر الماضية في مختلف دولها ، وإعداد سياساتها .

(UN/E/CN. 12/851/Rev. 1).

• مسح للظروف الاقتصادية في إفريقيا : وصف عام لاتجاهاتها الاقتصادية ونقد وتحليل...  
(UN/E/CN. 14/520)

#### ■ الدخول :

توزيع الدخل بأمريكا اللاتينية - نوفمبر سنة ١٩٧٩  
(UN/E/CN. 12/863)

الجمع ، وظروف المعيشة والعمل ، والمالة والسياسة الاجتماعية :

#### ■ المشكلات الاجتماعية :

الجزء الثاني من تقرير منظمة العمل الدولية للدورة السابعة والخمسين (جنيف ١٩٧٢) .

#### التسلح والتنمية الاقتصادية والاجتماعية :

♦ نتائج السباق على التسليح : الاقتصادية والاجتماعية وتأثيره الضار على السلام العالمي  
(UN/A/8469/Add. 1).

#### ♦ التمددين :

اجراءات الضبط المستخدمة في سياسات التمددين والافادة من اراضي المدن .  
(UN/E/C.C/118).

♦ اقتصاديات تنمية المدن ، اقتراحات بانشاء برنامج بحث لاقتصاديات هذه التنمية على المستوى  
الدول .

(UN/E/C. 6/121/Add. 1).

♦ بعض مشكلات التنمية الاقليمية في أمريكا اللاتينية .  
(UN/E/CN. 12/913).

♦ البطالة في المدن ، بالبلاد المتقدمة : (منظمة العمل الدولية) .

#### الخدمات الاجتماعية ، وظروف العمل ، وسياسة البطالة :

♦ نفقات الضمان الاجتماعي . بيانات احصائية عن العمليات المالية للضمان الاجتماعي القومي .  
♦ تقرير عن حلقة دراسية ، خاصة بإدارة الاسكان في إفريقيا ( النول الناطقة بالانجليزية) .  
(UN/E/CN. 14/539).

♦ لجنة النقل الداخلي (الدورة التاسعة ١٩٧٢) - تقرير عام عن الترتيبات التي وضعتها المكتب  
لتنفيذ الدراسات والمسح واجراءات الأمن التي يمكن تطبيقها على الأشخاص .

♦ طريقة تغلب الأشغال العامة على مشكلات الفقر : احتمالات جديدة لاجابة قديمة - دور الاشغال  
العامة في برامج مقاومة الفقر ، في ضوء تطور النظريات والتطبيق .  
(UN/E/AC. 54/L. 42).

♦ بعض العناصر في خطة تعزيز المعالة في الدول المتقدمة - مكتب العمل الدولي  
(UN/E/AC. 54/L. 43).

♦ قياس كفاية المعالة في الدول المتقدمة - مكتب العمل الدولي  
(UN/E/AC. 54/L. 44).

- ◆ خطط المالية وسياسات تخفيض حالات الفقر في الدول المتقدمة : مركز تخطيط التنمية ،
- ◆ مشروعات وسياسات الشئون الاقتصادية والاجتماعية ، بسكرتارية الأمم المتحدة .  
(UN/E/AC. 54/L. 47).
- ◆ العمل والتحديات الاجتماعية الناشئة عن التسيير الآلي وغيره من وجوه التقدم التقني (منظمة العمل الدولية )
- ◆ النتائج المترتبة على الطرق الجديدة الخاصة بمعالجة أروسة التحميل ( منظمة العمل الدولية ) .

### المسائل القانونية والسياسية ، الحقوق الإنسانية

#### ◆ القانون الدولي :

- ◆ عرض الدور الذي تقوم به محكمة العدل الدولية - تقرير السكرتير العام .  
(UN/A/8382).

#### ◆ الاستقلال :

- ◆ تنفيذ اعلان منح الاستقلال للبلاد والشعوب الخاضعة للاستعمار ، بواسطة الوكالات المتخصصة واجابة هيئة اليونسكو  
(UN/A/8314/Add.6). (Part II)
- ◆ نضجة الاقتصاد الأجنبي والمصالح الأخرى التي تنوق تنفيذ اعلان منح الاستقلال لهذه الدول والشعوب ، والقضاء على التفرقة العنصرية والاستعمار وبخاصة في افريقيا وجزر بهاما وبرمودا وغينيا الجديدة .  
(UN/A/8398/Add. 1).

#### ◆ حقوق الإنسان والتفرقة العنصرية :

- ◆ الحقوق السياسية للنساء - تقرير للسكرتير العام : اتجاهات التشريع في مختلف البلاد فيما يتعلق بالسماح للمرأة بمزاولة المسئوليات السياسية والإدارة العليا .  
(UN/A/8481)
- ◆ الوسائل الدولية والمقاييس الوطنية لمركز المرأة الاجتماعي .  
(UN/E/CN. 6/552)
- ◆ القضاء على جميع أشكال التفرقة العنصرية - السنة الدولية للعمل على محاربة العرقية والتفرقة العنصرية .  
(UN/A/8367).
- ◆ حلقة دراسية في أخطار التمييز العنصري بكافة أشكاله والبحث عن طرق لمنع ومجابهته .  
(UN/St/TAO/HR/44)
- ◆ التمييز العنصري - آثاره على الترجمة والقلم والعقولة والمعلومات .  
(UNESCO/SCH. 70/D. 63/A).

♦ تقرير لجنة القضاء على التمييز العنصري - أكتوبر لسنة ١٩٧١ • نشاط اللجنة خلال العام :  
(UN/A/8418).

#### الجنوح :

♦ تقرير لجنة الخبراء الاستشارية عن منع الجريمة ومعاملة المذنبين - الدورة الخامسة •  
(UN/E/CN. 5/474).

#### قانون العمل :

♦ تقرير لجنة الخبراء عن تطبيق المبادئ والتوصيات ( منظمة العمل الدولية ) •

#### التربية ، والعلم :

♦ مؤتمرات وزراء التربية والتعليم والمسؤولين عن تعزيز العلم والتكنولوجيا ، فيما يتعلق بالتنمية في أمريكا اللاتينية وبلاد البحر الكاريبي بالتعاون مع اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية ، ومنظمة الدول الأمريكية •

♦ تقرير هيئة الخبراء عن المعاهد المتقدمة في العلم التطبيقى والتكنولوجيا في افريقيا ( جامعة منشستر ) •

(UN/E/CN. 14/541).

♦ التعليم الثانوى ، التكوين الاجتماعى والتنمية في أمريكا اللاتينية •

(UN/E/CN. 2/924).

♦ التخطيط وتطوير الجامعات : ( يونسكو : المعهد الدولى للتخطيط التربوى ) •

♦ وسائل الاهتمام بتدريب المدرس وتطوير المنهج : حالة الدول النامية ( يونسكو : المعهد الدولى للتخطيط التربوى ) •

♦ اجتماع ممثلى المدارس المتقدمة من مختلف شعوب آسيا ( سيول وكينجور رعاية اليونسكو ) •  
(UNESCO/ED/MD/23).

#### الاتعلام العلمى •

♦ تقرير عن حلقة كميالا الدراسة في العلم والوسائل الجماهيرية - تميم العلم في افريقيا والدول النامية ككم •

(UN/E/CN. 14/543).

# سبب

- | المقال والكاتب   | العنوان الأفرنجي واسم الكاتب  | رقم العدد وتاريخه                |
|--|---|----------------------------------|
| ♦ مفهوم الزمان الاجتماعى دوره فى التنمية<br>بقلم : رودلف ريتسوهازى                 | The concept of social time : its role in development.<br>By : Rudolf Rezsosazy.         | المجلد : ٢٤<br>العدد الأول ١٩٧٢  |
| ♦ نحو تفسير بنائى للحركات الشبابية والطلابية<br>بقلم : كالوس . ر . اليريك          | Some structural conditions for youth and student movements.<br>By : Klaus R. Allerbeck. | المجلد : ٢٤<br>العدد الثانى ١٩٧٢ |
| ♦ المداخل الاجتماعية لثقافة الشباب<br>بقلم : كازيميرز زيچولسكى                     | Sociological approaches to the culture of youth.<br>By : Kazimierz Zygulski.            | المجلد : ٢٤<br>العدد الثانى ١٩٧٢ |
| * التغيير الجسدى فى شباب الطبقة المتوسطة<br>بقلم : جارى . ب . رش                   | The radicalization of middle-class youth.<br>By : Gary B. Rush.                         | المجلد : ٢٤<br>العدد الثانى ١٩٧٢ |
| ♦ الشباب فى أوغندا<br>بعض الأبعاد النظرية<br>بقلم : ت . والاس<br>و<br>س . ج . ويكس | Youth in Uganda : some theoretical perspectives .<br>By : T. Wallace<br>and S.G. Weeks. | المجلد : ٢٤<br>العدد الثانى ١٩٧٢ |
| ♦ علم النفس الاجتماعى فى افريقيا<br>وجهة نظر الطبيب النفسى<br>بقلم : هنرى كولومب   | Social psychology in Africa : The psychiatric's point of view.<br>By : Henri Collomb.   | المجلد : ٢٤<br>العدد الأول ١٩٧٢  |





مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٣/٤٧٣



# مركز مطبوعات اليونسكو ومجلة رسالة اليونسكو

يقدم مجموعة من المجلات الدولية بأفلام كتابت  
مختصة وأمانة باريس.  
ويقوم باختيارها ونقلها إلى العربية فتمت ترجمتها  
من الأمانة العربية، وتصبح إضافة إلى المكتبة العربية  
تساهم في إثراء الفكر العربي، وتمكين من ملاحقة  
البحث في قضايا العصر.

تصدر شهرياً

## مجلة رسالة اليونسكو

يناير / أبريل / يوليو / أكتوبر

## المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية

## مستقبل التربية

فبراير / مايو / أغسطس / نوفمبر

## مجلة اليونسكو للمكتبات

## مجلة (ديوجين)

مارس / يونيو / سبتمبر / ديسمبر

## العلم والمجتمع

مجموعة من المجلات تصدرها هيئة اليونسكو بلغات  
الدولية، وتصدر طبعاً بالعربية بالاتفاق مع اللجنة القومية  
لليونسكو، وبمبادرة الشعب القومية العربية، ووزارة  
الثقافة والإعلام بجمهورية مصر العربية.

العدد ١٠ / قرش









Bibliotheca Alexandrina



0536423